قال ابن خلكان هو ابو القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين وقال كان اماما في علم الكلام والادب والشعر وكان نقيب الطالبيين وله تصانيف على مذهب الشيعة وله الكتاب الذي سماه الدرر والغرر وهي مجالس املاها تشتمل على فنون من معاني الادب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك وهو كتاب ممتع يدل على فضل كثير وتوسع في الاطلاع على العلوم وذكره ابن بسام في اواخر كتاب الذخيرة فقال كان هذا الشريف امام ائمة العراق بين الاختلاف والاتفاق اليه فزع علماؤها وعنه اخذ عظماؤها صاحب مدارسها وجامع شاردها وآنسها ممن سارت اخباره وعرفت به اشعاره وحمدت في ذات الله ماثره وآثاره الى تواليفه في الدين وتصانيفه في احكام المسلمين مما يشهد انه فرع تلك الاصول ومن اهل ذلك البيت الجليل ومدح الشريف المذكور وفضائله كثيرة وكانت ولادته في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وتوفي يوم الاحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ست وثلاثين واربعمائة ودفن في داره عشية ذلك النهار

هذا كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد من تصنيف الفاضل الكامل السيد الشريف الملقب بعلم الهدى بن جد علي المرتضى عليه التحية والثناء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشريف الامام الاجل المرتضى علي بن الحسين بن موسى الموسوي رضي الله عنه **تاويل آية** قال الله جل من قائل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا قلنا في هذه الآية وجوه من التاويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتاويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه اولها ان الاهلاك قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا فاذا كان مستحقا او على سبيل الامتحان كان حسنا وانما يكون قبيحا اذا كان ظلما فتعلق الارادة به لا يقتضي تعلقها به على الوجه القبيح ولا ظاهر الآية يقتضي ذلك اذا علمنا بالادلة تنزه الله تعالى عن القبائح علمنا ان الارادة لم تتعلق الا بالاهلاك الحسن وقوله تعالى امرنا مترفيها المامور به محذوف وليس يجب ان يكون المامور به هو الفسق وان وقع بعده وانما يجري هذا مجرى قول القائل امرته فعصى ودعوته فابى والمراد انني امرته بالطاعة ودعوته الى الاجابة والقبول ويمكن ان يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه وانما موضعها ان يقال اي معنى لتقدم الارادة فان كانت متعلقة باهلاك مستحق بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله اذا اردنا امرنا لانه تعالى يهلك بما يامر به لا بما ليس له بارادته للعقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك المستحق بمخالفة الامر المذكور في الآية فهذا الذي تابونه لانه يقتضي انه تعالى مريد لاهلاك من لم يستحق العقاب

عن ذلك

عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب الذي حسن قوله واذا اردنا امرنا هو ان في تكرار الامر بالطاعة والايمان اعذارا الى العصاة وانذارا لهم وايجابا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا واقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرر الوعيد والوعظ والانذار ممن يحق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد بصحة هذا التاويل قوله تعالى قبل هذه الآية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا **و الوجه الثاني** في تاويل هذه الآية ان يكون قوله امرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله واذا اردنا ويكون تقدير الكلام واذا اردنا ان نهلك قرية من صفتها انا امرنا مترفيها ففسقوا فيها ويكون اذا على هذا الجواب لم يات لها جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ولم يات لاذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه و يشهد ايضا بصحة هذا التاويل قول الهذلي حتى اذا اسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا فحذف جواب اذا ولم يات به لان هذا البيت آخر القصيدة **والوجه الثالث** ان يكون ذكر الارادة في الآية مجازا واتساعا وتنبيها على المعلوم من حال القوم وعاقبة امرهم وانهم متى امروا فسقوا وخالفوا ويجري ذكر الارادة هاهنا مجرى قولهم اذا اراد التاجر ان يفتقر اتته النوائب من كل جهة وجاءه الخسران من كل طريق وقولهم اذا اراد العليل ان يموت خلط في اكله ويسرع الى ما تتوق اليه نفسه ومعلوم ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئا ولا العليل ايضا لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه مجازا وكلام العرب مملوء باشارات واستعارات ومجازات لهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العلياء من الفصاحة فان كان الكلام متى خلا من الاستعارات وجرى كله على الحقيقة كان بعيدا من الفصاحة بريا من البلاغة وكلام الله تعالى افصح الكلام **والوجه الرابع** ان تحمل الآية على التقديم والتاخير فيكون تلخيصها اذا امرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب اردنا اهلاكهم والتقديم والتاخير في الشعر وكلام العرب كثير ومما يمكن ان يكون شاهدا لصحة هذا التاويل من القرآن قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلوة وقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وقيام الطائفة معه يجب ان يكون قبل اقامتها الصلوة لان اقامتها هي الاتيان بجميعها على الكمال واما قراءة من قرا الآية بالتشديد فقال امّرنا وقراءة من قراها بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلا يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لا يليق الا بان يكون ما تضمنته الآية هو الامر الذي يستدعي به الفعل **تاويل خبر** روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فيه ان من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو اجذم

انه قال من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو اجذم قال ابو عبيد القسم بن سلام مفسراً لهذا الحديث في
كتاب غريب الحديث الاجذم المقطوع اليد واستشهد بقول المتلمس * وما كنت الا مثل قاطع كفه بكف
له اخرى فاصبح اجذما * وقد خطا عبد الله بن مسلم بن قتيبة ابا عبيد في تاويله هذا الخبر فقال الاجذم
وان كان المقطوع اليد فان هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع قال لان العقوبات من الله تعالى لا تكون
الا وفقاً للذنوب وبحسبها واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن فكيف تعاقب فيها واستشهد بقوله
تعالى الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وزعم ان تاويل الاية
ان الربوا اذا اكلوه ثقل في بطونهم وربا في اجوافهم فجعل قيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان
تعثراً وتخبلاً واستشهد ايضاً بما روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم من قوله رايت ليلة اسري
بي قوماً تقرض شفاههم وكلما قرضت وفت فقال لي جبريل هؤلاء خطباء امتك تقرض شفاههم
لانهم يقولون ما لا يفعلون قال فالاجذم في الخبر انما هو المجذوم وانما جاز ان يسمى المجذوم اجذم
لان الجذام يقطع اعضاءه ويشذبها والجذم هو القطع وقد اخطأ الرجلان جميعاً وذهبا عن
الصواب ذهاباً بعيداً وكان غلط ابن قتيبة افحش واقبح لانه علل غلطه فاخرجه الى غالط كثير
ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما اورداه اما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له ادنى معرفة بمذاهب
العرب في كلامها وانما اراد عليه السلام بقوله يحشر اجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال
وفقد ما كان عليه من القرآن من الزينة والجمال والتشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه
لان اليد من الاعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل الى كثير من المنافع الا بها
ففاقدها يفقد ما كان عليه من الكمال وتفوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى
تناولها وهذه حال ناسي القرآن ومضيعه بعد حفظه لانه يفقد ما كان لابساً له من الجمال ويحرماً
من الثواب وهذه عادة للعرب في كلامها معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بعد فلان
اجذع ومقطوع يعني بعده اجذم قال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع * تضعضع طوداً وائل بعد مالك *
واصبح منها معطس العز اجدعا * وانما اراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن في كلامها واشارات
الى الاغراض وتلويحات بالمعاني متى لم يفهمها ويتسرع الى الفطنة بها من يتعاطى تفسير كلامهم وتاول
خطابهم كان ظالماً نفسه متعدياً طوره ونعود الى الكلام على ما ذكره الرجلان اما ابو عبيد فان
من حيث لم يفطن الغرض في الخبر وضل عن وجهه والا فالاجذم هو الاقطع لا محالة كما قال الا انه لا يليق
بهذا الموضع واذا حمل عليه لم يفد شيئاً وان كانت شبهته التي اوقعته في هذا التاويل ظنه ان ذلك
يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن لان الجذم او لاليس بعقوبة لان الله تعالى قد
يجذم اولياءه والصالحين من عباده ويقطع اعضاءهم بالامراض وقد يبتدي خلق من هو ناقص الاعضا

فليس بلازم في الجذام ان يكون عقوبة ثم لو كان ناسي القرآن يستحق عقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن بأ
فرضاً واجباً وحتماً لازماً لان العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن كذلك واما
ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفطن للوجه في الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ظن ان العقوبة لا تكون الا في
محل الذنب وهذا القول يوجب عليه ان لا يجلد ظهر الزاني ويخص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف يجب
ان يعاقب في لسانه دون سائر اعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لانا نعلم ان اللسان اقوى خطأ
في باب الكلام من الشفة فلم لم يختص العقوبة به وحلت بالشفاه دونه ثم غلطه في تاويل الاية التي اورد
اقبح من كل ما تقدم لانه توهم ان ما تضمنته الاية من تخبط آكل الربوا وتعثره عند القيام انما هو من الربوا
من حيث ثقل ما اكله في بطنه فمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك ونجد كثيراً من آكلي الربوا ا
نهوضاً واسرع قياماً ونشراً ممن غيرهم ممن لم ياكل الربوا قط والمعنى في الاية ما ذكره المفسرون من ان ما
وصفهم الله تعالى به يكون عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم العثار والزلل والتخبل على سبيل العقوبة لهم و
ليكون ذلك ايضاً امارة لمن يعاينهم من الملائكة والخزنة على الفرق بين الولي والعدو ومستحق الجنة ومستحق
النار وليس بمعروف والظاهر ان الاجذم هو المجذوم ورد ابن قتيبة معناً واشتقاقه الى الجذم الذي هو
القطع يوجب عليه ان يكون كل داء يقطع الجسد ويفرقها وضاله كالجدري والاكلة وغيرهما يسمى جذاماً و
من كان عليه اجذم وهذا باطل واما قول الشاعر * حرق قيس على البلاد * حتى اذا اضطرمت اجذما * فليس
من هذا الباب بل هو من الاجذام الذي هو الاسراع فكانه قال لما اضطرمت اسرع عني وتباعد ويروى واجذما
بالذال المعجمة وبالدال غير المعجمة جميعاً الاسراع فاما قول عنترة في وصف الذباب * هزجاً يحك ذراعه بذراعه
قدح المكب على الزناد الاجذم * فهو من هذا الباب لان الاجذم من صفة المكب لا من صفة الزناد فكانه قال
قدح المكب الاجذم على الزناد وهذا من حسن التشبيه ولطيفه **مسئلة** قال الشريف المرتضى رضي الله عنه
كان بعض الشيوخ المتقدمين يقول ليس يمتنع ان يمكن الله تعالى من الظلم من يعلم من حاله انه يرد القيامة غير
مستحق من الاعواض او لما يوازي القدر المستحق عليه منها فاذا اراد الانتصاف منه يتفضل عليه بما ينقله
الى مستحق العوض ويقول ليس هذا ببعيد ولا مستحيل لان العوض ليس يختص بصفة بمثله ولا يجري في ذلك مجرى
الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف لا يجوز ان يكون موقوفاً على ما يتفضل به لان الانتصاف
واجب على الله تعالى من حيث خلى بين عباده وبين الظلم فلا يجوز ان يتعلق الا بامر واجب والتفضل لفاعله ان
يفعله وان لا يفعله فيؤول الحال الى تعذر الانتصاف قالوا ومن يعلم الله انه يرد القيامة ولا اعواض له يمنعه من الظلم ولا يمكنه
منه لحسنه العلة ويجيزون ان يمكن من الظلم من يكون في الحال غير مستحق للعوض او غير مستحق للقدر الذي يوازي
الظلم من العوض بعد ان يكون المعلوم من حاله انه يرد القيامة وقد استحق من الاعواض ما يوازي ما عليه منها
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وهذا القول يعني تجويز تمكين الظالم من الظلم وهو في الحال غير مستحق للعوض

يبطل بالعلة التي أبطلنا بها قول من أجاز الانتصاف بالتفضل لأنا نعلم أن تبقية المكلف لا تجب على الله تعالى
أن لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف
على هذا القول بما ليس بواجب وليس لهم أن يقولوا يحسن ذلك لأن الله تعالى يعلم أنه يبقيه فيستحق أعواضا لأن
عليهم مثل ذلك إذا قيل لهم فأجيزوا أيضا أن يرد القيامة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله تعالى أنه يتفضل
عليه بما يقع به الانتصاف فإذا قالوا أعلم الله بأنه يتفضل عليه لا يخرج التفضل من أن يكون غير واجب قيل
لهم وعلم الله تعالى بأنه يبقي من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج التبقية من أن تكون غير واجبة
فاستوى الأمران والصحيح أن يقال أنه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ليستقيم الكلام ويطرد
مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما
أوتيتم من العلم إلا قليلا وقد ظن قوم من غفلة الملحدين وجهالهم أن الجواب عما سئل عنه في هذه
الآية لم يحصل وأن الامتناع منه إنما هو لفقد العلم به وأن قوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا تبكيت
وتقريع لم يقعا موقعهما وإنما هما على سبيل المدافعة والمحاجزة عن الجواب وفي هذه الآية وجوه من
التأويل تبطل ما ظنوه وتدل على ما جهلوه أولها أنه تعالى إنما عدل عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أدعى
لهم إلى الصلاح في الدين وأن الجواب لو صدر منه تعالى إليهم لازدادوا فسادا وعنادا إذ كانوا
متعنتين لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لأنا قد نعلم في كثير من الأحوال فيمن يسألنا عن الشيء أن
العدول عن جوابه أولى وأصلح في تدبيره وقد قيل إن اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمدا عن الروح
فإن أجابكم فليس بنبي وإن لم يجبكم فهو نبي فإنا نجد في كتبنا ذلك فأمر الله تعالى بالعدول عن ذلك
ليكون علما له ودلالة على صدقه وتكذيبا لليهود الرادين عليه وهذا الجواب لأبي علي محمد بن عبد الوهاب
الجبائي وثانيها أن القوم إنما سألوه عن الروح وهل هي محدثة مخلوقة أم ليست كذلك فأجابهم
بأنها من أمر ربي وهو جوابهم عما سألوا عنه بعينه لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب أنها محدثة مخلوقة
وبين قوله أنها من أمر ربي لأنه إنما أراد أنها من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب أن تكون الروح
التي سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد أم عيسى عليه السلام أم جبرئيل عليه السلام فقد سمى الله تعالى
جبرئيل روحا وعيسى عليه السلام أيضا مسمى بذلك في القرآن وثالثها أنهم سألوه عن الروح الذي هو
القرآن فقد سمى الله تعالى القرآن روحا في مواضع من الكتاب فإذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب
موقعه لأنه قال لهم إن الروح الذي هو القرآن من أمر ربي ومما أنزله على نبيه عليه السلام ليجعله دلالة
وعلما على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في إمكانهم وهذا الجواب للحسن البصري ويقويه
قوله تعالى بعد هذه الآية ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
فكأنه تعالى قال إن القرآن من أمري وفعلي ومما أنزلته علما على نبوة رسولي ولو شئت لرفعته وأزلته

ونصرت به كما يعرف الفاضل فيما يعمل به فصل قال الشريف المرتضى رضي الله عنه قال أبو مسلم محمد بن بحر
الأصفهاني في قوله تعالى والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون قال إنما خص
الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين أحدهما أن غاية المكيل تنتهي إلى الوزن لأن سائر المكيلات إذا صار
طعاما دخلت في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الموزون أعم من المكيل والوجه الآخر أن في الوزن
معنى الكيل لأن الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ومقايسته إليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت
في الكيل فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل وهذا قول أبي مسلم ووجه الآية وما يشهد له ظاهر
لفظها غير ما سلكه أبو مسلم وإنما أراد تعالى بالموزون المقدر الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا
عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرة أو داخلة في باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان
موزون وأفعاله مقدرة موزونة وإنما يراد ما أشرنا إليه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الوزن
في القرآن على أحد التأويلين وأنها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب قال الشاعر لها بشر مثل
الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر والهراء الكثير والنزر القليل فكأنه قال إن كلامها
لا يفضل عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجري مجرى أن يقول هو موزون وقال مالك بن أسماء بن
خارجة الفزاري وحديث ألذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا منطق صائب وتلحن أحيانا
وخير الحديث ما كان لحنا وهذا الوجه الذي ذكرناه أشبه بمراد الله تعالى في الآية والأليق بفصاحة
القرآن الكريم وبلاغته الموفيتين على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم فأما قول الشاعر الذي
استشهدنا بشعره وتلحن أحيانا فلم يرد اللحن في الإعراب الذي هو ضد الصواب وإنما أراد الكناية
عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الإفصاح عنه على معنى قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول
وقول الشاعر ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب وقد قيل إن اللحن
الذي عناه في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
أنه قال لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته أي أفطن لها وأغوص عليها ومما يشهد لما ذكرناه ما أخبرنا به
أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثنا أحمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا
العنزي قال حدثنا علي بن إسماعيل اليزيدي قال أخبرنا إسحق بن إبراهيم قال تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة
فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها أتلحنين وأنت شريفة في بيت قيس قالت أما سمعت قول أخي مالك
لامرأته الأنصارية قال وما هو قالت قال منطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا
فقال لها الحجاج إنما عنى أخوك اللحن في القول إذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن في العربية فأصلحي
لسانك وقد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه فقال إن اللحن يستحسن في النساء الغرائر ولا يستحسن
منهن كل الصواب والتشبه بفحول الرجال واستشهد بأبيات مالك بعينها وظن أنه أراد باللحن

في الخبر من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا الخ

ما نجا الى الصواب تبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الاخبار ابيات الفزاري واعتذر لحن ان اصيب في كتابه قال الشريف المرتضى رضى الله عنه واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني ابي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك بالادب ينشد قول الفزاري ويفسره على انه اراد اللحن في الاعراب انما اراد وصفها بالظرف والفطنة وانها تورى عما قصدت له وتتنكب التصريح به فقال له قد فطنت لذلك بعد فقلت فغيره من كتابك فقال فكيف لي بما صارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه على خطائه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد الازدي ان رجلا من بني العنبر حصل اسيرا في بكر بن وائل فسالهم رسولا الى قومه فقالوا لا ترسل الا بحضرتنا لانهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا ان ينذرهم فجيء بعبد اسود فقال له اتعقل قال نعم اني لعاقل فقال ما اراك تعقل ثم اشار بيده الى الليل فقال ما هذا فقال الليل قال اراك عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل فقال كم هذا قال لا ادري وانه لكثير فقال ايما اكثر النجوم ام النيران فقال كل كثير فقال ابلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلانا يعني اسيرا كان في ايديهم من بكر فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وشكت النساء وامرهم ان يعروا ناقتي الحمراء فقد اطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب بآية ما اكلت معكم حيسا واسالوا عن خبري اخي الحرث فلما ادى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا اصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد انذركم اما قوله ادبى العرفج يريد ان الرجال قد استلاموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء اي اتخذن الشكاء للسفر وقوله ناقتي الحمراء اي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان وهو الجمل الاصهب وقوله اكلت معكم حيسا يريد اخلاطا من الناس قد غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه **مجلس اخر تاويل خبر** روى ابو عبيد القسم بن سلام في كتابه غريب الحديث عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا او تجفافا قال ابو عبيد قد تاول بعض الناس هذا الخبر على انه اراد به الفقر في الدنيا وليس ذلك كذلك لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى في سائر الناس من الغنى والفقر ولا تمييز بينهما فيما قال والصحيح انه اراد الفقر يوم القيمة واخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكانه اراد من احبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب والقرب الى الله تعالى والزلف عنده قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث خلاف ما قاله ابو عبيد ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر ان من احبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن احوال الدنيا واعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف والجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب او التجفاف البدن قال ويشهد بصحة هذا التاويل ما روى عنه رضى الله تعالى عنه من انه راى قوما على بابه فقال

يا قنبر من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعتك فقال ما لي لا ارى فيهم سيماء الشيعة قال وما سيماء الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظماء عمش العيون من البكاء هذا كله قول ابن قتيبة وقد ذهبا جميعا في الخبر مذهبا حسنا وان كان الوجه الذي ذكره ابن قتيبة احسن وافصح ويمكن ان يكون في الخبر وجه ثالث تشهد لصحته اللغة وهو ان احد وجوه معنى لفظة الفقر ان يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم او قريب منه ثم يلوى عليه حبل يذلل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقرا اذا فعل ذلك به وبعير مفقور وبه فقرة وكل شيء حززته واثرت فيه فقد فقرته تفقيرا ومنه سميت الفاقرة ومثل سيف مفقر فيحتمل القول على ان يكون عليه السلام اراد من احبنا فليزم نفسه وليخطمها وليقدها الى الطاعات ويصرفها عما تميل طباعها اليه من الشهوات ويذللها على الصبر عما كره منها ومشقة ما اريد بها كما يفعل بالبعير الصعب وهذا وجه في الخبر ثالث لم يذكره وليس يجب ان يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب لان الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر ان يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز ان يكون اراد المخاطب كل واحد منها منفردا وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه واكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام **فصل** قال الشريف المرتضى رضى الله عنه وممن كان من مشهوري الشعراء ومتقدميهم على مذاهب اهل العدل ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته ابو الحرث وذو الرمة لقب لقب به لبيت قاله وهو في صفة الوتد اشعث باقي رمة التقليد والرمة القطعة البالية من الحبل فيقال حبل رمام اذا كان ضعيفا باليا وقيل انه انما لقب بذي الرمة لانه كان وهو غلام يتفزع فجاءت امه بمن كتب له كتابا وعلقته عليه برمة من حبل فسمي ذا الرمة ويشهد بمذهبه في العدل ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا ابو عثمان الاشنانداني عن التوزي عن ابي عبيدة قال اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال بن ابي بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر افحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدره فقال له ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب ان ياكل حلوبة عيائل ضرائك فقال رؤبة افبقدرته اكلها هذا كذب على الذئب ثان فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل واحتجاجه عليه وبصيرته فيه فاما العيائل فهو جمع عيل وهو ذو العيال والضرائك جمع ضريك وهو الفقير قال الشريف المرتضى رضى الله عنه واخبرنا ابو عبيد الله بن المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي عن ابي العيناء عن الاصمعي عن اسحق بن سويد قال انشد ذو الرمة وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبحت كان خيرا لك انما قلت وعينان فعولان نصفهما بذلك وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا الوجه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال

أعشى قيس بن ثعلبة

حدثني احمد بن خالد النحاس قال حدثني محمد بن القسم ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي قال لما انشد ذو
الرمة قوله وعينان قال الله كونا فكانتا ✢ فعولين بالالباب ما تفعل الخمر ✢ وهو يريد كونا فكانتا
مفعولين فعولين حيث كانتا قال له عمرو بن عبيد ويحك قلت عظيما فقل فعولان بالالباب فقال
له ذو الرمة فاما لي قلت هذا ام سبحت فلما علم ما ذهب اليه عمرو ✢ قال يا سبحان الله لو عنيت ما
ظننت كنت جاهلا ✢ قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وممن روي انه كان على مذاهب اهل العدل
من شعراء الطبقة الاولى اعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله استاثر الله بالوفاء وبالعدل
وولى الملامة الرجلا ✢ وممن قيل انه كان على مذاهب اهل الجبر من المشهورين ايضا لبيد بن ربيعة العامري
واستدل بقوله ان تقوى ربنا خير نفل ✢ وباذن الله ريثي والعجل ✢ من هداه سبل الخير اهتدى ✢
ناعم البال ومن شاء اضل ✢ وان كان لا طريق الى نسب الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان فليس
دلالة على ذلك اما قوله فباذن الله ريثي والعجل فيحتمل ان يريد بعلمه كما يتاول عليه قوله تعالى وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله اي بعلمه فان قيل في هذه الآية انه اراد بتخليته وتمكينه وان كان لا شاهد لذلك
في اللغة امكن مثله في قول لبيد فاما قوله من هداه اهتدى ومن شاء اضل فيحتمل ان يكون مصروفا الى
بعض الوجوه التي يتاول عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضي الاجبار
اللهم الا ان يكون مذهب لبيد في الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا يتاول له هذا التاويل
بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه مسئلة قال الشريف المرتضى رضي الله عنه اعلم ان
اصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله تعالى بقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير وبينوا انه تعالى تمدح بنفي الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه
يرجع الى ذاته فيجب ان يكون في ثبوت الرؤية له في وقت من الاوقات نقص وذم قال لهم مخالفوهم كيف
يتمدح بانه لا يرى وقد يشاركه في نفي الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدومات والادراكات والاعتقادات
فقالوا لهم لم يتمدح تعالى بنفي الرؤية فقط وانما تمدح بنفي الرؤية عنه واثباتها له فتمدحه بمجموع الا
الامرين وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات على ضروب منها ما لا يرى
ولا يرى كالادراكات والاعتقادات ومنها ما لا يرى ولا يرى كالالوان ومنها ما يرى ويرى كالانسان
وضروب الاحياء وليس فيها ما يرى ولا يرى فثبتت المدحة لله تعالى بمتضمن الآية فقال لهم المخالفون
وكيف يجوز ان تكون الصفة لا تقتضي المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوزن
ان يتمدح متمدح بانه شيء عالم او موجود قادر فاذا كان لا مدحة في وصف الذات بانها شيء وموجودة
وان انضمت الى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فكذلك لا تقتضي في نفي الرؤية
عمن تثبت له من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فاجاب اصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس يمتنع

في نفي رؤيته بالابصار بقوله تعالى ولا تدركه الابصار الآية

في الصفة ان تكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى
لا تاخذه سنة ولا نوم فان نفي السنة والنوم ههنا انما يكون مدحا اذا انتفى عمن هو بصفة الاحياء من
وان كان بانفراده لا يقتضي مدحا لمشاركة ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالشيء و
الوجود وبين ما ذكر من حيث لم تثبت لهاتين الصفتين في المدح واعلم ان صفات المدح المتضمنة للاثبات
ما تكاد تفتقر الى شرط في كونها مدحا وصفات النفي اذا كانت مدحا فلا بد فيها من شرط وانما افترق الامران
من حيث كان النفي اعم من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات اشد اختصاصا
الا ترى ان ما ليس بعالم من الذوات ليس بموجود اكثر مما ثبت له العلم والوجود منها لان الاول لا يكون
الا غير متناه والثاني لا يكون الا متناهيا فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت
الى شرط يخصصها وانت اذا اعتبرت فاني صفات النفي التي يتمدح بها وجدتها مفتقرة الى الشروط
الا ترى ان من ليس بجاهل انما يكون ممدوحا بهذا النفي اذا كان حيا ذاكرا لانه قد يكون الحجر لا عالما ولا جاهلا
لسهو يلحقه وذهول يعتريه ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحا اذا كان ايضا موجودا حيا ومن ليس بظالم
انما يكون ممدوحا اذا كان قادرا على الظلم وله دواع اليه ولا بد في الشرط الذي يحتاج اليه في صفات
النفي حتى يكون مدحا ان يكون ايضا اثباتا او جاريا مجرى الاثبات ولا يكون نفيا لانه ان كان نفيا
لم يتخصص وساوى فيه الممدوح ما ليس بممدوح مثال ذلك انا اذا مدحنا غيرنا بانه لا يظلم وشرطنا
في هذه المدحة انه لم يدعه داع الى الظلم لم يحصل المدحة لانه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي
اليه ما ليس بممدوح فلا بد من شرط يجري مجرى الاثبات وهو ان نقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى
الافعال ويتصرف فيها بحسب حاجته ودواعيه فاذا صحت هذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدحة
في الآية انما تتعلق بنفي الادراك عن القديم تعالى لكن بشرط ان يكون مدركا ونجعل كل واحدة من
الصفتين تقتضي المدح مجتمعا مع ان كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد وليس بمنكر ان يقتضي
الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى واذا لم يحصل لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم
عن الله تعالى انما كان مدحا بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص في هذا الموضع اولى
واحسم للشبهة مما تقدم ذكره مجلس آخر في التاويل ان سال سائل فقال ما تقولون في قوله تعالى
حكاية عن موسى عليه السلم فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وقال في موضع آخر وان الق عصاك
فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى والثعبان هو الحية العظيمة الخلقة
والجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا
في حالة واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها وباي شيء تزيلون التناقض
عن هذا الكلام الجواب اول ما نقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبرا عن قصة واحدة

وجه الاشكال في الآيتين الواردتين في حكاية موسى وعصاه والجواب عنه

ما ظن بل الحالتان مختلفتان فالحال التي اخبر ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى عليه السلام الى فرعون والحال التي صارت العصا فيها ثعبانا انما كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك واذا اختلفت القصتان فلا مسئلة على ان هو ما من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن السؤال من ظن منهم ان القصة واحدة اولا اعتقاده ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالتين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان او على سبيل الاستظهار في الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ما ظن لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه احسن ما تكلفوا الجواب لاجله لان الاولين لا يكونان الا عن غلط او غفلة وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة في تاويلها احدهما انه تعالى انما شبهها بالثعبان في احدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الآية الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته وهذا اظهر في باب الاعجاز وابلغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتين وليس يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفات الثعبان ولا اذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال الله سبحانه ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قوارير قوارير من فضة ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع انها من فضة وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض وجوهه فيشبهون المرأة بالظبي وبالبقرة ونحن نعلم ان في الظباء والبقر من الصفات ما لا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون وجه والوجه الثاني انه تعالى لم يرد بذكر الجان في الآية الاخرى الحية وانما اراد احد الجن فكانه تعالى اخبر بان العصا صارت ثعبانا في الخلقة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كاحد الجن في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى ويمكن ان يكون للآية تاويل آخر استخرجناه لم نرد على الوجهين الاولين لم ينقص عنهما والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض الذي توهم زايل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حية صارت اولا بصفة الجان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان على تدريج ولم تصر كذلك ضربة واحدة فتتفق الآيتان على هذا التاويل ويختلف حكمهما وتكون الآية الاولى التي تتضمن ذكر الثعبان اخبارا عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الجان التي ولى موسى فيها هاربا وهي حال انقلاب العصا الى خلقة الجان وان كانت بعد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضي انها صارت ثعبانا بعد الالقاء بلا فصل قلنا ليس يقتضي الآية ما ظن وانما فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك

ويجري

ويجري هذا مجرى قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيما مبينا وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من اعلى الحائط فاذا هو في الارض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمانا وانه لم يصل اليها الا على تدريج وكذلك الهابط من الحائط وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ويمتد

تاويل آية اخرى قال الشريف المرتضى رضي الله تعالى عنه قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ان تاويل هذه الآية ان الله سبحانه استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته وهم في خلق الذر فقررهم بمعرفته واشهدهم على انفسهم وهذا التاويل مع ان العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لان الله تعالى قال واذ اخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذرياتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى بانه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيمة انهم كانوا عن هذا غافلين او يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشأوا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضي ان الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصلبه وانها انما تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية بني آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تاويلهم فاما شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام فخوطبت وقررت من ان تكون كاملة العقل مستوفية لشروط التكليف او لا تكون كذلك فان كانت بالصفة الاولى وجب ان يذكر هؤلاء بعد خلقهم وانشائهم واكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لان العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز ان يتصرف احد منا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر احواله وليس ايضا لتخلل الموت بين الحالين تاثير لانه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون والاغماء بين احوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من احوالهم لان سائر ما عددناه مما ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب وليس لهم ان يقولوا اذا جاز في العاقل الكامل ان ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك انا انما اوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقول ولو كانوا بصفة الاطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما اوجبناه على ان تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية وذلك ان الله تعالى اخبر بانه انما قررهم واشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك وسقوط الحجة عنهم فيه فاذا جاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجة عنهم وزوالها وان كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف

تاويل ليس منا من لم يتغن بالقران

فى خطائهم وتقريرهم واشهادهم وصادف ذلك عبثاً قبيحاً تعالى الله عنه فان قيل فقد ابطلتم تاويل مخالفكم فما تاويلها الصحيح عندكم قلنا فى الاية وجهان احدهما ان يكون تعالى انما عنى بها جماعة من ذرية بنى ادم خلقهم وبلغهم واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته فاقروا بذلك واشهدهم على انفسهم به لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او يعتذروا بشرك اباءهم وانما اتى من اشتبه عليه تاويل الاية من حيث ظن ان اسم الذرية لا يقع الا على من لم يكن كاملا عاقلا وليس الامر كما ظن لانا نسمى جميع البشر بانهم ذرية آدم وان دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال الله تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم ولفظ الصحابة لا يطلق الا على من كان كاملا عاقلا فان استبعد وتاويلنا وحملنا الاية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم والجواب الثانى انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته واراهم العبر والايات والدلائل فى غيرهم وفى انفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا فى مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذى اراده الله تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر المعترف وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم وانما لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولهم جوارحى تشهد بنعمتك وحالى معترفة باحسانك وما روى عن بعض الحكماء سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وهذا باب كبير وله نظاير كثيرة فى النظم والنثر يغنى عن ذكر جميعها القدر الذى ذكرناه منها تاويل خبر قال ابو عبيد القسم بن سلام فيما روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران قال اراد من لم يستغن به واحتج بقولهم تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا وانشد بيت الاعشى ٭ وكنت امرأ زمنا بالعراق ٭ عفيف المناخ طويل التغن ٭ وقول الاخر كلانا غنى عن اخيه حياته ٭ ونحن اذا متنا اشد تغانيا ٭ واحتج بقول ابن مسعود من قرأ سورة آل عمران فهو غنى اى مستغن وبالحديث الاخر نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها فى اخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث اخر يروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو انه قال لا ينبغى لحامل القران ان يظن ان احدا اعطى افضل مما اعطى لانه لو ملك الدنيا باسرها لكان القران افضل مما ملكه واحتج ايضا بخبر يرفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد فى بيته فاذا مثال رث ومتاع رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ليس منا من لم يتغن بالقران قال ابو عبيد فذكره المتاع

الرث والمثال الرث يدل على ان التغنى بالقران الاستغناء به عن الكثير من المال والمثال الفراش قال الشاعر ٭ يظل طوال الساجدين كانما ٭ يدب بسرى الليل المثال الممهد ٭ يعنى الفراش قال ابو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك اذ كان من لم يرجع بالقران فليس منه عليه السلم وذكر عن غير ابى عبيد جواب اخر وهو انه عليه السلم اراد من لم يحسن صوته بالقران ويرجع فيه واحتج فى هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السايب قال اتيت سعدا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من انت فاخبرته فقال مرحبا يا ابن اخى بلغنى انك حسن الصوت بالقران سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان هذا القران نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ومن لم يتغن بالقران فليس منا فقوله عليه السلام فابكوا او تباكوا دليل على ان التغنى التحسين والترجيع وروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا ياذن الله لشىء من اهل الارض الا لاصوات المؤذنين وللصوت الحسن بالقران معنى قوله ياذن يستمع يقال اذنت للشىء آذن اذنا اذا استمعت له قال الشاعر ٭ صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ٭ وان ذكرت بشر عندهم اذنوا ٭ وقال عدى بن زيد العبادى ٭ ايها القلب تعلل بددن ٭ ان همى فى سماع واذن ٭ وانما حسن تكرير المعنى لاختلاف اللفظ وللعرب فى هذا مذهب معروف فى مثله وهذا انى من دونها النائى والبعد فاما الددن فهو اللهو واللعب وفيه ثلاث لغات دد على مثال دم وددا على مثال فتى وددن على مثال حزن ومنه قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما انا من دد ولا الدد منى فان قيل كيف يحمل قوله لا ياذن الله لشىء كاذنه لكذا وكذا بمعنى الاستماع وهو تعالى سامع لكل مسموع فاى معنى للاختصاص قلنا ليس المراد بالسمع ههنا مجرد الادراك وانما المراد به القبول فكانه عليه السلم قال ان الله لا يتقبل او يثيب على شىء من اهل الارض كتقبله وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا كلام لا اسمعه وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه وانما يريدون نفى القبول لا الادراك والبيت الذى انشدناه يشهد بذلك لانه قال وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا ونحن نعلم انهم يسمعون الذكر بالخير والشر من حيث الادراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه وقد ذكر ابو بكر محمد بن القسم الانبارى وجها ثالثا فى الخبر قال اراد عليه السلم من لم يلتذ بالقران ولم يستحله ولم يستعذب تلاوته كاستحلاء اصحاب الطرب للغناء والتذاذهم به وسمى ذلك تغنيا من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغنى بالغناء وذكر ان ذلك نظير قولهم العمايم تيجان العرب والحبى حيطان العرب والشمس حمامات العرب وانشد بيت النابغة ٭ بكاء حمامة تدعو هديلا ٭ مفجعة على فنن تغنى ٭ فشبه صوتها لما اطرب اطراب الغناء بالغناء وجعلوا العمايم لما قامت مقام التيجان تيجانا وكذلك القول فى الحبى والشمس وجواب ابى عبيد احسن الاجوبة واسلمها وجواب ابى بكر ابعدها لان التلذذ لا يكون الا فى المشتهيات وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القران وتفهم معانيه من الافعال الشاقة

قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة

فكيف يكون ملذا مشتهى فان عاد الى ان يقول قد تشتهى التلاوة من الصوت الحسن قلنا هذا رجوع
الى الجواب الثانى الذى رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما يخالفه ويمكن ان يكون فى الخبر وجه
رابع خطر لنا وهو ان يكون قوله عليه السلم يتغنى من غنى بالمكان اذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى
والمغانى قال الله تعالى كان لم يغنوا فيها اى لم يقيموا بها وقال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم
عيشة ۞ فى ظل ملك ثابت الاوتاد ۞ وقول الاعشى الذى انشده ابو عبيدة وهو ۞ وكنت امرا زمنا
بالعراق عفيف المناخ طويل التغن بطول المقام اشبه منه بالاستغناء لان المقام يوصف
بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك فكان الاعشى اراد اننى كنت ملازما لوطنى مقيما بين اهلى
لا اسافر للانتجاع والطلب ويجرى قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت الانصارى اولاد جفنة
حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل اراد بقوله حول قبر ابيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا
يفارقون محالهم واوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القران فلا يتجاوزه الى
غيره ولا يتعداه الى سواه ويتخذه مغنى ومنزل مقام فليس منا فان قيل اليس قد يتعدى القران الى
السنة والاجماع وسائر ادلة الشرع فكيف يحظر علينا تعديه قلنا ليس فى ذلك تعد للقران لان
القران دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من ادلة الشرع فمن اعتمد بعضها فى شىء من الاحكام لا يكون
متجاوزا للقران ولا متعديا له فاما قوله عليه السلم ليس منا فقد قيل فيه انه لا يكون على اخلاقنا و
استشهد ببيت النابغة ۞ اذا حاولت فى اسد فجورا ۞ فانى لست منك ولست منى ۞ وقيل انه اراد ليس على
ديننا وهذا الوجه لا يليق الا بجوابنا الذى اخترناه وهو بعيد بجواب ابى عبيد الذى لانه محال ان
يخرج عن دين النبى صلى الله عليه واله وسلم وملته من لم يحسن صوته بالقران ويرجع فيه او لم
يتلذذ بتلاوته ۞ مسئلة ۞ اعلم ان اصحابنا قد اعتمدوا فى ابطال ما ظنه اصحاب الرؤية فى قوله تعالى
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة على وجوه معروفة لانهم بينوا ان النظر ليس يفيد الرؤية و
الرؤية من اجل محتملاته ودلوا ان النظر ينقسم الى اقسام كثيرة منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال المرئى
طلبا لرؤيته ومنها النظر الذى هو الانتظار ومنها النظر الذى هو التعطف والرحمة ومنها
النظر الذى هو الفكر والتامل وقالوا اذا لم يكن فى اقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها
تعلق واحتجنا جميعا الى طلب تاويل الاية من غير جهة الرؤية وتاولها بعضهم على الانتظار للثواب
وان كان المنتظر فى الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكورا على عادة للعرب معروفة وسلم بعضهم
ان النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الاية على رؤية اهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف
المرئى فى الحقيقة وهذا الكلام مشروح فى مواضعه وقد بينا ما يورد عليه وما يجاب عن الشبهة
المعترضة فيه فى مواضع كثيرة وههنا وجه غريب فى الاية حكى عن بعض المتاخرين لا يفتقر معتمده

الى

ذكر الصاحب بن عباد هذا التفسير لعله وابن عباس وقال كما يقول الناظر انما انظر الى الله واليك وكما قال الاعشى انا اليك لما وعدت لناظر
نظر الفقير الى الغنى الموسر ۞ وهذا الكلام يحتمل الوجه الاول ايضا وهو حمل النظر على معنى التوقع والرجاء واستشهد عليه صاحب الكشاف بقول القائل واذا
نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتنى نعما وزيف قول القائلين بالرؤية بان لا وجه للاختصاص فان المؤمنين فى ذلك اليوم ينظرون
الى اشياء وهم نظارة ذلك اليوم ووجه الاختصاص ظاهر فانه للتنبيه على اختصاص النعمة بالمؤمنين دون غيرهم امر فانه من ابطال الباطل

الى العدول عن الظاهر او الى تقدير محذوف ولا يحتاج الى منازعتهم فى ان النظر يحتمل الرؤية
او لا يحتملها بل يصح الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور فى الاية هو الانتظار بالقلب
او الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى الى ربها على انه اراد به نعمة ربها لان الالاء النعم
وفى واحدها اربع لغات يقال الى مثل قفا والى مثل معى والى مثل حسى قال الاعشى بكر
وائل ۞ ابيض لا يرهب الهزال ولا ۞ يقطع رحما ولا يخون الى ۞ اراد انه لا يخون نعمة واراد بالى
ربها نعم ربها واسقط التنوين للاضافة فان قيل اى فرق بين هذا الوجه وبين تاويل من حمل
الاية على انه اراد بها الى ثواب ربها ناظرة يعنى رائية لنعمه وثوابه قلنا ذلك الوجه يفتقر
الى محذوف لانه اذا جعل الى حرفا ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفى الجواب الذى
ذكرناه لا يفتقر الى تقدير محذوف لان الى فيه اسم يتعلق به الرؤية فلا يحتاج الى تقدير محذوف
غيره ۞ مجلس اخر ۞ رابع تاويل ايضا ان قال قائل ما تاويل قوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فظاهر الكلام يدل على ان الايمان انما كان لهم
فعله باذنه وامره وليس هذا مذهبكم فان حمل الاذن ههنا على الارادة اقتضى ان من لم يقع منه
الايمان لم يرد الله تعالى منه وهذا ايضا بخلاف قولكم ثم جعل الرجس الذى هو العذاب على الذين
لا يعقلون ومن كان فاقدا للعقل لا يكون مكلفا فكيف يستحق العذاب وهذا بالضد من الخبر المروى
عن النبى صلى الله عليه واله وسلم انه قال اكثر اهل الجنة البله الجواب يقال فى قوله الا باذن الله
وجوه منها ان يكون الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان الايمان لا يقع من احد الا بعد ان يأذن
الله فيه ويأمر به ولا يكون معناه ما ظنه السائل من انه لا يكون للفاعل فعله الا باذنه
ويجرى هذا مجرى قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله ومعلوم ان معنى قوله تعالى
لنا فى هذه الاية هو ما ذكرناه وان كان الاشبه فى الاية التى فيها ذكر الموت ان يكون المراد بالاذن
العلم ومنها ان يكون الاذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة فى ان الله تعالى يوفق لفعل الايمان
ويلطف فيه ويسهل السبيل اليه ومنها ان يكون الاذن العلم من قولهم اذنت لكذا وكذا اذا سمعته
وعلمته واذنت فلانا بكذا وكذا اذا اعلمته فتكون فائدة الاية الاخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات
وانه ممن لا تخفى عليه الخفيات وقد انكر بعض من لا بصيرة له ان يكون الاذن بكسر الالف وتسكين
الذال عبارة عن العلم وزعم ان الذى هو العلم الاذن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر ان همى
فى سماع واذن وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن هو المصدر والاذن هو اسم الفعل
ويجرى مجرى الحذر فى انه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يكن مسموعا الا الاذن بالتحريك
لجاز التسكين مثل مثل ومثل وشبه وشبه ونظائر ذلك كثيرة ومنها ان يكون الاذن العلم معناه

اسام

اعلام الله تعالى المكلفين بفضل الايمان وما يدعو الى فضله ويكون معنى الاية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله تعالى لها ما يبعثها على الايمان ويدعوها الى فعله فاما ظن السايل دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل لان الاذن لا يحتمل الارادة في اللغة ولو احتملها ايضا لم ما توهمه لانه قال ان الايمان لم يقع الا وانا مريد له فلم ينف ان يكون مريدا لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا في دليله شئ من ذلك واما قوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون لم يعن به فاقدي العقول وانما اراد تعالى الذين لم يعقلوا ويعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى والاعتراف بنبوة رسله عليهم السلم والانقياد الى طاعتهم ووصفهم بانهم لا يعقلون تشبيها كما قال الله تعالى صم بكم عمى وكما يصف احدنا من لم يفطن لبعض الامور او لم يعلم ما هو مامور بعلمه بالجنون وفقد العقل واما الحديث الذي اورده السايل شاهدا له فقد قيل انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون وانما اراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلها عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه لا من حيث فقد العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله بالابله ظاهر فان الابله عن الشئ هو الذي لا يتعرض له ولا يقصد اليه واذا كان المتنزه عن الشر معرضا عنه هاجر الفعله جاز ان يوصف بالبله للفايدة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التاويل قول الشاعر: ولقد لهوت بطفلة ميالة ❊ بلهاء تطلعني على اسرارها ❊ اراد انها بلهاء عن الشر والريبة وان كانت فطنة لغيرهما وقال ابو النجم العجلي: من كل عجزاء سقوط البرقع ❊ بلهاء لم تحفظ ولم تضيع ❊ اراد بالبلهاء ما ذكرناه فاما قوله سقوط البرقع فاراد انها تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنها واذلالا بجمالها وقوله لم تحفظ اراد استقامة طرايقها تغني عن حفظها وانها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة الى مسدد وموقف وقوله لم تضيع اراد به انها لم تهمل في اغذيتها وتنعيمها وترفيهها فتشقى ومثل سقوط البرقع قول الشاعر: فلما تواقفنا وسلمت اقبلت ❊ وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا ❊ ومثله ايضا: هباشرق من زعفران وعنبر ❊ اطارت من الحسن الرداء المحبر ❊ اي رمت به عنها ثقة بالجمال والكمال ومثله وهو مليح: لهون بالمنجول البراقع حقبة ❊ فما بال دهر لزنا بالوصاوص ❊ اراد بمنجول البراقع اللواتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطعنة النجلاء ثم قال فما بال دهر احوجنا واضطرنا الى القبايح اللواتي يضيقن عيون براقعهن لقبحهن والوصاوص هي النقب الصغار في البراقع ومما يشهد للمعنى الاول الذي هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدمينة: باهلي وما لي من اذا عرضوا له ❊ ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب ❊ ولم يعتذر عذر البري ولم تزل ❊ به سكتة حتى يقال مريب ❊ ومثله ايضا: احب اللواتي في صباهن غرة ❊ وفيهن عن ازواجهن طماح ❊ مسرات حب مظهرات عداوة ❊ تراهن كالمرضى وهن صحاح ❊ ومثله

قوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس الاية

يكبين النيجوج في كبد المشتى ❊ وبله احلامهن وسام ❊ اما يكبين فماخوذ من لفظ الكباء وهو العود اذا دبر يتبخرن به والينجوج والنجوج واليلنجج والانجج فاما كبد المشتى فهو ضيقته وشدته ومنه قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد وقد روي في كبدة المشتى والمعنى متقارب لان الكبدة هي الصدمة والجملة ماخوذ من كبد الخيل واما الوسام فهي الحسان من الوسامة وهي الحسن ويمكن ان يكون في البله جواب اخر وهو ان نحمله على معنى البله الذي هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ويكون معنى الخبر ان اكثر اهل الجنة الذين كانوا بلها في الدنيا فعندنا ان الله تعالى ينعم الاطفال في الجنة والمجانين والبهايم وانما لم يجعلهم بلها في الجنة وان كان ما يصل اليهم من النعيم على سبيل العوض والتفضل لا يفتقر الى كمال العقل لان الخبر ورد بان الاطفال والبهايم اذا دخلوا الجنة لم يدخلوها الا وهم على افضل الحالات واكملها فلهذا صرفنا عنهم البله في الجنة وجددناه الى احوال الدنيا والا فالعقل لا يمنع من ذلك كمنعه اياه في باب الثواب والعقاب

تاويل اية اخرى قال الله سبحانه مخبرا عن يوم القيمة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه وقال في موضع اخر هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفي موضع اخر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وظاهر هذه الايات ظاهر الاختلاف لان بعضها ينبئ عن ان النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينبئ عن خلافه وقال قوم من المفسرين في تاويل هذه الايات ان يوم القيمة يوم طويل ممتد فقد يجوز ان يمنع النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض اخر وهذا الجواب يضعف لان الاشارة الى يوم القيمة بطوله فكيف يجوز ان تختلف الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التاويل يجب ان يكون قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك والجواب السديد عن هذا ان يقال انما اراد الله تعالى نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله عذر وحجة ولم ينف النطق الذي ليست هذه حاله ويجري هذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضرنا فلانا ناظر فلانا فلم يقل شيئا وان كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي نفي عن القول قد تكلم بكلام كثير غزير الا انه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز اطلاق القول الذي حكيناه ومثل هذا قول الشاعر: اعمى اذا ما جارتي خرجت ❊ حتى يواري جارتي الخدر ❊ ويصم عما كان بينهما ❊ سمعي وما بي غيره وقر ❊ وقول الاخر: لقد طال كتمانيك حتى كانني ❊ برجع جواب السايلي عنك اعجم ❊ وعلى هذا التاويل قد زال الاختلاف لان التساول والتلاوم لا حجة فيه واما قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقد قيل انهم غير ماذونين بالاعتذار فكيف يعتذرون ويحمل الاذن على الامر وانما لم يؤمروا به من حيث

المروى لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر

كانت تلك الحال لا تكليف فيها والعباد ملجئون عند مشاهدة اهوالها الى الاعتراف والاقرار واحسن من هذا التاويل ان يحمل يؤذن لهم على انه معنى انه لا يسمع لهم ولا يقبل عذرهم والعلة فى امتناع قبول عذرهم هى التى ذكرناها فاوّل الخبر روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وقد ذكر قوم فى تاويل هذا الخبر ان المراد به لا تسبوا الدهر فانه لا فعل له وان الله مصرفه ومدبره فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال هو الدهر وفى هذا الخبر وجه هو احسن من الذى حكيناه وهو ان الملحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من افعال الله تعالى كالمرض والعافية والجدب والخصب والبقاء والفناء الى الدهر جهلا منهم بالصانع جلت عظمته ويذمون الدهر ويسبونه فى كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا انه الفاعل بهم هذه الافعال فنهاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك وقال لهم لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون انه هو الدهر فان الله تعالى هو الفاعل لهذه الافعال وانما قال ان الله هو الدهر من حيث نسبوا الى الدهر افعال الله تعالى وقد حكى الله عنهم قولهم ما هى الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقال لبيد ¤ فى قروم سادة من قومه ¤ نظر الدهر اليهم فابتهل ¤ اى دعا عليهم وقال عمرو بن قميئة ¤ كانى وقد جاوزت تسعين حجة ¤ خلعت بها عنى عذار لجامى ¤ على الراحتين مرة وعلى العصا ¤ انوء ثلاثا بعدهن قيامى ¤ رمتنى بنات الدهر من حيث لا ارى ¤ فكيف بمن يرمى وليس برام ¤ فلو انها نبل اذا لاتقيتها ¤ ولكننى ارمى بغير سهام ¤ اذا ما رآنى الناس قالوا الم تكن ¤ حديثا حديد الطرف غير كهام ¤ وافنى وما افنى من الدهر ليلة ¤ ولم يغن ما افنيت سلك نظام ¤ واهلكنى تامييل يوم وليلة ¤ وتامييل عام بعد ذاك وعام وقال الاصمعى ذم اعرابى رجلا فقال هو اكثر ذنوبا من الدهر وانشد الفراء حتى خانيات الدهر حتى ¤ كانى خاتل ادنو لصيد ¤ قصير الخطو يحسب من رآنى ¤ ولست مقيدا انى بقيد ¤ وقال كثير ¤ وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ¤ واخرى رمى فيها الزمان فشلت ¤ وقال الآخر فاستأثر الدهر الغداة بهم ¤ والدهر يرمينى وما ارمى ¤ يا دهر قد اكثرت فجعتنا ¤ بسراتنا ووقرت فى العظم ¤ وسلبتنا ما لست تعقبنا ¤ يا دهر ما انصفت فى الحكم ¤ اما قوله ووقرت فى العظم فانما اراد به اثرت فيه وقرا او وقرة والوقر هو الحفرة العظيمة تكون فى الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب ايضا كذلك والوقرة ايضا الحفرة الا انها دون الاولى فى الكبر وكل هؤلاء الذين روينا اشعارهم نسبوا افعال الله تعالى التى لا يشاركه فيها غيره الى الدهر فحسن وجه التاويل الذى ذكرناه مسئلة اعلم ان المنافع التى عرض الله سبحانه الاحياء

فان الله هو الدهر

قد مر جميع قد موضع السكيت الشريف

النوء النهوض والقيام بالزحمة والمشقة

خاتل

ورجل

فى

فى ان المنافع التى عرض الله الاحياء لها ثلثة

لها ثلاث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب فاما المنفعة على سبيل التفضل فهى النافعة ابتداء من غير سبب استحقاق وللفاعل لها ان يفعلها وله ان لا يفعلها واما منفعة العوض فهى المنفعة المستحقة من غير مقارنة شئ من التعظيم والتبجيل لها فاما منفعة الثواب فهى المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكان التفضل اصلا لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتاخر ما عداه لانه لا سبيل للمنتفع ان ينتفع بشئ دون ان يكون حيا له شهوة والابتداء بخلق الحيوة والشهوة تفضل فقد صح انه لا سبيل الى النفع بمنفعة العوض والثواب الا بعد تقدم الثواب فاما المنفعة بالثواب فهى الاصل للمنفعة بالعوض لان الالام وما جرى مجرى الالام مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضى الى الثواب يستحق به لم يحسن فعلها وجرى عند ما مجرى العبث ولهذا نقول ان الله سبحانه لو لم يكلف احدا من المكلفين ما كان يحسن منه ان يبتدئه بالالام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع الثلاث ومنهم من عرض لاثنتين ومنهم من لواحدة فالمكلف المعرض للثواب لا بد ان يكون منفوعا بالتفضل من الوجه الذى قلناه لانه اذا خلق حيا وحصل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين فقد نفع بالتفضل وليس يجب فيمن هذه حاله ان يكون منفوعا بالعوض لانه لا يمتنع ان يخلو المكلف منا من الم يبتدئه الله به فلا يكون معرضا للعوض فمتى عرض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعا على تعريضه لاثنين من المنافع ومجوزا تكامل الثلاث له فاما ليس بمكلف فمقطوع فيه على احد المنافع وهى التفضل من حيث خلق حيا ومكن من كثير من المنافع ومشكوك فى تعريضه للعوض من الوجه الذى بيناه وكما قطعنا على احد المنافع فيه فنحن قاطعون ايضا على نفى التعريض للثواب عنه لفقد ما يوصل اليه وهو التكليف ولا بد فى كل حى محدث من ان يكون معرضا لاحد هذه المنافع او جميعها وانما اوجبنا ذلك من جهة حكمة القديم تعالى لا من جهة انه يستحيل فى نفسه وانما قلنا انه ليس يستحيل فى نفسه لان كونه حيا وعاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وانما يكون منفعة ونعمة اذا فعل تعريضا للنفع فاما اذا فعل تعريضا للضرر او لا لوجه من الوجوه فانه لا يكون نعمة ولا منفعة واوجبناه من جهة حكمة القديم تعالى لانه اذا جعل الحى بهذه الصفات فلا يخلو من ان يكون اراد بها نفعه او ضرره او لم يرد بها شيئا فان كان الاول فهو الذى اوجبناه وان كان الثانى والثالث فالقديم تعالى منزه عنهما لان الثانى يجرى مجرى الظلم والثالث هو العبث بعينه وقد يشارك القديم فى النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح ان يشاركوا فى النفع بالثواب لان الصفة التى يستحق لكونه عليها الثواب هى كون الفعل شاقا لا يكون الا من قبله تعالى وليس لاحد ان يظن ان

واما

اوضح التفضل

يحدثه الله

وحب

بمستحيل

منزه

يهدي الى الدين ويرشد الى الايمان وما يستحق به الثواب لانه معرض للثواب وذلك ان المكلف
قد يكون معرضا للثواب ويصح ان يستحقه من دون كل هداية وارشاد يقع منا ولولا الصفة
التي جعله الله لم يصح ان يستحقه فبان ان الامرين لا يمتزجان على ان احدنا وان نفع غيره بالتفضل
وبالتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة الى الله ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه
لم تكن هذه منافع ولا نعما الا ترى انه لو لم يخلق الله الحياة والشهوة لم يكن ما يوصل اليهما مما
ذكرناه منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى الملذ لم يكن لنا سبيل الى النفع والانعام فبان
بهذه الجملة ما قصدناه مجلس آخر خامس ان سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى مخبرا
عن مهلك قوم فرعون وتوريثه نعمهم كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء
والارض وما كانوا منظرين وكيف يجوز ان يضيف البكاء اليهما وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما
الجواب يقال له في هذه الآية وجوه اربعة من التأويل اولها ان الله تعالى اراد اهل السماء
والارض فحذف كما حذف في قوله واسأل القرية وفي قوله حتى تضع الحرب اوزارها واراد اهل
القرية واصحاب الحرب ويجري مجرى ذلك قولهم السخاء حاتم يريدون السخاء سخاء حاتم وقال
الحطيئة وشر المنايا ميت وسط اهله كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره اراد وشر المنايا منية
ميت وقال الآخر قليل عيبه والعيب جم ولكن الغنى رب غفور اراد غنى رب غفور وقال
ذو الرمة لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسية احرارها وعبيدها اراد اهل مجلس وانما قال
صهب السبال فانما اراد به الاعداء والعرب تصف الاعداء بذلك وان لم يكونوا صهب الاسبلة
وقوله سواسية يريد انهم مستوون متشابهون ولا يقال هذا الا في الذم وثانيها انه تعالى
اراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر وسقوط المنزلة لان العرب اذا اخبرت عن عظم
المصاب بالهالك قالت كسفت الشمس لفقده واظلم القمر وبكاه الليل والنهار والسماء و
الارض يريدون بذلك المبالغة في عظم الامر وشمول ضرره قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز
الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقال يزيد بن مفرغ الحميري
الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامه وهذا صنيعهم في كل امر جل خطبه وعظم موقعه
فيصفون النهار بالظلام وان الكواكب طلعت نهارا لفقد نور الشمس وضوئها قال النابغة
تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الاظلام اظلام وقال طرفة ان تنوله فقد
تمنعه وتريه النجم يجري بالظهر ومن هذا قولهم لأرينك الكواكب بالنهار معناه لأظلمن
او لأردن عليك ما يظلم له في عينك النهار فتظنه ليلا ذا كواكب فاما بيت جرير فقد قيل في انتصاب
النجوم والقمر وجوه ثلاثة احدها انه اراد ان الشمس طالعة ليست مع طلوعها كاسفة نجوم

الليل

الليل والقمر لان عظم الرزية قد سلبها ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب والوجه الثاني
ان يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا اكلمك الابد والدهر وطول المسند وما جرى مجرى
ذلك فكانه اخبر بان الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث ان يكون القمر ونجوم
الليل باكين الشمس على هذا المتوفى المفقود فبكتهن اي غلبتهن بالبكاء كما يقول باكاني عبد الله
فبكيته اي غلبته وفضلت عليه وثالثها ان يكون معنى الآية الاخبار عن انه لا احد اخذ بثارهم
ولا انتصر لهم لان العرب كانت لا تبكي على قتيل حتى تاخذ بثاره وتقتل من كان بواءه من عشيرة
القاتل فكنى تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والاخذ بالثار على مذهب القوم الذين خوطبوا
بالقرآن ورابعها ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الارض عمل صالح يرفع منها الى السماء ويطابق
هذا التأويل ما روي عن ابن عباس رحمه الله تعالى في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قيل
له او تبكيان على احد فقال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء وروى انس بن مالك عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من مؤمن الا وله باب يصعد فيه عمله وباب ينزل منه رزقه
فاذا مات بكيا عليه ومعنى البكاء ههنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده
قال ابن مقبل لعمر ابيك لقد شاقني مكان حزنت له او حزن وقال مزاحم العقيلي بكت
دارهم من اجلهم فتهللت دموعي فاي الجازعين الوم أمستعبرا يبكي من الهون والبلى وآخر يبكي
شجوه ويهيم فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين اخبر الله سبحانه عن بوارهم مقام صالح في الارض
ولا عمل كريم يرفع الى السماء جاز ان يقال فما بكت عليهم السماء والارض ويمكن في الآية وجه خامس هو
ان يكون البكاء فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون معنى الآية ان السماء
لم تسق قبورهم ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب العرب المعروف في ذلك لانهم كانوا يستسقون السحاب
لقبور من فقدوه من اعزائهم ويستنبتون لمواقع حفرهم الزهر والرياض قال النابغة فما زال قبر بين
تبنى وجاسم عليه من الوسمي طل ووابل فينبت حوذانا وعوفا منورا سأتبعه من خير ما قال قائل
وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسألة الله تعالى لهم الرضوان والفعل الذي اضيف الى
السماء وان كان لا يجوز اضافته الى الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان يقدر فعل يصح نسبته
اليها والعرب تفعل مثل هذا قال الشاعر يا ليت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا فعطف الرمح
على السيف وان كان التقلد لا يجوز فيه لكنه اراد وحاملا رمحا ومثل هذا يقدر في الآية فيقال انه تعالى
اراد ان السماء لم تسق قبورهم وان الارض لم تعشب عليهم وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله تعالى
ورضوانه تأويل خبر روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان احب الاعمال
الى الله عز وجل ادومها وان قل فعليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفي نسخة

الفضل

عليه السلام الله تعالى بالملال وجوه اربعة اولها انه اراد نفي الملل عنه وانه لا يمل ابدا فعلقه بما لا يقع
على سبيل التبعيد كما قال تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقال الشاعر فانك
سوف تحلم او تناهى اذا ما شبت او شاب الغراب اراد انك لا تحلم ابدا فان قيل ومن اين قلتم ان ما
علقه به لا يقع حتى حكمتم بانه اراد نفي الملل على سبيل التابيد قلنا معلوم ان الملل لا يشمل البشر
في جميع اراداتهم واوطارهم لا يعرون من حرص ورغبة وامل وطمع فلهذا جاز ان يعلق ما علم تعالى
انه لا يكون بمللهم والوجه الثاني ان يكون المعنى انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له و
تعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم الى جوده فسمى الفعلين مللا وان لم يكونا على الحقيقة كذلك
على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه قال عدي بن زيد العبادي
ثم اضحوا لعب الدهر بهم ❊ وكذاك الدهر يودي بالرجال ❊ وقال عبيد بن الابرص الاسدي يسائل
بناجية ابن ام قطام اذ ❊ ظلت به السمر الذرا بل تلعب ❊ فنسب اللعب الى الدهر وفي القنا تشبيها
وقال ذو الرمة ❊ وابيض موشي القميص نصبته ❊ على خصر مقلاة سفيه جديلها ❊ فسمى اضطراب
زمامها وشدة تحركه سفها لان السفه في الاصل هو الطيش وسرعة الاضطراب والحركة وانما
وصف ناقته بالذكاء والنشاط فاما قوله وابيض موشي القميص فانما عنى به سيفه وقميصه جفنه
والمقلاة الناقة التي لا يعيش لها ولد والوجه الثالث ان يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم فضله
واحسانه حتى تملوا من سؤاله فعلهم ملل على الحقيقة وسمى فعله تعالى مللا وليس بملل على الحقيقة
للازدواج ومشاكلة اللفظين في الصورة وان اختلفا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها ومثله قول الشاعر وهو
عمرو بن كلثوم التغلبي ❊ الا لا يجهلن احد علينا ❊ فنجهل فوق جهل الجاهلينا ❊ وانما اراد المجازاة
على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به والوجه الرابع ان يكون الراوي وهم فغلط من
الفتح الى الضم وان يكون قوله لا يمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان احدهما انه لا
يمل عليكم بالنار حتى تملوا من عبادته وتعرضوا عن طاعته لان الملة هي شوي الخبز يقال مل الرجل
الخبزة وغيرها يملها اذا اشتواها في الملة وقيل ان الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد والمعنى الثاني
ان يكون اراد انه لا يسرع الى عقابكم بل يحلم عنكم ويرفق بكم حتى تملوا حلمه وتستعجلوا عذابه بركوبكم
المحارم وتتابعكم الى المآثم ثم روي انه قيل للفرزدق هل حسدت احدا على شيء من الشعر فقال لا
لم احسد على شيء منه الا ليلى الاخيلية في قولها ومخرق عنه القميص تخاله ❊ بين البيوت من الحياء
سقيما ❊ حتى اذا برز اللواء رايته ❊ تحت اللواء على الخميس زعيما ❊ لا تقربن الدهر آل مطرف ❊
لا ظالما ابدا ولا مظلوما ❊ قال وعلي انى قلت ❊ وركب كان الريح تطلب عندهم ❊ لها ترة من جذبها

بالعصائب ❊ سروا يخبطون الليل وهي تلفهم ❊ الى شعب الاكوار من كل جانب ❊ اذا ابصروا نارا
يقولون ليتها ❊ وقد خصرت ايديهم نار غالب ❊ وليست ابيات الفرزدق بدون ابيات ليلى
بل هي اجزل الفاظا واشد اسرا الا ان ابيات ليلى اطبع وانصع وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد
على الشعر والاستكثار للقليل والافراط في استحسان مستحسنه وقد روي ان الكميت بن زيد الاسدي
لما عرض على الفرزدق ابياتا من قصيدته التي اولها ❊ اتصرم الحبل حبل البيض تصل ❊ وكيف
والشيب في فوديك مشتعل ولا ابيات لما عاتبات لعوس المجد اسهمها حيث الجدود على الاحساب
تنتضل ❊ اخر ذلك من عشرها انشد ولاحد بعد ❊ فلا العمى لك من رام ولا شلل ❊ الشعر اذ تلك الا
انها امراة ❊ والبيت اذا الا امرؤ رجل حسده الفرزدق فقال له انت خطيب وانما سلم الخطابة
ليخرجه عن اسلوب الشعر لما بهره حسن الابيات وافرط بها اعجابه ولم يتمكن من دفع فضلها جملة
عدل في وصفها الى معنى الخطابة وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه بجيده من ادل دليل على حسن
نقده له وقوة بصيرته فيه وانه كان يطرب لجيده فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل
ايضا على انصافه فيه وانه مستقل للكثير الصادر من جهته فان كثيرا من الناس قد يبلغ بهم الهوى
والاعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر او فضل الى ان يعموا عن محاسن غيرهم فيستقلوا منهم
الكثير ويستصغروا الكبير ولابيات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور مسند اول اخبرنا ابو عبيد
الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال اخبرنا ابو عبيدة عن يونس قال دخل
الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال له سليمان انشدني فانشد الابيات
التي تقدم ذكرها فاسود وجه سليمان وغاظه فعله وكان ظن انه ينشد مديحا له فلما راى نصيب
ذلك قال الا انشدك فانشده ❊ اقول لركب قافلين رايتهم ❊ قفا ذات اوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان انني ❊ لمعروفه من اهل ودان طالب ❊ فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ❊ ولو
سكتوا اثنت عليك الحقائب ❊ فقال له سليمان انت اشعر اهل جلدتك وفي بعض الاخبار ان
الفرزدق قال ذلك في نصيب لما ساله عنه سليمان وروي ايضا انه لما انشد نصيب ابياته قال
له سليمان احسنت ووصله ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول وخير الشعر اكرمه
رجالا ❊ وشر الشعر ما قال العبيد ❊ ولا شبهة في ان ابيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة
على ابيات نصيب وان كان نصيب قد اغرب وابدع في قوله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
الا ان ابيات نصيب وقعت موقعها ووردت في حال تليق بها وابيات الفرزدق جاءت في غير وقتها
وعلى غير وجهها فلهذا قدمت ابيات نصيب على الفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الى الذروة
العليا والغاية القصوى ❊ شريف الاباء كريم البيت له ولا نائبة ❊ مآثر لا تدفع ومفاخر لا تجحد ❊

فالفرزدق

والفرزدق لقب لُقِّب به وليس باسمه وانما لُقِّب بذلك لجهامة وجهه وغلظه لان الفرزدق هي
القطعة الضخمة من العجين وقيل انها الخبزة الغليظة التي تتخذ منها النساء الفتوت واسمه همام
بن غالب وكنيته ابو فراس وقيل انه كان يكنى في شبابه بابي مكية وهي ابنة له وكان
شيعيا مائلا الى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين
على انه في خلال ذلك لم يكن مخلصا للدين جملة ولا مهملا لامره اصلا ومما يشهد بذلك
ما اخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن ابي بكر محمد بن يحيى الصولي عن ابي حفص الفلاس عن عبد الله
بن سواد عن معوية بن عبد الكريم عن ابيه قال دخلت على الفرزدق فتحرك فسمعت صوت
حديد يتقعقع فتاملت الامر فاذا هو مقيد الرجلين فسالته عن السبب في ذلك فقال اني آليت على
نفسي ان لا انزع القيد من رجلي حتى احفظ القرآن واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا
ابو ذر القراطيسي قال حدثنا ابن ابي الدنيا قال حدثني الرياشي عن الاصمعي عن سلام بن مسكين
قال قيل للفرزدق علام تقذف المحصنات فقال والله لله احب الي من عيني هاتين افتراه يعذبني
بعدها وروي انه تعلق باستار الكعبة فعاهد الله تعالى على ترك الهجاء والقذف الذين كان
ارتكبهما وقال: الم ترني عاهدت ربي وانني * لبين رتاج قائما ومقام * على حلفة لا اشتم الدهر قائم
مسلما * ولا خارجا من فيّ زور كلام * اطعتك يا ابليس سبعين حجة * فلما انقضى عمري وتم تمامي
فررت الى ربي وايقنت انني * ملاق لايام الحتوف حمامي * وروى الصولي عن الحسين بن الفياض فرعت
عن ادريس بن عمران قال جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها فكان اوثقنا بالله تعالى
فقال له رجل الك هذا الرجاء والمذهب وانت تقذف المحصنات وتفعل ما تفعل فقال اتروني يقذفانني
لو اذنبت الى ابويّ كما اذنبت الى ربي اكانا يقذفانني في تنور وتطيب انفسهما بذلك قلنا لا بل كانا يرحمانك قال
فانا والله برحمة ربي اوثق مني برحمتهما واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابرهيم
قال حدثنا عبد الله بن ابي سعد الوراق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطفاوي قال حدثني ابي سعيد
عن جدي قال شهدت الحسن البصري في جنازة النوار امراة الفرزدق وكان الفرزدق حاضرا فقال له
الحسن وهو عند القبر يا ابا فراس ما اعددت لهذا المضجع قال شهادة ان لا اله الا الله منذ ثمانين سنة وان محمدا رسول الله
فقال له الحسن هذا العمود فاين الطنب وفي رواية اخرى انه قال نعم ما اعددت ثم قال الفرزدق
في الحال: اخاف وراء القبر ان لم يعافني * اشد من القبر التهابا واضيقا * اذا جاءني يوم القيمة قائد القبر
عنيف وسواق يسوق الفرزدقا * لقد خاب من اولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة ازرقا مغلولة
يقاد الى نار الجحيم مسربلا * سرابيل قطران لباسا مخرقا * قال فرايت الحسن يدخل بعضه في بعض
ثم قال حسبك ويقال ان رجلا راى الفرزدق بعد موته في منامه فقال له ما فعل بك ربك

قال عفي عني بتلك الابيات واما ما يدل على تشيعه وميله الى بني هاشم فما اخبرنا به ابو عبيد الله عفا
المرزباني قال حدثني عمر بن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي
بن سابق قال حدثنا ابو لبيد قال جاء الكميت الى الفرزدق فقال له يا عم اني قد قلت قصيدة
اريد ان اعرضها عليك فقال له قل فانشده: طربت وما شوقا الى البيض اطرب * فقال له الفرزدق
الى من طربت ثكلتك امك فقال: ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب * ولم تلهني دار ولا رسم منزل الأمم
ولم يتطربني بنان مخضب * فقال له الى من طربت فقال: ولا انا ممن يزجر الطير همه * اصاح غراب
ام تعرض ثعلب * ولا السانحات البارحات عشية * امر سليم القرن ام مر اعضب * فقال الى
من طربت لا ام لك فقال الكميت: ولكن الى اهل الفضائل والنهى * وخير بني حواء والخير يطلب
فقال الفرزدق هؤلاء بنو دارم فقال الكميت: الى النفر البيض الذين بحبهم * الى الله فيما نابني
اتقرب * فقال الفرزدق هؤلاء بنو هاشم فقال الكميت: بني هاشم رهط النبي فانني * بهم
ولهم ارضى مرارا واغضب * فقال له الفرزدق والله لو جزتهم الى سواهم لذهب قولك باطلا
ومما يشهد لذلك ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثني
جدي يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال حدثني غير واحد من اهل
الادب ان علي بن الحسين رضي الله عنهما حج فاستجهر الناس جماله وتشوفوا له وجعلوا يقولون
من هذا فقال الفرزدق: هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم * هذا
الذي تعرف البطحاء وطاته * والبيت يعرفه والحل والحرم * اذا راته قريش قال قائلها * الى
مكارم هذا ينتهي الكرم * يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم * يغضي
حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم * اي القبائل ليست في رقابهم *
لاولية هذا او له نعم * من يشكر الله يشكر اولية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الامم
وفي رواية الغلابي ان هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك او الوليد وهو حدث السن حديث
فاراد ان يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينتظر خلوة فاقبل علي بن الحسين خلوة
عليهما السلام وعليه ازار ورداء وهو من احسن الناس وجها واطيبهم رائحة بين عينيه سجادة
كانها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه هيبة له واجلالا
فغاظ ذلك هشاما فقال رجل من اهل الشام لهشام من هذا الذي قد هاب الناس هذه رجال
الهيبة فقال هشام لا اعرفه لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال الفرزدق وكان لذلك حاضرا
لكني اعرفه وذكر الابيات وفي اكثر مما روينا تركناها لانها معروفة قال فغضب هشام وامر بحبس
الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة وبلغ ذلك علي بن الحسين عليهما السلام فبعث الى الفرزدق

آية لو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة الآية

مائتي عشر الف درهم وقال عذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت اكثر منها لوصلناك بها فردها الفرزدق وقال يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت الا غضبا لله ولرسوله وما كنت لارزأ عليه شيئا فردها اليه واقسم بالله عليه في قبولها وقال له قد رأى الله مكانك وعلم نيتك وشكر لك ونحن اهل بيت اذا انفذنا شيئا لم نرجع فيه فقبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو في الحبس فمما هجاه به قوله أتحبسني بين المدينة والتي اليها قلوب الناس يهوى منيبها يقلب رأسا لم يكن رأس سيد وعينا له حولاء باد عيوبها

مجلس آخر ٢٠ ان سأل سائل فقال ما عندكم في تأويل قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وظاهر هذه الآية تقتضي انه تعالى ما شاء ان يكونوا امة واحدة وان يجتمعوا على الايمان والهدى وهذا بخلاف ما تذهبون اليه ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو اما ان يكون عنى انه للاختلاف خلقهم او للرحمة فلا يجوز ان يعني الرحمة لان الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظة ذلك ولو ارادها لقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك خلقهم كان رجوعه الى الاختلاف وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكورا لان الرحمة ايضا غير مذكورة فيها واذا جعلتم قوله الا من رحم دالا على الرحمة فكذلك قوله مختلفين دال على الاختلاف على ان الرحمة هي رقة القلب والشفقة وذلك لا يجوز على الله تعالى ومتى تعلقتم بها ما ذكرناه لم يعن بها الا العفو واسقاط الضرر وما جرى مجراه عن مستحقه وهذا مما لا يجوز ان يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لانه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين الجواب يقال له اما قوله تعالى ولو شاء ربك فانما عنى به المشيئة التي ينضم اليها الالجاء ولم يعن المشيئة على سبيل الاختيار وانما اراد تعالى ان يخبرنا عن قدرته وانه ممن لا يغالب ولا يعصى مقهورا من حيث كان قادرا على الجاء العباد واكراههم على ما اراده منهم فاما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة اولى من حملها على الاختلاف بدليل العقل وشهادة اللفظ فاما دليل العقل فمن حيث علمنا انه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز ان يكون شائيا له ومجريا بخلق العباد اليه واما شهادة اللفظ فلان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على اقرب المذكورين اليها اولى في لسان العرب فاما ما طعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وان الكناية عن الرحمة لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تأنيث الرحمة غير حقيقي واذا كنى عنها بلفظ التذكير كانت الكناية عن المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا سرني كلمتك يريدون سرني كلامك وقال الله تعالى هذا رحمة من ربي ولم يقل هذه وانما اراد هذا فضل من ربي وقالت الخنساء

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها

ارادت الرزء وقال امرؤ القيس

برهرهة رؤدة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر

فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن وقال آخر

هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقعتي بناقة سعد والعشية بارد

فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي وقال الآخر

قامت تبكيه على قبره من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر

فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة وقال زياد الاعجم

ان الشجاعة والمروءة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح

ويروى ان السماحة والشجاعة وهكذا كان في الاملاء فقال ضمنا ولم يقل ضمنتا قال الفراء انه ذهب الى ان السماحة والشجاعة مصدران والعرب تقول قصارة الثوب يعجبني لان تأنيث المصادر يرجع الى الفعل وهو مذكر قال الفرزدق

تجوب بنا الفلاة الى سعيد اذا ما الشاة في الارطاة قالا

فذكر الوصف لانه اراد التيس فاما الارطاة فهي واحدة الارطى وهو شجر ينبت في الرمل تستظل بظلاله الظباء من الحر وتأوي اليه قال الشماخ

اذا الارطى توسد ابرديه خدود جوازئ بالرمل عين

وقوله قالا من القيلولة لا من القول على ان قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضا على ان يرحم فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن ان يرحم كان التذكير في موضعه لان الفعل مذكر ويجوز ايضا ان يكون قوله تعالى ولذلك خلقهم كناية عن اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة انه لهذا خلقهم ويطابق هذه الآية قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة معناه انه لو شاء ان يدخلهم اجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة واجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في انه اراد هداها الى طريق الجنة فعلى هذا التأويل ايضا يمكن ان يرجع لفظة ذلك الى ادخالهم اجمعين الى الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها فاما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات وذكر ابو مسلم محمد بن بحر في قوله مختلفين وجها غريبا وهو ان يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضا وقولك اختلفوا كما سواء قولك قتل بعضهم بعضا واقتتلوا ومنه قولهم لا افعل كذا ما اختلف العصران والجديدان اي جاء كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنها فعل النعم والاحسان يدل على ذلك ان من احسن الى غيره وانعم عليه يوصف بانه رحيم به وان لم تعلم منه رقة قلب عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يعهدون منه رقة القلب اقوى من وصفهم الرقيق القلب

الرحمة / معنى الرحمة
قلب
واجرى
العبيد

بذلك لان مشقة النعمة والفضل والاحسان على من لا رقة عنده اكثر منها على الرقيق القلب
وقد علمنا ان من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا انعم
وصف بذلك فوجب ان يكون معناها ما ذكرناه على انه لا يمتنع ان يكون معنى الرحمة في
الاصل ما ذكرتم ثم انتقل بالتعارف الى ما ذكرناه كنظايره وقد وصف الله تعالى القران ما ذكرتم
بانه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتاتى في القران ما ظنوه وانما وصفت رقة القلب
بانها رحمة لانها مما تجاوزه الرحمة التي هي النعمة في الاكثر وتوجد عنده فهي محل وصف الشهوة
بانها محبة لما كانت توجد عندها المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل
في ضروب النعم وصنوف الاحسان الا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم
يسقط عنه ضررا ولا تجاوز له عن زلة وانما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث
كان نعمة لان النعمة باسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة معنى
الاية وبطلان ما ضمنه السائل سؤاله فان قيل اذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم ان نعم الله
شاملة للخلق اجمعين فاي معنى لاستثناء من رحم من جملة المختلفين وان كانت الرحمة هي النعمة
وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة قلنا لا شبهة في ان نعم الله
سبحانه شاملة للخلق اجمعين غير ان في نعمه ايضا ما يختص بها بعض العباد اما لاستحقاق او
لسبب يقتضي الاختصاص فاذا حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص
ظاهر لان النعمة به لا تكون الا مستحقة فمن استحق الثواب باعماله وصل الى هذه النعمة ومن
لم يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة في الاية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف الذي
تقع عنده فعل الايمان كانت هذه النعمة ايضا مختصة لانه تعالى انما لم ينعم على ساير المكلفين
بها من حيث لم يكن في معلومه ان لهم توفيقا وان في الافعال ما يختارون عنده الايمان فاختصاص
هذه النعمة ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم اخر لهم كما ان شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص
هذه تاويل خبر روى ابو مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ان مما
ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وفي هذا الخبر وجوه من
التاويل ثلاثة احدها ان يكون معناه اذا عملت العمل لله عز وجل وانت لا تستحيي من الناظر
اليك ولا تخوفهم ان ينسبوك فيه الى الرياء صنعت ما شئت لان فكرك فيهم ومراقبتك
لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بحدوده وحقوقه واذا
اطرحت الفكر توفرت على استيفاء عملك والوجه الثاني ان من لم يستحي من المعايب والمخازي
والفضايح صنع ما شاء والامر ظاهر الامر والمعنى معنى تغليظ وانكار مثل قوله تعالى اعملوا
ماشئتم

ما شئتم وقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وهذا نهاية التغليظ والزجر والاخبار
عن كبر الذنب في اطراح الحياء ويجري مجرى قولهم لعبدان فعل فلان كذا وكذا فليفعل
وقبح ما شاء ولعبدان اقدم على كذا فليقدم على ما شاء والمعنى المبالغة في عظيم ما ارتكبه وقبح
ما اقترفه والوجه الثالث ان يكون معنى الخبر اذا لم تفعل ما تستحيي منه فافعل ما شئت فكان
معنى الخبر اذا لم تفعل قبيحا فافعل ما شئت لانه لا قبيح من ضروب القبايح الا والحياء يصاحبه ومن
شان فاعله اذا فرّع بان يستحيي منه فمن جانب الانسان ما يستحيي منه من افعاله فقد جانب
ساير القبايح وما عدا القبايح من الافعال فهو حسن ويجري هذا مجرى خبر يروى فيما اظنه
عن نبينا عليه السلم ان رجلا جاءه فاسترشده الى خصلة يكون فيها جماع الخير فقال عليه السلم
ولن اشترط عليك الا تكذبني وان اسالك ما وراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة
على اجتنابه دون ساير القبايح وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح يفكر ويقول
ارايت لو سالني عنه النبي صلى الله عليه واله وسلم ما كنت قايلا له لاني ان صدقته
افتضحت وان كذبته نقضت العهد بيني وبينه وكان ذلك سببا لاجتنابه ساير القبايح فـ
هكذا معنى الخبر الذي تاولناه لان في اجتناب ما يستحيي منه اجتنابا لساير القبايح تاويل خبر اخر
روى محمد بن الحنفية عن ابيه رضي الله عنه قال كان قد كثر على مارية القبطية ام ابراهيم في
ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف اليها فقال لي النبي عليه السلم خذ هذا السيف وانطلق
فان وجدته عندها فاقتله قلت يا رسول الله اكون في امرك اذا ارسلتني كالسكة المحماة
امضي لما امرتني ام الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فقال لي النبي صلى الله عليه واله وسلم بل
الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فاقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف
برجليه فلما اقبلت نحوه علم اني اريده فاتى نخلة فرقي اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فاذا
انه اجب امسح ما له مما للرجال قليل ولا كثير قال فغمدت السيف ورجعت الى النبي صلى الله
عليه واله وسلم فاخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا اهل البيت الرجس قال المرتضى رضي الله
عنه في هذا الخبر احكام وغريب ونحن نبدا باحكامه ثم نتلوه بغريبه فاول ما فيه ان لقايل
ولاما ان يقول كيف يجوز ان يامر الرسول عليه السلم بقتل رجل على التهمة من غير بينة وما يجري
ان يجري عليهم مجراها الجواب عن ذلك ان القبطي جايز ان يكون من اهل العهد الذين اخذ عليهم ان يجري
فيهم احكام المسلمين وان يكون الرسول عليه السلم تقدم اليه بالانتهاء عن الدخول الى مارية
العهد فخالف واقام على ذلك وهذا نقض للعهد وناقض العهد من اهل الكفر مؤذن بالمحاربة والمؤذن
بها مستحق للقتل واما قوله عليه السلم بل الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فانما عنى به تفسير العلم

لا رؤية البصر لانه لا مغنى في هذا الموضع لرؤية البصر فكانه عليه السلم قال بل الشاهد يعلم ويتضح له من وجه الراى والتدبير ما لا يتضح للغايب ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وانما جاز منه عليه السلم ان يخير بين قتله والكف عنه ويفوض الامر في ذلك الى امير المومنين عليه السلم من حيث قتله لم يكن من الحدود والحقوق التى لا يجوز العفو عنها ولا يسع الا اقامتها لان ناقض العهد ممن حكمه الى الامام القايم بامور المسلمين اذا قدر عليه قبل التوبة ان يقتله او يمن عليه ومما فيه ايضا من الاحكام اقتضاوه ان مجرد امر الرسول صلى الله عليه واله وسلم لا يقتضى الوجوب لانه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه وفي حسنها ووقوعها دلالة على انه لا يقتضى ذلك ومما فيه ايضا من الاحكام دلالته على انه لا باس بالنظر الى عورة الرجل عند امر نزل ولا يوجد من النظر اليها بد اما لحد يقام او لعقوبة تسقط لان العلم بانه امسح اجب لم يكن الا عن تامل ونظر وانما جاز التامل والنظر ليتبين هل هو ممن يكون منه ما قرف به ام لا والواجب على الامام فيمن شهد عليه بالزنا وادعى انه مجبوب ان يامر بالنظر اليه ليتبين امره وبمثله امر النبى صلى الله عليه واله وسلم في قتل مقاتلة بنى قريظة لانه امر ان ينظروا الى موتزر كل من اشكل عليهم امره فمن وجدوه قد انبت قتلوه ولولا جواز النظر الى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة بالزنا لان من راى رجلا مع امراة واقعا عليها متى لم يتامل امرهما حق التامل لم تصح شهادته ولهذا قال النبى صلى الله عليه واله وسلم لسعد بن عبادة وقد ساله عمن وجد مع امراته رجلا ايقتله فقال صلى الله عليه واله وسلم لا حتى ياتى باربعة شهداء فلو لم يكن للشهداء اذا حضروا تعمد النظر الى عورتهما لاقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ولم تقم شهادة الزنا لان من شرطها مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة فان قيل كيف جاز لامير المومنين عليه السلم الكف عن القتل ومن اى جهة اثره لما وجده اجب واى تاثير لكونه اجب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد قلنا انه لما فوض اليه الامر في القتل والكف كان له ان يقتله على كل حال وان وجده اجب لان كونه بهذه الصفة لا يخرجه من نقض العهد وانما اثر الكف الذى كان اليه ومفوضا الى رايه لازالة التهمة والشك الواقعين في امر مابور ولانه اشفق من ان يقتله فيتحقق الظن ويلحق بذلك العار فراى رضى الله عنه الكف اولى لما ذكرناه وغريب الحديث فقوله شغر برجليه يريد رفعهما واصله في وصف الكلب اذا رفع رجله للبول فاما نكاح الشغار بالكسر وقد قيل الشغار بالفتح فهو ان يزوج الرجل من هو ولى لها من بنت او

اخت

اخت غيره على ان يزوجه بنته او اخته بغير مهر وكان احد العرب في الجاهلية يقول للاخر شاغرنى اى زوجنى حتى ازوجك واظنه انه ماخوذ من الشغر الذى هو رفع الرجل لان النكاح فيه معنى الشغر فسمى هذا العقد شغارا ومشاغرة لانضمامه في كل واحد من المتزوجين الى معنى الشغر وصار اسما لهذا النكاح كما قيل في الزنا سفاح لان الزانيين يسفحان الماء اى يسكبانه والماء هو النطفة ويمكن ايضا الماء الذى يغتسلان به فكنى بذلك عن الزناء ثم صار اسما له وعلما عليه ومن الشغر الذى هو رفع الرجل قول زياد لابنة معوية وكانت عند الله فافتخرت يوما عليه وتطاولت فشكاها الى ابيه زياد فدخل عليها بالدرة يضربها ويقول لها الشغرا وفخرا فاما قول الفرزدق شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الابكار فان من شغره وفسره قال معنى شغارة انها ترفع رجلها للبول وقوله تقذ الفصيل برجلها اى تركله وتدفعه عن الدنو الى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب اذا ديتقذ اى تبالغ في ايلامه وضربه ومنه الموقوذ فاما قوله فطارة القوادم الابكار فالفطر هو الحلب بثلاث اصابع والقوادم هى الاخلاف وانما خص الابكار بذلك لان صغر اخلافها يمنع من حلبها ضبا والضب هو الحلب بالاصابع الاربع فكانه لا يمكن فيها لقصر اخلافها الا الفطر ومعنى البيت تعيير لنساء جرير بانهن راعيات وذلك مما تعير به العرب النساء الا ترى الى قوله مثل هذا البيت ٭ كم عمة لك يا جرير وخالة ٭ فدعاء قد حلبت على عشارى ٭ كنا نحاذر ان تضيع لقاحنا ٭ ولها اذا سمعت دعاء يسار ٭ ثم بلا بذلك قوله شغارة تقذ الفصيل برجلها ٭ فطارة معا لقوادم الابكار ٭ قال الشريف المرتضى رضى الله عنه وعندى ان قوله شغارة كناية عن رفع رجلها للزناء وهو اشبه بان يكون مراده في هذا الموضع الا ترى انه قد وصفها بالولة وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار ويسار اسم راع فكانه وصفها بالولة الى الزنا والاسراع اليه وترك حفظ ما استحفظته من اللقاح فالاشبه ان يكون قوله شغارة مع كونه عقيب البيت الذى ذكرناه محمولا على ما اشرنا اليه فاما قولهم ذهبوا اشغر بغر فليس من هذا في شئ وانما يراد به انهم ذهبوا متفرقين متشتتين ومثله ذهبوا عباديد وعبابيد وشغاليل وشعارير وايادى سبا كل ذلك بمعنى واحد واما قوله فاذا هو اجب يعنى به مقطوع الذكر لان الجب هو القطع ومنه بعير اجب اذا كان مقطوع السنام وقد ظن بعض من تاول هذا الخبر ان الامسح ههنا هو قليل لحم الالية كالارسح والادسع والازل وهذا غلط لان الوصف بذلك لا معنى له في الخبر وانما اراد تاكيد الوصف له بانه اجب والمبالغة فيه لان قوله امسح يفيد انه مصطلم الذكر فيزيد على معنى اجب زيادة ظاهرة اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنا القسم بن الحسين الوراق قال حدثنى سليمان

بيان بعض لغاته

ضفا والضف

الادسع والادرح والازل القليل لحم الورك

بن داود الطوسي قال حدثني سوار بن عبد الله القاضي عن الاصمعي قال دخلت على الرشيد في
الليل فتذاكرنا احوال القمر فقلت العرب تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ما انت ابن ليلة قال
رضاع سخيلة حل اهلها برميلة قيل له فما انت ابن ليلتين قال حديث امتين بكذب
ومين قيل له ما انت ابن ثلاث قال قليل اللباث وقيل ايضا حديث فتيات غير جد مؤتلفات
قيل له فما انت ابن اربع قال عتمة ام ربع وقيل عتمة ام الربع غير جائع ولا مرضع قيل فما انت
ابن خمس قال عشاء خلفات قعس ويقال حديث وانس ويقال سر ومس قيل فما انت ابن ست قال
سر وبت وقيل حدث وبث قيل فما انت ابن سبع قال دلجة الضبع وقيل هدى لاثر ذي الجمع
وقيل حديث جمع وقيل يصقر في النسع وقيل يلتقط في الجزع قيل فما انت ابن ثمان قال قمر
اضحيان قيل فما انت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل يلتقط في الجزع وقيل الودع وقيل
عشية اهل جمع قيل فما انت ابن عشر قال ثلث الشهر وقيل محنق الفجر وقيل اوديك الى الفجر وقيل
قيل ما ادرك الفجر قيل فما انت ابن احدى عشرة قال اطلع عشاء وارى بكرة وقيل اغيب بسحرة قيل
فما انت ابن اثنتي عشرة قال موثق للبشر بالبدو والحضر قيل فما انت ابن ثلاث عشرة قال قمر باهر
يعشي له الناظر قيل فما انت ابن اربع عشرة قال مقتبل الشباب اضيء مدجنات السحاب وقيل اضيء
للسحاب قيل فما انت ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانتصف الحساب قيل فما انت ابن ست عشرة
قال نقص الخلق بالغرب والشرق قيل فما انت ابن سبع عشرة قال امكنت المقتفر القفرة قيل فما انت
ابن ثماني عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل فما انت ابن تسع عشرة قال بطيء الطلوع
بين الخشوع قيل فما انت ابن عشرين قال اطلع بسحرة واضيء بالبهرة وقيل الهجر بالبهرة
قيل فما انت ابن احدى وعشرين قال اطلع كالقبس يرى بالغلس قيل له فما انت ابن اثنتين
وعشرين قال لا اطلع الا ريث ما ارى قيل له فما انت ابن ثلاث وعشرين قال اطلع في قتمة
ولا اجلو الظلمة قيل له فما انت ابن اربع وعشرين قال لا قمر ولا هلال قيل فما انت ابن خمس و
عشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل فما انت ابن ست وعشرين قال دنا ما دنا فلا يرى
مني الا شفا قيل فما انت ابن سبع وعشرين قال اطلع بكرا ولا ارى ظهرا قيل فما انت ابن ثمان و
عشرين قال اسبق شعاع الشمس قيل فما انت ابن تسع وعشرين قال ضئيل صغير فلا يراه الا
البصير قيل فما انت ابن ثلاثين قال هلال مستسر قال الاصمعي ثم قلت للرشيد يقال انه
لا يحفظ هذا الحديث من الرجال الا طفيل فقال خذه علي قلت هات فاعاده حتى بلغ قيل
له ما انت ابن ثمان قال قمر اضحيان اما قوله رضاع سخيلة اراد تصغير سخلة والمعنى ان القمر
يبقى بقدر ما ينزل قوم فتضع شاتهم سخلة ثم ترضعها ويرتحلون فبقاؤه في الافق بمقدار

فهذا

هذا الزمان فقوله حل اهلها برميلة فاظن ان المعني فيه الاخبار عن قلة اللباث وسرعة الارتحال
لان الرمل لين بمنزل مقام للقوم لانهم كانوا يختارون في منازلهم جلد الارض وصلبها
والاماكن التي لا تستولي السيول عليها فخص الرميلة بهذا المعنى وقوله حديث امتين
بكذب ومين يريد ان بقاءه قليل بقدر ما تلتقي الامة الامة فتكذب لها حديثا ثم تفترقا
وقوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات اراد انه يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد فتحدثن
ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات وقوله عتمة ام ربع يقال عتمت بله اذا اخرت عن العشاء ومن
هذا سميت صلاة العتمة لانها اخر الوقت في العشاء وقوله ام ربع يعني الناقة وهو انه يحتبس حلبها
يريد ان بقاءه بمقدار ما تحلب ناقة لها ولد وولده في اول الربيع وهو اول النتاج والولد
في هذا الوقت يسمى ربعا اذا كان ذكرا فان كان انثى قيل ربعة فان كان في اخر النتاج قيل
للذكر وللانثى هبعة وقوله عشاء خلفات قعس فالخلفات اللواتي قد استبان حملهن والواحدة
خلفة وهي واحدة المخاض ولا واحد للمخاض من لفظها وانما قال عشاء خلفات لانها لا تتعشى
الى ان يغيب القمر في هذه الليلة والقعساء الداخلة الظهر الخارجة البطن وقوله سر وبت يريد
انه لا يبقى الا بقدر ما يسير الانسان ثم يبيت قوله قمر اضحيان اي ضاح بادي ويقال قمر
اضحيان بالتنوين فيهما جميعا وقمر اضحيان بالاضافة ومنه قيل ليلة اضحيانة اذا كانت نقية البياض
وقوله منقطع الشسع اراد انه يبقى بقدر ما يبقى شسع من قد يمشي به حتى ينقطع وقوله يلتقط
في الجزع اي انه مضيء ايلج لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذور ومفصلة بجزع ما ضاع منها
شيء لضيائه ونقائه وقوله اضيء بالبهرة يعني به وسط الليل لان بهرة الشيء وسطه وقوله
امكنت المقتفر القفرة فالمقتفر الذي يتبع الاثار ويقتفرها مواضعها التي يقصدها

مجلس اخر تابع ان سأل سائل عن قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى و
اضل سبيلا فقال كيف يجوز ان يكونوا في الاخرة عميا وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه السلم
بان الخلق يحشرون كما بدؤوا سالمين من الافات والعاهات قال الله تعالى كما بدانا اول خلق
نعيده وقال تعالى كما بداكم تعودون وقال عز وجل فبصرك اليوم حديد الجواب يقال له في
هذه الاية وجوه اجوبة احدها ان يكون العمى الاول انما هو عن تامل الايات والنظر في الدلالات
والعبر التي اراها الله تعالى المكلفين في انفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمى الثاني هو عن الايمان
بالاخرة والاقرار بما يجازى به المكلفون فيها من ثواب وعقاب وقد قال قوم ان الاية متعلقة
بما قبلها من قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الى قوله تعالى
ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير

ممن خلقنا تفضيلا ثم قال تعالى بعد ذلك ومن كان في هذه اعمى يعني عن هذه النعم وعن هذه
العبر فهو في الاخرة اعمى اي هو عما غيب عنه من امر الاخرة اعمى ويكون قوله في هذه كناية عن
النعم لا عن الدنيا ويقال ان ابن عباس رحمة الله عليه سأله سائل عن هذه الاية فقال له
اتل ما قبلها فنبهه عن التاويل الذي ذكرناه والجواب الثاني من كان في هذه يعني الدنيا
اعمى عن الايمان والمعرفة بما اوجب الله عليه المعرفة به فهو في الاخرة اعمى عن الجنة والثواب
بمعنى انه لا يهتدي الى طريقهما ولا يوصل اليهما او لفقد الحجة اذا سئل ووقف ومعلوم ان
من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون في القيمة منقطع الحجة مفقود المعاذير
والجواب الثالث ان يكون العمى الاول عن المعرفة والايمان والثاني بمعنى المبالغة في الاخبار
عن عظم ما ينال هؤلاء الكفار من الخوف والغم والحزن الذي ازاله الله عن المؤمنين الذين
بقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن عادة العرب ان تسمي من اشتد همه وحزنه بانه اعمى
سخين العين ويصفون المسرور بانه قرير العين قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة عين جزاء بما كانوا يعملون والجواب الرابع ان العمى الاول عن الايمان والثاني
هو الآفة في العين على سبيل العقوبة كما قال الله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب
لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى
ومن يجيب بهذا الجواب يتاول قوله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده على ان المعنى فيه الاخبار
عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما انها معدومة في الابتداء ويجعل ذلك نظيرا
لقوله تعالى وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه ويتاول قوله تعالى فبصرك
اليوم حديد على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله تعالى في الدنيا يكون عارفا
به في الاخرة والعرب تقول فلان بصير بهذا الامر وزيد ابصر بكذا من عمرو ولا يريدون
ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التاويل قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اي كنت غافلا فانت الآن عارف به فلما
كشفنا عنك الغطاء بان اعلمناك وفعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فاما الخبر الذي تدعى
روايته فهو خبر واحد ولا حجة في مثله واذا عرف لفظه ربما امكن تاويله على ما يطابق هذا
الجواب ومن ذهب الى الاجوبة الاولى يجعل العمى الاول والثاني معا غير الآفة في العين فان
عورض بقوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى تاوله على العمى عن الثواب وعن الجنة وقال
في قوله لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ان معناه كنت بصيرا في اعتقادي وظني من حيث
كنت ارجو الهداية الى الثواب وطريق الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز ان يراد بالعمى الثاني

والاول جميعا الآفة في العين جملة لانه يؤدي الى ان كل من كان مؤوف البصر في الدنيا من مؤمن
وكافر وطايع وعاص يكون كذلك في الاخرة وهذا باطل وبمثله يبطل ان يراد بلفظة اعمى
الثانية المبالغة بمعنى افضل من فلان ويبطله ايضا ان العمى الذي هو الخلقة لا يتعجب منه
بلفظة افعل وانما يقال ما اشد عماه ولا يجوز ان يراد بالعمى الاول عمى العين والثاني العمى عن الثواب
والجنة او الحجة لانا نعلم ان فيمن عميت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ويصل اليه ولا يجوز ان
يراد بالاول والثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريقة المبالغة والتعجب ولا على غير ذلك لانا
نعلم ان الجهال بالله تعالى المفرطين في الدنيا عن معرفته لا يجوز ان يكونوا في الاخرة كذلك فضلا
عن ان يكونوا على ابلغ من هذه الحال لان المعارف في الاخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس
فلم يبق بعد الذي بطلناه الا ما دخل في الاجوبة وعلى الاجوبة الثلاثة الاول اذا اريد باعمى
الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه لان عمى القلب وضلاله يتعجب منه بلفظة افعل وان لم
يجز ذلك في عمى الجارحة ولمن اجاب بالجواب الرابع ان لا يجعل قوله تعالى فهو في الاخرة اعمى لفظ تعجب
بل يجعله اخبارا عن اعماه من غير تعجب والذي عطف عليه بقوله تعالى واضل سبيلا ويكون تقدير
الكلام ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى وهو اضل سبيلا فان قيل لو انكرتم من الخلو
بلفظة افعل قلنا قد قال النحويون في ذلك ان الالوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظ التعجب وانما
نعدل فيها الى اشد واظهر وما جرى مجراهما قالوا لان العيوب والالوان قد صارت لازمة
وصارت خلقة كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما اسوده واعوره كما لا يقال ما ايداه وارجله
ويقال ما اشد سواده كما يقال ما اشد يده ورجله واعتلوا بعلة اخرى قالوا ان الفعل
من الالوان والعيوب على افعل وافعال مثل احمر واعور واحول واحوال والتعجب لا يدخل فيما
زاد على ثلاثة احرف من الافعال الا ترى انه لا يدخل في انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلاثة
احرف فان قيل لهم فقد قالوا عورت عينه وحولت قالوا هذا منقول من افعل وهو في الحكم زائد
على ثلاثة احرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت في اسود وابيض ولولا انه منقول لاعلت الواو
فقلت عارت وحالت كما قيل خاف وهاب وحكي عن الفراء في ذلك جوابان احدهما ان افعل في التعجب فيه
زيادة على وصف مثله اذا قال القائل افضل واجمل فهو ازيد في الوصف من جميل وفاضل فلم
يقولوا ما ابيض زيدا لئلا يسقط التزيد ولا يكون فيه ابيض وصف زيد ابيض عليه يخالفه
لفظه كما خالف افضل واجمل فاضلا وجميلا فلما فاتهم في ابيض واحمر علم التزيد ادخلوا عليه ما تبين
الزيادة فيه فقالوا ما اظهر حمرة زيد وما اشد سواد عمرو لان اظهر يدل على ظاهر واشد يدل
على شديد والجواب الآخر ان التعجب مبني على زيادة تصلح ان يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ الشاو

بيان فعل التعجب

فقالوا ما اعلم زيدا انسيله او اعلى بابه علمه لانهم في قولهم ما اعلم عليهم لم يبلغوا في الثناء مبلغ اعلم او
يقولوا ما ابيض زيدا لان البياض لا تأتي منه زيادة بعد نقص فعدلوا الى التعجب باشد ونحوها
مجراهما وهذا الجواب ليس بسديد لان الالوان قد يأتي فيها الزيادة بعد نقص وقد يدخل فيها التفاضل
الا ترى ان ما حله قليل اجزاء البياض يكون انقص حالا في البياض مما حله الكثير من الاجزاء والجواب
الاول الذي حكيناه عن الفراء صحيح وان كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد وقد انشد بعضهم
معترضا على ما ذكرناه قول الشاعر: يا ليتني مثلك في البياض * ابيض من اخت بني اباض و انشد
ايضا قول الشاعر: اما الملوك فانت اليوم ألأمهم * لؤما وابيضهم سربال طباخ * واما البيت
الاول فان ابا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال ان الشاذ النادر لا يطعن به في المعمول عليه
المتفق على صحته ويجوز ان يقال ايضا في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل في البيت الثاني ان
ابيض فيه ليس هو الذي للمفاضلة وانما افعل الذي مؤنثه فعلاء كقولهم ابيض وبيضاء ويجري
ذلك مجرى قولهم هو حسن القوم وجها وشريفهم خلقا فكان الشاعر قال وابيضهم فلما اضافه
انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا احسن من حمله على الشذوذ ويمكن فيه وجه اخر وهو ان ابيض
في البيت وان كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللوم والبخل فحمل لفظ التعجب على
المعنى دون اللفظ ولولا انه اراد بابيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز ان يتعجب بلفظ افعل
والذي جوز تعجبه بهذه اللفظة واما قول المتنبي: ابعد بعدت بياضا لا بياض له * لانت اسود في عيني
من الظلم، فقد قيل فيه ان قوله لانت اسود في عيني كلام تام ثم قال من الظلم اي من جملة الظلم كما يقال حر
من الاحرار ولئيم من اللئام اي من جملتهم وقال الشاعر: وابيض من ماء الحديد كانه * شهاب بدا
والليل داج عساكره * كانه قال وابيض كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد صفة لابيض وليس
يتصل به كاتصال من بافعل في قولك هو افضل من زيد ولفظة من في بيت المتنبي مرفوعة الموضع لانها
وصف لاسود واذا اريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع باسود كما تقول زيد خير منك فمنك
في موضع نصب بخير كانه قال قد خارك بخيره اي فضلك في الخير وهذا التاويل المذكور في بيت المتنبي
يمكن ان يقال في قول الشاعر ابيض من اخت بني اباض ويحمل على انه اراد من جملتها ومن قومها
ولم يرد التعجب وتاويله على هذا الوجه اولى من حمله على الشذوذ فاما قول المتنبي ابعد بعدت بياضا
لا بياض له فالمعنى الظاهر للناس انه اراد لا ضياء له ولا نور ولا اشراق من حيث كان حلوله محزنا
مؤذنا بتقضي الاجل وهذا لعمري معنى ظاهر الا انه يمكن فيه معنى اخر وهو ان يريد انك بياض لا
لون بعده لان البياض اخر الوان الشعر فجعل قوله لا بياض له بمنزلة قوله لا لون بعده وانما سوغ ذلك
له لان البياض هو لا ثاني بعد السواد فلما نفى ان يكون للشيب بياض كان نفيا لان يكون بعده

لون

تقيء الارض افلاذ كبدها الخبر

لون وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى فقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر بفتح الميمين معا وقرأ عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي بكسر الميم منهما معا وفي
رواية حفص عن عاصم لا بكسرهما وكسر ابو عمرو الاولى وفتح الاخيرة ولكل وجه اما من ترك امالة
الجميع فان قوله احسن لان كثيرا من العرب لا يميلون هذه الفتحة ومن امال الجميع فوجه قوله ان ينحوا
بالالف نحو الياء ليعلم انها تنقلب عن الياء واما قراءة ابي عمرو بامالة الاولى وفتح الثانية فوجه
قوله ان يجعل الثانية افعل من كذا مثل افضل من فلان فاذا جعلها كذلك لم تقع الالف في اخر الكلمة
لان اخرها انما هو من كذا وانما تحسن الامالة في الاواخر وقد حذف من افعل الذي هو للتفضيل الجار و
المجرور جميعا وهما مرادان في المعنى واخفى من السر فكذلك قوله تعالى فهو في الآخرة اعمى اي اعمى منه
في الدنيا واعمى من غيره ويقوي هذه الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى واضل سبيلا
فكما ان هذا لا يكون الا على افعل من كذا كذلك المعطوف عليه ثاني وتلك الخبر روى ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال تقيء الارض افلاذ كبدها مثل الاسطوان من الذهب والفضة
فيجيء القاتل فيقول في مثل هذا قتلت ويجيء القاطع للرحم فيقول في مثل هذا قطعت رحمي ويجيء
السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي ثم يتركونه لا ياخذون منه شيئا معنى تقيء ان تخرج ما
فيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة وقوله تقيء تشبيه واستعارة من حيث كان
اخراجا واظهارا وكذلك تسميته ما في الارض من الكنوز كبدا هو تشبيه بالكبد التي في بطن البعير و
غيره وللعرب في مثل هذا مذهب معروف قال مرة بن محكان السعدي يصف قدرا نصبها للاضياف
لها ازيز يزيل اللحم ازمله * عن العظام اذا ما استحمشت غضبا * ترمي الصلاة بنبل غير طائشة *
وفقا اذا انست من تحتها لهبا فوصفها بالغضب تشبيها واستعارة واما الازيز فهو الغليان و
العرب تقول لجوفه ازيز مثل ازيز المرجل والازمل الصوت واستحمشت اي غضبت يقال احمشته
اي اغضبته وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة: سألتني عن اناس هلكوا * شرب الدهر عليهم
واكل فوصف الدهر بالشرب والاكل تشبيها واستعارة وقال قوم معنى البيت شرب اهل الدهر
بعدهم واكلوا واختلف اهل اللغة في الافلاذ فقال يعقوب بن السكيت الفلذ لا يكون الا للبعير وهو
قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال اعطني فلذا من الكبد وفلذة من الكبد
قال اعشى باهلة: تكفيه حزة فلذ ان الم بها * من الشواء ويروي شربه الغمر * والغمر القدح الصغير
وقال يعقوب لا يقال اعطني حزة من سنام ولا من لحم وانما الحزة في الكبد خاصة فاذا ارادوا ذلك
من السنام واللحم قالوا اعطني جدبة من لحم وهي الصغيرة وفلقة من سنام وقال الطوسي عن ابي عبيد
عن الاصمعي قال يقال اعطني جدبة من لحم وحزة من لحم اذا كانت مقطوعة طولا فاذا كانت مجتمعة قلت اعطني

بضعة من لحم وهبرة من لحم وفدرة ومثل هذا الحديث قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها معناها اخرجت ما فيها من الكنوز وقال قوم عنى به الموتى وانها اخرجت موتاها فسمى الله تعالى ثقلا تشبيها بالحمل الذي يكون في البطن لان الحمل يسمى ثقلا قال الله تعالى فلما اثقلت دعوا الله ربهما والعرب تقول ان للسيد الشجاع ثقلا على الارض فاذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء ترثي اخاها صخرا

أبعد ابن عمرو من آل الشريد ❊ حلت به الارض اثقالها ❊ معناه انه لما مات حل عنها بموته ثقل لسودده وشرفه وقال قوم معنى حلت زينت موتاها وهو ماخوذ من الحلية وقال الشمردل اليربوعي يرثي اخاه وحلت به اثقالها الارض وانتهى بمثواه منها وهو عف شمائله وروى ابو هشام بن المنذر قال قال زهير بن ابي سلمى المزني بيتا ثم اكدى فمر به النابغة الذبياني فقال له يا ابا امامة اجز قال وماذا قال ❊ تزال الارض اما مت خفا ❊ وتحيى ان حييت بها ثقيلا ❊ نزلت بمستقر العز منها ❊ فماذا قال فاكدى والله النابغة واقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له ابوه اجز يا بني فقال وماذا فانشده البيت الاول والبيت الثاني الى قوله نزلت بمستقر العز منها فقال كعب ❊ فتمنع جانبيها ان يزولا ❊ فقال زهير اشهد انك ابني وانما خص الكبد من بين ما يشتمل عليه البطن لانه من اطايب الجزور والعرب تقول اطايب الجزور السنام والملحاء والكبد قال قدس الله روحه واني لاستحسن قول الخنساء وقد قيل لها انما مدحت اخاك حتى هجوت اباك فقالت ❊ جارى اباه فاقبلا وهما ❊ يتعاوران ملاءة الحضر ❊ حتى اذا نزت القلوب وقد ❊ لزت هناك العذر بالعذر ❊ وعلا هتاف الناس ايهما ❊ قال المجيب هناك لا ادري ❊ برقت صحيفة وجه والده ❊ ومضى على غلوائه يجري ❊ اولى فاولى ان يساويه ❊ لولا جلال السن والكبر ❊ وهما كانهما وقد برزا ❊ صقران قد حطا الى وكر ❊ ويقال انه قيل لابي عبيدة ليس هذه الابيات في مجموع شعر الخنساء فقال ابو عبيدة العامة اسقط من ان يجاد عليها بمثل ذلك ولعمري انها قد بلغت في مدح اخيها من غير ازراء على ابيها النهاية لانها جعلت تقدم ابيها له عن قدرة منه على المساواة وعن غير تقصير منه وانما فرج له عن السبق معرفة لحقه وتسليما الكبر سنه كان الخنساء نظرت في هذا المعنى الى قول زهير فتح بها الاماعز وهي تهوي ❊ هوي الدلو اسلمها الرشاء ❊ فليس لحاقه كلحاق الف ❊ ولا كنجائها منه نجاء ❊ ويقدمه اذا اختلفت عليه ❊ تمام السن منه والذكاء ❊ ويشبه ان يكون الكميت اخذ من الخنساء قوله في مخلد بن يزيد بن المهلب ما ان ارى كابيك ابن اساوه ❊ احد وشلك طالبا لم يلحق ❊ تجاريان له فضيلة سنه ❊ وتلوت بعده مصليا لم تسبق ❊ ان تنزعا فله فضيلة سبقه ❊ فبمثل شاو ابيك لم تتعلق ❊ ولئن لحقت به على ما قد مضى ❊ من بعد غايته فاحج واخلق ❊ المعنى قول المؤمل بن اميل الكوفي والمحاربي يمدح المهدي في حياة المنصور ❊ لئن فت الملوك وقد توافوا ❊ اليك من السهولة والوعور ❊ لقد

فاذ

قوله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب الآية

فات الملوك ابوك تحتى ❊ تقوما من بين كاب وحسير ❊ وجئت وراءه تجري حثيثا ❊ وما بك حين تجري من فتور ❊ فقال الناس ما هذان الا ❊ بمنزلة الخليق من الجدير ❊ فان سبق الكبير فاهل سبق ❊ له فضل الكبير على الصغير ❊ وان بلغ الصغير مدى كبير ❊ فقد خلق الصغير من الكبير ❊ ومن هذا قول الشاعر جيادا اخرجت في حلبة ❊ فتفاضلت ❊ على قدر الاسنان والعرق واحد ❊ ونما الى هذا المعنى بعض الشبه وان لم يذكر فيه السن والتفضيل الكبير قول زهير وهو الجواد فان يلحق بشاوهما ❊ على تكاليفه فمثله لحقا ❊ او يسبقاه على ما كان من مهل ❊ فمثل ما قدما من صالح سبقا ❊ ويروى انه عرضت على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي جارية شاعرة فاراد ان يبلوها فقال لها قولي في معنى بيتي زهير اللذين ذكرناهما فقالت بلغت او كدت يحيى او لحقت به ❊ فلتما خالد في شاو مستبق ❊ لكن مضى قبلا يحيى فانت له ❊ تال تعللك دون الركض بالعنق ❊ ومن حسن ما قيل في المساواة والمقاربة وهو داخل في هذا المعنى مناسب له قول عباد بن شبل اذا اخترت من قوم خيارا خيارهم ❊ فكل بني عبد المدان خيار ❊ جروا والعيبات الجياد فضل بينهم ❊ بان قيل قد فات العذار عذار ❊ وقول الكميت مصل ابوه له سابق ❊ بان قيل فات العذار العذارا ❊ ومثله قول العتابي وهو ملح جدا كما تقاذف جريا في اعنتها ❊ سبقا باذنها امراق بالعذر ❊ واول من سبق الى هذا المعنى زهير في قوله يصف مطاردة البازي للقطاة ومقاربته لها دون السماء وفوق الارض فلا هما عند الذنابى فلا فوت ولا درك ❊ وقد لحظ ابو نواس هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربته لابيه في الفضل والسودد ❊ ثم جرى الفضل فانثنى ❊ مدة ما ❊ دون مداه من غير تهيب ❊ فقيل اشباههما مرادبه ❊ الغاية والفضل سابق الفوقي ❊ وشبيه ذلك قول البحتري في ابن ابي سعيد ❊ الثغري جل كجد ابي سعيد انه ❊ ترك السماك كانه لم يشرف ❊ قاسمته اخلاقه وهي الردى ❊ للمعتدي وهي الندى للمعتفي ❊ فاذا جرى من غاية وجريت من اخرى ❊ التقى شاواكما في المنصف ❊ ويشبه ايضا قوله ❊ واذا رايت شمائل ابني صاعد ❊ ادت اليك شمائل ابني مخلد ❊ كالفرقدين اذا تامل ناظر ❊ لم يعل موضع فرقد عن فرقد ❊ واما قول الخنساء يتعاوران ملاءة الحضر وهي تعني بالملاءة الغبار فان محمد بن الرقاع كانه نظر اليها في قوله يصف حمارا واتانا يتعاوران من الغبار ملاءة ❊ بيضاء محدثة هما نسجاها ❊ تطوى اذا وطيا مكانا خاسيا ❊ واذا السنابك اسهلت نشراها ❊ وهذا المعنى وان كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة صار من اجلها بالمعنى احق منها ❊ وقد اتبعهما بهذا المعنى رجل من بني عقيل فقال من قصيدة ❊ يثيران من نسج الغبار عليهما ❊ قميصين اسماطا ويرتديان

تاويل خبر ❊ ان سال سائل عن قوله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان

اشعار الخنساء

علي ما تصفون فقال كيف وصف الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال لا من صفات الاجسام
واي معنى لوصفه الصبر بانه جميل فمعلوم ان صبر يعقوب عليه السلم على فقد ابنه لا يكون الا
جميلا ولم ارتفع الصبر وما المقتضي لرفعه الجواب فقال له اما كذب فمعناه انه مكذوب فيه و
عليه مثل قولهم هذا ماء سكب وشراب صب يريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله ماء غور
رجل صوم وامرأة نوح قال الشاعر تظل جيادهم نوحا عليهم ٭ مقلدة اعنتها صفونا
عليهم ومثله ما لفلان معقول يريدون ما له عقل وما له على هذا الامر مجلود يريدون جلدا قال
الشاعر حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا وانشد ابو العباس ثعلب قد والذي
سمك السماء بقدرة بلغ العزاء وادرك الجلود وقال الفراء وغيره يجوز في النحو بدم كذبا بالنصب
على المصدر لان جاؤا فيه معنى كذبوا كذبا كما قال الله تعالى والعاديات ضبحا فنصب ضبحا على
المصدر لان العاديات بمعنى الضابحات وانما دم مكذوب فيه لان اخوة يوسف عليه السلم
ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف عليه السلام بدمها وجاؤا اباهم بالقميص وادعوا اكل الذئب له
فقال لهم يعقوب عليه السلم يا بني لقد كان هذا الذئب رفيقا حين اكل ابني ولم يخرق قميصه
قالوا بل قتله اللصوص فقال كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه احوج منهم الى قتله وقد
قيل انه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قد قميصه من دبر وحين القي على وجه ابيه فارتد بصيرا
وحين جاؤا عليه بدم كذب فتنبه ابوه على ان الذئب لو اكله لخرق قميصه واما وصف الصبر
بانه جميل فلان الصبر قد يكون جميلا وغير جميل وانما يكون جميلا اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للتوجه
الذي وجب فلما كان في هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود صح وصفه بذلك وقد قيل انه اراد صبرا
لا شكوى فيه ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبته الشكوى او الجزع له فاما ارتفاع قوله
تعالى فصبر جميل فقد قيل ان المعنى فشأني صبر جميل والذي اعتقده صبر جميل وقال قطرب معناه
فصبري صبر جميل وانشدوا شكى الي جملي طول السرى ٭ يا جملي ليس الي المشتكى صبر جميل
فكلانا مبتلى معناه فليكن منك صبر جميل وقد روي ان في قراءة ابي فصبرا جميلا بالنصب
وذلك يكون على الاغراء والمعنى فاصبري يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة الا انما مي فصبرا بلية
وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر ٭ وقال الآخر اني اقدمان بعني لحي نباشة ٭ فصبرا على ما شاءه الله
لي صبرا تاويل خبر في الحديث ان قيس بن عاصم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله و
سلم فقال هذا سيد اهل الوبر فقلت يا رسول الله الذي ليس علي فيه تبعة من طالب ولا ضيف
فقال عليه السلم نعم المال الاربعون والكثر ستون وويل لاصحاب المئين الا من اعطى الكريمة ومنح
الغزيرة ونحر السمينة فاكل واطعم القانع والمعتر وفي رواية الا من اعطى من رسلها واطرق فحلها

وافقر ظهرها

قال نعم المال الاربعون والكثر ستون الخبر

وافقر ظهرها ومنح غزيرتها واطعم القانع والمعتر فقلت يا رسول الله ما اكرم هذه الاخلاق واحسنها
لانه لا يحل بالوادي الذي فيه ابلي من كثرتها فقال فكيف تصنع في العطية قلت اعطي البكر و
اعطي الناب قال فكيف تصنع في المنحة قلت اني لامنح المائة قال فكيف تصنع في الطروقة قلت يغدو الناس
بابلهم فلا يوزع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه ما بدا له حتى يكون هو الذي يرده وفي الرواية الاخرى
قال فكيف تصنع في الاطراق قلت يغدو الناس فمن شاء ان ياخذ براس بعير ذهب به قال فكيف
تصنع في الافقار قلت اني لافقر الناب المدبرة والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع في المنحة قلت
اني لامنح في السنة المائة قال فما لك احب اليك ام مال مواليك قلت لا بل مالي قال فان ما لك ما
اكلت فافنيت او اعطيت فامضيت وفي الرواية الاخرى ولبست فابليت وسائره لمواليك قلت
لا جرم والله لئن رجعت اليها لاقلن عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بني خذوا
عني فانكم لن تاخذوا عن احد هو انصح لكم مني لا تنوحوا علي فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لم ينح عليه فقد سمعته ينهى عن النياحة وكفنوني في ثيابي التي كنت اصلي فيها وسودوا اكابركم فانكم
اذا سودتم اكابركم لم يزل لابيكم فيكم خليفة واذا سودتم اصاغركم هان اكابركم على الناس وزهدوا
فيكم واصلحوا امر عيشكم فان فيه غنى عن طلب الى الناس واياكم والمسألة فانها اخس كسب المرء واذا
دفنتموني فاخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية فلا آمن سفيهها ان
يدخل عليكم عيبا اما قوله عليه السلم الكثر ستون فمعناه الكثير تقول العرب الحمد لله على الكثر
والقل تعني به من القل الى ما يساله الكثير وتعوذ به من القليل قال الشاعر فان الكثر اعياني قديما ٭ ولم افتقر
لدن اني غلام ٭ وقال الآخر وقد يقصر القل الفتى دون همه ٭ وقد كان لولا القل طلاع انجد واطراق الكريمة
يعني بها اكرم ماله ومنح الغزيرة اي اعطيها لمن يحلبها ويردها ومن ذلك الحديث العارية مؤداة و
المنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم فالمنحة الناقة والشاة يدفعها الرجل الى من يحلبها وينتفع
بلبنها ثم يردها عليه والزعيم الكفيل ويقال له ايضا القبيل والصبير والحميل ومنه قوله تعالى
وانا به زعيم وقال الشاعر فلست بامر فيها بسلم ٭ ولكني على نفسي زعيم ٭ وقال الآخر قلت كفى لك
رهن بالرضا ٭ فازعمي يا هند قالت قد وجب معناه الكفيل وقبيلا من القبيل الذي هو
الكفيل ايضا وقال الفراء القانع هو الذي ياتيك فيسالك فان اعطيته قبل والمعتر الذي يحضر
عند الذبيحة ويمسك عن السؤال فكانه يعترض المسألة ولا يصرح بها يقال قنع الرجل قناعة
اذا رضي وقنع قنوعا اذا سأل فاما قوله لا جرم فقال قوم معنى جرم كسب قالوا في معنى قوله تعالى
لا جرم ان لهم النار ان لا رد على الكفار ثم ابتدأ فقال جرم ان لهم النار بمعنى كسب قولهم ان
لهم النار وقال الشاعر نصبنا راسه في راس جذع ٭ بما جرمت يداه وما اعتدينا اي بما كسبت

وقال آخر في معنى جرم حقا جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا اراد حققت فزارة وروى الفراء فزارة
بالنصب على معنى كسبت الطعنة فزارة الغضب وقال الفراء لا جرم في الاصل بمنزلة لا بد ولا محالة
ثم استعملته العرب بمعنى حقا وجاءت فيه بجواب الايمان فقالوا لا جرم لاقومن كما قالوا والله لا
قومن وفيها لغات يقال لا جرم ولا جرم بضم الجيم وتسكين الراء ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم قال الشاعر
ان كلابا والده لا ذا جرم لاهدرن اليوم هدرا صادق الشم هدر المعنى ذي الشقاشق اللهم والناب
الناقة الهرمة وجمعها نيب ومثلها الشارف قال الشاعر لا افتأ الدهر ابكيهم باربعة ما اجترت
النيب او حنت الى بلد ويقال للبعير اذا كبر ايضا عود وللانثى عودة قال الشاعر عود على عود من
القدم الاول يموت بالترك ويحيى بالعمل وهذا من ابيات المعاني ومعناه بعير عود على طريق منقادم
وسمى الطريق بانه عود لتقادمه تشبيها بالبعير وقوله يموت بالترك ويحيى بالعمل اراد انه اذا سلك
وطرق ظهرت اعلامه ووضحت طرقه فاهتدى بها لكثرة سلوكهم فلم يضل عن قصده فكان هذا كالحياة له
واذا لم يسلك طمست آثاره وانمحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لقصد وكان ذلك كالموت له فاما الخماشات
فهي الجنايات والجراحات قال ذو الرمة يذكر الحمار والاتن ورابع لها امداد وفي العود عنده خماشات
ذحل لا يراد امثالها يريد بقوله لا يراد امثالها اي لا يراد اقتصاصها يقال استقدني من هذا الاحل
واقصني واقدني بمعنى واحد فاما قوله الا يورع رجل اي لا يحبس ولا يمنع يقال ورعت الرجل يورعه
اذا منعته وكففته والورع هو المتحرج المانع نفسه مما تدعوا اليه يقال ورع ورعا وورعا قال
لبيد اكل يوم هامتي مقزعه لا تمنع الفتيان من حسن الورع ويقال ما ورع ان فعل كذا
وكذا اي ما كذب فاما الورع بالفتح فهو الجبان واما الطروقة فهي التي قد حان لها ان تطرق وهي
وقوله في الرواية الاخرى الا من اعطى في رسلها فالرسل اللبن والافقار هو ان يركبها الناس ويحملهم على
ظهورها ماخوذ من فقار الظهر والاطراق للفحول هو ان يسيب لها من ينزيها على اناث ابله وذكر الاطراق
في هذه الرواية احب الي من الطروقة لانه قد تقدم من قوله انه يعطي الناب والبكر والضرع والمائة فلا معنى
لاعادة ذكر الطروقة وقوله في الجواب بعد والناس فلا يورع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه ما بدا له ثم يرده
لا يحتمل غير الاطراق ولا يليق بمعنى الطروقة قال وكان قيس بن عاصم شريفا في قومه حليما ويكنى ابا علي
وكان الاحنف بن قيس يقول تعلمت الحلم من قيس بن عاصم اتي بقاتل ابنه فقال رعيتم الفتى واقبل
عليه فقال يا بني لقد نقصت عددك واوهنت ركنك وفت في عضدك واشمت عدوك و
اساءت بقومك خلوا سبيله فما حل حبوته ولا تغير وجهه وقال ابن الاعرابي قيل لقيس بما
سدت قومك قال بثلاث ببذل الندى وكف الاذى ونصر المولى وذكر المدائني قال كان قيس
بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فانه ما بغى قوم قط الا قلوا وذلوا وكان الرجل من بنيه يظلم بعض قومه

ابي دهبل الجمحي الشاعر

فينهى اخوته ان ينصروه وقيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان ابن شريك الشيباني بطعنة في يوم جدود
فسمي الحارث الحوفزان وقال سوار بن حيان المنقري ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة سقته نجيعا
من دم الجوف اشكلا وحمران قسرا انزلته رماحنا فعالج غلا في ذراعيه مثقلا وفي يوم جدود
يقول قيس بن عاصم جزى الله يربوعا باسوء سعيها اذا ذكرت في النائبات امورها ويوم جدود
قد فضحتم ذماركم وسالمتم والخيل تدمى نحورها ستحطم سعد والرباب انوفكم كما حز في انف
القضيب جريرها القضيب الناقة المقتضبة الصعبة وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب يرثيه عليك
سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء ان يترحما سلام امرئ جللته منك نعمة اذا زار عن شحط
بلادك سلما فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما قال سيدنا الشريف
المرتضى قدس الله روحه ذاكرا في بعض الاضداد قال ابو دهبل الجمحي وهو يعني ناقته وابرزتها
من بطن مكة بعدما اصات المنادي بالصلاة فاعتما وسالني اجازة هذا البيت بابيات تنضم اليه
واجعل الكلام فيه كانها كناية عن امراة لا عن ناقة فقلت في الحال فطيب مرآها المقام وضوأت
باشراقها بين الحطيم وزمزما فيا رب ان لقيت وجها تحية فحي وجوها بالمدينة سهما تجافين
عن مس الدهان وطالما عصمن على الحناء كفا ومعصما وكم من جليد لا يخامره الهوى شنن عليه
الوجد حتى تتيما اهان لهن النفس وهي كريمة والقى اليهن الحديث المكتما تسفهت لما ان مررت
بدارها وعوجلت دون الحلم ان تتحلما فعجت تقري دارسا متنكرا وتسأل مصروفا عن النطق
اعجما ويوم وقفنا للوداع وكلنا يعد مطيع الشوق من كان احزما فصرت بقلب لا يعنف في الهوى
وعين متى استمطرتها قطرت دما وكان ابو دهبل من شعراء قريش وممن جمع الى الطبع التجويد واسمه
وهب بن زمعة بن اسيد بن احيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح واسمه تيم بن عمرو بن هصيص بن
كعب بن لؤي بن غالب وكان اسم جمح تيما واسم اخيه زيدا وهما ابنا عمرو بن هصيص فاستبقا الى
غاية فصد تيم عن الغاية فقيل جمح تيم فسمي جمح ووقف عليهما زيد فقيل سهم زيد فسمي سهما فاما
كنيته فهي مشتقة من الدهبلة وهي المشي الثقيل يقال دهبل الرجل دهبلة اذا مشى مشيا ثقيلا
اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا محمد بن يحيى النحوي
قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قيل لابي عمرو بن العلاء ما يعجبك من شعر ابن دهبل الجمحي قال
قوله يا عمر حم فراقكم عمرا وعزمت منا النأي والهجرا يا عمر شيخك وهو ذو شرف يحمي
الذمار ويكرم الصهرا والله ما احببت حبكم لا ثيبا خلقت ولا بكرا ان كان هذا السحر منك فلا
نزع على وجدي سحرا احدى بني اود كلفت بها حملت بلا ترة لنا وترا ومرت لها ذكرا اذا نطقت
تركت بنات فؤاده صعرا كتساقط الرطب الجني من الاقناء لا نثرا ولا نزرا ومقالة منكم

وجه تكرار الآلاء في سورة الرحمن وسورة الجحد

عركت لها جنبي اديد بها الى العذاء · ومريد سركم عدلت به · عما يحاول معشر لاوعرا · فاتقيم لنا التجربة يوم فخيم عندنا شهرا · ما ان اقيم لحاجة عرضت · الا ابى فيكم غدا · واذا همت بر حلة جزعت · واذا انثنا لم تقد نفرا · انى لارضى ما رضيت به · وارى لحسن حديثكم شكرا · وروى ابو عمرو انشيبا لابي دهبل · ياليت من يمنع المعروف يمنعه · حتى يذوق رجال غب ما صنعوا · وليت رزق رجال مثل نائلهم · قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا · ويرو ضيق كضيق ووسعا كالذي اتسعوا · وليت للناس حظا في وجوههم · تبين اخلاقهم فيه اذا اجتمعوا · وليت ذا الفحش لاقى فاحشا ابدا · ووافق الحلم اهل الحلم فاتدعوا · ولابي دهبل في قتل الحسين بن علي عليهما السلام · تبيت النشاوى من امية نوما · وبالطف قتلى ما ينام حميمها · وما ضيع الاسلام الا عصابة · تامر نوكاها ودام نعيمها · وصارت قناة الدين في كف ظالم · اذا مال منها جانب لا يقيمها · واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال روى ابو عمرو النسيب لابي دهبل وقال يقال انها للمجنون · اامرك ليلى ليس بيني وبينها · سوى ليلة اني اذا لصبور · هبوني امرأ منكم اضل بعيره · له ذمة ان الذمام كبير · وللصاحب المتروك اعظم حرمة · على صاحب من ان يضل بعير · عفا الله عن ليلى الغداة فانها · اذا وليت حكما على تجور · وروى ابو عمرو النسيب لابي دهبل وقد رواه ابو تمام في الحماسة له · اقول والركب قد مالت عمائمهم · وقد سقى القوم كاس النعسة السهر · ياليت اني باثوابي وراحلتي · عبد لاهلك هذا الشهر موتجر · ان كان ذا قدر يعطيك نافلة · منا ويحرمنا ما انصف القدر · واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى قال مثل ابي دهبل · ولو تركونا لا هدى الله امرهم · فلم يلحموا قولا من الشر يخبج · لاوشك صرف الدهر تفريق بيننا · وهل يستقيم الدهر والدهر اعوج · وقول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره وتمنى موته · لما رأى ارعشت اطرافي · استعجل الدهر وفيه كاف · يخترم الالف على الالاف · وقال في مثله · عددت ابن عم لا يزال كانه · وان لم انله منطولي على وتر · يعين على الدهر والدهر مكتف · وان استعنه لا يعين على الدهر · قال المرتضى رضي الله عنه ومثل الجميع قول ابي احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر · الى كم يكون العتب في كل ساعة · وكم لا تملين القطيعة والهجرا · رويدك ان الدهر فيه كفاية · لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا ·

مجلس آخر تاسع ان سال سائل فقال ما وجه التكرار في سورة الكافرين وما الذي حسن اعادة النفي لكونه عابدا ما يعبدون وكونهم عابدين ما يعبد وذكر ذلك مرة واحدة يكفي وما وجه التكرار ايضا في سورة الرحمن لقوله فباي آلاء ربكما تكذبان الجواب يقال له قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرين وجها وهو ان قال ان القرآن

لم ينزل

لم ينزل دفعة واحدة وانما كان نزوله شيئا بعد شيء والامر في ذلك ظاهر وكان المشركون اتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا له استلم بعض اصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق ونتبعك فامره الله تعالى بان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ثم غبر مدة من الزمان وجاؤه فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض اصنامنا يوما او شهرا او حولا لنفعل مثل ذلك بالهك فامره الله تعالى بان يقول لهم ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد اى ان كنتم لا تعبدون الهي الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه ابدا وقد طعن بعض الناس على هذا التاويل بان قال انه يقتضي شرطا وحذفا لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله ولا انتم عابدون ما اعبد قال واذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادتهم ما يعبدون مطلقا غير مشروط فكذلك ما عطفه عليه وهذا الطعن غير صحيح لانه لا يمتنع اثبات شرط بدليل وان لم يكن في ظاهر الكلام ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة وقد روى عن هذا السؤال ثلاثة اجوبة كل واحد منها اوضح مما ذكره ابن قتيبة اولها ما حكى عن ابي العباس ثعلب انه قال انما حسن التكرار لان تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الاخرى وتلخيص الكلام قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا انتم عابدون ما اعبد في هذه الحال ايضا فاختص الفعلان منه ومنهم بالحال وقال من بعد ولا انا عابد ما عبدتم في المستقبل ولا انتم عابدون ما اعبد فيما تستقبلون فاختلفت المعاني وحسن التكرار لاختلافهما ويجب ان تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم من حاله انه لا يؤمن وقد ذكر مقاتل وغيره انها نزلت في ابي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم احد والمستهزئون هم العاص بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث وعدى بن قيس والجواب الثاني وهو جواب الفراء ان يكون التكرار للتاكيد كقول المجيب مؤكدا بلى بلى والممتنع مؤكدا لا لا ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وانشد الفراء وكائن وكم عندي لهم من صنيعة · ايادي ثنوها على واوجبوا · وانشد ايضا كم نعمة كانت لكم كم كم وكم · وقال الآخر نعق الغراب ببين لبنى غدوة · كم كم وكم بفراق لبنى ينعق · وقال الآخر اردت لنفسي بعض الامور · فاولى لنفسي اولى لها · والجواب الثالث وهو اغربها انه نفى لا اعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد اى انتم غير عابدين الله تعالى الذي انا عابده اذا اشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه او معه وانما يكون عابدا له من اخلص له العبادة دون غيره وافرده بها وقوله ولا انا عابد ما عبدتم اى لا اعبد عبادتكم وما في قوله ما عبدتم في موضع المصدر كما قال تعالى والارض وما طحاها والسماء وما بناها اى وطحيه اياها وتسويته لها وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون يريد بفرحكم ومرحكم قال الشاعر يا ربع سلمى بالمنحنى بخيف سلع جادك الوابل ·

ان تمس وحشا فيما قد ترى ... وانت معمود بها آهل . اراد فرب مثلك معمورا آهلا ومعنى قوله ولا انتم
عابدون ما اعبد اي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه ولم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعنى
وتلخيص ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للكفار لا اعبد آلهتكم وما تدعونه من دون
الله ولا انتم عابدون الهي فان زعمتم انكم عابدون الهي فانتم كاذبون اذ كنتم من غير الجهة التي امركم بها
تعبدونه فانا لا اعبد مثل عبادتكم ولا انتم ما دمتم على ما انتم عليه تعبدون مثل عبادتي فان
قيل ما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه في اختلاف العبادة قلنا انه صلى الله عليه وآله و
سلم كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلفت عبادتاهما ولانه
ايضا كان يتقرب الى المعبود بالافعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك
الافعال ويتقربون بافعال غيرها يعتقدون جهلا انها عبادة وقربة فان قيل فما معنى قوله تعالى
لكم دينكم ولي دين وظاهر هذا الكلام يقتضي اباحتهم المقام على دياناتهم قلنا في هذه الاية ثلاثة
اجوبة اولها ان ظاهر الكلام وان كان ظاهره اباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال تعالى اعملوا
ما شئتم وثانيها انه اراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء بدلالة الكلام عليه وثالثها انه
اراد لكم جزاؤكم ولي جزائي لان نفس الدين هو الجزاء قال الشاعر . اذا ما لقونا لقيناهم ودناهم
مثل ما يقرضونا . فاما التكرار في سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة فكلما ذكر
نعمة انعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره الم احسن اليك بان خولتك الاموال
الم احسن اليك بان خلصتك من المكاره الم احسن اليك بان فعلت بك كذا فيحسن منه التكرير لاختلاف
ما يقرره به وهذا كثير من كلام العرب واشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليبا . على ان ليس عدلا
من كليب . اذا طرد اليتيم عن الجزور . على ان ليس عدلا من كليب . اذا ما ضيم جيران المجير . على ان ليس
عدلا من كليب . اذا رجف العضاه من الدبور . على ان ليس عدلا من كليب . اذا خرجت مخبأة الخدور .
على ان ليس عدلا من كليب . اذا ما اعلنت نجوى الامور . على ان ليس عدلا من كليب . اذا خيف المخوف
من الثغور . على ان ليس عدلا من كليب . غداة تلاتل الامر الكبير . على ان ليس عدلا من كليب .
اذا ما خار جار المستجير . وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير . لنعم الفتى يا توب كنت اذا التقت
صدور العوالي واستشال الاسافل . ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن . لتسبق يوما كنت فيه تحاول .
ونعم الفتى يا توب كنت لخائف . اتاك لكي تحمي ونعم المجامل . ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا .
ونعم الفتى يا توب حين تفاضل . لعمري لانت المرء ابكي لفقده . بجد ولو لامت عليه العواذل .
لعمري لانت المرء ابكي لفقده . ولو لام فيه ناقص الراي جاهل . لعمري لانت المرء ابكي لفقده .
اذا كثرت بالملجمين التلاتل . ابى لك ذم الناس يا توب كلما . ذكرت امور محكمات كوامل .

ابى لك ذم الناس يا توب كلما . ذكرت سماح حين تاوي الارامل . فلا يبعدنك الله يا توب انما . لقيت حمام الموت والموت عاجل
كذاك المنايا عاجلات وآجل . ولا يبعدنك الله يا توب انما . عليك الغوادي المدجنات الهواطل
فخرجت في هذه الابيات من تكرار الى تكرار لاختلاف المعاني التي عددتها على نحو ما ذكرناه وقال الحرث بن
عباد . قربا مربط النعامة مني . لقحت حرب وائل عن حيال . ثم كرر قوله قربا مربط النعامة مني
في ابيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه وقالت ابنة عم النعمان بن بشير ترثي زوجها
وحدثني اصحابه ان مالكا . اقام ونادى صحبه برحيل . وحدثني اصحابه ان مالكا . ضروب
بنصل السيف غير نكول . وحدثني اصحابه ان مالكا . جواد بما في الرحل غير بخيل . وحدثني اصحابه ان
مالكا . خفيف على الحدثان غير ثقيل . وحدثني اصحابه ان مالكا . صروم كماضي الشفرتين صقيل .
وهذا المعنى اكثر من ان نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات بقوله تعالى ويل يومئذ
للمكذبين فان قيل اذا حسن التكرار في سورة الرحمن لما عدده من الائه ونعمه فقد عدد في جملة
ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وقوله هذه
جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فكيف يحسن ان يقول عقيب هذا
فبأي آلاء ربكما تكذبان وليس هذا من الالاء والنعم قلنا الوجه في ذلك ان فعل العقاب وان لم
يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به من اكبر النعم لان في ذلك زجرا عما يستحق به العقاب وبعثا على
ما يستحق به الثواب وانما اشار بقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب
فيها الى نعمته بوصفها والانذار بعقابها وهذا مما لا شبهة في كونه نعمة **فصل** قال السيد
الشريف المرتضى قدس الله روحه وكما انه كان في الجاهلية وقبل الاسلام وفي ابتدائه قوم
يقولون بالدهر وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويستنزلون الرزق
من غير رازقهم اخبر الله تعالى عنهم في كتابه وضرب لهم الامثال وكرر عليهم البينات والاعلام
فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعاره والدخول في
جملة اهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنعهم عز الاسلام عن المظاهرة والجاءهم
خوف القتل الى المساترة وبلية هؤلاء على الاسلام واهله اعظم واغلظ لانهم يدغلون في الدين
ويموهون على المستضعفين بجاش رابط وراي جامع من فعل من الوحشة ووثق بالانسة بما
يظهره من لباس الدين الذي هو منه على الحقيقة عار وباثوابه غير متوار كما يحكى ان عبد الكريم
بن ابي العوجاء قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور واحضر للقتل
وايقن بمفارقة الحياة لئن قتلتموني لقد وضعت في احاديثكم اربعة آلاف حديث مكذوبة
مصنوعة والمشهورون من هؤلاء هم الوليد بن يزيد بن عبد الملك والحمادون حماد الراوية وحماد بن

الزبرقان وحماد عجرد وعبد الله بن المقفع وعبد الكريم بن ابي العوجاء وبشار بن برد ومطيع بن
اياس ويحيى بن زياد الحارثي وصالح بن عبد القدوس الازدي وعلي بن خليل الشيباني وغير هؤلاء
ممن لم نذكره وهم وان كان عددهم كثيرا فقد اقلهم الله واذلهم بما شهدت به دلائله الواضحة وحججه
اللائحة على عقولهم من الضعف وارائهم من السخف ونحن نذكر من اخبار كل واحد ممن ذكرناه
وتهمته في دينه نبذة ونومي منها الى جملة كافية والذي دعانا الى التشاغل بذلك وان كانت
عنايتنا بغيره اولى مسئلة من نرعى لجانبه ونوثر موافقته فتكلفناه لذلك من جملته مع انه غير خال
من فائدة ينتفع بعلمها او يتأدب بروايتها وحفظها اما الوليد فكان مشهورا بالالحاد متظاهرا بالعناد
غير محتشم في اطراح الدين احدا ولا مراقب فيه بشرا وفي الحديث انه ولد لاخي ام سلمة
زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم سميتموه
باسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل يقال له الوليد لهو شر على هذه الامة من فرعون على
قومه قال الاوزاعي فسألت الزهري عنه فقال ان استخلف الوليد بن يزيد والا فهو الوليد بن عبد الملك
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان الوليد
ابن يزيد بن عبد الملك قد عزم ان يبني فوق بيت الحرام قبة يشرب عليها الخمور ويشرف على الطواف فقال بعض
المجان لقد رأيت المجوسي البناء وهو في الكعبة وهو يقدر مواضع اركان القبة فلم يمس تلك الليلة حتى جاء
الخبر بقتل الوليد واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني عبد الله بن يحيى العسكري عن ابي اسحق
الطلحي قال اخبرنا احمد بن ابرهيم بن اسماعيل عن ابي العالية عن بعض اهل العلم قال قال يزيد بن الوليد
وهو الملقب بالناقص لما ولي انشدت الله رجلا سمع شيئا من الوليد الا اخبر به فقام ثور بن يزيد
فقال اشهد لسمعته يقول اسقيانا وابن حرب واسترانا بازار واتركا من طلب الجنة يسعى
من خسار سأسوس الناس حتى يركبوا دين الحمار واخبرنا المرزباني قال اخبرني احمد بن خالد
النحاس قال حدثنا محمد بن مكحول قال نشر الوليد بن يزيد يوما المصحف وكان خطه كانه اصابع وجعل
يرميه بالسهام وهو يقول اتذكرني الحساب ولست ادري احقا ما تقول من الحساب فقل لله يمنعني
طعامي وقل لله يمنعني شرابي قال سيدنا الشريف المرتضى رضي الله عنه ويله من هذه الجرأة على الله
ويلا طويلا وما اقدر الله على ان يمنعه طعامه وشرابه وحياته وما اولى اللعين باليم العقاب وشديد
العذاب لولا ما شمر به الحشر ويخطئ به التكليف من تأخير المستحق من الثواب والعقاب وتبعيدهما من
احوال الطاعات والمعاصي اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني احمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد
زنديقا وانه فتح المصحف يوما فرأى فيه واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فاتخذ المصحف غرضا و
رماه بالنبل حتى مزقه وهو يقول اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد فان لقيت

ربك

فلم يمض

الصلحي

الوليد بن يزيد

وما اولاه اللئيم

ربك يوم حشر فقل يا رب خرقني الوليد واما حماد الراوية فكان منتحلا من الدين زاريا على اهله
مدمنا لشرب الخمور وارتكاب الفجور وقال عمرو بن بحر الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن
اياس ويحيى بن زياد وحفص بن ابي وردة وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ويونس بن ابي فروة وحماد عجرد و
علي بن الخليل وحماد بن ابي ليلى وحماد بن الزبرقان ووالبة بن الحباب وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد بن
الفيض وجميل بن محفوظ المهلبي وبشار بن برد المرعث وابان اللاحقي يجتمعون على الشرب وقول
الشعر ويهجو بعضهم بعضا وكل منهم كان متهما في دينه وعمل يونس بن ابي فروة كتابا في مثالب العرب
وعيوب الاسلام بزعمه وصار به الى ملك الروم فاخذ منه مالا وقال احمد بن يحيى النحوي قال رجل يهجو
حماد الراوية نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حماد بسطت مشافره الشمول فانفه
مثل القدوم يسنها الحداد وابيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد لا
يعجبنك بزه ولباسه ان المجوس يرى لها اسباد وكان حماد الراوية مشهورا بالكذب في الرواية و
عمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسه في اشعارهم حتى ان كثيرا من الرواة قالوا قد افسد
حماد الشعر لانه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل منهم ما يشاكل طريقته فاختلط
لذلك الصحيح بالسقيم وهذا الفعل منه وان لم يكن دالا على الالحاد فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية
واما حماد بن الزبرقان فهذه طريقته في التحرم والتهتك واخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن
دريد قال اخبرنا الاشنانداني قال دعا حماد بن الزبرقان ابا الغول النهشلي الى منزله وكانا يتقارضان
فانتهره ابو الغول فلم يزل المفضل به حتى اجابه وانطلق معه فلما رجع الى المفضل قال ما صنعتما وحماد
قال اصطلحنا على ان لا آمره بالصلاة ولا يدعوني الى شرب الخمر ثم انشد المفضل قوله نعم الفتى لو كان
يعرف ربه وذكر الابيات التي تقدمت في الرواية الاولى منسوبة الى هجاء حماد الراوية فاما حماد عجرد فشهرته
في الضلال لا كشهرة الحمادين وكان يرمى مع ذلك بالثنوية اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني
علي بن ابي عبد الله الفارسي قال اخبرني ابي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني علي بن عبد الله بن سعيد
قال حدثني السري بن الصباح الكوفي قال دخلت على بشار بالبصرة فقال يا ابا علي اني قد اوجعت صاحبكم
وبلغت منه يعني حماد عجرد فقلت بماذا يا ابا معاذ فقال بقولي فيه يا ابن نهيا رأس علي ثقيل
واحتمال الراسين خطب جليل فادع غيري الى عبادة ربين فاني بواحد مشغول فقلت لم ادع
في عماه فقلت له قد بلغ حمادا هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال فما يقول قلت يقول فادع غيري
الى عبادة ربين فاني عن واحد مشغول قال فلما سمعه اطرق وقال احسن والله ابن الفاعلة
ثم قال اني فلا احتشمك فلا تخبر احدا هذين البيتين وكان اذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لي
واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هارون بن محمد بن يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد

الا دفقط قال قال بشار بلغني ان رجلاً كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القارئ
فقال حماد علام يجتمعون فوالله ما اقول احسن مما يقول فمقته الناس على هذا وروى ابن شبة
عن ابي عبيدة قال كان حماد عجرد يعير بشارا بالقبح لانه كان عظيم الجسم مجدورا طويلا جاحظ العينين
قد تغشاهما لحم احمر فلما قال حماد فيه ٭ والله ما الخنزير في نتنه ٭ بربعه في النتن او خمسه ٭
بل ريحه اطيب من ريحه ٭ ومسه الين من مسه ٭ ووجهه احسن من وجهه ٭ وكفه افضل
من نفسه ٭ وعوده اكرم من عوده ٭ وجنسه اكرم من جنسه ٭ قال بشار ويلي على الزنديق لقد
نفث بما في صدره قيل له وكيف ذاك قال ما اراد الزنديق الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم فاخرج الجحود به مخرج هجائي وهذا اخبث من بشار وتغلغل شديد لطيف واول
من جعل نفي الالحاد تاكيدا للوصف به واخرج ذلك مخرج المبالغة مساور الوراق في حماد عجرد
فقال لو ان ماني وديصانا ٭ وعصبتهم جاءوا اليك لما قلنا لك زنديق ٭ انت العبادة والتوحيد
مذ خلقا ٭ وذا التزندق نيرنج مخاريق فاما ابن المقفع فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي
انه قال ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع وروى ابن شبة قال حدثني من سمع
ابن المقفع وقد مر ببيت نار للمجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل ٭ يا بيت عاتكة الذي اتعزل ٭ حذر
العدا وبه الفؤاد موكل ٭ اني لامنحك الصدود وانني ٭ قسما اليك مع الصدود لاميل ٭
وروى احمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفع يرثي يحيى بن زياد وقال الاخفش الصحيح انه يرثي
بها ابن ابي العوجاء ٭ رزئنا ابا عمرو ولا حي مثله ٭ فلله ريب الحادثات بمن وقع ٭ فان تك قد فارقتنا
وتركتنا ٭ ذوي خلة ما في انسداد لها طمع ٭ لقد جر نفعا فقدنا لك اننا ٭ امنا على كل
الرزايا من الجزع ٭ قال ثعلب البيت الاخير يدل على مذهبهم في ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج
بالخير واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي
من حفظه قال حدثنا خالد بن خداش قال كان الخليل بن احمد يحب ان يرى ابن المقفع وكان ابن
المقفع يحب ذلك فجمعهما عباد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلاثة ايام ولياليهن فقيل للخليل
كيف رايت عبد الله قال ما رايت مثله وعلمه اكثر من عقله قال المغيرة فصدق فادى عقل الخليل
علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رايت الخليل قال ما رايت مثله وعقله اكثر من علمه قال المغيرة
فصدق فادى عقل الخليل الخليل الى ان مات ازهد الناس وجهل ابن المقفع اداه الى ان كتب امانا
لعبد الله بن علي فقال فيه ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس
وعبيده احرار والمسلمون في حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة امر البيعة فكتب
الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو امير البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه

ابن المقفع

الكلام فصيح العبارة له حكم وامثال مستفادة من ذلك ما روي ان يحيى بن زياد الحارثي كتب اليه يلتمس معاقدة
الاخاء والاجتماع على المودة والصفاء فاخر جوابه فكتب اليه كتابا آخر يستبطئه فكتب اليه عبد الله
ان الاخاء رق فكرهت ان املكك رقي قبل ان اعرف حسن ملكتك وكان يقول ذلل نفسك بالصبر
على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء فان ذلك لا يكاد يخطئك وكان يقول اذا نزل بك امر
مهم فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع ودعاه عيسى بن علي الى الغداء
فقال اعز الله الامير لست يومي للكرام اكيلا قال ولم قال لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من
عشرة الاحرار وكتب الى بعض اخوانه اما بعد فتعلم العلم ممن هو اعلم منك وعلم من انت اعلم به منه
فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال لبعض الكتاب اياك والتتبع لوحشي الكلام
طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر وقال لآخر عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ
السفلة وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها وقال لا تحدثن من تخاف
تكذيبه ولا تسال من تخاف منعه ولا تعد بما لا تقدر على انجازه ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه
ولا ترج ما تعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف العجز عنه وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا
فاعلم انهم قد يحسبون الى قلة الوفاء فلا تشعرن قلبك استبطاءه فانه لم يستشعر احد قلبه شيئا
الا ظهر على لسانه ان كان سخيفا وعلى وجهه ان كان حليما وكان يقول ان مما سخى بنفس العالم عن الدنيا
علمه بان الارزاق لم تقسم فيها على قدر الاخطار فاما ابن ابي العوجاء فقد ذكرنا ما روي من
اعترافه بدسه في احاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم احاديث مكذوبة وروي انه راى عند رجل
وقد كتب عليه آية الكرسي فقال لصاحبه لم كتبت هذا عليه فقال لئلا يسرق فقال كم رايناه
ولبشار فيه ٭ قل لعبد الكريم يا ابن ابي العوجاء بعت الاسلام بالكفر موقا ٭ لا تصلي ولا تصوم
فان صمت ٭ فبعض النهار صوما دقيقا ٭ لا تبالي اذا اصبت من الخمر عتيقا ان لا تكون عتيقا ٭
ليت شعري غداة حليت في الجند حنيفا حليت ام زنديقا ٭ فاما بشار بن برد فروى المازني قال
قال رجل لبشار اتاكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى انه ثنوي فقال بشار ان هذا
اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة قال المبرد ويروى ان بشارا كان يتعصب للنار على الارض
ويصوب راي ابليس في الامتناع من السجود وروي له ٭ النار مشرقة والارض مظلمة والنار معبودة
مذ كانت النار ٭ وروى بعض اصحابه قال كنا اذا حضرت الصلاة نقوم اليها ويقعد بشار فنجعل
حوله ترابا لننظر هل يصلي فنعود والتراب بحاله لم يقم الى الصلاة اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثني علي بن ابي عبد الله الفارسي قال اخبرني ابي قال حدثني ابن مهرويه عن احمد بن خلاد
قال حدثني ابي قال كنت اكلم بشارا وارد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد فكان يقول ما اعرف

ابن ابي العوجاء

الا ما عاينت او عاينه معاين فكان الكلام يطول بينهما فقال له ما اظن الامر يا ابا مخلد الا كما يقال انه خذلان * وفي ذلك اقول * طبعت على ما في غير مخير * هواي ولو خيرت كنت المهذبا * اريد فلا اعطى واعطى ولم ارد * وقصر علمي ان انال المغيبا * واصرف عن قصدي وعلمي مقصر * فامسي وما اعقبت الا التعجبا * قال الجاحظ كان بشار صديقا لواصل بن عطاء الغزال قبل ان يظهر مذاهبه المكروهة وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت على البديهة فقال * تكلفوا القول والاقوام قد حفلوا * وحبروا خطبا ناهيك من خطب * فقام مرتجلا تغلي بداهته * كمرجل القين لما حف باللهب * وجانب الراء ولم يشعر به احد * قبل التصفح والاغراق في الطلب * ومثل ذلك قول بعضهم في واصل بن عطاء * ويجعل البر قمحا في تكلمه * وجانب الراء حتى احتال للشعر * ولم يطق مطرا والقول يعجله * فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر * فلما اظهر بشار مذاهبه هتف به واصل وقام بذكره وتكفيره وبعد فقال بشار فيه * ما لي اشايع غزالا له عنق * كنقنق الدو ان ولى وان مثلا * عنق الزرافة ما بالي وبالكم * تكفرون رجالا كفروا رجلا * فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحادة قال عند ذلك اما لهذا الاعمى الملحد اما لهذا المشنف المكتني بابي معاذ من يقتله اما والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه في جوف منزله على مضجعه او في يوم حفله ثم كان لا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي فعدل واصل بن عطاء من البصير الى الاعمى ومن الكافر الى الملحد ومن المرعث الى المشنف ومن بشار الى ابي معاذ ومن الفراش الى المضجع وذاد يوم فقال او من ارسلت الى من سبب ومن بيقر الى منزله ومن المغيرية الى الغالية والاول اشبه بان يكون مقصودا بان ذكرت ثانيا فقد يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الراء فاما قوله لا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي فلان بشارا كان مولى لهم وذكر بني سدوس لان بشارا كان ينزل فيهم فاما لقب بشار بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة اقوال احدها انه لقب بذلك لبيت قاله وهو * قال ريم مرعث * ساحر الطرف والنظر * لست والله نائلي * قلت او يغلب القدر * والقول الثاني انه كان لبشار ثوب له جيبان احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فكان اذا اراد لبسه ضمه عليه ضما من غير ان يدخل راسه فيه فشبه اسفلهما بالحبيبين وشبهتهما بالرعاث وهي القرطة فقيل المرعث وقال ابو عبيدة انما سمي المرعث لانه كان يلبس في صباه رعاثا وهذا هو القول الثالث وكان بشار مقدما في الشعر جدا حتى ان كثيرا من الرواة يلحقونه بتقدم عصره عليه من المجودين اخبرنا المرزباني عن محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسين اليشكري قال قيل لابي حاتم من اشعر الناس قال الذي يقول * ولها مبسم كغر الاقاحي * وحديث كالوشي وشي البرود * نزلت في السواد من حبة القلب * ونالت زيادة المستزيد * عندها الصبر عن لقائي وعندي

نفرات يا كلن صبر الجليد * يعني بشارا قال فكان يقدمه على جميع الناس وقد قال بشار بني امية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود * ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناي والعود * فبلغ ذلك المهدي فوجد عليه وكان ذلك سببا لقتله مجلس آخر فاما مطيع بن اياس الكناني فاخبرنا ابو عبيد الله المرزباني عن علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن ابي ايوب المدني عن احمد بن ابراهيم الكاتب الجزري عن ابيه قال رايت بنت المطيع قد اتى بها في اول ايام الرشيد فاقرت بالزندقة وقراتها ونابت وقالت هذا شيء علمنيه ابي فقبل الرشيد توبتها وردها الى اهلها وقال محمد بن داود بن الجراح في اخبار مطيع انه كان يرمى بالزندقة وروي انه لما حضرته الوفاة احاط به اهل بيته فاقبلوا يقولون له قل يا مطيع لا اله الا الله فلا يقول حتى اذا صارت نفسه في تغراغره تنفس ثم اهوى الى الكلام فقالوا له قل لا اله الا الله فتكلم كلاما ضعيفا فتسمعوا له فاذا هو يقول * الهف نفسي على الزمان وفي * اي زمان دهتني الازمان * حاء الربيع واستقبل الصيف وطاب الطلاء والريحان * قال المرزباني وهذا الحديث يروى للهيثم بن عدي ليحيى بن زياد فاما يحيى بن زياد الحارثي الكوفي فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي الكوفي وزياد بن عبيد الله هو خال ابي العباس السفاح ويكنى يحيى ابا الفضل وكان يعرف بالزندقة وكانوا اذا وصفوا انسانا بالظرف قالوا هو اظرف من الزنديق يعنون يحيى لانه كان ظريفا وهذا المعنى قصده ابو نواس بقوله * تيه مغن وظرف زنديق * قال الصولي وانما قال ذلك لان الزنديق لا يرجع عن شيء ولا يمتنع مما يدعى اليه فنسبه الى الظرف لمساعدته على كل شيء وقلة خلافه وروي انه قيل ليحيى بن زياد وهو يجود بنفسه قل لا اله الا الله فقال لا ينبني الا الغيظ والجلد اجل ثم اغمي عليه فلما افاق اعيد عليه القول فقال * وما ذاك تغلي به المراجل * وروى محمد بن يزيد قال قال مطيع بن اياس يرثي يحيى بن زياد وكانا جميعا مرميين بالخروج عن الملة * يا اهل بكوا لقلبي القرح * وللدموع السواكب السفح * راحوا بيحيى الى مغيبه * في القبر بين التراب والصفح * راحوا بيحيى ولو تطاع لنا الاقدار * لم نبتكر ولم ترح * يا خير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان امس للمدح * قد ظفر الحزن بالسرور وقد * اديل مكروهنا من الفرح * ولمطيع يرثيه * انظر الى الموت كيف يا دهر * والموت مقدامة على البهم * لو قد تدبرت ما صنعت به * قرعت سنا عليه من ندم * فاذهب بما شئت اذ ذهبت به * ما بعد يحيى للرزء من الم * قال فاما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهرا بمذاهب الثنوية ويقال ان ابا الهذيل العلاف ناظره فقطعه ثم قال له على اي شيء تعزم يا صالح استخير الله واقول بالاثنين فقال ابو الهذيل فايهما استخرت لا ام لك وروي ان ابا الهذيل ناظره في مسئلة مشهورة في الامتزاج الذي ادعوه بين النور والظلمة فاقام عليه الحجة وانقطع فانشا يقول * ابا الهذيل هداك الله يا رجل * فانت حقا لعمري معضل جدلي وروي

علي بن الخليل

انه رُؤي يصلي صلاة تامة الركوع والسجود فقيل له ما هذا ومن هيبك معروف سنته البلد فقال عادة الجسد وسلامة الاهل والولد ويقال انه لما اراد المهدي قتله على الزندقة دعى اليه بكتاب وقال له اقرا هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح او تعرفه انت يا امير المومنين اذا قراته قال لا قال فتقتلني على ما لا تعرف قال فاني قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق وكذلك اقراه لست بزنديق وذكر محمد بن يزيد المبرد قال ذكر بعض الرواة ان صالحا لما نوظر فيما قرف به من الزندقة بحضرة المهدي قال له المهدي الست القائل في حفظك يا ناعليه ودب سر كتمته فكاني اخرس او ثنى لسانه الخبل ولو اني ابديت للناس علمي لم يكن لي في غير حبسي اكل فقال صالح فاني اتوب وارجع فقال هيهات الست القائل والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه اذا ارعوى عاد الى جهله كذي الضنا عاد الى نكسه ثم قدم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره وهو في الحبس خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى اذا دخل السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا فان حسنت لم تات عجلا وابطات وان قبحت لم تحتبس واتت عجلى طوى دوننا الاخبار سجن ممنع له حارس تهدا العيون ولا يهدا قبرنا ولم ندفن ونحن بمعزل من الناس لا نخشى فنغشى ولا نغشى الا احد ياوي لاهل محلة مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا قال سيدنا الشريف المرتضى رضي الله عنه واظن ان ابن الجهم لحظ قول صالح فنغشى ولا نغشى في قوله يصف الحبس بيت يجدد للكريم كرامه ويزار فيه ولا يزور فيحفد فاما علي ابن الخليل فذكر محمد بن داود قال كان علي بن الخليل وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى ابا الحسن وهو كوفي متهم بالزندقة فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم قصد الرقة وبها الرشيد فمدحه ومدح الفضل بن الربيع وروى انه لما قصد الرقة للظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة حسن الخضاب معه قصيدة يخاشا دبها فامر الرشيد باخذها منه فقال يا امير المومنين انا احسن قراءة لها من غيري فاذن لي في قراءتها ففعل فقال اني شيخ كبير ولا امن الاضطراب اذا قمت فان رايت ان تاذن لي في الجلوس فعلت فقال له اجلس فجلس ثم انشا يقول يا خير من وخدت بارحله نجب الركاب بمهمه جلس تطوى السباسب في ازمتها الجلس الغليظ من الارض يعول الدرس العطوع يمتطي النجاد عمايم البرس لما اتتك الشمس طالعة سجدت لوجهك طلعة الشمس خير الخلائف في بومك الماضي وفي امس وكذاك لا تنفك خيرهم تمسي وتصبح فوق ما تمسي من عصبة طابت ارومتها اهل العفاف ومنتهى القدس فوق النجوم فروع منبتهم ومع الحضيض منابت الغرس اني دخلت اليك من فزع كان التوكل عنده ترسي ماذاك الا انني

رجل اسمو الى قمر من الانس بقراوش لا قرين لها يقتلن بالتطويل في الحبس واجاذب الفتيان بينهم صهباء مثل مجاجة الورس للماء في حافاتها حبب نظم كنظم صحايف الفرس والله يعلم في بقيته ما اضعت اقامة الخمس فقال له هرون من انت قال علي بن الخليل الذي يقال انه زنديق قال انت امن وكتب الى حمدويه ان لا تعرض له ومن تركنا ذكره من هولاء اكثر ممن ذكرناه وانما اعتمدنا من كان بهذه البلية اشهر وامرهم فيها اظهر واوردنا مع ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل واذ قد ذكرنا جملة من اخبار اهل الضلالة والمنقادين للجهالة حسب ما سالنا فنحن نتبعها بشيء من اخبار اهل التوحيد والعدل وملح حكاياتهم ومستحسن الفاظهم ليعلم الفرق بين من تحققت صفقته ومن خسرت صفقته فقد سالنا ايضا ذلك اعلم ان اصول التوحيد والعدل ماخوذة من كلام امير المومنين رضي الله عنه وخطبه فانها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية وراءه ومن تامل الماثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ما اسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول وروى عن الائمة من ولده من ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة ومن احب الوقوف عليه وطلبه من مكانه اصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئا مما روى عنهم في هذا الباب فمن ذلك ما روى عن امير المومنين عليه السلم وهو يصف الله بمضادته بين الاشياء علم انه لا ضد له وبمقارنته بين الامور علم انه لا قرين له ضاد النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة بالبلل والصرد بالحرور مؤلف بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها وروى عنه عليه السلام انه سئل بم عرفت ربك فقال بما عرفني به قيل وكيف عرفك فقال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس وقيل له رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلق فقال كما يرزقهم فقيل له كيف يحاسبهم ولا يرونه وساله رجل فقال اين كان ربك قبل ان يخلق السماء والارض لمن سوال عن مكان وكان الله ولا مكان وروى عن ابي عبد الله الصادق رضي الله عنه انه ساله محمد الحلبي فقال له هل راى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه فقال نعم راه بقلبه فاما ربنا جل جلاله فلا تدركه ابصار الناظرين ولا يحيط به اسماع السامعين وروى صفوان بن يحيى قال دخل ابو قرة المحدث على ابي الحسن الرضا عليه السلم فساله عن اشياء من الحلال والحرام والاحكام والفرائض حتى بلغ سواله الى التوحيد فقال ابو قرة انا روينا ان الله تعالى قسم الكلام والرؤية فقسم لموسى الكلام ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الرؤية فقال الرضا فمن المبلغ عن الله تعالى الى الثقلين الجن والانس انه لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء اليس محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا صادقا قال بلى قال كيف يجيء رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله تعالى يدعوهم اليه بامره ويقول لا تدركه الابصار ولا

مسائلة الشامي مع امير المؤمنين في التوحيد القضا والقدر

يحيطون به علما وليس كمثله شيء ثم يقول سأراه بعيني واحيط به علما اما تستحيون ما قدرت الزنادقة
ان ترميه بهذا ان يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه اخر قال ابو قرة فانه يقول ولقد
رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قال رضي الله عنه ما بعد هذه الآية يدل على ما رأى حيث
يقول ما كذب الفؤاد ما رأى يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ثم اخبر بما رأى فقال لقد
رأى من آيات ربه الكبرى وآيات الله غير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علما فاذا رأته
الابصار فقد احاط به العلم فقال ابو قرة افتكذب بالرؤية فقال الرضا عليه السلام اذا القرآن
كذبها وما اجمع عليه المسلمون من انه لا يحاط به علما ولا تدركه الابصار وليس كمثله شيء واتى اعرابي
ابا جعفر محمد بن علي عليهما السلام فقال له هل رأيت ربك حين عبدته فقال لم اكن اعبد شيئا
لم اره فقال كيف رأيته فقال عليه السلام لم تره الابصار بمشاهدة العيان بل رأته القلوب بحقائق
الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور في قضيته
وهو الله لا اله الا هو فقال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وروي ان شيخا حضر صفين مع امير فقال الاعرابي
المؤمنين عليه السلام فقال له اخبرنا يا امير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء من الله وقدر
قال له نعم يا اخا اهل الشام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا
ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله فقال الشامي عند الله احتسب عنائي يا امير المؤمنين وما اظن وقدره
ان لي اجرا في سعيي اذ كان الله قضاه علي وقدره فقال له رضي الله عنه ان الله قد اعظم لكم الاجر
على مسيركم وانتم سائرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا
اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان
مسيرنا وانصرافنا فقال له ويحك يا اخا اهل الشام لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان
ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله والنهي ولما كان
المحسن اولى بثواب الاحسان من المسيء والمسيء اولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان
وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله عز وجل
امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يطع مكرها ولم يعص
مغلوبا ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الانبياء لعبا ولم ينزل الكتب الى عباده عبثا ولا خلق السموات
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار قال الشامي فما القضاء
والقدر اللذان كان مسيرنا بهما وعنهما قال الامر من الله تعالى بذلك والحكم ثم تلا وكان امر الله قدرا
مقدورا فقام الشامي فرحا مسرورا لما سمع هذا المقال فقال فرجت عني يا امير المؤمنين فرج
الله عنك وانشأ يقول: انت الامام الذي نرجو بطاعته * يوم الحساب من الرحمن غفرانا * اوضحت من يوم النشور

الحسن البصري

امرنا ما كان ملتبسا * جزاك ربك بالاحسان احسانا * وروي ان ابا حنيفة النعمان بن ثابت قال
دخلت المدينة فاتيت ابا عبد الله رضي الله عنه فسلمت عليه وخرجت من عنده فرأيت ابنه موسى
في دهليزه قاعدا في مكتبه وهو صغير السن فقلت له اين يحدث الغريب اذا اراد ذلك فنظر الي ثم
قال يجتنب شطوط الانهار ومساقط الثمار وافنية الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع
ويرفع بعد ذلك حيث شاء فلما سمعت هذا القول نبل في عيني وعظم في قلبي فقلت له جعلت فداك
فمن المعصية فنظر الي ثم قال اجلس حتى اخبرك فجلست فقال ان المعصية لا بد ان تكون من العبد
او من ربه او منهما جميعا فان كانت من الله تعالى فهو اعدل وانصف من ان يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعل
وان كانت منهما فهو شريكه والقوي اولى بانصاف عبده الضعيف وان كانت من العبد وحده فعليه
وقع الامر واليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار فلما سمعت ذلك منه قلت
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم وقد نظم هذا المعنى شعرا فقيل * لم تخل افعالنا اللاتي نذم
بها * احدى ثلاث خلال حين نأتيها * اما تفرد بارينا بصنعتها * فيسقط اللوم عنا حين ننشيها
او كان يشركنا فيها فيلحقه * ما سوف يلحقنا من لائم فيها * او لم يكن لالهي في جنايتها * ذنب فما
الذنب الا ذنب جانيها * واحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن بن ابي الحسن البصري
واسم ابيه يسار من اهل ميسان مولى لبعض الانصار وكان اسم امه خيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ويقال ان ام سلمة كانت تأخذ الحسن اذا بكى فتسكته بثديها فكان
يدر عليه فيقال ان الحكمة التي اوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة
فمن يصرح بالعدل ما رواه علي بن الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله عز
وجل جاء يوم القيامة مسودا وجهه ثم قرأ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
وقال داود بن ابي هند سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء وقدر الا المعاصي وكان الحسن بارع
الفصاحة بليغ المواعظ كثير العلم وجميع كلامه في الوعظ وذم الدنيا او جله مأخوذ لفظا ومعنى
او معنى دون لفظ من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فهو القدوة والغاية فمن ذلك
قوله رضي الله عنه ان شيئين احدهما مأخوذ من الآخر احدهما اكثر شيء في الدنيا والآخر اقل شيء في
الدنيا العبر والاعتبار وقوله رضي الله عنه مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متى
ازددت من احدهما قربا ازددت من الآخر بعدا وقوله رضي الله عنه شتان بين عملين عمل تذهب
لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى اجره وقوله في صفة الدنيا ما اصف من دار اولها
عناء وآخرها فناء * في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها امن ومن مرض فيها ندم
ومن استغنى فتن ومن افتقر حزن وقوله في كلام له ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها

استدمت اليك بل متى عرتك ام بمصارع آبائك من الثرى ام بمنازل امهاتك من البلى كم مرضت
بكفيك وكم عالجت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء مثلت لك بهم الدنيا
نفسك وبمصرعهم مصرعك قال المرتضى رضي الله عنه وهذا باب ان ولجناه اغرقنا منه بحر
زاخر وشؤبوب غمام ماطر وكل قول في هذا الباب تقاصر اذا اضيف اليه او قوبل به كان كاضافة القطرة
الى الغمرة والحصاة الى الحرة وانما اشرنا اليه اشارة ولوحنا اليه ايماء ثم نعود الى ما كنا فيه وروى
ان اعرابيا سمع كلام الحسن البصري فقال المؤمن فصيح اذا لفظ فصيح اذا وعظ وروى ان الحسن تلا يوما
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ثم قال ان قوما غدوا في المطارف العتاق والعمائم
الرقاق يطلبون الامارات ويضيعون الامانات يتعرضون للبلاء وهم في عافية حتى اذا اخافوا من فوقهم
من اهل العفة وظلموا من تحتهم من اهل الذمة اهزلوا دينهم واسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم وضيقوا
قبورهم الم ترهم قد جددوا الثياب واخلقوا الدين يتكئ احدهم على شماله يأكل من غير ماله طعامه غصب
وخدمه سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد بارد ورطب بعد يابس حتى اذا اخذته الكظة تجشا
من البشم ثم قال يا جارية هاتي هاضوما يعني هاضوما يهضم الطعام يا احيمق لا والله ان تهضم الا
دينك ابن جارك ابن يتيمك ابن مسكينك ابن ما اوصاك الله تعالى به وذكر يوما الحجاج فقال اتانا
اعيمش اخيفش له جميمة يرجلها واخرج الينا بنانا قصارا والله ما عرقت فيها عنان في سبيل الله
فقال بايعوني فبايعناه ثم رقي هذه الاعواد ينظر الينا بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يامرنا بالمعروف
ويجتنبه وينهانا عن المنكر ويرتكبه وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلعة فا
فاقدعوها فانكم ان تطيعوها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فانها سريعة الدثور قال
عيسى بن عمر فحادثت بذلك ابا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته وكان يقول في بعض كلامه ما تشاء
ان ترى احدهم ابيض بضا يملخ في الباطل ملخا ينفض مذرويه ويقول ها انا ذا فاعرفوني قال ابن
... لرخص اللحم وليس هو من البياض على ما يظنه قوم لانه قد يكون الرخاصة مع الادمة فاما قوله
يملخ فان الملخ هو التثني والتكسر يقال ملخ الفرس اذا لعب قال رؤبة يصف الحمار معتزم التجليح ملاخ
الملق والمذروان فرعا الاليتين قال عنترة احولي تنفض استك مذرويها لتقتلني فها انا ذا
عمارا هذا قول ابي عبيدة وقال ابن قتيبة وانا عليه ليس المذروان فرعي الاليتين حسب بل هما
الجانبان من كل شيء تقول العرب جاء فلان يضرب اصدريه ويضرب عطفيه وينفض مذرويه
وهما منكباه وذكر انه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول قنع الشيب مذرويه يريد جانبي راسه
وهما فوداه وانما سميا بذلك لانهما يذريان اي يشيبان والذري الشيب قال وهذا اصل الحرف
ثم استعير للمنكبين والاليتين والطرفين من كل شيء قال ابن عابد الهذلي يذكر قوسا على عجس

الحسن البصري

هتافة المذروين زوراء مضجعة في الشمال اراد قوسا يبيض طرفاها قال ولا معنى لوصف الرجل
الذي ذكره الحسن بانه يحرك اليتيه ولا من شان من يبذخ ويختال على نفسه ويقول ها انا ذا فاعرفوني
انه يحرك اليتيه وانما اراد انه يضرب عطفيه وهذا مما يوصف به المرح المختال الذي يزهى بنفسه
وربما قالوا جاء ينفض مذرويه اذا كان يتهدد ويتوعد لانه اذا تكلم وحرك راسه نفض فوديه
وهما مذرواه قال عبد الله وهذا ليس الذي ذكره ابو عبيد ببعيد ولان من شان المختال الذي يزهى
بنفسه ان يهتز ويتثنى فتتحرك اعطافه واعضاؤه ومذرواه من جملة ما يهتز ويتحرك لانهما بارزان من جسمه
فيظهر فيهما الاهتزاز وانما خص المذروين بالذكر مع غيرهما يتحرك ايضا على طريق التقبيح على هذا
المختال والتهجين لفعله وقول ابن قتيبة ليس من شان من يبذخ ان يحرك اليتيه ليس بشيء لان
الاغلب من شان البذاخ المختال الاهتزاز وتحريك الاعطاف على ان هذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من
شان كل متوعد ان يحرك راسه وينفض مذرويه فاذا قال ان في الاكثر قيل له مثله وكان الحسن
يقول يا ابن ادم جمعا جمعا شدا شدا في وعاء وشدا في وكاء وركوب الذلول ولبس اللين ثم
قيل مات فافضى والله الى الآخرة فطال حسابا وكان يقول مسكين ابن ادم مكتوم الاجل مكنون العلل
اسير جوع صريع شبع ان من تؤلمه البقة وتقتله الشرقة لبادي الضعف قريب الحتف وكان يقول
ما اطال احد الامل الا اساء العمل وكتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان طول البقاء الى فناء
فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى والسلام وكان يقول اذا رايت رجلا ينافسك في الدنيا
فنافسه في الآخرة وسأله رجل ما حالك فقال ما اشد حال من اصبح وامسى ينتظر الموت ولا يدري
ما يفعل الله به وكان يقول يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك
فامل ما شئت فاكثر او اقلل وفي خبر آخر ووكل بك ملكان كريمان ريقك مدادهما ولسانك قلمهما
وروى ابو بكر الهذلي قال لما قدم عمر بن هبيرة واليا على العراق نزل واسطا فبعث الى الشعبي
والى الحسن البصري فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك عبد اخذ الله ميثاقه وانتجبه لخلافته وقد
اخذ بنواصينا واعطيناه عهودنا ومواثيقنا وصفقة ايدينا فوجب علينا السمع والطاعة له وانه
بعثني الى عراقكم بغير سائل له ثم الاوامر لا تزال يبعث الينا في القوم نقتلهم او في الضياع نقبضها
وفي الدور نهدمها فنوليه من ذلك ما ولاه الله فما تريان فاما الشعبي فقال قولا فيه بعض
اللين واما الحسن فانه قال يا عمر اني انهاك عن الله ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد وما
يمنعك يزيد من الله انه يوشك ان ينزل عليك ملك من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك من
سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لا ينجيك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصرا لدين الله
فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطان الله تذلونهم به فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

عز وجل وذكر من الشعبي انه قال كان والله الحسن اكرهنا عليه ورو ابو بكر بن عياش قال قال مسلمة
بن عبد الملك للحسن عظني فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به قال عظني قال او ليت قط مال
نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك فأته الى من وليته وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن اخذ
عطائي ام ادعه حتى اخذه من حسناتهم يوم القيمة فقال له قم ويحك خذ عطاك فان القوم مفاليس
من الحسنات يوم القيمة وولد للحسن غلام فهناه بعض اصحابه فقال الحسن نحمد الله على هبته
ونسئله بره من نعمة ولا مرحبا بمن ان كنت غنيا اذهلني وان كنت فقيرا اتعبني لا ارضى بسعيي له
سعيا ولا بكدي له في الحياة كدا اشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وانا في حال لا يصل الي
من همه حزن ولا من فرحه سرور وكان الحسن يقول لو لم يكن من شؤم الشراب الا انه خباء الى احب خلق
الله فاسده لكان ينبغي للعاقل ان يتركه يعني العقل وعزى رجلا جاءه بهونا فقال له اجرك الله على
مصيبتك باعظم ما جازى به احدا من اهل ملتك وهذا التخلص منه مليح لانه لم يدع له بالثواب
الذي لا يستحقه الكفار وزاد بالجزاء والعوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب وكان الحسن
يقول ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة ولا لاهل الاهواء والبدع غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة
وقال في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال العلم وفي الآخرة حسنة قال الجنة وخرج
الحسن في جنازة معها نوائح فقال له رجل اما ترى يا ابا سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع فقال
له الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا اسرع ذلك في دينك فذكرت عنده الدنيا فقال
احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان يتمثل اليوم عندك دلها وحديثها
وغدا لغيرك كفها والمعصم وعن ابي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من خضراء واسط نادى في الناس ان
يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف اهل الشام على
ان يقتلوه فرجع وهو يقول قد نظرنا يا اخبث الخبيثين وافسق الفاسقين فاما اهل السماء
فمقتوك واما اهل الارض فغروك ثم قال ان الله تعالى للميثاق الذي اخذه على اهل العلم ليبيننه
للناس ولا يكتمونه ثم انصرف فبلغ ذلك الحجاج فقال يا اهل الشام وهم حوله آلله ليقوم عبيد
من عبيد اهل البصرة فيتكلم في بما تكلم به ثم لا يكون عند احد منكم تغيير ولا نكير فقالوا ومن
ذاك اصلحك الله فقال علي به وامر بالنطع والسيف فاحضر ووجه اليه فلما دنا الحسن
الى الباب حرك شفتيه والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج ههنا واجلسه قريبا من فرشه
وقال له ما تقول في علي وعثمان قال اقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال موسى عليه السلام
لفرعون اذ قال له ما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى علم
علي وعثمان عند الله تعالى فقال له الحجاج انت سيد العلماء يا ابا سعيد ثم دعا بغالية فغلل بها

لحيته فلما خرج الحسن تبعه الحاجب فقال يا ابا سعيد والله لقد دعاك لغير ما فعل بك لقد احضر النطع
والسيف فلما اقبلت ورأيتك قد حركت شفتيك بشيء فما قلت قال قلت يا عدتي عند كربتي و
يا صاحبي عند شدتي ويا وليي في نعمتي ويا الهي واله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ارزقني مودته
واصرف عني اذاه ومعرته ففعل بي ربي ذلك وكان الحسن يقول ما زال النفاق مقموعا حتى عمم
هذا عمامته وقلد سيفا يعني الحجاج ورو ابو بكر الهذلي ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد ان الشيعة
تزعم انك تبغض عليا رضي الله عنه فاكب يبكي طويلا ثم رفع رأسه فقال لقد فارقكم بالامس
رجل كان سهما من مرامي الله عز وجل على عدوه رباني هذه الامة وذو شرفها وفضلها وذو قرابة
من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قريبة لم يكن بالنؤومة عن امر الله تعالى ولا بالغافل عن حق الله تعالى
ولا بالسروقة من مال الله اعطى القرآن عزائمه في ماله وعليه فاشرف منها على رياض مونقة واعلام
بينة ذاك علي بن ابي طالب يا لكع وكان الحسن اذا اراد ان يحدث في زمن بني امية عن علي رضي الله عنه
قال قال ابو زينب وشهد الحسن جنازة فقال ان امرا هذا آخره لينبغي ان يزهد في اوله وعن حميد
الطويل قال خطب رجل الى الحسن ابنته فكنت السفير بينهما فرضيه واراد ان يزوجه فاثنيت عليه
ذات يوم وقلت وازيدك يا ابا سعيد ان له خمسين الفا فقال قلت له خمسون الفا ما اجتمعت
من حلال قلت يا ابا سعيد انه والله ما علمت لورع مسلم فقال ان كان جمعها من الحلال لقد
ضن بها على حق لا يجزيني والله بحبه وبينه صهر ابدا وقيل لعلي بن الحسين بن علي رضي الله
عنهم قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك وانما العجب ممن نجا كيف نجا قال رضي الله عنه انا اقول
ليس العجب ممن نجا كيف نجا انما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله واتى رضي الله عنه يوما
الحسن البصري وهو يقص عند الحجر فقال له أترضى يا حسن نفسك للموت قال لا قال فعملك للحساب قال
لا قال فثم دار للعمل غير هذه قال لا قال فلله في ارضه معاذ غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل
الناس عن الطواف ثم مضى الى مجلس آخر وممن تظاهر بالقول بالعدل واشتهر به واصل بن عطاء الغزال
ويكنى ابا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل انه مولى بني مخزوم وقيل انه مولى بني هاشم وروي
انه لم يكن غزالا وانما لقب بذلك لانه كان يكثر الجلوس في الغزالين وقيل انه كان يجلس في الغزالين
عند صديق له يعرف بابي عبد الله الغزال وذكر المبرد ان واصلا كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات
من النساء فيصرف صدقته اليهن ولقب بذلك كما لقب ابو سلمة حفص بن سليمان بالخلال وهو
وزير ابي العباس السفاح ولم يكن خلالا وانما كان منزله بالكوفة بقرب الخلالين فكان يجلس عندهم
فسمي خلالا ومثله ابو علي الحرمازي هو مولى لبني هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل بمكة في
الحرمازيين وابو سعيد المقبري لانه ينزل بالمقابر وكان واصل الثغ في الراء فتجنب اللثغة وكان يخلص كلامه

من الرآء ويعدل عنها في سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفا من ذلك في اخبار بشار بن برد وذكر ابو الحسين البرذعي المتكلم ان انسانا سال عمرو بن عبيد او غيره عن شيء في القدر بحضرة واصل بن عطاء فتكلم السائل بشيء اغضب عمرا فاجابه عمرو بجواب لم يرضه واصل فقال له واصل اياك واخوة الغضب فانهما منه شر والشيطان يكون معها ولهذا في نفخها همزة وقد اوجب الله تعالى على نبيه عليه السلام ان يستعيذ من همزات الشياطين وان يكونوا معه بقوله اعوذ بك من همزات الشياطين الى خاتمة الاية وقلما شاهدت احدا اجاب فتثبت في جوابه وما يطلق به لسانه فلحقه لوم قال البرذعي انظر الى واصل كيف علم عمرا اخرج الرآء من كلامه فقال موضع والشيطان يحضرها يكون معها وقد اوجب الله على نبيه ولم يقل امر وقال وان يكونوا معه بدلا من قوله ان يحضروه ثم الى قال الى خاتمة الاية ولم يقل الى اخر الاية قال المرتضى رضي الله عنه ومما لم يذكره البرذعي انه عدل عن افتتاح الاية من اجل الرآء ايضا لان اولها وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين ولولا قصده الى العدول لكان ذكرها واجبا من ابتدائها لا سيما وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به وقيل ان رجلا قال له كيف تقول اسرج الفرس فقال البد الجواد وقال له اخر كيف تقول ركب فرسه وجر رمحه فقال استوى على جواده وسحب عامله وذكر ابو الحسين الخياط ان واصلا كان من اهل مدينة الرسول صلى الله عليه واله وسلم ومولده سنة ثمانين ومات سنة احدى وثلاثين ومائة وكان واصل ممن لقي ابا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه واخذ عنه وقال قوم انه لقي اباه محمدا رضي الله عنه وذلك غلط لان محمدا توفي سنة ثمانين او احدى وثمانين وواصل ولد في سنة ثمانين وواصل هو اول من اظهر المنزلة بين المنزلتين لان الناس كانوا في اسماء اهل الكبائر من اهل الصلاة على اقوال كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك والمرجئة تسميهم بالايمان وكان الحسن البصري واصحابه يسمونهم بالنفاق فاظهر واصل القول بانهم فساق غير مؤمنين ولا كفار ولا منافقين وكان عمرو بن عبيد من اصحاب الحسن وتلامذته فجمع بينه وبين واصل ليناظره فيما اظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين فلما وقفوا على الاجتماع ذكر ان واصلا اقبل ومعه جماعة من اصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى واصل وكان في عنقه طول واعوجاج قال ارى عنقا لا يفلح صاحبه فسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له يا ابن اخي ان من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق الذي بين الصانع والمصنوع فقال له عمرو بن عبيد يا ابا حذيفة قد وعظت فاحسنت ولن اعود الى مثل الذي كان مني وجلس في الحلقة وسئل ان يكلم عمرا فقال واصل لعمرو لم قلت ان من اتى كبيرة من اهل الصلاة يستحق اسم النفاق فقال عمرو لقوله تعالى والذين يرمون المحصنات

ثم

ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون ثم قال في موضع اخر ان المنافقين هم الفاسقون فكان كل فاسق منافقا اذ كانت الف ولام المعرفة موجودتين في الفاسق فقال له واصل اليس قد وجدت الله تعالى يقول ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون كما انه في القاذف فاولئك هم الفاسقون فسميته منافقا بقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون فامسك عمرو ثم قال له واصل يا ابا عثمان اي ما اولى ان يستعمل في اسماء المحدثين في امتنا ما اتفق عليه اهل الفرق من اهل القبلة او ما اختلف فيه فقال العمرو بل ما اتفقوا عليه اولى فقال له واصل اليست تجد اهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من اسمائه لان الخوارج تسميه مشركا فاسقا والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقا قال السيد رضي الله عنه يعني بالشيعة الزيدية والحسن يسميه منافقا فاسقا والمرجئة تسميه مؤمنا فاسقا فاجمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما عدا ذلك من اسمائه فالواجب ان يسمى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الاسماء التي اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقا ولا يقال فيه انه مؤمن ولا منافق ولا مشرك ولا كافر فهذا اشبه باهل الدين فقال له عمرو بن عبيد ما بيني وبين الحق عداوة والقول قولك فليشهد علي من حضر اني تارك للمذهب الذي كنت ذهبت اليه من نفاق صاحب الكبيرة من اهل الصلاة قايل بقول ابي حذيفة في ذلك واني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب فاستحسن الناس هذا من عمرو وقيل ان اسم الاعتزال انما اختصت به هذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن ابي الحسن في تسميته مرتكب الكبيرة من اهل الصلاة بالنفاق وحكى غير ذلك وقيل ان قتادة بعد موت الحسن البصري كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو بن عبيد جميعا رئيسين مقدمين في اصحاب الحسن فجرت بينهما نفرة فاعتزل عمرو مجلس قتادة فاجتمع اليه جماعة من اصحاب الحسن وكان قتادة اذا جلس مجلسه سال عن عمرو واصحابه فيقول ما فعلت المعتزلة فسموا بذلك قال قدس الله روحه اما ما الزمه واصل عطاء لعمرو بن عبيد فلا شبهة في انه لازم واما ما تكلم به ثانيا فغير واجب ولا لازم لان الاجماع ان وجب في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق وغيره من الاسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع ان يسمى بذلك لدليل غير الاجماع ووجود الاجماع في الشيء وان كان دليلا على صحته فليس فقده دليلا على فساده وواصل انما الزم عمرا ان يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر على التسمية بالفسق للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لزم ما ذكره للزمه ان يقال قد اتفق اهل الصلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من اهل القبلة الذم والعقاب ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد في العقاب ويقول انهم اجمعوا على استحقاقه للعقاب ولم يجمعوا على فعل المستحق به فيجب ان اقول انا اتفقوا

عليه

عليه واتفقوا واختلفوا فيه فاذا قيل لهم استحقاقه للخلود او فعل المستحق به من العقاب وان لم يجمع عليه فقد علم بدليل غير الاجماع قيل له مثل ذلك فيما عول عليه وبطل على كل حال ان يكون الاختلاف في القول دليلا على وجوب الامتناع منه وهذا ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها يطول على ان المقدمة التي قدمها لا تشبه ما الزم عليها لان الاجماع اولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل والاجماع والاختلاف في الموضع الذي كلم عليه واصل عمرا في الكبائر لان الاجماع هو على تسميته بالفسوق والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الاسماء فلا تعارض بينهما ولو ان ياخذ بالاجماع في موضع صنعه ويقول فيما الاختلاف فيه على دلالة غير الاجماع لان فقد الاجماع من القول يوجب بطلانه وحكي ان واصلا كان يقول اراد الله تعالى من العباد ان يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلموا قال الله تعالى يا موسى انني انا الله فعرفه نفسه ثم قال له فاخلع نعليك فبعد ان عرفه نفسه امره بالعمل قال والدليل على ذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا يعني صدقوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر علموا وعملوا وعلّموا وروى المبرد قال حدثت ان واصل بن عطاء اقبل في رفقة له فاحسوا بالخوارج وكانوا قد اشرفوا على العطب فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من شانكم فاعتزلوا ودعوني واياهم فقالوا شانك فقال الخوارج له ما انت ومن اصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويفهموا حدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلمونا احكامه فجعلوا يعلمونه احكامهم وجعل يقول قد قبلت انا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه فابلغونا مامننا فساروا جميعا حتى بلغوهم الامن وحكي ان محمدا وابرهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهما واصل الى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج واصل فدعا الناس بمكة والمدينة وحكى ابو القسم البلخي ان عبد الله قال لابنه محمد كل خصالك يا بني محمودة الا قولك ما بالقدر فقال له يا ابه افشيء اقدر على تركه ام لا اقدر على تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا عاتبتك عليه ابدا قال قدس الله سره يقول ان كنت اقدر على تركه فهو حولي وان كنت لا اقدر عليه فلم تعاتبني على شيء لا اقدر على تركه فاما عمرو بن عبيد فيكنى ابا عثمان مولى لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب نفسه من سبي كابل من سبي عبد الرحمن بن سمرة وكان باب مولى لبني العدوية قال وكان ابو عبيد شرطيا وكان عمرو متزهدا فكانا اذا اجتازا معا على الناس قالوا هذا شر الناس ابو خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا ابرهيم وانا تارخ قال علي بن الجعد هو عبيد بن باب وكان بوابا للحكم بن ايوب قال وكان باب مكاريا له وكان معروفا له دكان باب وكان فاوستا اللفر زندق معه خمسة وتركنا ذكرهم لشهرته ولفحش فيه وذكر ابو

الحسين الخياط ان مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعا في سنة ثمانين قال ومات عمرو في سنة اربع واربعين ومائة وهو ابن اربع وستين سنة وروي ان عمرا استاذن على المنصور فدخل عليه الربيع فقال له بالباب رجل قال لي عمرو بن عبيد وكانت على المنصور جبة يمانية محققة فقال ويلك يا ربيع عمرو بالباب قال نعم قال هات لي قميصا ابيض فاتاه به فالقاه عليه ثم قال رده من خلفي فغطى الجبة وادن علي قال الربيع ولم اكن ارى ان احدا يوقره المنصور حتى رايت عمرو بن عبيد قال فدخل عليه رجل ادم مربوع الكدنة بين عينيه اثر السجود حسن الادب حسن اللباس كانه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة واعظامه اياه قال فسلم فاجتذبه المنصور ليجلس معه فابى وطرح نفسه بين يديه فساله واحفى به فلما اراد عمرو القيام قال له عظني يا ابا عثمان واوجز قال له ان ما في يديك لست بوارثه عن احد وانما هو شيء صار اليك وكان في يد غيرك قبلك ولو دام لك لم يبق في يدك الا القول والسلام وعن الاصمعي قال قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد اني لارحمك مما يقول الناس فيك قال عمرو اتسمعني اقول فيهم شيئا قال لا قال فاياهم فارحم وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد لم لا تاخذ مني فتقضي دينا ان كان عليك وتصل رحمك فقال له عمرو اما دين فليس علي واما صلة رحمي فلا تجب علي وليس عندي قال افلا يمنعك ان تاخذ مني قال يمنعني انه ما اخذ احد من احد شيئا الا ذل له وانا والله اكره ان اذل لك ويقال ان ابن لهيعة اتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس اليه وقال له يا ابا عثمان ما تقول في قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فقال له ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها فاما العدل بينهن في القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مطيق لذلك وقد كلفه بقوله تعالى فلا تميلوا كل الميل فيما تطيقون فتذروها كالمعلقة بمنزلة من ليست ايما ولا ذات زوج فقال ابن لهيعة هذا والله هو الحق ويقال ان عمرو بن عبيد اتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له فقال له ان اباك كان اصلك وان ابنك كان فرعك وان امرا ذهب اصله وفرعه لحري ان يقل بقاؤه وقيل ان عبد الله بن عبد الاعلى اخذ هذا المعنى فقال صحبتك قبل الروح اذ انا نطفة ؞ تصان فما يبدو لعين مصونها ؞ ارى المرء دينا للمنايا وانما ؞ يطال اذا حلت بنفس ديونها ؞ فماذا بقاء الفرع بعد اصله ؞ ستلقى الذي لاقى الاصول غصونها ؞ واول من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله فبعض اللوم عاذلتي فاني ؞ ستكفيني التجارب وانتسابي ؞ الى عرق الثرى وشجت عروقي ؞ وهذا الموت يسلبني شبابي ؞ واخذ ذلك لبيد في قوله فان انت لم تصدقك نفسك فانتسب ؞ لعلك تهديك القرون الاوائل ؞ فان لم تجد من دون عدنان والدا ؞ ودون معد فلتزعك العواذل

واخذه ايضا في قوله: اتود ابنتاي ان يعيش ابوهما * وهل انا الا من ربيعة او مضر ونظر اليه
فاما محمود الوراق وابرهيم بن العباس الصولي اما محمود ففي قوله: اذا ما انتسبت الى آدم * فلم يك
بيني وبينكما من اب * وجاوزت سنوك بك الاربعين * وصرت الى جانب الاجنب * ودب البياض
خلال السواد * فاصبحت في شية الاشهب * فكيف تؤمل طول الحياة * ان كان حلمك لم يعزب
واما ابرهيم ففي قوله: نعى نفسي الى ابي * وخير ابن منقلبي * بموعظة راها في ابيه * كما ابني
ابي * وكان ابا نواس لحظ هذا المعنى في قوله: وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في
الهالكين عريق * اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق مجلس آخر
روي ان عمرو بن عبيد دخل على معوية بن عمرو الغلابي وهو يجود بنفسه فقال له ان الله تعالى
تعبدك في حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك ووضع عنك في هذه الحال عمل الجوارح ولم
يكلفك الا العمل بقلبك فاعطه بقلبك ما يجب له عليك وروي ان قوما اجتمعوا الى عمرو بن
عمرو بن عبيد — عبيد فتذاكروا السخاء فاكثروا في وصفه وعمرو ساكت فسالوه عما عنده فقال ما اصبتم صفته
ان السخي من جاد بماله متبرعا وكف عن اموال الناس تورعا وذكر اسحق بن الفضل الهاشمي قال اني
لعلى باب المنصور يوما والى جنبي عمارة بن حمزة اذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل عن حماره ثم دفع
البساط برجله وجلس دونه فالتفت الى عمارة فقال لا تزال بصرتكم ترمينا منها باحمق فما فصل
كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول ابو عثمان عمرو بن عبيد قال فوالله ما دل على نفسه حتى ارشد
اليه فاتكا يده ثم قال اجب امير المومنين جعلت فداك فمر متوكيا عليه فالتفت
الى عمارة فقلت ان الرجل الذي استحمقته قد دخل وتركنا فقال كثيرا ما يكون ذلك فاطال
اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكي عليه والربيع يقول يا غلام حمار ابي عثمان فما برح حتى اتي
بالحمار فاقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه واستودعه الله فاقبل عمارة على الربيع فقال لقد
فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلا لو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك
مما فعل به اكثر واعجب فقال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ما هو الا ان
سمع الخليفة بمكانه فما امهل حتى امر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل اليه والمهدي معه وعليه سواده
وسيفه ثم اذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى اتكاه فخذه و
تحفى به ثم ساله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامراة امراة ثم قال له يا ابا عثمان
عظنا فقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم والفجر وليال عشر ومر فيها الى
اخرها وقال ان ربك يا ابا جعفر لبالمرصاد فبكى بكاء شديدا كانه لم يسمع تلك الايات الا
ثم قال — تلك الساعة فقال زدني فقال ان الله قد اعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منه ببعضها

واعلم

واعلم ان هذا الامر الذي صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم افضى اليك وكذلك يخرج
منك الى من هو بعدك واني احذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيمة قال فبكى اشد من
بكائه الاول حتى رجف جنباه وفي رواية اخرى انه لما انتهى الى اخر السورة قال يا امير المومنين
ان ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ان ينزل بهم مثل ما انزل بهم فاتق الله فان من وراء
بابك نيرانا تاجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا سنة رسول الله فقال يا ابا عثمان انا نكتب
اليهم في الطوامير نامرهم بالعمل بالكتاب والسنة فان لم يفعلوا فما عسى ان نصنع فقال له مثل اذن
الفارة يجزيك من الطوامير الله تكتب اليهم في حاجة نفسك فينفذونها وتكتب اليهم في حق — يكفيك
الله فلا ينفذونها انك والله لو لم ترض من عمالك الا بالعدل لتقرب اليك به من لا نية له
فيه قال المرتضى رضي الله عنه رجعنا الى نسق الحديث فقال له سليمان بن مجالد رفقا بامير المومنين
فقد اتعبته منذ اليوم فقال له بمثلك ضاع الامر وانتشر لا ابا لك وماذا خفت على امير المومنين
ان بكى من خشية الله وفي رواية اخرى ان سليمان بن مجالد لما قال له ذلك دفع عمرو راسه فقال — سليمان بن مجالد
له من انت فقال ابو جعفر او لا تعرفه يا ابا عثمان فقال لا ولا ابالي ان لا اعرفه فقال هذا اخوك
سليمان بن مجالد فقال هذا اخو الشيطان ويلك يا ابن ام مجالد خزنت نصيحتك عن امير المومنين
ثم اردت ان تحول بينه وبين من اراد نصيحته يا امير المومنين ان هولاء اتخذوك سلما لشهواتهم
فانت كالاخذ بالقرنين وغيرك يحلب فاتق الله فانك ميت وحدك ومحاسب وحدك ومبعوث
وحدك ولن يغني عنك هولاء من ربك شيئا فقال له المنصور يا ابا عثمان اعني باصحابك
استعن بهم فقال له اظهر الحق يتبعك اهله قال بلغني ان محمد بن عبد الله بن الحسن كتب اليك
كتابا قال قد جاءني كتاب يشبه ان يكون كتابه قال فبماذا اجبته قال اولست قد عرفت رايي في السيف
ايام كنت تختلف الينا واني لا اراه قال اجل ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي قال لئن كذبتك تقية
لاحلفن لك تقية قال له انت الصادق البار وقد امرت لك بعشرة الاف درهم تستعين بها
على زمانك قال لا حاجة لي فيها قال والله لتاخذنها فقال له المهدي يحلف امير المومنين و
تحلف فترك المهدي واقبل على المنصور وقال من هذا الفتى قال هذا ابني محمد وهو المهدي
وهو ولي عهدي فقال والله لقد سميته اسما ما استحقه بعمل والبسته لبوسا ما هو من لبوس
الابرار ولقد مهدت له امرا امتع ما يكون به اشغل ما تكون عنه ثم التفت الى المهدي فقال
نعم يا ابن اخي اذا حلف ابوك حلف عمك لان اباك اقدر على الكفارة من عمك قال المنصور
يا ابا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ما هي قال لا تبعث الي حتى اتيك قال اذا لا نلتقي قال عن
حاجتي سالتني ثم ودعه ونهض فلما ولى اتبعه بصره وانشا يقول كلكم طالب صيد كلكم

ماش بُويد غير عمرو بن عبيد وروي ان هشام بن الحكم قدم البصرة فاتى حلقة عمرو بن عبيد
فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو اليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال لانظر بهما في
ملكوت السموات والارض فاعتبر قال فجعل لك فما قال نعم قال ولم قال لاذوق الطعوم واجيب
الداعي ثم عدد عليه الحواس كلها ثم قال وجعل لك قلبا قال نعم قال ولم قال لتؤدي اليه الحواس
ما ادركته فيميز بينها قال فانت لم يرض لك ربك تعالى اذ خلق لك خمس حواس حتى جعل لها اماما
ترجع اليه ايرضى لهذا الخلق الذي حشاهم العالم الا يجعل لهم اماما يرجعون اليه فقال له عمرو
ارتجع حتى ننظر في مسالتك وعرفه ثم دار هشام في حلق البصرة فما امسى حتى اختلفوا وروى ابو عبيدة
قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان اخبرني
عن صاحبك يعني الحسن حين يزعم ان عليا قال لي وددت اني كنت اكل الحشف بالمدينة ولم اشهد
مشهدي هذا يعني يوم صفين فقال له عمرو بن عبيد لم يقل هذا لانه ظن ان امير المؤمنين عليه السلم
شك ولكنه يقول وددت اني كنت اكل الحشف بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة قال وقولهم في عبد الله
بن العباس نفيننا في القملة والقميلة وطار بي باموالنا في ليلة فقال له كيف تقول هذا وابن
عباس رحمة الله عليه لم يفارق عليا عليه السلم حتى قتل وشهد صلح الحسن رضي الله عنه واي مال
يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة علي رضي الله عنه الى الاموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في
كل خميس ويرشه وقالوا انه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة وهذا باطل قال الجاحظ
نازع رجل عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك عن قلوب
المؤمنين في القضاء والقدر قال الله تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون ولم يقل
لنسالنهم عما قضيت عليهم او قدرته فيهم او اردته منهم او شئته لهم وليس بعد هذا الا الاقرار
بالعدل والسكوت عن الجور الذي لا يجوز على الله تعالى قال خلاد الاوقط حدثني زميل عمرو بن عبيد
في الليلة التي مات فيها يقول اللهم انك تعلم انه لم يعرض لي امران قط احدهما لك فيه رضى
والاخر لي فيه هوى الا قدمت رضاك على هواي فاغفر لي ومر ابو جعفر المنصور على قبره بمران
وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة فانشا يقول * صلى الاله عليك من متوسد *
قبرا مررت به على مران * قبرا تضمن مومنا متخشعا * عبد الاله ودان بالقران * واذا الرجال
تنازعوا في شبهة * فصل الخطاب بحكمة وبيان * فلو ان هذا الدهر ابقى صالحا * ابقى لنا
عمرا ابا عثمان * فاما ابو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي قال
ابو القسم البلخي هو من موالي عبد القيس وولد سنة اربع وثلاثين ومائة وقال ابو الحسين الخياط
ولد سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل انه توفي في اول ايام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين

فكانت

فكانت سنه مائة سنة قال البرذعي لحق ابا الهذيل في اخر عمره خرف الا انه لم يكن يذهب عليه
معرفة المذهب والقيام بحجته وقيل كف بصره قبل وفاته واخذ ابو الهذيل الكلام عن عثمان
الطويل صاحب واصل بن عطاء وقيل ان ابا الهذيل في حداثته بلغه ان رجلا يهوديا قدم البصرة
وقطع جماعة من متكلميها فقال لعمه يا عم امض بي الى هذا اليهودي حتى اكلمه فقال له عمه يا بني كيف تكلمه وقد
عرفت خبره وانه قطع مشائخ المتكلمين فقال لا بد من ان تمضي بي اليه فمضى به قال فوجدته يقرر الناس
على نبوة موسى عليه السلم فاذا اعترفوا له بها قال نحن على ما اتفقنا عليه الى ان نجمع على ما تدعونه
فتقدمت اليه فقلت له اسالك ام تسئلني فقال بل اسالك فقلت ذاك اليك فقال لي اتعترف
بان موسى عليه السلم نبي صادق ام تنكر ذلك فتخالف صاحبك فقلت له ان كان موسى الذي
تسالني عنه هو الذي بشر بنبينا عليه السلم وشهد بنبوته وصدقه فهو نبي صادق وان كان غير من
وصفت فذلك الشيطان لا اعترف بنبوته فورد عليه ما لم يكن في حسابه ثم قال لي اتقول ان التورية
حق فقلت هذه المسئلة تجري مجرى الاولى ان كانت هذه التورية التي تسالني عنها هي التي
تتضمن البشارة بنبي عليه السلم فتلك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا اقر بها فبهت وافحم
ولم يدر ما يقول ثم قال لي احتاج ان اقول لك شيئا بيني وبينك فظننت انه يقول شيئا من الخير
فتقدمت اليه فسارني وقال لي امك كذا وكذا وام من علمك لا يكني وقدر اني اثب به فيقول
وثبوا بي وشغبوا علي فاقبلت على من كان في المجلس فقلت اعزكم الله قد وقفتم على مسالته اياي
وعلى جوابي اياه فقالوا بلى قلت فليس عليه ان يرد جوابي ايضا قالوا بلى قلت لهم فانه لما سالني
شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني وانما قدر اني اثب عليه فيدعي انا واثبنا
وشغبنا عليه وقد عرفتكم شانه بعد الانقطاع فانصرفوا فاخذته الايدي من كل جهة وخرج
هاربا من البصرة وعن ابي العيناء قال قال لي ابو الهذيل ما معنى الخسف فقلت ان تقلب الارض
اعلاها اسفلها فقال لا يكن هذا اليوم بالارض فانه لبالناس وقال ابو الهذيل قال لي المعدل
بن غيلان العبدي وكان من سادة عبد القيس وكان يجتمع اليه اهل النظر يا ابا الهذيل ان في
نفسي شيئا من قول القوم في الاستطاعة فبين لي ما يذهب بالريب عني فقال له فقلت اخبرني
عن قول الله تعالى وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم
لكاذبون هل يخلو من ان يكون اكذبهم لانهم مستطيعون الخروج وهم تاركون له فاستطاعة الخروج
فيهم وليس يخرجون فقال انهم لكاذبون اي هم مستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا
نستطيع ولو استطعنا لخرجنا فاكذبهم الله تعالى على هذا الوجه او يكون على وجه اخر بقول انهم
لكاذبون اي ان اعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فيكونون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون

ابا الهذيل

فعلى كل حال قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج ولا يعقل لانه معنى ثالث غير الوجهين
اللذين وصفنا وحكى سليمان الرقي ان ابا الهذيل لما ورد سر من راى نزل في غرفة الى ان تطلب له
دار فضاق صدره فقال فضرنيه فقلت له يا ابا الهذيل اتنزل في مثل هذا المنزل فانشد يقول ٭ يقولون
زين المرء يا اخي رحله ٭ الا ان زين الرجل ناحية كتبه ٭ وعن ابي مجالد قال رايت رجلا وقد سال ابا
الهذيل وهو في الوراقين بقصر وضاح فقال له من جمع بين الزانيين يا ابا الهذيل فقال له يا ابن اخي
اما اهل البصرة فانهم يقولون القوادون ولا احسب اهل بغداد يخالفونهم في هذا القول فما
تقول انت فخجل الرجل وسكت وقال ابو الهذيل لرجل ممن ينفي الحركة ولا يثبتها ويزعم قوم انه الاصم
خبرني عن قول الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وذكر القاذف فقال
فاجلدوهم ثمانين جلدة فايهما اكثر قال حد الزاني فقلت بكم قال بعشرين قلت فخبرني عن الجلد اهو يد
الجلاد قال لا قلت فهو السوط قال لا قلت فهو ظهر المجلود قال لا قلت افهو الانفراج الذي بين
السوط وظهر المجلود قال لا قلت فثم شيء غير هذا هو الجلد قال لا قلت فانما تقول انه لا شيء اكثر من لا
شيء بعشرين فانقطع قال ابو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال
ملائكة الله قص اجنحتها وحطها الى الارض يحرث عليها فقلت فالماء قال نور الله قلت فالجوع
والعطش قال فقر الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل الارض قال بهمن الملك فقلت فما في الدنيا شر من
المجوس اخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها الى
فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على راس بهمن اعز ملائكة الله فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه ودخل
ابو الهذيل يوما على الحسن بن سهل بفم الصلح وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال ابو الهذيل من هذا
الفتى الذي قد رفعه الامير لتوفيته بمعرفته حقه قال رجل من اهل التنجيم قال من اهل حساب
ام الاحكام قال الاحكام قال ذلك علم باطل افاساله قال سل فاخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه
فقال له آكل هذه ام لا فقال تاكلها فوضعها ابو الهذيل فقال لست آكلها قال فتعيدها الى
يدك واعيد النظر فوضعها واخذ غيرها فقال له الحسن لم اخذت غيرها قال لئلا تقول لي لا
تاكلها فآكلها خلافا عليه فيقول لي قد اصبت في المسالة الاولى وقال نعمان المناني يوما لابي
الهذيل دل على حدث العالم بغير الحركة والسكون فقال له ابو الهذيل مثلك مثل رجل قال
لخصمه احضر معي الى القاضي ولا تحضر بينتك وذكر محمد بن الجهم صاحب الفراء قال رايت ابا الهذيل
وقد جاء الى ثمامة في ايام المامون فسال سهل بن هارون بن راهبون ان يكتب له كتابا في
حاجة له الى حمدويه صاحب الجيش فنهض ابو الهذيل فاملى على سهل بن هارون ٭ ان الضمير
اذا سالتك حاجة ٭ لابي الهذيل خلاف ما ابدي ٭ فاذا اتاك بحاجة فامدد له ٭ حبل الرجاء بمخلف

ذكرنا

لعله يريد نفاة الاعراض

حدثني

حكاية ابو الهذيل مع المجوسي

ارتفع مقداره وعظم مكانه

الوعد

الوعد ٭ والزه كنفا اليمين لحينه ٭ في غير منفعة ولا رفد ٭ حتى اذا طالت شقاوة جده ٭ ورجا
الغنى فاجبهه بالرد ٭ واذا استطعت لضره فاجهد ٭ فيما يضره بابلغ الجهد ٭ وانظر كلامي
فادم به ٭ خلف الشر امامك في البعد ٭ وكذاك فافعل غير محتشم ٭ ان جئت سائلا في ابي الصلد ٭
قال قدس الله روحه ويشبه هذا المعنى ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابي
الازهر قال حدثنا ابو العيناء قال كان لي صديق فجاءني يوما فقال اريد الخروج الى فلان العامل و
احببت ان تكون معي اليه وسيلة وقد سالت من صديقه فقيل ابو عثمان الجاحظ وهو صديقك
فاحب ان تاخذ لي كتابه اليه بالعناية قال فصرت الى الجاحظ فقال لي في اي شيء جاء ابو عبد الله فقلت
مسلما وقاضيا للحق وفي حاجة لبعض اصدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن المحادثة
فانا في غد اوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجه الي بالكتاب مختوما فقلت لابني وجه هذا
الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لي ان ابا عثمان لبعيد الغور فينبغي ان نفضه وننظر ما فيه
ففعل فاذا في الكتاب كتابي اليك مع من لا اعرفه وقد كلمني فيه من لا اوجب حقه فان قضيت حاجته
لم احمدك وان رددته لم اذممك فلما قرات الكتاب مضيت الى الجاحظ من فوري فقال يا ابا عبد الله
قد علمت انك انكرت ما في الكتاب فقلت او ليس موضع نكرة فقال لا هذه علامة بيني وبين
الرجل فيمن اعتني به فقلت لا والله ما رايت احدا اعلم بطبعك وما جبلت عليه من هذا الرجل
يعني صاحب الحاجة علمت انه لما قرا الكتاب قال ام الجاحظ عشرة آلاف وام من يسال له فقلت له يا هذا
اتشتم صديقنا فقال هذه علامتي فيمن اشكره وفي رواية اخرى ان ابا العيناء سلم الكتاب الى صاحب
الحاجة وقال له فض الكتاب فقال انه مختوم فقال له ابو العيناء طينة اهون من طينة قال السيد قدس
الله روحه واظن ان ابا العيناء تنبه على فض الكتاب في انه بخبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعي
المشهور وذلك انهما وفدا على عمرو بن هند ونادماه واختصا به ثم افضى الامر الى ان هجاه كل واحد منهما
وعرض به في الشعر المشهور في الرواية فحنق عليهما وهم بقتلهما ثم اشفق من ذلك واراد قتلهما بيد
غيره وكان على طرفة احنق فعلم انه ان قتله هجاه المتلمس فكتب لهما كتابا الى البحرين وقال لهما اني قد
كتبت لكما بصلة فاشخصا لقبضها فخرجا من عنده والكتابان في ايديهما فمرا بشيخ جالس على ظهر
الطريق متكشف يتبرز ومعه كسرة خبز ياكل منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال احدهما
لصاحبه هل رايت اعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقالتهما فقال وما ترى من عجبي ادخل طيبا
واخرج خبيثا واقتل عدوا وان اعجب مني لمن يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فاوجس المتلمس في نفسه خيفة
وارتاب بكتابه ولقيه غلام من اهل الحيرة فقال له اتقرا يا غلام قال نعم ففض خاتم الكتاب ودفعه
الى الغلام فقراه فاذا فيه اذا اتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فاقبل على طرفة فقال له

واحب

ابو العيناء

نفضه وننظر

اعظم

وعرض في الشعر

كتابين

متكشف العورة

كتابه

المتلمس

تعلمن واسلف كتب فيك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرؤه عليك فقال كلا والله ما كان يجترئ
على قومي بمثل هذا فلم يلتفت الى قول المتلمس فالقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة وقال قذفت بها بالثني
من جنب كافر كذلك اقنو كل قط مضلل رضيت لها بالماء لما رايتها يجول بها التيار في كل جدول
كافر نهر بالحيرة واقنو اقني والقط الكتاب والتيار معظم الماء وكثرته وقال المتلمس ايضا من مبلغ الشعراء
عن اخويهم نبأ فتصدقهم بذاك الانفس اودى الذي علق الصحيفة منهما ونجا حذار حبائه
المتلمس القى صحيفته ونجت كوره وجناء مجمرة المناسم عرمس عيرانة طبخ الهواجر لحمها فكأن
مكان نقبتها اديم املس اطريفة بن العبد انك خائن ابا حقر الملك الهمام تمرس الق الصحيفة
لا اباللك انه يخشى عليك من الحباء النقرس النقرس ههنا الداهية ومضى طرفة بكتابه الى
البحرين فامر به المعلى بن حنش العبدي فقتل فقال المتلمس عصاني فما لاقى الرشاد وانما يتبين
من امر الغوي عواقبه فاصبح محمولا على ظهر آلة تمج نجيع الجوف منه ترائبه فلا يجعل لها بعا
لوك فوقها وكيف توقى ظهر ما انت راكبه ولحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمرو وبلغه ان عمرو
يقول لئن وجدته بالعراق ليقتلنه فقال آليت حب العراق الدهر اطعمه والحب ياكله في القرية
السوس وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق ويذكر الشعراء الذين اودعوه اشعارهم
وهب القصايد لي النوابغ اذ مضوا وابو يزيد وذو القروح وجرول والاخو بني قيس وهن قتلنه
ومهلهل الشعراء ذاك الاول يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والجعدي ونابغة بني شيبان وبابي
يزيد المخبل السعدي وجرول هو الحطيئة وذو القروح امرؤ القيس واخو بني قيس هو طرفة ومعنى
قوله وهن قتلنه يعني القصايد التي هجا بها عمرو بن هند ويقال ان صاحب المتلمس وطرفة في هذه
القصة هو النعمان بن المنذر وذلك اشبه يقول طرفة ابا منذر كانت غرورا صحيفتي ولم
اعطكم في الطوع مالي ولا عرضي ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون
من بعض وابو منذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد مدح

ابو سهل بشر بن المعتمر

طرفة النعمان فيجوز ان يكون عمرو قتله ويشبه ان تكون القصة مع النعمان في مجلس آخر وكان ابو
بشر بن المعتمر من وجوه اهل الكلام ويقال ان جميع معتزلة اهل بغداد كانوا من مستجيبيه وكان
ابو القاسم البلخي انه من اهل بغداد وقيل من اهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كان ابرص وحكى انه كان
يوما في مجلسه عنده اصحابه فسمعهم مجبر يستعملهم ويقول انتم تحمدون الله على ايمانكم وهم
يقولون نعم فيقول لهم كانه يحب ان يحمد على ما لم يفعل وقد ذم ذلك في كتابه فيقولون له انما
ذم من احب ان يحمد على ما لم يفعله مما لم يعن عليه ولم يدع اليه وهو يشغب بالفاضل ثمامة بن اشرس
فقال بشر للمجبر قد سالك القوم واجابوك وهذا ابو معن فاساله فساله عن المسئلة فقال له اهل

يجب

يجب عليك ان تحمد الله على الايمان قال لا بل هو يحمدني عليه لانه امرني به ففعلته وانا احمده على
ما امرني والتقوية علي مع الدعاء اليه فانقطع المجبر وقال بشر شنعت فسهلت قال الجاحظ و
كان بشر يقع في ابي الهذيل وينسبه الى النفاق فقال وهو يصفه ابو الهذيل لان يكون لا يعلم
وهو عند الناس يعلم احب اليه من ان يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولان يكون من السفلة وهو عند
الناس من العلية احب اليه من ان يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولان يكون
نبيل المنظر سخيف المخبر احب اليه من ان يكون نبيل المخبر سخيف المنظر وهو بالنفاق اشد عجبا
منه بالاخلاص ولباطل مقبول احب اليه من حق مدفوع ولبشر اشعار كثيرة يحتج فيها على
اصحاب المقالات وذكر الجاحظ انه لم ير احدا اقوى على المخمس والمزدوج مما قوي عليه بشر وانه كان
اكثر في ذلك واقدر من ابان اللاحقي وهو القائل ان كنت تعلم ما اقول وما تقول فانت عالم
او كنت تجهل ذا وذاك فكن لاهل العلم لازم اهل الرياسة من ينازعهم رياستهم فظالم
سهرت عيونهم وانت عن الذي قاسوه حالم لا تطلبن رياسة بالجهل انت لها مخاصم لولا
مقامهم رايت الدين مضطرب الدعائم فاما ابو اسحق ابرهيم بن سيار النظام فانه كان مقدما

ابو اسحق ابراهيم بن سيار النظام

في العلم بالكلام حسن الخاطر فيه شديد التدقيق والغوص على المعاني وانما اداه الى المذاهب الباطلة
التي تفرد بها واستشنعت منه تدقيقه وتغلغله وقيل انه مولى الزياديين من ولد العبيد وان
الرق جرى على احد ابائه وقيل للنظام ما الاخصاء فقال الذي اختصاره فساد وقال رجل العرف
فلانا المجوسي فقال نعم ذاك الذي حلق وسط راسه كما يفعل اليهودي فقال النظام لا المجوسي
عرفت ولا اليهودي وصفت قال الجاحظ وذكر النظام عبد الوهاب الثقفي فقال هو احلى من امن
بعد خوف وبرء بعد سقم وخصب بعد جدب وغنى بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب
ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم وللنظام شعر كثير صالح فمنه يا تاركي جسدا بغير فؤاد
اسرفت في الهجران والابعاد ان كان يمنعك الزيارة اعين فادخل الي بعلة العواد كيما
اراك وتلك اعظم منة ملكت يداك بها منيع قياد ان العيون على القلوب اذا جنت كانت
بليتها على الاجساد وله ايضا تأمله طرفي فما لم اجده فصار مكان الوهم من نظري اثر وصافحه
كفي فآلم كفه فمن صفح قلبي في انامله عقر ومر بقلبي خاطرا فجرحته ولم ار خلقا قط
يجرحه الفكر يمر فمن لين وحسن تعطف يقال به سكر وليس به سكر ويقال ان ابا
العتاهية قال انشدت النظام اذا قم النديم له بلحظ تمشت في محاسنه الكلوم فقال
ينبغي ان ينادم هذا المعنى كثيرا في شعره فمن ذلك قوله رق فلو بزت سرابيله علقه الجو
من اللطف يجرحه اللحظ بتكراره ويشتكي الايماء بالطرف وحكي ان ابا النظام جاء

وهو حدث الى الخليل بن احمد ليتعلم فقال له الخليل يوما يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف
لي هذه الزجاجة فقال أبمدح ام ذم قال بمدح قال نعم تريك القذى ولا تقبل الاذى ولا تستر
ما وراها قال فذمها قال سريع كسرها بطيء جبرها قال فصف هذه النخلة واوما الى نخلة في داره
فقال أبمدح ام ذم قال بمدح قال هي حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر اعلاها قال فذمها قال
هي صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك احوج
قال السيد قدس الله روحه هذه بلاغة من الغلام حسنة لان البلاغة هي وصف الشيء ذما
او مدحا باقصى ما يقال فيه وشبيه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور في هجائه للبقلة التي امتحن
بهجائها واخبر بذمها فقال فيها ابلغ ما يقال في مثلها وذلك ان عمارة وانسا وقيسا والربيع
بني زياد العبسيين وفدوا على النعمان بن المنذر ووفد عليه العامريون بنو ام البنين وعليهم
ابو البراء عامر بن جعفر بن كلاب وهو ملاعب الاسنة وكان العامريون ثلاثين رجلا و
فيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذؤابة وكان الربيع بن زياد
العبسي ينادم النعمان ويكثر عنده ويتقدم على من سواه وكان يدعى الكامل لشطاطه وبياضه
وكماله فضرب النعمان قبة على ابي براء واجرى عليه وعلى من كان معه النزل فكانوا يحضرون
النعمان لحاجتهم فافتخروا يوما بحضرته فكاد العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع اذا
خلا بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك مرارا لعداوته لبني جعفر لانهم كانوا اسروه فصد
النعمان عنهم حتى نزع القبة عن ابي براء وقطع النزل فدخلوا عليه يوما فرأوا منه جفاء وقد
كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضابا وهموا بالانصراف ولبيد في رحالهم
يحفظ امتعتهم ويغدو بابلهم فيرعاها فاذا امسى انصرف بها فاتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون
امر الربيع فقال لهم ما لكم تتناجون فكتموه وقالوا اليك عنا فقال اخبروني فلعل لكم عندي
فرجا فزجروه فقال والله لا احفظ لكم متاعا ولا اسرح لكم بعيرا او تخبروني وكانت ام لبيد
عبسية في حجر الربيع فقالوا له خالك قد غلبنا على الملك واصد عنا وجهه فقال هل تقدرون
على ان تجمعوا بيني وبينه غدا حين يقعد الملك فازجره زجرا ممضا مؤلما لا يلتفت اليه النعمان
بعده ابدا فقالوا له وهل عندك ذاك قال نعم قالوا فانا نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة
دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالارض تدعى التربة فاقتلعها من الارض واخذها
بيده فقال هذه البقلة التربة التفلة الرذلة التي لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها
ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع واكلها جائع والمقيم عليها
قانع اقصر البقول فرعا واخبثها مرعى واشدها قلعا فحربا لجارها وجدعا فالقوا بي اخا بني

ارجعه

عبس ارجعه عنكم بتعس ونكس واتركه من امره في لبس فقالوا نصبح ونرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا
الى غلامكم هذا فان رأيتموه نائما فليس امره بشيء انما يتكلم بما جرى على لسانه وان رأيتموه ساهرا
فهو صاحبكم فرمقوه فرأوه قد ركب رحلا يكدم واسطته حتى اصبح فلما اصبحوا
قالوا انت والله صاحبه فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين والبسوه حلة ثم غدوا به معهم فدخلوا
على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع ليس معه غيره والدار والمجالس مملوءة بالوفود فلما
فرغ من الغداء اذن للجعفريين فدخلوا عليه والربيع الى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترض
الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن احد شقي رأسه وارخى ازاره وانتعل نعلا واحدة وكذلك
كانت الشعراء تفعل في الجاهلية اذا ارادت الهجاء فمثل بين يديه فقال يا رب هيجا هي خير من دعه
اذ لا تزال هامتي مقزعه نحن بنو ام البنين الاربعه ونحن خير عامر بن صعصعه المطعمون
الجفنة المدعدعه والضاربون الهام تحت الخيضعه مهلا ابيت اللعن لا تأكل معه ان
استه من برص ملمعه وانه يدخل فيها اصبعه يدخلها حتى يواري اشجعه كانما يطلب شيئا
ضيعه فلما فرغ لبيد التفت النعمان الى الربيع يرمقه شزرا وقال اكذلك انت قال كذب والله ابن
الحمق اللئيم فقال النعمان اف لهذا الطعام لقد خبث علي الطعام فقال الربيع ابيت اللعن اما اني
لقد فعلت بامه ولا يكني ولا كانت في حجري فقال لبيد انت لهذا الكلام اهل اما انها من نسوة
غير فعل وانت المرء قال هذا في يتيمته قال السيد قدس الله روحه ووجدت في رواية اخرى
اما انها من نسوة فعل وانما قال ذلك لانها كانت من قوم الربيع فنسبها الى القبيح وصدق عليها
تهجينا له ولقومه فامر الملك بهم جميعا فاخرجوا واعاد على ابي براء القبة وانصرف الربيع
الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وامره بالانصراف الى اهله فكتب اليه اني
قد تخوفت ان يكون قد وقع في صدرك ما قال لبيد ولست برائم حتى تبعث الي من يجردني
ليعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال فارسل اليه انك لست صانعا بانتفائك مما قال
لبيد شيئا ولا قادرا على رد ما زلت به الالسن فالحق باهلك ثم كتب اليه النعمان في جملة
ابيات جوابا عن ابيات كتبها اليه الربيع مشهورة قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا فما اعتذارك
من شيء اذا قيلا واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن الحسن بن دريد
قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيدة واخبرنا به المرزباني قال حدثني محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا
احمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال اخبرنا محمد بن زياد بن زبان عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم
البكائي وقد كان ادرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ولم نأت بجميع الخبر
على وجهه بل اسقطنا منه ما لم نحتج اليه واوردنا ما اوردنا منه بالفاظه قال السيد ره

الله وجهه اما قوله نحن بنو ام البنين الاربعة فانه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم
جميعا وام البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب
فولدت له عامر بن مالك ملاعب الاسنة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو ابو عامر بن الطفيل
وقرزل فرس كانت له وربيعة بن مالك ابا لبيد وهو ربيع المقترين ومعوية بن مالك معود الحكام
وانما سمي معود الحكام بقوله اعود مثلها الحكام بعدي اذا ما الحق في الاشياع نابا ود
عبيدة الوضاح فهو كالخمسة وقال لبيد اربعة لان الشعر لم يمكنه من غير ذلك فاما الجفنة المدعدعة
فهي المملوءة واما الخيضعة فان الاصمعي ذكر ان لبيدا قال تحت الخيضعة يعني الجلبة وفسر الرواة وقيل
ان الخيضعة صوت وقع السيوف والخيضعة ايضا البيضة التي تلبس على الراس والخيضعة الغبار و
القول يحتمل كل ذلك فاما ابيت اللعن فان ابا حاتم قال سالت الاصمعي عنه فقال معناه ابيت ان تاتي
من الامور ما تلعن عليه فاما الاشاجع فهي العروق والعصب التي على ظهر الكف وقد روي كل
يوم هامتي مقزعة والقزع كتائف قطع من الشعر او الصوف تبقى بعضه يقال كبش اقزع ونعجة
قزعاء فاما الجاحظ فهو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لابي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم
الفقيمي وذكر المبرد انه ما راى احرص على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق
القاضي فاما الجاحظ فانه كان اذا وقع في يده كتاب قراه من اوله الى اخره اي كتاب كان واما
الفتح بن خاقان فكان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام من بين يدي المتوكل للبول او للصلاة اخرج الكتاب
فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه حتى ياخذ مجلسه واما
اسمعيل بن اسحق فاني ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب
ينظر فيه قال البلخي وتفرد الجاحظ بالقول بان المعرفة تحصل من الطباع وهي مع ذلك فعل للعباد
على الحقيقة وكان يقول في ساير الافعال انها انما تنسب الى العباد على انها وقعت منهم طباعا
وانها وجبت بارادتهم وليس بجايز ان يبلغ احد فلا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند
وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه بالفه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة
علا فهم وكان الجاحظ لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفا عن احمد بن ابي دواد للعداوة التي كانت
بين احمد ومحمد فلما قبض على محمد بن الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت فقال خفت ان اكون ثاني
اثنين اذ هما في التنور يريد ما صنع بمحمد بن عبد الملك من ادخاله تنورا فيه مسامير كان هو صنعه
ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات وروي انه اتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه
سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن دواد قال والله ما علمتك الا متناسيا للنعمة كفورا
للصنيعة معددا للمساوي وما فتني باستصلاحي لك ولكن الايام لا تصلح منك لفساد طويتك

ودواء

الجاحظ

ودواء دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك ايدك الله فوالله لان يكون
لك الامر علي خير من ان يكون لي عليك ولان اسيء وتحسن في الاحدوثة عنك من ان احسن فتسيء و
تعفو عني في حال قدرتك اجمل بك من الانتقام مني فقال له ابن ابي دواد قبحك الله فوالله ما علمتك
الا كثير تزويق اللسان وقد جعلت ثيابك امام قلبك ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر يا غلام
صر به الى الحمام وامط عنه الاذى فاخذت عنه السلسلة والقيد وادخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب
وطويلة وخف فلبس ذلك ثم اتاه فتصدر في مجلسه ثم اقبل عليه فقال هات الان حديثك يا ابا
عثمان وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر من تامن فانك على حذر ممن تخاف قال الجاحظ قلت
لابي يعقوب الخريمي الشاعر من خلق المعاصي قال الله قلت فمن يعذب عليها قال الله قلت فلم قال لا ادري
والله وكان الجاحظ يقول ينبغي للكاتب ان يكون رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور
سدد سهم الصواب الى غرض المعنى ولا يكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة
وقال سوار بن ابي شراعة كنت عند الجاحظ فرآني اكتب خطا رديا في ورق ردي متقارب السطور
فقال لي ما احسبك تحب ورثتك فقلت وكيف ذاك قال لاني اراك تبقي بهم فيما تخلفه وذكر
ابو العباس المبرد قال سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه انت والله احوج الى هوان من رجل كريم الى اكرام
ومن علم الى عمل ومن قدرة الى عفو ومن نعمة الى شكر وقال المبرد قال لي الجاحظ يوما انشدني
قول اسمعيل بن القسم ❊ ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ❊ على نائبات الدهر حين تنوب ❊ فقلت نعم
قول كثير ❊ فقلت لها يا عز كل مصيبة ❊ اذا وطنت يوما لها النفس ذلت ❊ وروى
يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجماز يهجوه ❊ نسب الجماز مقصور اليه منتهاه ❊
الاحساب بالناس ولا تعدو قفاه ❊ يتحاجى من ابو الجماز فيه كاشتباه ❊ ليس يدري من ابو الجماز الا
من يراه ❊ اخبرنا المرزباني قال اخبرني علي بن هرون قال انشدني وكيع قال انشدنا ابو العيناء
قال انشدني الجاحظ لنفسه في الخضاب ❊ دنت فتاة من بني هلال ❊ فاستعجلت الى السؤال
ما لي اراك قانئ السبال ❊ كانما كرعت في جريال ❊ ما ينبغي مثلك من امثالي ❊ قم من قدامي ومن حيالي
قال الرضي رضي الله عنه كانما كرعت في جريال مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ للينه وضعف كلامه
وذكر ابو العيناء قال حدثني ابرهيم بن رباح قال انشدني الجاحظ يمدحني ❊ بدا حين اثرى باخوانه ❊
ففلل عنهم شباة العدم ❊ وذكره الحزم ريب الزمان ❊ فبادر بالعرف قبل الندم ❊ قال ابرهيم فكلمت
بهما احمد بن ابي دواد فقال قد انشدنيهما يمدحني بهما ثم لقيت محمد بن الجهم فقال قد انشدنيهما
يمدحني بهما وقال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا اعرف شعرا يفضل قول ابي نواس
وانشد ❊ ودار ندامى عطلوها وادلجوا ❊ بها اثر منهم جديد ودارس ❊ مساحب من جر الزقاق على الثرى

واضغاث ريحان جني ويابس ❊ حبست بها صحبي فجددت عهدهم ❊ واني على امثال تلك لحابس
ولم ادر من هم غير ما شهدت به ❊ بشرقي ساباط الديار البسابس ❊ اقمنا بها يوما ويوما وثالثا
ويوما له يوم الترحل خامس ❊ تدار علينا الراح في عسجدية ❊ حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها ❊ مهى تدريها بالقسي الفوارس ❊ فللخمر ما زرت عليه جيوبها
وللماء ما دارت عليه القلانس ❊ قال الجاحظ فانشدتها ابا شعيب القلال فقال يا ابا عثمان
لو نقر هذا الشعر لطن فقلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت قال السيد قدس الله روحه
اخذ ابو نواس قوله ولم ادر من هم غير ما شهدت به ❊ بشرقي ساباط الديار البسابس من ابي خراش
الهذلي في قوله ولم ادر من القى عليه رداءه ❊ سوى انه قد سل عن ماجد محض ويقال ان ابا
خراش ولم مدح من لا يعرفه وذلك ان خراش بن ابي خراش اسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من
القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة ونجاه فلما تفرغوا له قال اين افلت مني ويقال
بل القاه في الاسر رجل من بني عمه فالقى عليه رداءه ليجيره به وقال له النجاء وبلك فقال ابو خراش في
ذلك حمدت الهي بعد عروة اذ نجا ❊ خراش وبعض الشر اهون من بعض ❊ فاقسمت لا انسى قتيلا رزئته
بجانب قوسى ما مشيت على الارض ❊ على انها تعفو الكلوم وانما ❊ نوكل بالادنى وان جل ما يمضي
ولم ادر من القى عليه رداءه ❊ سوى انه قد سل من ماجد محض واخبرنا المرزباني قال حدثني
ابرهيم بن محمد بن شهاب قال حدثنا ابو الحسن احمد بن عمر البزرعي المتكلم قال صرت الى منزل الجاحظ
في اول ما قدمت من مكة وقد اعتل علته التي فلج فيها فاستاذنت عليه فخرج الى خادم من منزله
فقال لي يقول لك وما تصنع بشق مايل ولعاب سائل فانصرفت عنه وذكر يموت بن المزرع
قال وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها ان يحمل اليه الجاحظ من البصرة وساله الفتح ذلك فوجده
لا فضل فيه فقال لمن اراد حمله وما تصنع بامرئ ليس بطائل ذي شق مايل ولعاب سايل
وفرج بايل وعقل زايل ولون حايل وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول انا من جانبي الايسر
مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت ومن جانب الايمن منقرس فلو مر به الذباب لالمت وفي حصاة
لا ينسرح لي البول معها واشد ما علي ست وتسعون وقال يوما للطبيب يشكو اليه علته
اصطلحت الاضداد على جسدي ان اكلت باردا اخذ برجلي وان اكلت حارا اخذ براسي وتوفي في
سنة خمس وخمسين ومايتين مجلس اخر تاويل اية ان سال سايل عن قوله تعالى ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملئكة والكتاب والنبيين
واتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب و
اقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء

قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق الاية

وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فقال كيف ينفي كون تولية الوجوه الى
الجهات من البر وانما يفعل ذلك في الصلاة وهي بر لا محالة وكيف خبر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن
اسم محض وعن اي شيء كنى بالهاء في قوله تعالى واتى المال على حبه وما المخصوص بانها كناية عنه وفي
ذلك اشياء كثيرة وعلى اي شيء ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرين وهم معطوفون على الموفين وكيف
وحد الكناية في موضع وجمعها في اخر فقال من امن واتى المال واقام الصلوة ثم قال والموفون و
الصابرين قلنا له فيما ذكرته اول الاجوبة ان احدهما انه تعالى اراد ليس الصلوة هي البر كله ولكنه ما عدد
في الاية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا انكم اذا توجهتم الى الجهات بصلاتكم فقد احرزتم
البر باسره وحزتموه بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه واكثره والجواب الثاني ان النصارى لما توجهوا
الى المشرق واليهود الى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلتين واعتقدوا في الصلاة اليهما
انها بر وطاعة خلافا على الرسول صلى الله عليه واله وسلم اكذبهم الله تعالى في ذلك وبين ان ذلك
ليس من البر اذ كان منسوخا بشريعة النبي صلى الله عليه واله وسلم التي تلزم الاسود والابيض والعربي
والعجمي وان البر هو ما تضمنته الاية فاما الاخبار عن البر بمن ففيه وجوه ثلاثة اولها ان يكون معنى
البر ههنا البار وذا البر وجعل احدهما في مكان الاخر والتقدير ولكن البار من امن بالله ويجري
ذلك مجرى قول الله تعالى ان اصبح ماؤكم غورا يريد غائرا ومثل قول الشاعر ترتع ما رتعت حتى
اذا ادكرت ❊ فانما هي اقبال وادبار اراد انها مقبلة ومدبرة ومثله تظل جيادهم نوحا عليهم
مقلدة اعنتها صفونا اراد نايحة عليهم ومثله ❊ هريقي من دموعهما سجاما ضباع وجاوبي نوحا
قياما والوجه الثاني ان العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فاما اخبا
رهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى ولكن البر من امن بالله وقول العرب انما البر الذي يصل الرحم و
يفعل كذا وكذا واما اخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل فمثل قول الشاعر لعمرك ما الفتيان ان تنبت
اللحى ❊ ولكنما الفتيان كل فتى ندى ❊ فجعل ان تنبت وهو مصدر خبرا عن الفتيان والوجه الثالث
ان يكون المعنى ولكن البر بر من امن بالله فحذف البر الثاني واقيم من مقامه كقوله واشربوا في قلوبهم العجل
اراد حب العجل قال الشاعر وكيف تواصل من اصبحت ❊ خلالته كابي مرحب اراد كخلالة ابي
مرحب قال النابغة وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل اراد على مخافة
وعل وتقول العرب بنو فلان يطاهم الطريق اي اهل الطريق وحكى عن بعضهم اطيب الناس الزبد
اي اطيب ما ياكل الناس الزبد وكذلك قولهم حسبت صياحي زيدا اي صياح زيد وروي عن ابن عباس
في قوله تعالى ليس على الاعمى حرج اي ليس على من اكل مع الاعمى حرج وفي قوله تعالى وذريتهم كلبهم
قال صاحب كلبهم وذكروا انه كان راعيا تبعهم فاما ما كنى عنه بالهاء في قوله تعالى واتى المال على

وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى

على حبه ذوي القربى ففيه وجوه أربعة أولها أن يكون الهاء راجعة إلى المال الذي تقدم ذكره ويكون المعنى وآتى المال على حب المال وأضيف الحب إلى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القائل اشتريت طعامي كاشترائي طعامك والمعنى كاشترائك طعامك والوجه الثاني أن تكون الهاء راجعة على من آمن بالله فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه والوجه الثالث أن ترجع الهاء على الإيتاء الذي دل عليه آتى والمعنى وأعطى المال على حب الإعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي: هم الملوك وأبناء الملوك لهم ** والآخذون به والساسة الأول فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله الملوك عليه ومثله قول الشاعر: إذا نهي السفيه جرى إليه ** وخالف والسفيه إلى خلاف أراد جرى إلى السفه الذي دل ذكر السفيه عليه والوجه الرابع أن تكون الهاء ترجع إلى الله تعالى لأن ذكره قد تقدم فيكون المعنى وآتى المال على حب الله تعالى ذوي القربى واليتامى فإن قيل أي فائدة في ذلك وقد علمنا الفائدة في إيتاء المال مع محبته والضن به وأن العطية تكون أشرف وأمدح فما الفائدة فيما ذكرتموه وما معنى محبة الله والمحبة عندكم هي الإرادة والقديم تعالى لا يصح أن يراد قلنا أما المحبة عندنا فهي الإرادة إلا أنهم يستعملونها كثيراً مع حذف متعلقها مجازاً أو توسعاً فيقولون فلان يحب زيداً إذا أراد منافعه ولا يقولون زيد يريد عمراً بمعنى أنه يريد منافعه لأن التعارف جرى في استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الإرادة وإن المعنى واحداً وقد ذكر أن لقولهم زيد يحب عمراً مزية على قولهم يريد منافعه لأن اللفظ الأول ينبئ عن أنه لا يريد إلا منافعه وأنه لا يريد شيئاً من مضاره والثاني لا يدل على ذلك فحصلت له مزية وعلى هذا نصف الله سبحانه بأنه يحب أولياءه والمؤمنين من عباده والمعنى فيه أنه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والإجلال والنعم فأما وصف أحدنا بأنه يحب الله تعالى فالمعنى فيه أنه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ولا يصح المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد بعضهم بعضاً لاستحالة المنافع عليه ومن جوز عليه تعالى الانتفاع لا يصح أن يكون محباً له على هذا المعنى لأنه باعتقاده ذلك قد خرج من أن يكون عارفاً به فمحبته في الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه إليه كما تقول في أصحاب التشبيه أنهم إذا عبدوا من اعتقدوه إلهاً فقد عبدوا غير الله تعالى فأما الفائدة في إعطاء المال مع محبة الله تعالى فهي ظاهرة لأن إعطاء المال متى قارنته إرادة وجه الله تعالى وعبادته وطاعته استحق به الثواب ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعل ثواباً وكان ضائعاً وتأثير ما ذكرناه أبلغ من تأثير حب المال والضن به لأن المحب للمال الضنين به متى بذله وأعطاه ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق به شيئاً من الثواب وإنما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لاستحق الثواب هذا الوجه لم يسبق إليه في هذه الآية.

على — آتى — الخلاف — أولياء المؤمنين — لا يصح فيه — بالحقيقة — لم يسبق له في الآية

وهو

وهو أحسن ما قيل فيها وقد ذكر فيها وجه آخر وهو أن تكون الهاء راجعة إلى من آمن أيضاً وقيل نصب ذوي القربى بالحب ولا يجعل لآتى منصوب لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام وأعطى المال على حال حبه ذوي القربى واليتامى على حال محبته إياهم وهذا الوجه ليس فيه مزية في باب رجوع الهاء التي وقع عنها السؤال وإنما يتبين مما تقدم ويستفاد بانتصاب ذوي القربى بالحب وذلك غير ما وقع السؤال عنه والأجوبة الأول أقوى وأولى فأما قوله تعالى والموفون ففي رفعه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح لأن النعت إذا طال وكثر رفع بعضه ونصب بعض على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بعهدهم قال الزجاج وهذا أجود الوجهين والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على من آمن ويكون المعنى ولكن البر ذوي البر المؤمنون والموفون بعهدهم قال الزجاج وهذا أجود الوجهين والوجه الآخر أن يكون معطوفاً فأما نصب الصابرين ففيه وجهان أحدهما المدح لأن مذهبهم في الصفات والنعوت إذا طالت أن يعترض بينها المدح والذم ليميز الممدوح أو المذموم ويفرد فيكون غير متبع لأول الكلام من ذلك قول الخرنق ابنة بدر بن هفان: لا يبعدن قومي الذين هم ** سم العداة وآفة الجزر ** النازلين بكل معترك ** والطيبين معاقد الأزر فنصب ذلك على المدح ومنهم من يرفعهما جميعاً على أن يتبع آخر الكلام أوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه في النصب والرفع ما ذكرناه ومن ذلك قول الشاعر أنشده الفراء: إلى الملك القرم وابن الهمام ** وليث الكتيبة في المزدحم وذا الرأي حين تغم الأمور ** بذات الصليل وذات اللجم فنصب ليث الكتيبة وذا الرأي على المدح وأنشد الفراء أيضاً: فليت التي فيها النجوم تواضعت ** على كل غث منهم وسمين ** غيوث الحيا في كل محل ولزبة ** أسود الشرى يحمين كل عرين ومما نصب على الذم قوله: سقوني الخمر ثم تكنفوني ** عداة الله من كذب وزور والوجه الآخر في نصب الصابرين أن يكون معطوفاً على ذوي القربى ويكون المعنى وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين قال الزجاج وهذا لا يصلح إلا أن يكون الموفون رفع على المدح للمضمرين لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول وكان يقوي الوجه الأول فأما توحيد الذكر في موضع وجمعه في آخر فلأن من آمن لفظه لفظ الواحد وإن كان في المعنى للجمع فالذكر الذي أتى بعده موحداً لأنه جرى على اللفظ وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى والموفون والصابرين فعلى المعنى وقد اختلفت قراءة القراء السبعة في رفع الراء ونصبها من قوله تعالى ليس البر فقرأ عاصم وحمزة في رواية حفص ليس البر بنصب الراء وروى هبيرة عن حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقون البر بالرفع والوجهان جميعاً حسنان لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة وإذا اجتمعا في التعريف تكافئا

في حال حبه — المرفوعون — ففي رفعه وجهان — فيها — تكنفوني — رفع رفعاً — في — فقد تكافأ

في جواز كون احدهما اسما والآخر خبرا كما اشكل فاه النكرات حجة من رفع البر انه لان يكون البر الفاعل
اولى لانه ليس حيثية الفعل وكون الفاعل بعد الفعل اولى من كون المفعول بعده الا ترى
انك اذا قلت قام زيد فان الاسم يلي الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير في الغلام التأخير
فلولا ان الفاعل اخص بهذا الموضع لم يجز هذا كما لم يجز في الفاعل ضرب غلامه زيدا حيث لم يجز
في الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به وحجة من نصب البر
ان يقول لكون الاسم ان وصلتها اولى لشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكأنه
اجتمع مضمر ومظهر والاولى اذا اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص
من المظهر حدثنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق قال اخبرنا ابو عبد الله
محمد بن احمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي ثعلب قال
اخبرنا ابن الاعرابي قال قال ابن الكلبي لما كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن زهير العبسي النمر بن قاسط
فقال لهم اني جاوركم واخترتكم فزوجوني امرأة قد ادبها الغنى واذلها الفقر في حسب وجمال
فزوجوه ظبية ابنة الكيس النمري وقال لهم ان فيّ ثلاثا اني غيور واني فخور واني انف ولست
افخر حتى ابتلى ولا اغار حتى ارى ولا آنف حتى اظلم فاقام فيهم حتى ولد له فلما اراد الرحيل عنهم
قال اني موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالاناة فان بها تنال الفرصة وتسويد من لا
تعابون بتسويده وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس وباعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسألة
ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح واجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى
وخلط الضيف بالعيال وانهاكم عن الرهان فان به ثكلت مالكا اخي والبغي فانه قتل زهيرا ابي
وعن الاعطاء في الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن الاسراف في الدماء فان يوم الهباءة الزمني
العار ومنع الحرم الا من الاكفاء فان لم تصيبوا لهن الاكفاء فان خير مناكحها القبور او خير منازلهن
واعلموا اني كنت ظالما مظلوما ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا اخي وظلمتهم بان قتلت من لا ذنب له
قال المرتضى قدس الله روحه اما قوله انهاكم عن الرهان فاراد المراهنة في سباق الخيل وذلك
ان قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار
والحنفاء وقال بعض بني فزارة بل قرزل والحنفاء وكان قيس كارها لذلك وانما هاجه بينهما
بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل بل رجل من بني عبس والخبر في شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق
على السباق وجعلوا الغاية من واردات الى ذات الاصاد وجعلوا القصبة في يد رجل من بني ثعلبة
بن سعد يقال له حصين ويد رجل من بني العشراء من بني فزارة وملؤا البركة ماء وجعلوا السابق
اول الخيل يكرع فيها ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير اتيا المدى الذي ارسلت الخيل

معنى الرهان والسباق

منه ينظران اليها والى خروجها فلما ارسلت عارضاها فقال حذيفة خدعتك يا قيس فقال قيس
ترك الخداع من اجرى من مائة يعني من مائة غلوة فارسلها مثلا ثم ركضا ساعة فجعلت خيل
حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقتك يا قيس فقال قيس جري المذكيات غلاب فارسلها
مثلا والمذكيات المسان من الخيل ويروى غلاء اي كما يتغالى بالنبل ثم ركضا ساعة فقال حذيفة
انك لا تركض مركضا سبقت خيلك فقال قيس رويد يعلون الجدد فارسلها مثلا ويروى
يعدون الجدد اي يتعدين الجدد الى الوعث وقد كان بنو فزارة اكمنوا بالثنية كمينا النظر
فان جاء داحس سابقا امسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس سابقا فامسكوه ولم يعرفوا
وهي خلفه مصليه حتى مضت الخيل واسهلت من الثنية ثم ارسلوه فتمطر في آثارها فجعل
يبدرها فرسا فرسا حتى انتهى الى الغاية مصليا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت
الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلؤوها عن البركة ثم لطموا داحسا وقد
جاء متواليين ثم جاء حذيفة وقيس في اخر الناس وقد دفعهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا
فرسيهم وجرى من الخلاف في امر السبق ما قد شرحته الرواة وقيل في بعض الروايات ان الرهان (1)
والسباق كان بين حمل بن بدر وبين قيس وفي ذلك يقول قيس كما لاقيت من حمل بن بدر واخوته
على ذات الاصاد هم فخروا علي بغير فخر ... وردوا دون غايته جوادي ... وقد لاقوا الي بفعل سوء
فالفوني لهم صعب القياد ... وكنت اذا منيت بخصم سوء ... دلفت له بداهية نآد ثم ان
قيسا اغار على عوف بن بدر فقتله واخذ ابله فبلغ ذلك بني فزارة فهموا بالقتال فحمل الربيع
ابن زياد العبسي دية عوف بن بدر مائة عشراء متلية ويقال ان قيسا قتل ابنا لحذيفة
يقال له مالك وان حذيفة كان ارسله اليه يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع
بن زياد حمل ديته مائة عشراء فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعا
يقال له اللقاطة قريبا من الحاجر ونكح امرأة يقال لها مليكة بنت حارثة من بني غراب من
فزارة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليه فرسانا فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي مجاورا
لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر قال

نام الخلي وما اغمض حار ... من سيئ النبأ الجليل الساري
من مثله تمشي النساء حواسرا ... وتقوم معولة مع الاسحار
من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه ... يضربن اوجههن بالاسيار
قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فاليوم حين بدون للنظار
افبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النساء عواقب الاطهار
ما ان ارى في قتله لذوي الحجى ... الا المطي تشد بالاكوار
ومجنبات ما يذقن عذوفة ... يقذفن بالمهرات والامهار

والأنهار ❊ وما غير أصداء الحديد عليهم ❊ فكأنما طلي الوجوه بقار ❊ فأما خبر مقتل زهير بن
جذيمة العبسي أبي قيس فاختلفت الرواية في سببه فيقال إن هوازن بن منصور كانت تؤدي
الإتاوة إلى زهير بن جذيمة ولم يكثر عامر بن صعصعة بعد فهم أذل من يد في رحم فأتت عجوز
من هوازن إلى زهير بن جذيمة بسمن في نحي فاعتذرت إليه وشكت السنين اللواتي تتابعت
على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها أي دفعها بقوس في يده عطل في صدرها فسقطت على
عودتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان في صدرها من الغيظ وكانت يومئذ
قد أمرت بنو عامر بن صعصعة أي كثرت فآلى خالد بن جعفر بن كلاب فقال والله لأجعلن
ذراعي هذه وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل وفي ذلك يقول خالد بن جعفر ❊ أريغوني إراغتكم
فإني ❊ وحذفة كالشجا تحت الوريد ❊ مقربة أواسيها بنفسي ❊ وألحفها ردائي في الجليد ❊
لعل الله يمكنني عليها ❊ جهارا من زهير أو أسيد ❊ فأما تثقفوني فاقتلوني ❊ فمن أثقف
فليس إلى خلود ❊ ويقال بل كان السبب في ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتل في غني من قتل
بابنه شاس وافى عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حدثا فقال يا زهير أما آن لك
أن تشتفي وتكف يعني مما قتل بشاس فأغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم أمكن يدي
هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليه فقال زهير اللهم أمكن يدي هذه
البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا فقالت قريش هلكت والله يا زهير فقال أنتم والله
الذين لا علم لهم ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله واتفق نزول زهير بالقرب من بني
عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده فمر بها أخوها الحرث بن
عمرو بن الشريد فقال زهير لبنيه إن هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه فقالت أخته لبنيها أ
يزوركم خالكم فتوثقونه وقالت تماضر لأخيها الحرث إنه ليس يحبي كبيثنا تامك وفروتك إلا كبيثنا
الغثم والفروت السكوت فلا يأخذن فيك ما قال زهير فإنه رجل بيذارة عيذارة شنوءة
قال الأثرم البيذارة الكثير الكلام والعيذارة السيء الخلق ثم حلبوا له وطبا وأخذوا منه
يمينا أن لا يخبر عليهم ولا ينذر بهم أحدا فخرج الحرث حتى أتى بني عامر فقعد إلى شجرة يجتمع إليها
بنو عامر وألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن
فإذا هو حلو لم يقرص بعد فقالوا إنه مخبر أن طلبتنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب
ومعه جماعة وكان ذاكيا فرسه حذفة فلقوا زهيرا وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير
ونادى يا بني عامر اقتلوني والرجل واستغاث زهير بنيه فأقبل إليه ورقاء بن زهير
يشتد بسيفه فضرب خالدا ثلاث ضربات فلم يغن شيئا وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم

ضرب جندع رأس زهير فقتله وفي ذلك يقول ورقاء بن زهير ❊ رأيت زهيرا تحت كلكل خالد
فأقبلت أسعى كالعجول أبادر ❊ فشلت يميني يوم أضرب خالدا ❊ ويمنعه مني الحديد المظاهر ❊
فيا ليتني من قبل ضربة خالد ❊ ويوم زهير لم تلدني تماضر ❊ فأما خبر الهباءة فإن بني عبس و
بني فزارة لما التقوا إلى جنب جفر الهباءة في يوم قائظ فاقتتلوا ولخبرهم شرح طويل معروف
استجار حذيفة ومن معه بجفر الهباءة ليتبردوا فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يا بني عبس فأين
العقول وأين الأحلام فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق مأثور القول بعد اليوم فأرسلها
مثلا وقتل قرواش بن هني حذيفة بن بدر وقتل الحارث بن زهير حملا وأخذ منه ذا النون سيف
مالك بن زهير أخيه وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس في ذلك
تعلم أن خير الناس ميت ❊ على جفر الهباءة لا يريم ❊ ولولا ظلمه ما زلت أبكي ❊ عليه الدهر ما
طلع النجوم ❊ ولكن الفتى حمل بن بدر ❊ بغى والبغي مرتعه وخيم ❊ أظن الحلم دل علي قومي ❊
وقد يستجهل الرجل الحليم ❊ ومارست الرجال ومارسوني ❊ فمعوج علي ومستقيم ❊ وقال قيس أيضا
شفيت النفس من حمل بن بدر ❊ وسيفي من حذيفة قد شفاني ❊ فإن أك قد بردت بهم غليلي
فلم أقطع بهم إلا بناني ❊ **مجلس آخر** ❊ تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى ومثل الذين كفروا
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون فقال أي وجه لتشبيه
الذين كفروا بالصائح الناعق بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل و
التمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزا محصلا لا يقال له في هذه الآية جوابان أولهما أن
يكون المعنى مثل الواعظ الذين كفروا والداعي لهم إلى الإيمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق
بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة
لأنهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعاءه وإنذاره فينصرفون عن قبول ذلك و
يعرضون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما في عدم الانتفاع به و
جائز أن يقوم قوله الذين كفروا مقام الواعظ والداعي لهم كما تقول العرب فلان يخافك كخوف
الأسد والمعنى كخوفه من الأسد فأضاف الخوف إلى الأسد وهو في المعنى مضاف إلى الرجل قال الشاعر
فلست مسلما ما دمت حيا ❊ على زيد بتسليم الأمير ❊ أتذكر إذ لحافك جلد شاة ❊ وإذ نعلاك من جلد البعير ❊
فسبحان الذي أعطاك ملكا ❊ وعلمك الجلوس على السرير ❊ أراد بتسليمي على الأمير ونظائر ذلك كثيرة و
الجواب الثاني أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق فأضاف الله
تعالى المثل الثاني إلى الناعق وهو في المعنى مضاف إلى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت
الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى وانتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتأخير لوضوح

المعنى وانشد الفراء ان سراجا لكريم مفخره ¤ تحلى به العين اذا ما تجهره ¤ معناه تحلى بالعين
فقدم واخر وانشد الفراء ايضا كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم المعنى
كما كان الرجم فريضة الزناء وانشد ايضا وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وعل فى ذى المطارة
عاقل اراد ما تزيد مخافة وعل على مخافتى ومثله كان لون ارضه سماؤه اراد كان لون سمائه لون
ارضه ومثله ترى الثور فيها مدخل الظل راسه وسائره باد الى الشمس اجمع اراد مدخل راسه الظل
وقال الراعى فصبحته كلاب الغوث يوسدها مستوضحون يرون العين كالاثر يريد انهم يرون
الاثر كالعين وقال ابو النجم قبل دنو الافق من جوزائه ¤ فقلب قال العباس بن مرداس ¤
مذيب بنفسه نفسى ومالى ¤ وما آلوك الا ما اطيق ¤ اراد مذيب بنفسى نفسه وقال ابن مقبل
ولا تهيبنى الموماة اركبها ¤ اذا تجاوبت الاصداء بالسحر اراد لا اتهيب الموماة وهذا كثير
جدا والجواب الثالث ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا او مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذى
ينعق اى مثلهم فى الاعراض ومثلك فى الدعاء والتنبيه والارشاد كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل
الثانى اكتفاء بالاول ومثله قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر
الحر من البرد كما قال ابو ذويب ¤ عصيت اليها القلب انى لامره ¤ مطيع فما ادرى ارشد طلابها
اراد ام غى فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر والجواب الرابع ان يكون المراد ومثل الذين كفروا
فى دعائهم الاصنام التى يعبدونها من دون الله تعالى وهى لا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل
الذى ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة والدعاء والنداء على هذا الجواب ينتصبان بينعق
ولا توكيد للكلام ومعناها الالغاء قال الفرزدق ¤ هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم ¤ و
ضحوا بلحم من محل ومحرم والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم والجواب الخامس ان يكون المعنى
ومثل الذين كفروا فى دعائهم الاصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم اياها كمثل الراعى الذى ينعق
بغنمه وينادبها فهى تسمع دعاءه ونداءه ولا تفهم معنى كلامه فشبه من يدعوه الكفار من
المعبودات دون الله تعالى بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهم ولا نفع عندها فيه ولا مضرة
وهذا الجواب يقارب الذى قبله وان كانت بينهما مزية ظاهرة لان الاول يقتضى ضرب المثل بما لا
يسمع الدعاء والنداء جملة ويجب ان يكون مصروفا الى غير الغنم وما اشبهها مما يسمع وان لم
يفهم وهذا الجواب يقتضى ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم يفهمهما والاصنام من حيث
كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب ان يكون داعيها ومناديها اسوء حالا من منادى الغنم ويصح ان ينصرف
الى الغنم وما اشبهها مما يشارك فى السماع ويخالف فى الفهم والتمييز وقد اختلف الناس فى ينعق
فقال اكثرهم لا يقال نعق ينعق الا فى الصياح بالغنم وحدها وقال بعضهم نعق ينعق بالغنم والابل

البقر

والبقر فاما نعق الغراب فهو بالغين المعجمة وقد روى بالعين غير معجمة قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما ¤ منتك نفسك فى
الخلاء ضلالا ¤ وقال ايضا نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة اذا صاح من غير ان يمد عنقه ويحركها
فاذا مد عنقه وحركها ثم صاح قيل نعب ويقال ايضا نعب الفرس ينعب نعبا ونعيبا ونعبانا
هو صوته ويقال فرس منعب اى جواد وناقة نعابة اذا كانت سريعة تاويل خبر روى عن النبى
صلى الله عليه واله وسلم انه خرج مع اصحابه الى طعام دعوا له فاذا ابا الحسين وهو صبى يلعب مع
صبية فى السكة فاستنتل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم امام القوم فطفق الصبى يفر مرة
ههنا ومرة ههنا ورسول الله صلى الله عليه واله وسلم يضاحكه ثم اخذه فجعل احدى يديه تحت
قفاه والاخرى تحت فاس راسه واقنعه فقبله وقال انا من حسين وحسين منى احب الله من
احب حسينا حسين سبط من الاسباط قال السيد قدس الله روحه استنتل تقدم يقال استنتل
الرجل يستنتل استنتالا وابرنتى ابرنتاء وابرندع ابرنداعا اذا تقدم هكذا ذكره ابو بكر الانبارى و
حكت بعض المتقدمين فى علم اللغة يحكى فى كتاب له قال تقول استنتلت الامر استنتالا اذا استعددت
له واستنتل الرجل تفرد من القوم ويقال استنتل اشرف المعا تنقاد فى الحجر يليق بكل واحد منها
وحكى هذا الرجل فى كتابه الذى ذكرناه ابرنتى وابرندع ايضا انه من الاستعداد فاما السكة
فهى المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنى طفق ما زال قال الشاعر طفقت تبكى واسعدها
فكلانا ظاهر الكمد وفاس الراس طرف القمحدوة المشرف على القفا ومعنى اقنعه رفعه هكذا ذكره
ابن الانبارى وقال غيره اقنع ظهره اذا طاطاه ثم رفعه برفق فاما الاسباط فاصلها فى ولد اسحق
عليه السلم كالقبايل فى بنى اسمعيل عليه السلم وقال ابن الانبارى هم الصبية والصبوة بالياء
والواو معا حدثنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان قال اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن احمد الحكيمى قراءة
عليه قال املا علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابى انه قيل لابنة الخس
ما مائة من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل فما مائة من
الضان قالت قرية لا حمى بها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل
فما مائة من الخيل قالت طغى عند من كانت ولا توجد قيل فما مائة من الحمر قالت عازبة الليل
وخزى المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها دلى وان ارسلته ولى بهذا الاسناد عن ابن
الاعرابى قال قيل لابنة الخس والخسف والخص قال كل ذلك يقال ما احسن شىء قالت غادية فى اثر سارية
فى نبخاء قاوية قال نبخاء ارض مرتفعة لان النبات فى موضع مشرف احسن وقالوا ايضا نفخاء اى
رابية ليس بها رمل ولا حجارة قال والجمع النفاخى ونبت الرابية احسن من نبت الاودية لان السيل
يصرع الشجر فيفسد فى الاودية ثم يلقى عليه الدمن قال السيد قدس الله روحه ومما يدل على

ان تبت ترابيه احسن قول الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل
هطل فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها فحصا الحزن المعنى
الذي ذكرناه وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب تقول جاءنا بطعام لا ينادى وليده اذا
جاء بطعام كثير لا تراد منه زيادة ووقع في امر لا ينادى وليده يقول لا يدعى له الصبيان ولا يستعان
بالابكار والرجال عنه قال السيد قدس الله روحه وفي ذلك قولان آخران احدهما عن الاصمعي قال اصله
من الشدة تصيب القوم حتى تذهل الام عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا لكل شدة
ولكل امر عظيم والقول الآخر عن الكلابي قال اصله من الكثرة والسعة فاذا اهوى الوليد الى شيء لم يزجر
عنه حذر الافساد لسعة ما هم فيه ثم صار مثلا لكل كثرة قال الفراء وهذا القول يستعمل في كل موضع
يراد به الغاية وانشد لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد شرائع جود لا ينادى وليدها وبه
بالاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل [illegible] الاسدي على معن بن زائدة الشيباني فقال له
رايت اكرمك الله ان تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فانك قد بلغت حالا لو
اعتقني الله فيها بكرمك من تصفح الرجال لعبدك لم يكن كثيرا واني قد قدمت الرجاء واحسنت
الثناء ولزمت الحفاظ ثم انشا يقول يا معن انك لم تنعم على احد فشاب نعماك تنغيص ولا كدر
فانظر الي بطرف غير ذي مرض فربما صح لي من طرفك النظر ايام وجهك لي طلق بجبهته اذا
اسكت بما تخفي وتضطر ومن هواك شفيع ليس يغفل بي وان نايت وان قلت بي الذكر
قد كنت اثرى عندكم اثرا فقد تقارب يعفو ذلك الاثر فاجبر بفضلك عظما كنت تجبره
واجمع بفضلك ما قد كاد ينتشر ما نازع العسر في اليسر مذ علقت كفي بحبلك الا ظفر اليسر
وقد خشيت فهذا الدهر ذو غير بان ينال الطول الجفوة العسر وانما كان من عسر ومن يسر
فان حظك فيه الحمد والشكر فقال معن اوما كنا اعطيناك شيئا قال لا قال اما الذهب والفضة
فليسا عندنا ولكن هات تختا من ثيابي يا غلام فقد فعل ليه وقد كان يحمل عليه يا ابن عياش وحبيب
بن بديل فاعطاه مما معه تختين وقال عن مثنى ما وفقه تختي ثياب قال السيد قدس الله روحه

معن بن زائدة

وكان معن بن زائدة جوادا شجاعا شاعرا ويكنى ابا الوليد وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن
زائدة بن مطر بن شريك ابن عمرو ومطر هو اخو الحوفزان بن شريك وكان معن من اصحاب ابن هبيرة
فلما قتل رثاه فقال الا ان عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود عشية
قام النائحات وشققت جيوب بايدي ماتم وخدود فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به
بعد الوفود وفود فانك لم تبعد على متعهد بلى كل من تحت التراب بعيد اخبرنا ابو عبيد
الله المرزباني قال اخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن ابيه قال حدثني محمد بن القسم بن مهرويه قال

حدثني

حدثني ابو يزيد الحكم بن موسى قال حدثني ابي قال كان معن بن زائدة من اصحاب يزيد بن عمر بن هبيرة
وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية فانه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم وقد وثبوا على
المنصور تقدم فاخذ لجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما افرجوا له وتفرقوا عنه
قال له من انت ويحك قال انا طلبتك معن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتبه ثم
قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له هيه يا معن تعطي مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم
على ان قال لك معن بن زائدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان ان عد ايام
الفعال فانما يوماه يوم ندى ويوم طعان قال كلا يا امير المؤمنين ولكني اعطيته على قوله
ما زلت يوم الهاشمية معلما بالسيف دون خليفة الرحمن فمنعت حوزته وكنت وقاءه
من وقع كل مهند وسنان قال احسنت يا معن وفي خبر آخر انه دخل على المنصور فقال له ويلك
ما اظن ما يقال فيك من ظلمك لاهل اليمن واعتسافك اياهم الا حقا قال وكيف ذلك يا امير المؤمنين
قال بلغني انك اعطيت شاعرا كان يلزمك الف دينار وهذا من السرف الذي لا شيء مثله فقال
يا امير المؤمنين انما اعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي وفضلات رزقي وكففته عن عرضي
وقضيت الواجب من حقه علي وقصده الي وملازمته لي قال فجعل ابو جعفر ينكت بقضيب في
يده الارض ولم يعاوده القول واخبرنا المرزباني قال اخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن ابي
سعيد الوراق عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بعنقاد من اهل خراسان
وكان من ولاة الرشيد قال حدثني معن بن زائدة قال كنا في الصحابة سبع مائة رجل فكنا ندخل على
المنصور في كل يوم قال فقلت للربيع اجعلني في آخر من يدخل عليه فقال لست باشرفهم فتكون
في اولهم ولا باخسهم نسبا فتكون في آخرهم وان مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور
ذات يوم وعلي دراعة فضفاضة وسيف حنفي اقرع بنعله الارض وعمامة قد اسدلتها من قدامي
وخلفي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي يا معن صيحة انكرتها فلبيته فقال الي
فدنوت منه فاذا به قد نزل عن فراشه الى الارض وجثا على ركبتيه واستل عمودا من بين فراشين
واستحال لونه ودرت اوداجه وقال انك لصاحبي يوم واسط لا نجوت ان نجوت مني قال قلت يا
امير المؤمنين تلك نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال فقال لي كيف قلت فاعدت عليه
القول فما زال يستعيدني حتى رد العمود الى مستقره واستوى متربعا واسفر لونه وقال يا معن
ان باليمن هنات قلت يا امير المؤمنين ليس لمكتوم راي وهو اول من ارسلها مثلا فقال انت
صاحبي فاجلس قال فجلست فامر الربيع باخراج كل من كان في الدار فخرج الربيع فقال ان صاحب
اليمن قد هم بالمعصية واني اريد ان آخذه اسيرا ولا يفوتني شيء من ماله فقلت ولني اليمن واظهر

الهنات الامور المنكرات

معن بن زائدة

انك قد ضممتني اليه وامر الربيع ان يزيح علتي في كل ما احتاج اليه ويخرجني في يومي هذا لئلا
ينتشر الخبر قال فاستل عهدا من بين فراشين فوقع فيه باسمي وناولنيه ثم دعا الربيع فقال
يا ربيع انا قد ضممنا معنا الى صاحب اليمن فازح علته فيما يحتاج اليه من السلاح والكراع ولا
يمس الا وهو راحل قال ثم ودعني فودعته وخرجت الى الدهليز فلقيني ابو الوالي فقال يا معن
اعزز علي ان تضم الى ابن اخيك قال فقلت له انه لا غضاضة على الرجل ان يضمه سلطانه الى ابن
اخيه وخرجت الى اليمن فاتيت الرجل واخذ قرابته وقرأت عليه العهد وقعدت في مجلسه وروى عمر بن
شبة قال اجتمع عند معن بن زائدة بن ابي عاصية وابن ابي حفصة والضمري فقال ليقل كل
واحد منكم مديح بيت قال فانشده ابن ابي حفصة مسحت بيمينه وجه معن سابقا لما جرى
وجرى ذوو الاحساب فقال له معن الجواد يعثر فيمسح وجهه من الغبار وقيل من العثار وغيرها و
انشده الضمري انت امرؤ همك المعالي ولو معروفك الربيع وشانك الحمد تشتريه
يشيعه عنك من يشيع فقال له ما احسن ما قلت الا انك لم تسمني ولم تذكرني فمن شاء انتحله و
انشده ابن ابي عاصية ان زال معن بني زائدة لم يزل لندى الى بلد بعيرها سافر ففضله عليهم
وروى انه اتي معن بن زائدة بثلاثمائة اسير فامر بضرب اعناقهم فقال له شاب منهم يا اخا
شيبان نناشدك الله ان تقتلنا عطاشا فقال اسقوهم ماء فلما شربوا قال يا اخا شيبان
نناشدك الله ان تقتل اضيافك فقال اطلقوهم وذكر احمد بن كامل ان الخوارج قتلت معن بن
زائدة بسجستان في سنة احدى وخمسين ومائة وروي ان عبد الله بن طاهر كان يوما عند المامون
فقال له يا ابا العباس من اشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم قال امير المؤمنين اعرف بهذا مني
قال على كل حال قال عبد الله اشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة ايا قبر معن كنت اول حفرة
من الارض خطت للسماحة مضجعا ايا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا والابيات للحسين بن مطير
الاسدي وهي يزيد على هذا المقدار واولها الما على معن فقولا لقبره سقتك الغوادي
مربعا ثم مربعا ومنها فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا ولما مضى
معن مضى الجود وانقضى واصبح عرنين المكارم اجدعا **مجلس آخر** تاويل آية ان سال سائل
فقال ما الوجه في قوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق وفي موضع
آخر وقتلهم الانبياء بغير حق وظاهر هذا القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق وقوله ومن
يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وقوله
تعالى ولا تكونوا اول كافر به وقوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وقوله لا يسئلون

ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين

الجواب قلنا ان السؤال عن كل هذه الآيات من وجه واحد وهو الذي تقدم الجواب ان للعرب فيما يجري
هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهبا مشهورا عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم ومرادهم
بذلك المبالغة في النفي وتاكيده فمن ذلك قولهم فلان لا يرجى خيره ليس يريدون ان فيه خيرا لا
يرجى وانما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه ومثله قلما رايت مثل هذا الرجل وانما
يريدون ان مثله لا يرى قليلا ولا كثيرا وقال امرؤ القيس على لاحب لا يهتدى بمناره اذا
سافه العود الديافي جرجرا يصف طريقا واراد بقوله لا يهتدى بمناره انه لا منار له فيهتدى بها
والعود المسن من الابل والديافي منسوب الى دياف قرية بالشام معروفة وسافه شمه والجرجرة
مثل الهدير وانما اراد ان العود اذا شمه عرفه فاستبعده وذكر ما يلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك
قال ابن احمر لا تفزع الارنب اهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر اراد ليست لها اهوال فتفزع
الارنب وقال النابغة تحف به حافتاه ينبق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد اراد ليس
بها رمد فتكحل له وقال امرؤ القيس وصم حوام ما يقين من الوجى كان مكان الردف منه على
رال يصف حوافر فرسه وقوله ما يقين من الوجى فالوجى هو الحفا ويقين اي يتوقين يقال وقى
الفرس اذا هاب المشي فاراد انه لا وجى بها فيتقيه وقوله والرال فرخ النعام وشبهه
في عجزه بعجز الرال وقال الآخر لا يغمز الساق من اين ولا وصب ولا يعض على شرسوفه
الصفر اراد ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها من اجلهما وقال سويد بن ابي كاهل من اناس ليس في
اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا اجلا ولا جزعا غير سيئ وانما
اراد نفي الفحش والجزع عن اخلاقهم ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون انه
لا يقرب الخنا لا نفي الاسراع حسب وقال الفرزدق وهو يهجو بني جعفر بن كلاب ويعيرهم بفرار
منهم اصيبوا في بعض حروبهم فحملت الخنساء هؤلاء القوم القتلى حتى ابتن بهم الحي ولم يات عيرا هلها
كالذي اتت به حبقر يوم الهصيبات عيرها اتتهم بعير لم تكن هجرية ولا حنطة الشام المزيت
خميرها يعني ان العير انما تحمل التمر والطعام الى الحي فحملت عير هؤلاء القوم القتلى وقوله لم
تكن هجرية اي لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولا حنطة الشام المزيت خميرها ولم يرد
ان هناك حنطة ليس في خميرها زيت لكنه اراد انها لم تحمل تمرا ولا حنطة ثم وصف الحنطة
بما يجعل في خميرها من الزيت وعلى هذا تاويل الآيات التي وقع السؤال عنها لانه تعالى لما
قال ويقتلون النبيين بغير حق دل على ان قتلهم لا يكون الا بغير حق ثم وصف القتل بما لا بد
ان يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك من يدع مع الله الها آخر لا برهان

في ذكر شيء من اخبار المعمرين واشعارهم

له به انما هو وصف لهذا الدعاء وانه لا يكون الا عن غير برهان وقوله تعالى الله الذي رفع السموات
بغير عمد ترونها وجهه ايضا انه لو كان هناك عمد لرايتموه فاذا نفي روية العمد نفي وجوب
العمد كما قال لا يهتدى بمناره اي لا منار له من حيث علم انه لو كان له منار لاهتدي به فصار
نفي الاهتداء بالمنار نفيا لوجود المنار وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به تغليظ وتاكيد
في تحذيرهم من الكفر وهو ابلغ من ان يقول ولا تكفروا به ويجري مجرى قولهم فلان لا يرجع
الى الخنا وقلما رايت مثله اذا ارادوا به تاكيد نفي الخنا ونفي رؤية مثل المذكور وكذلك قوله
تعالى لا يسئلون الناس الحافا معناه لا مسئلة تقع منهم ومثل الاول ولا تشتروا باياتي
ثمنا قليلا والفايدة ان كل ثمن لها لا يكون الا قليلا فصار نفي الثمن القليل نفيا لكل ثمن
وهذا واضح بحمد الله ومنه **باب** في ذكر شيء من اخبار المعمرين واشعارهم ومستحسن
كلامهم احد المعمرين الحرث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن ادد المذحجي ومذحج
هي ام مالك بن ادد نسب ولدا مالك اليها وانما سميت مذحجا لانها ولدت على اكمة تسمى
مذحجا واسمها مدلة بنت ذي مهجنا قال ابو حاتم السجستاني جمع الحرث بن كعب بنيه لما
حضرته الوفاة فقال يا بني قد اتت علي ستون ومائة سنة ما صافحت بيميني يمين غادر ولا
قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندي مومسة قناعها ولا
بحت لصديق بسر واني لعلى دين شعيب النبي صلى الله عليه وما عليه احد من العرب
غيري وغير اسد بن خزيمة وتميم بن مر فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي الهكم فاتقوه يكفكم
المهم من اموركم ويصلح لكم اعمالكم واياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار وتوحش منكم الديار
يا بني كونوا جميعا ولا تتفرقوا فتكونوا شيعا وان موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز وكل
ما هو كاين كاين وكل جمع الى تباين الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان
فيوم حبرة ويوم عبرة والناس رجلان فرجل لك ورجل عليك تزوجوا الاكفاء و
ليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فان ولدها الى افن ما يكون الا انه لا راحة لقاطع
القرابة واذا اختلف القوم امكنوا عدوهم منهم وافة العدد اختلاف الكلمة والتفضل بالحسنة
يقي السيئة والمكافاة بالسيئة الدخول فيها والعمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث
الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب البلد و
النصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الرعة يقطع اسباب
المنفعة والضغاين تدعوا الى التباين ثم انشا يقول أكلت شبابا فافنيته وامضيت بعد
دهور دهورا ثلاثة اهلين صاحبتهم فبادوا واصبحت شيخا كبيرا قليل الطعام عسيرا

الهيام

عسير القيام قد ترك الدهر خطوي قصيرا ابيت اراعي نجوم السماء اقلب امري بطونا ظهورا
قوله ولا صبوت بابنة عم ولا كنة الصبوة هي رقة الحب والكنة هي امراة اخي الرجل وامراة ابنه
واما المومسة فهي الفاجرة البغي واراد بقوله لم تطرح عندي قناعها اي لم تتبذل وتتبسط كما
تفعل مع من يريد الفجور بها وقوله فيوم حبرة ويوم عبرة فالحبرة السرور والفرح والعبرة تكون
من ضد ذلك لان العبرة لا تكون الا من امر محزن مولم فاما الافن فهو الحمق يقال رجل افين اذا كان
احمق ومن امثالهم وجدان الرقين يغطي على افن الافين اي وجدان المال يغطي على حمق الاحمق
واحد الرقين رقة وهي الفضة فاما قوله النصيحة تجر الفضيحة فيشبه ان يكون معناه ان النصح
من لا يقبل نصيحته ولا يصغي الى موعظته فقد افتضح عنده لانه افضى اليه بسره وباح بمكنون
صدره فاما سوء الرعة فانه يقال فلان حسن الرعة والتورع اذا كان حسن الطريقة **ومن
المعمرين** المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن اد
طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر لبيت قاله وهو ينش الماء في الربلات منها نشيش
الرضف في اللبن الوغير الربلات واحدتها ربلة وربلة بفتح الباء واسكانها وهي كل لحمة
غليظة هكذا ذكر ابن دريد والرضف الحجارة المحماة وفي الحديث كانه على الرضف واللبن الوغير
لبن تلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب خاصة من حرارة الظهيرة وهي اشد ما يكون من الحر ومنه وغر
صدر فلان يوغر وغرا اذا التهب من غضب وحقد وقال اصحاب الانساب عاش المستوغر
ثلاثمائة سنة وعشرين سنة وادرك الاسلام او كاد يدركه اوله وقال ابن سلام كان المستوغر
قديما وبقي بقاء طويلا حتى قال ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين
مئينا مائة اتت من بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا هل ما بقي الا
كما قد فاتنا يوم يكر وليلة تحدونا وهو القايل اذا ما المرء صم فلم يكلم واودى سمعه
الا نداءا ولاعب بالعشي بني بنيه كفعل الهر يحترش العظايا يلاعبهم وودوا لو سقوه
من الذيفان مترعة ملايا فلا ذاق النعيم ولا شرابا ولا يشفى من المرض الشفاء اراد
بقوله صم فلم يكلم اي لم يسمع ما يكلم به فاختصر ويجوز ان يريد انه لم يكلم لليأس من
استماعه فاعرض عن خطابه لذلك وقوله اودى سمعه الا نداءا اراد ان سمعه هلك الا انه يسمع
الصوت العالي الذي ينادى به وقوله ولاعب بالعشي بني بنيه فانه مبالغة في وصفه بالهرم و
الخرف وانه قد تناهى الى ملاعبة الصبيان وانسه بهم ويشبه ان يكون خص العشي بذلك لانه
وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها وقوله يحترش العظايا اي يصيدها والاحتراش
ان يقصد الرجل الى جحر الضب فيضربه بكفه ليحسبه الضب افعى فيخرج اليه فياخذه يقال حرشت

يعني امراة ابن الرجل

تبتذل وتنبسط

المستوغر

نشيش صوت الماء

والغيان

والربلات لحم الفخذ

وغيرة

وتقابل الطرف وغيره

يقول بقي

الذيفان السم

ومنهم

مُلبّج

ولدت

هجنا منجنا

قنعت

عليه السلام

دويد بن زيد

الضب في اخر شيء ومن امثالهم هذا اجلّ من الحرش يضرب عند الامر يستعظم ويتكلم بذلك على
لسان الضب قال ابن دريد قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة بباب
الجحر فلا تخرج فسمع يوما وقع المحفار فقال يا ابت هذا الحرش فقال هذا اجلّ من الحرش فجعل
مثلا للرجل اذا سمع الشيء الذي هو اشد مما كان يتوقعه والذيخان السم والعظايا جمع عظاية
وهي دويبة معروفة ومن المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن ليث بن سود بن اسلم بن
الحاف بن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش دويد بن زيد اربعمائة
وستا وخمسين سنة قال ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قال
لا تعد العرب معمرا الا من عاش مائتي سنة وعشرين سنة فصاعدا قال لبنيه اوصيكم بالناس
شرا لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوا لهم عثرة قصروا الاعنة وطولوا الاسنة اطعنوا شزرا واضربوا
هبرا واذا اردتم المحاجزة فقبل المناجزة والمرء يعجزه المحالة ما لجدّ لا ما لكدّ التجلد ولا التبلد
والمنية ولا الدنية لا تأسوا على فايت وان عزّ فقده ولا تحنوا الى ظاعن وان الف قربه ولا
تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكون لكم المثل السوء ان الموصين بنو سهوان اذا مت فارحبوا
خط مضجعي ولا تضنوا علي برحب الارض وما ذلك بمؤد الى روحا ولكن حاجة نفس خامرها الا
شفاق ثم مات قال ابو بكر بن دريد وحدثت انه قال اليوم يبنى لدويد بيته يا رب نهب
صالح حويته ورب قرن بطل اديته ورب عيل حسن لويته ومعصم مخضب ثنيته
لو كان للدهر بلى ابليته او كان قرني واحدا كفيته ومن قوله الفى على الدهر رجلا ويدا
والدهر ما اصلح يوما افسدا يفسد ما اصلحه اليوم غدا قوله اطعنوا شزرا واضربوا هبرا
معنى الشزر ان يطعنه من احدى ناحيتيه يقال فتل الحبل شزرا اذا فتله على الشمال والنظر
الشزر نظر بمؤخر العين وقال الاصمعي يقال نظر اليه شزرا اذا نظر اليه عن يمينه وشماله
وطعنه شزرا كذلك وقوله هبرا قال ابن دريد يقال هبرت اللحم اهبره هبرا اذا قطعته قطعا
كبارا والاسم الهبرة والهبرة وسيف هبار وهابر واللحم هبير ومهبور والمحالة الحيلة وقوله
ما لجدّ لا ما لكدّ اي يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجدّ وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدود فاذا
كسرت الجيم فهو الانكماش في الامر والمبالغة فيه وقوله التجلد ولا التبلد اي تجلدوا ولا تتبلدوا
وقوله فتطبعوا اي تدنسوا والطبع الدنس ويقال طبع السيف يطبع اذا ركبه الصدأ وقال
ثابت قطنة العتكي لا خير في طمع يدني الى طبع وغفة من قوام العيش تكفيني وقوله ولا
تهنوا فتخرعوا فالوهن الضعف والخرع والخراعة اللين ومنه سميت الشجرة الخروع للينها وقوله
ان الموصين بنو سهوان فالموصون جمع موصى وبنو سهوان ضربه مثلا اي لا تكونوا ممن يتقدم اليهم

شجر الخروع

فنهوا

زهير بن جناب

فنهوا او عرضوا عن الوصية وقال الاخر يضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ومعناه ان الذين
يحتاجون الى ان يوصوا بحوائج اخوانهم هم الذين يسهون عنها لقلة عنايتهم بها وانت غير غافل ولا
ساه عن حاجتي وقوله فارحبوا اي وسعوا والرحب السعة والروح الراحة وقوله في الشعر عيل
فالعيل الساعد الممتلئ والمعصم موضع السوار من اليد ومن المعمرين زهير بن جناب بن
هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب
بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن
حمير قال ابو حاتم عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة واوقع مائتي وقعة وكان
سيدا مطاعا شريفا في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من اهل زمانه
كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم والطب في
ذلك الزمان شرف وحازي قومه والحزاة الكهان وفارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم
واوصى الى بنيه فقال يا بني اني قد كبرت سني وبلغت حرسا من دهري فاحكمتني التجارب والامور
تجربة واختبار فاحفظوا عني ما اقول وعوه اياكم والخور عند المصائب والتواكل عند النوائب
فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين ولها امنين ومنها ساخرين
فانه ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فان الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر
دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد ان يصيبه قوله حرسا من دهري يريد دهرا
والحرس الدهر قال الراجز في سنبة عشنا بذاك حرسا والسنبة المدة من الدهر والتواكل
ان يكل القوم امرهم الى غيرهم من قولهم رجل وكل اذا كان لا يكتفي بنفسه ويكل امره الى غيره و
يقال رجل وكلة تكلة والغرض كل ما نصبته للرمي وتعاوره اي تداوله قال السيد قدس الله
روحه وقد ضمن ابن الرومي معنى قول زهير بن جناب الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة
فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وعن شماله ثم لا بد ان يصيبه ابياتا فاحسن فيها كل
الاحسان والابيات كفى بسراج الشيب في الراس هاديا الى من اضلته المنايا لياليا امن بعد ابداء
المشيب مقاتلي لرامي المنايا تحسبيني ناجيا غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه لشخصي اخلق
ان يصبن سواديا وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا اما
البيت الاخير فانه ابدع فيه واغرب وما علمت انه سبق الى معناه لانه جعل الشباب كالليل الساتر
على الانسان الحاجز بينه وبين من اراد رميه والشيب مسببا لظهور مقاتله هاديا الى اصابته لضوئه
وبياضه وهذا في نهاية حسن المعنى واراد بقوله رماني اصابني ومثله قول الشاعر فلما رمى
شخصي رميت سواده ولا بد ان يرمي سواد الذي يرمي وكان زهير بن جناب على عهد كليب

وايل ولم تكن في العرب انطق من زهير ولا اوجه عند الملوك وكان لاسد بن دابر فيهم كاهنا وارتجع قضاعة الا عليه على زاح ابن ربيعة وسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي لامرأة ان تتكلم عند زوجها فنهاها فقالت له اسكت عني والا ضربتك هذا العمود فوالله ما كنت اراك تسمع شيئا ولا تعقله فقال عند ذلك الا يا لقوم ما ادري النجم طالعا ولا الشمس الا حاجبي بيميني معزبتي عند القفا بعمودها يكون نكيري ان اقول ذريني امينا على سر النساء وربما اكون على الاسرار غير امين فللموت خير من حداج موطأ مع الظعن لا يأتي المحل لحين وهو القايل ابني ان اهلك فقد اورثتكم مجدا بنيه وتركتكم ابناء سادات زنادكم وريه من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية ولقد رحلت البازل الكوماء ليس لها وليه وخطبت خطبة حازم غير الضعيف ولا العييه فالموت خير للفتى فليهلكن وبه بقيه من ان يرى الشيخ البجال وقد يهادى بالعشيه وهو القايل ليت شعري والدهر ذو حدثان اي حين منيتي تلقاني اسبات على الفراش خفات ام بكفي مفجع حران وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره لقد عمرت حتى لا ابالي احتفي في صباحي ام مسائي وحق لمن اتت مائتان عاما عليه ان يمل من الثواء قوله معزبتي يعني امرأته يقال معزبة الرجل امرأته و طلته وحنته كل ذلك امرأته وقوله امينا على سر النساء فالسر خلاف العلانية والسر النكاح ايضا قال الحطيئة ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم انف القصاع وقال امرء القيس الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت والا يحسن السر امثالي وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعا لانه اذا كبر وهرم لم تتهيبه النساء ان يتحدثن بحضرته باسرارهن ثقة وتعويلا على ثقل سمعه وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه امينا على نكاح النساء لعجزه عنهن وقوله حداج موطأ الحداج مركب من مراكب النساء والجمع احداج وحدوج والظعن والاظعان الهوادج والظعينة المرأة في الهودج ولا تسمى ظعينة حتى تكون في الهودج والجمع ظعاين وانما خبر عن هرمه و ان موته خير من كونه مع الظعن في جملة النساء وقوله زنادكم وريه الزناد جمع زند و زندة و هما عودان تقدح بهما النار في احدهما فروض وهي ثقب فالتي فيها الفروض هي الانثى والذي يقدح بطرفه هو الذكر ويسمى الزند الاب والزندة الام وكنى بزنادكم وريه عن بلوغهم ما يريدون تقول العرب وريت بك زنادي اي نلت بك ما احب من النجح والنجاة ويقال للرجل الكريم واري الزناد فاما التحية فهي الملك فكأنه قال من كل ما نال الفتى قد نلته الا الملك وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء والبازل الناقة التي قد بلغت تسع سنين وهي اشد ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء والكوماء العظيمة السنام والوليه بردعة تطرح على ظهر البعير

تولج الخ والبجال الذي يبجله قومه ويعظمونه ومعنى يهادى اي يمشي بين الرجال فيسندونه لضعفه والتهادي المشي الضعيف وقوله اسبات فالسبات سكون الحركة ورجل مسبوت والخفات الضعف يقال خفت الرجل اذا اصابه ضعف من مرض او جوع والمفجع الذي قد فجع بولد او قرابة والحران العطشان الملتهب وهو ههنا المحزون على قتلاه ومما يروى لزهير بن جناب اذا ما شئت ان تسلى حبيبا فاكثر دونه عدد الليالي فما سلى حبيبك مثل ناي ولا بلي جديدك كابتذال

ومن المعمرين ذو الاصبع العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر وانما سمي الحارث عدوان لانه عدا على اخيه فهم فقتله وقيل بل فقا عينه وقيل ان اسم ذي الاصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثة ويكنى ابا عدوان وسبب لقبه بذي الاصبع ان حية نهشته على اصبعه فشلت فسمي بذلك ويقال انه عاش مائة وسبعين سنة وقال ابو حاتم انه عاش ثلثمائة سنة وهو احد حكام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان اثرم وروي عنه انه قال ابعد ان عهد الشباب ولا لذاته ونباته النضر لولا اولئك ما حفلت عواليتي من حرج الى قبري هزئت اثيلة ان رأت هرمي وان انحنى لتقادم ظهري وكان لذي الاصبع بنات اربع فعرض عليهن ان يزوجهن فابين وقلن خدمتك وقربك احب الينا ثم اشرف عليهن يوما من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة ما في نفسها فقالت الكبرى الا هل اراها ليلة وضجيعها اشم كنصل السيف غير مبلد عليم بادواء النساء واصله اذا ما انتمى من سر اهلي ومحتدي ويروى من اهل سري ومن اصل سري فقلن لها انت تريدين فتى من قرابتك ثم قالت الثانية الا ليت زوجي من اناس اولي غنى حديث الشباب طيب الثوب والعطر لصوق باكباد النساء كانه خليفة جان لا ينام على وتر ويروى لا ينام على هجر فقلن لها انت تريدين فتى ليس من اهلك ثم قالت الثالثة الا ليته يكسى الجمال نديه له جفنة تشقى بها المعز والجزر له حكمات الدهر من غير كبرة تشين فلا فان ولا ضرع غمر فقلن لها انت تريدين سيدا شريفا وقلن للرابعة قولي فقالت لا اقول فقلن يا عدوة الله علمت ما في انفسنا ولا تعلمينا ما في نفسك فقالت زوج من عود خير من قعود فمضت مثلا فزوجهن اربعهن فمكثن حولا ثم اتى الكبرى فقال يا بنية كيف ترين زوجك قالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الابل نشرب البانها جرعا ويروى جرعا ونأكل لحمانها مزعا وتحملنا وضعيفنا معا فقال يا بنية زوج كريم ومال عميم ثم اتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك قالت خير زوج يكرم اهله وينسى فضله قال فما مالكم قالت البقر تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء

وحسناء مع النساء فقال حظيت ورضيت ثم اتى الثالثة فقال يا بنية كيف زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها ادما ويروى ادما بالفتح لم نبغ بها نعما فقال لها جذوة مغنية ويروى جذوى معيشة ثم اتى الصغرى فقال يا بنية كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم قالت شر مال قال وما هو قالت الضأن جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وامر مغويتهن يتبعن فقال ابوها اشبه امرؤ بعض بزه فمضت مثلا قال السيد قدس الله روحه اما قول احدى بناته في الشعر شم فالشمم ارتفاع ارنبة الانف وورودها يقال رجل اشم وامراة شماء وقوم شم قال حسان ثابت بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاول والشمم الارتفاع في كل شيء فيحتمل ان يكون اراد حسان بشم الانوف ما ذكرناه من ورود الانف لان ذلك عندهم دليل العتق والنجابة ويجوز ان يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الامور ورذايلها وخص الانوف بذلك لان الحمية والغضب والانفة يكون فيها ولم يرد طول انفهم وهذا اشبه بان يكون مراده لانه قال بيض الوجوه ولم يرد بياض اللون في الحقيقة وانما كنى بذلك عن نقاء اعراضهم وجميل اخلاقهم وافعالهم كما يقول القائل جاءني فلان بوجه ابيض وقد بيض فلان وجهه بكذا او كذا وانما يعني ما ذكرناه وقول المراة اشم كنصل السيف يحتمل الوجهين ايضا وقول حسان من الطراز الاول اي فعالهم افعال اباءهم وسلفهم وانهم لم يحدثوا افعالا مذمومة لا تشبه نجارهم واصولهم وقولها عين مهند اي هو المهند بعينه كما يقال هذا هو بعينه وعين الشيء نفسه وعلى الرواية الاخرى غير مهند اي ليس هو السيف المنسوب الى الهند في الحقيقة وانما هو مشتبه به في مضائه وقولها من سر اهلي اي من اكرمهم واخلصهم يقال فلان في سر قومه اي في صميمهم وشرفهم وسر الوادي اطيبه ترابا والمحتد الاصل وقول الثانية اولي عدى فانما معناه ان يكون له اعداء لان من لا عدو له هو السفل الرذل الذي لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس هو المحسد المعادى وقولها اصوق باكباد النساء يعني في المضاجعة ويحتمل ان يكون اراد في المحبة والمودة وكنت بذلك عن شدة محبتهن وميلهن اليه وهو اشبه وقولها كانه خليفة جان اي كانه حية للصوفة والجان جنس من الحيات فخففت لضرورة الشعر وقول الثالثة بكي الحبال ندبة فالندب هو المجلب وقولها له حكمات الدهر يقول قد احكمته التجارب وجعلته حكيما فاما الورع فهو الضعيف والغمر الذي لم يجرب الامور وقول الكبرى يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة فالحليلة هي امراة الرجل والوسيلة الحاجة وقولها نشرب البانها جرعا فالجرع جمع جرعة وهو الماء القليل يبقى في الاناء وقولها مزعا المزعة البقية من دسم ويقال ما له جزعة

ولا مزعة

ولا مزعة هكذا ذكره ابن دريد بالضم في جزعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جزعة واذا كسرت فينبغي ان يكون نشرب البانها جزعا وتكسر المزعة ايضا ليزدوج الكلام فتقول وناكل لحمانها مزعا فان المزعة بالكسر هي القطعة من اللحم والمزعة ايضا بالكسر من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق والتمزيع التقطيع والتشقق يقال ليكاد يتمزع من الغيظ ومزع الظبي في عدوه يمزع مزعا اذا اسرع وقوله مال عميم اي كثير وقول الثانية تودك السقاء من الودك الذي هو الدسم وقول الثالثة نولدها فطما القطم جمع فطيم وهو المقطوع من الرضاع وقولها نسلخها ادما فالادم جمع اديم وهو الذي يوكل تقول لو انا فطمناها عند الولادة وسلخناها للادم من الحاجة لم نبغ بها نعما وعلى الرواية الاخرى ادما من الاديم وقوله جذوة مغنية فالجذوة القطعة وقول الصغرى جوف لا يشبعن الجوف جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف والهيم العطاش ولا ينقعن اي لا يروين ومعنى قولها وامر مغويتهن يتبعن اي القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزل واحدة فتقع في الماء فيقعن كلهن اتباعا لها والضأن توصف بالبلادة اخبرنا ابو الحسن محمد بن علي الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيدة عن يونس قال ابن دريد واخبرنا ابو العكلي عن ابن ابي خالد عن الهيثم بن عدي عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير دعا الناس الى فرائضهم فاتيناه فقال من القوم فقلنا من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك عذير الحي من عدوان كانوا حية الارض بغى بعضهم بعضا فلم يرعوا على بعض ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي ومنهم من يجير الناس بالسنة والفرض ثم اقبل على رجل كنا قدمناه امامنا جسيم وسيم فقال ايكم يقول هذا الشعر فقال لا ادري فقلت انا من خلفه يقوله ذو الاصبع فتركني واقبل على ذلك الجسيم فقال ما كان اسم ذي الاصبع فقال لا ادري فقلت انا من خلفه حرثان قال فلم سمي ذا الاصبع فقال لا ادري فقلت انا من خلفه نهشته حية على اصبعه فاقبل عليه وتركني فقال من ايكم كان قال لا ادري فقلت انا من خلفه من بني ناج فاقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك قال سبعمائة ثم اقبل علي فقال كم عطاؤك قلت اربعمائة فقال يا ابا الزعيزعة حط من عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا فرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه اربعمائة وفي رواية اخرى انه لما قال له من ايكم كان قال لا ادري فقلت انا من خلفه من بني عماج الذين يقول فيهم الشاعر فاما بنو ناج فلا تذكرنهم ولا تتبعن عينيك من كان هالكا اذا قلت معروفا لتصلح بينهم يقول وهيب لا اسالم ذلكا ويروى لا احاول فاضحى كظهر العود جب سنامه يدب الى الاعداء احدب باركا وقد رويت هذه الابيات لذي الاصبع ايضا ومن ابيات ذي الاصبع التي اولها اكاشر ذا الضغن المبين منهم واضحك حتى

يبدو الناب اجمع * واقدمته بالقول هذا ولا ارى * سترته ما اخفى لبانه يفرع * ومعنى قوله
اسكنه ومن قوله ايضا * اذا ما الدهر جر على اناس * شراشره اناخ باخرينا * فقل للشامتين بنا
افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا * ومعنى الشراشر هنا الثقل يقال القى عليه شراشره و
جراميزه اي ثقله ومن قوله * ذهب الذين اذا راوني مقبلا * هشوا الي ورحبوا بالمقبل *
وهم الذين اذا حملت حمالة * ولقيتهم فكانني لم احمل * ومن قوله وهي مشهورة * لي ابن عم على
ما كان من خلق * مختلفان فاقليه ويقليني * ازرى بنا اننا شالت نعامتنا * فخالني دونه
بل خلته دوني * لاه ابن عمك لا افضلت في حسب * عني ولا انت دياني فتخزوني * اني لعمرك
ما بابي بذي غلق * عن الصديق ولا خيري بممنون * ولا لساني على الادنى بمنطلق * بالفاحشات
ولا اغضي على الهون * ماذا علي وان كنتم ذوي رحمي * ان لا احبكم ان لم تحبوني * يا عمرو ان
لم تدع شتمي ومنقصتي * اضربك حيث تقول الهامة اسقوني * كل امرئ صائر يوما لشيمته *
وان تخلق اخلاقا الى حين * وانتم معشر زيد على مائة * فاجمعوا امركم طرا فكيدوني * لا
يخرج القسر مني غير مابية * ولا الين لمن لا يبتغي ليني * قوله شالت نعامتنا معناه تنافرنا وضرب
النعام مثلا اي لا اطمئن اليه ولا يطمئن الي يقال شالت نعامة القوم اذا خلوا عن الموضع
وقوله لاه ابن عمك قال قوم اراد لله ابن عمك وقال ابن دريد قسم واراد والله ابن عمك وقوله
عني اي علي والديان الذي يلي امره ومعنى فتخزوني اي تسوسني والهون الهوان وقوله اضربك
حيث تقول الهامة اسقوني قال الاصمعي العطش في الهامة فاراد اضربك في ذلك الموضع اي على
الهامة بحيث يعطش وقال آخرون العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من راسه هامة
تدور حول قبره وتقول اسقوني اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بثاره وهذا باطل ويجوز
ان يعنيه ذو الاصبع على مذاهب العرب وقوله لا يخرج القسر مني غير مابية فالقسر القهر اي ان
اخذتني قسرا لم ازدد الا اباء ومن المعمرين معدي كرب الحميري من آل ذي رعين قال ابن سلام
وقال معدي كرب قد طال عمري اذ اني كلما افنيت عمرا * اتاني بعده يوم جديد * يعود ضياؤه
في كل فجر * ويابى لي شبابي ما يعود * ومن المعمرين الربيع بن ضبع الفزاري ويقال انه بقي
الى ايام بني امية وروي انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا ربيع اخبرني عما ادركت من العمر
والمدى ورايت من الخطوب الماضية قال انا الذي اقول ها انا ذا آمل الخلود وقد ادرك عقلي ومولدي
حجرا فقال قد رويت هذا الشعر من شعرك وانا صبي قال وانا القائل * اذا عاش الفتى مائتين
عاما * فقد ذهب اللذاذة والفتاء * قال قد رويت هذا من شعرك وانا غلام وابيك يا ربيع
لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام وعشرين

ومائة

الربيع بن ضبع

ومائة في الجاهلية وستين في الاسلام قال اخبرني عن فتية في قريش متواطئي الاسماء قال سل
عن ايهم شئت قال اخبرني عن عبد الله بن عباس قال فهم وعلم وعطاء جزل ومقرى ضخم قال
فاخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وعلم وطول كظم وبعد من الظلم قال فاخبرني عن عبد الله
ابن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لين مسها قليل على المسلمين ضرها قال فاخبرني عن عبد الله
ابن الزبير قال جبل وعر ينحدر عنه الصخر قال لله درك يا ربيع ما اعرفك بهم قال قرب جواري
وكثر استخباري قال السيد قدس الله روحه ان كان هذا الخبر صحيحا فيشبه ان يكون سؤال
عبد الملك له انما كان في ايام معوية لا في ولايته لان الربيع يقول في الخبر عشت في الاسلام
ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحا فلا بد مما
ذكرناه فقد روي ان الربيع ادرك ايام معوية وقيل ان الربيع لما بلغ مائتي سنة قال الا ابلغ
بني بني ربيع فاشرار البنين لكم فداء * باني قد كبرت ودق عظمي * فلا تشغلكم عني النساء * وان
كنائني لنساء صدق * وما آلى بني ولا اساؤا * اذا كان الشتاء فادفئوني * فان الشيخ يهدمه
الشتاء * واما حين يذهب كل قر * فسربال خفيف او رداء * اذا عاش الفتى مائتين عاما
فقد ذهب اللذاذة والفتاء * وقال حين بلغ مائتين واربعين * سنة اصبح مني الشباب قد
حسرا * ان كان ولى فقد ثوى عصرا * ودعنا قبل ان نودعه * لما قضى من جماعنا وطرا *
ها انا ذا آمل الخلود وقد * ادرك عقلي ومولدي حجرا * ابا امرئ القيس هل سمعت به *
هيهات هيهات طال ذا عمرا * اصبحت لا احمل السلاح ولا * املك راس البعير ان نفرا *
والذئب اخشاه ان مررت به * وحدي واخشى الرياح والمطرا * من بعد ما قوة اسر بها *
اصبحت شيخا اعالج الكبرا * قوله عطاء حذم اي سريع وكل شيء اسرعت فيه فقد حذمته وفي
الحديث اذا اذنت فترسل واذا اقمت فاحذم اي اسرع الاناء الذي يقري فيه وقوله ما آلى بني ولا
اساؤا اي لم يقصروا والالي المقصر مجلس آخر ومن المعمرين ابو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن
الشرقي من بني كنانة بن القين قال ابو حاتم عاش مائتي سنة فقال في ذلك * حنتني حانيات الدهر
حتى * كاني خاتل ادنو لصيد * قريب الخطو يحسب من راني * ولست مقيدا اني بقيد * قال
ابو حاتم السجستاني حدثني عدة من اصحابنا انهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين
وينشد ايضا * تقارب خطو رجلك يا ذويد * وقيدك الزمان بشر قيد * وهو القائل * و
اني من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه * نجوم سماء كلما غاب كوكب
بدا كوكب تاوي اليه كواكبه * اضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت كتائبه * ومعنى البيتين الاولين تشبيه قول

ابو الطمحان القيني

اوس بن حجر، اذا مقرم منا ذا حد نابه، تخمط فينا ناب اخر مقرم، وللطفيل الغنوي مثل هذا المعنى وهو قوله، كواكب دجن كلما انقض كوكب، بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب، ومن اخذ هذا المعنى الخزيمي فقال، اذا قمر منا تغور او خبا، بدا قمر في جانب الافق يلمع، ومثل ذلك قول الاخر من اهل الارض فينا ووراثه، اذا مات منا سيد قام صاحبه، ومثله، اذا سيد منا مضى لسبيله، اقام عمود الملك اخر سيد، وكان مزاحم العقيلي نظر الى قول ابي الطمحان اضاءت لهم احسابهم ووجوههم فقال، واحسن وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها، صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي، ويقارب ذلك قول جحيه بن المضرب السعدي، اضاءت لهم احسابهم فتضاءلت، لنورهم الشمس المضيئة والبدر، وانشد محمد بن يحيى الصولي في معنى بيت ابي الطمحان، من البيض الوجوه بني سنان، لو انك تستضيء بهم اضاؤا، هم حلوا من الشرف المعلى، ومن كرم العشيرة حيث شاؤا، فلو ان السماء دنت لمجد، ومكرمة دنت لهم السماء، وابو الطمحان القائل اذا كان في صدر ابن عمك احنة، فلا تستثرها سوف يبدو دفينها، وهو القائل، اذا شاء راعيها استقى من وقيعة، كعين الغراب صفوها لم يكدر، الوقيعة المستنقع في الصخرة للماء، ويقال للماء اذا زل عن صخرة فوقع في بطن اخرى هو ماء الوقائع، وانشدوا الذي الرمة، ونلنا سقاطا من حديث كانه، جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع، ويقال للماء الذي على الصخر ماء الحشرج، وللماء الذي يجري بين الحصى والرمل ماء المفاصل، وانشد والابي ذويب، مطافيل ابكار حديث نتاجها، تشاب بماء مثل ماء المفاصل، وانشد ابو محلم السعدي لابي الطمحان، بني اذا ما سامك الذل قاهر، عزيز فبعض الذل اتقى واحرز، ولا تحم من بعض الامور تعززا، فقد يورث الذل الطويل التعزز، وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معوية الجعفري، وروى لابي الطمحان ايضا في مثل هذا المعنى، يا رب مظلمة يوما لطيت لها، تمضي علي اذا ما غاب نصاري، حتى اذا ما انجلت عني غيابتها، وثبت فيها وثوب المخدر الضاري،

ومن المعمرين عبد المسيح بن بقيلة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة، وبقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحارث وانما سمي بقيلة لانه خرج في بردين اخضرين على قومه فقالوا له ما انت الا بقيلة فسمي بذلك، وذكر الكلبي وابو مخنف وغيرهما انه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة. وادرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانيا وروي ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه اهلها ارسل اليهم ابعثوا الي رجلا من عقلائكم وذوي اسنانكم فبعثوا اليه بعبد المسيح بن بقيلة فاقبل يمشي حتى دنا من خالد فقال انعم صباحا ايها الملك قال قد اغنانا الله عن تحيتك هذه فمن اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من ظهر ابي قال فمن اين خرجت قال من بطن امي قال فعلام انت قال على الارض قال ففيم انت قال في ثيابي قال اتعقل لا عقلت قال اي والله واقيد قال ابن كم انت قال

ابن

ارادت السفينة قربها من الشط وذلك الموضع رقاة

ابن رجل واحد قال خالد ما رايت كاليوم قط اني اساله عن الشيء وينحو في غيره قال ما اجبتك الا عما سالتك فسل عما بدا لك قال اعرب انتم ام نبيط قال عرب استنبطنا ونبيط استعربنا قال فحرب انتم ام سلم قال لا بل سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجيء الحليم ينهاه قال كم اتى لك قال خمسون وثلاثمائة سنة قال فما ادركت قال ادركت سفن البحر ترفا الينا في هذا الجرف ورايت المراة من اهل الحيرة تضع مكتلها على راسها لا تزود الا رغيفا واحدا حتى تاتي الشام ثم قد اصبحت اليوم خرابا يبابا وذلك داب الله تعالى في العباد والبلاد قال ومعه سم ساعة يقلبه في كفه فقال له خالد ما هذا في كفك قال السم قال وما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومي واهل بلدي حمدت الله وقبلته وان كانت الاخرى لم اكن اول من ساق اليهم ذلا وبلاء اشربه فاستريح من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فاخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء ثم اكله فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه في صدره طويلا ثم عرق فافاق كانما انشط من عقال فرجع ابن بقيلة الى قومه فقال جئتكم من عند الشيطان اكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم واخرجوهم عنكم فان هذا الامر مصنوع لهم فصانعوهم على مائة الف درهم وانشا ابن بقيلة يقول، ابعد المنذرين اري سواما، تروح بالخورنق والسدير، تحاماه فوارس كل قوم، مخافة ضيغم عالي الزئير، وصرنا بعد هلك ابي قبيس، كمثل الشاء في اليوم المطير، يريد ابا قابوس فصغره ويروى كمثل المعز، تقسمنا القبائل من معد، علانية كايسار الجزور، نؤدي الخرج بعد خراج كسرى، وخرج من قريظة والنضير، كذاك الدهر دولته سجال، فيوم من مساءة او سرور، ويقال ان عبد المسيح بن بقيلة لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بقيلة قال، لقد بنيت للحدثان حصنا، لو ان المرء تنفعه الحصون، طويل الراس اقعس مشمخرا، لانواع الرياح به حنين، ومما يروى لعبد المسيح بن بقيلة والناس ابناء علات فمن علموا، ان قد اقل فمجفو ومحقور، وهم بنون لام ان راوا نشبا، فذاك بالغيب محفوظ ومحفور، وهذا يشبه قول اوس بن حجر، بني ام ذي المال الكثير يرونه، وان كان عبدا سيد الامر جحفلا، وهم لمقل المال اولاد علة، وان كان محضا في العمومة مخولا، وذكر ان بعض مشايخ اهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط ديرا فلما احتفر موضع الاساس وامعن في الاحتفار اصاب كهيئة الكهف فدخله فاذا رجل على سرير من رخام وعند راسه كتابة انا عبد المسيح بن بقيلة، حلبت الدهر اشطره حياتي، ونلت من المنى بلغ المزيد، وكافحت الامور وكافحتني، ولم احفل بمعضلة كؤود، وكدت انال في الشرف الثريا، ولكن لا سبيل الى الخلود، **ومن المعمرين** النابغة الجعدي واسمه قيس بن كعب بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن

معصعة ويكنى ابا ليلى وروى ابو حاتم السجستاني قال كان النابغة الجعدي اسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله ۞ تذكرت والذكرى تهيج على الهوى ۞ ومن حاجة المحزون ان يتذكرا ۞ نداماي عند المنذر بن محرق ۞ ارى اليوم منهم ظاهر الارض مقفرا ۞ كهول وفتيان كان وجوههم ۞ دنانير مما شيف في ارض قيصرا ۞ فهذا يدل على انه كان مع المنذر بن محرق والنابغة الذبياني كان مع النعمان بن المنذر بن محرق قوله شيف يعني جلي والمشوف المجلو ويقال ان النابغة غبر ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة باصبهان وكان ديوانه بها وهو الذي يقول ۞ فمن يك سائلا عني فاني ۞ من الفتيان ايام الخنان ۞ وايام الخنان ايام كانت للعرب قديمة هاج بها فيهم مرض في انوفهم وحلوقهم ۞ مضت مائة لعام ولدت فيه ۞ وعشر بعد ذاك وحجتان ۞ فابقى الدهر والايام مني ۞ كما ابقى من السيف اليماني ۞ تفلل وهو ماثور جراز ۞ اذا اجمعت بقائمه اليدان ۞ وقال ايضا في طول عمره ۞ لبست اناسا فافنيتهم ۞ وافنيت بعد اناس اناسا ۞ ثلاثة اهلين افنيتهم ۞ وكان الاله هو المستاسا ۞ معنى المستاسى المستعاض وروى هشام بن محمد الكلبي انه عاش مائة وثمانين حجة وروى ابن دريد عن ابي حاتم في موضع آخر ان النابغة عاش مائتي سنة وادرك الاسلام وروى له ۞ قالت امامة كم عمرت زمانا ۞ وذبحت من عتر على الاوثان ۞ العتيرة شاة تذبح لاصنامهم في رجب في الجاهلية ۞ ولقد شهدت عكاظ قبل محلها ۞ فيها وكنت اعد ملفتيان ۞ والمنذر بن محرق في ملكه ۞ وشهدت يوم هجائن النعمان ۞ وعمرت حتى جاء احمد بالهدى ۞ وقوارع تتلى من القران ۞ ولبست من اسلام ثوبا واسعا ۞ من سيب لا حرم ولا منان ۞ وله ايضا في طول عمره ۞ المرء يهوى ان يعيش وطول عيش ما يضره ۞ تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره ۞ وتتابع الايام حتى ما يرى شيئا يسره ۞ كم شامت بي ان هلكت وقائل لله دره ۞ وروى ان النابغة الجعدي كان يفخر ويقول اتيت النبي صلى الله عليه واله وانشدته ۞ بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ۞ وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا ۞ فقال صلى الله عليه واله الى اين المظهر يا ابا ليلى قلت الجنة يا رسول الله فقال اجل ان شاء الله ثم انشدته ۞ فلا خير في حلم اذا لم يكن له ۞ بوادر تحمي صفوه ان يكدرا ۞ ولا خير في جهل اذا لم يكن له ۞ حليم اذا ما اورد الامر اصدرا ۞ فقال صلى الله عليه واله لا يفضض الله فاك وفي رواية اخرى لا يفضض فوك فيقال ان النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم يسقط له سن ولا ضرس وفي رواية اخرى قال فرايته وقد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما سقطت له ثنية نبتت له اخرى مكانها وهو احسن الناس ثغرا معنى ترف تبرق وكان الماء يقطر منها قال السيد قدس الله روحه ومما يشاكل قوله الجنة في جواب قول النبي صلى الله عليه واله الى اين المظهر يا ابا ليلى ان

كان

النابغة الجعدي

كان يتضمن العكس من معناه ما روي من دخول الاخطل على عبد الملك بن مروان مستغشا من فعل الجحاف السلمي وانه انشده ۞ لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة ۞ الى الله منها المشتكى والمعول ۞ فان لم تغيرها قريش بحلمها ۞ يكن من قريش مستماز ومرحل ۞ فقال عبد الملك الى اين يا ابن اللخناء فقال الى النار قال لو قلت غيرها لقطعت لسانك فقوله الى النار تخلص مليح على البديهة كما تخلص الجعدي بقوله الى الجنة واول قصيدة الجعدي التي ذكرنا منها الابيات ۞ خليلي عوجا ساعة وتهجرا ۞ ولوما على ما احدث الدهر او ذرا ۞ ولا تسالا ان الحياة قصيرة ۞ فطيرا لروعات الحوادث او قرا ۞ وان جاء امر لا تطيقان دفعه ۞ فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا ۞ يهيج الاسى عند الندامة ثم ما يقرب شيء غير ما كان قدرا ۞ الم تعلما ان الملامة نفعها ۞ قليل اذا ما الشيء ولى فادبرا ۞ لو الله علم الغيب عن سواه ۞ وتعلم منه ما مضى وتاخرا ۞ وجاهدت حتى ما احس ومن معي ۞ سهيلا اذا ما لاح ثم تغورا ۞ يريد اني كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت معنى وفيها يقول ۞ ونحن اناس لا نعود خيلنا ۞ اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا ۞ وننكر يوم الروع الوان خيلنا ۞ من الطعن حتى نحسب الجون اشقرا ۞ وليس بمعروف لنا ان نردها ۞ صحاحا ولا مستنكر ان تعقرا ۞ اخبرنا المرزباني قال انشدنا علي بن سليمان الاخفش قال انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا محمد بن سلام وغيره للنابغة الجعدي ۞ تلوم على هلك البعير ظعينتي ۞ وكنت على لوم العواذل زاريا ۞ الم تعلمي اني رزئت محاربا ۞ فما لك منه اليوم شيء ولا ليا ۞ ومن قبله ما قد رزئت بوحوح ۞ وكان ابن امي والخليل المصافيا ۞ فتى كملت خيراته غير انه ۞ جواد فما يبقي من المال باقيا ۞ فتى كان فيه ما يسر صديقه ۞ على ان فيه ما يسوء الاعاديا ۞ اشم طوال الساعدين سميدع ۞ اذا لم يرح للمجد اصبح غاديا ۞ السميدع السيد ومما روي للنابغة الجعدي ۞ عقيلية او من هلال بن عامر ۞ بذي الرمث من وادي المنازح خيامها ۞ اذا اجتمعت في البيت في الليل دونها ۞ اضاء دجى الليل البهيم ابتسامها ۞ وذكر الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق عن النابغة الجعدي فقال صاحب خلقان يكون عنده ثوب ومطرف بالف وخمار بواف قال الاصمعي وصدق الفرزدق بينا النابغة في كلام اسهل من الزلال واشد من الصخر اذ لان فذهب ثم انشد له ۞ سماك الله هم ولم تطرب ۞ وبت بحث لم تنصب ۞ وقالت سليمى ارى راسه ۞ كناصية الفرس الاشهب ۞ وذلك من وقعات المنون ۞ فقيئي اليك ولا تعجبي ۞ اتين على اخوتي سبعة ۞ وعدن على ربعي الاقرب ۞ ثم تقول بعد هذا ۞ فادخلك الله برد الجنان ۞ جذلان من مدخل طيب ۞ فلان كلامه حتى لو ان ابا الشمقمق قال هذا البيت كان رديا ضعيفا قال الاصمعي وطريق الشعر اذا ادخلته في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه واله وحمزة وجعفر عليهما السلام وغيرها لان شعره مجلس

في تطاول الاعمار وامتدادها وانكار بعضهم لذلك

آخر مسئلة تتعلق بما ذكرناه ان سال سائل فقال كيف يصح ما اوردتموه من تطاول الاعمار وامتدادها وقد علمتم ان كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لا قدرة عليه ولا سبيل اليه ومنهم من ينزل في انكاره درجة فيقول انه وان كان جائزا من طريق القدرة والامكان فانه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقا للعادات فان العادات اذا وثق الدليل بانها لا تنخرق الا على سبيل الآية والدلالة على صدق نبي من الانبياء علم ان جميع ما روي من زيادة الاعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت الى مثله الجواب قيل له اما من ابطل تطاول الاعمار من حيث الاحالة واخرجه عن باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي له وامه اذا دام وانقطاعه اذا انقطع لعلم من جواز امتداده ما علمناه والعمر هو استمرار كون من يجوز ان يكون حيا وغير حي حيا وان شئت ان تقول هو استمرار كون الحي الذي لكونه على هذه الصفة ابتداء حيا وانما شرطنا الاستمرار لانه يبعد ان يوصف من كان ذا لذة واحدة حيا بان له عمرا بل لابد ان يراعوا في ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار وان قل وشرطنا جواز ان يكون غير حي او يكون لكونه حيا ابتداء احترازا من ان يلزم عليه القديم تعالى لانه جلت قدرته ممن لا يوصف بالعمر وان استمر كونه حيا وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وفيما تحتاج اليه الحياة من البنية ومن المعاني ما يختص به عز وجل ولا يدخل الا تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها فمتى فعل تعالى الحياة وما تحتاج اليه من البنية وهما مما لا يجوز عليه البقاء وكذلك ما تحتاج اليه فليست تنتفي الا بضد يطرء عليها او بضد ينفي ما تحتاج اليه ولو كان للحياة ضد على الحقيقة لم يخل بما نقصده من هذا الباب فمتى لم يفعل القديم تعالى ضدها او ضد ما تحتاج اليه ولا نقض ناقض بنية الحي استمر كون الحي حيا ولو كانت الحياة ايضا لا تبقى على مذهب من راى ذلك لكان ما قصدناه صحيحا لانه تعالى قادر على ان يفعلها حالا فحالا ويوالي بين فعلها وبين فعل ما تحتاج اليه فيستمر كون الحي حيا فاما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقض بنية الانسان فليس مما لا بد منه وانما اجرى الله تعالى العادة بان يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا ايجاب هناك ولا تاثير للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى قادر على ان لا يفعل ما اجرى العادة بفعله واذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر ممكن غير مستحيل وانما اوتي من احال ذلك من حيث اعتقد ان استمرار كون الحي حيا موجب عن طبيعة وقوة لهما مبلغ من المادة متى انتهتا اليه انقطعتا واستحال ان يبقوا ولو اضافوا ذلك الى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم من باب الاستحالة فاما الكلام في دخول ذلك في العادة او خروجه عنها فلا شك في ان العادة قد جرت في الاعمار بالقدر

متفاوتة بعيدة الزائد عليها خارقا للعادة الا انه قد ثبت ان العادات قد تختلف في الاوقات وفي الاماكن ايضا ويجب ان يراعى في العادة اضافتها الى من هي عادة له في المكان والوقت ويمتنع ان ينقل ما كانت العادة جارية على تدريج حتى يصير حدوثه خارقا للعادة بغير خلاف ولا ان يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه واذا صح ذلك لم يمتنع ان تكون العادة في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الاعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك على تدريج حتى صارت عادتنا الآن جارية بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الاعمار خارقا للعادة وهذه جملة فيما ذكرنا كافية

باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي تشبهها قوم المسكتة

اعلم ان اجوبة المحاورة في المناظرة انما تستحسن وتوثر اذا اجتمع مع الصواب سرعة الحضور فكم من جواب اتى بعد لاي وورد بعد تقاعس لم يكن له في النفوس موقع ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع وان كان المتثاقل اعرق في نسب الاصابة واخذ باطراف الحجة ولهذا قيل احسن الناس جوابا واحضرهم قريش ثم العرب وان الموالي تاتي اجوبتها بعد لاي وفكرة وروية وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال صحار العبدي لمعوية بن ابي سفيان وقد ساله عن البلاغة فقال ان تصيب فلا تخطي وتسرع فلا تبطي ثم اختصر بعد ذلك فقال لا تخطي ولا تبطي ولطول الفكرة والاغراق في الروية مذهب واذا كان يحمد فيهما التسرع والتعجل كما لا يحمد فيما ان السرعة التثاقل والتاييد وانما يحمد التسرع في اجوبة المحاورة والمناظرة وتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة والامور المستنبطة التي على الانسان فيها مهلة تولع في تاملها فسحة ولا عيب عليه معها في اطالة التامل واعادة التصفح ولهذا قال الاحنف بن قيس اجتنبوا الراي فان ذلك يكشف لكم عن مخضه وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما اراده الخوارج على الكلام عقيب والراي الاخير في الراي الفطير والكلام القضيب في شوو وذا ابن التوام الرقاشي فاسل عن الجواب وقال ما احب الخبز الا بائتا فاما قولهم ثلاث يعرف فيهن الاحمق سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل احد فمحمول على الاسراع بالجواب عند الرأي والمشاورة والاحوال التي يستحب فيها التاييد والتثبت او على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا اشكال فيه ثم نعود الى ما قصدناه روي ان بعض ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم سالته متى يعرف الانسان ربه فقال عليه السلم اذا عرف نفسه واتاه صلى الله عليه وآله رجل فقال مالي اكره الموت فقال عليه السلام الك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب كل امرء عند ماله وقال يهودي لامير المؤمنين عليه السلم ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال عليه السلم انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت اقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون وروي انه لما فرغ من دفن النبي عليه السلم سال عن خبر السقيفة فقيل له ان الانصار قالت منا امير ومنكم امير فقال عليه السلام

فهلا ذكرت الانصار وقول النبي صلى الله عليه وآله يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف
يكون الامر فيهم والوصاة بهم وقال له عليه السلم ابن الكواء يا امير المؤمنين كم بين السماء والارض
فقال دعوة مستجابة وقيل له ما طعم الماء فقال طعم الحياة وقيل له كم بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم
للشمس واثنى عليه رجل وكان له متهما فقال انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك وكان عليه السلم
اذا اطراه رجل قال اللهم انك اعلم بي منه وانا اعلم بنفسي منه فاغفر لي ما لا يعلم اخبرنا ابو عبيد الله

حكاية نفيع مع الرشيد

المرزباني قال حدثني عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال حدثني ابو علي احمد بن اسماعيل قال حدثني
ايوب بن الحسين الهاشمي قال قدم على الرشيد رجل من الانصار يقال له نفيع وكان عريضا مخضرما فحضر
باب الرشيد يوما ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليهما السلام
على حمار له فتلقاه الحاجب بالبشر والاكرام واعظمه من كان هناك وعجل له الاذن فقال نفيع لعبد العزيز
من هذا الشيخ قال او ما تعرفه قال لا قال هذا شيخ آل ابي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رأيت
اعجز من هولاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر ان يزيلهم عن السرير اما لئن خرج لاسوءنه فقال
له عبد العزيز لا تفعل فان هولاء اهل بيت قل ما تعرض لهم احد في خطاب الا وسموه في الجواب
سمة يبقى عارها عليه مدى الدهر قال وخرج موسى بن جعفر فقام اليه نفيع الانصاري فاخذ بلجام
حماره ثم قال له من انت فقال يا هذا ان كنت تريد النسب فانا ابن محمد حبيب الله ابن اسماعيل ذبيح
الله ابن ابرهيم خليل الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت
منهم الحج اليه وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك اكفاء لهم حتى
قالوا يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قريش خل عن الحمار فخلى عنه ويده ترعد وانصرف بخزي فقال له
عبد العزيز الم اقل لك وقيل ان معوية استشار الاحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد فقال
انك اعلم بليله ونهاره وقال احمد بن يوسف لابي يعقوب الخريمي مدحك لمحمد بن منصور اجود
من مراثيك فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهما بون ودخل مطيع بن اياس على الهادي
في حياة المهدي فدهش فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقيل له مه فقال لعبد امير المؤمنين
وقال معوية بن ابي سفيان لعقيل بن ابي طالب وكان جيد الجواب حاضره انا خير لك من اخيك فقال
عقيل ان اخي آثر دينه على دنياه وانت آثرت دنياك على دينك فاخي خير لنفسه منك وانت خير لي
منه وقال له يوما ان فيكم لشبقا يا بني هاشم فقال هو منا في الرجال ومنكم في النساء وقال له معوية
يوما وقد دخل عليه هذا عقيل عمه ابو لهب فقال عقيل رضي الله عنه هذا معوية عمته حمالة الحطب
وعمة معوية ام جميل بنت حرب بن امية وكانت امرأة ابي لهب وقال له يوما يا ابا يزيد اين ترى عمك ابا لهب
فقال عقيل اذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشا عمتك حمالة الحطب فانظر ايهما اسوء حالا

الناكح ام المنكوح وقال له بعضهم يا ابا يزيد انت صحيا الليلة قال في يوم بلد كنت محكوما ومثل سعيد
المسيب وقد كف لا تقدح عينك قال حتى افتحها على من ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال كبرت
يا معن قال في طاعتك قال وانك لتتجلد قال على اعدائك قال وان فيك لبقية قال هي لك قال عبيد الله
بن زياد لمسلم بن عقيل والله لاقتلنك قتلة يتحدث بها بعدك فقال مسلم اشهد انك لا تدع سوء
القتلة ولوم القدرة لاحد اولى بهما منك وقال رجل لعمرو بن العاص لا تفرغن لك فقال اذا وقعت
في الشغل وقال معوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالاشدق الى من اوصى بك ابوك فقال ان ابي
اوصى الي ولم يوص بي وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة الا اوصي بك
فلانا فالقبه بعدي فقال يا ابة اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت وقال الوليد بن يزيد
لابي الرقاع العاملي انشدني في بعض قولك في الخمر فانشده كميت اذا شجت وفي الكاس وردة لها
في عظام الشاربين دبيب فقال له شربتها ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان رابك نعتي لها
فقد رابني معرفتك بها ولما اتى معوية نعي الحسين بن علي عليهما السلم بعث الى ابن عباس اذن له
يحيى الله في اجلك ولا اراك حزنا قال احسبه قد ترك صبية صغارا قال انا كان صغيرا فكبر
قال واحسبه قد كان بلغ ستنا قال مثل مولده لا يجهل قال معوية لو قال اما انك اصبحت سيد
قومك قال اما وابو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلم حي فلا فلما كان من عند ابي يزيد بن معوية
ابن عتبة وهو في المسجد يعزيه فجلس بين يديه حلقة المعزين واظهر حزنا وغما فلما انصرف اتبعه ابن
عباس بصره وقال اذا ذهب آل حرب ذهب حلم قريش وروي ان وفودا دخلوا على عمر بن عبد
العزيز فاراد فتى منهم الكلام فقال عمر ليتكلم اكبركم فقال الفتى ان قريشا لترى فيها من هو اسن
منك فقال له تكلم يا فتى وروى محمد بن سلام الجمحي قال انشد كثير عبد الملك بن مروان على ابن ابي
العاصي درع حصينة احاد السدى قيضها قاذ اتها فقال له هلا قلت كما قال الاعشى
واذا تكون الكتيبة ملمومة شهباء يخشى الذائدون نهالها كنت المقدم غير لابس جنة
بالسيف تضرب معلما ابطالها فقال له انه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم وشبهه لك
ما روي عن ابي عمرو بن العلاء انه لقي ذا الرمة فقال له انشدني قصيدتك ما بال عينك
منها الماء ينسكب فانشده اياها فلما انتهى الى قوله تصغي اذا شدها بالكور جانحة حتى
اذا ما استوى في غرزها تثب فقال له ابو عمرو قول الراعي احسن مما قلت تراها اذا قام في
غرزها كمثل السفينة او اوقر ولا تعجل المرء عند البروك وهي بركبته ابصر فقال
ذو الرمة ان الراعي وصف ناقة ملك وانا وصفت ناقة سوقة وحكى الصولي ان اعرابيا سمع ذا الرمة
ينشد بيته الذي حكيناه فقال سقط والله الرجل فاما الغرز فهو للناقة مثل الركاب للدابة

وهو تسمع مصغو وقوله يقضي ترند يمثل راسها كانها تسمع لانها ليست سوو قيل مودة
والكور الرحل وقد اخذ هذا المعنى ابو نواس فاحسن فيه بالاحسان فقال يصف الناقة في مدح
الخصيب بن عبد الحميد فكانها مصغ لتسمعه بعض الحديث باذنيه وقر فلم يرض بان يصفها
بالاصغاء حتى وصفها بالوقر وهو الثقل في الاذن لان الثقيل السمع يكون اصغاؤه وميله الى
جهة الحديث اشد واكثر قال السيد قدس الله روحه واني لاستحسن القصيدة التي من جملتها هذا
البيت الذي اوردناه لابي نواس لانها دون العشرين بيتا وقد نسب في اولها ثم وصف الناقة
باحسن وصف ثم مدح الرجل فقصد مدحه واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع يتدفق ورونق
يترقرق وسهولة مع جزالة والقصيدة هي يا منة امتنها السكر ما ينقضي مني لها الشكر
اعطتك فوق مناك من قبل قد كن قبل مزاحها وعر يثني اليك بها سوالفه رشأ صناعته
عينه السحر ظلت حميا الكاس تبسطنا حتى تهتك بيننا الستر في مجلس ضحك السرور به
عن ناجذيه وحلت الخمر اما قوله وحلت الخمر فيحتمل ان يريد به ان ما وصفه من طيب
الموضع وتكامل السرور به وحصول المأمول فيه صار مقتضيا لشرب الخمر وملجئا الى تناولها
ودافعا للحرج فيها على مذهب الشعراء في المبالغة ويكون فائدة وصفها بانها حلت المبالغة في
وصف الحال بالحسن والطيب ويحتمل ان يكون عقد على نفسه والى ان لا يتناولها الا بعد
الاجتماع مع محبوبه وكان الاجتماع معه محرجا له من يمينه على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم
الى ان ياخذوا بثارهم ويجري ذلك مجرى قول الشنفرى حلت الخمر وكانت حراما وبلأي ما الممت تحل
ويحتمل ان يريد بحلت نزلت وافاد عن الحلول الذي هو المقام لا من الحلال كانه وصف
بلوغ جميع اربه وحضور ضروب لذاته وانها تكاملت بحلول الخمر التي فيها اجتماع اللذات وهذا الوجه
وان لم يشر اليه احد ممن تقدم في تفسير هذا البيت فالقول يحتمله ولا مانع من ان يكون مرادا
وقد قيل انه اراد انا استحللنا الخمر لسكرنا وفقدنا للعقول التي كنا نمتنع لها من الحرام والوجه
المتقدم اشبه واقرب الى الصواب فلقد اجوب بي الفلاة اذا صام النهار وقالت العفر اذا
صام وقف وذلك وصف له بالامتداد والطول فالعفر الظباء اللواتي في الوانهن حمرة
تخالطها كدرة وقالت من القائلة وهي وقت نصف النهار لا من القول شدنية رعت الحمى
فاتت ملاء الجبال فكانها قصر شدنية منسوبة الى شدن وهو موضع باليمن يقال الملك
ذو شدن تثني على الحاذين ذا خصل تعمل الشذران والخطر الحاذ موخر الفخذ والشذر
رفع الناقة ذنبها من المرح والنشاط والخطر ضرب من خطر يخطر فتعاله اي عمله اما اذا د
شامذة فنقول دنق فوقها نسر يعني بشامذة اي مبالغة في رفع ذنبها ويقال دنق الطائر اذا

نشر جناحيه طائرا من غير تحريك اما اذا وضعته خافضة فتقول دجى خلفها سترا ولتنف احيانا فوقها
فتخبها متر سما يقتاده اثره معنى تشف اي تدني راسها من الارض والمترسم الذي يتتبع الرسم
ويتاملها ومعنى يقتاده اثره اي هو معنى يطلب الاثر وهو كل يتتبعه يقال اثر واثر واثرات
لا ثارت وقد وهم الصولي في تفسير هذا البيت لانه قال ابو نواس جمع الاثر آثارا ثم جمع الآثار اثرا
ثم خفف فقال اثر وليس يحتاج الى ما ذكرناه مع ما اوردناه وانما ذهب عليه انه يقال في الاثر
اثر فاذا شعرت فضربت لها الزمام سماء فوق المقادم ملطم وحق فكانها مصيخ لتسمعه بعض
الحديث باذنه وقر يبري لانقاض اضرها حذب البرى فخدودها صعر معنى يبري تنبري
اي تعرض لهذا الانقاض والانقاض جمع نقض وهو البعير الذي قد اهزله السفر والكد والبرى
جمع برة وهي الحلقة تكون في انف البعير تذللها يرمي اليك بها بنو امل عبثوا فاعتبهم بك
الدهر انت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر لا تقعدا بي عن مدى املي شيئا
فما لكما به عذر ويحق لي ان صرت بينكما الا تحل بساحتي فقر **مجلس آخر** قال السيد
قدس الله روحه ثم نعود الى ما كنا اخذنا فيه من ذكر مستحسن الجوابات روي ان رجلا نظر الى
الشاعر راكبا وابو جعفر محمد بن علي عليهما السلام يمشي فقيل له اتركب وابو جعفر يمشي فقال هو امرني
بذلك وانا بطاعته في الركوب افضل مني في عصيانه في المشي وروي ان دعاة خراسان صاروا
الى ابي عبد الله الصادق عليه السلام فقالوا له اردنا ولد محمد بن علي فقال اولئك بالشراة ليس
بصاحبكم فقالوا له لو اراد الله بنا خيرا لكنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لابي عبد الله اردت
الخروج علينا فقال نحن نبذل عليكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دولتكم وقال عبد الملك
بن مروان لنصيب هل لك في الشراب فقال له نصيب الشعر مفلفل واللون مرمد وانما قربني
اليك عقلي فهبه لي وقال لمروان بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولي منه ما كره عليه بالسيف
فقال لا طاقة لي بذلك فقال والله لئن لم تفعل لاسوءنك فقال وددت انك تقدر على ذلك
وقال يحيى بن خالد لشريك علمنا مما علمك الله يا ابا عبد الله فقال له شريك اذا علمتم بما تعلمون
علمناكم ما تجهلون وقال المأمون لمحمد بن عمران بلغني انك بخيل فقال ما احمد في حق ولا اذوب ١
في باطل وقيل لابي دواد الايادي ونظر الى فرس له سوس فرسه اهنتها يا ابا دواد فقال اهنتها
بكرامتي كما اكرمتها بهواني ومثل ذلك قول اعرابي محضر دل على باب السلطان اهين لهم نفسي
لاكرمها بهم ولن تكرم النفس التي لا تهينها ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذي
كان يجلس فيه فقام رجل الى المنصور فقال مظلوم يا امير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة
غصبني ضيعتي فقال المنصور قم يا عمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما هو لي بخصم قال الركية

قال ان كانت الضيعة لي فلست انازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا اهوم من مجلس شرفني به امير
المؤمنين لاقعد في ناذني منه بسبب ضيعته وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة
سلني حاجتك فقال لا اسال في بيت الله غير الله وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له
لان الله تعالى يقول قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا
فقال ذلك القليل نطلب قيل ان الجعد بن درهم جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا و
هوام فقال لاصحابه انا خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما
السلم فقال ليقل كم هو وكم الذكران منه والاناث ان كان خلقه وكم وزن كل واحد منهم
وليأمر الذي يسعى الى هذا الوجه ان يرجع الى غيره فانقطع وهرب وقال المامون للفضل بن سهل
اني اخاف عليك قوما يعادونك فلا تركب الا في جيش فقال الفضل ما اخاف غيرك فان امنتني
من نفسك لم يضرني انسان وقيل لابي ثور ما تقول في حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة
بن دينار فقال بينهما في العلم كما بين ابويهما في الشرف فاراد المامون تقبيل السواد وجلس
يناظر العمال على ذلك فقام رجل من الدهاقين فقال يا امير المؤمنين ان الله عز وجل ولاك
علينا بالامانة فلا تقبلنا فاضرب عن ذلك وقال رجل لابن عباس تزوجني من فلانة وكانت
يتيمة في حجره فقال لا ارضاها لك لانها تستشرف فقال الرجل قد رضيتها فقال ابن عباس
الان لا ارضاك لها وشبيه هذا الخبر من وجه بخبر رواه المدايني قال ارسل عمر بن عبد العزيز
رجلا من اهل الشام وامره ان يجمع بين اياس بن معوية المزني وبين القسم بن ربيعة الجوشني
من بني عبد الله بن غطفان فيولي القضاء انفذهما فقدم البصرة فجمع بينهما فقال اياس للشامي
ايها الرجل سل عني وعن القسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين ممن اشاد عليك فوليته قولهم
وكان القسم ياتي الحسن وابن سيرين ولم يكن اياس ياتيهما فعلم القسم ان ان سالهما اشارا به
فقال القاسم للشامي لا تسال عني ولا عنه فوالله الذي لا اله الا هو ان اياسا هو افضل مني وافقه
واعلم بالقضاء فان كنت عندك ممن تصدقه فانه ينبغي ان تقبل مني وان كنت كاذبا فما يحل لك
ان توليني وانا كاذب فقال اياس للشامي انك جئت برجل فاقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه
من النار وان تقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها فيستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال الشامي
اما اذ فطنت لهذا فانت اولى به فاستقضاه ولما امضى معوية بيعة يزيد جعل الناس يقرظونه
فقال يزيد لابيه ما ندري انخدع الناس ام يخدعوننا فقال معوية يا بني من تخادع لك ليخدعك
فقد خدعته وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه وقد سمع صوت قصار
يقول ليتني كنت غسالا لا اعيش الا كسب يوما بيوم فبلغ ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم

عند

عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى في الحيوة ما هم فيه وقال الواثق للجاحظ يوما يا ابا عثمان
فقال لو كان الذي اصغيت اليه عبدك ما قدرت على منعه لكثرة عيوبه فكيف اكون على ذلك
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه للخوارج وقد ارسله امير المؤمنين عليه السلم اليهم نشدتكم
الله ايما اعلم بالتنزيل والتاويل علي ام انتم قالوا علي فقال ايسرنكم دون لعل الذي حكم به
منكم بفضل علمه على ما لا تعلمون فرجع اكثرهم وقال عتبة بن ابي سفين لعبد الله بن عباس
ما منع علي بن ابي طالب ان يجعلك احد الحكمين فقال اما والله لو بعثني لاعترضت مدارج
انفاسه الطير اذا اسف واسف اذا طار ولعقدت له عقدا لا ينتقض مريرته ولا يدرك طرفاه
ولكنه سبق قدر ومضى اجل والاخرة خير لامير المؤمنين عليه السلم من الدنيا وقال ابو جعفر
محمد بن علي عليهما السلم لكثير امتدحت عبد الملك بن مروان فقال لم اقل له يا امام الهدى وانما
قلت له يا شجاع والشجاع حية ويا اسد والاسد كلب ويا غيث والغيث موات فتبسم ابو جعفر
وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رايت الام من اصحابك اذا ايسرت لزموك
واذا اعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم ياتوننا في حال القوة منا عليهم ويفارقوننا في حال
الضعف منا عنهم وقال لابراهيم النخعي متى كنت فقال حيث اجتمع الي ورأى رجلا يصلي صلاة
خفيفة فقال له يا هذا ما هذه الصلاة فقال صلوة ليس فيها رياء اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثني محمد بن يحيى الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح
سمرقند افضى الى اثاث لم ير مثله والات لم يسمع بمثلها فاراد ان يري الناس عظيم ما فتح ويعرفهم
اقدار القوم الذين ظهر عليهم فامر بدار ففرشت وفي صحنها قدور يرتقى اليها بسلاليم واذا
الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي قد اقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين
شيخ كبير فلما راه عبد الله بن مسلم اخو قتيبة قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته قال لا ترده فانه
خبيث الجواب فابى عبد الله الا ان ياذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطا الى
الى امراة قبل ذلك فاقبل على الحضين فقال امن الباب دخلت يا ابا ساسان فقال اجل اسن
عمك عن تسور الحيطان قال ارايت هذه القدور قال هي اعظم من ان لا ترى قال ما احسب بكر بن
وايل رأى مثلها قال اجل ولا عيلان ولو راها سمي شبعان ولم يسم عيلان قال الذي يقول
عزلنا وامرنا وبكر بن وايل تجر خصاها تبتغي من تحالف قال اعرفه واعرف الذي يقول
وخيبة من يخيب على غني وباهلة بن يعصر والرباب قال فمن الذي يقول كان فقاح الازد حول
ابن مسمع وقد عرقت افواه بكر بن وايل قال اعرفه واعرف الذي يقول قوم قتيبة امهم وابوهم
لولا قتيبة اصبحوا في مجهل قال اما الشعر فاراك ترويه ولكن هل تقرا شيئا من القران قال

نعم اقرا منه الكثير الطيب هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فاغضبه فقال
والله لقد بلغني ان امراة الحسين حملت اليه وهي حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن ميتته
الاولى ثم قال على رسله وما لله غلاما على فراشي فيقال ابن الحسين كما يقال عبد الله بن مسلم
فاقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يعبد الله غيرك ولقي شريك النميري رجلا من بني تميم فقال التميمي
التميمي يعجبني من الجوارح البازي فقال له شريك وخاصة اذا صاد القطا اراد التميمي بقوله البازي
قول جرير انا البازي المطل على نمير واراد شريك بقوله اذا صاد القطا قول الطرماح
تميم بطرق اللوم اهدى من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت وساير شريك النميري
عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة فجاوزت بغلته بردون عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال
شريك انها مكتوبة فقال له عمر ما اردت ذلك فقال شريك ولا انا اردته ظن ان عمر اراد بقوله اغضض
من لجامها قول جرير فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا وعنى شريك بقوله
انها مكتوبة قول لا تامنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها باسيار وانشد ابو تمام الطائي
احمد بن المعتصم قصيدته السينية التي يمدحه فيها فلما بلغ الى قوله في حلم احنف في شجاعة عامر
في جود حاتم في ذكاء اياس قال له الكندي كان حاضرا ما صنعت شيئا قال وكيف قال لان شعراء
دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الا ترى الى قول ابن العكوك في ابي دلف رجل ابر
على شجاعة عامر باسا وغبر في محيا حاتم فاطرق الطائي ثم رفع راسه وانشد لا تنكروا
ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكوة
والنبراس وقال ابن هبيرة لابي الاسد وكان مولى لبني امية لما ظهرت المسودة لا تخلو لك
منهم عبدا صالحا يجد ملك فلما علت كلمتهم وفشت دعوتهم قال ابو الاسد لا تنسى لعنتك الله فيض لهم
مولى صالحا احذوه وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي ان خصالك كاملة سوى حقد
فيك فقال انا خزانة تحفظ الخير والشر وقد نظر ابن الرومي الى هذا المعنى في قوله وما الحقد الا توأم
الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن الى بعض فحيث ترى حقدا على ذي اساءة فثم ترى شكرا
على حسن القرض اذا الارض ادت ريع ما انت زارع من البذر فيها فهي ناهيك من ارض
وقال الحجاج للحطيط الخارجي ما تقول في عبد الملك بن مروان قال ما اقول في رجل انت خطيئة من
خطاياه قال فهل هممت بي قط قال نعم ولكن حال بيننا وبين وعد وقد اعطيت الله عهدا ان لا ينتخب
لاصدقنك وان خليت عني لا طلبتك ولئن عذبتني لاصبرن لك فامر بقتله اما البين فهي
الارض الواسعة قال ابن مقبل بين وحيرا ابوا البغال به اني تسديت وهنا ذلك البينا وقيل
لابي العتاهية لما قال عتب ما للخيال خبريني ومالي خرجت من العروض فقال انا اكبر من العروض

اراد بالعروض لا في اول الشعر الطبع والعروض واحد المحسر الذي يع الزرع

عبد

عبد الملك بن مروان للهيثم بن الاسود ما مالك قال قوام من العيش وغنى عن الناس فقيل له لم تخبره
فقال ان كان كثيرا حسدني وان كان قليلا ازدراني واغتاب الاعمش رجلا من اصحابه فطلع الرجل فقطع
نغبته ذلك فقال له رجل من اصحابه قل له ما قلته حتى لا تكون له غيبة فقال قل له انت تحتي تكويز
نمنمة قال لعمرو بن العاص هل غششتني منذ نصحتني قال لا قال بلى يوم اشرت علي بمبادرة علي بن
ابي طالب وانت تعلم من هو قال عمرو دعاك رجل عظيم الخطر الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى
الحسنيين اما ان قتلته فقد قتلت قتال الاقران وازددت شرفا الى شرفك وخلوت بملكك
واما ان قتلك فتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين فقال معوية لهذه اشد علي من الاولى
فقال عمرو انكنت من جهادك في شك فتتوب منه الساعة قال دعني منك الآن وقيل للاحنف وقد
راي مسيلمة الكذاب كيف هو قال ما هو بنبي صادق ولا بمتنبي حاذق وقد روي للمبرد قال
زياد لابي الاسود الدؤلي لولا انك قد كبرت لاستعنا بك في بعض الامور فقال ان كنت تريدني
للصراع فليس عندي وان كنت تريد عقلي ورأيي فهما اقوى واوفر ما كانا وكان ابو الاسود حاضر الجواب
جيد الكلام مليح النادرة وروي عن الشعبي انه قال قاتل الله ابا الاسود ما كان اعف طرفه واقرب
لحضره جوابه دخل على معوية في النخيلة فقال له معوية اكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت صانعا
قال كنت اجمع الفا من المهاجرين وابناءهم والفا من الانصار وابناءهم ثم اقول يا معشر من حضر
ارجل من المهاجرين احق ام رجل من الطلقاء فلعنه معوية وقال الحمد لله الذي كفانا ذلك وقد
روي ان ابا الاسود طلب ان يكون في الحكومة وقال لامير المؤمنين عليه السلم في وقت الحكمين يا
امير المؤمنين لا ترض بابي موسى فاني قد عجمت الرجل وبلوته وحلبت اشطره فوجدته قريب القعر
مع انه يماني وما ادري ما يبلغ نصحه فابعثني فانه لا يحل عقدة الا عقدت له اشد منها وانهم
قد رموك بحجر الارض فان قيل انه لا صحبة له فاجعلني ثاني اثنين فليس صاحبهم الا من تقرب كان من
الخلاف عليهم كالنجم فابى عليه السلم عليه وروى محمد بن يزيد النحوي ان ابا الاسود كان نازلا في بني
قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا فكانوا يرمونه بالليل فاذا اصبح شكا
ذلك فشكا مرة فقالوا اما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما اخطاني
وقال لهم يا بني قشير ما في العرب احد احب الي طول بقاء منكم قالوا ولم ذلك قال لانكم اذا ركبتم
امرا علمت انه غي فاجتنبته واذا اجتنبتم امرا علمت انه رشد فاتبعته فتنازعوه الكلام فانشد يقول
يقول الارذلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليا احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة والوصيا
احبهم لحب الله حتى اجيء اذا بعثت على هويا فان يك حبهم رشدا اصبه ولست بمخطئ ان كان
غيا فقالوا شككت يا ابا الاسود فقال الم تسمعوا قول الله تعالى يقول وانا او اياكم لعلى هدى

فقال له الاعمش بل قل

بنو عم النبي واقربوه احب الناس كلهم اليا

او في ضلال مبين اقترون الله تعالى شك الى ما قوله هو يا فاما الغثر هذيل يقولون ذلك في كل
مقصور مثل الهوى والعصى والقفا والتقى قال ابو ذويب سبقوا هوى واعنقوا لهواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع وروى ان ابا الاسود دخل على معوية فقال له اصبحت جميلا يا ابا
الاسود فلو علقت تميمة تدفع عنك العين فقال افنى الشباب الذي فارقت بهجته كر الجديدين
من آت ومنطلق لم يتركا لي في طول اختلافهما شيئا اخاف عليه لدغة الحنق وروى انه
دخل يوما السوق يشتري ثوبا فقال له رجل هلم اقاربك في هذا الثوب فقال ان لم تقاربني باعدتك
ثم قال له بكم هو قال قد اعطيت به كذا وكذا قال فما تخبرنا فانك وروى انه كان ماشيا في
طريق فقال له راكب الطريق الطريق فقال له عن الطريق تعدلني ومرض ابو الاسود الدؤلي فقيل
له هذا امر الله قال فذاك اشد له وقيل ان امرأة ابي الاسود خاصمته الى زياد في ولدها فقالت
ايها الامير ان هذا يريد ان يغلبني على ابني وقد كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له
وطاء فقال ابو الاسود اتهدين تريدين ان تغلبيني على ابني فوالله لقد حملته من قبل ان تحمليه
ووضعته شهوة ووضعته كرها فقال له زياد انها امرأة عاقلة يا ابا الاسود فادفع ابنها اليها فانها
اخلق ان تحسن ادبه وقال رجل لابي الاسود انت والله ظريف اللفظ وظرف علم ووعاء حلم غير انك
بخيل قال فما خير ظرف لا يمسك ما فيه وسلم عليه اعرابي يوما فقال ابو الاسود كلمة مقولة قال اتاذن
لي في النزول قال وراءك اوسع عليك قال وهل عندك شيء قال نعم قال اطعمني قال عيالي احق منك
قال فما رأيت الام منك قال نسيت نفسك قال وسأله رجل شيئا فمنعه فقال يا ابا الاسود ما اصبحت حاتميا
قال بلى والله قد اصبحت حاتمكم من حيث لا تدري اليس حاتم الذي يقول اماوي اما مانع فمبين
واما عطاء لا ينهنهه الزجر **مجلس آخر** اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله
ابرهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال لما ولي سليمان ابن عبد الملك اتي بيزيد بن ابي مسلم مولى الحجاج
في جامعة كان قبيحا رجلا دميما تقتحمه العين فلما رآه سليمان قال لعن الله من اجرك وسلطك على
مثلك فقال يا امير المؤمنين رأيتني والامر عني مدبر ولو رأيتني والامر علي مقبل لاستعظمت
ما استصغرت ولاستجللت ما استحقرت فقال سليمان اترى الحجاج استقر في النار ام قد استقر
فقال يا امير المؤمنين لا تقل هذا فان الحجاج قمع لكم الاعداء ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهيبة
في قلوب الناس وبعد فانه يأتي يوم القيامة عن يمين ابيك عبد الملك وشمال اخيك الوليد فضعه
حيث شئت وروى ان خالد بن صفوان فاخر رجلا من عبد الدار الذين يكونون باليمامة فقال له
العبدري من انت فقال انا خالد بن صفوان بن الاهتم فقال له العبدري انت خالد لكن خالك
هو في النار وانت ابن صفوان وقال الله فمثله كمثل صفوان عليه تراب وانت ابن الاهتم و

حكاية ابي مسلم مع سليمان بن عبد الملك

والصحيح خير من الاهتم فقال له خالد يا اخا بني عبد الدار انتكلم وقد هشمتك هاشم وامتك بنو امية
وخزمتك بنو مخزوم وجمحتك بنو جمح فانت عبيد دارهم تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فاقام
العبدري مغموما وتقدم الاشعث بن قيس الى شريح فقال له الاشعث تعلمني لشد ما ارتفعت يا ابن ام شريح
لقد عهدتك وان شانك لشوين فقال له شريح انت امرؤ تعرف النعمة في غيرك وتنساها في نفسك وروى
ابو العيناء عن العتبي قال دخل الفرزدق الى سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال
اليك فررت منك ومن زياد ولم احسب دمي لكما حلالا فان يكن الهجاء احل قتلي فقد قلنا
لشاعركم وقالا ترى الغر الجحاجح من قريش اذا ما الامر في الحدثان عالا قياما ينظرون الى سعيد
كانهم يرون به الهلالا فقال له الحطيئة هذا والله ايها الامير الشعر لا ما كنا نعلل به منذ اليوم
يا غلام اقدمت امك من الحجاز قال لا ولكن قدم ابي اراد الحطيئة بقوله ان كانت امك قدمت الحجاز
فقد وقعت عليها وكنت مني واراد الفرزدق بقوله ولكن قدم ابي اي وقع بامك فكنت انت اخي
ويشبه ذلك ما روى ان الفرزدق كان ينشد شعره يوما والناس حوله اذ مر به الكميت بن زيد فقال
له الفرزدق كيف ترى شعري فقال له الكميت حسن قبيح فقال له الفرزدق ايسرك اني ابوك فقال
اما ابي فلا ابغي به بدلا ولكن يسرني ان لو كنت امي فقال له الفرزدق اكتم هذه على عمك يا ابن اخي
فما مر بي مثلها وقيل ان عبد الملك ظفر برجل من بني مخزوم زبيري الرأي فقال له لما حضر
مجلسه اليس قد ردك الله على عقبيك فقال له الرجل ومن رد عليك يا امير المؤمنين فقد رد على
عقبيه فوجم عبد الملك وقال موسى بن عيسى لشريك يا ابا عبد الله عزلوك عن القضاء وما
رأينا قاضيا عزل فقال شريك هم الملوك يعزلون ويخلعون يعرض بان اباه خلع من ولاية العهد
وذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى ان المفضل الضبي الراوية وهب لبعض جيرانه ايام الاضحى اضحية
فلما لقيته قال كيف حدث اضحيتك قال ما وجدت لها دما يعرض بقول الشاعر ولو ذبح الضبي
بالسيف لم يجد من اللؤم للضبي لحما ولا دما وروى عن المأمون انه قال ما اعياني جواب
احد قط مثل جواب ثلاثة احدهم ام الفضل بن سهل فاني عزيتها عن ابنها وقلت لها لا تجزعي على
الفضل لانه ولدك فهانا ذا ابنك مكانه فقالت وكيف لا اجزع على من جعل لي مثلك ولدا
والثاني رجل حضرني زعم انه نبي الله موسى عليه السلام فقلت له ان الله تعالى اخبرنا عن موسى انه
يدخل يده في جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء فقال لي متى فعل ذلك موسى اليس بعدما قال له
فرعون فافعل كما فعل فرعون حتى اعمل كما عمل موسى والثالث ان جماعة من اهل الكوفة اجتمعوا
الي يشكون من عاملها فقلت لهم نصوا بواحد منكم اسمع منه فرضوا برجل منهم فقال في العامل واكثر
فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العدل فذهب اصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت

يا امير المؤمنين هو كما ذكرت فواس بين سخيتك في العدل فصرفته عنهم ودخل عدي بن حاتم
بن عبد الله الطائي على معوية فقال له ما فعل الطرفات يعني طريفا وطرافا وطرفة قال قتلوا مع
علي بن ابي طالب عليه السلام فقال له ما انصفك ابن ابي طالب قدم بنيك واخر بنيه فقال لا
عدي بل ما انصفته انا اذ قتل وبقيت وكتب رجل الى صديق له يقترض شيا منه فاجابه يشكو
ضيق حاله فكتب اليه ان كنت كاذبا جعلك الله صادقا وان كنت صادقا جعلك الله كاذبا وان كنت
معذورا فجعلنا ... يوما وان كنت لم تجعلك الله معذورا وسمع الاحنف رجلا يقول ما احلم
معوية فقال لو كان حليما ما سفه الحق ووصفه رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي وبلك
وهل اغمد سيفه وفي قلبه على احد شي وقال نبادل لرجل حضر وابن منزلك فقال وسط البصرة
قال اما لك من الولد قال تسعة فقيل لنباذ ان داره اقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال
الرجل لا يدري بين الدنيا والاخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشرة بنين فقدمت تسعة فهم
وبقي واحد لا ادري هو لي ام انا له وقال رجل لابن سيرين اني وقعت فيك فاجعلني في حل
فقال يا احب ان احلك مما حرم الله عليك وخطب الحجاج يوم الجمعة فاطال فقال له رجل
ان الصلاة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فامر به فحبس فجاءه اهله فشهدوا انه مجنون
فقال ان اقر عندي بالجنون اطلقته فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لا اقول انه
ابتلاني وقد عافاني وحدث الحسن البصري بحديث فقال له رجل يا ابا سعيد عمن قال وما
تصنع بعمن اما انت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته وقيل لعبد الله بن جعفر وقد نظر اليه
وهو يماكس في درهم وانت تجود بما تجود به فقال ان ذاك مالي جدت به وهذا عقلي بخلت به وروى ان
ابا العينا محمد بن القسم اليمامي حدث بعض الزبيريين في فضايل اهله فقال له الزبيري
اتجلب التمر الى هجر فقال ابو العينا نعم اذا اجدبت ارضها وعاوم نخلها وكان ابو العينا احضر
الناس جوابا واجودهم بديهة واملحهم نادرة وروى الصولي عن ابي العينا قال لما دخلت
على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن خطابي فقال لي يا محمد ان فيك شرا فقلت يا امير
المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسي باساته فقد زكى الله تعالى وذم فقال
في التزكية نعم العبد انه اواب وقال في الذم هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل
بعد ذلك زنيم فذمه الله تعالى حتى قذفه وقال الشاعر اذا انا بالمعروف لم اثن دائبا
ولم اذمم الجبس اللئيم المذمما ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما
وان كان الشر كفعل العقرب تلسع النبي والذمي بطبع لا بتمييز فقد صان الله عبدك من
ذلك وروى انه قال له يوما الى كم تمدح الناس وتذمهم فقال ما احسنوا واساؤا وروى انه قال

له المتوكل يوما انى لافرق من لسانك فقال له ان الشريف فروقة ذو احجام وان اللئيم ذو امنة
واقدام وقال له يوما وقد دخل عليه قد اشتقتك واشتهيا يا ابا العينا فقال له انما يستحكم الشوق
الشوق على العبد لانه لا يصل الى مولاه فاما السيد فمتى اراد عبده دعاه وروى انه قال له يوما
ما بقي احد في مجلسي الا وقد اغتابك وذمك عندي ما جرى من ذكرك غيري فقال ابو العينا اذا
رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا علي لئامها وذكر ابو العينا قال قال لي المتوكل كيف ترى
داري هذه فقلت رايت الناس بنوا دورهم في الدنيا وامير المؤمنين جعل الدنيا في داره وقال
ابو العينا قال لي المتوكل من اسخى من رايت ومن ابخل من رايت فقلت يا امير المؤمنين ما رايت
اسخى من احمد بن ابي دواد ولا ابخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف قلت على بخله فقد
رايته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة فقال الجيب
الى من طرحته فنحيته والى من استكتبته فجالسته فقلت يا امير المؤمنين ان الصدق ما هو في
موضع من المواضع انفق فيه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه الى السخاء فاذا نسب
الناس السخاء الى البرامكة فانما ذاك سخاء امير المؤمنين الرشيد واذا نسب الناس الحسن بن سهل والفضل
بن سهل الى السخاء فانما ذاك سخاء المامون واذا نسبوا احمد بن ابي دواد الى السخاء فذاك سخاء
امير المؤمنين المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الى السخاء فانما هو سخاؤك
والا فما بال هؤلاء القوم لم ينسبوا الى السخاء قبل صحبتهم للخلفاء فقال لي صدقت وسري عنه
وقال له المتوكل يوما ما اشد عليك في ذهاب البصر فقال فقد رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك
وقال له اريد لمجالستي فقال لا اطيق ذاك وما اقول هذا على جهل بما لي في هذا المجلس من الشرف
ولكن انا رجل محجوب والمحجوب تختلف اشاراته ويخفى عليه ايماؤه ويجوز علي ان اتكلم بكلام غضبان
ووجهك راض وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم امتز بين هاتين هلكت قال صدقت وروى
انه قال له يوما لولا انك ضرير لنادمتك فقال له ان اعفيتني عن رؤية الهلال وقراءة نقش
الخواتيم فاني اصلح وقال له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس بن رستم فقال هما الخمر والميسر فيهما اثم كبير ومنافع للناس
واثمهما اكبر من نفعهما فقال بلغني انك تودهما فقال لقد ابتغت الضلال بالهدى والعذاب بالمغفرة
وقال له يوما بلغني ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال ان الذين اجرموا كانوا من الذين
امنوا يضحكون فقال ابو العينا قال لي المنتصر ما احسن الجواب قلت ما اسكت المبطل وحير المحق
وقيل لابي العيناء ابرهيم بن نوح النصراني عليك عاتب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم ورداه ذرقان وهو يضاحك نصرانيا فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء فقال ابو العينا لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين الاية واخبرنا ابو الحسن

ابو العيناء

علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا ابو العيناء قال كان سبب اتصالي
باحمد بن ابي دواد ان قوما من اهل البصرة عادوني وادعوا علي دعاوي كثيرة منها اني رافضي
فاحتجت الى ان اخرج عن البصرة الى سر من راى فالقيت نفسي على ابن ابي دواد وكنت ناديه في
داره اجالسه في كل يوم وبلغ القوم خبري فتخصصوا وانحدروا الى سر من راى فقلت له ان القوم قد
قدموا من البصرة يدا علي فقال يد الله فوق ايديهم فقلت ان لهم مكرا فقال ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين فقلت انهم كثيرون فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقلت
لله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابي لله درك اي جنة خائف ومتاع دنيا انت
للحدثان متخمط يطا الرجال غلبة وطاء الفنيق دوارج القردان ويكبهم حتى كان دوسهم
ماموة تخط للغربان ويفرج الباب الشديد رتاجه حتى يصير كانه ما بان فقال لابنه ابي
الوليد اكتب هذه الابيات فكتبها بين يديه قال الصولي حفظي عن ابي العيناء الصموت الكلابي على
انه رجل وقال لي وكيع حفظي انها الصموت الكلابية على انها امراة ودخل ابو العيناء على الحسن بن
سهل فاثنى عليه فامر له بعشرة الاف درهم فقال والله ما استكثر كثيرك ايها الامير ولا استقل
قليلك قال وكيف ذاك قال لا استكثر كثيرك لانك اكثر منه ولا استقل قليلك لانه اكثر من كثير
غيرك وقال عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوما اعذرني فاني مشغول فقال اذا فرغت لم احتج اليك
وقال له يوما قد تجنبت فيك الغضب يا ابا عبد الله فقال له قد اجل الله قدرك عن غضبي انما يغضب
الرجل على من هو دونه فاما على من هو فوقه فلا ولكن احزنني تقصيرك فتممت حزني غضبا ويقال
ان صاعد بن مخلد كان من احسن من اسلم دينا واكثرهم صلاة وصدقة فصار الى بابه ابو العيناء
مرات كثيرة يعقب اسلامه يحجب فقيل له انه مشغول بالصلاة فقال ابو العيناء لكل جديد لذة ودخل
يوما على ابي الصقر اسماعيل بن بلبل في وزارته فقال له يا ابا عبد الله ما اخرك عنا فقال سرق
حماري قال وكيف سرق قال لم اكن مع الذي سرقه فاخبرك كيف كان قال له هلا اكتريت او استعرت
او اشتريت قال قعدني عن الشراء عدمي وكرهت منة العواري وذلة المكاري فوهب له حمارا او
وصله وادناه ابو الصقر يوما فرضه فقال تدنيني حتى كاني قد شعكتني حتى كاني صديقك وقال
لعبيد الله بن سليمان ايضا وقد دفعه الى كم ترفعني ولا ترفع بي راسا وقال له يوما وقد اتاه
مغبوط الظاهر مرحوم الباطن ويقال ان ابا علي البصير قال لابي العيناء وكانت بينهما ملاحاة
معروفة في اي وقت ولدت قال قبيل طلوع الشمس فقال ابو علي لذلك خرجت شحاذا سائلا لان الوقت
الذي يخشر فيه السؤال واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني
ابو العيناء قال ما رايت قط اخس شاهدا عند حاجة من ابن عائشة قلت له يوما ان ابا عمرو المخرمي يقصدك

معضلة

وقتاله

الشحاذ الكدي الفهد

تصلك

كثيرا ثم جفاك فقال فان تناءت عنا الانصار وان تغد تجدنا على العهد الذي كنت تعلم ثم قال ولا
ادري لمن هذا البيت فقلت له ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق لما قال نصر مني وقد
بكر بن وائل وما خلت مري ودهم يتصرم فوارس تاتيني وتحقر دونها وقد يملا القطر الاناء
فيفعم وقد كان نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير بن خرقاء العجلي يجيبه لقد نوا
الدار بكر بن وائل وضمت لك الاحشاء اذ انت مجرم ليال تمنى ان تكون حمامة بمكة يغشاها
الستار المحرم فان تناء عنا الانصار وان تغد تجدنا على العهد الذي كنت تعلم فقال ابن
عائشة انت والله يا بني ممن سيقصد في العلم مخايله وقال ابو العيناء لابي الصقر ابن بلبل وهو
وزير انت والله تقربنا اذا احتجنا اليك وتبعد منا اذا احتجت الينا قال السيد قدس الله روحه
وهذا يشبه قول ابرهيم بن عباس الصولي ولكن الجواد ابا هشام وفي العهد مامون المغيب
بطيء عنك ما استغنيت عنه وطلاع عليك مع الخطوب ولعله ماخوذ منه فليس يكون ذلك
لانهما وان اجتمعا في زمان واحد في بعض الاوقات فان ابا العيناء بقي بعد ابرهيم زمانا طويلا
لان ابرهيم توفي في سنة ثلاث واربعين ومائتين وابو العيناء توفي سنة اثنتين او ثلاث و
ثمانين ومائتين وما حكيناه عنه من الكلام قاله لابي الصقر في وزارته وكانت بعد وفاة
ابرهيم بن العباس بزمان طويل ويشبه بيتي ابرهيم ان يكونا ماخوذين من قول اوس بن حجر
وليس اخوك الدائم العهد بالذي يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا ولكنه النائي اذا كنت امنا
وصاحبك الادنى اذا كنت اعضلا ولابرهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى ايضا وهو قوله
اسدا ضاريا اذا هيجته واب بر اذا ما قدرا يعلم الابعد ان اثرى ولا يعلم الادنى اذا ما افتقر
ويشبه هذا ان يكون ماخوذا من قول المرار الفقعسي اذا افتقر المرار لم ير فقره وان ايسر المرار
ايسر صاحبه ومما اشبه قول المرار بعينه قول ابرهيم بن العباس ايضا فتى غير محجوب الغنى
عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت راى خلة من حيث يخفى مكانها فكانت قذى
عينيه حتى تجلت ومن قول المتنخل الهذلي ابو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه
وهذا الذي رويناه للهذلي من جملة ابيات يرثي بها المتنخل اباه وقيل يرثي اخاه اولها
لعمرك ما ان ابو مالك بوان ولا بضعيف قواه ولا بالد له نازع يعادي اخاه اذا ما نهاه
معنى لد نازع اي خلق سوء ينزعه ويعادي اي يلاحي ويشاد ولكنه هين لين كعالية الرمح عرد
نساه العرد الشديد يقال وتر عرد وعرند بالنون اي شديد والنساء عرق معروف اذا سدته
سدت مطواعة ومهما وكلت اليه كفاه معنى سدته من المساودة التي هي المسارة والسواد هو
السرار كانه قال اذا ساودته طاوعك وساعدك وقال قوم انه من السيادة وكانه اراد اذا كنت فوقه

ابو العيناء

قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض الآية

وستيد له الطاعات ولو بجحد ك وان وكانت لبيد شيئا كفاك و قوم يتشدد و نه اذا استتم سنت
مطواعة ولو احد ذلك في رواية * الامن ينادي ما مالك * اني امرنا هو ام في سواه * ابو مالك
فاصر فقره مجلس آخر تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآيات الله وكانوا عنها غافلين فقال اما تاويل هذه
الآية على ما يطابق العدل فان ظاهرها كانه مخالف له الجواب قيل له ان في هذه الآية وجوه منها
ما ابتدأناه ومنها ما سبقنا اليه فحررناه واخترنا فيه من المطاعن واجبنا عما لعله يعترض فيه
من الشبه اولها ان يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر في الآيات وعن العز والكرامة
الذين يستحقهما من ادى الواجب عليه في آيات الله وادلته وتمسك بها والآيات على هذا التاويل
يحتمل ان تكون سائر الادلة ويحتمل ان تكون معجزات الانبياء عليهم السلام خاصة وهذا التاويل
مطابق الظاهر لانه تعالى قال في ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فبين ان صرفهم عن
الآيات يستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه وثانيها ان يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات
التي يظهرها على الانبياء عليهم السلام بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لانه تعالى انما
يظهر هذا الضرب من المعجزات اذا علم انه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات فاذا علم خلاف
ذلك لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم انهم لا يؤمنون بها عنها ويكون الصرف على احد وجهين
اما بان لا يظهرها جملة او بان يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم فان قيل
وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها قلنا الفرق بينهما ان المعجز الاول
يجب اظهاره لازاحة العلة في التكليف ولانا به نعلم صدق الرسول المؤدي الينا ما فيه لطفنا
ومصلحتنا فاذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والالطاف لتنزاح العلة وكان لا سبيل الى
معرفتها على الوجه الذي يكون عليه لطفا الا من قبل الرسول وكان لا سبيل الى العلم بكونه
رسولا الا من جهة المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرائع واظهار
المعجز على يده لتعلق هذه الامور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين ان يعلم ان المبعوث
اليهم الرسول او بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين ان لا يعلم ذلك في وجوب البعثة وما يجب
بوجوبها لان تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين ان يقع
عنده الايمان و لا يقع وليس هذه سبيل ما يظهر من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها
لانه متى لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في اظهارها فائدة وكانت عبثا
فاقتضى هذه الزيادة فان قيل كيف يطابق هذا التاويل قوله ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها

يعرض

مستحق

غافلين ومن المعلوم ان صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقا بذلك قلنا يمكن ان يكون قوله تعالى
ذلك بانهم كذبوا بآياتنا لم يرد به تعليل قوله تعالى ساصرف عن آياتي بل يكون كالتعليل لما
هو اقرب اليه من ترتيب الكلام وهو قوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا لان من كذب
بآيات الله وغفل عن تاملها والاهتداء بنورها ركب الغي واتخذه سبيلا وحاد عن الرشد
وضل ضلالا بعيدا ورجوع لفظة ذلك الى ما ذكرناه اشبه بالظاهر من رجوعها الى قوله ساصرف
لان رجوع اللفظ الى اقرب المذكورين اليه اولى ويمكن ايضا ان يكون قوله تعالى كذبوا بآياتنا
وان كان بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجه التكذيب لما كان معلوما منهم لو اظهر
لهم الآيات جعل كانه واقع وبنى الخطاب عليه ولهذا نظائر في اللغة كثيرة او يكون جوابا المحذوف كانه
قال ذلك بانه متى اظهرنا لهم آياتنا كذبوا بها ويجري ما ذكرناه او لا مجرى قوله ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة في انه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال وثالثها ان يكون معنى ساصرف عن
آياتي اي لا اوتيها من هذه صفته واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى
واحدا وليس لاحد ان يقول هلا قال ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون والآيات ههنا هي المعجزات
التي يختص بها الانبياء عليهم السلام فان قيل فاي فائدة في قوله على سبيل التعليل ذلك بانهم
كذبوا بآياتنا واي معنى لتخصيصه الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وهو لا يؤتي الآيات والمعجزات
الا الانبياء دون غيرهم وان كان ممن لا يتكبر قلنا لخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التاويل
وجه صحيح لان من كذب بآيات الله لا يؤتى معجزاته لتكذيبه وكفره وان كان قد يكون غير مكذب
ويمنع من ايتائه الآيات علة اخرى والتكبر والبغي بغير الحق مانع من ايتائه الآيات وان منع غيره
ويجري هذا مجرى قول القائل انا لا اودّ فلانا لغدره ولا يلزم اذا لم يكن غادرا ان يوده لانه
ربما خلا من الغدر وحصل على صفة اخرى تمنع من مودته ويجوز ان تكون الآية خرجت على ما يجري
مجرى السبب بان يكون بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد جواز ظهور المعجزات على ايدي الكفار المتكبرين
فاكذبهم الله تعالى بذلك ورابعها ان يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب
المؤمنين ليدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه
من التعظيم والاستخفاف كما تاول اهل الحق الطبع والختم اللذين نطق بهما القرآن على ان المراد بهما
العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن ويكون معنى ساصرفهم عنها اي اعدل بهم عنها واخص بها المؤمنين
المصدقين بآياتي وانبيائي وهذا التاويل يشهد ايضا قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا
عنها غافلين لان صرفهم عن هذه الآيات كالمستحق بتكذيبهم واعراضهم عن آيات الله تعالى وخامسها

في العربية

اي لا اوتيها

لتخصيص

العصر

ان يريد تعالى انى اصرف من رام المنع من اداء اياتى وتبليغها لان الواجب على الله تعالى ان يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لانه ينقض الغرض فى البعثة ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى والله يعصمك من الناس فتكون الايات ههنا القران وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التى تحملها الرسل والصرف وان كان متعلقا فى الاية بنفس الايات فقد يجوز ان يكون فى المعنى متعلقا بغيرها مما هو متعلق بها واذا ساغ ان تعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالايات ساغ ان تعلقه بما يمنع من تبليغها واداءها واقامة الحجة بها وعلى هذا التاويل لا يجعل قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا راجعا الى سأصرف بل نرده الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا على ما بيناه فى الوجه الثانى من تاويل هذه الاية وسادسها ان يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من شهد على غيره بالانصراف عن شئ جاز ان يقال صرفه عنه كما يقال اكفره وكذبه وفسقه وكما قال تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اى شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وهذا التاويل يطابقه قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين لان الحكم عليهم بما ذكرناه والتسمية به من موجب تكذيبهم وغفلتهم عن ايات الله واعراضهم عنها وسابعها انه تعالى لما علم ان الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق سينصرفون عن النظر فى اياته والايمان بها اذا اظهرها على ايدى رسله جاز ان يقول سأصرف عن اياتى بمعنى سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه ويجرى ذلك مجرى قولهم سأبخل فلانا وسأخطئه اى اسأله ما يبخل ببذله وامتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى سأفعل فيها البخل والخطاء والايات على هذا الوجه جائز ان تكون المعجزات دون سائر الادلة الدالة على الله تعالى وجائز ان تكون جميع الادلة ويجب على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا غير راجع الى سأصرف بل الى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة وثامنها ان يكون الصرف ههنا معناه المنع من ابطال الايات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن ان تكون ادلة وحججا فيكون تقدير الكلام انى بما اويده من حججى واحكمه من اياتى وبيناتى صارف للمبطلين والمكذبين عن القدح فى الدلالات والايات ومانع لهم فلا كانوا لولا هذا الاحكام والتاييد يعترضونه ويعتنونه من تغطية الحق وتلبيس الباطل ويجرى هذا مجرى قول احدنا قد منع فلان اعداءه بافعاله الكريمة وطرائقه المهذبة وصرفهم عن ذمه واخرس السنتهم عن الطعن عليه انما يريد المعنى الذى ذكرناه فان قيل ان فى المبطلين من طعن على ايات الله تعالى واورد الشبه فيها مع ذلك قلنا لم يرد الله تعالى الصرف عن الطعن الذى لا يؤثر ولا يشتبه على من احسن النظر وانما اراد ما قدمناه وقد يكون الشئ فى نفسه مطعونا عليه وان لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون

تحملها

وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا

الاعتبار

من التسمية موجب

انى افعل فيه

الكناية عن المذهب وطرائقه

بؤيا من الطعن وان طعن فيه بما لا يؤثر الا ترى ان قولهم فلان قد اخرس اعداءه عن ذمه يلبس براءته منعهم عن التلفظ بالذم وانما المعنى فيه لم يجعل للذم عليه طريقا فيجب على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا يرجع الى ما قبله بلا فصل ولا يرجع الى قوله سأصرف وتاسعها ان الله عز وجل لما وعد موسى عليه السلام وامته بهلاك عدوهم قال سأصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق واراد جل وعز انه يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم بما كان منهم من التكذيب بايات الله تعالى والرد لحججه والمروق عن طاعته وبشر من وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء بها وهو تعالى اذا اهلك هؤلاء الجبابرة المتكبرين واصطلمهم فقد صرفهم عن اياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم وخروجهم عن صفات اهله وهذا الوجه يمكن ان يقال فيه ان العقوبة لا تكون الا مصاحبة للاستخفاف والاهانة كما ان الثواب لا بد ان يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل واماتة الله تعالى الامم وما يفعله بهم من بوار واهلاك لا يقترن اليه ما لا بد ان يكون مقترنا الى العقاب من الاستخفاف ولا يخالف ما يفعله تعالى باوليائه على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن ان يجاب عن ذلك بان يقال لا يمتنع ان يضم الله تعالى الى ما يفعله بهؤلاء الكفار المتكبرين من الاهلاك ايقاع اللعن والذم والاستخفاف والاهانة ويامرنا بان نفعل ذلك بهم فيكون ما يقع بهم من البلاء على وجه العقوبة بشروطها ولا يمتنع ايضا ان يكون الله يتعبد ويامر باهلاكهم وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال فيضيف الله تعالى ذلك اليه من حيث وقع بامره عن اذنه فاما معنى قوله تعالى يتكبرون فى الارض بغير الحق وان كان فى التكبر ما يكون بالحق قلنا فى هذا وجهان احدهما ان يكون ذلك على سبيل التاكيد والتغليظ والبيان عن ان التكبر لا يكون الا بغير الحق وان هذه صفة له لازمة غير مفارقة ويجرى ذلك مجرى قوله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به وقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ولم يرد تعالى الا المعنى ذكرناه ومثله قوله تعالى ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا لم يرد النهى عن الثمن القليل دون الكثير بل اراد به تاكيد القول بان كل ثمن يؤخذ عليها يكون قليلا بالاضافة اليها ويكون المتعوض به عنها مغبونا مبخوسا خاسر الصفقة والوجه الاخر ان فى التكبر ما يكون ممدوحا لان من تكبر وتنزه عن الفواحش والدنايا ما قبها عاد من فعلها وتجنب اهلها يكون مستحقا للمدح سالكا لطريق الحق وانما التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغى والاستطالة على ذوى الضعف والفخر عليهم والمباهاة لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذى ندب الله تعالى اليه وارشد الى الثواب المستحق عليه مستحق بذلك الذم والمقت فلهذا اشترط تعالى ان يكون التكبر بغير الحق وقوله تعالى

ايضا التاويل

الكناية عن التكبر الظاهر

والاهانة

عنها

في هذه السورة قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق يحتمل ايضا هذين الوجهين اللذين ذكرناهما فان اريد بالبغي المكروه الذي هو الظلم وما اشبهه كان قوله بغير الحق تاكيدا واخبارا عن ان هذه صفته وان اريد بالبغي الطلب فذلك اصله في اللغة كان الشرط في موضعه لان الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق فان قيل ما معنى قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وهل الرؤية ههنا العلم او الادراك بالبصر فهب انه يمكن ان يكون قوله تعالى وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها محمولة على رؤية البصر لان الايات والادلة مما يشاهد كيف تحمل الرؤية الثانية على العلم وسبيل الرشد انما هي طريقه ولا يصح ان يرجع بها الى المذاهب والاعتقادات التي لا يجوز عليها رؤية البصر فلا بد اذا من ان يكون المراد به رؤية العلم ومن علم طريق الرشد لا يجوز ان ينصرف عنه الى طريق الغي لان العقلاء لا يختارون مثل ذلك قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة اوجه احدها ان يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر ويكون السبيل المذكورة في الاية عبارة عن الادلة والايات لانها مما يدرك بالبصر وتسمى بانها سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى الرشد وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الغي هي الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون والمدغلون في الدين ليموهوا بها الشبهة على اهل الايمان وتسمى بانها سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الغي من حيث كان المعلوم ان ممن تشاغل بها واغتر باهلها انه يصير الى الغي والوجه الثاني ان يكون المراد بالرؤية العلم الا ان العلم لا يتناول كونها سبيلا للرشد وكونها سبيلا للغي بل يتناولها لا من هذا الوجه الا ترى ان كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب اهل الحق واعتقاداتهم وحججهم الا انهم يجهلون كونها صحيحة مفضية الى الحق فيجتنبونها وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الا انهم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون صحتها بالشبهة فيصيرون اليها وعلى هذا الوجه لا يجب ان يكون تعالى وصفهم بالعناد وترك الحق مع العلم به والوجه الثالث ان يكونوا عالمين سبيل الرشد والغي ومميزين بينهما غير انهم للميل الى اغراض الدنيا والذهاب مع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد الى الغي ويجحدون ما يعلمون كما اخبر تعالى عن كثير من اهل الكتاب بانهم يجحدون الحق وهم يعلمون ويستيقنونه فان قيل فما معنى قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا والتكذيب لا يكون في الحقيقة الا في الاخبار دون غيرها قلنا التكذيب قد يطلق في الاخبار وغيرها الا ترى انهم يقولون فلان يكذب بكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصدق بكذا اذا كان يعتقد صحته ولو لا صرفنا التكذيب ههنا الى اخبار الله تعالى التي تضمنها كتبه الواردة على ايدي رسله عليهم السلام جاز فتكون الايات ههنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات فان قيل

فما

فما معنى قوله تعالى لهم بانهم كانوا عن الايات غافلين والغفلة على مذهبكم من فعله لانها السهو او ما جرى مجراه مما ينافي العلوم الضرورية ولا تكليف على الساهي فكيف يذم بذلك قلنا المراد ههنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة ووجه التشبيه انهم لما اعرضوا عن تامل ايات الله تعالى والانتفاع بها اشبهت حالهم حال من كان ساهيا غافلا عنها فاطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى صم بكم عمي على هذا المعنى وكما يقول احدنا لمن يستبطئه ويصفه بالاعراض عن التامل والتبيّن انت ميت وراقد وما لك لا تسمع ولا تبصر وما اشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله تعالى

تاويل خبر ان سال سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر انه قال سمعت النبي صلى الله عليه واله يقول ان قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه واله عند ذلك اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا الى طاعتك وعما يرويه انس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما من قلب ادمي الا وهو بين اصبعين من اصابع الله تعالى فاذا شاء ان يثبته ثبته وان شاء ان يقلبه قلبه وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه واله ما كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه واله يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال قلت يا رسول الله ما اكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا ام سلمة ما من ادمي الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله عز وجل ما شاء اقام وما شاء ازاغ ما تاويل هذه الاخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه او ليس من مذهبكم ان الاخبار التي يخالف ظاهرها الاصول ولا تطابق العقول لا بد من ردها او القطع على كذبها وبطلانها الا بعد ان يكون في اللغة مخرج ولا تاويل وان كان لها ذلك فما استنكاره وتعسفه ثم من يقول لك في هذه الاخبار فما تاويلها الجواب ان الذي يعول عليه من يتكلم في تاويل هذه الاخبار هو ان يقول ان الاصبع في كلام العرب وان كانت الجارحة المخصوصة فهي ايضا الاثر الحسن يقال لفلان على ماله وابله اصبع حسنة اي قيام واثر حسن قال الراعي يصف راعيا حسن القيام على ابله ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا وقال طفيل الغنوي يصف نخلا كميت كركن الباب احيا بناته مقاليتها واستحشتهن اصبع وقال لبيد بن ربيعة من يبسط الله عليه اصبعا بالخير والشر باي اولعا يملأ له منه ذنوبا مترعا وقال حميد بن ثور اغر كلون البدر في كل منكب من الناس نعمى يحتذيها واصبع وقال الاخر وان ثنا ابن ذو اصبع في مشيها وذو وظن وقال الاخر اكرم نزارا واسقه المشعشعا فان فيه حسبا وشرفا انلتنا حدا وجودا وندى واصبعا والاصبع في كل ما اوردناه بها الاثر الحسن والنعمة

والمعنى ما من آدمي إلا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين فإن قيل هذا قد ذكرتموه كما حكيتم
إلا أنه لم يفصل ما النعمتان وما وجه التثنية هاهنا ونعم الله تعالى على كثرة لا تحصى قلنا يحتمل
أن يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لأنهما كالجنسين أو كالنوعين وإن كان كل
قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بأن عرفهم بأدلته وبراهينه ما
أنعم به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به
من الثواب الجزيل والبقاء في النعيم الطويل ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم الأثر الحسن بأنه إصبع
وهو من جنس ما يشار إليه بالإصبع إعجابا به وتنبيها عليه وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده
وبما له به علقة وقد قال قوم في بيتي طفيل والراعي إنهما أرادا أن يقولا يدا في مكان الإصبع لأنها
هي الجارحة وفي الإصبع ثماني لغات إصبع بفتح الألف والباء أصبِع بفتح الألف وكسر الباء وأُصبُع بضم الألف
والباء وأُصبَع بضم الألف وفتح الباء وأُصبوع بضم الألف والواو وإِصبِع بكسر الألف والباء
وإِصبُع بكسر الألف وضم الباء وإِصبَع بكسر الألف وفتح الباء وفي هذه الأخبار وجه آخر
وهو أوضح مما ذكر وأشبه بمذاهب العرب في ملاحن كلامها وتصرف كناياتها وهو أن يكون المعنى
في ذكر الأصابع الإخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقليبها والفعل فيها عليه جلت عظمته ودخول
ذلك تحت قدرته ألا ترى أنهم يقولون هذا الشيء في خنصري وإصبعي وفي يدي وقبضتي كل
ذلك إذا أرادوا تسهله وتيسره وارتفاع المشقة والمؤنة وعلى هذا المعنى تأول المحققون قوله
تعالى والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وكان صلى الله عليه
وآله لما أراد المبالغة في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة
وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه قال إنها بين أصابعه كناية عن هذا المعنى واختصارا
للفظ الطويل وجريا على مذاهب العرب في أخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا
الوجه يجب أن يكون مقدما على الوجه الأول ومعتمدا لأنه أوضح وأجلى ويمكن أن يكون في
الخبر وجه آخر على تسليم ما يقترحه المخالفون من أن الإصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم والعظم
استظهارا في الحجة وإقامة لها على كل وجه وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان على
شكل الإصبعين يحركه الله بهما ويقلبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث
كانا على شكلهما والوجه في إضافتهما إلى الله تعالى وإن كان جميع أفعاله يضاف إليه بمعنى الملك
والقدرة أنه لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين مما جاورهما غيره تعالى فقيل إنهما
إصبعا الرحمن من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه لأن غيره إنما يقدر على تحريك القلب بما هو
مجاور للقلب من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفردا مما جاوره وغيره تعالى

فمن أين

فمن أين للمبطلين المتأولين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم أن الأصابع هاهنا إذا كانت
لحما ودما فهي جوارح الله تعالى فما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد على المتأول لأن يورد كل
ما يحتمله الكلام مما لا تدفعه الحجة وإن ترتب بعضه على بعض في القوة والوضوح ونحن نعود إلى
تفسير ما لعله أن يشتبه من الأبيات التي استشهدنا بها أما قوله حذا وجودا وندى وأصابعا أخذ
الحد هاهنا المضاء والنفاذ وقول الآخر وأذرعات لهن فيهن ابن فالأكدر ذات الغضى والأبرق العقد
وأما قول حميد بن ثور في كل منكب من الناس فالمنكب الجماعة من الناس والمنكب الناحية وأما معنى
أبيات لبيد فإنه أراد من يسق الله إليه خيرا أو يقصر عنه شرا إنما فعل ذلك بما أسبغ له ذلك حتى
ينتهي منتهاه وأما بيت طفيل الغنوي فمعناه أن هذا الفحل الذي وصفه بأنه كميت وأنه كركن الباب
لتمامه وشدته لما ضرب في الإبل التي وصفها عاشت أولادها التي هي بناته بعد أن كن مقاليت
والمقلات التي لا يعيش لها ولد فكان هذا منه أثرا جميلا عليها فأما بيت الراعي فمعنى قوله ضعيف
العصا يريد أنه قليل الضرب لها إما لأنهن لا يحوجنه إلى ذلك وإما لشفقته عليهن وهذه
كناية في نهاية الحسن والاختصار وشدة ... لأنه قد يجوز أن يكون ضعيف العصا على الحقيقة من حيث
لا يحتاج إلى استعمالها في الضرب فيختار ما قوته ويجوز أن يكون حلقه وإذا ضعيف فعل العصا
وقوله بادي العروق يعني عروق رجليه لقشفها من السعي في أثر الإبل وأراد بالإصبع أن له عليها
في حال جدب الناس أثرا جميلا بحسن قيامه وتعهده وقد قيل إنما سمي الراعي لبيت قاله في هذه القصيدة
بعد بيتين من البيت الذي أنشدناه لها أمرها حتى إذا ما تبوأت بأخفافها مأوى تبوأ
مضجعا هذا قول الأصمعي قال السكري سمي بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضا هدان أخو وطب
وصاحب علبة يرى المجد أن يلقى خلاء ومرتعا وروي عن بعض بني نمير أنه قال إنما سمي بذلك
لقوله بنيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا فقال بعض بني نمير لما سمع
هذا البيت والله ما هو إلا راعي إبل فبقيت عليه وقال محمد بن سلام إنما سمي الراعي بكثرة وصفه للإبل
وحسن نعته لها واسمه عبيد بن حصين بن جندل وكنيته أبو جندل وقيل أبو نوح **مجلس**
١١ **آخر** تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فقال ما المراد
بالنفس في هذه الآية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله ويحذركم الله نفسه أو يخالفه ويطابق معنى
الآيتين والمراد بالنفس فيهما ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال يقول الله
عز وجل إذا أحب العبد لقائي أحببت لقاءه وإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملإ
ذكرته في ملإ خير منهم وإذا تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإذا تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا
أو لا يطابقه **الجواب** قلنا النفس في اللغة لها معان كثيرة مختلفة ووجوه في التصرف متباينة فالنفس

معنى الأول والثاني تفسير لهما
جدا
اسبغه
والمقاليت اللواتي لا يعيش لهن ولد
أي ضرب العصا ... الراعي
رجليه
وتعاهده
العلبة ... حلب ...
هذا البيت أصل ... آخر العلبة
وهل يطابق
والمراد بهما ما

نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي اذا فقد فما خرج عن كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت
والنفس ذات الشيء الذي يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه اذا تولى فعله والنفس الانفة من قولهم
ليس لفلان نفس اي لا انفة له والنفس الارادة من قولهم نفس فلان في كذا اي ارادته قال الشاعر
فنفساي نفس قالت ائت ابن بجدل تجد فرجا من كل غمى تهابها ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن
كخاضبة لم يغن شيئا خضابها ومنه ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد ولم احج قط فنفسي تقول
لي حج ونفسي تقول لي تزوج فقال الحسن انما النفس واحدة ولكن لك هم يقول حج وهم يقول تزوج
وامره بالحج وقال النمر في العيب ويروى لمعقر بن حمار البارقي الا من لعين قد نفى النفس حميها
وارقها بعد المنام همومها فباتت له نفسان شتى همومها فنفس تعزيها ونفس تلومها وقال
النمر بن تولب العكلي اما خليلي فاني لست معجله حتى يؤامر نفسيه كما زعما نفس له من نفوس
القوم صالحة تعطي الجزيل واخرى ترضع الغنما اراد انه بين نفسين نفس تامره بالجود واخرى
تامره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل لان البخيل يرضع اللبن عن الشاة ولا يحلبها لئلا يسمع
الضيف صوت الشخب فيهتدي اليه فيمتنه وقيل للئيم راضع وقال كثير فاصبحت نفسين نفس
مريضة من الياس ما ينفك هم يعودها ونفس برجي وصلها بعد صرمها تجمل كي يزداد غيظا حسودها
والنفس العين التي تصيب الانسان يقال اصابت فلانا نفس اي عين وروي ان رسول الله صلى
الله عليه واله كان يرقي فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين عاين ونفس نافس
وحسد حاسد وقال ابن الاعرابي النفوس الذي يصيب الناس بالعين وذكر رجلا فقال كان والله
حسودا نفوسا كذوبا وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يتقي اهلها النفوس عليها فعلى نحرها
الرقى والتميم وقال مضرس بن ربعي الفقعسي واذا نموا صعدا فليس عليهم منا الخبال ولا
بفوس الحسد وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فاسلم سلمت من المكاره
من الردى وعثارها ووقيت نفس الحسد والنفس ايضا من الدباغ بمقدار الدبغة تقول
اعطني نفسا من دباغ اي قدر ما ادبغ به مرة والنفس الغيب يقول القائل اني لا اعلم نفس فلان
اي غيبه وعلى هذا تاويل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم غيبي وما عندي
ولا اعلم غيبك وقيل ان النفس ايضا العقوبة من قولهم احذر نفسي اي عقوبتي وبعض المفسرين
حمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه على هذا المعنى كانه قال يحذركم عقوبته وروي ذلك عن ابن
عباس والحسن واخرون قالوا معنى الاية ويحذركم الله اياه وقد روي عن الحسن ومجاهد في قوله
تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ما ذكرناه من التاويل بعينه فان قيل ما وجه تسمية الغيب
بانه نفس قلنا لا يمتنع ان يكون الوجه في ذلك ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه

اللئيم

مفعول العنين

بالنفس

ويجتهد

ويجتهد في ستره منزلتها وسمي باسمها فقيل فيه انه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وانما
حسن ان يقول تعالى مخبرا عن نبيه ولا اعلم ما في نفسك من حيث تقدم قوله تعالى تعلم ما في
نفسي ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداء ان يقول انا لا اعلم ما في نفس الله تعالى وان حسن
على الوجه الاول ولهذا نظائر في الاستعمال مشهورة مذكورة فاما الخبر الذي ذكره السائل فتاويله
ايضا ظاهر وهو خارج على مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه ان من ذكرني في نفسه
جازيته على ذكره لي واذا تقرب الي شبرا جازيته على تقربه الي وكذلك الخبر الذي تقدم فسمى المجازاة
على الشيء باسمه اتساعا كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ويمكرون ويمكر الله والله
خير الماكرين والله يستهزئ بهم وكما قال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل
الجاهلينا ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب ولما اراد تعالى المبالغة في وصفه بفعله
بر من الثواب والمجازاة على تقربه بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال
باعا وذراعا اشارة الى المعنى من ابلغ الوجوه واحسنها

مجلس اخر

تاويل اية ان سال سائل
فقال ما تاويل قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت
القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وكيف يجوز ان تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم احياء ومعلوم
ان القلب اذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه وعن اي شيء زاغت الابصار وباي شيء
تعلقت ظنونهم بالله تعالى

الجواب

قيل له في هذه الاية وجوه منها ان يكون المراد بذلك انهم
جبنوا وفزع اكثرهم لما اشرف المشركون عليهم وخافوا من بوائقهم وبوادرهم ومن شان الجبان عند
العرب اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره اي رئته وليس يمتنع ان
تكون الرئة اذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به الى نحو الحنجرة وهذا التاويل قد ذكره الفراء وغيره
ورواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ومنها ان القلوب قد توصف بالوجيب في الاضطراب في احوال
الجزع والهلع قال الشاعر كان قلوب ادلائها معلقة بقرون الظباء وقال امرؤ القيس
ولا مثل يوم في قدار ان ظللته كاني واصحابي على قرن اعفرا ويروى في قذال ظللته اراد المبالغة
في وصف نفسه واصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار وانما خص
الظبي لان قرنه اكثر تحركا واضطرابا للنشاطه ومرحه وسرعته وقد قال بعض الناس ان امرا
القيس لم يصف شدة اصابته في هذا البيت فيليق قوله على قرن اعفرا بالتاويل المذكور بل
وصف ما كان فيها مسرورا متنعما الا ترى قوله قبل هذا البيت الا رب يوم صالح
قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا فيكون معنى قوله على قرن اعفرا على هذا الوجه
انه كان في مكان عال مشرف شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبي وهذا القول لابن الاعرابي والاول

للاصمعي واما قول الاخر ؛ الا قل للشان كيف تغيرا ؛ فاصبح يرمي الناس عن قرن اعفرا ؛ فلا يحتمل الا الشدة والحال المذمومة ويجوز ان يريد ان الناس فيه غير مطمئنين بل هم منزعجون قلقون كانهم على قرن ظبي ويحتمل انه يطعنهم بقرن ظبي كقولك رماه بداهية ويكون معنى عن ههنا معنى الباء فقال عن قرن اعفرا وهو يريد بقرن اعفرا وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معا فيكون معنى الاية على هذا التاويل ان القلوب لما اتصل وجيبها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق ومنها ان يكون المعنى كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر وان لم تبلغ في الحقيقة فالغى ذكر كادت لوضوح الامر فيها ولفظة كادت ههنا للمقاربة مثل قول قيس بن الخطيم ؛ اتعرف رسما كاطراد المذاهب ؛ لعمرة وحشا غير موقف راكب ؛ ديار التي كادت ونحن على منى ؛ تحل بنا لولا نجاء الركائب معناه قاربت ان تحل بنا وان لم تحلل في الحقيقة وقوله غير موقف راكب فيه وجهان احدهما انه ليس بموضع يقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته والاخر ان يكون اراد انه وحش الا ان راكبا واقفا به يعني نفسه وقال ضبيء وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت ؛ هتوف الضحى محزونة بالترنم امون المبكاها اسا ان لو غنى ؛ ووجدي لبعدك شجوه غير منجم ؛ معنى المنجم المقلع وقال ذو الرمة وقفت على ربع لمية ناقتي ؛ فما زلت ابكي عنده واخاطبه ؛ واسقيه حتى كاد مما ابثه ؛ تكلمني احجاره وملاعبه وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة ومتى دخلت العرب على كاد جحدا فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان اجودهما قام عبد الله بعد ابطاء ولاي ومثله قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون اي ذبحوها بعد ابطاء وتاخير لان وجدان البقرة عسر عليهم ويروى انهم اصابوها ليتيم لا مال له غيرها فاشتروها من وليه بملء جلدها ذهبا فقال تعالى وما كادوا يفعلون اما لانهم لم يفقوا اليها او لغلائها وكثرة ثمنها والوجه الاخر في قولهم ما يكاد عبد الله يقوم اي ما يقوم عبد الله وتكون لفظة يكاد على هذا المعنى مطرحة لا حكم لها وعلى هذا يحمل اكثر المفسرين قوله تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يرها اصلا لانه جل وعز لما قال او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض كان بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر الى اليد وسائر المناظر فيكد على هذا التاويل زيدت للتاكيد والمعنى اذا اخرج يده لم يرها وقال قوم معنى الاية اذا اخرج يده رآها بعد ابطاء وعسر لتكاثف الظلمة وترادف الموانع من الرؤية فيكد على هذا الجواب ليست بزائدة وقال اخرون الاية اذا اخرج يده لم يرد ان يراها لان ما شاهدها من تكاثف الظلمات اياسه من تامل يده فرسوخ نفسه انه لا يدركها ببصره وحكي عن العرب اولئك اصحابي الذين كادوا نزل عليهم اي اريد ان انزل عليهم وقال الشاعر كادت وكدت وتلك خير ارادة ؛ لو عاد من لهو الصبابة ما مضى اي ارادت

وادود

واردت وقال الافوه الاودي ؛ فان تجمع اوتاد واعمدة ؛ وساكن بلغوا الامر الذي كادوا اي ارادوا وقال بعضهم معنى قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف اي اردنا ليوسف وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف ومما يشهد لمن جعل لفظة يكد زائدة في الاية قول الشاعر سريع الى الهيجاء شاك سلاحه ؛ فما ان يكاد قرنه يتنفس ؛ اي فما ان يتنفس قرنه ويكاد مزيدة للتوكيد قال حسان ؛ وتكاد تكسل ان تجيء فراشها ؛ في جسم خرعبة وحسن قوام ؛ معناه وتكسل ان تجيء فراشها ؛ وقال الاخر ؛ وان لا الوم النفس فيما اصابني ؛ وان لا اكاد بالذي نلت انجح ؛ اي لا انجح بالذي نلت ولو لم يكن الامر على هذا لم يكن البيت مدحا وروى عبد الصمد بن المعذل بن غيلان عن ابيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة فانشدنا بالكناسة وهو على راحلته قصيدته الحائية التي يقول فيها ؛ اذا غير النأي المحبين لم يكد ؛ رسيس الهوى من حب مية يبرح فقال له عبيد الله بن شبرمة قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال اذا غير النأي المحبين لم اجد ؛ رسيس الهوى من حب مية يبرح قال فاخبرت ابي بما كان من قول ذي الرمة واعتراض ابن شبرمة في اعتراضه عليه كقوله عز وجل اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يرها فاما قوله عز وجل ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فيحتمل ان يكون المعنى اريد اخفيها لكي تجزى كل نفس بسعيها ويجوز ان تكون زائدة ويكون المعنى ان الساعة اتية اخفيها وقد قيل فيه وجه اخر وهو ان يتم الكلام عند قوله تعالى ان الساعة اتية اكاد ويكون المعنى اكاد اتي بها ويقع الابتداء بقوله تعالى اخفيها لتجزى كل نفس ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابئ البرجمي ؛ هممت ولم افعل وكدت وليتني ؛ تركت على عثمان تبكي حلائله ؛ اراد وكدت افعله فحذف الفعل لبيان معناه وروي عن سعيد بن جبير انه كان يقرا اكاد اخفيها بمعنى اظهرها على هذا اظهرها وقال عبدة ابن الطبيب يصف ثورا ؛ يخفي التراب باظلاف ثمانية ؛ في اربع مسهن الارض تحليل ؛ اراد انه يظهر التراب ويستخرجه باظلافه وقال امرؤ القيس ؛ فان تدفنوا الداء لا نخفه ؛ وان تبعثوا الحرب لا نقعد ؛ اراد لا نظهره وقال النابغة ؛ تخفي باظلافها التراب حتى اذا ما بلغت ؛ يبس الكثيب تداعى الترب فانهدما ؛ وقد روى اهل العربية اخفيت الشيء بمعنى سترته واخفيته بمعنى اظهرته وكان القراءة بالضم تحتمل الامرين الاظهار والستر والقراءة بالفتح لا تحتمل غير الاظهار واذا كانت بمعنى الاظهار كان الكلام في كاد واحتمالها للوجوه التي ذكرناها كالكلام فيها اذا كانت بمعنى الستر والتغطية فان قيل اي معنى لقوله اني استرها لتجزى كل نفس بما تسعى واظهرها على الوجهين جميعا واي فائدة في ذلك قلنا الوجه في هذا ظاهر لانه تعالى اذا سترها وقال الشاعر كانت دواعينا الى فعل الجميل والقبيح مترددة واذا عرفنا وقتها

وبلغت القلوب الحناجر والكلام فيه

يعنى كنا ملجئين الى التوبة بعد مقارفة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب
به فضلاً عما ذكرناه من المجازاة للمكلفين بسيئتهم وايصال ثواب اعمالهم يمنع من اطلاعهم على وقت
انقطاع التكليف عنهم فاذا كانت لفظة اخفيها بمعنى لا اظهرها فوجهها ايضاً واضح لانه تعالى اتى بالساعة
القيامة ويقطع التكليف ليجازى كلاً باستحقاقه ويوفى مستحق الثواب ثوابه ويعاقب المسيء
فوضح وجه قوله تعالى اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى على معنيين جميعاً قال السيد قدس الله
روحه وجدت ابا بكر محمد بن القسم الانبارى يطعن على جواب من اجاب فى قوله تعالى وبلغت
القلوب الحناجر بان معناها كادت تبلغ الحناجر ويقول كاد لا تضمر ولا بد من ان يكون منطوقاً بها
ولو جاز ضميرها لجاز قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم فتأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله
لان معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم عبد الله وهذا الذى ذكره غير صحيح ونظن ان الذى حمله على
الطعن فى هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة لان من شانه ان يرد كل ما ياتى به ابن قتيبة وان
يعنف فى الطعن عليه والذى استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمر فى مواضع ويقتضيها بعض
الكلام وان لم يجر صريحها الا ترى انهم يقولون اوردت على فلان من العتاب والتوبيخ ما مات
عنده وخرجت نفسه ولما راى فلان فلاناً لم يبق فيه روح وما اشبه ذلك فمعنى جميع ما ذكرناه
المقاربة ولا بد من اضمار كاد فيه وقال جرير ان العيون التى فى طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين
قتلانا وانما المعنى انهن كدن يقتلننا فهذا اكثر فى الشعر والكلام من ان نذكره وليس يمتنع و
اما قوله يحيين قتلانا فالاظهر فى معناه انهن لم يزلن ما قاربنا عنده الموت فى القتل من الصد
والهجر وما اشبه ذلك وسمى هذه الامور حياة كما سمى اضدادها قتلاً وقد قيل ان معنى يحيين
انهن لم يدين قتلانا من الدية لان دية القتيل عند العرب كالحياة له وقد روى ثم لم يحيين قتلانا
وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل ومعناها ضعيف ركيك واذا كان الامر على ما ذكرناه
لم يمتنع ان يقال قام فلان بمعنى كاد يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت
فاما قوله فيكون تاويل قام عبد الله لم يقم عبد الله فخطاء لانه ليس معنى كاد يقوم انه لم يقم كما
ظن بل معناه انه قارب القيام ودنا منه فمن قال قام عبد الله واراد كاد يقوم فقد افاد ما لا
يفيد قوله لم يقم فاما قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت فمعناه زاغت عن النظر الى كل شيء فلم
تلتفت الا الى عدوها ويجوز ان يكون المراد بزاغت الابصار اى حالت ومالت عن القصد فى النظر
دهشاً وتحيراً فاما قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا فمعناه انكم تظنون تارة انكم تنصرون وتظهرون
على عدوكم وتارة انكم تبتلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم ويجوز ايضاً ان يريد الله تعالى
ان ظنونكم اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله به من النصر وشكوا فى خبره تعالى

كما قال تعالى

قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا

كما قال تعالى حكاية عنهم ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً وظن المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى
لهم كما حكى عز وجل عنهم فى قوله هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وكل ما ذكرناه
واضح فى تاويل الاية وما تعلق بها مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى وجعلنا
نومكم سباتاً فقال اذا كان السبات هو النوم فكانه قال وجعلنا نومكم نوماً وهذا مما لا فائدة
فيه الجواب قلنا فى هذه الاية وجوه منها ان يكون المراد بالسبات الراحة والدعة وقد قال
قوم ان اجتماع الخلق كان فى يوم الجمعة والفراغ منه فى يوم السبت فسمى اليوم بالسبت للفراغ
الذى كان فيه ولان الله تعالى امر بنى اسرائيل فيه بالاستراحة من الاعمال قيل واصل السبات
التمدد يقال سبتت المراة شعرها اذا حلته من العقص وارسلته قال الشاعر وان سبتته
مال جثلاً كانه سدى واهلات من نواسج خثعما اراد ان ارسلته ومنها ان يكون المراد بذلك
القطع لان السبت القطع والسبت ايضاً الحلق يقال سبت شعره اذا حلقه وهو يرجع الى معنى
القطع والنعال السبتية لا شعر عليها قال عنترة بطل كان ثيابه فى سرحة يحذى نعال
السبت ليس بتوأم ويقال لكل ارض مرتفعة منقطعة مما حولها سبتاء وجمعها سباتا
فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نومكم قطعاً للاعمال وتصرفكم ومن اجاب بهذا الجواب يقول
انما سمى يوم السبت بذلك لان بدو الخلق كان يوم الاحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت
فترجع التسمية الى معنى القطع وقد اختلف الناس فى ابتداء الخلق فقال اهل التوراة ان الله
تعالى ابتداه فى يوم الاحد فكان الخلق فى يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء و
الخميس والجمعة ثم فرغ فى يوم السبت وهذا قول اهل التوراة وقال آخرون ان الابتداء كان
فى يوم الاثنين الى السبت وفرغ فى يوم الاحد وهذا قول اهل الانجيل فاما قول اهل الاسلام
فهو ان ابتداء الخلق كان فى يوم السبت واتصل الى الخميس وجعلت الجمعة عيداً فعلى هذا القول
الاخير يمكن ان يسمى اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الارض فقد روى ابو هريرة
عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال ان الله تعالى خلق التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم
الاحد ومنها ان يكون المراد بذلك انا جعلنا نومكم سباتاً ليس بموت لان النائم قد يفقد من
علومه وقصوده واحواله اشياء كثيرة يفقدها الميت فاراد سبحانه ان يمتن علينا بان جعل
نومنا الذى يضاهى فيه بعض احوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا مخرج لنا عن الحياة
والادراك فجعل التاكيد بذكر المصدر قائماً مقام نفى الموت وسادّاً مسده بقوله وجعلنا نومكم
ليس بموت ويمكن فى الاية وجه آخر لم يذكر فيها وهو ان السبات ليس هو كل نوم وانما هو من
صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه والسبات هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا

توضيح

فى ان ابتداء الخلق يوم السبت

البرية

يقال فيمن وصف بكثرة النوم انه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نائم واذا كان الامر على هذا المجرى فقوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا يجري ان يقول وجعلنا نومكم نوما والوجه في الامتنان علينا بان جعل نومنا ممتدا طويلا ظاهر وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة لان التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيئا من الراحة بل يصحبهما في الاكثر القلق والانزعاج والهموم هي التي تقلل النوم وتنزره وفراغ القلب ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح قال السيد قدس الله روحه وجدت ابا بكر محمد بن القسم الانباري يطعن على الجواب الذي ذكرناه اولا ويقول ان ابن قتيبة اخطا في اعتماده لان الراحة لا يقال لها سبات ولا يقال سبت الرجل بمعنى استراح واراح ويعتمد على الجواب الذي ثنينا بذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سبتت المراة شعرها ان معناه ايضا القطع لان ذلك انما يكون بازالة الشد الذي كان مجموعا به وقطعه وللعقاد الذي ذكره ابن الانباري لا يقدح في جواب ابن قتيبة لانه لا ينكر ان يكون السبات هو الراحة والدعة اذا كانا عن نوم وان لم توصف كل راحة بانها سبات ويكون هذا الاسم يخص الراحة اذا كانت على هذا الوجه ولهذا نظاير كثيرة في الاسماء واذا امكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على ان السبات لا يكون اسما للراحة عند النوم والذي يكفي على ابن قتيبة ان يبين ان السبات هو الراحة والدعة ويستشهد على ذلك شعرا ولغة فان البيت الذي ذكره يمكن ان يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال فان قيل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه اخيرا قلنا الفرق بينهما بين لان ابن قتيبة جعل السبات نفسه راحة وجعل عبارة عنها واخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ونحن جعلنا السبات نفسه من صفات النوم والراحة واقعة عنده للامتداد وطول السكون فيه فلا يلزمنا ان يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشيء لا يسمى بما يقع عنده حقيقة والاستراحة تقع على جوابنا عند السبات وليس السبات اياها بعينها على ان في الجواب الذي اختاره ابن الانباري ضربا من الكلام لان السبت وان كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السبات ويحتاج في اثبات مثل هذا البناء الى سمع عن اهل اللغة وقد كان يجب ان يورد من اي وجه اذا كان السبت هو القطع جاز ان يقال سبات على هذا المعنى ولم نره فعل ذلك تاويل خبر ان قال قايل ما تاويل الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه واله ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه وفي رواية اخرى ان الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة ايضا فقال سمعت النبي صلى الله عليه واله يقول من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه الجواب انا اذا كنا قد علمنا بادلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبح مواخذة احد بذنب غيره وعلمنا ايضا بادلة السمع مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة

وزر

وزر اخرى فلا بد من ان نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الادلة الى ما يطابقها والمعنى في الاخبار التي سئلنا عنها ان صحت روايتها انه اذا اوصى موص بان يناح عليه ففعل ذلك بامره وعن اذنه فانه يعذب بالنياحة عليه ليس معنى يعذب بها انه يؤاخذ بفعل النياحة والبكاء بل المعنى انه يؤاخذ بامره بها ووصيته بفعلها وانما قال صلى الله عليه واله ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيامرون ويؤكدون الوصية بفعله هذا مشهور عنهم قال طرفة ابن العبد فان مت فانعيني بما انا اهله وشقي علي الجيب يا ام معبد وقال بشر بن ابي حازم لابنته عميرة فمن يك سائلا عن بيت بشر فان له بجنب الردة بابا ثوى في ملحد لا بد منه كفى بالموت نايا واغترابا رهين بلى وكل فتى سيبلى فاذري الدمع وانتحبي انتحابا وقد روي عن ابن عباس في هذا الخبر قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله صلى الله عليه واله على قبر يهودي فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب في قبره وقد روي انكار هذا الخبر عليه ايضا عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه واله وانها قالت لما اخبرت بروايته وهل ابو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر انما قال عليه السلام ان اهل الميت ليبكون عليه وانه ليعذب بجرمه قال السيد قدس الله روحه معنى وهل اي ذهب وهمه الى الصواب يقال وهلت الى الشيء فانا اهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه اهل وهلا اذا نسيته وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلا اذا فزع والوهل الفزع فاما القليب فهي البئر والجمع القلب قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين يناديهم رسول الله لما قذفناهم كباكب في قليب الم تجدوا حديثي كان حقا وامر الله ياخذ بالقلوب وقال الاخر يبكي قتلى بدر من المشركين فماذا بالقليب قليب بدر من القينات والشرب الكرام وما ذا بالقليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام ومعنى وهلت في ذكر القليب انه روي ان النبي صلى الله عليه واله وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ثم قال انهم ليسمعون ما اقول فانكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه السلام انهم الان ليعلمون ان الذي كنت اقول لهم هو الحق واستشهد بقول الله تعالى انك لا تسمع الموتى واهل القليب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه واله ذات يوم قائما يصلي بمكة واناس من قريش في حلقة فيهم ابو جهل بن هشام فقال ما يمنع احدكم ان ياتي الجزور التي نحرها ال فلان فياخذ سلاها ثم ياتي به حتى اذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث اشقى القوم وانا انظر اليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله فلو كانت لي يومئذ منعة لمنعته وجاءت فاطمة عليها السلام وهي يومئذ صبية حتى اماطته عن ظهر ابيها ثم جاءت حتى قامت على روسهم فاوسعتهم شتما قال فوالله لقد رايت بعضهم يضحك حتى انه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما قضى النبي صلى الله عليه واله اقبل الى القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما راوا النبي صلى الله

عن النبي ما من احد يدخله الجنة الخبر

عليه واله قد دعا عليهم اسعط في ايديهم فوالله الذي لا اله الا هو ما سمى النبي صلى الله عليه يومئذ احدا الا وقد رايته يوم بدر وقد اخذ برجله يجر الى القليب مقتولا قوله فيا اخذ سلاها اي جلدتها التي فيها ولدها ما دام في بطنها والجمع الاسلاء وقال ابن حبيب رحمه الله الاسلاء التي فيها الاولاد وقال الاخطل يطرحن بالثغر السخال كانما يشققن بالاسلاء اردية العصب وقال الشماخ والعيش دامية المناسم ضمر يقذفن بالاسلاء تحت الانكب وقال الفراء سقط في ايديهم من الندامة واسقط لغتان وهي بغير الف اكثر واجود ويمكن ان يكون في قوله يعذب ببكاء اهله عليه وجه اخر وهو ان يكون المعنى ان الله تعالى اذا اعلمه ببكاء اهله واغراقهم عليه وما لحقهم بعده من الحزن والهم تالم بذلك فكان عذابا له والعذاب ليس يجاري مجرى العقاب الذي لا يكون الا على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيرا بحيث يستعمل الالم والضرر الا ترى ان القائل قد يقول لمن ابتداه بالضرر والالم قد عذبتني بكذا وكذا واذيتني كما يقول اضررت بي والمتني وانما لم يستعمل العقاب حقيقة في الالام المبتداة من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة التي لا بد من تقدم سببها وليس هذا في العذاب تاويل خبر ان سال سائل عن الخبر الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال ما من احد يدخله عمله الجنة وينجيه من النار قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل يقولها ثلاثا فقال ليس في هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب وانه غير مستحق عليه ومذهبكم بخلاف ذلك قلنا الجواب قلنا فائدة الخبر ومعناه بيان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم الى الطافه وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو خلي الى نفسه وقطع الله تعالى موادّ المعونة واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكانه عليه السلم اراد ان احدا لا يدخل الجنة بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا ارشده اليه وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه فاما الثواب فلا نابى القول بانه تفضل بمعنى ان الله تعالى تفضل بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شيء ابتداء وانما يجب عليه ما اوجبه على نفسه فالثواب مما كان اوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك التمكين والالطاف في كل ما يجلبه ويوجبه التكليف ولولا ايجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب فان قيل فقد سمى الرسول صلى الله عليه واله ما يفعل به فضلا فقال الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا هذا يطابق ما ذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذي ذكرناه وان حملنا قوله عليه السلم برحمة منه وفضل على ما يفعل به من الالطاف والمعونات فهي ايضا فضل وتفضل لان سببها غير واجب فاما قوله عليه السلم يتغمدني فمعناه يسترني يقال غمدت السيف في غمده اذا سترته قال الشاعر نصبنا وطلحا فوقها حبا عامر كظل السماء كل ارض تغمدا فالحب ههنا الخط وشبه ما قسم لعامر من الغلبة والظفر

بظل

بظل السماء الذي يستر كل شيء ويظهر عليه اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى جنيقا قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب النحوي قال اخبرنا ابن الاعرابي قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرهم الله والبهو المكروب وانشدنا ابرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب اتراب قال السيد قدس الله روحه وقيل في معنى قوله بهرا غير هذا الوجه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القسم بن اسماعيل قال حدثنا التوزي عن ابي عمر الاسدي قال سمعنا ابا عمرو بن العلاء يقول عمر بن ابي ربيعة حجة في العربية وما اخذ عليه شيء الا قوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا وله عندي فيه عذر لانه اراد الخبر لا الاستفهام كانهم قالوا انت تحبها على جهة الاخبار منهم لا الاستفهام فاكذبهم اخبارهم بجوابه فهذا حسن وبهرا يجوز ان يكون اراد احبها حبا بهرني بهرا بمعنى عقرا وتعسا دعا عليهم اذ جهلوا امر حبه لها ما لا يجهل مثله وانشد ابو عمرو لحى الله قومي اذ يبيعون مهجتي بجارية بهرا لهم بعدها بهرا ويكون بهرا بمعنى ظاهرا او يريد حبا ظاهرا من قولهم قمر باهر وقد حكى بعض الرواة انه قال قيل لي هل تحبها قلت بهرا والرواية الاولى هي المشهورة ولعل من روى ذلك فر بهذه الرواية من اللحن وهذان البيتان لعمر بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي من جملة ابيات منها من رسولي الى الثريا باني ضقت ذرعا بهجرها والكتاب وهي مكنونة تحير منها في اديم الخدين ماء الشباب علقتني محبا المسك عقلي فسلوها بما تحل اغتصابي اذهقت انم نوفل اذ دعتها مهجتي ما لقاتلي من متاب حين قالت لها اجيبي فقالت من دعاني قالت ابو الخطاب ابرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب اتراب ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب والثريا هذه التي عناها عمر بن ابي ربيعة اموية وقد اختلف في نسبها فقيل انها الثريا بنت عبد الله بن محمد الحرث بن امية الاصغر بن عبد شمس وقيل انها الثريا ابنة علي بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وانها اخت محمد بن عبد الله المعروف بابي جراب العبلي الذي قتله داود بن علي واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا محمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن نافع قال اخبرني بلال مولى ابن ابي عتيق في حديث طويل لعمر بن ابي ربيعة مع الثريا اختصرناه واوردنا بعضه قال لما سمع ابن ابي عتيق قول عمر من رسولي الى الثريا قال اياي اراد وبي نوه لا جرم والله لا اذوق اكالا حتى اشخص اليه لاصلح بينهما فنهض ونهضت معه فجاء قوما من بني الديل بن بكر لم تكن النجائب تفارقهم يكرونها فاكترى منهم راحلتين واغلى لهم بهما فقلت له استوضعهم شيئا او دعني اماكسهم فقد اشتطوا فقال لي ويحك اما علمت ان المكاس ليس من خلق الكرام وركب احديهما وركبت الاخرى فسار سيرا شديدا فقلت له ارفق على نفسك فان ما تريد لا يفوتك فقال ويحك ابادر حبل الود ان

يتقضا

قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم الآية

يتفضيا وما ملح الدنيا ان يتم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلة غير محرمين فدق على عمر
بابه فخرج اليه فسلم عليه فما نزل ابن ابي عتيق عن راحلته وقال لعمر اذكب اصلح بينك وبين الثريا
فانا رسولك الذي سالت عنه فركب معه فقدمنا الطايف فقال ابن ابي عتيق للثريا هذا عمر
قد جشمني سفر المدينة اليك فجئته به معترفا بذنب لم يجنه معتذرا من اساءته اليك فدعيني
من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته احسن صلح وكررنا
راجعين الى المدينة ولم يقم ابن ابي عتيق بمكة ساعة واحدة وفي الثريا يقول عمر ايضا لما تزوجها
سهيل بن عبد العزيز بن مروان ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان هي شامية
اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني مجلس آخر تاويل آية ان سال سايل عن قوله تعالى
فغشيهم من اليم ما غشيهم فقال ما الفايدة في قوله ما غشيهم وقوله فغشيهم يدل عليه ويستغنى
به عنه لان غشيهم لا يكون الا للذي غشيهم وما الوجه في ذلك قلنا قد ذكر في هذا اجوبة احدها
ان يكون المعنى فغشيهم من اليم البعض الذي غشيهم لانه لم يغشهم جميع مائه بل غشيهم بعضه فقال
تعالى ما غشيهم ليدل على ان الذي غرقهم بعض الماء وانهم لم يغرقوا بجميعه وهذا الوجه حكى
عن الفراء وذكره ابو بكر بن الانباري واعتمده وغيره اوضح عنه واليم هو البحر قال الشاعر
وبنى تبع على اليم قصرا عاليا مشرفا على البنيان وثانيها ان يكون المعنى فغشيهم من اليم ما
غشي موسى واصحابه وفرعون واصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيهم كلهم الا ان فرعون وقومه
لما غشيهم غرقهم وموسى عليه السلام وقومه جعل لهم في البحر طريقا يبسا فقال تعالى فغشي فرعون و
قومه من ماء البحر ما غشي موسى وقومه فنجا هولاء وهلك هولاء وعلى هذا التاويل يكون الضمير
في قوله ما غشيهم كناية عن غير من كنى عنه بقوله فغشيهم لان الاولى كناية عن فرعون وقومه
والثانية كناية عن موسى وقومه وثالثها انه غشيهم من عذاب اليم واهلاكه لهم ما غشي الامم
السالفة من الهلاك والعذاب عند تكذيبهم انبيائهم واقامتهم على دين آبائهم والعدول عن
ارشادهم والامم السالفة وان لم يغشهم العذاب والاهلاك من قبل البحر فقد غشيهم عذاب
واهلاك استحقوه بكفرهم وتكذيبهم انبياءهم فشبه بينهم وبين هولاء من حيث اشتمال
العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب ورابعها ان يكون المعنى فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم
من العطب والهلاك فتكون لفظة غشيهم الاولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم
من قبل البحر ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو واضح يليق بمذاهب العرب في استعمال
هذا اللفظ وهو ان تكون الفايدة في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم تعظيم الامر وتفخيمه
كما يقول القايل فعل فلان ما فعل واقدم على ما اقدم اذا اراد التفخيم وكما قال وفعلت فعلتك

الخ

قوله تعالى فخر عليهم السقف الآية

التي فعلت ومما يجري هذا المجرى ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل هذا هذا وانت انت وفي
القوم هم هم قال الهذلي رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم
وقال ابو النجم انا ابو النجم وشعري شعري كل ذلك اذا ارادوا تعظيم الامر وتكبيره تاويل
آية اخرى ان سال سايل عن قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم واتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون فقال ما الفايدة في قوله من فوقهم وهو لا يفيد الا ما يفيد قوله فخر عليهم السقف
لان مع الاقتصار على القول الاول لا يذهب وهم احد الى ان السقف يخر من تحتهم الجواب قيل
لنا في ذلك اجوبة اولها ان يكون على بمعنى عن فيكون المعنى فخر عليهم السقف من فوقهم اي
خر عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته كما يقول القايل اشتكى فلان عن دواء شربه فيكون على
وعن بمعنى من اجل الدواء وكذلك يكون معنى الآية فخر من اجل كفرهم السقف من فوقهم قال
الشاعر ارمي عليها وهي فرع اجمع وهي ثلاث اذرع واصبع اراد ارمي عنها لان كلام العرب
رميت عن القوس فاقام على مقام عن ولو انه قال تعالى على هذا المعنى فخر عليهم السقف ولم
يقل من فوقهم جاز ان يتوهم متوهم ان السقف خر وليسوا هم تحته وثانيها ان يكون على بمعنى اللام
والمراد فخر لهم السقف فان على قد يقام مقام اللام وحكي عن العرب ما اغيظك علي وما اغمك
علي يريدون ما اغيظك لي واغمك لي قال الطرماح يصف ناقة كان مخواها على ثفناتها معرس
خمس وقعت للجناجن اراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر فاقام اللام مقام على
وقد يقول القايل ايضا تداعت على فلان داره واستهدم عليه حايطه ولا يريد انه كان تحته
فاخبر تعالى بقوله من فوقهم عن فايدة لولاه ما فهمت وجاز ان يتوهم متوهم في قوله فخر عليهم
السقف ما يتوهم من قولهم خرب عليه ربعه ووقفت عليه دابته واشباه ذلك وللعرب في
هذا مذهب ظريف لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع الا في الشر والامر
المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك الا ترى انهم لا يقولون على فلان
ضيعته بل لا من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته
وولدت له جاريته وهكذا من شانهم اذا قالوا قال على وروى على فانه يقال في الشر والكذب
وفي الخير والحق يقولون قال عني وروى عني ومثل ذلك قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان لانهم لما اضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن ان يقال يتلون عليه و
لو كان خيرا لقيل عنه ومثله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وقوله تعالى اتقولون على الله ما لا
تعلمون وقال الشاعر عرضت نصيحة مني ليحيى فقال غششتني والنصح مر وما بي ان اكون اعيب
يحيى ويحيى طاهر الاخلاق بر ولكن قد اتاني ان يحيى يقال عليه في صنعاء شر فقلت له

فان على للضرر واللام للانتفاع

عن النبي ص انّ القران مادبة الله الخبر

تجنب كل شيء يقال عليك ان الحرحر ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن معدان المعروف بعنبسة الفيل وقد كان تتبع شعره وخطّاه ولحّنه لقد كان في معدان والفيل زاجر لعنبسة الراوي على القصائد فقال على ولم يقل عن للمعنى الذي ذكرناه وثالث الوجوه في الاثران يكون من عوضهم تاكيدا للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلب لا يكون الا في الصدر ونظاير ذلك في الكتاب وكلام العرب كثيرة تاويل خبر ان سال سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن ابي اسحاق الهجري عن ابي الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان هذا القران مادبة الله فتعلموا مادبته ما استطعتم وان اصغر البيوت لجوف اصفر من كتاب الله فقال ما تاويله وكيف بيان غريبه الجواب قلنا المادبة في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعوا الناس اليه فشبه النبي صلى الله عليه وآله ما يكسبه الانسان من خير القران ونفعه وفايدته عليه اذا قراه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به يقال ادب الرجل يادب اذا دعا الناس الى طعامه ويقال المادبة للمدعاة وذكر الاحمر انه يقال فيها ايضا مادبة بفتح الدال قال طرفة العبد نحن في المشتاة ندعوا الجفلى لا ترى الادب فينا ينتقر ومعنى الجفلى انه عمّ بدعوته ولم يخص بها قوما دون قوم والنقرى اذا خص بها بعضا دون بعض ومعنى ينتقر من النقرى قال بعض هذيل وليلة يصطلي بالفرث جازرها يختص بالنقرى المثرين داعيها لا ينبح الكلب فيها غير واحدة عند الصباح ولا تسري افاعيها معنى يصطلي بالفرث جازرها ان الجازر اذا شق الكرش ادخل يده لشدة البرد في الفرث يستدفي به ومعنى يختص بالنقرى المثرين انه يختص بدعائه الى طعامه الاغنياء الذين يطمع من جهتهم في المكافاة وقال الاحمر قالوا ثلاثاؤه حقنب وماديه وكل ابائه يوم الثلاثاء وقال المهلّب يصف عقابا كان قلوب الطير في جوف كرها نوى القسب يلقى عند بعض المادب اراد جمع مادبة وقد روى هذا الحديث بفتح الدال المادبة وقال الاحمر المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم وقال غيره المادبة بفتح الدال مفعلة من الادب ومعناه ان الله تعالى انزل القران ادبا للخلق وتقويما لهم وانما دخلت الهاء في مادبة ومادبة والقران مذكر بمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس وكما قال عنترة والكفر مخبثة لنفس المنعم وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة ويقال لطعام الاملاك وليمة ولطعام الزفاف العرس ولطعام الختان العذيرة ولطعام الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر العقيقة ولطعام القادم من سفره النقيعة ولطعام النفاس الخرس وللذي تطعمه النفساء الخرسة قال الشاعر اذا النفساء لم تخرس ببكرها

غلاما ولم يسكت بحتر فطيمها الحتر الشيء القليل وقال الحرا كل الطعام تشتهي في بيعة الخرس والاعذار والنقيعة وبروى العرس ويحتد ايضا في النقيعة انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ضرب القدار نقيعة القدام والقدار الجزار والقدام جمع قادم وقال ابو زيد يقال لطعام الاملاك النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الختان الاعذار والعذيرة وقال الفرا الشندخي طعام الاملاك والوليمة طعام العرس وقال ابو زيد يقال من النقيعة نقعت وقال الفرا يقال منها انقعت وقال ابن السكيت يقال للطعام الذي يتعلل به قبل الغذاء السلفة واللهنة ويقال لهنوا ضيفكم اي اطعموه اللهنة قال الشاعر عجبت عارضها منغل طعامها اللهنة او اقل وقال ابن السكيت قال الاصمعي لرجل فلان ياكل الوزمة اذا كان ياكل اكلة في اليوم وقال الاصمعي فلان ياكل الوجبة اذا كان ياكل اكلة في اليوم والليلة قال بشار فانشغن بالوجبات عن نهب لم يسق فيلاء لامرى في هبه وقال ابن السكيت قال الاصمعي لرجل اسرع في سيره كيف كان سيرك فقال كنت اكل الوجبة وانجو الوقعة واعرس اذا افجرت وارتحل اذا اسفرت واسير الوضع واجتنب الملع فجئتكم لمسي سبع قوله انجو الوقعة معناه اقضي حاجتي مرة في اليوم وهو من النجو وقوله اسير الوضع فالوضع سير فيه بعد الاسراع والملع سير اشد منه فاراد انه يجتنب الشديد من السير كراهة ان يقف ظهره قبل ان يبلغ الارض التي يقصدها وقال شر السير الحقحقة اي السير الشديد الذي يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته قال الشاعر اذا ما اردت الارض ثم تباعدت عليك فضع رحل المطية وانزل اي استرح حتى تقوى على السير فان جهدت نفسك لم تقطع ارضا ولم تبق ظهرا وهذا من ابيات المعاني التي يسال عنها والذي قيل فيه ما ذكرناه ويمكن ايضا ان يكون معنى البيت اذا بعدت عليك ارض فدعها واسال عنها كما يقال دواء ما عز مطلبه الصبر وما جرى مجرى ذلك من الفاظ التسلية والامر بالعدول عن تتبع ما صعب من الامور وقال الاخر في معنى البيت الاول تقطع بالنزول الارض عنا وبعد الارض يقطعه النزول وقوله جئتكم لمسي سبع معناه لمساء سبع ليال ويقال للذي يحضر طعام القوم من غير ان يدعوه اليه الوارش والورش وقول العامة الطفيلي مولد لا يوجد في العتيق من كلام العرب واصل ذلك ان رجلا يقال له طفيل كان بالكوفة لا يفقد من وليمة من غير ان يدعى اليها فقيل للوارش الطفيلي تشبيها بطفيل هذا في وقته ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير ان يدعى اليه واغل قال امرؤ القيس فاليوم فاشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل ويقال الوغل لما يشرب به قال الشاعر ان اك مسكرا فلا اشرب الوغل ولا يسلم مني البعير وقوله صلى الله عليه وآله ان اصفر البيوت لبيت صفر من كتاب الله معناه ان اخلى البيوت والصفر عند العرب الخالي من الانية وغيرها ويمكن في قوله مادبة الله وجه اخر وهو ان يكون وجه التشبيه للقران بالمادبة وتسميته بها

حيث دعا الخلق اليه وامرهم بالاجتماع عليه فسماه عليه السلم مادبة لهذا الوجه لان المادبة هي التي
يدعى الناس اليها ويجتمعون عليها وهذا الوجه يخالف الاول لان الاول تضمن ان وجه التشبيه من
حيث النفع العائد على الحافظ للقران كما ينتفع المدعو الى المادبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه
الاخر تضمن ان التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء اليه والارشاد الى اصابته وليس يبعد ان
يريد عليه السلم بالخبر المعنيين معا فلا تنافي بينهما اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن
دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كنا في مجلس الاصمعي اذ اقبل اعرابي فقال ابن عميد كم فاشرنا الى الاصمعي
فقال له ما معنى قول الشاعر لا مال الا العطاف تؤزره ام ثلاثين وابنة الجبل لا يرتقي
النز في ذلاذله ولا يعد تعليه من بلل عصرته نطفة تضمنها لصب تلقى
مواقع السيل او وجية من جناة اشكلة ان لم يرغها بالقوس لم تنل قال فادبر الاعرابي وهو
يقول لم ار كاليوم عضلة قال ابن دريد انما وصف رجلا خائفا في راس جبل يقول لا مال له الا
العطاف وهو السيف تؤزره ام ثلاثين يعني كنانة فيها ثلاثون سهما وابنة الجبل يعني القوس
لانها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره وقوله لا يرتقي النز في ذلاذله لانه في راس جبل فلا نز
هناك يعلق بما يفضل من ثيابه ولا يكل يعدي تعليه عنه والعصرة الملجا والنطفة الماء المجتمع في
صخر او غيره من بقية ماء المطر واللصب الشق في الجبل اضيق من اللهب واوسع من الشعب و
السيل المطر والوجية ان ياكل كل يوم مرة والاشكل السدر الجبلي واحدته اشكلة يقول فهذه النطفة
والوجية من الاشكلة عصرتاه وقوله ان لم يرغها يعني انها الاشياء باليد حتى تحرك بالقوس قال
السيد قدس الله روحه وانما جعل الاصمعي انشاده الابيات دلالة على معرفة معناها لانه
يبعد ان يعرفها ولا يعرف معناها والاعرابي انما سال عن المعنى فاقام انشاده لها مقام تفسيرها
فاستغنى الاعرابي بذلك وعلم باتمامه الابيات معرفته بمعناها وكان الاصمعي كثيرا اذا انشد شيئا
من الشعر ينشد في معناه في الحال فمن ذلك ان اسحق بن ابرهيم الموصلي انشد يوما لنفسه اذا
كانت الاحرار اصلي ومنصبي وقام بنصري حازم وابن حازم عطست بانف شامخ وتناولت
يداي الثريا قاعدا غير قائم قال فلما فرغت من انشادهما انشد بعقب ذلك الا ايها السائلي
جاهلا ليعرفني انا انف الكرم نمت في الكرام بنو عامر فروعي واصلي قريش العجم قال فجا
والله بالشعر الذي يحوته وعملت بيتي عليه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن
يحيى الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحق بن ابرهيم قال ما انشدت الاصمعي شيئا
قط الا انشدني مثله كانه اعده لي فانشدته يوما للاعشى علقتها عرضا وعلقت رجلا غيري
وعلق اخرى غيرها الرجل فانشدني في وقته قتلتنا اخت بني لوي اذ رمت واصاب سلك

اذ رميت

قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى الآية

اذ رميت سواها واغارها الحدثان منك مودة واعاد غيرك ودها وهواها وذكر ابو العيناء قال
كان الاصمعي اذا سمع انسانا ينشد شعرا في معنى انشد في ذلك المعنى من غير ان يريد اراده فانشد
رجل قول القطامي والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطئ الهبل فانشد هو قول
قعنب الفزاري من يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وروى ميمون بن هارون
قال سمعت اسحق بن ابرهيم يقول انشدت الاصمعي قول الاعشى طلبا ان ينشد في مثله وكان مع خطره
بالعلم لا يضن بمثل هذا ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا او تنزلون فانا معشر نزل فانشد لربيعة
بن مقروم الضبي ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم اوظفة القوائم هيكل فدعوا
نزال فكنت اول نازل وعلام اركبه اذا لم انزل وروي عن اسحق بن ابرهيم ايضا انه قال دخلت الى الاصمعي
يوما وعنده اخ للعماني الراجز حافظ راوية فلما دخل عبث به اخو العماني فقال له من هذا قال
هو الباهلي الذي يقول فما صفحة ما دومة بهالة باطيب من فيها ولا اقط رطب فقال له قبل
ان يستتم الكلام هو على كل حال اصلح من قول اخيك العماني يا رب جاد شرحوذاة ناعمة كانما عوده
في جوف ام قوده قال اسحق فقلت له اكنت عددت هذا الجواب قال لا ولكن ما مر بي شيء الا وانا اعرف
منه طرفا مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم فقال اي معنى لقوله بافواههم ومعلوم ان القول
لا يكون الا بالافواه الجواب قلنا القول يحتمل معنيين في كلام العرب احدهما القول باللسان والاخر
بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب
الظن فقالوا اتقول عبد الله خارجا ومتى تقول محمدا منطلقا يريدون متى تظن قال الشاعر اما
الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدار تجمعنا اراد متى تظن الدار وقال الاخر اجهالا تقول
بني لوي لعمر ابيك ام متجاهلينا اراد تظن بني لوي وقال توبة بن الحمير الا يا صفي النفس كيف
تقولها لو ان طريدا خائفا مستجيرها بخير ان شطت بها غربة النوى ستنعم ليلى ان يفك اسيرها
اراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل في الامرين معا افاد قوله تعالى بافواههم قصر المعنى
على ما يكون باللسان دون القلب ولو اطلق القول ولم يات بذكر الافواه لجاز ان يتوهم المعنى الاخر
ومما يشهد لذلك قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فلم يكذب تعالى قول السنتهم لانهم لم يخبروا بافواههم
الا بالحق بل كذب ما يرجع الى قلوبهم من الاعتقادات ووجه اخر وهو ان تكون الفائدة في قوله
تعالى بافواههم ان القول لا برهان عليه وانه باطل كذب لا يرجع فيه الا الى مجرد القول باللسان لان
الانسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله حقا اذا كان راجعا الى برهان فتكون فيما

قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الآية

العود الى اللسان يقتضى ما ذكرناه من الفائدة ، وهذا كما يقول القائل لمن يشك فى قوله او يكذبه
هكذا تقول بلسانك وليس الشأن فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به لسانك فكانهم ارادوا ان يقولوا بالثناء
هذا قول لا برهان عليه فاقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وانما يقولون كذا بافواههم مقام
مقام ذلك والمعنى انه قول لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه الى اللسان ، ووجه آخر وهو
ان تكون الفائدة فى ذلك التاكيد فقد جرت به عادة العرب فى كلامها وما تقدم من الوجهين اولى
لان حمل كلامه تعالى على الفائدة اولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة تاويل آخر ان
سأل سائل عن قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم فقال اى معنى لرد الايدى
فى الافواه واى مدخل لذلك فى التكذيب بالرسل عليهم السلام الجواب قلنا فى ذلك وجوه اولها ان
يكون اخبارا عن القوم بانهم ردوا ايديهم فى افواههم عاضين عليها غيظا وحنقا على الانبياء عليهم
السلام كما يفعل المتوعد لغيره المبالغ فى معاندته ومكايدته وهذه عادة معروفة فى المغيظ المحنق
انه يعض على اصابعه ويفرك انامله ويضرب باحدى يديه على الاخرى وما شاكل ذلك من الافعال
وثانيها ان يكون الهاء فى الايدى للكفار المكذبين والهاء التى فى الافواه للرسل عليهم السلام فكانهم لما
سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وانذارهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل مانعين لهم من الكلام كما يفعل
المسكت منا لصاحبه والراد لقوله وثالثها ان تكون الهاء التى فى الايدى والتى فى الافواه معا للرسل
والمعنى انهم كانوا يأخذون ايدى الرسل فيضعونها على افواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ورابعها ان يأخذون بهم
تكون الهاءان جميعا ترجعان الى الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى انهم لما سمعوا وعظهم وانذارهم
وضعوا ايدى انفسهم على افواههم مشيرين لهم بذلك الى الكف عن الكلام والامساك عنه كما
يفعل من يريد منا تسكيت غيره ومنعه عن الكلام من وضع اصبعه على فى نفسه وخامسها ان
يكون المعنى فردوا القول بايدى انفسهم الى افواه الرسل اى انهم كذبوهم ولم يصغوا الى اقوالهم
فالهاء الاولى للقوم والثانية للرسل وذكر الايدى انما ذكرت مثلا وتاكيدا كما يقول القائل اهلك
فلان نفسه بيده اى وقع الهلاك به من جهته لا من جهة غيره وسادسها ان المراد بالايدى
النعم وفى محمولة على الباء والهاء الثانية للقوم المكذبين والتى قبلها للرسل والتقدير فردوا
بافواههم نعم الرسل اى ردوا وعظهم وانذارهم وتنبيههم على مصالحهم الذى لو قبلوه لكان
نعما عليهم ويجوز ايضا ان تكون الهاء التى فى الايدى للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم
فيجوز اضافتها اليهم وجعل لفظة فى على الباء جائز لقيام بعض الصفات مقام بعض يقولون
رضيت عنك ورضيت عليك وحكى فى لغة طى ادخلك الله فى الجنة يريدون فى الجنة فيعبر

بالبناء

بالبناء عن معنى فى كذلك يصح ايضا ان يعبر بفى عن الباء قال الشاعر وارغب فيها عن لقيط
ورهطه ولكننى عن سنبس لست ارغب اراد وارغب بها فحمل فى على الباء وسابعها وهو
جواب ابى مسلم بن بحر وزعم انه اولى من غيره قال المضمرون فى قوله ايديهم الرسل وكذلك المضمرون
فى افواههم والمراد باليد ههنا ما نطق به الرسل من الحجج والبينات التى ذكر الله تعالى انهم جاؤا بها
قومهم واليد فى كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان ايضا وعلى الملك وعلى العهد والعقد
ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذى اتى به الانبياء قومهم هو الحجة والسلطان وهو النعمة وهو
العهد وكل ذلك يقع عليه اسم اليد لما كان ما يعظ به الانبياء قومهم وينذرونهم به انما
يخرج من افواههم فردوه وكذبوه قيل انهم ردوا ايديهم فى افواههم اى انهم ردوا القول من حيث
جاء قال ولا يجوز ان يكون الضمير فى ذلك للمرسل اليهم كما قاله بعض المفسرين وذكر ان معناه انهم
عضوا عليها اناملهم غيظا لان رافع يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى رادا اليد الى فيه الا اذا
كانت يده فى فيه فيخرجها ثم يردها قال السيد قدس الله روحه وليس ما استنكره ابو مسلم من
رد الايدى الى الافواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الى فيه والى وجهه وعاد فلان
يقول كذا ورجع يفعل كذا وان لم يتقدم ذلك الفعل منه ولو لم يسغ هذا القول حقيقة لساغ يفعل
تجوزا واتساعا وليس يجب ان توخذ العرب بالتحقيق فى كلامها فان تجوزها واستعارتها
اكثر على انه يمكن ان يكون المراد بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئا بعد شئ وتكرر منهم فلهذا
جاز ان يقول ردوا ايديهم فى افواههم لانه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما تكرر جازت
العبارة عنه بالرد وهذا يبطل استضعافه للجواب الذى صرنا مراده تاويل خبر روى ان مسلما بن
الخزاعى ثم المصطلقى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد انشده منشد قول سويد بن
عامر المصطلقى ؛ لا تامنن وان امسيت فى حرم ؛ ان المنايا بجنبى كل انسان ؛ واسلك طريقك
تمشى غير مختشع ؛ حتى تبين ما يمنى لك المانى ؛ فكل ذى صاحب يوما يفارقه ؛ وكل زاد وان
ابقيته فان ؛ والخير والشر مقرونان فى قرن ؛ بكل ذلك ياتيك الجديدان ؛ فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله لو ادركته لاسلم فبكى ابى مسلم فقال له ابنه يا ابة ما يبكيك من
مشرك مات فى الجاهلية فقال يا بنى لا تفعل فما رايت مشركة تلقفت من مشرك خيرا من سويد تلقفت
قوله ما يمنى لك المانى معناه ما يقدر لك القادر قال الفراء يقال منى الله عليك الموت اى قدر
عليك الموت وقال يعقوب مناك الله بما يسرك اى قدر لك ما يسرك وانشد ابو عمرو لقد
ساقه المنا الى حدث ؛ يوزى له بالاهاضب قال ابن الاعرابى ساقه المنا اى ساقه القدر وانشد
ابن الاعرابى ؛ منت لك ان تلاقينى المنايا ؛ احاد احاد فى الشهر الحلال ؛ معناه قدرت لك وقوله

ابو عبيدة في قوله تعالى من نطفة اذا تمنى معناه اذا تخلق وتقدر وقال بعض اهل اللغة انما سمي منى
لما يمنى فيه من ثواب الله تعالى اي يقدر فيه ويقال ايضا بما يمنى فيه من الدم وقيل انما
سمي بذلك لان ابرهيم عليه السلم لما انتهى اليه قال له الملك تمنّ قال اتمنى الجنة فسمي منى لذلك و
منى يذكر ويؤنث والتذكير اجود قال الشاعر في التذكير: سقى منى ثم رواه وساكنه، ومن ثوى فيه
واهي الودق منبعق، وقال الآخر في التأنيث: ليومنا بمنى اذ نحن ننزلها، اسر من يومنا بالعرج
او ملل، فاما قوله والخير والشر مقرونان في قرن فالقرن الحبل واراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث
لا يكاد يصيب الانسان في الدنيا خير صرف لا شر فيه فلهذا قيل انهما مقرونان ويجوز ايضا
ان يريد ان لسرعة تقلب الدنيا وابدالها الخير بالشر كان الخير والشر مجموعان مع التقارب
ما بينهما فاما الجديدان فهما الليل والنهار وهما الاجدان والملوان والفتيان والردفان و
العصران قال الشاعر: ان الجديدين من طول اختلافهما، لا يفسدان ولكن يفسد الناس،
وقال الآخر: وامطله العصرين حتى يملني، ويرضى بنصف الدين والانف راغم، وقال ابو عبيدة
ويقال لليل والنهار ابنا سبات، وانشد ابن الاعرابي: وكنا وهم كابني سبات تفرقا، سوى
ثم كانا منجدا وتهاميا، ويقال للغداة والعشي القرنان والبردان والصرعان اخبرنا ابو القسم عبيد الله
بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله محمد الحكيمي قال املى علينا ابو العباس ثعلب النحوي قال
انشدنا ابن الاعرابي لربيع الوالبي: كذبتك ما وعدتك امس صلاح، وعسى يكون لما وعدت
نجاح، برء من السقم الطويل ضمانه، لا يشتكي سقما بكم وصحاح، اصلاح انك قد رميت فؤاده، و
جوانب الليت لهن جراح، ولقد رأيتك بالقوادم مرة، وعلي من سدف العشي رياح، معنى رياح
ههنا اي علي وقت من العشي ومثله رواح وهو من روح وهو بالكسر فليس بشيء، ماكان ابصرني بغرات
الصبى، فاليوم قد شفعت لي الاشباح، ومشى بجنب الشخص شخص مثله، والارض نابية الشخوص
براح، حلق الحوادث لمتي فتركن لي، راسا يصل كانه جماح، وذكا باصداغي وقرن ذوائبي، قبس
المشيب كانه مصباح، قال كانه جماح من املاسه والجماح سهم او قصبة يجعل عليه طين ثم يرمى
الطير ولهذه الابيات بعضها: ادى الناس للصعلوك حربا ولا ارى، لذي الشيب الا خليلا مصافيا،
ادى المال يغشى ذا الوصوم فلا ترى، ويدعى من الاشراف ان كان غانيا، الصعلوك الفقير وهو ايضا
الفرضوف الفقير والسبروت والوصوم العيوب وبهذه الابيات لعقيل بن علفة: اني ليحمدني الصديق اذا
احتنكته مالي ويكره ذو النوى والاضغان، وابيت تخلجني الهموم كانني، دلو السقاة تمد بالاشطان، و
اعيش بالبلل القليل وقد ارى، ان الرؤوس مصارع الفتيان، واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا
علي بن ابي منصور قال اخبرني محمد بن موسى عن دعبل بن علي قال قال عقيل بن علفة وذكر الابيات الثلاثة وزاد
... كان راسه جماح،

فيها

ربيع الوالبي

فيها: ولقد علمت لئن هلكت لتذكرن، قومي اذا علق النجي مكاني، قال السيد قدس الله روحه وكان عقيل
ابن علفة مع قوة شعره جيد الكلام حكيم الالفاظ وروى المدائني قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن
علفة المري ما اخس اموالكم فقال ما نال له احدنا عن صاحبه تفضلا قال ثم ايها قال ما وارينا قال
فايها اشرف قال ما استفدناه يوقعنا حولت نعما وافادت عزا قال فما مبلغ عزكم قال لم يطمع فينا
ولم نؤمن قال فما مبلغ جودكم قال ما عقدنا به منا وابقينا به ذكرا قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع
كل رجل منا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه وروي انه
قيل لعقيل بن علفة قد عنست بناتك افما تخشى عليهن الفساد فقال كلا اني خلفت عندهن
حافظين قيل وما هما قال الجوع والعري قال اجيعهن فلا يأشرن واعريهن فلا يظهرن قال له عبد
الملك يوما ما لك تهجو قومك قال لانهم اشباه الغنم اذا صيح بها دفعت واذا سكت عنها رتعت
وقال انما نقول البيت والبيتين قال حسبي من القلادة ما احاط بالعنق فاما معنى علفة اسم ابيه فان
ابن الاعرابي قال العلفة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الزهر من البقل وغيره وقال ابو سعيد
السكري العلفة ضرب من اوعية بذر بعض النبات مثل قشرة الباقلي واللوبيا وهو الغلاف الذي
يجمع عدة حب وقيل ان عقيلا كان يكنى بابي الوليد كان عقيل غيورا موصوفا بشدة الغيرة وروى
ابو عمرو بن العلاء انه حمل يوما ابنة له وانشا يقول: اني وان سيق الي المهر، الف وعبدان وذود
عشر، احب اصهاري الي القبر، وذكر الاصمعي ان عقيلا كان لغيرته اذا رأى الرجل يتحدث مع النساء
اخذه ودهن ارفاغه ومغابنه بزبد وربطه وطرحه في قرية النمل فلا يعود الى محادثتهن وروى الاصمعي
قال كان عقيل بن علفة في بعض سفره ومعه ابنه العملس وابنته الجرباء فانشد يقول: قضت وطرا من دير
سعد وربما، على عجل ناطحنه بالجماجم، ثم اقبل على ابنه فقال اجز يا عملس فقال: واصبحن بالموماة يحملن
فتية، نشاوى من الادلاج ميل العمايم، ثم اقبل على ابنته فقال اجيزي يا جرباء فقالت: كان الكرى
سقاهم صرخدية، عقارا تمشت في المطا والقوايم، قال فاقبل على ابنته يضربها ويقول والله ما وصفتها
بهذه الصفة حتى شربتها فوثب عليه اخوها فتناوله دونها ثم رماه احدهم بسهم فانتظم فخذيه فقال
عقيل: ان بني رملوني بالدم، من يلق ابطال الرجال يكلم، ومن يكن ذا اود يقوم، شنشنة اعرفها من
اخزم، الشنشنة الطبيعة والسجية وقيل الشيمة وهذا مثل اجتلبه عقيل وقد قيل قبله ولعقيل:
ولله هم اثواب فكن في ثيابه، كلبسته يوما اجد واخلقا، وكن اكيس الكيسى اذا كنت فيهم، وان كنت في
الحمقى فكن انت احمقا،

مجلس آخر

تاويل آية: ان سال سائل عن قوله تعالى والى الله ترجع الامور فقال
كيف يصح القول بانها ترجع اليه وهي لم تخرج عن يده، الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه احدها ان الناس
في دار المحنة والتكليف قد يغتر بعضهم ببعض فيعتقدون فيهم انهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار

قوله تعالى وَالَى اللهِ تُرجَعُ الامُورُ

عنهم وقد تدخل عليهم الشبهة لتقصيرهم فى النظر وعدلهم عن نهجه وطريقه فيعبد قوم الاصنام و
غيرها من المعبودات الجامدة الهامدة التى لا تسمع ولا تبصر ويعبد اخرون البشر ويجعلونهم شركاء
لله تعالى فى استحقاق العبادة ويضيف كل هؤلاء افعال الله تعالى فيهم الى غيره فاذا جاءت الاخرة و
انكشف الغطاء واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه فى الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل وايقن كل
انه لا خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله تعالى فردوا اليه امورهم وانقطعت امالهم من
غيره وعلموا ان الذى كانوا عليه من عبادة غيره وتاميلهم الضر والنفع من غيره غرور وزور فقال تعالى والى
الله ترجع الامور وفى يده وقبضته من غير خروج وقد رجوع حقيقى وقد تقول العرب قد رجع على من
فلان مكروه بمعنى صار الى منه ولم يكن سبق مكروه الى قبل هذا الوقت وكذلك قد يقولون قد عاد على
من زيد كذا وكذا وان وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر ؛ فان تكن الايام احسن مرة ؛ الى
فقد عادت لهن ذنوب ؛ اى صارت لها ذنوب لم تكن من قبل بل كان قبلها احسان فحمل الاية على
هذا المعنى سائغ جائز تشهد له اللغة والوجه الثالث انا قد علمنا ان الله قد ملك العباد فى دار التكليف
امورا تنقطع بانقطاع التكليف وافضاء الامور الى دار الاخرة مثل ما ملك المولى من العبيد وما
ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز ان يريد تعالى برجع الامر اليه انتهاء ما ذكرناه من الامور التى
يملكها غيره بتمليكه الى ان يكون هو وحده مالكها ومدبرها ويمكن فى الاية وجه اخر وهو ان يكون
المراد بها ان الامر ينتهى الى ان لا يكون موجود قادر غيره ويفضى الامر فى الانتهاء الى ما كان عليه فى الابتداء
لان قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد افنائهم هكذا تصير فيكون الكناية برجوع الامور
اليه عن هذا المعنى وهو رجوع حقيقى لانه عاد الى ما كان عليه متقدما ويحتمل ايضا ان يكون المراد
بذلك انه الى قدرته يعود المقدور وذلك ان ما افناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض الباقية
ترجع الى قدرته ويصح منه تعالى ايجاده لعوده الى ما كان عليه وان كان ذلك لا يصح فى مقدورات البشر
وان كانت باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدورات القدر باستحالة العود اليها من حيث لم
يجز عليها التقديم والتاخير وهذا ايضا حكم هو تعالى المتفرد به دون سائر القادرين والله اعلم بما
اراد **مجلس اخر** تاويل اية ان سال سائل عن قوله عز وجل وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها اى معنى لذكر البيوت لظهورها وابوابها وهل المراد لذكر
البيوت المسكونة على الحقيقة او كنى بهذه اللفظة عن غيرها فان كان الاول فما الفائدة فى اتيانها من
ابوابها دون ظهورها وان كانت كناية فبينوا وجهها ومعناها الجواب قيل له فى هذه الاية وجوه
اولها ما ذكر ان الرجل من العرب كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع فدخل من مؤخر البيت
ولم يدخل من بابه تطيرا فدلهم الله تعالى على ان هذا من فعلهم لا بر فيه وامرهم من التقى بما ينفعهم و

يقربهم

قوله تعالى لَيسَ البِرُّ بِانْ تَاتُوا البُيُوتَ الاية

ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه واله عن التطير وقال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة
ولا صفر اى لا يعدى شىء شيئا وقال عليه السلام لا يوردن ذو عاهة على مصح ومعنى هذا الكلام ان من
لحقت ابله افة او مرض فلا ينبغى ان يوردها على ابل غيره صحاح لانه ربما لحق الصحاح مثل هذه العاهة
اتفاقا لا لاجل العدوى فربما ظن صاحب الصحاح ان يقول انما لحق ابلى هذه الافة من تلك الابل و
هى اعدت ابلى فنهى النبى صلى الله عليه واله عن هذا لئلا يكون الماثم بين الفريقين والظن القبيح وثانيها
ان العرب الا قريشا ومن ولدته قريش كانوا اذا احرموا فى غير الاشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من ابوابها
ولكن يدخلونها من ظهورها اذا كانوا من اهل الوبر واذا كانوا من اهل المدر نقبوا فى بيوتهم ما يدخلون
ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من ابواب البيوت فنهاهم الله عز وجل عن ذلك واعلمهم انه لا معنى
له وانه ليس من البر وان البر غيره وثالثها وهو جواب ذكره ابو عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر بان
تطلبوا الخير من غير اهله وتلتمسوه من غير بابه واتوا البيوت من ابوابها معناه واطلبوا الخير من جهته
من عند اهله وذا بعها وهو جواب ابى على الجبائى ان تكون الفائدة فى هذا الكلام ضرب المثل واراد ليس البر
ان ياتى الرجل الشىء من خلاف جهته لان اتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبر الى الاثم
والخطا وبين ان البر التقوى وامر باتيان الامور من وجوهها وان تفعل على الوجوه التى وجبت وحسنت وجعل
تعالى ذكر البيوت وظهورها وابوابها مثلا لان العادل فى الامر عن وجهه كالعادل فى البيت عن بابه و
خامسها ان تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى واتوا النساء من حيث امركم الله والعرب تسمى المراة
بيتا قال الشاعر ؛ ما لى اذا انزعها صايت ؛ اكبر غيرنى ام بيت ؛ اراد بالبيت المراة ومما يمكن ان يكون
شاهدا للجواب الذى حكيناه عن ابى على الجبائى والجواب عن ابى عبيدة ايضا ما اخبرنا به ابو القسم
عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمى قال املى علينا ابو العباس احمد بن
يحيى ثعلب قال انشدنا ابن الاعرابى ؛ اتى عجبت لام الغمر اذ هزئت ؛ من شيب راسى وما بالشيب من عار
ما شقوة المرء بالاقتار يقتره ؛ ولا سعادته يوما بالكثار ؛ ان السعى الذى فى الناد منزله ؛ والفوز فوز الذى
ينجو من النار ؛ لا ادخل البيت احبو من مؤخره ؛ ولا اكسر فى ابن العم اظفارى ؛ نعوذ بالله من امر يزين لى
شتم العشيرة او يدنى من العار ؛ وخير دنيا ينسى امر اخرة ؛ وسوف يدنى الى الجبار اسرار ؛ فقوله لا ادخل
البيت احبو من مؤخره يحتمل ان يريد به اننى لا اتى الامور من غير وجوهها على احد الاجوبة فى الاية ويحتمل
ايضا اننى لا اطلب الخير الا من اهله على جواب ابى عبيدة ويحتمل وجها اخر وهو ان يريد اننى لا اقصد
البيت للريبة والفساد لان من شان من يسعى الى فساد الحرم ويقصد البيوت للريبة ان يعدل عن ابوابها
طلبا لاخفاء امره فكانه نفى عن نفسه هذا القول القبيح ونزه عنه كما تنزه بقوله ولا اكسر فى ابن العم
اظفارى عن مثله واراد انه لا ينال ابن العم منى السوء ولا يناله من جهتى فاكون كانى قد جرحته باظفارى

وكسرها في لجمه وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب ويجري مجرى هذه الابيات ويقاربها في المعنى
وحسن الكناية قول هلال بن خثعم ۞ واني لعف عن زيارة جارتي ۞ واني لمشنوء الي اغتيابها ۞ اذا
غاب عنها بعلها لم اكن لها ۞ زؤورا ولم تنبح علي كلابها ۞ وما انا بالداري احاديث بيتها ۞ ولا عالم من
اي حوك ثيابها ۞ فان قراب البطن يكفيك ملؤه ۞ ويكفيك سوآت الامور اجتنابها ۞ قال المرتضى
قدس الله روحه وقد جمعت هذه الابيات فقرا عجيبة وكنايات بليغة لانه نفى عن نفسه زيارة جارته
عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لانها ادنى من الريبة واخص بالتهمة فقال ولم تنبح علي كلابها
اراد اني لا اطرقها ليلا ومستخفيا متنكرا فتنكرني كلابها وتنبحني وهذه الكناية تجري مجرى قول
الشاعر المتقدم لا ادخل البيت اخبو امش موخره ۞ وقد روي لم تانس الي كلابها وهذا معنى اخر كانه
اراد انه ليس يكثر الطروق لها والغشيان لمنزلها فتانس به كلابها لانها انما يكون الا مع المواصلة و
المواترة وقوله وما انا بالداري احاديث بيتها يحتمل ان يريد به ايضا تاكيد نفي زيارتها وطروقها عن نفسه
لانه اذا ادمن الزيارة عرف احاديث بيتها واذا لم يزرها وصار مهاجرا لم يعرف ويحتمل ان يريد انه لا اسال
عن احوال احاديثها كما يفعل اهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك وقوله ولا عالم من اي حوك ثيابها
كناية مليحة عن انه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها ومن الابيات المتقدم لحارثة بن بدر
الغداني ۞ اذا الهم امسى وهو داء فامضه ۞ ولست بمصميه وانت تعادله ۞ ولا تنزلن امر الشديدة بامرئ
اذا هم امرا عوقته عواذله ۞ فما كل ما حاولته الموت دونه ۞ ولا دونه ارصاده وحبائله ۞ وما الفتك ما آمرت
فيه ولا الذي ۞ تحدث من لاقيت انك فاعله ۞ وما الفتك الا لامرئ ذي حفيظة ۞ اذا صال لم ترعد عليه
خصائله ۞ ولا تجعلن سرا الى غير اهله ۞ فتقعد ان افشى عليك تجادله ۞ ولا تسال المال البخيل ترى له
غنى لعبض ارو ثته او ابله ۞ ارى المال افياء الظلال فتارة ۞ يؤوب واخرى يختل المال خاتله ۞
معنى امرت شاورت والخصائل كل لحم مجتمع وقد روينا في هذه الابيات زيادة على القدر الذي
ذكرناه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثني
المفضل بن محمد عن ابي المنهال المهلبي قال من الابيات السائرة قول حارثة بن بدر الغداني لعمرك
ما ابقى لي الدهر من اخ ۞ حفي ولا ذي خلة لي اواصله ۞ ولا من خليل ليس فيه غوائل ۞ فشر الاخلاء
الكثير غوائله ۞ وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة ۞ من الروع افرخ اكثر الروع باطله ۞ معنى افرخ اي
اسكن يقال افرخ روعه اذا سكن وما كل ما حاولته دونه ۞ وذكر البيتين الذين بعده وزاد وكن انت
ترعى سر نفسك واعلمن ۞ بان اقل الناس بالسر جاهله ۞ اذا المرء لم تبلغ الشيء عقله ۞ فيجهد ولا تقل الشيء
الذي انت جاهله ۞ ومما يستحسن لحارثة بن بدر قوله لنا بعثه كانت تقينا وعيدها ۞ وما بلغت الا قليلا
عروقها ۞ وانا لتستحلي المنايا نفوسنا ۞ وتترك اخرى مرة لا نذوقها ۞ وشيبا سبى قبل حين مشيبه

دعود المنايا بيننا وبروقها ۞ قوله لنا بعثة كانت تقينا عروقها مثل ضربه وانما اراد عشيرته واهل
بيته وقد دفع هذه الابيات علي بن سليمان الاخفش عن ابي العباس ثعلب دفعها ۞ واين المنايا بادياء
وعودا ۞ الى دارنا سهلا الينا طريقها ۞ وقد قسمت نفسي فريقين منهما ۞ فريق مع الموتى وعند كل فريقها
وبحيا نرجي النفس ما هو نازح ۞ من الامر لاقت دونهما ما يعوقها ۞ وروى ابو العينا قال انشد الشعبي
عبيد الله بن جعفر الطيار الابيات الثلاثة الاول فقال عبيد الله لمن هذا الشعر يا شعبي فقال
لحارثة بن بدر ۞ ولقد ولينا امارة فوجدتها ۞ في المال سالمة ولو اتمولا ۞ ولقد منعت النصح من
متقبل ۞ ولقد رددت النصح من لم يقبل ۞ فبه لمسنه لامرء التمس ۞ ويا جميلة حايل لم احتل ۞
يا طالب الحاجات يرجو نجحها ۞ ليس النجاح مع الاخف الاعجل ۞ فاصدق اذا حدثت تكنت صادقا
فاذا حلفت مماريا فتحلل ۞ معنى تكنت صادقا اي تكون صادقا عند الله وقوله فتحلل اي استثن و
اذا رايت الباهشين الى العلى ۞ غبرا اكفهم بريث فاعجل ۞ معنى الباهشين الى العلى المادين ايديهم الى الشيء
المشتهين له واحده مكان السو لا تنزل به ۞ واذا نبا بك منزل فتحول ۞ واذا ابن عمك لج تعض لحاجه
فانظر به غده ولا تستعجل ۞ واذا افتقرت فلا تكن متخشعا ۞ ترجو الفضايل عند غير المفضل
واستغن ما اغناك ربك بالغنى ۞ واذا تكون خصاصة فتجمل ۞ واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
اخبرني محمد بن ابي الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل بني تميم
في وقته وكان قد غلب على زياد وكان قد غلب عليه الشراب فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مستهتر
بالشراب فقال زياد كيف باطراح رجل هو يسايرني مذ دخلت العراق لم يصك ركابي ركابه ولا
تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تاخر عني فلويت اليه ولا اخذ علي الشمس في شتاء قط ولا الروح في صيف
قط ولا سالته عن علم الا ظننت انه لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة ايها
الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند ابي المغيرة فقال له عبيد الله ان ابا المغيرة قد كان برع بروعا
لا يلحقه معه عيب انا حدث وانما انسب الى من يغلب علي وانت رجل تديم الشراب فمتى قربتك في
ظهرت منك رائحة الشراب لم آمن ان يظن بي فدع الشراب كن اول داخل علي وآخر خارج فقال له حارثة
انا لا ادعه لمن يملك ضري ونفعي فادعه للحال عندك قال فاختر من عملي ما شئت قال توليني رامهرمز
فانها ارض عذاة وسرق فان بها شرابا وصف لي قولاه اياها فلما شيعه الناس قال انس بن ابي انيس
فقيل ابن ابي اناس الدؤلي ۞ احار بن بدر قد وليت امارة ۞ فكن جرذا فيها تخون وتسرق ۞ ولا تحقرن
يا حار شيئا وجدته ۞ فحظك من ملك العراقين سرق ۞ وباه تميما بالغنى ان للغنى ۞ لسانا به المرء
الهيوبة ينطق ۞ وان جميع الناس اما مكذب ۞ يقول بما يهوى واما مصدق ۞ يقولون اقوالا ولا
يعلمونها ۞ فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا ۞ وهذه الابيات تروى لابي الاسود الدؤلي وانه كتب

بها الى حارثة لما ردت اليه سرق وتزاد فيها * وكن ناجحا لليوم ان الدهر يجي بعد يوم على الناس مطبق
ولا تعجزن فالعجز اوطاء مركب * وما كل من يدعى الى الخير يلحق * الا انما يعطي القوم عند ما كلا فكل جاء
اوجع لبسته بمن يحمق * ويقال ان حارثة بن بدر اجاب عن هذه الابيات بقوله * جزاك اله الناس خير جزائهم
فقد قلت معروفا واوصيت كافيا * امرت بامر لو امرت بغيره لالفيتني فيه لامرك عاصيا * ويقال ان
حارثة بن بدر دخل مع الاحنف بن قيس على ابن زياد فقال لحارثة اي الشراب اطيب وكان يتهم فقال
برة طسلاوية واقطة غنوية وسمنة عنبرية وسكرة سوسية ونطفة سرقانية فقال للاحنف يا ابا
بحر اي الشراب اطيب فقال الخمر قال اما انك لست من اهلها قال رايت فيها خصلتين عرفت انهما
الشراب بهما قال وما هما قال رايت من احلت له لا يتعداها الى غيرها ومن حرمت عليه يتناولها فعرفت
انها اطيب الشراب ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه كان به
اهان واقصى ثم تنتصحونني * واي امرئ يعطي نصيحته قسرا * رايت اكف المصلتين عليكم ملاء وكفي
من عطاياكم صفرا * ولي مع الساعي اليكم تبيعة * اذا الحدث الايام في عظمكم كسرا * متى تسئلوني ما علي
وتمنعوا الذي لي لا استطيع على ذلكم صبرا * وقال ايضا فيه * وكم من امير قد تجبر بعد ما مريت له الدنيا
بسيفي فدرت * اذا زبنته عن فواقها تنبه * دعاها ولا ادعى اذا ما اقرت * اذا ما هي احلولت تحاموه فسني
ويقسم لي منها اذا ما امرت * زبنته اي دفعته عن ان يحلبها والفواق اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين
ومعنى امرت تركته يحلبها ولشبه ابيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير الاسدي يعاتب معوية
ومروان واهل بيته من جملة قصيدة وهي ابيات فريدة * عطاؤكم للضاربين رقابكم * وندعى اذا
ما كان حز الكراكر * انحن اخوكم في المضيق وسهمنا * اذا ما قسمتم في الخطاء الاصاغر * وتدعوننا الا اذا
ما سألتم * ونلقى بكم حين تسئل الاسرة * فان كان فينا الذنب في الناس مثله * اخذنا به من قبل ثاره وامر
معنى من قبل ثاره وآمرا اي قبل ان تنهى عنه او تؤمروا باجتنابه * وان جاءكم منا غريب بارضكم * لويتم له
لو ما جوب المشاجر * فهل يفعل الاعداء الا كفعلكم * هوان السراة وابتغاء العواثر * وغير نفسي عنكم
ما فعلتم * وذكر هوى اسنكم متظاهر * جفاؤكم من عالج الحرب عنكم * واعداؤكم من بين جاب وعاشر
ولا تسئلوني عن هوى وقد كره * وقلبي في فؤادي قد توجه نافر * ولحارثة يرثي زيادا * الهفي عليك للهفة
من خائف * يبغي جوارك حين ليس مجير * اما القبور فانهن اوانس * بجوار قبرك والديار قبور * عمت
فواضله فعم مصابه * فالناس فيه كلهم ماجور * ردت صنائعه اليه حياته * فكانه من نشرها منشور
قال المرتضى قدس الله روحه واظن ان ابا تمام الطائي نظر الى قول حارثة ردت صنائعه في قوله الم تمت يا
شقيق النفس مذ زمن * فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه * واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد
قال اخبرنا عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال مر حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاه فجعل

عبد الله بن الزبير

لا يمر بمجلس من مجالس تميم الا قالوا مرحبا بسيدنا فقال كعب ما سمعت كلاما قط هو اقر لعيني والذ
في سمعي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكني ما سمعت كلاما قط هو اكره الي منه ثم قال * ذهب الرجال
فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردي بالسودد * وهذا البيت يقال انه لحارثة لا انه تمثل به واخبرنا
المرزباني قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثني محمد بن يزيد قال قال الكناني مر حارثة بن بدر بعابة الاحنف
بن قيس فقال لولا انك مستعجل لشاورتك فقال اجل كانوا يكرهون ان يشاوروا الجائع حتى يشبع
والظمآن حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون حتى يفيق مجلس آخر تاويل
آية ان سأل سائل عن قوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب وليس بظاهر فيه ما
المدح فيه الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون المعنى انه سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وان
وقت الجزاء قريب وان تاخر ويجري مجرى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وانما جاز ان يعبر
عن المجازاة والجزاء بالحساب لان ما يجازى به العبد هو كفؤ لفعله وبمقداره فهو حساب له اذ كان مماثلا
مكافيا ومما يشهد بان في الحساب معنى المكافاة قوله عز وجل جزاء من ربك عطاء حسابا اي عطاء كافيا
ويقال احسبني الطعام يحسبني احسابا اذا كفاني قال الشاعر واذ لا ترى في الناس حسنا يفوتها وفي
الناس حسن لو تاملت محسب * معناه كاف وثانيها ان يكون المراد انه عز وجل يحاسب الخلق جميعا
في اوقات يسيرة ويقال ان مقدار ذلك مقدار حلب شاة لانه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن
محاسبة غيره بل يكلمهم جميعا ويحاسبهم كلهم على اعمالهم في وقت واحد وهذا احد ما يدل على انه تعالى
ليس بجسم وانه لا يحتاج في فعل الكلام الى آلة لانه لو كان بهذه الصفات تعالى عنها لما جاز ان يخاطب
اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة
محاسبته للخلق على اعمالهم طويلة غير قصيرة كما ان جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفتقرون الى
الآلات وثالثها ما ذكره بعضهم من ان المراد بالآية انه سريع العلم بكل محسوب وانه لما كانت عادة بني الدنيا
ان يستعملوا الحساب والاحصاء في اكثر امورهم اعلمهم الله انه يعلم ما يحسبون بغير حساب وانما سمى العلم
حسابا لانما يراد به العلم وهذا جواب ضعيف لان العلم بالحساب والمحسوب لا يسمى حسابا ولو سمي بذلك لما
جاز ايضا ان يقال انه سريع العلم بكذا لان علمه بالشيء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة ورابعها ان الله
سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه يسئل في وقت واحد سؤالات مختلفة من امور
الدنيا والآخرة فيجزي كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل اليه ما عنده غايته ومسئلته
ما يستوجبه بحد ومقدار فلو كان الامر على ما يتعاوره الناس لطال العد واتصل الحساب فاعلمنا تعالى
انه سريع الحساب اي سريع القبول للدعاء بغير احتباس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما
يحتبس المخلوقون للحساب والاحصاء وهذا الجواب مبني على دعوى لان قبول الدعاء لا يسمى حسابا في لغة

محاسبة الخلق على اعماله

قوله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب

ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من اجاب بهذا الجواب ان يستشهد على ذلك بما يكون حجة فيه
والا فلا طايل فيما ذكره ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على اعمالهم
يوم القيمة ومواقفتهم عليها وتكون الفايدة في الاخبار لسرعة الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى
سريع الحساب وليس لاحد ان يقول فهذا هو الجواب الاول الذي حكيتموه وذلك ان بينهما فرقا لان الاول
مبني على ان الحساب في الآية هو الجزاء والمكافاة على الاعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه ومعنى
معنى المحاسبة والمقابلة بالاعمال وترجيحها وذلك غير الجزاء الذي يفضي الحساب اليه وقد طعن بعضهم
في الجواب الثاني متعرضا على ابي علي الجبائي في اعتماده اياه بان قال مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد
وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضي زجرا ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب ان يكون المراد الاخبار عن
قرب امر الآخرة والمجازاة على الاعمال وهذا الجواب ليس ابو علي هو المبتدي به بل حكي عن الحسن البصري
واعتمده ايضا قطرب بن المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا
الطاعن مبطل له لانه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لانه تعالى قال فمن الناس من
يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة و
في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فالاشبه بالظاهر
ان يكون الكلام وعدا بالثواب راجعا الى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار ويكون راجعا الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيبا مما كسبوا فلا يكون
وعيدا خالصا على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى والله سريع الحساب على اي وجه من اراد قصر
الزمان وسرعة الموافقة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لان الكلام على كل حال متضمن لوقوع المجازاة الموافقة
على اعمال العباد والاحاطة بخيرها وشرها وان وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب
لا محالة لان من علم انه يحاسب باعماله ويواقف على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح وعلم ورغب في
فعل الواجب فهذا نصر الجواب ان كنا لا نمنع ان يحمل الحساب على قرب المجازاة وقرب المجازاة
على الاعمال ترغيبا في الطاعات وزجرا عن المقبحات فالتاويل الاول اشبه بالظاهر ونسق الآية
الا ان التاويل الآخر غير مدفوع ولا مرذول تاويل آية اخرى ان سال سايل عن قوله تعالى
والله يرزق من يشاء بغير حساب فقال اي تمدح في الاعطاء بغير حساب وقد يكون المعطى بحساب
اجزل عطية من المعطى بغير حساب الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان تكون الفايدة انه
تعالى يرزق من يشاء بغير حساب تقتير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب ههنا راجع الى
المرزوق لا اليه تعالى كما يقول القايل ما كان كذا وكذا في حسابي ان لم اؤمله ولم اقدر انه يكون و
هذا وصف للرزق باحسن الاوصاف لان الرزق اذا لم يكن محتسبا كان اهنا له واحلى وقد روى

الموافقة

عن ابن عباس في تفسير هذه الآية انه قال عنى بها اموال بني قريظة والنضير وانها تصير اليكم بغير حساب
ولا قتال وعلى اسهل الامور وايسرها واقربها وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء رزقا غير مضيق ولا
مقتر بل من يريد في السعة والكثرة على كل عطاء المخلوقين فيكون نفي الحساب فيه نفيا للتضييق ومبالغة
في وصفه بالسعة والعرب تسمي العطاء القليل محسوبا قال قيس بن الخطيم اني سربت وكنت غير سروب
وتقرب الاحلام غير قريب ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه في النوم غير مصرد محسوب وثالثها
ان يكون المعنى انه يرزق من يشاء من غير طلب للمكافاة او لاجل الفايدة تعود اليه او منفعة ترجع
عليه لان من شان اهل الدنيا ان يعطوا ليكافوا او لينتفعوا ولهذا يقول فيمن يقصد بالعطية الى
هذه الامور انه حاسب الناس فيما يعطيهم وقايستهم فيها بوصله اليهم مما اشبه ذلك فلما انتفت
هذه الامور من عطاياه سبحانه جاز ان يقول انه يرزق بغير حساب ورابعها من اجاب به قطرب قال معنى
الآية يعطي العدد الكثير لانما يضبطه الحساب ولا يأتي عليه العدد لان مقدوره تعالى لا يتناهى
وما في خزاينه لا ينحصر ولا يصح عليه النفاد وليس كالمعطي منا الالف من الالفين والعشرة من المائة
لان مقداره ما يتسع له ويتمكن منه محدود متناه ولا تناهي ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه
وخامسها انه يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات اكثر مما استحقوا وازيد مما وجب لهم
بمحاسبته اياهم على طاعاتهم كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر
لكم وكما قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وسادسها ان يكون المعطي منا غير ممتن
والرازق سواه رزقا قد يكون له ذلك فيكون فعله حسنا لا يسال عنه ولا يؤاخذ به ولا يحاسب
عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى الله عز وجل من نفسه
ان يفعل من الرزق القبيح وما ليس له ان يفعله بنفي الحساب عنه وانبا انه لا يرزق ولا يعطي الا
على افضل الوجوه واحسنها وابعدها من الذم ويجري الآية مجرى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون وانما اراد انه تعالى من حيث كانت افعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجز ان يسئل
عنها وان يسال العباد عن افعالهم لانهم يفعلون الحسن والقبيح معا وسابعها ان الله عز وجل
اذا رزق العبد واعطاه من فضله كان الحساب ساقطا من جهة الناس وليس لاحد ان يقول لم رزقت
ولا ان يقول لربه لم رزقته ولا يسئله عبد عن الرزق وتملكه وانما يساله عن انفاقه في الوجوه
التي ينفقه فيها فسقط الحساب من هذه الوجوه عما يرزقه الله تعالى فلذلك قال عز وجل بغير
حساب وثامنها ان يكون المراد بمن يشاء ان يرزقه اهل الجنة لانه يرزقهم رزقا لا يصح ان يتناوله
جميعه الحساب ولا العدد والاحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الآية
قوله تعالى في موضع آخر فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب تاويل خبر ان سال

عن النبي توضؤوا مما غيرت النار

سائل عن الخبر الذي يروى عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال توضؤوا مما غيرت النار فقال ما المراد بالوضوء ههنا ومذهبكم ان مس ما غيرته النار لا يوجب وضوءاً **الجواب** ان معنى توضؤوا اي نظفوا ايديكم من الزهومة لانه روي ان جماعة من الاعراب كانوا لا يغسلون ايديهم من الزهومة ويقولون فقدها اشد علينا من ريحها فامر عليه السلام بالتنظيف لاجل ذلك فان قيل كيف يصح ان يحمل الخبر على اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الافعال المخصوصة بدلالة ان من غسل يده او وجهه لا يقول بالاطلاق توضأت ومتى سلم لكم ان الوضوء اصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه عليه السلام اخص بالعرف الشرعي وحمله عليه اولى من حمله على اللغة قلنا ليس ينكر ان الاطلاق في الوضوء هو المنتقل من اللغة الى عرف الشرع والمختص بالافعال المعينة وكذلك المضاف الى الحدث والصلاة وما اشبههما فاما المضاف الى الطعام وما جرى مجراه فباق على اصله الا ترى انهم لو قالوا توضأت من الطعام او من الغمر او توضأت للطعام لم يفهم منه الا الغسل والتنظيف واذا قال توضأت اطلاقا او توضأت من الحدث او للصلاة فهم منه الافعال الشرعية فليس ينكر ما ذكرناه من اختصاص النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة في اللغة الى فائدة في الشرع على كل وجه كذا يجوز ان ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة وقد ذهب كثير من الناس الى ان اطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة الى عرف الدين ومختص باستحقاق الثواب وان كان مقيدها باقيا على ما كان عليه في اللغة ويبين ذلك ايضا ما روي عن الحسن انه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وانما اراد غسل اليد بغير شك وروي عن قتادة انه قال غسل اليد وضوء وروى عكراش ان رسول الله صلى الله عليه وآله اكل وغسل يديه ومسح ببلل يديه وجهه وذراعيه ورأسه وقال هكذا الوضوء مما مست النار على انه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال الى الافعال الشرعية المخصوصة لصح ان نحملها في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى اصلها بالادلة وان كان الاولى لولا الادلة ان نحمل على مقتضى الشرع فمن الادلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكل كتف شاة وقام وصلى ولم يتوضأ وروى عطاء عن ام سلمة قالت قربت جنبا مشويا الى النبي صلى الله عليه وآله فاكل منه وصلى ولم يتوضأ وروى محمد بن المنكدر عن جابر انه قال كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء مما مست النار وكل هذه الاخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الاول عن لو كان له ظاهر فكيف وقد بينا انه لا ظاهر له فاما اشتقاق الوضوء من الوضاءة التي هي الحسن فلما كان من غسل يده ونظفها فقد حسنها قيل وضأها يقال فلان وضيء الوجه وقوم وضاء قال الشاعر ٭ مساميح الفعال ذوو اناة ٭ مراجيح واوجههم وضاء ٭ والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك ايضا التوضؤ والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ به وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثله الوقد وقد يجوز ان يكون الوقود بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا احسن القبول مصدراً وهو مفتوح ولا يجوز في الوقود والوضوء بالضم الا معنى المصدر وحده قال جرير ٭ اهوى اراك برامتين وقوداً ٭ ام بالجنينة من مدافع اوداء ٭ وقال آخر ٭ اذ سهيل لاح كالوقود ٭ فرداً كشاة البقر المطرود ٭ وقال آخر ٭ واحتجنا بكل يفاع لوضح ٭ وقود النار للمتنورينا ٭ اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابرهيم بن المنذر قال حدثني ابرهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن شهاب قال اتيت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوماً في منزله فاذا هو مغتاظ ينفخ فقلت له ما لي اراك هكذا قال دخلت على اميركم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت فلم يردا علي السلام فقلت ٭ الا ابلغا عني عراك بن مالك ٭ فان انت لم تفعل فابلغ ابا بكر ٭ فقد جعلت تبدو شواكل منكما ٭ كانكما بي موقران من الصخر ٭ وطاوعتما بي غادراً ذا معاكة ٭ لعمري لقد اودى وما مثله يودي ٭ فلولا اتقاء الله بقيا عليكما ٭ للمتكما لوماً احر من الجمر ٭ فمس تراب الارض منها خلقتما ٭ وفيها المعاد والمقام الى الحشر ٭ ولا تانفا ان تغشيا فتكلما ٭ فما غشي الاقوام شر من الكبر ٭ ولو شئت ادلى فيكما غير واحد ٭ علانية او قال عندي في سر ٭ معنى لو شئت اغتابكما عندي غير واحد وقوله ذا معاكة يعني معك به وسدك به اذا تعرض به لشر ٭ فان انا لم آمر ولم انه عنكما ٭ ضحكت له حتى يلج ويستشري ٭ وكيف تريدان ابن سبعين حجة ٭ على ما اتى وهو ابن عشرين او عشر ٭ لقد علقت دلواكما دلو حول ٭ من القوم لا رخو المراس ولا نزر ٭ قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك وفقهك وفضلك يقول الشعر فقال ان المصدور اذا نفث برا وانما ذكر عراك بن مالك وابا بكر بن عمرو بن حزم وكانا صديقيه كانه يذكرهما عن ذكر غيرهما وقد جاءت رواية اخرى بان ابا بكر بن حزم وعراك بن مالك كانا يجتازان على عبيد الله ولا يسلمان عليه فقال الابيات يخاطبهما بها وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ٭ اذا كان لي سر فحدثته العدى ٭ وضاق به صدري فللناس اعذر ٭ هو السر ما استودعته وكتمته ٭ وليس بسر حين يفشو ويظهر ٭ وانشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ٭ واني لاحجى ان استطلع بعضهم ٭ على سر بعض ان صدري واسع ٭ اذا هي حلت وسط عوف بن غالب ٭ فذلك ودنا باذخ لا نطاله ٭ بلا دمث يزري على قلب حازم ٭ كتوم لما ضمت عليه اضالعه ٭ بنى لي عبد الله في سورة العلى ٭ وعتبة مجداً لا تنال مصانعه ٭ والبيت الاول يشبه قول مسكين الدارمي ٭ وفتيان صدق لست مطلع بعضهم ٭ على سر بعض غير اني جماعها ٭ ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله ٭ تغلغل حب عثمة في فؤادي ٭ فباديه مع الخافي يسير ٭ تغلغل حيث لم يبلغ شراب ٭ ولا حزن ولم يبلغ سرور ٭ تشقق القلب ثم ذر فيه ٭ هواك فليم فالتأم الفطور ٭ اكاد اذا ذكرت

قوله تعالى حاكيا عن شعيب قد افترينا على الله كذبا الآية

العهد منا انا طير لو ان انسانا يطير غنى النغس ان اذ دانى حبابد و بكى الى وصل فقير واخذ هذا البيت ابو نواس فقال الحلبى من قبلى هواك تحلد مناحلها الماكول والمشروب واخذه المتنبى فى قوله والستر منى موضع لا ينا له نديم ولا يفضى اليه شراب وكان العباس بن الاحنف الم برفى قوله او شئ من قلبى فوتى وسطه اسمك والتوحيد فى سطر وقول عبيد الله احسن من الجميع وبعد بيت المتنبى ولعبيد الله بن عتبة ايضا لعمر ابى المحصين ايام تلتقى لما لا تلاقينا من الدهر اكثر يعدون يوما واحدا ان اتينها وينسون ما كانت على الدهر تهجر فان يكن الواشون اغروا بهجرنا فانا بجد بدا المودة اجدد

اى اشفق

ومن مستحسن قوله لعمرى لئن شطت بعثمة دارها لقد كنت من وشك الفراق الح اروح بهم ثم اغتدو بمثله ويحسب انى فى الثياب صحيح واخذ هذا البيت المعنى بشار فقصر عنه فى قوله يصبح محزونا ويمسى به وليس يدرى ماله عندك مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى حاكيا عن شعيب عليه السلم قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا فقال اليس هذا تصريحا منه بان الله تعالى يجوز ان يشاء الكفر والقبيح لان ملة قومه كانت كفرا وضلالا وقد اخبر انه لا يعود فيها الا ان يشاء الله الجواب قيل له فى هذه الآية وجوه اولها ان تكون الملة التى عناها الله تعالى انما هى العبادات الشرعيات التى كانت قوم شعيب متمسكين بها وهى منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع الى الاعتقادات فى الله وصفاته

معنى الملة

مما لا يجوز ان تختلف العبادة فيه والشرعيات يجوز فيها الاختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح والالطاف فى المعلوم من احوال المكلفين فكانه قال ان ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بان الله قد نسخها وازال حكمها الا ان يشاء الله ان يتعبدنا بمثلها فنعود اليها وتلك الافعال التى كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وان كانت ضلالا وكفرا فقد يجوز فيما هو مثلها ان يكون ايمانا وهدى بل فيها انفسها قد كان يجوز ذلك وليس يجرى هذه الافعال مجرى الجهل بالله تعالى الذى لا يجوز ان يكون الا قبيحا وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز ان يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله تعالى قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فيقال له لم ينف عوده اليها على كل وجه وانما نفى العود اليها مع كونها منسوخة منهيا عنها والذى علقه بمشية الله تعالى من العود اليها هو بشرط ان يامر بها ويتعبد بمثلها والجواب مستقيم لا خلل فيه وثانيها انه اراد ان ذلك

لا يكون ابدا من حيث علقه بمشية الله تعالى لما كان معلوما انه لا يشاؤه كل امر علق بما لا يكون فقد نفى كونه على ابعد الوجوه ويجرى الآية مجرى قوله تعالى لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكما يقول القائل انا لا افعل كذا حتى يبيض القار او يشيب الغراب وكما قال الشاعر وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر فى القتلى كليب لوائل والقارظان لا يؤوبان ابدا وكليب لا ينشر ابدا فكانه قال ان

او يشيب

لايكون

لا يكون ابدا وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير من ان فى الكلام تقديما وتاخيرا فان الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب عليه السلم فكانه تعالى قال حاكيا عن الكفار لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا الا ان يشاء الله ان تعودوا فى ملتنا ثم قال حاكيا عن شعيب عليه السلم وما يكون لنا ان نعود فيها على كل حال ورابعها ان تعود الهاء التى فى قوله فيها الى القرية لا الى الملة لان ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام انا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها الا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد فى الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود اليها وخامسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يردكم الى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال تعالى حاكيا عنهم او لتعودن فى ملتنا كان معناه ولنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول من بعد الا ان يشاء الله ان يجمعكم معنا على ملة واحدة فان قيل الاستثناء بالمشية انما كان بعد قوله وما يكون لنا ان نعود فيها فكانه قال ليس نعود فيها الا ان يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب قلنا هو كذلك الا انه لما كان معنى ان نعود فيها هو ان نصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز ان يوضع الاستثناء على المعنى فيقول الا ان يشاء الله ان نتفق فى الملة بان ترجعوا انتم الى الحق فان قيل فكان الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك الا انه ما شاء على كل حال بل من وجه دون وجه وهو ان يؤمنوا او يصيروا الى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذى اجرى بالتكليف اليه ولو شاء على كل حال لما جاز ان يقع منهم فكان شعيبا عليه السلم قال ان ملتنا لا تكون واحدة ابدا الا بان يشاء الله ان يلجئكم الى الاجتماع معنا على دينا وموافقتنا فى ملتنا والفائدة فى ذلك واضحة لانه لو اطلق انا لا نتفق ابدا ولا تصير ملتنا واحدة لتوهم متوهم ان ذلك مما لا يمكن حال من الاحوال فافاد تعليقه له بالمشية على هذا الوجه ويجرى قوله الا ان يشاء الله مجرى قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا وسادسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يمكنكم من اكراهنا ويخلى بينكم وبينه فنعود الى اظهارها مكرهين ويقوى هذا الوجه قوله تعالى قال او لو كنا كارهين وسابعها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكراه لان اظهار كلمة الكفر قد يحسن فى بعض الاحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها وقوله او لو كنا كارهين يقوى هذا الوجه ايضا فان قيل فكيف يجوز من نبى من انبياء الله تعالى ان يتعبد باظهار الكفر وخلاف ما جاء به الشرع قلنا يجوز ان يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكانه قال وما يكون لى ولا لامتى ان نعود فيها الا ان يشاء الله بان يتعبد امتى باظهار ملتكم على سبيل الاكراه وهذا جائز غير ممتنع تاويل خبر روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال خير الصدقة ما ابقت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول فقد قيل فى قوله خير الصدقة ما ابقت غنى قولان احدهما ان خير ما تصدقت به ما فضل عن قوت عيالك وكفايتهم فاذا خرجت صدقتك عنك الى من اعطيته خرجت

اجزى

ان نتعبد

تصدقت

اليد العليا خير من اليد السفلى الحديث

عن استغناء منك فمن عيالك عنها ومثله في الحديث الاخر انما الصدقة عن ظهر غنى وقال ابن عباس رحمه الله في قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو قال ما فضل عن اهلك والجواب الاخر ان يكون اراد خير الصدقة ما اغنيت به من اعطيت عن المسالة ان تجزل له في العطية فيستغني بها ويكف عن المسئلة وذلك مثل ان يريد الرجل ان يتصدق بمائة درهم فيدفعها الى رجل واحد محتاج فيستغني بها ويكف عن المسالة فذلك افضل من ان يدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم والتاويل الاول يشهد له اخر الخبر وهو قوله وابدا بمن تعول ويشهد له الحديث الاخر ايضا انما الصدقة عن ظهر غنى وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى قال قوم يريد ان اليد المعطية خير من الاخذة وقال اخرون العليا هي الاخذة والسفلى هي المعطية قال ابن قتيبة ولا ارى هؤلاء الا قوما استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل ان المولى من فوق وهو الذي عتق والمولى من اسفل هو الذي اعتق والناس انما يعلون بالعطايا لا بالسؤال قال المرتضى رحمه الله عليه عندي ان معنى قوله عليه السلم اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعا وهو ان تكون اليد ههنا هي العطية والنعمة لان النعمة قد تسمى يدا في مذهب اهل اللسان بغير شك فكانه صلى الله عليه والد اراد ان العطية الجزيلة خير من العطية القليلة وهذا حث منه عليه السلم على المكارم وتحضيض على اصطناع المعروف بوجه الكلام واحسنه مخرجا ويشهد لهذا التاويل احد التاويلين المتقدمين في قوله ما ابقت غنى وهذا اشبه واولى من ان يحمل على الخبر لان من ذهب الى ذلك وجعل المعطية خيرا من الاخذة لا يستمر قوله لان فيمن ياخذ من هو خير عند الله ممن يعطي ولفظ خير لا يحتمل الا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب فاما من جعل الاخذة خيرا من العطية فيدخل عليه هذا الطعن ايضا مع انه قد قال قولا شنيعا وعكس الامر على ما ذكره ابن قتيبة فان قيل كيف يصح تاويلكم مع قوله عليه السلم خير الصدقة ما ابقت غنى فهي لا تبقي غنى الا بعد ان تنقص عن غيرها واذا كانت العطية التي هي اجزل وافضل فتلك لا تبقي غنى ولا تبقي غنى ليست الجزيلة وهذا تناقض قلنا اما تاويلنا فطابق للوجهين المذكورين في قوله ما ابقت غنى لان من تاول ذلك على ان المراد بها المعطي وان خير العطية ما اغنته عن المسئلة فالمطابقة ظاهرة ومن تاوله على الوجه الاخر وحمل الغنى على المعطي واهله واقاربه فتاويلنا ايضا مطابق له لانه قد يكون في العطايا التي تبقى بعدها الغنى على الاهل والاقارب جزيل فغير جزيل فقال عليه السلم خير الصدقة ما ابقت غنى بعد اخراجها والعطية الجزيلة التي يبقى بعدها غنى خير من القليلة فمدح عليه السلم بعد ابقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال انشدني ابن الاعرابي لثابت قطنة العتكي يا هند كيف تنصب تيكيني وغايري في سواد العين يؤذيني كان ليلى والاصداء هاجدة

ليل السليم واعيا من يداويني لما حنى الدهر من قوسي وعذرني شيبي وقاسيت امر الغلظ واللين اذا ذكرت باغسان ارقني هم اذا عرض الساري يشجيني كان المفضل عزا في ذوي يمن وعصمة وثمالا للمساكين غيثا لدى مجتمع شاتية من السنين وماوى كل مسكين اني تذكرت قتلى لو شهدتهم في حومة الحرب لم يصلوا بها دوني لا خير في العيش اذ لم نجن بعدهم حربا نبيح بهم قتلى فتشفيني لا خير في طمع يدني الى طبع وغفة من قوام العيش تكفيني ولست انظر فيما السن يعنيني لا اركب الامر تزري بي عواقبه ولا يعاب به عرضي ولا ديني لا يغلب الجهل حلمي عند مقدرة ولا العضيهة من ذي الضغن تكبيني كم من عدو رماني لو قصدت له لم ياخذ النصف مني حين يرميني قال السيد المرتضى قدس الله روحه وهذه الابيات يروى بعضها لعروة بن اذينة وتداخل ابياتا على هذا الوزن وهي التي يقول فيها لقد علمت وما الاشراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف ياتيني اسعى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت اتاني لا يعنيني كم قد امنت وكم املت من نشب ومن معاريض رزق غير ممنون فما اشرت على شيء وما عرضت نفسي لخلة غير حار يبلوني خيمي كريم ونفسي لا تحدثني ان الاله بلا رزق يخليني ولا اشرت بها الى قط مكرمة الا تبقت اني غير مغبون ولا دعيت الى مجد ومحمدة الا اجبت اليه من يناديني لا ابتغي وصل من يبغي مفارقتي ولا الين لمن لا يبتغي ليني الى سيغرفني من لست اعرفه ولو كرهت واتيد اخين يجفيني فعظني جاهدا واجهد على اذاي ولا قومك فانظر هل تغظني وهم يحطئون فيروون قوله لقد علمت وما الاشراف بالسين غير معجمة وذلك خطاء وانما اراد بالاشراف اني لا استشرف ولا اطلع الى شيء من امور الدنيا ومكاسبها فلا اتبعها نفسي قال السيد المرتضى قدس الله روحه ولي ابيات في معنى بعض ابيات ثابت قطنة وعروة بن اذينة التي تقدمت وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت عني منذ اثنتي عشرة سنة والابيات تعاقبني بؤس الزمان وحفضه واد بني حرب الزمان وسلمه وقد علم المغرور بالدهر انه وراء سرور المرء في الدهر غمه وما المرء الا نهب يوم وليلة تخب به شهب الفناء ودهمه يعلله برد الحياة بمسه ويغتره روح النسيم وشمه وكان بعيدا عن منازعة الردى فالقته في كف المنية امه الا ان خير الزاد ما سد فاقة وخير تلاد الذي لا اجمه وان الطوى بالعز احسن بالفتى اذا كان من كسب المذلة طعمه واني لانهى النفس عن كل لذة اذا ما ارتقى منها الى العرض وصمه واعرض عن نيل الثراء اذا ابدا وفي نيله سوء المقال وذمه اعف وما الفحشاء عني بعيدة وحسبي في صدعن الامر اثمه وما العف من ولى عن القرب سيعه ولكن من ولى عن السوء حزمه ولي في معنى قوله وما الاشراف من خلقي ما خامر الرزق قلبي قبل فجاته ولا قبطت له في الناس يدي كم قد تزاد فلم احفل زيادته ولو تجاوزني ما فت في عضدي ان اسخط الامر اداعنه مضطربا وان ارد بدلا من مذهب اجد ومعنى ما خامر الرزق قلبي اي لم اتمنه ولا تطلعت الى الحضوة والخطى

بيا التزهها وتقنعا والوجه في تخصيص نفي بسط اليد في النوائب ان النوائب يضرع عندها في اكثر
المتنزه ويطلب المتعفف فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروءة ومعنى البيت
الثاني ظاهر واما الثالث فالمراد به انني ممن اذا كره شيئا تمكن من مفارقته والنزوع عنه ولست ممن
تضيق حيلته وتقصر قدرته عن استبدال ما يحب بما يكره وفيه فائدة اخرى وهي انني ممن لا تملكه العادات
وتقتاده الاهواء بل متى اردت مفارقة خلق الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك علي متعذرا من
حيث كان الراي على هوى السلطان والرجحان اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم
حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال اخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبيد الله بن عروة بالعقيق
فسمعته ينشد لنفسه ان التي زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها فبك الذي زعمت
بها فكلاكما ابدى لصاحبه الصبابة كلها ولعمرها لو كان حبك فوقها يوما وقد ضحيت اذن لاظلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الضمير لها الى فسلها بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة
فادقها واجلها لما عرضت مسلما لي حاجة اخشى صعوبتها وارجو ذلها منعت تحيتها فقلت لصاحبي
ما كان اكثرها لنا واقلها فدنا فقال لعلها معذورة في بعض رقبتها فقلت لعلها قال عروة بن
عبيد الله فجاءني ابو السائب المخزومي يوما فسلم علي وجلس الي فقلت له بعد الترحيب الك حاجة يا
ابا السائب فقال او كما تكون الحاجة ابيات لعروة بن اذينة بلغني انك سمعتها منه قلت اي ابيات قال
وهل يخفى القمر ان التي زعمت فؤادك ملها فانشدته اياها فقال ما يروي هذا الا اهل المعرفة والفضل
هذا والله الصادق الود الدائم العهد لا الهذلي الذي يقول ان كان اهلك يمنعونك رغبة عني
فاهلي بي اضن وارغب لقد عدا الاعرابي طوره واني لارجو ان يغفر الله لابن اذينة في حسن الظن
بها وطلب العذر لها فدعوت له بطعام فقال لا والله حتى اروي هذه الابيات فلما رويتها وثب فقلت
له يغفر الله لك حتى تاكل فقال لا والله ما كنت لاخلط بمحبتي لها واخذي اياها بغيرها وانصرف قال المرتضى
علم الهدى قدس الله روحه والهذلي الذي عناه وانشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم بن جندب
الهذلي وقول عروة باكرها النعيم اراد انها لم تعش الا في النعيم ولم تعرف الا الخفض وانها لم تلاق بؤسا
وتضرعا ويؤثر ذلك في جمالها وتمامها والبكور هو التقدم في كل وقت وكان عروة بن اذينة مع تغزله
يعرف بالعفاف والنزاهة وروي ان سكينة بنت الحسين بن علي عليهما السلم مرت به فقالت
يا ابا عامر انت الذي تقول اذا وجدت اوار الحب في كبدي اقبلت نحو سقاء القوم ابترد هبني
بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنار على الاحشاء تتقد وانت القائل قالت وابثثتها وجدي فبحت
به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر الست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما القى على بصري قال نعم
قالت هن حرائر واشارت الى جواريها ان كان خرج هذا من قلب سليم وانشد ابو الحسن علي بن احمد

عن احمد بن

عن احمد بن يحيى لعروة كان خزامى طلة صابها الندى وفارة مسك ضمنتها ثيابها فكدت لذكراها
اطير صبابة وغالبت نفسا زاد شوقا غلابها اذا اقتربت سعدى لججت بهجرها وان تغترب يوما
يرعك اغترابها ففي اي هذا راحة لك عندها سواء لعمري نايها واقترابها وعاد الهوى
منها كظل سحابة [illegible] ثم مر سحابها قال علم الهدى قدس الله روحه وفيها هذا البيت الاخير
من قول كثير واني وتهيامي بعزة بعدما تخليت مما بيننا وتخلت لكالمرتجي ظل الغمامة كلما
تبوا منها للمقيل اضمحلت كاني واياها سحابة ممحل رجاها فلما جاوزته استهلت وروي عن
علي قال حدثنا ابو هفان قال اشعر بيت قيل في الحسد والدعاء لهم بالكثرة او بغيرها قول
الكميت بن زيد ان يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا فدام لي ولهم
ما بي وما بهم ومات اكثرنا غيظا بما يجد انا الذي يجدوني في صدورهم لا ارتقي صدرا منها ولا ارد
لا ينقص الله حسادي فانهم اسر عندي من اللائي لهم ودد وقال عروة بن اذينة لا يبعد الله
حسادي وزادهم حتى يموتوا بداء في مكنونه اني رايتهم في كل منزلة اجل قدرا من اللائي يحبوني
وقال نصر بن سيار ان يحسدوني على ما بي وما بهم فمثل ما بي مما يجر الى الحسد وقال معن بن زائدة
اني حسدت فزاد الله في حسدي لا عاش من عاش يوما غير محسود ما يحسد المرء الا من فضائله بالعلم
والظرف او بالباس والجود وقال المرتضى قدس الله روحه ولقد لحظ البحتري هذا المعنى في قوله
بخلا فيه فاضلة ولست تفنى لنعماء والحسد واظن ابا العتاهية اخذ قوله كم عايب لك لم
اسمع مقالته ولم يزدك لدينا غير تزيين كان عائبكم يبدي محاسنكم وصفا فيمدحكم عندي
ويعرفني ما فوق حبك حب لست اعلمه فلا يضرك ان لا تزدهيني من قول عروة بن اذينة لا
تعذر سعدى من هوى سقم يوما ولا قربها ان حم يشفيني اذا الوشاة لحوا فيها عصيتهم وخلتهم
انما يغريك وقد اخذ ابو نواس هذا المعنى في قوله ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مغتاب
كانهم اثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا ولعروة بن اذينة تروعنا الجنائز مقبلات و
نلهو حين تختفي ذاهبات كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات الثلة القطعة من
الضان وهذا المعنى قد سبق اليه بعض الاعراب فقال وتحدث روعات لدى كل فزعة وتسرع
نسيانا وما جاءنا امن فانا ولا كفران لله ربنا لكالبدن ما تدري متى يومها البدن اخذ ابو العتاهية
في قوله اذا ما رايتم ميتين جزعتم وان غبتم ملتم الى صبواتها واخذ عروة قوله ان الفتى مثل الهلال
له نور ليالي ثم ينمحق يبلى وتفنيه الدهور كما يبلى وينضى الجدة الخلق من قول بعض شعراء طي
مهما يكن ريب الزمان فانني ارى قمر الليل المعذب كالفتى يهل صغيرا ثم يعظم ضوؤه وصورته
حتى اذا ما هو استوى تقارب يخبو ضوؤه وشعاعه ويمصح حتى يستسر فلا يرى كذلك زيد المرء

تأويل قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية

ثم انتقاصه يعود الى مثل الذي كان قد بدا اخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال المرء مثل هلاله
عند طلعه يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتسق يزداد حتى اذا ما تم اعقبه كر الجديدين نقصا ثم
ينمحي مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك
سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل
هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون
به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد
علموا لمن اشتريه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فقال كيف
ينزل الله سبحانه السحر على الملائكة ام كيف تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف
تنسب الضر الواقع عند ذلك الى انه باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف اثبت
العلم لهم ونفاه عنهم بقوله ولقد علموا لمن اشتريه ما له في الآخرة من خلاق ثم بقوله لو كانوا
يعلمون الجواب قلنا في الآية وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لم يمعن النظر فيها اولها
ان يكون ما في قوله تعالى وما انزل على الملكين بمعنى الذي فكانه تعالى خبر عن طائفة من اهل الكتاب
بانهم اتبعوا ما تكذب فيه الشياطين على ملك سليمان وتضيفه اليه من السحر فبرأه الله عز وجل من
قرفهم واكذبهم في قولهم فقال تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر
والتمويه على الناس ثم قال يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين واراد انهم يعلمونهم السحر الذي
انزل على الملكين وانما انزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفيته الاحتيال فيه ليعرفا ذلك
ويعرفاه الناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى قد علمنا ضروب المعاصي ووصف لنا احوال
القبائح لنجتنبها لا لنواقعها الا ان الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه واقدموا على فعله وان
كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال وما يعلمان
من احد يعني الملكين ومعنى يعلمان يعلمان والعرب تستعمل لفظة علم بمعنى اعلم قال القطامي
تعلم ان بعد الغي رشدا وان لتالك الغبر انقشاعا وقال كعب بن زهير تعلم رسول الله انك مدركي
وان وعيدا منك كالاخذ باليد ومعنى تعلم في البيتين معنى اعلم والذي يدل على انه ههنا الاعلام
لا التعليم قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر اي انهما لا يعرفان صفات
السحر وكيفيته الا بعد ان يقولا انما نحن محنة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما كانت محنة من حيث القيا
الى المكلفين امرا لينزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته وهم اذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا
لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في القائه اليك فانه انما القي اليك
واطلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي فيعرفون

من جهتهما

من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب وان كان الملكان ما القياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك بسوء
اختيارهم ضررا عليهم وثانيها ان يكون ما انزل موضع جر ويكون معطوفا بالواو على ملك سليمان
والمعنى واتبعوا ما كذبت به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما انزل على الملكين ومعنى انزل على
الملكين اي معهما او على السنتهما كما قال تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنتهم
ومعهم وليس بمنكر ان يكون ما انزل معطوفا على ملك سليمان وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض
لان رد الشيء الى نظيره وعطفه على ما هو اولى به هو الواجب وان اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظائر
في القرآن وكلام العرب كثيرة قال الله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا
قيما وقيما من صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله يسئلونك عن
الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام فالمسجد الحرام ههنا
معطوف على الشهر الحرام اي يسئلونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام وحكي عن بعض علماء اهل
اللغة انه قال العرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره
كقوله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وهذا واضح
في مذهب العرب كثير النظائر ثم قال تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة والمعنى
انهما لا يعلمان احدا بل ينهيان عنه ويبلغ من نهيهما عنه وصدهما عن فعله واستعماله ان يقولا
انما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهذا كما يقول الرجل ما امرت فلانا بكذا
ولقد بالغت في نهيه حتى قلت له انك ان فعلته اصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة في الكلام
والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لانه استغنى بقوله تعالى وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة عن بسط الكلام الذي ذكرناه ولذلك نظائر في القرآن قال الله تعالى ما اتخذ
الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض فلولا الاختصار
لكان مع شرح الكلام يقول ما اتخذ الله من ولد وما كان معه اله اذا لذهب كل اله بما خلق ومثله
قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا
العذاب اي فيقال للذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وامثاله اكثر من ان تورد ثم قال تعالى
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وليس يجوز ان يرجع الضمير على هذا الجواب الى الملكين
وكيف يرجع اليهما وقد نفى عنهما التعليم بل يرجع الى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقدم
ايضا ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه في قوله ولكن الشياطين كفروا فدل كفروا على الكفر والعطف
عليه مع السحر جائز وان كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله عز وجل سيذكر من يخشى

ويجتنبها الاشقى اي يتجنب الذكرى الاشقى ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله سيذكر
ويجوز ان يكون معنى فيتعلمون منهما اي بدلا مما علمهم الملكان ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم
ووقفهم عليه الملكان من النهى عن السحر الى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا وكذا اي
بدلا منه قال الشاعر جمعت من الخيرات وطبا وعلبة وصرا لاخلاف المزممة البزل ومن كل اخلاق
الكرام نميمة وسعيا على الجار المجاور بالمحل يريد جمعت مكان الخيرات ومكان اخلاق الكرام هذه
الاخلاق الذميمة وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان احدهما ان يكونوا يغوون احد
الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الاخر المؤمن المقيم على دينه
فيفرق بينهما اختلاف النحلة والملة والوجه الاخر ان يسعوا بين الزوجين بالنميمة والوشاية والاغراء و
التمويه بالباطل حتى يؤول امرهما الى الفرقة والمباينة وثالث الوجوه في الاية ان يحمل ما في قوله وما انزل على الملكين
على الجحد والنفي فكانه قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا انزل الله السحر على
الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت
من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون على هذا التاويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس
هذان اسماهما وانما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزا وتبيينا ويكون الملكان المذكوران اللذان نفي عنهما
السحر جبرئيل وميكائيل عليهما السلام لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعي انزل السحر على لسان جبرئيل و
ميكائيل الى سليمان بن داود عليهما السلام فاكذبهما الله تعالى بذلك ويجوز ان يكون هاروت وماروت
يرجعان الى الشياطين فكانه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما يسوغ في
قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود وسليمان عليهما السلام ويكون قوله تعالى على هذا
التاويل وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعا الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين
او من الانس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون
على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس اذا فعل قبيحا او قال باطلا هذا
فعل من لا يفلح وقول من لا يحب والله ما حصلت الا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصح للناس
وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون والتخالع ويجوز ايضا على هذا التاويل الذي يتضمن النفي
والجحد ان يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفي عنهما انزال السحر بقوله وما انزل على الملكين ويكون
قوله وما يعلمان من احد يرجع الى قبيلتين من الجن او الى شياطين الجن والانس فتحسن التثنية لهذا و
قد روي هذا التاويل الاخير من حمل ما على النفي عن ابن عباس رحمه الله وغيره من المفسرين وروي عنه
ايضا انه كان يقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كانا ملكين وعلى
هذه القراءة لا ينكر ان يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما ويكون على هذه القراءة في الاية وجه اخر

هذان اسمان لهما

وانه

وان لم يحمل قوله وما انزل على الملكين على الجحد والنفي فهو ان يكون هؤلاء الذين اخبر عنهم انهم اتبعوا ما تتلوا
الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ما انزل على هذين الملكين من السحر وما يكون الانزال مضافا
الى الله سبحانه تعالى وان اطلق لانه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما بعض الضلال والعصاة
ويكون معنى انزل وان كان من الارض حمل اليهما لا من السماء انه اتى به من نجود البلاد واعاليها فان من
هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى واما قوله تعالى وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله فيحتمل وجوها منها ان يريد بالاذن العلم من قولهم اذنت فلانا بكذا اذا اعلمته
واذنت بكذا اذا استمعته وعلمته قال الشاعر في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار و
منها ان لا تكون الا زائدة فيكون المعنى وما هم بضارين به من احد باذن الله ويجري مجرى قول
احدنا لقيت زيدا الا اني اكرمته اي لقيت زيدا فاكرمته ومنها ان يكون اراد بالاذن التخلية و
ترك المنع فكانه افاد بذلك ان العباد لن يعجزوه وما هم بضارين من احد الا بان يخلي الله تعالى بينهم وبينه
ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائدا على منعهم بالزجر والنهي ومنها ان يكون الضرر الذي عنى انه لا
يكون الا باذنه واضافه اليه هو ما يلحق المسحور من الادوية والاغذية التي يطعمه اياها السحرة ويدعون
انها موجبة لما يقصد ونه من الامور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى
بالعادة لان الاغذية لا توجب ضررا ولا نفعا وان كان المعرض للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحق
للذم وعليه يجب العوض ومنها ان يكون الضرر المذكور انما هو ما يحصل عن التفريق بين الازواج لانه
اقرب اليه في ترتيب الكلام والمعنى انهم اذا غووا احد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاستضر
بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر الا ان الفرقة لا تكون الا باذن الله وحكمه لانه تعالى هو الذي
حكم وامر بالتفريق بين المختلفي الاديان فلهذا قال وما هم بضارين به من احد الا باذن الله والمعنى انه
لولا حكم الله واذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من
الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوي هذا الوجه ما روي انه كان من دين سليمان عليه السلام انه من سحر
بانت منه امرأته فاما قوله عز وجل ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ثم قوله لو كانوا
يعلمون ففيه وجوه اولها ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين او
الذين خبر عنهم بانهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به انفسهم وثانيها ان يكون الذين
علموا هم الذين لم يعلموا الا انهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بانهم عالمون بانه
لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من عقاب الله الذي
لا نفاد له ولا انقطاع وثالثها ان تكون الفائدة في نفي العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكانهم

لم يعلموا وهذا كما يقول احدنا للغير ما ادعوك اليه خير لك واعود عليك لو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر في العواقب الا انه لا يعمل بموجب علمه فيحسن ان يقال له مثل هذا القول وقال كعب بن زهير يصف ذيبا وغرابا يتبعاه ليصيبا من زاده اذا حضرا فقلت لو تعلمانه الم تعلما اني من الزاد مرمل فنفى عنهما العلم ثم اثبته بقوله الم تعلما وانما المعنى في نفيه العلم عنهما انهما لم يعملا بما علما فكانهما لم يعلماه ورابعها ان يكون المعنى ان هولاء القوم الذين قد علموا ان لا اخرة لا حظ لهم فيها مع علمهم القبيح الا انهم ارتكبوه طمعا في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ان الذي اثروه وجعلوه عوضا من الاخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زايل مضمحل باطل وان ال المستحق في الاخرة وكل ذلك واضح بحمد الله مجلس اخر تاويل خبر روي عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه واله انه قال لو كان هذا القرآن في اهاب ما مسته النار وقد ذكر مثاقولو الحديث لنبي صلى الله عليه واله في هذا الخبر وجوها كثيرة كلها غير صحيح ولا شاف وانا ذكروا
اذكر ما اعتمدوه وابين ما فيه ثم اذكر الوجه الصحيح قال ابن قتيبة ذهب الاصمعي الى ان من علم القرآن من المسلمين لو القي في النار لم تحرقه فكنى بالاهاب هو الجلد عن الشخص والجسم واحتج على تاول هذا الحديث بما روي عن سليمان بن محمد قال سمعت ابا امامة يقول اقروا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن قال ابن قتيبة وفي الحديث تاويل اخر وهو ان القرآن لو كتب في جلد ثم القي في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه واله لم تحرقه النار على جهة الدلالة على صحة امر النبي صلى الله عليه واله ثم انقطع ذلك بعده قال وجرى هذا مجرى كلام الذيب وشكاية البعير وغير ذلك من اياته عليه السلم قال وفيه تاويل ثالث وهو ان يكون الاحراق نفيا عن القرآن لا عن الاهاب ويكون معنى الحديث لو جعل القرآن في اهاب ثم القي في النار ما احترق القرآن فكان النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن لان الله سبحانه ينسخه ويرفعه من الجلد صيانا عن الاحراق وقال ابو بكر محمد بن القسم الانباري رادا على ابن قتيبة معترضا عليه اعتبرنا ما قال ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدنا فيه شيئا صحيحا اما قوله الاول فيرده ما روي عنه عليه السلم من قوله يخرج من النار قوم بعد ما يحرقون فيها فيقال هولاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل قال وقد روى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه واله قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار قال الله سبحانه انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه منها قال ابو بكر وكيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه ان النار لا تحرق من قرا القرآن ولا خلاف بين المسلمين في الخوارج وغيرهم ممن يلحد في دين الله تعالى يقرا القرآن تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه بخبر ابي امامة ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن ومعناه قرا القرآن وعمل به فاما من حفظ الفاظه وضيع حدوده

المعلقة يجوز ان تكون معناها المكتوبة على الكتب المعلقة في الاصنام

يحترقون

ايمانا

فانه غير واع له فاما قوله انه من دلايل النبوة التي انقطعت بعده فما روي هذا الحديث احد انه كان في دلايله عليه السلم ولو اراد ذلك دليلا لكان صلى الله عليه واله يجعل القرآن في اهاب ثم يلقيه في النار فلا يحرق قال وقول ابن قتيبة الثالث لا احترق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن غير صحيح لان الذي يصحح هذا القول يوجب ان يكون القرآن غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب في المصحف هو القرآن والدليل على هذا قوله تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون ومنه الحديث لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو وانما يريد المصحف قال ابو بكر والقول عندنا في تاويل هذا الخبر انه لو كان القرآن في جلد ثم القي في النار ما ابطلته لانها وان احرقته فانها لا تدرسه اذ كان الله عز وجل قد ضمنه القلوب الاخيار من عباده والدليل على هذا قوله عز وجل للنبي صلى الله عليه واله فيما روي عنه اني منزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقراه نايما ويقظان فلم يرد تعالى ان القرآن لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم يغسل وانما اراد ان الماء لا يبطله ولا يدرسه اذ كانت القلوب تعيه وتحفظه قال ومثل هذا كثير في كتاب الله وفي لغة العرب قال الله تعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا فهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما اراد تعالى ولا يكتمون الله حديثا في حقيقة الامر لانهم وان كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر عنه قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه والوجه الصحيح في تاويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الانباري جميعا وهو ان هذا من كلام النبي صلى الله عليه واله على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شان القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم خطره والمعنى انه لو كتب في اهاب والقي في النار وكانت النار مما لا تحرق شيئا لعلو شانه وجلالة قدره لم تحرقه النار ولهذا نظاير في القرآن وكلام العرب وامثالهم كثيرة ظاهرة لا تخفى على من له ادنى انس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومعنى الكلام انا لو انزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع اشفاقا من شيء او خشية لامر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم معاشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم فانتم اولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله بان الكلام خرج مخرج المثل بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومثله قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ومثله قول الشاعر اما وجلال الله لو تذكرينني كذكراك ما نهنهت للعين مدمعا فقالت بلى والله ذكرا لو انه تضمنه صم الصفا لتصدعا ومثله فلو ان ما بي بالحصا فلق الحصا وبالريح لم يسمع لهن هبوب ومثله وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عنده واخاطبه واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا

كان

اولاد

فيما روي انه

لاخفاء

بالحصى

كلام يفلق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير وينزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل المغزى انه
لحسنه وجلالته ونهاية بلاغته يفعل مثل هذه الامور لو كانت ولو كانت مما يتهيأ ويتيسر لشيء من الاشياء
لتسهلت من اجله فاما الجواب الاول المحكي عن ابن قتيبة فالذي يفسده زايدا على ما رده ابن الانباري
انه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الاصمعي لكان النبي صلى الله عليه وآله قد اغرانا
بالذنوب لانه اذا امن حافظ القرآن ومتعلمه من دخول النار والعذاب فيها ركن المكلفون الى
تعلم القرآن والاقدام على القبائح آمنين غير خائفين وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله ومعنى
في قول ابي امامة ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الانباري فاما جواب ابن
قتيبة الثاني فمن اين له ان ذلك مختص بزمانه عليه السلام وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه
واقوى ما يبطله انه لو كان هذا كما ذكرنا جاز ان يخفى على جماعة المسلمين الذين دونوا جميع معجزاته
وضبطوها وفي وجداننا من يروي ذلك فجمعه وعني به غير عارف بهذه الدلالة والآية ابطال
لما توهمه فاما الجواب الثالث فباطل لان القرآن في الحقيقة ليس يحل الجلد ولا يكون فيه حتى يجب
الاحتراق الى الجلد دونه واذا كان الامر على هذا لم يكن في قوله ان الاهاب هو المحترق دون
القرآن فايدة لان هذه سبيل كل كلام كتب في اهاب او في غيره اذا احترق الاهاب لم يضف
الاحتراق الى الكلام لاستحالة هذه الصفة عليه ومن عجيب الامور قول ابن الانباري وهذا يوجب
ان القرآن غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان المكتوب
هو القرآن ولهذا علق الاحتراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذي هو القرآن واذا كان
المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الانباري فما المانع من قول ابن قتيبة ان الجلد
يحترق دونه لان احدا لا يقول ان الجلد هو القرآن وانما يقول قوم انه مكتوب فيه واذا كان
غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الى احدهما دون الآخر وهذا كله تخليط من الرجلين لان القرآن غير
حال في الجلد على الحقيقة وليست الكتابة غير المكتوب انما الكتابة امارة للحروف فاما ان تكون هي الكلام
على الحقيقة او يوجد معها الكلام مكتوبا فمحال واما استشهاده على ذلك في الآية وبقوله لا تسافروا
بالقرآن فذلك تجوز وتوسع وليس يجب ان يجعل اطلاق الالفاظ المحتملة دليلا على اثبات الاحكام
والمعاني ومعترضة على ادلة العقول وقد يتجوز القوم باكثر من هذا فقالوا في هذا الكتاب شعر امرء القيس
وعلم الشافعي وفقه فلان ولم تقتض ذلك ان يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في الدفتر وقد
بين الكلام في هذا الباب في مواضع هي اولى به فاما جواب ابن الانباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل
ايضا فيه لانه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر والكلام المحفوظ
في صدور الرجال اذا كتب في جلد ثم احرق لم يذهب ما في الصدور منه بل يكون ثابتا بحاله فاي

مزية

مزية للقرآن في هذا على غيره واي فضيلة فان قال وجه المزية ان غير القرآن من الشعر وغيره يمكن ان يدرس
ويبطل باحتراق النار والقرآن اذ كان هو تعالى المتولي لايداعه الصدور لا يتم ذلك فيه قلنا الكل
سواء لان غير القرآن انما يبطل باحتراق الاهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظا مودعا للصدور ومتى كان
بهذه الصفة لم يبطل باحتراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق ولكنه لا يبطل
بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط في بطلان القرآن وثباته فلا مزية على هذا
الجواب للقرآن فيما خص به من ان النار لا تمسه وهذا يبين انه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر وهو اشبه
بمذاهب العرب واولى بتفضيل القرآن وتعظيمه اخبرنا ابو الحسين علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد
قال انشدنا ابو حاتم قال ابن دريد وانشدنا عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه للحسين بن مطير الاسدي
قال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا ما اتهم منشد الا حبذا بالبيت الذي انت هاجره وانت
بتلماح من الطرف اي انت ناظره ؛ فانك من بيت الي المحبب ؛ واملح في عيني من البيت عامره ؛ اصد حياء ان يلج
بي الهوى ؛ وفيك المنى لولا عدو احاذره ؛ وفيك حبيب النفس لو تستطيعه ؛ لمات الهوى والشوق حين
تجاوره ؛ فان آنه لوايح الاظنة ؛ وان بانه غيري شط بي جرائره ؛ وكان حبيب النفس للقلب وابرا ؛
وكيف يحب القلب من هو وابره ؛ فان تكن الاعداء احموا كلامه ؛ علينا فلن يحمي علينا تناظره ؛
فيا سلمى على غير بتة ؛ ولا باس في حب يعف سرائره ؛ ويا عاذلي لولا نفاسة حبها ؛ عليك لما باليت
انك خابره ؛ بنفسي من لا بد اني هاجره ؛ ومن انا في الميسور والعسر ذاكره ؛ ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم
ببغضي الا ما تجن ضمائره ؛ احبك حبا لن اعنف بعده ؛ محبا ولكني اذا ليم عاذره ؛ لقد مات
اول الحب فانقضى ؛ ولو مت اضحى الحب قد مات آخره ؛ كلا يومك يا سلمى ان قلت انني ؛ فلا تحسبي اني
قلت خافره ؛ الا لا ابالي اي حي تحملوا ؛ اذا ثمد البرقاء لم تخل حاضره ؛ وانشد ابن الاعرابي للحسين بن مطير
لعمرك للبيت الذي لا نطوره ؛ احب الينا من بلاد نطوسها ؛ تقلبت في الاخوان حتى عرفتهم ؛
ولا يعرف الاخوان الا خبيرها ؛ ولا اصرم الخلان حتى يصارموا ؛ وحتى يسيروا سيرة لا اسيرها ؛
فانك بعد الشر ما انت واجد ؛ خليلا مديما شيمة لا يديرها ؛ معنى بلبيرها يقلبها تارة هيهنا
وتارة هيهنا ؛ وانك في غير الاخلاء عائد ؛ بيانا التي يخفى عليك ضميرها ؛ فلا تك معروفا بصحبة
صاحب ؛ من الود لا تدري علام مصيرها ؛ وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى ؛ ولكنه خيم الرجال
وخيرها ؛ وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها ؛ فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها ؛ وكائن ترى من حال دنيا
تغيرت ؛ وحال صفا بعد اكدرار غديرها ؛ ومن طامع في حاجة لن ينالها ؛ ومن يائس منها اتاه
بشيرها ؛ ومن يتبع ما يعجب النفس لم يزل ؛ مطيعا لها في فعل شيء يضيرها ؛ فنفسك اكرم عن امور كثيرة
فما لك نفس بعدها تستعيرها قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ولي في معنى ابن مطير وقد تعدد

الدنيا والبيت الذي تعلّه من جملة قصيدة * وكيف انس الدنيا ولست اديى * الا امرا قد تغوري من
عوادبها * نضبوا اليها يامال محتبرة * كاننا ما نرى عقبى لها بينها * في وحشة الدار ممن كان يسكنها
كل اعتبار لمن قد ظل يا ويها * لا تكثرن فما قلبي لها وطنا * وقد رايت طلولا من مغانيها * واخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال انشدنا علي بن سليمان الاخفش قال انشدنا احمد بن يحيى ثعلب للحسين
بن مطير * لقد كنت جلدا قبل ان توقد النوى * على كبدي نارا بطيا خمودها * ولو تركت نار الهوى
لتضرمت * ولكن شوقا كل يوم يزيدها * وقد كنت ارجو ان تموت صبابتي * اذا قدمت ايامها وعهودها
فقد جعلت في حبة القلب والحشا * عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها * بمرتجة الارداف هيف خصورها
عذاب ثناياها عجاف قيودها * يعني انها عجاف اللثات واصول الاسنان وهي قيودها * وقال ابو
العباس ثعلب عجاف بالخفض لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله ان يكون نصبا لانه حال من
الثنايا * مخصرة الاوساط زانت عقودها * باحسن مما زينتها عقودها * وصفر تراقيها وحمر اكفها
وسود نواصيها وبيض خدودها * وصف التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة اكفها من الخضاب *
يمنيننا حتى ترف قلوبنا * رفيف الخزامى بات طل يجودها * اخذ قوله مخصرة الاوساط من قول
مالك بن اسماء الخارجة * وترى بن اطيب الطيب طيبا * ان تمسه اين مثلك اينا * واذا الدر
زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا * وقد روى ابو تمام الطائي في الحماسة بعض الابيات التي
ذكرناها للحسين بن مطير وروى له ايضا ويشبه ان يكون الجميع من قصيدة واحدة * وكنت اذود العين
ان ترد البكا * فقد وردت ما كنت عنه اذودها * خليلي ما بال العيش عتب لو انتنا * وجدنا الايام الصبى
من يعيدها * وروى ابو تمام ايضا للعيزه وبعض الرواة يرويها للحسين بن مطير * ولي نظرة بعد
الصد ومن الجوى * كنظرة ثكلى قد اصيب وليدها * هل الله عاف من ذنوب تسلفت * ام الله ان
لم يعف عنها معيدها * وانشد ابو محلم لابن مطير * قضى الله يا اسماء ان لست زائلا * احبك
حتى يغمض العين مغمض * وحبك بلوى غير ان لا يسرني * وان كان بلوى انني لك مبغض * اذا ما اراد
النفس في حب غيرها * اتى حبها من دونها يتعرض * فيا ليتني اقرضت غيري حبها * واقرضني صبرا
على الشوق مقرض * ويشبه ان يكون اخذ قوله اذا ما ارادت النفس في حب غيرها من قول جميل * من قوارة
واعرض حتى يحسب الناس انما * بي الهجر لا والله ما بي لك الهجر * ولكن اروض النفس انظر هل لها *
اذا فارقت يوما احبتها صبر * او من قول نصيب * واني لاستحيي كثيرا واتقي * عيونا واستبقي
المودة بالهجر * وانذر بالهجران نفسي اروضها * لتعلم عند الهجر هل لي صبر * ويشبه ان يكون اخذ
قوله فيا ليتني اقرضت جلدا ماخوذا من قول بعض العرب * دعي قلبه البرق والملالي ذمية * بحسب
الحمى وهنا فكادت تهيم * فهل من معير طرف عين خلية * فانسا عين العامري كليم * وللحسين في هذا المعنى

ماذواه

ماذواه المبرح * ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح * ابى الناس ويب الناس
لا يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح * واخذ العباس بن الاحنف هذا المعنى فقال * من ذا
يعيرك عينه تبكي بها * ارايت عينا للبكاء تعار * واخبرنا المرزباني قال حدثني ابو عبد الله الحكيمي
قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الاصمعي فانشده رجل لابي
دعبل * اين الشباب وايه سلكا * لا اين يطلب ضل بل هلكا * لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب براسه
فبكى * يا سلم ما بال المشيب منقصة * لا سوقة يبقي ولا ملكا * قصر الغواية عن هوى قمر * وجد السبيل اليه
مشتركا * يا ليت شعري كيف نومكما * يا صاحبي اذا دمي سفكا * لا تاخذا بظلامتي احدا * قلبي وطرفي في دمي
اشتركا * قال فاستحسنها كل من كان في المجلس واكثر التعجب من قوله ضحك المشيب براسه فبكى فقال الاصمعي
انما اخذ قوله هذا من ابن مطير الاسدي حيث يقول * ابن اهل القباب بالدهنا * اين جيراننا على الاحسا
جاورونا والارض ملبسة * نور الاقاحي تجاد بالانواء * كل يوم عن اقحوان جديد * يضحك الارض من بكاء
السماء * وقد اخذ مسلم صريع الغواني في قوله * مستعبر يبكي على دمنة * ودامه يضحك فيه المشيب
قال المرتضى قدس الله روحه ولابي الحجناء نصيب الاصغر مثل هذا المعنى وهو قوله * فبكى الغمام به
فاصبح روضه * جذلا يضحك عن حميم نزهر * ولابن المعتز شيلة الحب عليه كل ظلماء دجية * اذا ما بكت
اجفانها ضحك الزهر * ولابي دريد مثله * بحتم المزن وانهلت مدامعه * فاضحك الروض دمع
الضاحك الباكي * وغازل الشمس نور ظل يلحظها * بعين مستعبر بالدمع ضحاك * وروي عن ابي العباس
المبرد انه قال اخذ ابن مطير قوله تضحك الارض من بكاء السماء من قول دكين الراجز * جن النبات في
ذراها وزكا * وضحك المزن به حتى بكا * مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله عز وجل فاما
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب * الجواب قلنا قد
ذكر في هذه الآية وجهان مطابقان للحق احدهما ان يكون الراسخون في العلم معطوفين على اسم الله تعالى
فكانه قال وما يعلم تاويله الا الله والا الراسخون في العلم وانهم مع علمهم به يقولون آمنا به فوقع قوله
يقولون آمنا به موقع الحال والمعنى انهم يعلمونه قائلين آمنا به كل من عند ربنا وهذا غاية المدحة
لهم لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم واظهروا التصديق به على السنتهم فقد تكاملت مدحتهم و
وصفهم باداء الواجب عليهم والحجة لمن ذهب الى ما بيناه والرد على من استبعد عطفه على الاول
وتقديره ان يكون قوله يقولون آمنا به على التاويل ابتداء قوله ما افاء الله على رسوله من اهل
القرى فلله وللرسول الى قوله شديد العقاب فذكر جملا ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا
الفيء فقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا

دعبل

فاما الذين في قلوبهم زيغ

مثل قوله

الى قوله انك رؤوف رحيم وقال في الذين تبوؤا الدار والايمان وهم الانصار يحبون من هاجر اليهم ولا
يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال فيمن جاء من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وفي هذه الايات ما يدل على انه لا يمكن في
اية الراسخون في العلم ان يكون قوله تعالى يقولون امنا حالا لهم مع العلم بتاويل المتشابه ولو
اشكل شيء من ذلك لما اشكل قوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا في انه موافق لقوله
والراسخون في العلم يقولون امنا به فان الصورتين واحدة ومما يستشهد به على ذلك من الشعر قول
يزيد بن مفرغ في عبد له كان يسمى بردا فباعه ثم ندم على بيعه وشربت بردا ليتني من بعد برد كنت
هامه هامة تدعو صدى بين المشقر فاليمامه الريح تبكي شجوه والبرق يلمع في الغمامه فعطف
البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع كانه قال والبرق ايضا يبكيه لامعا في غمامه اي في حال لمعانه و
لو لم يكن البرق معطوفا على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة ويمكن ايضا على هذا الوجه
مع عطف الراسخين على ما تقدم واثبات العلم بالمتشابه لهم ان يكون قوله يقولون امنا به استينافا
جملة واستغنى فيه عن حرف العطف كما استغنى في قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو
ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس بالجملة الاولى فيستغنى به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف
كان حسنا بتنزيل الملتبس منزلة غير الملتبس والوجه الثاني في الاية ان يكون قوله والراسخون في العلم
مستانفا غير معطوف على ما تقدم ثم اخبر عنهم بانهم يقولون امنا به ويكون المراد بالتاويل على
هذا الجواب المتاول لانه قد يسمى تاويلا قال الله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله والمراد
بذلك لا محالة المتاول والمتاول الذي لا يعلمه العلماء وان كان الله عز وجل عالما به كوقت قيام الساعة
ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغائر الى غير ذلك فكانه قال وما يعلم تاويل جميعه
على المعنى الذي ذكرناه الا الله والعلماء يقولون امنا به وقد اختار ابو علي الجبائي هذا الوجه وقوى
وضعف الاول بان قال قول الراسخين في العلم امنا به كل من عند ربنا دلالة على استسلامهم لانهم لا
يعرفون تاويل المتشابه كما يعرفون تاويل المحكم ولان ما ذكره من وقت القيامة ومن تمييز بين الصغائر
والكبائر هو من تاويل القران اذ كان الخلاف في خبر الله والراسخون في العلم لا يعلمون ذلك وليس الذي
ذكره بشيء لانه لا يمتنع ان يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه امنا به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف
يظن انهم لا يقولون ذلك مع فقد العلم به وما المنكر من ان يظهر الانسان بلسانه الايمان بما يعلمه
ويتحققه فاما قوله ولان ما ذكرناه من تاويل القران فذلك مما يكون تاويلا اذا حملت هذه اللفظة على
المتاول لا على الفائدة والمعنى فاما اذا حملت على انه وما يعلم معنى المتشابه وفائدته الا الله فلا بد من دخول
العلماء فيه وليس لمن يحتج ان يقول ان حمل التاويل على المتاول اظهر من حمله على المعنى والفائدة لان الامر

بالعكس

بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى اظهر واكثر في الاستعمال واشبه بالحقيقة على انه لو قيل ان الجواب الاول
اقوى من الثاني لكان اولى من قولهم من قبل انه لو كان المراد بالتاويل المتاول لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص
المتشابه بذلك دون المحكم معنى لان في متاول المحكم كالاخبار عن الثواب والعقاب والحساب مما لا يمكن
في كونه محكما مما لا يعرف تفصيله ولا كنهه الا الله فاي معنى لتخصيص المتشابه والكلام يقتضي توجهه نحو
المتشابه الا ترى الى قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء
تاويله فخص المتشابه بالذكر والاولى ايضا ان يكون المراد بلفظة تاويله الاولى وقد علمنا ان الذين في
قلوبهم زيغ انما ابتغوا تاويله على خلاف معناه ولو يطلبوا تاويله الذي هو متاوله فالوجه الاول اقوى
وارجح ويمكن في الاية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه على ان يكون قوله والراسخون في العلم مستانفا غير
معطوف ويكون المعنى وما يعلم تاويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله وهذا واضح صحيح
لان اكثر المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لادلة العقول فيذكر المتاول جميعها و
لا يقطع على مراد الله تعالى منها بعينه لان الذي يلزم في مثل ذلك ان نعلم في الجملة انه لم يرد من المعنى ما
يخالف الادلة وانه قد اراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة للحق وليس من تكليفنا ان
نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى اللذين يحتمل كل منهما الوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق
فنقطع على انه تعالى لم يرده ومنها وجوه تطابق الحق فنعلم في الجملة انه قد اراد احدها ولا نعلم المراد منها
بعينه وغير هذا من الاي المتشابهة فان اكثرها يحتمل وجوها والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح لا
يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون في العلم يقولون امنا به اي صدقنا بما نعلمه مفصلا
ومجملا من المحكم والمتشابه وان الكل من عند ربنا وهذا ايضا وجه واضح اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال اخبرني محمد الازهري قال انشدنا محمد بن يزيد لابي حية النميري وهي ابيات مختارة وخبرك الواشون
الا احبكم بلى وستور الله ذات المحارم اصد وما الصد الذي تعرفينه عزاء بنا الا اجتراع العلاقم
حياء وبقيا ان تشيع نميمة بنا وبكم اف لاهل النمائم وان دما لو تعلمين جنيته على الحي جاني
مثله غير سالم اما انه لو كان غيرك ازقلت صفا الغني بالراعفات اللهاذم ولكنه والله ما طل
مسلما كبيض الثنايا واضحات الملاغم قال ثعلب الملاغم ما حول الفم وقال المبرد واضحات الملاغم يريد
العوارض وقوله ما طل مسلما اي ابطل دمه اذا هن ساقطن الحديث حسبته سقوط حصى المرجان
من سلك ناظم ويروى ساقطن الاحاديث للفتى ويروى ايضا ساقط الحديث كانه ومميز ما قصدن
القلوب فلا ترى دما ما يرى الاجوني الحيازم قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن ما مضى في
هذه القصيدة قوله كان لم اروح بالعيون واشتفي بنعت لهم ابصار الضحى الشقايم ولم ار بالجيش الا الفا
له عذابه لم يجر من فاد اللطايم اذا الليل هو بطيني واذا استملكه بحلول الفؤين وحف المقادم واذا

اسمته

منقاد لكل مقود * الى اللهو حلاف البطالات آثم * ورواه ابن حبيب مقود ومعنى حلاف البطالات
اى حلاف فى البطالات مهين لمطايا ما سلف غير اننى على بذ ما اتلفته غير نادم * الخيزبومى الخيزبر
وان علاه بى اللوم لم احفل ملامة لائم * معنى خيزبومى الخير اى احب يومى الى الذى هو اخسر
عند اهل الرأى والعقل وانشد ابو اسحاق ابرهيم بن سفيان الزيادى لابى حية وقال اسمه هيثم بن الربيع
ترحل بالشباب الشيب عنا * فليت الشيب كان هو الرحيل * وقد كان الشباب لنا خليلا * فقد قضى مآربه
الخليل * لعمر ابى الشباب لقد تولى * حميدا ما يراد به بديل * اذا الايام مقبلة علينا * و
ظل اراكها الدنيا ظليل * وانشد المبرد قال انشدنا ابو عثمان المازنى لابى حية * زمان الصبى ليت
انا امنا رجعن لنا الصالحات القصارا * زمان علي غراب غداف * فطيره الدهر عنى فطارا * فلا
يبعد الله ذاك الغراب * وان هو لم يبق الا ادكارا * كان الشباب لذاذته * وريق الصبى كان ثوبا معارا
ريق الصبى وديقه وروقه اوله * وهاذيران ذات لمتى * تلفع شيب بها فاستنارا * وقد
منه بعد الظلام * عذارا فما استطيع اعتذارا * اجارتنا ان ريب الزمان * قبلى غال الرجال الخيارا
فاما ترى لمتى هكذا * فاسرع منها المشيب النفارا * فقد ارتك وخفة ظلة * وقد يرد الفتيان الخفارا
المستحيا اما قوله زمان على غراب غداف فاراد الشباب والشعر الاسود ويشبه ان يكون ماخوذا من قول
الاعشى * وما طلابك شيئا لست مدركه * ان كان عنك غراب الجهل قد وقعا * ولابى حية من قصيدة
اولها * الا يا اسلمى اطلال حسناء وانعمى * وخنسا نحماص الوشاحين مشيها * الى الروح اقتار خطى
المتجشم * الما تسلمى قبل ان تزمى النوى * بنافذة سنحى الفواد المتيم * بقيت عاشق لم يبق من روح نفسه
ولا عقله المسلوب غير التوهم * فقلنا لها سرا فديناك لا يرح * صحيحا وان لم تقتليه فالممى * فالقت
قناعا دونه الشمس واتقت * باحسن موصولين كف ومعصم * وهذا البيت الاخير ماخوذ من قول
النابغة * سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد * ولقوله فقلنا لها سرا فديناك
البيت خبر وهو ما اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال حدثنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنى الباقطانى
قال اتصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب امر على بن العباس الرومى وكثرة مجالسته لابى الحسين القاسم
ابنه وسمع شيئا من اهاجيه فقال لابى الحسين قد احببت ان ارى ابن الرومى هذا فدخل يوما
عبيد الله الى ابى الحسين وابن الرومى عنده فاستنشده من شعره فانشده وخاطبه فرآه مضطرب
العقل جاهلا فقال لابى الحسين بينه وبينه ان لسانه هذا اطول من عقله ومن هذه صورته لا تؤمن
عقاربه عند اول عتب لا يفكر فى عاقبته فاخرجه عنك فقال اخاف حينئذ ان يعلن ما يكتمه فى
دولتنا ويذيعه فى عكسنا فقال يا بنى انى لم ارد باخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت ابى حية النميرى
فقلن لها سرا فديناك لا يرح * سليما وان لا تقتليه فالممى * فحدث القسم ابن فراس بما جرى وكان اعداء الناس
واتلم

لابن

لابن الرومى وقد هجاه باهاج قبيحة كثيرة فقال له الوزير اعزه الله اشار بان يعلنا حتى تستراح منه وانا اكفيك
ذلك فسمه فى الخشكنانج فمات قال الباقطانى والناس يقولون ما قتله ابن فراس وانما قتله عبيد الله وذكر
محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول
ابى حية النميرى * رمتنى وستر الله بينى وبينها * عشية آرام الكناس رميم * الا رب يوم لو رمتنى رميتها *
ولكن عهدى بالنضال قديم * قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه وقد روى هذان البيتان لكثير
فى غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمتنى واصابتنى بمحاسنها * ولو كنت شابا لرميت كما رميت و
فتنت كما فتنت ولكن عهدى قد تطاول بالشباب * وهذا كلام واضح واما الاستعانة فهو
ان تدخل فى الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحح نظما او وزنا قال ومما يختار من قول ابى حية ايضا
الا حى من اجل الحبيب المغانيا * لبسن البلى مما لبسن اللياليا * اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة *
تقاضاه شئ لا يمل التقاضيا * ويقال ان احسن ما وصف به المسواك قول ابى حية * لقد طال ما
عنيت راحلة الصبى * وعللت شيطان الغوى المشوق * وطوقت فرح القلب ممن بالمنى و
باللحظ لو يبذل له المترقى * وسامتني كاس الهوى فسقيتها * رقاق الثنايا عذبة المترشف *
تفتر عن متنضد * كنور الاقاحى طيب المتذوق * ويروى عن متنسق يعنى ثغرا على نسق واحد لا خلل
فيه * اذا مصقت بعد امتناع من الضحى * انابيب من عود الاراك المخلق * سقت شعث المسواك ماء غمامة
فضيضا بخرطوم المدام المروق * الامتناع الارتفاع منع النهار وامتع اذا طال والمخلق الذى خلق
بالخلوق والطيب من بكرها وقال بعضهم عنى بالمخلق المملس والفضيض الذى جرى سال من الغمام اى
كالفضيض والخرطوم سلاف الخمر وهو اول ما يخرج من غير عصر ولا دوس * وان ذقت فاها بعد ما سقط الندى
بعطفى عبداء دام المنطق الجنداة الضخمة والرداح العظيمة الارداف * شممت العرار الطل غب هميمة
ونور الخزامى فى الندى المترقرق * العرار بهار البر والطل الغض الطرى والهميمة مطر لين واخبرنا ابو عبيد
الله المرزبانى قال حدثنى على بن هارون على قال سمعت ابى وقد ذكر قول ابى حية * نظرت كانى من وراء زجاجة
الى الدار من فرط الصبابة انظر * فعيناى طورا تغرقان من البكا * فاعشى وطورا تحسران فابصر * فقال لو
اقتصر صلى تخبطاعته ويلزم الانقياد لامره فقال اى شعر اجود واولى بان يستحسن ولو فسح لى
فى ان اميز المدح من الفخر والهجاء من التشبيه وسائر اصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلت
عن هذين البيتين ويقال ان ابا احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر اجاز بيتى ابى حية هذين بقوله
فلا مقلتى من غامر الماء تنجلى * ولا دمعتى من محكم الوجد تقطر * ولابى حية من المبكيات الحلبة حتى
كانما هيج بعينيه الدموع شعيب * الشعيب المزادة من اديمين يشعب احدهما الآخر * ليالى اهلانا
جميعا وحولنا * سوائم منها رابح وعزيب * واذ نحن نجنى الذنوب ما لنا * اليهن الا وهو ذنوب

ولا نجيّة اصدّ عن البيت الحبيب وانّني ❊ لأصغي الى البيت الذي اتجنّب ❊ اذود بني عمّي وكلاهم
على ما عدا عنهم اعزّ واقرب ❊ وقطّع اسباب المودّة معشر ❊ غضاب وهل احسن القول مغضب ❊ وان
لا تنئنا ام عمرو بهيمة ❊ تدبّ بها بيني وبينك عقرب ❊ وما بيننا لو انّه كان عالماً ❊ بذاك الاولى
يولون ما يتريّب ❊ حديث اذا لم تخش عيناً كانّه ❊ اذا ساقطته الشهد بل هو اطيب ❊ فلو انّك تستشفي
به بعد سكرة ❊ من الموت كادت سكرة الموت تذهب ❊ وقلت لها ما تأمرين فانني ❊ ارى البين ادنى
دوعة تترقّب ❊ قال محمد بن يحيى الصولي ولا احسبه قوله لو انّك تستشفي به بعد سكرة الاشبع قول توبة
ابن الحمير ❊ ولو انّ ليلى الاخيلية سلّمت ❊ عليّ ودوني تربة وصفائح ❊ لسلّمت تسليم البشاشة او زقا ❊
اليها صدى من جانب القبر صائح ❊ قال المرتضى علم الهدى قدّس الله روحه واوّل من سبق الى هذا المعنى
فاحسن الاعشى في قوله ❊ عهدي بها في الحيّ قد درّعت ❊ صفراء مثل المهرة الضامر ❊ لو اسندت
ميتاً الى نحرها ❊ عاش ولم ينقل الى قابر ❊ حتى يقول الناس ممّا رأوا ❊ يا عجباً للميت الناشر ❊ ومعنى انا
المنشور يقال انشر الله الميت فنشر وهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق بمعنى مدفوق وقال بعض
اصحاب المعاني ان الجارية التي وصفها انّما ميتة بمعنى انّها ستموت كما قال الله تعالى انّك ميّت وانّهم
ميّتون اي ستموتون فيكون المعنى ان الناس عجبوا من ان يكون من يموت ينشر الموتى ومن محال هذا
اجاز نشر الله الموتى بمعنى انشر والقول الاظهر وما نظن الاعشى عنى غيره ❊ **مجلس آخر** تاويل آية ان
سأل سائل عن قوله عزّ وجلّ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فقال لم خصّ
اليوم بالقول وانّما اراد العفو عنهم في جميع مستقبل اوقاتهم الجواب قلنا في هذه الآية وجوه ثلاثة
اوّلها انّه لما كان هذا الوقت الذي اشار اليه هو اوّل اوقاته التي كشف فيها نفسه لهم واطلعهم على ما كان
يستره عنهم من امره اشار الى الوقت الذي لو اراد الانتقام لابتدأه فيه والذي متى عفا فيه عنهم
لم يراجع الانتقام وثانيها ان يوسف عليه السلام لما قدّم توبيخهم وعدّ عليهم قبيح ما فعلوه وعظيم
ما ارتكبوه وهو مع ذلك يستر عنهم نفسه ولا يفصح لهم بحاله قال لهم عند تبيين امرهم لا تثريب عليكم
اليوم اي قد انقطع عنكم توبيخي ومضى عذلي ولا لومي عند اعترافكم بالذنب فكان ذكر اليوم دلالة
على انقطاع المعاتبة والتوبيخ وعلى ان الاوقات المتّصلة باليوم تجري مجراه في زوال الغضب وتمام
العفو وسقوط المؤاخذة لهم على ما سلف منهم وثالثها ان ذكر اليوم المراد به الزمان والحين فوضع اليوم
موضع الزمان كلّه المشتمل على الليالي والايّام والشهور والسنين كما يقول العربي لغيره قد كنت تسخر
شرب الخمر فاليوم قد وقفت لتركها ومقتها يريد في هذا الزمان ولا يريد يوماً واحداً بعينه ومثله
قد كنت تقصّر في الجواب عن فنون العلم فاليوم ما تعجز عن مسئلة ولا تتوقّف عن مشكلة يريد باليوم
ما في الزمان كلّه وقال امرؤ القيس ❊ حلّت لي الخمر وكنت امرأً ❊ عن شربها في شغل شاغل ❊ فاليوم اشرب

تمّ الجزء الاوّل من امالي الغرر والدرر ويليه الجزء الثاني واوّله مجلس آخر

غير مستحقب ❊ اثماً من الله ولا واغل ❊ ولم يقصد يوماً بعينه ومثله اليوم يرحمنا من كان يغبطنا ❊
واليوم نتبع من كانوا لنا تبعاً ❊ وقال لبيد ❊ وما الناس الّا كالديار واهلها ❊ بها يوم حلّوها وغدوا
بلاقع ❊ كلّ ذلك لا يراد بذكر اليوم او الغد فيه الّا جميع الاوقات المستقبلة ورابعها ان يكون المراد
لا تثريب عليكم اليوم البتّة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلّق اليوم بالغفران وكان المعنى يغفر الله لكم
اليوم وقد ضعّف قوم هذا الجواب من جهة ان الدعاء لا ينصب ظرفاً قبله فامّا معنى التثريب فان ابا عبيد قال
معناه لا تشعيب ولا معاقبة ولا تعيير قال الشاعر ❊ فعفوت عنهم عفو غير مثرّب ❊ وتركتهم لعقاب
يوم سرمد ❊ وقال ابو العبّاس ثعلب يقال ثرّب فلان على فلان اذا عدّد عليه ذنوبه وقال ابو مسلم
التثريب مأخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكانّه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصّي
الى ابعد غاياتهما ❊ **خبر** روى ابو عبيد القاسم بن سلام عن حجاج عن حمّاد بن سلمة عن هشام
بن حسّان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن ابي هريرة ان النبي صلّى الله عليه وآله نهى عن كسب
الزمّارة وقال ابو عبيد قال الحجاج الزمّارة الزانية وقال وهذا اشبه حديثه لانّه نهى عن كسب البغي قال
ابو عبيد وقال غير حجاج هي الرمّازة بتقديم الراء قال وقول حجاج اشبه عندنا لانّهم كانوا يكرهون
امائهم على البغاء فانزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصّناً لتبتغوا عرض الحيوة
الدنيا قال فالعرض هو كسب البغي الذي نهى رسول الله صلّى الله عليه وآله عنه قال ابو عبيد
لا اعلم اخذت الزمّارة غير انّي وجدت لها في الحديث معنى وقال ابن قتيبة الامر على ما ذكر
ابو عبيد الّا انّما انكره على من زعم انّها الرمّازة لانّ الرمّازة هي الفاجرة سمّيت بذلك لانّها ترمز
اي تومي بعينيها وحاجبيها وشفتيها قال الفرّاء واكثر الرمز بالشفتين ومنه قوله تعالى آيتك الّا تكلّم
الناس ثلاثة ايّام الّا رمزاً فالرمّازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار لها اوكالاسم ولذلك قيل لها
هلوك لانّها تتهالك على الفراش او على الرجل ثم صار اسماً لها دون غيرها من النساء وانّها الكث
على زوجها وقيل لها خريع للينها وتثنّيها ثم صار ذلك اسماً لها دون غيرها من النساء وان لا تنثو
تخنث وبحوه قولهم للبعير اعلم للشق في مشفره الاعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قولهم للذئب
ازلّ امسح ثم صار كالاسم له والمرشّة لا تكاد تعلن الكلام انّما تومض او ترمز او تصغر قال الشاعر
ورمزت الى مخافة من بعلها ❊ من غير ان يبدو هناك كلامها ❊ وقال الاخطل ❊ احاديث سدّاها ابن
حدجاء فرقد ❊ ورمّازة مالت لمن يستميلها ❊ وقال الراجز ❊ يومين بالاعين والحواجب ❊ ايماض برق
في عماء ناصب ❊ والعماء السحاب والناصب البعيد وقال بعضهم انّما قيل للفاجرة قحبة من القحاب وهو
السعال قال واحسبه اراد انّها تتنحنح او تسعل ترمز بذلك قال وبلغني عن المفضّل انّه كان يقول
في قول الناس اجبن من صافر انّه الرجل يصفر للفاجرة يخاف من كل شيء فامّا الاصمعي فانّه قال الصافر

ما يصفر من الطير وانما وصف بالجبن لانه ليس من الجوارح قال ابن قتيبة ولا ادري العول للمفضل و
على ذلك قول الكميت بن زيد الاسدي ارجو لكم ان تكونوا في اخائكم كلبا كودها وتقلي كل صفارة
لما اجابت صفيرا كان آيتها من قابس شيط الوخفاء بالنار وهذه امراة يصفر لها رجل فتجيبه
فتمثل ذو جهابه وصفر لها فاتته فشيطها بميسم فلما اعاد الصفير قالت قد قلينا كل صفارة
انا قد عففنا واطرحنا كل فاجر وقال ابو بكر محمد بن القسم الانباري والاختيار عندي الزمارة معجمة الزاي
على ما قال ابو عبيد لحجج ثلاث احداهن اجماع اصحاب الحديث على الزمارة والحجة الثانية ان الفاجرة يميز
زمارة لانها تحسن نفسها وكلامها والزمر محمود العرب لحسن قال عمرو بن احمر الباهلي يصف شرابا و
غناء دنان حنانا بينهما رجل اجش غناؤه زمر قال الاصمعي معناه غناؤه حسن كانه من مزامير
داود والحجة الثالثة انهم سموا الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها من الخير من قول العرب نعجة زمرة
اذا كانت قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروة اذا كان قليلها قال ابن احمر مطلنفئا لون الحصا لونه
يحجر عنه الذر ذو ريش زمر المطلنفئ اللاصق بالارض والذر النمل والزمر القليل فسميت البغي زمارة على
وجه الذم لها والتصغير لشأنها كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال فجر الرجل اذا مال قال لبيد
فان تتقدم تغش منها مقدما غليظا وان اخرت فالكفل فاجر اي مائل والكفل كساء يوضع على
البعير توقى من العرق قال السيد المرتضى قدس الله روحه ولا ادري لاحد الروايتين على الاخرى رجحانا
لان كل واحد منهما قد اتت من جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرج في اللغة وتاويل يرجع الى معنى
واحد لان الرمازة بالراء غير معجمة يرجع معناها الى ما ذكره ابن قتيبة الى معنى الفجور ومن رواها بالزاء
المعجمة فالمرجع معناها الى ذلك ايضا على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الانباري فالاولى ان يتساويا
ويكون الراوي مخيرا فيهما اخبرنا المرزباني قال انشدني محمد بن احمد الكاتب قال انشدنا احمد بن يحيى
قال انشدنا ابن الاعرابي للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن ابي سلمى وما زلت ارجو نفع سلمى
وودها وتبعد حتى ابيض منها المسائح وحتى رايت الشخص يزداد مثله اليه وحتى نصف راسي واضح
علا حاجبي الشيب حتى كانه ظباء جرت منها سنيح وبارح وهزة اظعان عليهن بهجة طلبت و
ريعان الصبا بي جامح فلما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح اخذنا باطراف
الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الاباطح وشدت على حدب المهاري رحالها ولا ينظر
الغادي الذي هو رائح قفلنا على الخوص المراسيل وارتمت بهن الصحارى والصفاح الصحاصح وانشد
ابن الاعرابي تصد بعيني شادن وتخيمت بمجاء عن عرفانهن عزوب حمى الاسحل الاحوى عليهن
اوجرى عليهن من فرع الاراك قضيب اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى
الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن البلخي قال حدثنا ابو حاتم قال سمعت الاصمعي يقول قلب العاشق

عليه مع معشوقه فقلت له هذا والله يا امير المؤمنين احسن من قول عروة بن حزام العذري لعفراء اذا رأى
تعروني لذكراك روعة لها بين جلدي والعظام دبيب وما هو الا ان اراها فجاءة فابهت حتى لا
اكاد اجيب واصرف عن رأيي الذي كنت ارتئي واعزب عني علمه ويغيب ويضمر قلبي عذرها و
يعينها علي فما لي في الفؤاد نصيب فقال له الرشيد من قال هذا وهما فاني قلته علما وهذه دلائلها
فاني احد عندك ما يضل عنه العلماء قال الصولي فاخذه العباس بن الاحنف فقال يهيم بحران الجزيرة
قلبه وفيها غزال فاتر الطرف ساحره يؤازره قلبي علي وليس لي يدان بمن قلبي علي يؤازره واشار
اليه ايضا في قوله قلبي الى ما ضرني داعي يكثر احزاني واوجاعي كيف احتراسي من عدوي اذا كان عدوي
بين اضلاعي واخذه سهل بن هرون الكاتب فقال اعان طرفي على جسمي واعضائي بنظرة وقفت
جسمي على دائي وكنت غرا بما يجني علي يدي لا علم لي ان بعضي بعض اعدائي وقال البحتري ولست
اعجب من عصيان قلبك لي يوما اذا كان قلبي فيك يعصيني وروى ابو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر
المازني قال قال لنا الاصمعي يوما ما احسن ما قيل في صفة امراة عجزاء خميصة فانشد قول الاعشى
صفر الوشاحين ملء الدرع بهكنة اذا تاتي يكاد الخصر ينخزل وانشد قول علقمة بن عبدة صفر
الوشاحين ملء الدرع خرعبة كانها رشا في البيت ملزوم وانشد قول ذي الرمة ترى خلفها
نصفا قناة قويمة ونصفا نقا يرتج او يتمرمر فقال ثم احسن ما قيل فيه قول ابي وجزة السعدي
ادماء في وضح يكاد رداؤها يهوي ويتبع ما احب ازارها قال ابو عكرمة ومثله قول الحرث بن
خالد المخزومي غرثان سمط وشاحها قلق وبان من ارادفها المرط واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد
ابن ابراهيم قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي قال لما مات محمد بن سليمان بن علي الهاشمي دخلت
على اخيه جعفر بن سليمان وقد جزع عليه جزعا شديدا ولم يطعم ثلاثا فانشدته لابن اذاكر الثقفي
لعمري لقد اتبعت عينك ما مضى من الدهر او ساق الحمام الى القبر لتستنفدن ماء الشؤون باسرها
ولو كنت تمريهن من ثبج البحر فقلت لعبد الله ازحر باكيا تعز وماء العين منهمر يجري تبين
فان كان البكا رد هالكا على احد فاجهد بكاك على عمرو ولا تبك ميتا بعد ميت احبه علي و
عباس وآل ابي بكر قال فامر فجيء بالطعام فاكل من ساعته قوله ازحر باكيا معناه ارفع صوته بالبكاء
وقال قوم الخنين بالخاء المعجمة من الانف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من كل واحد منهما و
اخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال سمعت الثوري يقول دخلنا
مع الاصمعي الى اسماعيل بن جعفر ليلة في حاجة فانشده الاصمعي ابيات ابي هرمة اتيناك من
حاجة ووسيلة لديك فقد تخطى لديك الوسائل ونذكر ودا شده الله بيننا على الدهر لم
تذهب لديه الغوائل فاقسم ما اكبا زنادك قادح ولا اكذبت فيك الرجاء القوابل ولا حجب

ساحر الطرف فاتره
اي مجتهد من قلبي
اي همراء
اي عليك

قوله تعالى خُلِقَ الانسانُ مِن عَجَلٍ الآية

ذا حاجة عنك علة ولا عاق حين اعاجلا منك اجل ولا لام فيك الباذل الوجه نفسه ولا
في الجود منك المماحل فلم يزد على هذه الابيات فقضى حاجته واجاب مسألته قال السيد المرتضى
قدس الله روحه وتشبه ان يكون ابن هرمة اخذ قوله ولا اكذب فيك الرجاء القوامل من قول الحزين
الكناني في زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام فلما تردى بالحمايل وانتشى يصول باطراف القنى
الذوابل تبينت الاعداء ان سنانه يطيل حنين الامهات الثواكل تبين فيه ميسم العز والتقى
وليدا يفدى بين ايدي القوابل واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال
حدثني محمد بن الحسن التلعي قال حدثنا ابو حاتم عن الاصمعي قال قال لي الرشيد يوما يا اصمعي اتعرف
للعرب اعتذارا افند من اعتذار النابغة فانه يجيج ويتعتذر فقلت ما اعرف ذلك الا لبشر بن ابي حازم
الاسدي فانه هجا اوس بن حارثة بن لام فاسره بعد ذلك واراد قتله فقالت له امه وكانت ذات راي في
لا محا هجا مالك الا مدحه اياك فعفا عنه فقال بشر اني على ما كان مني لنادم واني الى اوس بن لام لتائب
واني الى اوس ليقبل توبتي ويعرف ذي ما حييت لراغب فهب لي حياتي فالحياة لقائم بشكرك فيها
خير ما انت واهب سامحو بمدح فيك اذ انا صادق كتاب هجاء سار اذ انا كاذب فقال الرشيد للاصمعي
ان دولتي لتحسن بقائك فيها واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن
يعني ابن اخ الاصمعي عن عمه قال سمعت بيتين لم احفل بهما ثم قلتهما على حال خير من موضعهما من الكتاب
قال فاني عند الرشيد يوما وعنده عيسى بن جعفر فاقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور كم في بيت
مال السرور فقال ما فيه شيء فقال عيسى هذا بيت مال الحزن فاغتم لذلك الرشيد واقبل على عيسى
فقال والله ليعطين الاصمعي سلفا على بيت مال السرور الف دينار فوجم عيسى وانكسر فقلت في نفسي
جاء موضع البيتين فانشدت الرشيد اذا شئت ان تلقى اخاك معبسا وجداه في الماضين
كعب وحاتم فكشفه عما في يديه فانما تكشف اخبار الرجال الدراهم قال فتجلى عن الرشيد وقال
لمسرور اعطه على بيت مال السرور الفي دينار فاخذت الالفين وما كان البيتان يساويان عندي درهمين
مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى خلق الانسان من عجل سأريكم اياتي فلا تستعجلون الجواب
قيل له قد ذكر في هذه الاية وجوه من التاويل نحن نذكرها ونرجح الارجح منها فاولها ان يكون معنى
القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يؤثره من الامور لهج بالتسند
ما يجلب اليه نفعا او يدفع عنه ضررا ولهم عادة في استعمال مثل هذا اللفظ عند المبالغة كقولهم
لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلقت الا من نوم وما خلق فلان الا من شر اذا ارادوا كثرة وقوع الشر
منه وربما قالوا ما انت الا اكل وشرب وما اشبه ذلك قالت الخنساء تصف بقرة ترتع ما ان
حلا اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار وانما ارادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والادبار منها

ويشهد

ويشهد لهذا التاويل قوله عز وجل في موضع اخر وكان الانسان عجولا ويطابقه ايضا قوله تعالى فلا
تستعجلون لان وصفهم بكثرة العجلة وان من شانهم فعلها توبيخا لهم ونهاهم عن الاستعجال وفاديهم
الى التثبت والتاني وثانيها ما اجاب به ابو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من ان في الكلام قلبا
والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهد واعلى ذلك بقوله سبحانه وقد بلغني الكبر اي قد بلغت الكبر
وبقوله تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة والمعنى ان العصبة تنوء بها وبقول العرب
عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشعرى استوى العود على
الحرباء يريدون استوى الحرباء على العود ويقول الاعشى لمحقوقة ان تستجيبي لصوته وان تعلمي ان المعان
موفق يريد ان الموفق لمعان ويقول الاخر على العباذات هداجون قد بلغت نجران او بلغت سوآتهم
هجر والمعنى ان السوآت هي التي بلغت هجر ويقول خداش بن زهير وتركب خيل لا هوادة بينها وتشقى
الرماح بالضياطرة الحمر يريد الضياطرة بالرماح ويقول الاخر يمشي بها عوذ النعاج كانها
عذارى ملوك في بياض ثياب يريد في ثياب بيض ويقول الاخر حسرت كفي عن السربال اخذه
فردا يجر على ايدي المفيدينا يريد حسرت السربال عن كفي ويقول ابن احمر وجرد طار باطلها نسيلا
واحدث قومها شعرا قصارا اراد طار نسيلها باطلا ويقول الاخر وقسونة اكفاهم في قتيهم
اذا ما مشوا لا يعرفون من النشا اراد فيهم في اكتافهم ويقول الاخر وهن من الاخلاف والولعان
اي الاخلاف والولعان منهن ويتبقى على صاحب هذا الجواب مع التغاضي له عن حمل كلامه تعالى على
القلب ان يقال له وما المعنى والفائدة في قوله عز وجل خلق العجل من الانسان يريدون بذلك ان
الله تعالى خلق في الانسان العجلة وهذا لا يجوز لان العجلة فعل من افعال الانسان فكيف تكون مخلوقة
فيه لغيره ولو كان كذلك لما جاز ان ينهاهم عن الاستعجال في الاية فيقول سأريكم اياتي فلا تستعجلون
لانه لا ينهاهم عما خلقه فيهم فان قالوا لم يرد انه تعالى خلقها الكثرة واذا كثرة فعل الانسان لها وانه لا يزال
يستعملها قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب للتقديم والتاخير واذا كان هذا
يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا اليه وقد ذكر ابو القسم البلخي هذا الجواب واختاره وقوا
وسال نفسه عنه فقال كيف جاز ان يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة فيهم واجاب بانه قد اعطاهم
قدرة على مغالبة طبايعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعا عليها وهو مع ذلك مامور بالتثبت
قادر على ان يجانب العجلة وذلك كخلقه في البشر شهوة النكاح وامرهم في كثير من الاوقات بالامتناع
منه وهذا الذي ذكره البلخي تصريح بان المراد بالعجل غيره وهو الطبع الداعي اليه والشهوة المتناولة له
ويجب ايضا ان يكون المراد بمن هو منتف لان شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون فيه
وهذا تجوز على تجوز وتوسع على توسع لا ان القلب ولا مجاز ثم هو من بعيد المجاز وذكر العجل والمراد

مخلوقه

معنى العجل

بغير مجاز اخر واقامه من مقامه كذلك انه تعالى اذا نهاهم عن العجلة بقوله عز وجل فلا تستعجلون اي فمعنى
لتقديمه قوله اني خلقت شهوة العجلة فيهم او الطبع الداعي اليها علي ما عبر به البلخي وهذا الى ان يكون
عذرا لهم اقرب منه الى ان يكون حجة عليهم واليسر الاحوال ان لا يكون عذرا ولا احتجاجا فلا يكون
لتقديمه معنى وفي الجواب الاول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ او التقريع من غير اضافة
له اليه عز وجل فالجواب الاول اوضح واصح وثالثها جواب روي عن الحسن قال يعني بقوله من عجل اي
من ضعف وهي النطفة المهينة الضعيفة وهذا قريب ان كان في اللغة شاهد على ان العجل يكون عبارة
عن الضعف او عن معناه ورابعها ما حكي ان ابا الحسن الاخفش اجاب به وهو ان يكون المراد ان الانسان
خلق من تعجيل من الامر لانه تعالى قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان قيل كيف يطابق
هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون قلنا يمكن ان يكون وجه المطابقة انهم لما استعجلوا بالايات
واستبطاؤها اعلمهم تعالى انه ممن لا يعجزه شيء اذا اراده ولا يمتنع عليه وان من خلق الانسان بلا
كلفة ولا مؤنة بان قال له كن فكان مع ما فيه من بدايع الصنعة وعجايب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر
ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الايات وخامسها ما اجاب به بعضهم من ان العجل
الطين فكانه تعالى قال خلق الانسان من طين كما قال في موضع اخر وبدا خلق الانسان من طين واستشهد
بقول الشاعر والنبع يخرج بين الصخر ضاحية والنخل ينبت بين الماء والعجل ووجدنا قوما
يطعنون في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف ان العجل هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين
عن بعضهم ان العجل الحماة ولم يستشهد عليه الا ان البيت الذي انشدناه يمكن ان يكون شاهدا
له وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابي وخالف في شيء من الفاظه فرواه والنبع في الصخرة الصماء منبتة
والنخل ينبت بين الماء والعجل واذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى فلا تستعجلون
على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه اظهار ما استعجلوه
من الايات ويكون المعنى انه لا يجب لمن خلق من الطين المهين وكان اصله هذا الاصل الحقير الضعيف
ان يهزؤ برسل الله تعالى واياته وشرايعه لانه تعالى قال قبل هذه الاية واذا راك الذين كفروا
ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وسادسها ان يكون المراد بالانسان ادم عليه السلم
ومعنى من عجل اي في سرعة من خلقه لانه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره
وانما ابتدا الله تعالى ابتداء وانشاه انشاء فكانه تعالى نبه بذلك على الاية العجيبة في خلقه
له وانه عز وجل يري عباده من اياته وبيناته ما لا يقتضيه مصالحهم وليستدلوا بها على احوالهم
وسابعها ما روي عن مجاهد وغيره ان الله تعالى خلق ادم بعد خلق كل شيء اخر نهار يوم الجمعة على
سرعة معاجلا به غروب الشمس وروي ان ادم عليه السلم لما نفخ فيه الروح وبلغت الى جسده ولم

تبلغ

مسكين الدارمي

تبلغ اسافله قال رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وثامنها ما روي عن ابن عباس والسدي ان ادم عليه السلم
لما خلق وجعلت الروح في اكثر جسده وثب عجلان مبادرا الى ثمار الجنة وقال قوم بل هم بالوثوب
فهذا معنى قوله خلق الانسان من عجل فهذه الاجوبة الثلاثة المتاخرة مبنية على ان المراد بالانسان
فيها ادم عليه السلام دون غيره قال السيد المرتضى قدس الله روحه واني لاستحسن لمسكين الدارمي
قوله ازعجتها رب امور قد بريت لحاها وقومت من اصلابها ثم رشتها اتيم بدا الحزم ما لم اهن بها
فان خفت من دار هوانا تركتها واصلح حبل المال حتى تخالني سحيحا وان حق عراني اهنتها ولست
بولاج البيوت لفاقة ولكن اذا استغنيت عنها ولجتها ابيت عن الادلاج في الحي نايما وارض
بادلاج وهم قطعتها الا ايها الجار الذي سينحا وبارحا تعرض نفسا لو اشاء قتلتها تعارض فخر
الفاخرين بعصبة ولو وضعت لي في اناء اكلتها وان لنا ربعية المجد كلها مواريث اباء كرام
ورثتها اذا قصرت ايدي الرجال عن العلى مددت يدي باعا عليهم فنلتها ودلو دعا للعلى فاجبته
ودعوة باغ في الصديق خذلتها ومكرمة كانت غاية الذي فعليتها والذي فعلتها وعوراء
من قيل امرء ذي قرابة تصاممت عنها بعد ما قد سمعتها رجاء غدا ان تعطف الرحم بيننا ومظلمة
منه بجنبي عركتها اذا ما امور الناس رثت وضيعت وجدت اموري كلها قد رممتها واني بالقى
الله لم ادم حرة ولم تمنى يوم سر فجنتها ولا قاذف نفسي ونفسي بريئة وكيف اعتذاري
بعد ما قد قذفتها اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابو دريد القراطيسي قال حدثنا عبد
الله بن محمد بن ابي الدنيا عبد الرحمن بن صالح الازدي ان رجلا من الانصار حدثه قال قال مسكين
الدارمي ولست اذا ما سرني الدهر ضاحكا ولا خاشعا ما عشت من حادث الدهر ولا جاعلا عرضي لمالي
وقاية ولكن اقي عرضي فيحرز وفري اعف لدى عسري وابدي تجملي ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر
واني لاستحيي اذا كنت معسرا صديقي واخواني بان يعلموا فقري واقطع اخواني وما حال عهدهم
حياء واعراضا وما بي من كبر فان يك عار ما اتيت فربما اتى المرء يوم السوء من حيث لا يدري
ومن نفيقر يعلم مكان صديقه ومن يحي لا يعدم بلاء من الدهر ومن مستحسن قوله انا ادع مسكينا
فما فتنتهم فقد ربيوت الحي والحلب وقيل ان مسكينا اللقب باسمه وان اسمه ربيعة وانما سمي بذلك
لقوله وسميت مسكينا وكانت لجاجة واني لمسكين الى الله راغب ومعنى قصرت قلبي اي سترت يريد
انها بادرة لا يحجبها الستاير والحيطان ما مس رحلي العنكبوت ولا جدباته من وضعه غير هذه
كناية عن مواصلة السير وهجر الوطن لان العنكبوت انما تنسج على ما تطاول الامد ولا يكثر استعماله
والجدبات جمع على جدبة وهي باطن دفة الرحل لا اخذ الصبيان التمهم والامر قد يغري به الامر يقول
لا اقبل الصبي وانا اريد التعريض بامه ومثله لغيره ولا القى لذي الود عات سوطي لا لاعبه فاربيه

ادبه ✽ وانشد ابن الاعرابي امثله ✽ اذا رايت صبي القوم يلثمه ✽ ضخم المناكب لا عم ولا خال ✽ فاحفظ صبيك
منه ان يدنسه ✽ ولا يغرنك يوما قلة المال ✽ رجع الى تمام القصيدة ✽ ولرب امر قد تركت وما بهمي و
بين لقائه ستر ✽ ومخاصم قاومت في كبد ✽ مثل الدهان فكان لي العذر ✽ ما علتي قومي بنو عدس الغر
وهم الملوك وخالي البشر ✽ عمي زرارة غير منتحل ✽ وابي الذي حدثته عمرو ✽ في المجد غرته سامية
للناظرين كانها البدر ✽ لا ارهب الجيران غدرتنا ✽ حتى يوارى ذكرنا القبر ✽ لسنا كاقوام اذا كلحت
احدى السنين فجارهم تمر ✽ مولاهم لحم على وضم ✽ تنتابه العقبان والنسر ✽ ناري ونار الجار واحدة
واليه قبلي تنزل القدر ✽ يقال انه كانت له امراة تماضته فلما قال ذلك قالت له اجل انها ناره ونار
واحدة لانه اوقد ولم توقد والقدر تنزل اليه قبلك لانه طبخ ولم تطبخ وانشا يقول ✽ ما ضر جارا
ان اجاوره ان لا يكون لبيته ستر ✽ قال ويقال انها قالت له في هذا البيت ايضا اجل ان كان له ستر
هتكته ✽ اعمى اذا ما جارتي خرجت ✽ حتى يوارى جارتي الخدر ✽ ويصم عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر
وانشد عمرو بن شبة لمسكين ايضا ✽ لا تجعليني كاقوام علمتهم ✽ لم يظلموا النبي يوما ولا ودجا ✽ الى
لا غلاتهم باللحم قد علموا ✽ ان يأكلوا دخصهم باللحم ان نضجا ✽ يا ربة البيت قد فرجت بينهما ✽ اذا همات
في الصدر واعتلجا ✽ ادهم خلقي لمن دامت خليقته ✽ وامزج الحلو احيانا لمن مزجا ✽ واقطع الخرق بالخرقاء
لاهية ✽ اذا الكواكب كانت في الدجى سرجا ✽ ما انزل الله من امر فاكرهه ✽ الا سيجعل لي من بعده فرجا
ما مد قوم بايديهم الى شرف ✽ الا رأونا قياما فوقهم درجا ✽ وانشد ابو العباس ثعلب له
اضاحك ضيفي قبل انزال رحله ✽ ولم يلهني عنه غزال مقنع ✽ احدثه ان الحديث من القرى ✽ وتعلم
نفسي انه سوف يهجع ✽ اضاحك ضيفي قبل انزال رحله ✽ ويخصب عندي والمكان جديب ✽ وما
الخصب للاضياف بكثر القرى ✽ ولكنما وجه الكريم خصيب ✽ وروى ثعلب لحاق الضيف في البيت
بحيته ✽ ولم يلهني عنه غزال مقنع ✽ احدثه ان الحديث من القرى ✽ وتعلم نفسي انه سوف يهجع ✽ ومعنى
احدثه ان الحديث من القرى اي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا اعرض بمحادثته فاكون قد
قريت الحديث الحسن من تمام القرى ✽ وقال الاصمعي احسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي الا
ايها الغائر المستشيط ✽ علام تغار اذا لم تغر ✽ فما خير عرس اذا خفتها ✽ وما خير بيت اذا لم يزر
تغار على الناس ان ينظروا ✽ وهل يفتن الصالحات النظر ✽ فاني ساخلي لها بيتها ✽ فتحفظ لي نفسها او تذر
اذا الله لم يعطه ودها ✽ فلن يعطي الود سوط ممر ✽ ومن ذا يراعي له عرسه ✽ اذا ضمه والمطي السفر ✽ قال
وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله واني امرؤ لا آلف البيت قاعدا الى جنب
عرسي لا افرطها شبرا ✽ ولا مقسم لا ابرح الدهر بيتها ✽ لاجعله قبل الممات لها قبرا ✽ اذا هي
لم تحصن امام فنائها ✽ فليس يحيها بناني لها قصرا ✽ ولا حاملي ظني ولا قيل قائل ✽ على غائط حتى احيط

بها

بها خبرا ✽ فهيني امرأ اغيت ما دمت شاهدا ✽ فكيف اذا ما سرت من بيتها شهرا ✽ وانشد ابو العباس عن ابي
العيناء لمسكين ✽ ما احسن الغيرة في حينها ✽ واقبح الغيرة في كل حين ✽ من لم يزل متهما عرسه ✽ مناصبا
فيها لرجم الظنون ✽ يوشك ان يغريها بالذي ✽ يخاف او ينصبها للعيون ✽ حسبك من تحصينها ضمها ✽ منك
الى خلق كريم و دين ✽ لا تظهرن منك على عورة ✽ فيتبع المقرون حبل القرين

مجلس آخر ٧١ تاويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقال هل يسوغ ما تاول بعضهم هذه
الآية عليه من ان يوسف عليه السلام عزم على المعصية واردها وانه جلس مجلس الرجل من المرأة ثم
انصرف عن ذلك بان رأى صورة ابيه يعقوب عليه السلام عاضا على اصبعه متوعدا على مواقعة المعصية
او بان نودي بالنهي والزجر في الحال على ما ورد به الحديث الجواب قلنا اذا ثبتت بادلة العقل التي لا يدخلها
الاحتمال والمجاز ووجوه التاويلات ان المعاصي لا تجوز على الانبياء عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره
بخلاف ذلك من كتاب وسنة الى ما يطابق الادلة ويوافقها كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفا
لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه او لا يجوز ولهذه الآية وجوه من التاويل كل
واحد منها يقتضي نزاهة نبي الله من العزم على الفاحشة وارادة المعصية اولها ان الهم في ظاهر الآية متعلق
بما لا يصح ان يتعلق به العزم والارادة على الحقيقة لانه تعالى قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بهما و
ذاتاهما لا يجوز ان يرادا ويعزم عليهما لان الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلا بد من تقدير محذوف
يتعلق العزم به وقد يمكن ان يكون ما تعلق به همه عليه السلام انما هو ضربها او دفعها عن نفسه كما يقول
القائل قد كنت هممت بفلان وقد هم فلان بفلان اي بان يوقع به ضربا او مكروها فان قيل فاي معنى
لقوله تعالى لولا ان راى برهان ربه والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها قلنا يمكن ان
يكون الوجه في ذلك انه لما هم بدفعها وضربها اراه الله تعالى برهانا على انه ان اقدم على ما هم به اهلكه
اهلها او قتلوه او انها تدعي عليه المراودة على القبيح وتقذفه بانه دعاها اليه وان ضربه لها كان
لامتناعها فيظن به ذلك بعض من لا تامل له ولا علم بان مثله لا يجوز عليه فاخبر الله سبحانه بانه صرف
بالبرهان عنه السوء والفحشاء ويعني بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعان به لانهما يستحقان
الوصف بذلك من حيث القبح او يعني بالسوء والفحشاء ظنهم به ذلك فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب
لولا ان يتقدمها ويكون التقدير لولا ان راى برهان ربه لهم بضربها ودفعها وتقدم جواب لولا قبيح غير
مستقل او يقتضي ان يكون لولا بغير جواب قلنا اما تقدم جواب لولا فجائز وسنذكر ما فيه عند
الجواب المختص بذلك غير انا لا نحتاج اليه في هذا الجواب لان العزم على الضرب والهم به قد وقع الا انه انصرف
عنه بالبرهان والتقدير ولقد همت به وهم بدفعها لولا ان راى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في

الحقيقة محذوف وان الكلام يقتضيه كما حذف الجواب في قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله
رؤوف رحيم معناه ولولا فضل الله عليكم لهلكتم ومثله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم معناه
لو تعلمون علم اليقين لما تنافستم في الدنيا وتفاخرتم فيها وقال امرؤ القيس فلو انها نفس تموت سوية
ولكنها نفس تساقط انفسا اراد فلو انها نفس تموت سوية لانقضت وفنيت فحذف الجواب على
ان من تاول هذه الاية على الوجه الذي لا يليق بنبي الله واضاف العزم على المعصية اليه لا بد له من
تقدير جواب محذوف ويكون التقدير عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا ان راى برهان ربه لفعله
فان قيل قوله وهم بها كقوله همت به فلم جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بما ذكرتم من
الضرب وغيره قلنا اما الظاهر فلا يدل على ما تعلق به الهم والعزم فيهما جميعا وانما اثبتنا همها به
متعلقا بالقبيح لشهادة الكتاب والاثار به وهي ممن يجوز عليها فعل القبيح ولم يؤمن دليل من جوازه
عليها كما امن ذلك فيه عليه السلم والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى وقال نسوة في
المدينة امرات العزيز تراود فتيها عن نفسه الى قوله في ضلال مبين وقوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن
نفسه وقوله عز وجل حاكيا عنها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وفي موضع
اخر قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والاثار واردة باطباق مفسري
القران ومتاوليه على انها همت بالفاحشة والمعصية والوجه الثاني في تاويل الاية ان يحمل الكلام على
التقديم والتاخير ويكون تلخيصه ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها ويجري ذلك مجرى
قولهم قد هلكت لولا اني تداركتك وقتلت لولا اني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا
تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل قال الشاعر فلا يدعني قومي صريحا لحرة لئن كنت
مقتولا ويسلم عامر وقال اخر فلا يدعني قومي ليوم كريهة لئن لم اعجل ضربة او اعجل فقدم الجواب في
البيتين جميعا وقد استشهد عليه ايضا بقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم ان يضلوك والهم لم يقع لمكان فضل الله عز وجل ورحمته ومما يشهد لهذا التاويل ان في الكلام
شرطا وهو قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم ان يجعلوا
جواب لولا محذوفا مقدرا لان جعل جوابها موجودا اولى وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا
عليها قالوا ولو جاز ذلك لجاز قام زيد لولا عمرو وقصدتك لولا بكر وقد بينا بما اوردناه من
الامثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا والذي ذكروه لا يشبه ما اخترناه وقد يجوز ان يقول
القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدتك لولا ان صدني فلان وان لم يقع قيام ولا
قصد وهذا هو الذي يشبه الاية وليس تقديم الجواب بابعد من حذف جواب لولا وحذف جملة
الكلام اذا جاز عندهم الحذف لئلا يلزمهم تقديم الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف

اي جواب لولا

الجواب

والجواب الثالث ما اختاره ابو علي الجبائي وان كان غيره قد تقدم اليه معناه وهو ان يكون معنى همّ بها اشتهاها
ومال طبعه الى ما دعته اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة في مجاز اللغة هما كما يقول القائل فيما لا يشتهيه
ليس هذا من همي وهذا اهم الاشياء الي ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق القبيح
بتناول المشتهى وقد روي هذا التاويل عن الحسن البصري قال اما همها فكان اخبث الهم واما همه فما طبع
عليه الرجال من الشهوة للنساء ويجب على هذا الجواب ان يكون قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه متعلقا
بمحذوف كانه قال لولا ان راى برهان ربه لعزم او فعل والجواب الرابع ان من عادة العرب ان يسمى الشيء
باسم ما يقع في الاكثر عنده وعلى هذا لا ينكر ان يكون المراد بهم بها خطر بباله امرها ووسوس اليه الشيطان
بالدعاء اليها من غير ان يكون هناك هم او عزم فسمى الخطور بالبال هما من حيث كان الهم يقع في الاكثر
عنده والعزم في الاغلب يتبعه وانما ينكر ما ادعاه جهلة المفسرين ومخرقوا القصاص وقرفوا به نبي
الله عليه السلام لما في العقول من الادلة على ان مثل ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلم من حيث
كان منفرا عنهم وقادحا في الغرض المجرى اليه بارسالهم والقصة تشهد بذلك لانه قال كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء ومن اكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ثم الاخذ فيه والشروع في مقدماته و
قوله تعالى ايضا انه من عبادنا المخلصين يقتضي تنزيهه عن الهم بالزنا والعزم عليه وحكايته عن النسوة
قولهن حاش لله ما علمنا عليه من سوء تدل ايضا على برائته من القبيح فاما البرهان الذي راه فيحتمل
ان يكون لطفا لطفه الله له في تلك الحال او قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والتنزه عنها
ويحتمل ايضا ما ذكره ابو علي وهو ان يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك عليه وعلى ان من
فعله استحق العقاب وليس يجوز ان يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤيته صورة ابيه يعقوب عليه السلم
متوعدا له او النداء له بالزجر والتخويف لان ذلك ينافي المحنة وينقض الغرض بالتكليف ويقتضي ان لا
يستحق على امتناعه وانزجاره مدحا ولا ثوابا وهذا سوء ثناء على الانبياء عليهم السلم واقدام على
قرفهم بما لم يكن منهم ونحمد الله على حسن التوفيق روى احمد بن عبيد الله بن العباس الصولي الملقب
بطماس قال كنت يوما عند عمي ابرهيم بن العباس فدخل اليه رجل فرفعه حتى جلس الى جانبه او قريبا
من ذلك ثم حادثه الى ان قال له عمي يا ابا تمام ومن بقي ممن يعتصم به ويلجا اليه فقال انت لا عدمت
وكان ابرهيم طويلا انت في الله كما قيل * يمد نجاد السيف حتى كانه * باعلى سنامي فالج يتطوح *
ويدلج في حاجات من هو نائم * ويوري كريمات الندى حين يقدح * اذا اعتم بالبرد اليماني خلته
هلالا بدا في جانب الافق يلمح * يزيد على فضل الرجال فضيلة * ويقصر عنه مدح من يتمدح
فقال له ابرهيم انت تحسن قائلا وراويا ومتمثلا فلما خرج تبعته وقلت له اكتبني الابيات فقال
هي لابي الجويرية العبدي فخذها من شعره وروي عن يحيى البحتري قال رايت ابي يذاكر جماعة من امراء

اي التكليف

اشعار لدعبل

اهل الشام بمعان من الشعر فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فانشدوا انشادات كثيرة فقال لهم ابي قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال احسب النوم حكاكا اذ راى منك جفاكا منك الصبر ومنك الهجر فابلغ بي مداكا لعدت همة عين طمعت ان تراكا او ما حظ لعيني ان ترى من قد راكا ليت حظي منك ان تعلم ما بي من هواكا قال ابي انه تصرف في معان من الشعر في هذه الابيات قال فكتبها عنه جماعة من حضر والابيات لابرهيم بن العباس الصولي واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال لما بايع المامون لعلي بن موسى الرضا عليهما السلم بالعهد امر الناس بلبس الخضرة صار اليه دعبل بن علي وابرهيم بن العباس الصولي وكانا صديقين لا يفترقان فانشد دعبل مدارس ايات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات وانشد ابرهيم بن العباس على مذهبها قصيدة اولها ازالت عزاء القلب بعد التجلد مصارع اولاد النبي محمد قال فوهب لهما عشرين الف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان المامون امر بضربها في ذلك الوقت فاما دعبل فصار بالشطر منها الى قم فاشترى اهلها منه كل درهم بعشرة دراهم فباع حصته بمائة الف درهم واما ابرهيم فلم تزل عنده بعضها الى ان مات قال الصولي ولم اقف على قصيدة ابرهيم على اكثر من هذا البيت قال وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثنيه ابو العباس صديقا لاسحق ابن ابرهيم اخي زيدان الكاتب المعروف بالزمن فانتسخ شعره في علي بن موسى الرضا عليهما السلم وقد انصرف من خراسان ودفع اليه شيئا بخطه منه وله كانت النسخة عنده الى ان ولي المتوكل وولي ابرهيم بن العباس ديوان الضياع وقد كان تباعد ما بينه وبين اخي زيدان فعزله عن ضياع كانت في يده بحلوان وغيرها وطالبه بمال والح عليه واساء مطالبته فدعا اسحق بعض من يثق به من اخوانه وقال له امض الى ابرهيم بن العباس فاعلمه ان شعره في علي بن موسى الرضا بخطه عندي وبغير خطه والله لئن استمر على ظلمي ولم يزل على المطالبة لاوصلن الشعر الى المتوكل قال فصار الرجل الى ابرهيم بن العباس فاخبره بذلك فاضطرب اضطرابا شديدا وجعل الامر في ذلك الى الواسطة حتى اسقط جميع ما كان طالبه به واخذ الشعر منه واحلفه انه لم يبق عنده منه شيء فلما حصل عنده احرقه بحضرته وذكر ابو احمد يحيى بن علي المنجم ان اباه علي بن يحيى كان الواسطة بينهما قال الصولي وما عرفت من شعر ابرهيم في هذا المعنى شيئا الا ابياتا وجدتها بخط ابي قال انشدني اخي لعمه في علي بن موسى الرضا عليهما السلم من قصيدة كفى بفعال امرئ عالم على اهله عادلا شاهدا ارى لهم طارفا موثقا ولا يشبه الطارف التالدا يمن عليكم باموالكم وتعطون من مائة واحدا فلا حمد الله مستنصرا يكون لاعدائكم حامدا فضلت قسيمك في قعدد كما فضل الوالد الوالدا قال الصولي نظرت في قوله فضلت قسيمك في قعدد فوجدت علي بن موسى والمامون متساويين في قعدد النسب في هاشم التاسع من اباهما

وروى الصولي ان منتخبا انشد ابرهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال قال فنكت بقلمه ساعة ثم قال ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها مخرج كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج فعجب من جودة بديهته واخبرنا ابو الحسن علي بن محمد قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني العنبري اسمعيل ابو ذكوان قال كنت بالاهواز ايام الواثق وابرهيم بن العباس يلي معونتها وخراجها فوصفت له بالادب فلزم احضاري فلما دخلت عليه قربني من مجلسه وقال لا تتكلف لنا الطاولة فانا لا نستمتع الا بتمام الانس فانبسطت حتى سالنا عن الاشعار فما رايت احدا قط اعلم بالشعر منه فقال لي ما عندك في قول النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب فقلت اراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن في الشعر خبث وهو انه اعتذر الى النعمان من ذهابه الى الجفنة الى الشام وقال انما فعلت لهم هذا لجفائك بي فاذا اصلحت لي لم اردد غيرك كما ان من اضاءت له الشمس لم يحتج الى ضوء الكوكب فاني بعينين هذا وتفضيله فاستحسنت ذلك منه وكان ابرهيم بن العباس من اصدق الناس لاحمد بن ابي دواد فعتب على ابنه ابي الوليد من شيء قدمه ومدح اباه واحسن في التخلص كل الاحسان فقال عفت مساويك منك واضحة على محاسن بقاها ابوك لكا لئن تقدمت ابناء الكرام به لقد تقدم ابناء اللئام بكا ولابرهيم ايضا تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا ويصدع قلبي ان يهب هبوبها قريبة عهد بالحبيب وانما هوى كل نفس حيث كان حبيبها تطلع من نفسي اليك نوازع عوارف ان اليأس منك نصيبها واخذ هذا من قول ذي الرمة اذا هبت الارواح من نحو جانب به ال مي هاج شوقي هبوبها هوى تذرف العينان منه وانما هوى كل نفس حيث كان حبيبها ولابرهيم ايضا دنت باناس عن تناء زيارة وشط بليلى عن دنو مزارها وان مقيمات بمنعرج اللوى لاقرب من ليلى وهاتيك دارها وروى البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات واخذ ذلك من قول النظار الفقعسي يقولون هذا ام عمرو قريبة دنت بك ارض نحوها وسماء الا انما بعد الحبيب وقربه اذا هو لم يوصل اليك سواء ووجدت بعض اهل الادب يظن ان ابرهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى في قوله كن كيف شئت وانى تشاء وابرق يمينا وارعد شمالا نجا بك لومك منجى الذباب حمته مقاذيره ان ينالا حتى رايت مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى واحسن غاية الاحسان فقال اما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل فاذهب فانت طليق عرضك انه عرض عززت به وانت ذليل

مجلس آخر

تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فقال اذا كانت المحبة عندكم هي الارادة فهذا تصريح من يوسف عليه السلم بارادة المعصية لان حبسه في السجن وقطعه عن التصرف معصية

من فاعله وقبح من المقدم عليه وهو في القبح يجري مجرى ما دعى اليه من الزنا وقوله من تعبّدٍ والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن يدل على امتناعه من القبيح مشروط بمنعهم وصرفهم عن كيده وهذا بخلاف تبعتهن وصرفهن
مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه صرف النبوة عن كيده اولم يصرفهن **الجواب**
قلنا اما قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه ففيه وجهان من التاويل احدهما ان المحبة متعلقة في ظاهر
الكلام بما لا يصح على الحقيقة ان يكون محبوبا مرادا لان السجن انما هو الجسم نفسه والاجسام لا يجوز
ان يريدها وانما يريد الفعل فيها والمتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الافعال وحده
فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي تقع عليها فادخال القوم يوسف في الحبس و
اكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته والمشاق التي تنال باستيطانه
طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظالما لو اكره مؤمنا على ملازمته بعض المواضع وترك التصرف في
غيره لكان فعل المكره حسنا وان كان فعل المكره قبيحا وهذه الجملة تبين انه لا ظاهر للاية يقتضي للاية
ما ظنوه وانه لا بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن فليس لهم ان يقدروا ما يرجع الى الحابس عنوه
من الافعال الا ولنا ان نقدر ما يرجع الى المحبوس واذا احتمل الكلام الامرين وقد دل الدليل على
ان النبي لا يجوز ان يريد المعاصي والقبائح اختص المقدر المحذوف بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك
لا لوم على مريده ومحبه فان قيل كيف يجوز ان يقول السجن احب الي مما يدعونني اليه وهو لا يحب يقع
ما دعوه اليه جملة ومن شان مثل هذه اللفظة ان تدخل بين ما وقع اشتراك في معناها وان فضل
البعض على البعض قلنا قد تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع وان لم يكن في معناها اشتراك على
الحقيقة الا ترى ان من خير بين ما يحبه وما يكرهه جاز ان يقول هذا احب الي من هذا وان لم يحبه مبتدئا
ان يقول من غير ان يخير هذا احب الي من هذا اذا كان لا يحب احدهما جملة وانما يسوغ ذلك على احد
الوجهين دون الاخر من حيث كان المخير بين الشيئين لا يخير بينهما الا وهما مرادان له او مما يصح ان
يريدهما فموضع التخيير يقتضي ذلك وان حصل فيما ليس هذه صورته والمجيب على هذا متى قال كذا احب الي عن هذا
من كذا كان مجيبا على ما يقتضيه موضع التخيير وان لم يكن الامران على الحقيقة يشتركان في تناول محبته
ومما يقارب ذلك قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون ونحن نعلم انه لا خير في
العقاب وانما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار المعاصي على الطاعات وانهم لاعتقادهم
لاعتقادهم ان فيها خيرا او نفعا فقيل اذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه ام كذا وكذا وقد قال قوم
في قوله تعالى اذلك خير ام جنة الخلد انما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة وان لم يشتركا
في الخير والنفع كما قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومثل هذا قد ياتي في
قوله تعالى رب السجن احب الي لان الامرين يعني المعصية ودخول السجن مشتركان في ان لكل واحد

منها

من تتبع المشمعة يشمع الله به   روى عن النبي

منهما داعيا وعليه باعثا وان لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكا في المحبة
من نفسهما واجرى اللفظ على ذلك ومن قرا هذه الاية بفتح السين فالتاويل ايضا ما ذكرناه لان السجن
المصدر فيحتمل ان يريد ان سجنهم لي بنفسي وضربي على جنبهم احب الي من مواقعة المعصية ولا يرجع بالتجن
الى فعلهم بل الى فعله والوجه الثاني ان يكون معنى احب الي اي اهون علي واسهل علي وهذا كما
يقال لاحد ناقي الامرين يكرههما معا ان فعلت كذا والا فعلت بك كذا فيقول بل كذا احب الي بمعنى
اسهل واخف وان كان لا يريد واحدا منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع ان يكون انما عنى فعلهم به دون
فعله لانه لا يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الارادة وانما وضع احب موضع اخف والمعصية قد تكون
اخف واهون من اخرى فاما قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن فليس المعنى ما ظنه السائل بل
المراد متى لم تلطف لي بما يدعو الى مجانبة المعصية ويدعو الى تركها ومفارقتها صبوت منه وهذا
عليه السلام على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والتسليم لامره وانه لولا معونته ولطفه ما نجا من
كيدهن ولا شبهة في ان النبي عليه السلام انما يكون معصوما عن القبائح بعصمته تعالى له ولطفه
وتوفيقه فان قيل الظاهر خلاف ذلك لانه قال والا تصرف عني كيدهن فيجب ان يكون المراد ما يمنعهم من
الكيد ويدفعه والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد والانصراف عنه
قلنا معنى الكلام والانصراف عني ضرر كيدهن والغرض به لانهن انما اجرين كيدهن الى مساعدتهن
لهن على المعصية فاذا عصم منها ولطف له في الانصراف عنها فكان الكيد قد انصرف عنه ولم يقع به
من حيث لم يقع ضرره وما اجري به اليه ولهذا يقال لمن اجرى بكلامه الى غرض لم يقع ما قلت شيئا
ولمن فعل ما لا تاثير له ما فعلت شيئا وهذا بين بحمد الله ومنه **تاويل خبر** ان سال سائل
عن تاويل الخبر الذي يرويه عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في خطبة
طويلة من تتبع المشمعة يشمع الله به **الجواب** ان المشمعة هي الضحك والمزاح واللعب يقال شمع الرجل بروضته
يشمع شموعا والمراة شموع اذا كانت كثيرة المزاح والضحك قال ابو ذويب يصف الحمير بعراد
فبعن سفاها وابل ؛ واه فاتجم برهبة لا تقلع فلبثن حينا يعتلجن بروضه فيجد حينا في العلاج
ويشمع اراد ان الحمار الذي وصف حاله مع الاتن ولعبه معهن في بعض الفيعان يعارك بعض الاتن و
معنى يعتلجن يعاض بعضها بعضا ويرايحن من النشاط فيجد الفحل معهن مرة واخرى ياخذ معهن في
اللعب فيشمع وفي يجد لغتان يجد ويجد والضم اولى لغة هذيل ويقال فلان جاد ومجد على
اللغتين معا وقيل ان معنى يشمع في الحمار انه يحشم ثم يرفع راسه فيكشر عن اسنانه فجعل له ذلك
بمنزلة الضحك قال الشماخ ؛ ولو اني اشاء كننت نفسي ؛ الى لبات بهكنة شموع وقال المتنخل الهذلي
ولا والله نادي الحي ضيفي ؛ هدوا بالمساءة والعلاط ؛ سابدؤهم بمشمعة واثني ؛ بجهدي من طعام

او بساط اراد بقوله نادى الحى ضيفى اى لا ينادونه من الندآء بالسوء وبالمكروه ولا يتلقونه الا بما
يؤثر والعلاط من اعلطه واعتلط به اذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر واصله من علاط البعير
وهو وسم فى عنقه وقيل ان المعنى نادى الحى من الندا اى لا يجالسونه فى المكروه والسوء ومعنى
ساندهم بمجمع اى ملعب وضحك لان ذلك من علامات الكرم والسرور بالضيف والقصد الى
ايناسه وبسطه ومنه قول الاخر وضيف طرق الحى سرى صادف زادا وحديثا ما اشتهى
ان الحديث جانب من القرى ، وروى الاصمعى عن خلف الاحمر قال سنة الاعراب انهم اذا حل بهم
الرجل الغريب فهشوا اليه وتطلقوا نحوه ايقن بالقرى واذا اعرضوا عنه عرف الحرمان ومعنى اتبع بجهد
من طعام او بساط اى اتبع ذلك بهذا ومعنى الخبر على هذا ان من شانه العبث بالناس والاستهزاء
بهم والضحك منهم اصاره الله تعالى الى حالة يعبث به فيها ويستهزء منه ويقارب هذا الحديث
من وجه حديث اخر وهو ما روى عنه صلى الله عليه وآله من يسمع الناس بعمله يسمع الله به والمعنى
من يرائى باعماله ويظهرها تشبيها الى الناس واتخاذا للمنازل عندهم يشهره الله تعالى بالرياء ويفضحه
ويهتك ستره ويمكن ايضا فى الخبر الاول وجه اخر لم يذكر فيه وهو ان من عادة العرب ان يسموا الجزاء على الشئ
باسمه ولذلك نظاير فى القرآن واشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر ان يكون المعنى من تتبع
اللهو من الناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله ويجازيه على ذلك به فسمى الجزاء على الفعل باسمه وهذا
الوجه ايضا ممكن فى الخبر الثانى اخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا
عبد الرحمن اخى الاصمعى عن عمه قال انى لفى سوق ضرية وقد نزلت على رجل من بنى كلاب كان
متزوجا بالبصرة وكان له ابن بضرية اذ اقبلت عجوز على ناقة لها حسنة البزة فيها بقايا من جمال فاناخت
وعقلت ناقتها واقبلت تتوكأ على محجن لها فجلست قريبا منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابى
ايحضرك شئ قال لا فانشدتها شعر البشر بن عبد الرحمن الانصارى وقصيرة الايام ود جليسها
لو باع مجلسها بفقد حميم من محذيات اخى الهوى غصص الجوى بدلال غانية ومقلة ريم
صفراء من بقر الجواء كانما خفر الحياء بها رداع سقيم قال فجثت على ركبتيها واقبلت تخرش
الارض بمحجنها وانشات تقول فنحن يا اميم القلب نقر الجنة ونشكو الهوى ثم افعلى ما بدا
لك فلو قلت طأ فى النار اعلم انه هوى لك او مدن لنا من وصالك لقدمت رجلى نحوها
فوطئتها هدى منك لى او ضلة من ضلالك سل البانة العلياء من الاجرع الذى به البان
لو كلمت اطلال دارك وهل قمت فى اظلالهن عشية مقام اخى البأساء قيام سقيم القلب لخترت ذلك ليهنك
امساكى بكفى على الحشا ورقراق دمعى رهبة من زيالك لئن ساءنى ان نلتنى بمساءة لقد
سرنى انى خطرت ببالك قال الاصمعى فاظلمت والله على الدنيا لحلاوة منطقها وفصاحة لهجتها

طرف
انهم
من براءى

فدنوت منها فقلت انشدتك الله لما زودتنى من هذا فرايت الضحك فى عينيها وانشدت ومستخفيات
ليس يخفين زورنا يجبن اذا ما الصبابة والشكل جمعن الهوى حتى اذا ما ملكنه نزعن وقد اكثر
فينا من القتل مريضات رجع القول خرس من الخنا تالفن اهواء القلوب بلا بذل مواثق
من حبل الحب عواطف يختلن ذوى الالباب بالجد والهزل يعنفنى العذال فيهن والهوى يحذرنى
من ان اطيع ذوى العذل قال السيد المرتضى قدس الله روحه اما قول الانصارى وقصيرة الايام
فاراد بذلك ان السرور بمكاملتها ومحضرها لحسنها وطيب حديثها فقصر ايام جليسها لان ايام
السرور موصوفة بالقصر ويمكن ان يريد بقصيرة الايام ايضا حداثة سنها وقرب عهد مولدها او
ان كان الاول اشبه بما اتى فى اخر البيت ومعنى لو باع مجلسها بفقد حميم اى ابتاعه وهذا اللفظ من
الاضداد لانه يستعمل فى البايع والمشترى قال الفراء سمعت اعرابيا يقول بع لى تمرا بدرهم اى اشتر لى تمرا
بدرهم وقال الشاعر فباع لنا ليثا اذ خال نجيناه ويحيك باع الود لى منك تاجرا اى ابتاع وقوله
من محذيات اخى الهوى اى معطيات يقال احذيت الرجل العطية او الغنيمة احذيه احذاء اذا اعطيته
والاسم الحذية والحذوة والحذيا بكل ذلك العطية وقوله كانما خفر الحياء بها رداع سقيم فالرداع
هو الوجع فى الجسد فاراد انها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم او يريد تغير لونها وصفرته من
الحياء كما يتغير لون السقيم ويجرى ذلك مجرى قول الاخيلية وتخرق منه القمص تخالة بين البيوت
من الحياء سقيما اخبرنى المرزبانى قال حدثنا ابو عبد الله الحكيمى قال اخبرنا ميمون بن هارون الكاتب
قال حدثنى ابن اخى الاصمعى عن عمه قال لقيت اعرابيا بالبادية فاسترشدته الى مكان فارشدنى وانشدنى
ليس العمى طول السؤال وانما تمام العمى طول السكوت على الجهل ثم رجعت الى البصرة فمكثت بها حينا
ثم قدمت البادية فاذا انا بالاعرابى جالسا بين ظهرانى قوم وهو يقضى بينهم فما رايت قضية اخطات
قضيته الصالحين من قضيته فجلست اليه فقلت يرحمك الله اما من رشوة اما من هدية اما من صلة فقال
لا اذا جاء هذا ذهب التوفيق فشكوت اليه ما القى من عذل حليلتى اياى فى طلب المعيشة فقال
لست منها بواحد وانى لشريكك لقد قلت فى ذلك شعرا فقلت انشدنيه فانشدنى باتت تعيرنى
الاقتار والعدما لما رات لاخيها المال والخدما عنفت لرايك ما الارزاق من جلد ولا من العجز
بل مقسومة قسما يا امة الله انى لم ادع طلبا للرزق قد علمت الشرق والشاما وكل ذلك بالاجمال
فى طلب لم ارد عرضا ولم اسفك لذلك دما لو كان من جلد ذا المال والادب لكنت اكثر من يملى
القرى نعما ارضى من العيش ما لم يحوجنى معه ان تقتحى لسؤال الاغنياء فما واستشعر الصبر على الله
خالقنا يوما سيكشف عنا الفقر والعدما لا تحوجنى الى ما لو بذلت له نفسى لاعقبك التهمام
والندما تالله سرك ان الله خولنى ما كان خوله الاعراب والعجما ما سرنى انى خولت ذاك ولا

زودینی زودتنی
ابو عبد الله

حاجتي اقد ان لا اقول البَاغي حاجتي نعما، واني لم اخن عقلا ولا ادبا، ولم ارثه الدهر مجدا ولا كرما، معترة
المال المراجز بي من معاشك من، امرئ يجر عليك الهم والالما، قال فواللّه ما انشدتها حتى حلفت ان لا
تعذلني ابدا حدثنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي
عن عمه قال رايت بقباء شابا من بني عامر ما رايت ابلغ ولا افصح منه ولا اظرف فواللّه لكانه
شواظ يتلظى فاستنشدته فانشد فلم انسكم يوم اللوى اذ تعرضت، لنا ام طفل خاذل لا
قد تخلت، وقالت سانسيك العشية ما مضى، واصرف عنك النفس عما اجنت، فما فعلت لا والذي
انا عبده، على ما بدا من حسنها اذ دلت، ابت سابقات الحب لا مقرها، اليك وما تثني اذا ما
استقرت، هواك الذي في النفس امسى حليها، عليه انطوت احشاؤها واستمرت، وانشدني ايضا
ديار للتي طرفتك وهنا، بريا روضة وذكاء رند، تنايليني واصحابي هجود، وتثني عطفها من غير صد
فلما ان شكوت الحب قالت، فاني فوق وجدك كان وجدي، ولكن حال دونك ذو شذاة، اخاف بعقده
وبتر عقده، وبهذا الاسناد عن الاصمعي قال تحدثت الى اعرابي يقال له اسماعيل بن عمار واذا هو يفتل
اصابعه ويتلهف فقلت له علام تتلهف فانشا يقول عيني مشؤومتان ويحهما، والقلب حيران
مبتلى بهما، عرفتا الهوى بظلمهما، يا ليتني قبل ما عدتهما، هما الى الحين قادتاه وهما، دلا على ما اجن
دمعهما، ساعد القلب في هواهما، سبب هذا البلاء غيرهما، وبهذا الاسناد قال الاصمعي قال
نزلت ذات ليلة في وادي بني العنبر وهو اذ ذاك مغان باهله اي مملوء فاذا فتية يريدون البصرة
فاحببت صحبتهم فاقمت ليلتي تلك عليهم واني لو صبت محموم اخاف ان لا استمسك على راحلتي فلما
قاموا ليرحلوا ايقظوني فلما ارادوا ان يرحلوا لي وحملوني وركب احدهم ورأى ما بي فلما
استرينا ودنا الا فتى يحدو بنا او ينشدنا فاذا منشد في سواد الليل بصوت ندي حزين ينشد
لعمرك اني يوم بانوا فلم امت، خفاتا على اثارهم لصبور، غداة المنقى اذ رميت بنظرة، ونحن على متن الطريق
نسير، فقلت لقلبي حين خفت به الهوى، وكاد من الوجد المبرح يطير، فهذا ولما تمض للبين ليلة،
فكيف اذا مرت عليه شهور، واصبح علام الاحبة دونها، من الارض غول نازح ومسير، واصبح
نجد الهوى منهم النوى، اذ بدا شيئا فان يحن بعير، عسى اللّه بعد النأي ان يسعف النوى ويجمع
شمل بعدها وسرور قال فنكشت فقلت للّه الحي ما احسن ما هذا فقلت لو دعي انزل رحمك اللّه الى
فاني مما بك وجزاك اللّه عن الصحبة خيرا اخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثني
بعض اصحابنا عن الاصمعي قال كان بالبصرة اعرابي من بني تميم يطفل على الناس فعاتبته على ذلك
فقال واللّه ما بنيت المنازل الا لتدخل ولا وضع الطعام الا ليؤكل وما قدمت هدية فاتوقع
رسولا ولا اكره ان اكون ثقيلا على من اراه شحيحا بخيلا اقتحم عليه مستأنسا واضحك ان رايته

تاويل وَنادى نوح ربّه فقال الاية

غاضبا فاكل مرغما وادع بغمه وما اخترق اللهوات طعام اطيب من طعام لا ينفق فيه درهم ولا يعنى
اليه خادم ثم انشد كل يوم ادور في عرصة الحي، اشم القتار شم الذباب، فاذا ما رايت اثار عرس
او ختان او مجمع لاصحاب، لم اروع دون التقحم لا، ادهب دفعا ولكزة البواب، مستهينا بما هجمت عليه
غير مستاذن ولا هياب، فتراني القى بالرغم منهم، كلما قدموه لقم العقاب، ذاك ادنى من التكلف والغرم
وغيظ البقال والقصاب مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب
ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا
تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فقال ظاهر قوله تعالى انه ليس من اهلك
يقتضي تكذيب قوله ان ابني من اهلي والنبي لا يجوز عليه الكذب فما الوجه في ذلك وكيف يصح ان يخبر عن ابنه
بانه عمل غير صالح وما المراد به الجواب قلنا في هذه الاية وجوه اولها ان يكون نفيه لان يكون من اهله لم
يتناول نفي النسب وانما نفى ان يكون من اهله الذين وعده اللّه بنجاتهم لانه عز وجل كان وعد نوحا
بان ينجي اهله الا ترى الى قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول
فاستثنى من اهله من اراد اهلاكه بالغرق ويدل عليه ايضا قول نوح عليه السلام ان ابني من اهلي
وان وعدك الحق وعلى هذا الوجه تتطابق الاخبار ولا تتنافيان وقد روي هذا التاويل بعينه عن ابن
عباس وجماعة من المفسرين والجواب الثاني ان يكون المراد بقوله تعالى ليس من اهلك انه ليس على دينك
واراد انه كان كافرا مخالفا لابيه فكان كفره اخرجه عن ان يكون له احكام اهله ويشهد لهذا التاويل
قوله عز وجل على طريق التعليل انه عمل غير صالح فبين انه انما خرج من احكام اهله لكفره وسوء
عمله وقد روي هذا الوجه ايضا عن جماعة من المفسرين وحكي عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح فسبح
طويلا ثم قال لا اله الا اللّه يقول اللّه ونادى نوح ابنه وتقول ليس منه ولكنه خالفه في العمل فليس منه
من لم يؤمن وروي عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكن كان مخالفا له في النية والعمل فمن ثم قيل انه ليس من
اهلك والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام انه ابني على
ظاهر الامر فاعلمه اللّه تعالى ان الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امراته وليس في ذلك تكذيب
لخبره لانه انما خبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعي فاخبره اللّه تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد
روي هذا الوجه عن الحسن وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه لعمر اللّه ما هو
ابنه قال قلت يا ابا سعيد يقول اللّه ونادى نوح ابنه وتقول ليس بابنه قال افرايت قوله ليس من
اهلك قال قلت معناه ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم معك ولا يختلف اهل الكتاب انه
ابنه فقال اهل الكتاب يكذبون وروي عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك وهذا الوجه بعيد اذ فيه
منافاة للقران لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه فاطلق عليه اسم النبوة ولانه ايضا استثناه من جملة اهله

بقوله تعالى واهلك الا من سبق عليه القول ولان الانبياء عليهم السلم يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتغض من القدر وقد جنب الله انبياءه عليهم السلم ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيرا ونفيا لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تاول قوله تعالى في امراة نوح وامراة لوط فخانتاهما على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت احداهما تخبر الناس بانه مجنون والاخرى تدل على الاضياف والمعتمد في تاويل الاية هو الوجهان المتقدمان فاما قوله تعالى انه عمل غير صالح فالقراءة المشهورة بالرفع وقد روى عن جماعة من المتقدمين انهم قرأوا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه فاما الوجه في الرفع فيكون على تقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح وصاحب عمل غير صالح فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء

ما ام سقب على بو تطيف به ۞ قد ساعدتها على التحنان اظار
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت ۞ فانما هي اقبال وادبار

اراد انما هي ذات اقبال وادبار وقال قوم ان المعنى اصل ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس بابنك على الحقيقة عمل غير صالح يعني الخيانة من امراته وهذا جواب من ذهب الى انه لم يكن ابنه على الحقيقة والذي اخترناه خلاف ذلك وقال آخرون ان الهاء في قوله عز وجل انه عمل غير صالح راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح دليل السؤال والرغبة في قوله رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق ومعنى ذلك اي نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ان ذلك صغيرة من النبي لان الصغائر تجوز عليهم ومن يمتنع ان يقع على الانبياء شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة الى السؤال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم فاذا قيل له فلم قال فلا تسألن ما ليس لك به علم وكيف قال نوح عليه السلم من بعد رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قال لا يمتنع ان يكون نهي عن سؤال ما ليس له به علم وان لم يقع منه وان يكون تعوذ من ذلك وان لم يوقعه الا ترى ان الله قد نهى نبيه عن الشرك والكفر وان لم يكن ذلك قد وقع منه فقال لئن اشركت ليحبطن عملك كذلك لا يمتنع ان يكون نهاه في هذا الموضع عما لم يقع منه ويكون عليه السلم انما سأل نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء فاما القراءة بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب ان يقال انه عمل عملا غير صالح لان العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عملا غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لان من مذهبهم اظهار الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولا حسنا وقال عمر بن ابي ربيعة المخزومي

ايها القائل غير الصواب ۞ اخر النصح واقلل عتابي

وقال ايضا

وكم من قتيل ما يباء به دم ۞ ومن غلق رهنا اذا لفه منى
ومن مالئ عينيه من شيء غيره ۞ اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

اراد وكم انسان قتيل وانشد ابو عبيدة لرجل من بجيلة

كم من ضعيف العقل منتكث القوى ۞ ما ان له نقض ولا ابرام
مالت له الدنيا عليه باسرها ۞ فعليه من ورق لها ركام
ومشيج جلد بازل حازم ۞ مر يريع فيها يوم مرام
اعمى عليه سبيله فكانه ۞ فيما يحاول له عليه حرام

اراد كم انسان ضعيف القوى اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن العباس قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثنا اسحاق بن ابرهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر يميل الى الاصمعي ويفضله ويقوم بامره قال فجئته يوما اسد بوت محمد وعنده عبد كان لمحمد اسود وقد ترك الناس واقبل عليه يداعبه ويحتفي به وحادثه فلما خرج لمته على ذلك فقلت من هذا حتى افنيت عمرك يومك به فقال هذا غلام ابن منصور ثم انشدني وقالوا يا جميل اتى اخوها فقلت اتى الحبيب اخو الحبيب

احبك ان نزلت جبال حسمى ۞ وان ناسبت بثنة من قريب

فقلت له وكنت افعل هذا كثيرا به لا ستخرج كلامه غلطت يا ابا سعيد ذاك اخوها وهذا غلام مها فضحك وقال انشدنا ابو عمرو وقال غيره

ارى كل ذي ود لمن هو واده ۞ وان خلت ... لها ... بسلك ...

وانشدنا ابو عمرو... ذئاب لقضا حنت الى ذئابها

قال فجعلت اعجب من قرب الشعر منه من قلبه وجابه حفظه له على ارادة وهذا الاسناد عن اسحق الموصلي قال قرات على الاصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت

امن اجل اعرابية حل اهلها ۞ جنوب الملا عيناك تبتدران

فقال لي انعم في هذا البيت خباء باطنا غير ظاهر قلت لا فسكت عني فقلت ان كان فيه شيء فلعل فيه فقال نعم اما تدل البيت على انه نعت ملك متمهن ذي قدرة على ما ثبت قال اسحاق فما رايت احدا قط مثل الاصمعي في العلم بالشعر وروي عن اسحاق ايضا انه قال قال لي الاصمعي ما يعني امرؤ القيس بقوله

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ۞ فالهيتها عن ذي تمائم محول

فقلت يخبر به فقال كان منكرا فيقول الهيت هؤلاء على كراهتهن للرجال فكيف انا عند المحبات لهم وروى الشيب الذي هاج الشافعي بن ابي الاعرابي ان الاصمعي دخل ذات يوم على سعيد بن سلم وابن الاعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم انشد ابا سعيد فانشد الغلام ابياتا لرجل من بني كلاب رواها ابن الاعرابي وهي

رات نضو اسفار اميمة قاعدا ۞ على نضو اسفار فجن جنونها
فقالت من اي الناس انت ومن تكن ۞ فانك راعي صرمة لا تزينها
فقلت لها ليس الشحوب على الفتى ۞ بعار ولا خير الرجال سمينها
براعي ثلة مثلجنة ۞ يروح عليها محضها وحقينها
سمين الضواحي لم تورقه ليلة ۞ وانعم ابكار الهموم وعونها

فرفع ليلة قال لي الاصمعي من رواك هذا قال مؤدبي فاحضره واستنشده فانشده ورفع ليلة فاخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال انما اراد لم تؤرقه ليلة ابكار الهموم وعونها

وانعم اي ناعم على هذه الصفة وقوله سمين الضواحي اي ما ظهر منه وبدا سمين ثم قال الاصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس موضعاً للتأديب للملوك واخبرنا المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي قال ولد بشار بن برد اكمه لم ينظر الى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاء فقلت له يوماً من اين لك هذا الذكاء قال من قدم العمى وعدم المناظر يمنع من كثير من الخواطر المذهلة فيكسب فراغ الذهن وصحة الذكاء وانشد لنفسه يعني بالعمى عميت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا وغاض ضياء العين للعلم رافداً لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول اذا ما احزن الشعر اسهلا واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي قال انشد رجل وانا حاضر بشاراً قول الشاعر وقد جعل الاعداء ينتقصونها وتطمع فيها الشن وعيون الا انما ليلى عصي خيزرانة اذا غمزوها بالاكف تلين فقال بشار والله لو جعلها عصى مخ او زبد لما كان الا مخطئاً مع ذكر العصي الا قال كما قلت وحوراء المدامع من معد كان حديثها قطع الجنان اذا قامت لسبحتها تثنت كان عظامها من خيزران ويخيتك المنى نظر اليها ويصرف وجهها وجه الزمان واخبرني المرزباني قال حدثنا علي بن عبد الله الفارسي قال حدثنا ابي عن عمر بن شبه قال قال لي ابو عبيدة رحل بشار الى الشام فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحران فقال قصيدة طويلة اولها نائت على طول التجاور زينب وما علمت ان النوى سوف تشعب وكان سليمان بخيلاً فاعطاه خمسة الاف لم يصب غيرها بعد ان طال مقامه فقال ان امس منقبض اليدين عن الندى وعن العدو محتبس الشيطان فلقد اروح على اللئام مسلطاً ثلج المقيل منعم الندمان في ظل عيش عشيرة محمودة تندى يداي ويخاف فرط شباتي اذ مال سربال الشباب مذيل واذا الامير على من حجراته رثيم باجوبة العراق امابدا بوقت عليه كلة المرجان فاكحل بعيد مقلتيك من القذى ويوشك دونها من الهملان فلقربني بهوى وانت متيم اشهى لدانك من بني مروان فلما رجع الى العراق برّه ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يعيب ... ويوثر لمدحه قيساً وافتخاره بها فلما جاءت دولة اهل خراسان عظم شانه اخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال قال الاصمعي ما وصف احد الثغر الا احتاج الى قول بشر بن ابي خازم يفلجن الشفاه عن اقحوان جلاه غب سارية قطار ولا وصف احد اللون باحسن من قول عمر بن ابي ربيعة وهي مكنونة تحير منها في اديم الخد ماء الشباب شف عنها محقق جندي فهي كالشمس في خلال السحاب ولا وصف احد عيني امرأة الا احتاج الى قول عدي بن الرقاع لولا الحياء وان راسي قد بدا فيه المشيب لزرت ام القسم

وكانما

وكانما وسط النساء اعارها عينيه احور من جآذر جاسم وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم ولا وصف احد نجيباً الا احتاج الى قول حميد بن ثور محلى باطواق عتاق يبينها على الضر راعي الضأن لو يتقوف ولا وصف احد ظليماً الا احتاج الى قول علقمة بن عبدة هيق كان جناحيه وجؤجؤه بيت اطافت به خرقاء مهجوم ولا اعتذر احد الا احتاج الى قول النابغة فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع قال السيد المرتضى علم الهدى قدس الله روحه اما قول حميد بن ثور محلى باطواق عتاق فانه يريد ان عليه نجار الكرم والعتق فصارت دلالتها وسماتها حلية له من حيث كان موسوماً بها ومعنى يبينها ويعرفها هذا الراعي فيعلم انه كريم والتقوف من القيافة فاما قول علقمة هيق فالهيق ذكر النعام ومعنى اطافت به خرقاء اي علمته ابنته وقيل ان خرقاء ههنا هي الحاذقة وان هذه اللفظة تستعمل على سبيل الاضداد في الحاذقة وغير الحاذقة ومعنى مهجوم اي مهدوم وقال الاصمعي معنى اطافت به علمته فخرقت عليه يقول انه ارسل جناحيه كانه خباء امراة خرقاء كلما رفعت ناحية استرخت ناحية اخرى والوجه الثاني اشبه واملح فاما قول بشر في وصف الثغر فاحسن منه واكشف واشد استيفاء للمعنى قول النابغة كالاقحوان غداة غب سمائه جفت اعاليه واسفله ندي واما وصف اعاليه بالجفوف ليكون متفرقاً متنضداً غير متلبد ولا مجتمع فتشبه حينئذ الثغور ثم قال واسفله ندي حتى لا يكون قحلاً يابساً بل تكون فيه الغضاضة والصقالة فيشبه غروب الاسنان التي تلمع وتبرق وذو الرمة اشبه قال سمعت الاصمعي يقول احسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة وتجلو بفرع من اراك كانه من العنبر الهندي والمسك يصبح ذرى اقحوان واجه الليل وارتقى اليه الندى من رامة المتروح هجان الثنايا مغرباً لو تبسمت لاخرس عنه كاد بالقول يفصح **مجلس آخر** ان سأل سائل عن تاويل قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون فقال كيف يعذبهم بالاموال والاولاد ومعلوم ان لهم فيها سروراً ولذة وما تاويل قوله وهم كافرون وظاهره يقتضي انه اراد كفرهم من حيث اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم لان القائل اذا قال اريد ان يلقاني فلان وهو لابس على صفة كذا وكذا فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصفة الجواب قلنا اما التعذيب بالاموال والاولاد ففيه وجوه اولها ما روي عن ابن عباس رحمه الله وقتادة وهو ان يكون في الكلام تقديم وتاخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا تعجب المؤمنين معك اموال هؤلاء الكفار المنافقين ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون فالمعنى فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم

وانشد في ذلك قول الشاعر عشية ابدت جيد ادماء مغزل وطرفا يريك الاثمد الجون احورا يريد وطرفا احور يريك الاثمد الجون وقد اعتمد هذا الوجه ايضا ابو علي وقطرب ذكرهما ابو القسم البلخي والزجاج

وثانيهما ان يكون معنى التعذيب بالاموال والاولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة اموالهم وسبي اولادهم واسترقاقهم في ذلك لا محالة ايلام لهم واستخفاف بهم وانما اراد تعالى بذلك اعلام نبيه صلى الله عليه واله والمؤمنين انه لم يرزق الكفار الاولاد والاموال ولم يبقها في ايديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل للمصلحة الداعية الى ذلك وانهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب ان يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذا كانت هذه عاجلتهم وفي العقاب في النار اجلتهم وهذا الجواب لابي علي الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تامل له فقال له كيف يصح هذا التاويل مع انا نجد كثيرا من الكفار لا تنالهم ايدي المسلمين ولا يقدرون على غنيمة اموالهم ونجد اهل الكتاب ايضا خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشيء لانه لا يمتنع ان يختص الاية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن اوجب الله تعالى محاربته فاما الذين هم بحيث لا تنالهم الايدي او هم من القوة على حد لا يتم معه غنيمة اموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لانهم ممن اراد الله تعالى ان يسبى ويغنم ويجاهد وان لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غير مراد

وثالثها ان يكون المراد بتعذيبهم بذلك كل ما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب باموالهم واولادهم التي هي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجالبة للنفع والعوض ويجوز ايضا ان يراد به ما يثيبه الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع تركه من العذاب الدائم الذي قد اعد له واعلامه انه صائر اليه ومنتقل الى قراره وهذا الجواب قد روي معناه اكثره عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره ابو علي الجبائي ايضا

ورابعها جواب يحكى عن الحسن البصري واختاره الطبري وقدمه على غيره وهو ان يكون المراد بذلك ما الزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في اموالهم لان ذلك يؤخذ منهم على كره وهم اذا انفقوا منه انفقوا بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة وعذابا من حيث لا يستحقون عليها اجرا قال السيد المرتضى قدس الله روحه وهذا وجه غير صحيح لان الوجه في تكليف الكفار اخراج الحقوق من اموالهم كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ومحال ان يكون انما كلف هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لان ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الامور هو المصلحة واللطف في التكليف ولا يجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من ان المصائب والغموم قد تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة لان تلك الامور مما يجوز ان يكون وجه حسنها العقوبة والمحنة جميعا ولا يجوز في هذه الفرائض ان يكون لوجوبها على المكلف الا وجه واحد وهو المصلحة في الدين فافترق الامران وليس لهم ان يقولوا الدليل لتعذيب

اخراج

في ايجاب الفرائض عليهم وانما هو في اخراجهم لاموالهم على وجه التكره والاستثقال وذلك انه اذا كان الامر على ما ذكروه خرج ان يكون مراد الله انه تم ما اراد منهم اخراج المال على هذا الوجه الذي هو طاعة وقربة فاذا اخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك فكيف يقول انما يريد الله ليعذبهم بها ويجب ان يكون ما يعذبون به شيئا يصح ان يريده الله تعالى قال قدس الله روحه وجميع هذه الوجوه التي حكيناها في الاية الا جواب التقديم والتاخير مبنية على ان الحيوة الدنيا ظرف للعذاب فتحمل كل متاول من القوم ضربا من التاويل يطابق ذلك وما يحتاج عندنا الى جميع ما تكلفوه ولا الى التقديم والتاخير اذا لم يجعل الحيوة ظرفا للعذاب بل جعلناها ظرفا للفعل الواقع بالاموال والاولاد المتعلق بهما لانا قد علمنا اولا ان قوله ليعذبهم بها لا بد فيه من الانصراف عن ظاهره لان الاموال والاولاد انفسهما لا تكون عذابا فالمراد على سائر وجوه التاويل الفعل المتعلق بها والمضاف اليها سواء كان انفاقها او المصيبة بها او الغم عليها واباحة غنيمتها واخراجها عن ايديهم ما لكيها فكان تقدير الاية انما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق باموالهم واولادهم التي تغضب الله ويسقط كانفاقهم الاموال في وجوه المعاصي وحملهم الاولاد على الكفر والزامهم الموافقة في النحلة وتقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في اموالهم واولادهم الواقع ذلك منهم في الحيوة الدنيا وهذا وجه ظاهر يغني عن التقديم والتاخير وسائر ما ذكروه من الوجوه فاما قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون فمعناه تبطل وتخرج اي انهم يموتون على الكفر وليس يجب اذا كان مريدا للحال نفسها على ما ظنوه لانا لو احلنا قد يامر غيره ويريد منه ان يقاتل اهل البغي وهم محاربون ولا يقاتلونهم وهم منهزمون ولا يكون مريدا لحرب اهل البغي للمؤمنين وان اراد قتالهم على هذه الحال وكذا قد يقول لغلامه اريد ان تواظب على المسير الى السجن وانا محبوس وللطبيب صر الي وانا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس اذا كان قد اراد بها ما هو متعلق بهاتين الحالتين وقد ذكر في ذلك وجه اخر على ان لا يكون قوله وهم كافرون حالا لزهوق انفسهم بل يكون كانه كلام مستانف التقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم مع ذلك كلهم كافرون صائرون الى النار وتكون الفائدة انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الاخرة ويكون معنى تزهق انفسهم على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال ضربت فلانا حتى مات وتلفت نفسه وخرجت روحه وما اشبه ذلك قال السيد قدس الله ونور الله مرقده ذاكرني قوم من اهل الادب باشعار المحدثين وطبقاتهم وانتهوا في طبقاتهم وانتهوا الى مروان بن يحيى ابن ابي حفصة فافرط بعضهم في وصفه وتقريظه

لان تزهق انفسهم وهم على هذه الحال يريد انهم

وتقريظه وتفضيله آخرون فوقه وتقدمه والازراء على شعره وطريقته واستحسنوا ما انتقد
فيه فقلت لهم كان مروان متساوي الكلام متشابه الالفاظ غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها
ولا ممدود فوقها فلذلك قلت نظائر في شعره ومدائحه مكررة الالفاظ والمعاني وهو غزير الشعر
قليل المعنى الا انه مع ذلك شاعر له مجيد وحذق وهو اشعر من كثير من اهل زمانه وطبقته واشعر
شعراء واهله ويجب ان يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الالفاظ وتدقيق المعاني وحسن الالفاظ
ووقوع التشبيهات ودون بشار بن برد في الابيات النادرة السائرة فكانه طبقة بينهما وليس
بمقصر دونهما شديدا ولا بمنحط عنهما بعيدا وكان اسحاق بن ابرهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم
وكذلك ابو عمرو الشيباني وكان الاصمعي يقول مروان مولد وليس له علم باللغة واختلاف الناس في اشكال
الشعر بحسب اختلافهم في التنبه على معانيه وبحسب ما يؤثرونه من مذاهبه وطرائقه فسئلت عن
ذلك ان اذكر مختار ما وقع الي من شعره وانبه على شرائفه ونظائر شعره وان املي ذلك في خلال المجالس
واثنائها فمما يختار من شعره قصيدة يمدح بها المهدي اولها اعادك من ذكر الاحبة عائد فهاجل
واستخفتك الرسوم البوائد ويقول فيها اذكرت من تهوى فابكاك ذكره فلا الذكر منسي ولا الدمع
جامد تحن ويأبى ان يساعدك الهوى وللموت خير من هوى لا يساعد الا طالما اهتبت معطا طائعا
وجادت عليك الانسات النواهد تذكرنا ابصارنا مقل المها واعناقها ادم الظباء العواقد
تساقط منهن الاحاديث غضة تساقط در اسلمته المعاقد اليك امير المؤمنين تجاذبت بنا
الليل خوص كالقسي شوازب يمانية ينائي لقريب محله بهن وبعد نوالحاط المتباعد تجلى السرى
عنها وللعيس اعين سوام واعناق اليك تواصد الى ملك تندى اذا يبس الثرى بنائل كفيه الاكف
الجوامد له موقف محل الناس محلان منهما طريف وعادي الجو التيم تالد واحواض عز حومة الموت دونها
واحواض عرف ليس عنهن ذائد ابا دي بني العباس بيض سوابغ على كل قوم باديات عوائد هم يعقدون
البيعات من قبة الهدى كما تعقد البيت الحرام القواعد سواعد عز المسلمين وانما تنوء بصولات الاكف
السواعد يكون غرار النوم من حذاره على فتنة الاسلام والخلق راقد كان امير المؤمنين محمدا
لرأفته بالناس للناس والد قال السيد قدس الله روحه اما قوله تساقط منهن الاحاديث غضة
تساقط در اسلمته المعاقد فكثير في الشعر واظن ان الاصل فيه ابو حية النميري في قوله اذا هن ساقط
الاحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من كف ناظم وانما عنى بالمرجان صغار اللؤلؤ وعلى هذا
يتأول قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ومنه قول الاخر هي الدر منثورا اذا ما تكلمت وكالدر
منظوما اذا لم تكلم ومثله من ثغرها الدر النظيم ولفظها الدر النثير ونظيره قول البحتري و
غائب الاحسان ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه فمن لؤلؤ تجلوه عند

ابتسامها

ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقط ومثله قول الاخطل اليه هو الذي خلوت بها وسجى الليل
ملتق وقد اصغت الى الغرب النجوم فكان كلامها درا نثيرا ودون ثغرها درا نظيم ولغيره فتبسمت
فرايت الدر منظما وحدثت فرايت الدر منتثرا والاخر وتحفظ الامر بينة يحيد دونها ولكنها
من اعين الناس تحفظ وتلفظ در الحديث اذا جرى ولم نود تاتعيل لك ملفظ وللبعض من تاخر
من الشعراء او قرب من عصرنا هذا انه اظهرن وصلا اذ نجمن مبتسما وابن هجر اذ خشين نهرا فبا
فنظمن من در المباسم جامدا ونثرن من در المدامع ذائبا قال السيد قدس الله روحه وليس قول ابي دهبل
في صفة الحديث كتساقط الرطب الجني من الافنان لا نثرا ولا نزرا من هذا الباب في شيء لان جميع
ما تقدم انما هو في صفة الثغر وهذا في وصف حسن الحديث وانه متوسط في القلة والكثرة لانه للقصد
كانه اراد الرطب من الافنان ويشبه ان يكون اراد ايضا مع ذلك صفته بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له
بالرطب ثم انه غض طري غير مكرر ولا معاد لقوله الرطب الجني فتجمع له اغراض الوصف كلها الاقتصاد في
القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم الفصاحة ثم الغضاضة ونظير قول ابي دهبل قول ذي الرمة لها بشر
مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر فاما قول مروان الى ملك تندى اذا يبس الثرى
بنائل كفيه الاكف الجوامد فمثل قول ابي حنش النميري في يحيى بن خالد البرمكي لا تراني مصافحا كف
يحيى انني ان فعلت اتلفت مالي لو يمس البخيل راحة يحيى لسخت نفسه ببذل النوال ومثله قول
الخياط المدني في المهدي لمست بكفي كفه ابتغي الغنى ولم ادر ان الجود من كفه يعدي فلا انا منه ما
افاد ذوو الغنى افدت واعداني فاتلفت ما عندي وقد قيل ان هذا الشاعر كانه مصرح بالهجاء لانه زعم ان
الذي لمس كفه لم يفده شيئا بل اعداه جوده فاتلف ما له ولم يرد الشاعر الا المدح ولقوله وجه وهو ان
ذوي الغنى هم الذين تستقر الاموال في ايديهم وتلبث تحت ايمانهم ومن اخرج ما يملكه حالا بحال لا
يوصف بانه ذو غنى فاراد الشاعر انني لم افد منه ما تبقى في يدي فاستقر تحت ملكي فلهذا قال لم افد ما افاد
ذوو الغنى ومن هذا المعنى قول مسلم الى ملك لو كان في الناس كلهم لما كان حي في البرية بخيلا ومثله قول
ابي العكوك لو لمس الناس راحته ما بخل الناس بالعطاء واحسن من هذا كله واشبه بالمدح وادخل في
طريقته قول البحتري من شاكر عني الخليفة بالذي اولاه من طول ومن احسان ملأت يداه يدي وشرد
جوده بخلي فافقرني كما اغناني حتى لقد افضلت من افضاله ورايت نهج الجود حيث اراه وثقت
بالخلف الجميل معجلا منه فاعطيت الذي اعطاني ومن هذا المعنى قول الاخر رايت الندى في آل عوف
خليقة اذا كان في قوم سواهم تخلقا ولو جربت في ابنائهم لتعلمت بذاك الندى منهم فاصبحت مطلقا
يجود البخيل اذا ما رآك ولابن الرومي ويسطو الجبان اذا ما رآك فاما قوله واحواض عز حومة
الموت دونها واحواض عرف ليس عنهن ذائد فيشبه ان يكون ابرهيم بن العباس الصولي اخذه في قوله

لنا ابل كوم يضيق بها الفضاء ويفتر عنها ارضها وسماؤها. فمن دونها ان تستباح دماؤنا ومن دوننا
ان تستباح دماؤها. حمى وقرى فالموت دون مرامها وايسر خطب عند حق فناؤها وقد احسن
ابو هفان في ابيات له كل الاحسان فاما قوله يكون غرارا نومه من حذاره تعلى فتية الاسلام والخلق راقد
فكثير متداول ومن احسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات. نعم الخليفة للرعية من اتى وقد توطا بها
الكرى لم يرقد. ومثله ويظل يحفظنا ونحن بغفلة ويبيت يكلؤنا ونحن نيام ومثله للبحتري
اربيعة الفرس اشكري يدا منعم وهب الاساءة للمسيء الجاني. ورعى جاداته فبعثتم منه حمية انف عزان
لم تكر عن فاصل الرعية عينه فتنام عن وتر القريب الداني. فاما قوله كان امير المؤمنين محمدا لرافته
بالناس للناس والد فنظير قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد البرمكي. احيا لنا يحيى فعال خالد
فاصبح اليوم كثير الحامد. يسخو بكل طارف وتالد على البعيد غائب وشاهد. الناس في احسانه كواحد
وهو لهم اجمعهم كالوالد. ومن جيد قوله وان من قصيدة اولها خلت لعبدة من ليلى المصانع
وهاجت لنا الشوق الديار البلاقع ويقول فيها ومالي الى المهدي لو كنت مذنبا سوى حلمه الضافي على
الناس شافع. ولا هو عند السخط منه ولا الرضى بغير التي يرضى بها الله قانع. تغض له طرف العيون
وطرفه على غيرة من خشية الله خاشع. اما قوله ولا هو عند السخط منه ولا الرضى البيت فمثله قول اشجع
ولست بخائف لابي علي ومن خاف الاله فلن يخافا. ومثله امنني منه ومن خوفه خيفته من خشية الباري
ولا بي نوازع قد كنت خفتك ثم امنني من ان اخافك خوفك الله. ويشبه هذا المعنى ما روي عن امير
المؤمنين عليه السلام انه دعا غلاما له مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على الباب فقال له ما حملك على ترك
اجابتي قال كسلت عن اجابتك وامنت عقوبتك فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني ممن يامنه
خلقه. فاما قوله تغض له الطرف العيون فيشبه ان يكون ماخوذا من قول الفرزدق وممن نسب اليه هذه
الابيات. يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم. مجلس آخر تاويل آية ان سال
سائل عن قوله تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه فقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تاوله قوم من انه يحول بين الكافر وبين
الايمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون الحياة في اجابته. الجواب قلنا اما قوله تعالى يحول بين
المرء وقلبه وجوه اولها ان يريد بذلك انه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا
حث منه عز وجل على الطاعات والمبادرة لها قبل الفوت وانقطاع التكليف وتعذر ما يسوف به المكلف
نفسه من التوبة والاقلاع فكانه تعالى قال بادروا الى الاستجابة لله وللرسول من قبل ان ياتيكم الموت
فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم ما تسوفون به نفوسكم من التوبة بقلوبكم
ويقوي ذلك قوله تعالى وانكم اليه تحشرون وثانيها انه يحول بين المرء وقلبه بازالة عقله وابطال تمييزه

وان

وان كان حيا ولقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه انه بغير قلب قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب قال الشاعر ولي الف وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب الى اين اذهب وهذا الجواب يقرب من
الاول لانه تعالى اخرج هذا الكلام مخرج الانذار لهم والحث على الطاعات قبل فوتها لانه لا فرق بين
تعذر التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بازالة العقل وثالثها ان يكون المعنى المبالغة
في الاخبار عن قربه من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وان الضماير المكنونة له ظاهرة والخفايا المستورة
لعلمه بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن نعلم انه لم يرد تعالى بذلك
قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه واذا كان حبل الوريد هو اعلم بما في قلوبنا منا وكان ما نعلمه ايضا يجوز ان
ننساه ونسهو عنه ونضل عن علمه وكل ذلك لا يجوز عليه جاز ان يقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا لانه
معلوم في الشاهد ان كل شيء يحول بين شيئين فهو اقرب اليهما ولما اراد تعالى المبالغة في وصف القرب
خاطبنا بما نعرف ونالف وان كان القرب الذي عنا جلت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيرا لفظ
القرب على غير معنى المسافة فيقولون فلان اقرب الى قلبي من فلان وزيد مني قريب وعمرو بعيد ولا
يريدون بذلك قرب المسافة ورابعها ما اجاب به بعضهم من ان المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم
وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فاعلمهم الله تعالى انه يحول بين المرء وقلبه بان يبدله بالخوف الامن
ويبدل عدوهم بظنهم انهم قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخور ويمكن في الاية وجه خامس
وهو ان يكون المراد انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه اليه قلبه من القبائح بالامر والنهي والوعد
والوعيد لانا نعلم انه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع
ولا من مواقعته رادع فكان التكليف حائلا بينه وبينه من حيث زجر عن فعله وصرف عن مواقعته و
ليس يجب في الحائل ان يكون في كل موضع ما يمتنع معه الفعل لانا نعلم ان المشير منا على غيره في امر كان
قد هم به وعزم على فعله ان يجتنبه والمنبه له على ان الحظ في الانصراف عنه يصح ان يقال منعه منه وحال
بينه وبين فعله وقال عبيد الله بن قيس الرقيات حال دون الهوى ودون سرى الليل مصعب
وسياط على اكف رجال ونحن نعلم انه لم يحل الا بالتخويف والترهيب ودونهما فان قيل يطابق هذا
الوجه صدر الاية قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى امرهم بالاستجابة لله ولرسوله فيما يدعوان
اليه من فعل الطاعات والامتناع من المقبحات واعلمهم انه بهذا الدعاء والانذار وما يجري مجراهما
يحول بين المرء وبين ما تدعوه اليه نفسه من المعاصي ثم ان المآب بعد هذا كله اليه والمنقلب الى
ما عنده فيجازي كلا ما استحقه فاما قوله تعالى اذا دعاكم لما يحييكم ففيه وجوه اولها ان يريد بذلك
الحياة في النعيم والثواب لان تلك هي الحياة الطيبة الدائمة التي يؤمن تغيرها ولا يخاف انتقالها فكانه
تعالى حث على اجابته التي تكسب هذه الحال وثانيها انه يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال العدو

معنى ان الله يحول بين المرء وقلبه

يا ايها الذين آمنوا استجيبوا

فكأنه تعالى امرهم بالاستجابة للرسول عليه السلم فيما يأمرهم به من قتال عدوهم ودفعهم عن حوزة
الاسلام واعلمهم ان ذلك يحييهم من حيث كان فيه قهر للمشركين وتقليل لعددهم وفل لحدهم وحسم
لاطماعهم لانهم متى كثروا وقووا استولوا على جانب المؤمنين واقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره
فمن ههنا كانت الاستجابة له عم في القتال تقتضي الحياة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ولكم
في القصاص حيوة وثالثها ما قاله قوم من ان كل طاعة حيا ويوصف فاعلها بانه حي كما ان المعاصي
يوصف فاعلها بانه ميت والوجه في ذلك ان الطايع لما كان منتفعا بحياته وكانت تؤديه الى الثواب
الدايم قيل ان الطاعة حياة ولما كان الكافر العاصي لا ينتفع بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب
الدايم كان في حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منغص الحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حياة وما
جرى مجرى ذلك من حيث لا ينتفع بحياته ويمكن في الاية وجه آخر وهو ان يكون المراد بالكلام الحياة
في الحكم لا بالفعل لانا قد علمنا انه عليه السلم كان مكلفا ماموراً بجهاد جميع المشركين المخالفين
لملته وقتلهم وان كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا اهل الذمة على شرطها فكانه تعالى قال استجيبوا
للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم كنتم في الحكم غير احياء من حيث تعبد بقتالكم وقتلكم فاذا
اطعتم كنتم في الحكم احياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن دخله كان امنا وانما اراد تعالى انه يجب
ان يكون امنا وهذا الحكم ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع فاما المجبرة فلا شبهة لهم في الاية ولا متعلق
بها لانه تعالى لم يقل انه يحول بين المرء وبين الايمان ولا ظاهر الاية يقتضي انه يحول بينه وبين افعاله
وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه وليس للايمان ولا للكفر ذكر ولو كان للاية ظاهر
يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لانصرفنا عنه بادلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول بين المرء وبين
ما امر به واراده منه وكلفه فعله لان ذلك قبيح والقبايح عنه منفية اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثني احمد بن محمد الجوهري قال اخبرنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا احمد بن عمر بن اسماعيل بن
عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني محمد بن خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي
قال لما اشتد بحصن بن حذيفة بن بدر وجعه من طعنة كرز بن عامر اياه يوم بني عقيل تناول ولده
فقال ان الموت اهون مما اجد فايكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدأ باكبرهم فقال قم فخذ سيفي
والطعن به حيث امرك ولا تعجل قال يا ابتاه ايقتل المرء اباه فاتى على القوم كلهم فاجابوه بجواب الاول
حتى انتهى الى عيينة فقال يا ابتاه اليس لك فيما تامرني به راحة ولي بذلك لك طاعة وهو هواك
قال بلى قال فمرني كيف اصنع قال قم فخذ سيفي فضعه حيث امرك ولا تعجل فقام فاخذ سيفه و
وضعه على قلبه ثم قال يا ابتاه كيف اصنع قال الق السيف انما اردت ان اعلم ايكم امضى لما امرته فانت
خليفتي ورئيس قومك من بعدي فقال للقوم انه سيقول فيما بعدنا فاحضروه فلما امسى قال ولوا

حكاية لطيفة

عيينة

عيينة من بعدي امور كم واستيقنوا انه بعدي لكم خام اما هلكت فاني قد بنيت لكم عز الحياة
بما قدمت قدامي واستوثقوا اللتي فيها مروتكم قود الجياد وضرب القوم في الهام والقرب من قومكم
والقرب ينفعكم والبعدان باعدوا والرمي للمرامي ولد حذيفة اذ ولى فخلفني يوم الهباءة
يتيما وسط ايتام لا ادفع الطرف ذلا عند مملكة ثم التقى العدو بوجه حين دام حتى اعتقدت
لوا قومي فقمت به ثم ارتحلت الى الحفير بالشام لما قضى ما قضى من حوايجه عجنا المطي الى
النعمان من عام اسموا الما كانت الاباء تطلبه عند الملوك وطرف عندهم سام والدهر اخره
شبه لاوله قوم كقوم وايام كايام فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم من بين بان الى العليا و
هدام قال ثم اصبح ودعا بني بدر فقال لو اني رياستي لعيينة واسمعوا مني ما اوصيكم به
ولا يتكل اخركم على اولكم فانما يدرك الاخر ما ادرك الاول وانكحوا الكفي الغريب فانه عز حادث
واذا حضركم امران فخذوا الخير منهما صدرا فان كل مورد معروف واصحبوا قومكم باجمل اخلاقكم ولا
تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان الخلاف يزري بالرئيس المطاع واذا حاربتم عدوكم فاوقعوا ثم قولوا فانه
لا خير في الكذب وصونوا الخيول فانها حصون الرجال واطيلوا الرماح فانها قرون الخيل واعزوا الكبير بالكبر
فاني بذلك كنت اغلب الناس ولا تعزوا الا بالعيون ولا تسرحوا حتى تامنوا الصباح واعطوا على حسب المال
واعجلوا للضيف بالقرى فان خيره اعجله واتقوا فضحات البغي وفلتات المزاح ولا تجيروا على الملوك
فان ايديهم اطول من ايديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات حصن فاخذ عيينة الرياسة وقال اطعت
ابا عيينة في هواه ولم تخلج صريمته الظنون وقد عرض الرئيس على بنيه فقال القوم هذا لا يكون
سيحيى او تموت فطاولوه وقتل المرء والده جنون فلم اقتل بحمد الله حصنا وكل فتى ستدركه المنون
ولم انكل عليه وكل امر اذا هونته يوما يهون فان يك بدو هذا الامر غشا فاخره بني به سمين
وحكى عمرو بن بحر الجاحظ ان اسم عيينة بن حصن حذيفة وانما اصابته اللقوة فجحظت عينه
فسمي لذلك عيينة واذا عظمت عين الانسان نعتوه اما عيينة واما عيناء وروى قيس بن ابي حازم
ان عيينة بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذا احمق مطاع وروي ايضا انه كان
يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلم وهو صبي فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة الا
اراك تصنع هذا بهذا فوالله انه ليكون لي الابن قد خرج وجهه ما قبلته قط فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله من لم يرحم لم يرحم ونعود الى ما كنا فيه عدة البيت من الكلام على شعر مروان فمما
يختار من شعره قوله من قصيدة اولها صحا بعد جهل فاستراحت عواذله واقصر عنه حين
اقصر باطله ومن مدح من ايامه فتاخرت منيته فالشيب لا شك شامله يقول في المديح فيها
هو المرء اما دينه فهو مانع مصون واما ماله فهو باذله اخو ثقة ما بالناس طعمه عقابه

فى امير المؤمنين ونائله ابى المنايا بذ وذو الحزم والتقى فقول اذا ما جد بالامر فاعله ترول الهوى
لا السخط ولا الرضى لدى موطن الاعلى الحق حامله يرى ان سر الحق احلى مغبة وانجى ولو كانت
دعاة مناهله فان طلق الله من هو مطلق وان تبتل الله من هو قاتله وانك عبد الله للحكم
الذى تصاب به من كل حق مفاصله ومن بله من فى ايامه فتاخرت منيته فالشيب لا شك شامله
فماخوذ من قول طريح بن اسماعيل الثقفى والشيب من تاخر غاية حينه لا يستطيع دفاعه من يجزع
والاصل فى هذا قول امية بن ابى الصلت من لم يمت عبطة لم يمت هرما للموت كاس فالمرء ذائقها ويشبه
ذلك قول الاخر قل لعربى للبس شيبه يعجب من عيش يا اعاجيب ومثله قول ابى العتاهية من يعش
يكبر ومن يكبر يمت والمنايا لا تبالى من اتت ومثله قول البحترى ولا بد من ترك احدى اثنتين اما
ترجمة ٢
الشباب واما العمر يقار بعد قوله ايضا والشيب يهرب من جارى منيته ولا نجاء له من ذلك الهرب ومنه قول
ابن المعتز وقالت كبرت وانتقيت من الصبى فقلت لها الا الاكبرا وليقضهم ولا بد من موت فاما
شبيبه واما شيب فالشيبه اصلح لان الانسان اذا مات شابا كان اكثر للحزن عليه و
الاسف على مفارقته واذا اسن برم به اهله وهان عليهم واثقل وامانوله هو المرء
اما دينه فهو مانع مصون واما ماله فهو باذله فمعناه متكرر فى الشعر كثير جدا واحسن شعر جمع
بين وصف الممدوح بمنع ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد بذ كرنيك الجود
والبخل والنهى وقول الخنا والحلم والعلم والجهل فالقاك من مذمومها متنزها والقاك فى محمودها
ولك الفضل واحمد من اخلاقك البخل انه بعرضك لا بالمال جاشى لك البخل وقد احسن البحترى
فى قوله بلونا ضرائب من قد نرى فما ان وجد نالفتح ضريبا تنقل فى سلفى سؤدد سماحا مرجى
وباسا مهيبا وكالسيف ان جئته صارخا وكالبحر ان جئته مستثيبا فاما قوله ترول الهوى
لا السخط منه ولا الرضى البيت لدى موطن الاعلى الحق حامله فمعنى مطروف متداول فى الشعر
وقد كرره فى قوله اذا من القين الرجال بيابه حطت بها ثقلا وادركن مغنما لحظ الاخلاق ما
نال فى رضى ولا غضب الا احرامه ولا بعثا واحسن من هذا قول ابى تمام فى محمد بن عبد الملك الزيات
بلمت الخطاب اذا اصطكت بمظلمة فى حلق السن الاقوام والركب لا المنطق اللغو يزكو فى مقاومه
يوما ولا مجير الملهوف تشتبك كانما هو فى نادى قبيلته لا القلب يهفو ولا الاحشاء تضطرب
وتحت ذاك قضاء حز شفرته كما يعض بظهر الغارب القتب لا سورة تتقى منه ولا بله ولا يخاف
رضى منه ولا غضب ومنه قول البحترى فى ابن الزيات ايضا وجد الحق بين اسنه واعطاه وقصد
فى التجميع والتبديد واستوى الناس فالقريب قريب عنده والبعيد غير بعيد لا يميل الهوى به
حيث يمضى الامر بين المقلى والمودود وسواء لديه ابناء ابرهيم فى حكمه وابناء هود مستريح

ثم شيب ومثابة جمع والكعبة مثابة للناس يثوبون اليها كل عام

كما ان هذا المعنى ماخوذ من قول البرح العدل فى الغضب والرضا

يعنى ابناء ابراهيم المسلمين وابناء هود اليهودى

الاحشاء

تاويل قوله تعالى فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ الآية

الاحشاء فى كل ضغن بارد القصد من غليل الحقود فاما قوله وان قيل الله من هو قاتله فيشبه ان يكون
ماخوذا من قول يزيد بن مفرغ فى عبيد الله بن زياد ان الذى عاش ختارا بذمته وعاش عبدا قتيل الله
بالذاب فاما قوله وانك تعبد الله للحكم الذى تصاب به من كل حق مفاصله فيشبه قول ابى تمام
اسم موضع
يصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات اجمع العلماء ان هذه الابيات احسن وافخم من جميع ما قيل
فى القلم لك القلم الاعلى الذى بشباته تصاب من الامر الكلى المفاصل له الخلوات اللاء لولا
نجيها لما احتفلت للملك تلك المحافل لعاب الافاعى القاتلات لعابه واوى الجنى اشتارته ايد
عواسل له ريقة طل ولكن وقعها باثاره فى الشرق والغرب وابل فصيح اذا استنطقته وهو
راكب واعجم ان خاطبته وهو راجل اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت عليه شعاب الفكر وهى
حوافل اطاعته اطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل اذا استغزر الذهن الذكى
واقبلت اعاليه فى القرطاس وهى اسافل وقد رفدته الخنصران وسددت ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رايت جليلا شانه وهو مرهف ضنا وسمينا خطبه وهو ناحل مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل
عن قوله تعالى فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء
الله رب العالمين فقال ما تاويل هذه الآية اوليس ظاهرها يقتضى اننا لا نشاء شيئا الا والله تعالى شاء
له ولم يخص ايمانا من كفر ولا طاعة من معصيته الجواب قلنا الوجه المذكور فى هذه الاية ان الكلام متعلق بما تقدم
من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال لمن شاء منكم ان يستقيم ثم قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله اى لا
تشاؤن الاستقامة الا والله تعالى مريد لها ونحن لا ننكر ان يريد الله تعالى الطاعات وانما انكرنا
ارادته المعاصى وليس لهم ان يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع
من عمومه كما ان السبب لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك ان الذى
ذكروه انما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل وقوله وما تشاؤن الا ان يشاء
الله لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه واذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على انه
لو كان للاية ظاهر يقتضى ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالادلة الثابتة على ان الله
تعالى لا يريد المعاصى ولا القبائح على ان مخالفينا فى هذه الاية لا يمكنهم حمل الاية على العموم لان
العباد قد يشاؤن عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بان يريد الشى ويعزموا عليه فلا يقع لمنع او غيره
كذلك قد يريد النبى صلى الله عليه وآله من الكفار الايمان وتعبدنا بان نريد من القدم على القبيح تركه
وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذ كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الاية فاذا جاز لهم
ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة وتجرى هذه الاية مجرى قوله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه
سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله فى تعلق الكلام بما قبله فان قالوا الاية تدل على مذهبنا لان

جاء فى جمع جحفل تقديم الجيم على الحاء ... ابو العيش العقيبة

ولا يمنع من عمومه كما ان السبب لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه

مذهبكم من او جاخره هو انه عز وجل وما تشاؤن الا ان يشاء الله وذلك يقتضي ان يشاء الاستقامة
في حال مشيئتنا لها لان ان الخفيفة اذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهذا نفي
انه يشاء افعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون اليه من انه انما يريد الطاعات في حال الامر لئلا
يدخل في ظاهر الاية انا الانشاء الاما شاء تعالى في حال مشيئتنا كما ظننتم وانما يقتضي حصول مشيئته
ما نشاؤه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تاخر ويجري ذلك مجرى قول القائل ما يدخل
هذه الدار الا ان يدخلها عمرو ونحن نعلم انه غير واجب بهذا الكلام ان يكون دخولهما في حالة
واحدة بل لا يمتنع ان يتقدم دخول عمرو ويتلوه دخول زيد وان الحقيقة وان كانت للاستقبال
على ما ذكروه فلم يبطل على تاويلنا معنى الاستقبال فيها لان تقدير الكلام وما تشاؤن الطاعات
الا بعد ان يشاءها الله تعالى لها قد كانت لها حال الاستقبال وقد ذهب ابو علي محمد بن
عبد الوهاب الى انه لا يمتنع ان يريد الطاعات حالا بعد حال وان كان قد ارادها الامر كما يصح
ان يامر بها امرا بعد امر قال لانه قد يصح ان يتعلق بارادته ذلك منا بعد الامر وفي حال الفعل لعلمه
ويعلم تعالى انا نكون متى علمنا ذلك كنا الى فعل الطاعات اقرب وعلى هذا المذهب لا يعترض ما ذكروه
والجواب الاول واضح اذا لم نذهب الى مذهب ابي علي في هذا الباب على ان اقتضاء الاية للاستقبال
من اوضح دليل على فساد قولهم لان الكلام اذا اقتضى حدوث المشيئة وابطل استقبالها بطل قول
من قال منهم انه مريد لنفسه او مريد بارادة قديمة وصح ما نقوله من ان ارادته محدثة تعالى و
ويمكن في الاية وجه اخر مع حملنا اياها على العموم ومن غير ان تخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة
ويكون المعنى وما تشاؤن شيئا من افعالكم الا ان يشاء الله تمكينكم من مشيئته واقداركم عليها والتخلية بينكم
وبينها وتكون الفائدة في ذلك الاخبار عن الافتقار الى الله تعالى وانه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره
الله تعالى عليه وليس يجب ان يستبعد هذا الوجه لان ما تعلق به المشيئة في الاية محذوف وغير مذكور
وليس لهم ان يعلقوا قوله الا ان يشاء الله بالافعال دون ان يعلقه بالقدر لان كل واحد من
الامرين غير مذكور وكل هذا واضح بين بحمد الله ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعره
فمما اختاره له قوله من قصيدة اولها طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالحياء دلالها تعول
فيها مالت بقلبك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الى الصبى فامالها وكانما طرقت بنفحة
روضة سحت بها ديم الربيع ظلالها باتت تسائل في المنام معرسا ما لبيد اشعث لا يمل سؤالها
في فتية هجعوا غرارا بعدما سئموا مراعسة السرى ومطالها قال المرتضى رضي الله عنه يحكى ان الراعي
اسير من النوح وكان حشو بيتها يهمد ته نخلت واغفلت الفتو صقالها اما ذكره في اول القصيدة طرق
الطيف فانه لم يات فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب وقد قال الناس في الطيف والخيال فاكثروا وقد سبق قليل الخطم الى

في حاله

الا انه

في ذلك المعنى

معنى

معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله اني سريت وكنت غير سروب وتقرب الاحلام غير
قريب ما تمنعي يقظي فقد تؤتينه في النوم غير مصرد محسوب كان المنى بلقائها فلقيتها
فلهوت من لهو امرئ مكذوب وقد احسن جرير في قوله اتنسى اذ تودعنا سليمى بفرع
بشامة سقي البشام بنفسي من تجنبه عزيز علي ومن زيارته لمام ومن امسي واصبح
لا اراه ويطرقني اذا هجع النيام وهذه الابيات وان خلت من معنى الطيف غريب فلم تخل
من لفظ مستعذب مقبول ولابي عبادة البحتري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتاخر
فانه تغلغل في اوصافه واهتدى من معانيه الى ما لا يوجد لغيره وكان مشغوفا بتكرار القول فيه
لهجا بابدائه واعادته وان كان لابي تمام في ذلك مواضع لا يجهل فضلها ومحاسن لا يبلغ شاؤها
فمما لابي تمام قوله زار الخيال لها لا بل ازاركه فكر اذا نام فكر الخلق لم ينم ظبي تقنصته لما
نصبت له من اخر الليل اشراكا من الحلم ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم باق وان كان معسولا من السقم
وقوله عادك الزور ليلة الرمل من رملة بين الحمى وبين المطالي ثم ما زار الا الخيال ولكنك
بالفكر زرت طيف الخيال وقوله الليالي احفى بقلبي اذا ما جرحته النوى من الايام يا لها
لذة تنزهت الارواح فيها سرا من الاجسام مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير انا في دعوة الاحلام
فاما البحتري فقوله في هذا المعنى اكثر من ان نذكر جميعه ههنا غير انا نشير الى نادره فمن ذلك قوله
فلا وصل الا ان يطيف خيالها بنا تحت جوش من الليل اسفع الم بنا بعد الهدو فساحت
بوصل متى نطلبه في الجد تمنع وما برحت حتى مضى الليل فانقضى واعجلها داعي الصبا الملمع
فولت كان البين يخلج شخصها اوان تولت من حشاي واضلعي ودب لقاء لم يؤمل وفرقة
لاسماء لم تحذر وقد شوقت اراني لا انفك في كل ليلة تعاودني فيها المالكية مضجعي اسر
بقرب من مليم مسلم واشجى ببين من حبيب مودع فكائن لنا بعد النوى من تفرق تزجيه احلام
الكرى وتجمع وقوله واني وان ضنت على بودها لارتاح منها للخيال المورق يعز على الواشين
لو يعلمونها ليال لنا نزداد فيها ونلتقي فكم غلة للشوق اطفات حرها بطيف متى يطرق دجى
الليل يطرق اضم عليه جفن عيني تعلقا به عند اجلاء النعاس المرنق وقوله بلى وخيال من اثيلة
كلما تاوهت من وجد تعرض يطمع اذا زورة منه تقضت مع الكرى تنبهت من وجد له اتفزع
ترى مقلتي ما لا ترى في لقائه وتسمع اذني رجع ما ليس تسمع ويكفيك من حق تخيل باطل تردد به
نفس اللهيف فيرجع وقوله اذا ما الكرى اهدى الي خياله شفى قربه التبريح او نقع الصدى اذا انتزعته
من يدي انتباهة عددت حبيبا راح مني او غدا ولم ار مثلينا ولا مثل شاننا نعذب ايقاظا و
ننعم هجدا وقوله فما نلتقي الا على حلم هاجد يحل لنا ما جدواك وهي حرام اذا ما نبا ذلنا التنائي خلتنا

في ذكر

بلى

عشر

من كحل ايقاظا ونحن نيام ❊ وقوله وليلة هومنا على العيس ارسلت ❊ بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي ❊ بعطفي غزال بت فيه هنا اغازله ❊ وقوله امنك تاويب الطيف الطروق
حبيب جاء يهدي من حبيب ❊ تخطى رقبة الواشين كرها ❊ وبعد مسافة الخرق المجوب ❊ يكاد يخفي
واصد فرودا ❊ ومن كلف مضافة الكذوب ❊ وقوله ما تقضى لبانة عند لبنى ❊ والمعنى
بالغانيات معنا ❊ هجرتنا يقظى وكادت على مذ ❊ هبها في الصدود تهجر وسنا ❊ تعدلا بي وقد
تعرض منها ❊ طائف عرجت على الركب هنا ❊ قال السيد قدس الله روحه ووجدت ابا القسم الحسن بن
بشر الآمدي مع ميله الى البحتري وانحطاطه في شعبه واجتهاده في تاول ما اخذ عليه من خطاء وزلل يزعم
ان البحتري اخطأ في قوله هجرتنا يقظى وكادت على مذ ❊ هبها في الصدود تهجر وسنا ❊ قال لان خيالها
يتمثل له في كل احوالها يقظان كان او وسنا قال ولكن الجيد في هذا المعنى قوله اردد دونك يقظانا
وياذن لي عليك سكر الكرى ان خبثت سنانا ❊ قال والذي اوقع البحتري في هذا الغلط قول قيس بن
الخطيم ❊ ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه ❊ في النوم غير مصرد محسوب ❊ وكان الاجود ان يقول ما تمنعيني
في اليقظة فقد تؤتينه في النوم اي ما تمنعينه في يقظى فقد تؤتينه في حال نومي حتى يكون النوم
واليقظة المنسوبين اليه لان خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعا قال الا انه يتسع من التاويل
في هذا القيس ما لا يتسع للبحتري لان قيسا قال فقد تؤتينه في النوم ولم يقل تؤتينه نائمة وقد
يجوز ان يحمل على انه اراد ما تمنعي يقظى وانا يقظان فقد تؤتينه في النوم اي في نومي ولا يسوغ مثل
هذا في بيت البحتري لانه قال وسنى ولم يقل في الوسن قال قدس الله روحه وقد يمكن من التاويل للبحتري
ما امكن مثله لقيس لكن الآمدي ذهب عن ذلك لان البحتري لما قال وسنى دل على حال الوسن والحال
المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما ان الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة
فقوله وسنى ينبئ عن كونه هو ايضا نائما وانما اراد المقابلة في نظم اللفظ بين يقظى ووسنى وقوله
يقظى متى لم يحمل ايضا على هذا المعنى لم يصح لانه لا بد ان يريد بذلك هجرتنا في حال اليقظة ويكون معنى
يقظى يتعدى اليه الا ترى ان الآمدي حمل قول قيس بن الخطيم يقظى على معنى وانا يقظان ولم يبين الوجه
منه فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتري وقوله وسنى ويقظى مثل قول قيس يقظى ولو مكن شيئا
ونظم الشعر من ان يقول وسنى في مقابلة يقظى لعله ما عدل عنه الى النوم لانه لم يكن عليه في وسنى الا
ما عليه في يقظى وما تناول له في احد الامرين تناول له في الآخر قال قدس الله روحه ولي في الخيال والطروق
معنى ما علمت انه سبق اليه من جملة قصيدة ❊ وزور تخطى جنوب الملا ❊ فنادمت هلا به الزائر ❊
اتاني هدوا وعين الرقيب ❊ مطروقة بالكرى الغامر ❊ فاعجب به يسعف الهاجرين ويحرمه مقلة
الساهر ❊ وعهدي بمثواه عين المحب ❊ يتم على قلبه الطاهر ❊ فلما التقينا بزعم الرقاد تموه قلبي على ناظري

في طروق الخيال وطيفه

١

ومعنى

تاويل اية اولئك لم يكونوا معجزين الآية

ومعنى البيت الاخير ان الاحلام انما هي اعتقادات تحصل في القلب لا حقيقة لاكثرها لان الانسان يعتقد
انه راى ولما رآه على الحقيقة وقد راى ما ليس بمدرك على الحقيقة فالقلب يتخيل في النوم للعين ما لا حقيقة
له كما ان العين يتخيل في كثير من الاحوال للقلب ما لا حقيقة له فاما قول الرضي فكانما طرقت بنفحة روضة
البيت فيشبه ان يكون ماخوذا من قول نهشل بن حرى ❊ طرقت اسيماء الرحال ودونها ❊ نيان من ليل
التمام الاسود ❊ ومفاوز وصل الفلاة جنوبها ❊ بجنوب اخرى غير انه تعقد ❊ ومل الرذا ابدلا اركانها
قطعه ❊ فرعت ما سمها بفتق قرذد ❊ وكان ريح لطيمة هندية ❊ وذكي جادي تضع مجسد ❊ ونكه
خزامى الحجو سوقه ❊ طرق الخيال بعيد المرقد ❊ او من قول الآخر طرقتك زينب والرقاد بعيد
بمنى ونحن معرسون هجود ❊ فكانما طرقت بريا روضة ❊ انف تسحسح مزنها ويجود ❊ وهذا المعنى كثير
في الشعر المتقدم والمتاخر جدا فاما قوله باتت تشايل في المنام معرسكا البيت والبيتان اللذان بعده
فهذا قال الناس في وصف قلة النوم ومواصلة السرى والادلاج وسعة لسادة من فاكثر وافخر
ما قيل في ذلك قول ابيه ❊ ومجود من صبابات الكرى ❊ عاطف النمرق صعب المنبذل ❊ قال
محديا فقد طال السرى ❊ وقدرنا ان خنا الدهر غفل ❊ قلما عرس حتى هجته ❊ بالتباشير من الصبح
الاول ❊ يلمس الاحلاس في منزله ❊ بيديه كاليهودي المصلي ❊ يتمارى في الذي قلت له ❊ ولقد يسمع
قولي حي هل ❊ ومن ذاك قول ذي الرمة ❊ وليل كاثناء الرويزي جبته ❊ باربعة والشخص في العين واحد
والرويزي هو الطيلسان وقد يروى ايضا كجلباب العروس ادرعته ❊ وكان ذلك وصف له بالسواد لان
الطيلسان اسود وجلباب العروس اخضر والعرب يجمع بين الخضرة والسواد ❊ احم علافي وابيض صارم ❊
واعيس مهري واشعث ماجد ❊ اخو شقة جاب الفلاة بنفسه ❊ على الهول حتى لوحته المطارد ❊
واشعث مثل السيف قد لاح جسمه ❊ وجيف المهاري والهموم الاباعد ❊ سقاه الكرى كاس النعاس فراسه
لدين الكرى من آخر الليل ساجد ❊ اقمت له صدر المطى فما درى ❊ اجائرة اعناقها ام قواصد ❊
ترى الناشئ الغريد يضحي كانه ❊ على الرحل مما مسه الشر غاصد ❊ ومن ذلك قول ابي حية النميري
واغيد من طول السرى برحت به ❊ افانين نهاض على الاين مرجم ❊ سرت به حتى اذا ما تمرقت ❊ قوى
الزحي عن واضح اللون معلم ❊ انخنا فقلنا ازح نفسي دماغه ❊ وعينيه كاس النوم قلنا له قم ❊ فما قام
الا بين ايدي تقيمه ❊ كما عطفت ريح الصبا خوط ناسم ❊ خطا الكره معلوا كان لسانه لما ذر من
دجع لسان المبلسم ❊ وورد بوسطى الجص منه لوآننا ❊ رحلنا وقلنا في المناخ له نم ❊ مجلس آخر تاويل
اية ان سال سائل عن قوله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فقال اي معنى لاختصاص
الارض بالذكر وهم لا يفوتون الله تعالى ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل

مكان ولم نفى الاولياء عنهم وقد يتخذ اهل الكفر بعضهم لبعضهم بعضًا وينصرونهم ويحمونهم من المكاره
وكيف نفى استطاعتهم للسمع والابصار واكثرهم كان يسمع باذنه ويرى بعينه الجواب قلنا اما
الوجه في اختصاص الارض بالذكر فلان عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك منى ولا
مَذهب ولا نفق ولا وزر ولا جبل ولا نفق ولا سرب وكل ذلك مما يلجأ اليه الخائف المطلوب فكانه تعالى نفى
ان يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وان جبال الارض وسهولها لا تحجز بينهم
وبين ما يريد ايقاعه بهم كما انها تحجز عن كثير من افعال البشر ولان معاقل الارض هي التي يهرب
اليها البشر من المكاره ويلجئون الى الاعتصام بها عند المخاوف فاذا نفى تعالى ان يكون لهم في الارض
معقل فقد نفى المعقل من كل وجه فاما قوله تعالى وما كان لهم من دون الله من اولياء فمعناه انه
لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله وعقابه لهم في الآخرة ولا مما يريد ايضا ايقاعه بهم في الدنيا و
ان كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن ارادهم بسوء وقد يجوز ان يكون ذلك ايضا بمعنى
الامر وان كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم ان يتخذوا اولياء من دون الله بل الواجب
ان يرجعوا اليه في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره فاما قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون ففيه وجوه احدها ان يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون
السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الابصار فلا يبصرون عنادًا للحق وذهابًا عن سبيله فاسقط
الباء من الكلام وذلك جائز كما جاز في قولهم لاجزينك ما عملت ولاجزينك بما عملت ولاحدثنك
بما علمت ولاحدثنك ما علمت وكما قال الشاعر نغالي اللحم للاضياف نيًّا ونبذله اذا نضج القدور
فاراد نغالي باللحم والوجه الثاني انه لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهتهم تذكرها وتدبرها
وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان ان ينظر الى فلان لشدة عداوته
الى فلان وما يقدر ان يكلمه وكما يقول المرتهن نامنه العناد والاستثقال لاستماع الحجج والبينات
ما تستطيع ان تسمع الحق وما تطيق ان يذكر لك وكما قال الاعشى ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعًا ايها الرجل ونحن نعلم انه قادر على الوداع وانما نفى قدرته عليه من حيث الكراهة
والاستثقال ومعنى وما كانوا يبصرون اي ان ابصارهم لم تكن نافعة لهم ولا مجدية عليهم مع
الاعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها ولما انتفت عنهم منفعة الابصار جاز ان ينفى عنهم الابصار
نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله ما لك لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل وما اشبه ذلك
والوجه الثالث ان يكون معنى نفي السمع والبصر راجعًا الى آلهتهم لا اليهم وتقدير الكلام اولئك
وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الارض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبرًا عن الآلهة ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه يروى عن ابن عباس رحمة الله عليه وفيه ادنى بعد ويمكن ايضا

معنى الاستطاعة

وخبر آخر وهو ان تكون ما في قوله ما كانوا يستطيعون السمع ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم
لا اواصلك ما لاح نجم ولا قيمن على مودتك ما طلعت شمس ويكون المعنى ان العذاب يضاعف
لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اي انهم معذبون ما كانوا احياء فان قيل
كيف يعبر عن كونهم احياء باستطاعة السمع والابصار وقد يكون حيًّا من لا يكون كذلك قلنا للعرب في
مثل هذا عادة لانهم يقولون والله لا كلمتك ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما
بقيت وحييت لان الاغلب في احوال الحي ان تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الاغلب كالواجب ومن ذلك
قول الشاعر وما انس من شيء تقادم عهده فلست بناس ما هدت قدمي نعلي عشية قالت والدموع
بعينها هنيئًا القلب عنك لم يسل مبتلي وانما اراد اني لا انسى ذلك ما حييت وكذلك لا يمتنع
ان يعلق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والابصار ونحو المعنى الى تعلقه
ببقائهم وكونهم احياء والمرجع في ذلك الى التأبيد لانه اذا علق العذاب ببقائهم واحيائهم وعلمنا
ان الآخرة لا موت فيها ولا خروج عن الحياة علمنا تأبيد العذاب ونعود الى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على
شعر مروان فمما يختار له قوله من القصيدة التي اولها قد مضى وتكلمنا عليها وضعوا الحذو دللت سوق
جنح تشكو كلوم صفاحها وكلالها طلبت امير المؤمنين فواصلت بعد السرى بغد وها آصالها
نزعت اليك صوادياً فتقاذفت بظهور الفلاة حزونها ورمالها يتبعن ناجية تهز مراحها
بعد النحول تليلها وقذالها هو جاء تدلع الرياح تشقها شق الشموس اذا تراع جلالها تنجو
اذا رفع القطيع كما نجت خرجاء بادرت الظلام رئالها كالقوس ساهم آيتك وقد ترى كالبرج
تملأ رحلها وحبالها هذه الابيات في وصل الرواحل بالسرعة والنحول جيدة ممعرنة النسخ
وقد سبق الناس في هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فمن ذلك قول الاخطل يخوض كاعطال القسي تعلقت
اجنتها من شقة ودؤوب اذا معجل غادرنه عند منزل اتيح لجواب الفلاة كسوب المعجل الملقى
من الاجنة لغير تمام وجواب الفلاة الذئب وهن بنا عوج كان عيونها بقايا قلات قلصت لنضوب
مسانيف نطويها مع الخيط والسرى تكاليف طلاع النجاد ركوب تدليهم ترك الاصواء فيه كانها
رحال قيام عصبوا بسبوب تعوم بنا عوم السفين اذا انجلت سحابة وضاح السراب جنوب
وقال مسلم بن الوليد الانصاري الى الامام تهادانا بارحلها نخلو من الريح في اشباح ظلمان كان
اقلامها والفجر يأخذها اقلاة صادرة عن مورد حسبان وقال بشار واذا المطي سبحن في اعطانه
فات المطي بكاهل وتليل فكانه والناعجات مرنة قدح تطلع من قداح مجيل ولبعض المحاربيين
تهش الهجائر والظهائر لحمها حتى تخدد لحمها المتظاهر حرف تناهبها النجاء فلا يص مما تخل
شدقم اوذاعر صبر اذا عطفت سوالفها البرى سمعت لهن كشاكش وجراجر ويخلن من غرر النفوس

بشامة

وجدت هاء جنا وهن اذا اختبرن اباعر اما اذا ما اقبلت فكانها ذعر بها من الفلاة نوافر
اما اذا ما اعرضت فكانها كدر توقد بالنطاف صوادر اما اذا ما ابركت فكانها صرح مشيد
وهن ضوامر قال السيد قدس الله روحه وانى لاستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف ناقة بالسير
كان يديها اذا ارقلت وقد جرن ثم اهتدين السبيلا يدا سابح خر في غمرة وقد شارف الموت
الا قليلا اذا اقبلت قلت مشحونة اطاعت لها الريح قلعا جفولا وان ادبرت قلت مذعورة
من الربد تتبع هيقا ذمولا ومعنى قوله وقد جرن ثم اهتدين السبيلا يعني المطايا يقول كن
نشيطات يمرحن ويجرن فلا يلزمن لقم الطريق بل ياخذن يمينا وشمالا فلما غضهن الكلال استقمن
على المحجة فكانه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطي وكنى عن الكلال بلزوم الجادة الطريق
بعد شكسها وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول الاخر كان يديها حين جد نجاؤها يدا سابح
في غمرة يتذرع وقد يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول شماخ كان ذراعيها ذراعا مدلة
بعيد السباب حاولت ان تعذرا مجدة الاعراق قال ابن ضرة عليها كلاما جار فيه واهجرا
شبه ذراعيها وهي تتذرع في سيرها بذراعي امراة مدلة على اهلها ببراءة ساحتها وقد حكى
عنها ابن ضرتها كلاما اهجر فيه اي افحش فهي ترفع يديها وتضعها تعتذر وتحلف وتنضح عن نفسها
وقد قيل ان معنى مدلة انها تدل بحسن ذراعيها فهي تدهن لاظهارهما لترى حسنهما وقوله بعيد
السباب اي في عقيب المسابة قامت تعتذر الى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية
انها نصف من النساء فهي اقوم بحجتها من الحدثة الغرة وتشهد لهذه الرواية الاخيرة قول الاخر
كان يديها حين يقلق ضفرها يدا نصف غيري تعذر من جرم وقوله حين يقلق ضفرها فيه
سرقة فائدة لان الضفر هو الانساع وانما تقلق اذا جهدها السير فضمرت فكانه وصفها بالشدة
والنشاط مع الجهد والكلال ومثله كان ذراعيها ذراعا بذية مفجعة لاقت صواحب عن
عفر سمعن لها واستجلت بكلامها فلا شيء يفري باليدين كما تفري ويقاربه قول الاخر
الاهل تبلغنيهم على اللاواء والظنة وآة تحصي المغراء في اخفافها رتم اذا ما عسفت قلت عمائه
فاضحت كنه ومن شبه سرعة ايدي الابل بايدي النوائح كعب بن زهير فقال كان اوب ذراعيها
اذا عرقت وقد تلفع بالقور العساقيل وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورق الجنادب
يركضن الحصى قيلوا شد النهار ذراعا عيطل نصف قامت فجاوبها نكد مثاكيل نواحة
رخوة الضبعين ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول العساقيل اوائل السراب ولا واحد
لها من لفظها واخبر ان ناقته من شدة الحر واتقاد الظهيرة تمرح في سيرها وتتذرع بيديها كما
ذراعيها بذراعي امراة نصف تنوح على ابنها وقد نعي اليها فهي تشير بيديها وتوالي تحريكهما والعيطل

الطويلة العنق فجعلها نصفا لانها قد كادت تياس من الولد فهو اشد لحزنها على ابنها وبجعلها غلبنا
والقود جمع قاد وهي ما ارتفع واستدار من الرمل واراد ان يقول كما تلفعت القور بالعساقيل
فلم يمكنه فقلب ومثله وكانما دفعت بيديها تولا شمطاء قامت عنه ذات نخاد وانما خص الشمطاء
لما ذكرناه من الياس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة
الا جنينا وقد بين في بيت عمرو بل شبه الناقة بشمطاء لما على راسها من اللغام ومثل ما تقدم
من المعاني قول الشاعر يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل اغدون يوما وامري مجمع وتحت رحلي
زفيان ميلع كانها نائحة تفجع تبكي لميت وسواها الموجع الزفيان الناقة الخفيفة والميلع
السريعة وشبه رجع يديها في السير لنشاطها بيدي نائحة تنوح على ميتهم باجرة فهي تمد يديها لا
يسيدهما البرء مكانها ومثله بعينه قول ذي الرمة طايبق تضحى وهي عوج كانها بجوز الفلاة
مستاجرات نوائح ... ضربت لعدبيهن وخص المستاجرات من النوائح للمعنى الذي
ذكرناه وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى من وصف السرعة كان اوب يديها حين اعجلها اوب
المراح وقد نادوا بترحال مقط الكرين على مكنوسة زلق في ظهر حنانة البيرين معوال معنى
ذراعيها اي رجعهما واوب المراح اذا اراح القوم غادب اموالهم ليرحلوا وقد دعي اوب المراح بالكر
ومعناه رجع المراح والنشاط والمقط اللعب بالكرة والكرين جمع كرة والمكنوسة الارض البراح التي لا
شيء فيها والزلق المستوية من الارض والحنانة الريح والنيران جانبا هذه الارض ومعوال قيل انه
صفات الريح وقيل من صفات الارض فان كان للريح فمعناه ان الريح تعول الارض باسرها اي تملاها
واذا كان للارض فالمعنى انها تعول من سلكها اي تهلكه والحنيص معنى البيت انه شبه يدي ناقته
بيدي صانع بكرة في الارض الواسعة في يوم عاصف وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة
ومثل بيتي الشماخ قول المسيب بن علس مرحت يداها للنجاء كانما تكرو بكفي مائط في قاع
فعل السريعة بادرت جدادها قبل المساء تهم بالاسراع معنى تكرو اي كانها لاعب بكرة و
السريعة يعني ناسجة والجداد الغزل الضعيف فاراد انها تسرع الضرب بالحف والقبيح قبل المساء
وما دامت تبصر فشبه يدي ناقته في تدعمها بيدي هذه الناسجة قال الاصمعي الجداد هدب الثوب ومعنى
ان هذه الناسجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت الى هدبه فهي تبادر لتفرغ منه قبل المساء ومن هذا
منه قول الاخر كان ايديهن بالقاع القرق ايدي جوار يتعاطين الورق فالقرق الخشن الذي فيه
الحصى وشبه حذف مناسمهن له بحذف جوار يلعبن بدراهم وخص الجواري لانهن اخف يدا من
النساء وقال اخرون القرق ههنا المستوي من الارض الواسع وانما خص بالوصف لان ايدي الابل اذا
اسرعت في المستوي فهو احمد لها واذا ابطات في غيره فهو احمد لها ومن احسن ما قيل في الاسراع قول

قوله تعالى ما منعك ان تسجد الاية

المرار بن سعيد * فمنا ولو اشعب الرحال فقلصت * سود البطون كفضلة المتمرس * ذكر قوما سفرا
هبوا من نومهم الى رحالهم ليسيروا ويعني سود البطون الابل والمتمرس الصائد لله قد اتخذ ناموسا
وهو طائر يشبه البحتل الصيد فشبه المطايا في ضمرها بقطا قد صاد الصائد بعضها وافلت بعضها
فهن يطرن طيرانا شديدا ومثل هذا وان كان في وصف الخيل قول النابغة * كالطير تنجو من الشؤبوب
ذي البرد * فاما قول مروان * يهززن اجهادها بعد النحول نحيلها وغدا لها * فقد مضى من وصف المطايا
بالنشاط بعد السآمة والجهد بما مضى واحسن من قول مروان واشد افصاحا بالمعنى واعرابا عنه
قول البهدلي * ومن سيرها العنق المسبطر * والعجرفية بعد الكلال * وانما كان هذا احسن لانه
صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجري هذا المجرى لان النحول قد يكون
من جهد السفر والتعب وقد يكون من غيره فاما قوله كالقوس ساهمة اتتك فقد اكثرت العرب في وصف
المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسي في نحولها وقد احسن كثير في قوله * نفى السير عنها كل ذات اقامة * فهن
رذايا بالطريق تركنها * وحملت الحاجات خوصا كأنها * وقد ضمرت صفر القسي العواتك * وقال
سلم بن عمرو الخاسر * فكأنهن من الكلال اهلة * او مثلهن عطائف الاقواس * قد وطوا ما طوت
من بهم * ناي الصوى ومناهج ادراس * وقال ابو تمام يصف ناقة * اتتنا القادسية وهي نواه
الى تعيين شيطان رجيم * فما ملكت بنات عنقا حتى * رنت بلحاظ لقمان الحكيم * وقد لهما السرى بالجهل حلما
وقدا بهما قد الاديم * اذاب سنامها قطع الفيافي * وترجيلها انضج العصيم * بدت كالبدر وافى ليل
سعد * نواحل مثل عرجون قديم * وقال البحتري * وحذاني القلاص حولا اذا قابلن حولا من انجم الاسحار
يترقرقن كالسراب وقد خضن * غمارا من السراب الجاري * كالقسي المعطفات بل الاسهم * مبرية بل
الاوتار * وله ايضا * وهي العيس دهرها في ارتحال * من حلول وفرقة من جميع * [illegible]
تجاذب وقطرته سرابا كالمنهل المشروع * وسرى بحيه بالوخد حتى * تضاع الليل عن بياض الصديع
كالبرى في البرى وتحسبن احيانا * نسوعا تحذف له في نسوع * مجلس اخر تأويل اية ان سأل سائل عن قوله
تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي الاية فقال اضاف الى نفسه اليد وهو ممن يتعالى عن الجوارح
الجواب قلنا في هذه الاية وجوه اولها ان يكون قوله لما خلقت بيدي جاريا مجرى قوله تعالى لما
خلقت انا وذلك مشهور في لغة العرب يقول احدهم هذا ما كسبت يداك وما جرت عليك يداك
واذا ارادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشي قدمه
ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الاثبات ولا يكون للفعل رجوع الى الجوارح في الحقيقة
بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل وثانيها ان يكون معنى اليد ههنا النعمة ولا اشكال في ان احد محتملات
لفظة اليد النعمة واما الوجه في تثنيتها فقد قيل فيه ان المراد به نعمة الدنيا ونعمة الاخرة فكانه تعالى

قال

قال ما منعك ان تسجد لما خلقت لنعمتي واراد بالباء اللام وثالثها ان يكون معنى اليد ههنا القدرة
وذلك ايضا من محتملات اللفظة معروف يقول القائل ما لي بهذا الامر يد ولا يدان وما جرى
مجرى ذلك المعنى انني لا اقدر عليه ولا اطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على الحقيقة بل اثبات
كون القادر قادرا ونفي كونه قادرا فكانه تعالى قال ما منعك ان تسجد لما خلقت وانا قادر على خلقه
نعبر عن كونه قادرا بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة وكل ذلك واضح في تأويل الاية ونعود الى ما
كنا ابتدأناه من الكلام على شعر مروان فمن قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليها قوله
احيا امير المؤمنين محمد * سنن النبي حرامها وحلالها * ملك تفرع نبعة من هاشم * مد الاله على الانام
ظلالها * جبل لامته تلوذ بركنه * رادي حبال عدوها فازالها * لم تغشها مما تخاف عظيمة * الا اجال
لها الامور مجالها * حتى يفرجها اغر مبارك * الفى اباه مفرجا امثالها * ثبت على زلل الحوادث راكب
من صرفهن لكل حال حالها * كلتا يديك جعلت فضل نوالها * في المسلمين وفي العدو وبالها * وقعت
مواقعها بعفوك انفس * اذهبت بعد مخافة اوجالها * امنت غير معاقب اطرادها * وفككت من
اسرائها اغلالها * وضمنت نفسك خير نفس دونها * وجعلت مالك واقيا اموالها * اما قوله
احيا امير المؤمنين محمد * سنن النبي حرامها وحلالها * فقد عابه عليه بعض من لا معرفة عنده بنقد
الشعر فقال كيف يكون في سنن النبي حرام وما ذاك بمعيب لانه انما اراد بقوله حرامها وحلالها التحريم و
التحليل من سنته صلى الله عليه واله تحريم الحرام وتحليل الحلال وانما المعيب من هذا المعنى قول ابن
الرقاع العاملي * ولقد اراد الله اذ ولاكها * من امة اصلاحها ورشادها * ومثل قول مروان قول سلم
الخاسر * ولما ولي ذكر النبي بتحليله وبتحريمه * فاما قوله حتى يفرجها اغر مبارك البيت فكثير للمتقدمين و
المحدثين والاصل فيه قول زهير * وما كان من خير اتوه فانما * توارثه اباء ابائهم قبل * وهل ينبت
الخطي الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل * ومثله لاخر * وحمزة والعباس منهم ومنهم * عقيل وماء
العود من حيث يعصر * ومثله للربيع بن ابي الحقيق اليهودي * اذا مات منا سيد قام بعده * له خلف يكفي
السيادة بارع * من ابنائه والعرق ينضح فرعه * على اصله والعرق للعرق نازع * ومثله له * ترجو الغلام
وقد عيانا كذلك نوى ادرومته ما ينبت العود * واخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميت فقال * يجري
اصاغرهم مجرى اكابرهم * وفي ارومته ما ينبت الشجر * ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات
تخلف البيض من بنيك كما * تخلف عود النضار في شعبه * ومثله قول نهشل بن جري * ارى كل عود
ناميا في ارومة * ابى منبت العيدان ان يتغيرا * بنو الصالحين الصالحون ومن يكن * لاباء صدق يلقهم
حيث سيرا * ومثله لمسلم بن الوليد الانصاري * الح على الايام يفري خطوبها * على منهج الفى اباه به قبل
ولبثا على اعراقها تجري الجياد * ومثله وما في من خير وشر فانها * سجية ابائي ونحل جدودي

بعضهم

هم القوم فرعي منهم منفرع ، وعوهم عند الحوادث عوى ، وللبحتري واذا ابو الفضل استعار سجيّة للمكرمات فمن ابي يعقوب ، شرف تتابع كابراً عن كابر ، كالرمح انبوباً على انبوب ، وادى التجابر لا يكون تمامها ، لنجيب قوم ليس بابن نجيب ، وله ايضاً ، ما سعوا اخلقوا غير ابيهم ، كل ساع منا يريد بذ ضابه ، وله ايضاً ، وما تابع في المجد نهج عدوه ، كمتبع في المجد نهج ابيه ، وفي هذه القصيدة يقول مروان ، هل تعلمون خليفة من قبله ، اجرى لغايته التي اجرى لها ، طلع الدروب مشمّراً عن ساقه الخيل سفلتنا تجل نعالها ، قوداً تريع الى اغر لوجهه ، نور يضيء امامها وخلالها ، قصرت حمايله عليه فقلصت ، ولقد تحفظ قينها فاطالها ، حتى اذا وردت اوايل خيله ، جيحان على العدو عالها احمى بلاد المسلمين عليهم ، واباح سهل بلادهم وجبالها ، دمت دوابر خيله وشكيمها ، غار التهم وكحقت اطالها ، لم يبق بعد مقادها وطرادها ، الا نحايزها والا الها ، رجع الخليفة ناظرين وراءه بيديه باكرة شكرت نوالها ، وحسدت حتى قيل الصبح باغياً ، في المشي مترفّه تختالها ، ولقد حلوت لمن اطاع ومن عصى نغلاً وورثت عن النبي مثالها ، اما قوله قصرت حمايله فالاصل فيه قول عنترة بطل كان ثيابه في سرحة ، يحذى نعال السبت ليس بتوأم ، او قول الاعشى الى ماجد كهلال السماء ، ازكى وفاء ومجداً وخيراً ، طويل النجاد رفيع العماد ، يحمي المضاف ويغني الفقيرا ، ومثله طويل نجاد السيف عاد جيبته كنصل اليماني اخلصته صياقله ، اذا هم بالمعروف لم تجر طيره نحوساً ولم تستوبه عواذله ، ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفي ، واشعث طلاع الثنايا مبارك ، يعول نجاد السيف وهو طويل ، ولابي جرير العبسي ، يمد نجاد السيف حتى كانه ، باعلى سناس فالج يتطوح ، اذا اهتز في البر اليماني خلته ، هلالاً بدا في جانب الافق يلمح ، ولابي عطاء السندي ، واذهم من بني عمرو بن عمرو ، حمايله وان طالت قصار ، ولبعضهم في آل المهلب ، رايتكم اعز الناس جاراً ، وامنعهم اذا عدوا ذماراً ، حمايلكم وان كانت طوالاً ، نراها عن شمائلكم قصاراً ، ولبعض بني العنبر في معنى الطول فجاءت به عبل العظام كانما ، عمامته بين الرجال لواء ، ولاخر اشم طويل الساعدين كانما ، يناط الى جذع طويل حمايله ، ولابن هرمة ، يناط حمايل الهندي منه ، بعاتق لا الف ولا ضئيل ولكن يستقل به فؤاد ، على خاص بقايمه نخيل ، ولسلم الخاسر ، يقوم مع الرمح الرديني قامة ويقصر عنه طول كل نجاد ، وللختعمي يوازي الرديني في طوله ، ويقصر عنه نجاد الحسام ، وللواثقي طول وطول فرى كفه ، تشهد بالطول انهلال الغمام ، وطوله يغتال يوم الوغى ، وغيره قصار نجاد الحسام ، فاما قوله ولقد حلوت لمن اطاع ومن عصى نغلاً وورثت عن النبي مثالها فقد ردد مروان معناه في مواضع من شعره فقال ، شبيه ابيه منظراً وخليقة ، كما حذيت يوماً على اختها النعل ، وقال في موضع اخر احيا لنا سنن النبي سميه ، فتا الشراك به فرتّب شراكا ، وقال ايضاً حجج

الضمير

الضمير سره مثل جهره ، قياس الشراك بالشراك تقابله ، وقال ايضاً تشابهتما خلقاً غداة وهابلا وحزماً اذا امر اقام واقعدا ، تنازعتما نفيس هدى كهذه ، على اصل عرق كان افخر مثلدا ، كما قاس نعلاً الحضرمي فقدها ، على اختها لم يال ان يتجودا ، واخذ هذا المعنى ابو نواس فقال تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها ، خلقاً وخلقاً كما قد الشراكان ، والاصل في هذا المعنى قول ابي دريد فلما تواقفنا عرفت الذي بها ، كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل ، ومثله للسيد الحميري في تلك اخلاق النبي وفعله كالنعل تشبه في المثال طراقها ، وتقدم هذا المعنى يزيد بن المكسر بن ثعلبة بن سيار العجلي بقوله في يوم ذي قار يحرض قومه على القتال ، من فر منكم فر عن حريمه ، وجاره وفر عن نديمه ، انا ابن سيار على شكيمه ، مثل الشراك قد من اديمه ، وكلهم يجري على قديمه ، فاما قوله وحسدت حتى قيل الصبح باغياً البيت فمعنى قول البحتري ، التي الايام من بعد قسوة وعاتبت لي دهر المسي فاعتبا ، والبيت للنمي التي عيرت اخي ، على فامنى نادح الود اجنبا ومما يختار لمروان قوله ، موفق لسبيل الرشد متبع ، يزينه كل ما ياتي ويجتنب ، تسمو العيون اليه كلما انفرجت للناس عن وجهه الابواب والحجب ، له خلايق بيض لا يغيرها ، صرف الزمان كما لا يصدا الذهب ، ووجدت بعض من ينقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت الاخير من الثلاثة ابيات وكان ابن مناذر اذا اراد يقول وقد سال هو مجاود مكه عمن يبغداد من الشعراء فقيل له العتابي بن الاحنف فقال انشدوني له فانشدوه ، لو كنت عاتبة لسكن عبرتي ، املي رضاك وذوب غير مراقب ، لكن مللت فلم تكن لي حيلة ، صد الملوك خلاف صد العاتب فقال ابن مناذر اخلق بن ادام بحث التراب ان يصيب خرزة قال السيد فلله ابن الله ووجه ولا شك في قلة الامثال في شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذي تضمنه البيت قد سبق ايضاً اليه قال طريح بن اسماعيل ، جواداً اذا جئته راجياً ، كفاك السؤال وان عدت عادا ، خلايق كسبيك النضار ، لا يعمل الدهر فيها فساداً ، ومثله للخزيمي ، رايتك يا ابن يزيد زيد الندى ، وزيد الفخار وزيد الكرم تزيد على نائبات الخطوب بذلاً وفي سابغات النعم كذا الحر والذهب المعتلى يجود هذا وذاك القدم وفي قوله الذهب المعتلي فايدة لانه اذا خلص الذهب صفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه ومثله للاموي ، باوي الى خلق لم يصد طبعه ، كان جوهره من جوهر الذهب ، ولبعضهم ما له خلق خليق بالعلى ، كسبيكة الذهب التي لا تكلف ، وقد اخذ البحتري هذا المعنى في قوله فلا تغر لنحلها بتكلفه ، لصورة حسنها الاصلي يكفيها ، ان الدنانير لا تجلى وان عتقت ، ولا تزاد على النقش الذي فيها ، وبحظه مثله ، صديق لي له ادب ، صداقة مثله حسب ، رعاه فوقنا برعي واوجب فوق ما يجب ، ولو نقدت خلايقه لبهرج عندنا الذهب مجلس اخر تاويل ايه ان

تأويل آية نحن اعلم بما يستمعون به الآية

سال سائل عن قوله تعالى نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا فقال لم وحد نجوى وهو خبر عن جميع وما معنى مسحورا وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك بل عادتهم جارية بقرفه بانه ساحر الجواب قلنا اما قوله تعالى واذ هم نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مفرد على لفظه ويجري ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمنازل حمد يعني بصوم صائمون وبحمد محمودة وقد قال قوم معناه واذ هم اصحاب نجوى فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويقال القوم نجي والقوم انجية فمن وحد بنى على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصادر ملحقا برغيف وارغفة وما اشبه ذلك وقد قال الشاعر في التوحيد. اني نجي لعبد هند وتعده. ولم يك فيما قد بلوت بكاذب. وانشد الفراء في الجمع. ظللن نساءهم والقوم انجية. يعدي عليها كما يعدى على الغنم. فاما قوله تعالى ان تتبعون الا رجلا مسحورا ففيه وجوه اولها ان يكون المراد ان تتبعون الا رجلا مسحورا متغير العقل لان المشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وآله وتضعيف امره وتوهين رايه فكانوا في وقت ينسبونه الى انه ساحر وفي آخر يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل وربما قذفوه بانه شاعر وهو بريء من ذلك كله وقد جرت عادة الناس بان يصفوا من ينسبونه الى البله والغفلة وقلة التحصيل بانه مسحور وثانيها ان يريدوا بالمسحور المخدوع المعلل لان ذلك احد ما تستعمل فيه هذه اللفظة قال امرؤ القيس. ارانا موضعين لحتم غيب. ونسحر بالطعام وبالشراب. وقال امية بن ابي الصلت. فان تسئلينا فيم نحن فاننا. عصافير من هذا الانام المسحر. وثالثها ان السحر في لغة العرب الرئة وما تعلق بها وفيها ثلاث لغات سَحر وسُحر وسِحر وقيل السحر ما لصق بالحلقوم والمريء من اعلى الجوف وقيل انه الكبد فكان المعنى على هذا ان تتبعون الا رجلا ذا سحر خلقه الله بشرا كخلقكم ورابعها ان يكون معنى مسحور اي ساحر وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا اي ساترا والعرب تقول للمعسر ملفج ومعناه ملفج لان ماضيه الفج فجاؤا بلفظ المفعول وهو الفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤوم على فلان وميمون وهم يريدون شائم له ويامن لانه من شأمهم ويمنهم قال السيد قدس الله روحه ورايت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الاخير فيقول العرب لا تعرف فلان مشؤوم على فلان وانما هذا من كلام اهل الامصار وانما تسمي العرب من لحقه الشؤم مشؤوما قال علقمة بن عبدة. ومن تعرض للغربان يزجرها. على سلامته لابد مشؤوم. والوجوه الثلاثة الاول اشبه واوضح ومما يختار لمروان بن ابي حفصة قوله من قصيدته يمدح بها معن بن زائدة الشيباني اولها. ارى القلب اضحى بالاوانس مولعا. وان كان من عهد الصبي قد تمتعا. يقول فيها. ولما سرى الهم الغريب قريته. قرى من نأى بالشك عنه وازمعا. عزمت

فعجلت الحبل ولم اكن. كذي لوثة لا يطلع الهم مطلعا. فامت بي ارض معن ولم تزل. الى ارض معن حيث ما كان نزعا. نجائب لولا انها سخرت لنا. ابت عزة من جهلها ان توقعا. كسونا رحال الميس منها غواربا. تداركها التهجير صيفا ومربعا. فما بلغت صنعاء حتى تواضعت. ذراها وزال الجهل عنها واقلعا. يقول فيها. وما الغيث اذ عم البلاد بصوبه. على الناس من معروف معن باوسعا. تدارك معن قبة الدين بعدما. خشينا على اوتادها ان تنزعا. اقام على الثغر المخوف وهاشم. تساقى سماما بالاسنة منقعا. مقام امرئ يابى سوى الخطة التي. تكون لكعب الحديث رفعا. وما احجم الاعداء عنك بقية. عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا. راوا مخدرا قد جربوه وعاينوا. لدى غيله منهم مجرا ومصرعا. وليس بثانيه اذا شد ان يرى. لدى الحرب زرق الاسنة شرعا. له راحتان الحتف والغيث فيهما. ابى الله الا ان تضر وتنفعا. لقد دوخ الاعداء معن فاصبحوا. وامنعهم لا يدفع الذل مدفعا. بنجب مناجيب وسيد سادة. ذوي المجد من فرعي نزار تفرعا. لبانت خصال الخير فيه واكملت. وما اكملت خمسا سنوه واربعا. لقد اصبحت في كل شرق ومغرب. بسيفك اعناق المريبين خضعا. وطئت خدود الحضرميين وطأة. لها هد ذكنا عزهم فتضعضعا. فاقعوا على الاذناب اقعاء معشر. يرون لهم يوم السلم ابقى واودعا. فلو مدت الايدي الى الحرب كلها. لكفوا وما مدوا الى الحرب اصبعا. اما قوله. فما بلغت صنعاء حتى تواضعت. ذراها فزال الجهل عنه واقلعا. فقد ردده في موضع آخر فقال. فما بلغت حتى حماها كلالها. اذا عرنيت اصلابها ان تقيدا. وهذا المعنى كثير في الشعر القديم والمحدث فمنه قول جرير. اذا بلغوا المنازل لم تقيد. وفي طول الكلام لها قيود. ويروى انه قيل لنصيب لك بيت نازعك فيه جرير ايكما فيه اشعر قال فما هو فقيل قولك. اضر بها التهجير حتى كانها. بقايا سلال لم يدعها سلالها. وانشد بيت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفى فقيل له قد فضله عليك فقال هو ذاك واخذ هذا المعنى المؤمل بن اميل المحاربي فقال. كانت تقيد حين تنزل مرة. فاليوم صار لها الكلال قيودا. ولابي نخيلة. قيدها الجهد لم تقيده. فهي سوام كالقنى المسند. وما لها معقل من نزوة. منها ولا من شاحط مستبعد. ومعنى قوله سوام اي هي رافعة رؤسها وشبهها بالقنى لان القنى اذا ركزت مال قمنيلا مع الريح فيقول في اعناقها ميل من الضعف كما قال الشماخ. فاضحت تغالي بالستار كانها. رماح نحاها وجهة الريح راكز. وكما قال حميد بن ثور. يموج حرائم والمطي كانه. قنى مسند هبت لهن حريق. والحريق ريح شديدة تتحرق من كل وجهة ومعنى قول ابي نخيلة من نزوة اي من عقيلة تحترقها من الاحتيار واراد انه لا شيء في اجوافها فتعلل به والمستبعد ما بعد من المرعى. وانشد ابو العباس ثعلب. اذا بلغوا المنازل لم تقيد. ركابهم ولم تشدد بعقل. فهن معقلات مطلقات. بقضم ما تشدد في المحال. والاصل في هذا قول امرئ القيس. مطوت بهم

حتى نكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بارسان ولعباد بن انف الكلب الصيداوي فتمسي لا امدّ بها بحبل
بها طول السراوة والكلال ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل بدانا بها من سيف
رمل كهيلة وفيها نشاط من مراح وعجرف فما بلغت حتى تقارب خطوها وبادت ذراها والمناسم
رعف وحتى قتلنا الجهل عنها وغودرت اذا ما انيخت والمدامع ذرف وحتى المشي الحادي البطي
يسوقها لها بخص دام ودأي مجلف النحص لحم الخف الذي يطأ عليه والدأي فقار الظهر والمجلف
المقشور وحتى بعثناها وما في يد بها اذا حل عنها رمة وهي رسف الرتقة الحبل واذا انها ترسف
كما يرسف المقيد وان لم يكن في يدها قيد اذا ما نزلنا فانثلت عن ظهورها اجراجيح امثال الاهلة
شسف الجراجيح الطوال من الابل والشسف اليابسة من الجهد والكلال ومعنى قوله انها للغربان
انها اذا عريت ظهورها تقع الغربان عليها لتاكل دبرها فالابل تدفع الغربان بافواهها عن ظهورها ودبرها
فما لها اذا ما اردناها الادمة اقبلت الينا بحرات الخدود وتصدف فافقه مراح الداعر بعضها
بنا الليل اذ نام الدثور الملفف ومن احسن ما قيل في وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد بعد
السمن قول الشاعر وذات ما آبن قد غيضت جمتها بحيث تستمسك الارواح بالحجر ردت على غيطان
الفلا وبحث بمثل ايبالة من حايل العشر فقوله ذات ما آبن يعني سمنا على سمن وقيل بل عنى انها ذات
كلاء غامين وقوله قد غيضت جمتها يعني انه انضاها بالسير حتى ردها هزيلة بعد سمن فكانه غيض
بذلك ماءها ومعنى بحيث تستمسك الارواح بالحجر يعني الفلاة حيث لا يكون الماء فيقسم الركب الماء
الذي معهم بالحجر الذي يقال له المقلة فيمسك ارماقهم وقوله ردت على غيطان الفلا اي ما د
من كلاء هذه الاماكن وسمنت عنه كان كغاية تترغد فاز ذته حيث جهدها السير وهزلها والا
الايبالة الحزمة من حطب اليابس وقد اخذ هذا المعنى بعينه ابو تمام فقال رعته الفيافي بعدما كان
حقبة رعاها وماء المزن ينهل ساكبه فكم جزع واد جب ذروة غارب وبعد قبل كانت تمكنه تدا
فاما قوله فما اجحم الاعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا فماخوذ من قول الاخر
فما بقيا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال وقريب منه قول الاخر لعمرك ما الناس اثنوا
عليك ولا قرظوك ولا عظموا ولو انهم وجدوا مطمعا الى ان يعيبوك ما اجملوا فانت تفضلك
الجاتهم الى ان يجلوا وان يعظموا ومثله اما الوراى فيك العد نقيصة لحبب بصرف العيوب
واوضعا ولكنه لما راك مبرءا من العيب غطى راسه وتقنعا ومثله قد طلب العاذل عيبا
فما اصاب عيبا فانثنى عاذرا وللبحتري في معنى قول مروان فما احجم الاعداء عنك بقية من قصيدة
يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الاسد غداة لقيت الليث والليث خادر يحدد نابا للقاء
ومخلبا شهدت لقد انصفته يوم تنبري له مصلتا عضبا من البيض مقضبا فلم ار ضرغامين

اصدق

تأويل قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه

أصدق في منكما عراكا اذا الهيابة النكس كذبا هزبر مشى يبغي هزبرا واغلب من القوم يغشى باسل
الوجه اغلبا ادل بشغب ثم هالته صولة رآك بها امضى جنانا واشغبا فاحجم لما لم يجد فيك
مطمعا واقدم لما لم يجد عنك مهربا فلم يغنه ان كر نحوك مقبلا ولم ينجه ان حاد عنك منكبا
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا وكنت متى تجمع يمينك تهتك الفرى
او لا تبق للسيف مضربا ومن فصيح كلام مروان ورائقه ومما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ
واطراد النسج قوله بنو مطر يوم اللقاء كانهم اسود لها في غيل خفان اشبل هم يمنعون الجار حتى
كانما لجارهم بين السماكين منزل بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن كاولهم في الجاهلية اول
هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا وما يستطيع الفاعلون
فعالهم وان احسنوا في النائبات واجملوا ثلاث بامثال الجبال حباهم واحلامهم منها لدى
الوزن اثقل ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنا ما من عدو يمعنا باحتيه الا
يظن المنايا تستقر القدرا يلقى اذا الخيل لم تقدم فوارسها كالليث يزداد اقداما اذا زجرا
اغر يحسب يوم الروع ذا لبد وفي الندى ويحسب فوق المنبر القمرا وله من قصيدة يصف يوما حارا
ويوم عسول الالآم كانما لظى شمسه مشبوبة بلهب نصبنا له منا الوجوه وكنها عصائب
اسمال بها نتعصب واشبه ان يكون اخذ ذلك من قول الشنفرى ويوم من الشعرى يذوب
لعابه افاعيه في رمضائه تتململ نصبت له وجهي ولا كن دونه ولا ستر الا الاتحمي المرعبل
ولمروان من ابيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ويذكر نخلها وشجرها اجاد فيها نواصر غلبا
قد تدانت رؤوسها من النبت حتى ما يطير غرابها ترى الباسقات العم فيها كانها ظعائن
مضروب عليها قبابها ترى بابها سهلا لكل مدفع اذا انبعث نحل فاغلق بابها يكون لنا ما
نجتني من ثمارها ربيعا اذا الآفاق قل سحابها حظائر لم يخلط باثمانها الربى ولم يك من اخذ
الديات اكتسابها ولكن عطاء الله من كل مدحة جزيل من المستخلفين ثوابها ومن ركضنا الخيل
في كل غارة حلال بارض المشركين نهابها حوت غنمها اباؤنا وجدودنا نصيم العوالي والدماء
خضابها اما قوله حظائر لم تخلط باثمانها الربى ولم يك من اخذ الديات اكتسابها فكان ابن المعتز
نظر اليه في قوله لنا ابل ما اورثتها دماؤنا ولا ذعرها في الصبا الصوايح وفي ضد هذا القول لبني
تميم كثرت فيهم المواشي لان اتتها من مناكح وديات ومثل الاول قول حسان يهجو قوما من قريش
وما لكم الا من طراد فوارس ولكن من التربيع فيما آل مالك **مجلس آخر** تأويل آية ان سأل سائل عن
قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقوله ويبقى وجه ربك وما
شاكل ذلك من الآي المتضمنة لذكر الوجه الجواب قلنا الوجه ينقسم في اللغة العربية الى اقسام

فالوجه المخبر المركب فيه العينان من كل ذى حيوان والوجه ايضا اول الشئ وصدره ومن ذلك قوله
تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره اى آخر
اول النهار واكفروا اخره اى اوله ومنه قول الربيع بن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك فليات
نسوتنا بوجه نهار اى غداة كل يوم وقال قوم وجه نهار موضع والوجه القصد بالفعل من ذلك قوله
تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن معناه من قصد بامره وفعله الى الله سبحانه واراده بهما وكذلك قوله
ومن احسن ممن اسلم وجهه لله وهو محسن وقال الفرزدق واسلمت وجهى حين شدت ركابى الى
آل مروان بناة المكارم اى جعلت قصدى وارادتى لهم وانشد الفراء استغفر الله ذنبا لست
محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل اى القصد ومنه قولهم فى الصلاة وجهت وجهى للذى فطر
السموات والارض اى قصدت بقصدى بصلاتى وعملى وكذلك قوله تعالى فاقم وجهك للدين والوجه
الاحتيال للامر من قولهم كيف الوجه لهذا الامر وما الوجه فيه اى ما الحيلة والوجه المذهب والجهة
والناحية قال حمزة بن بيض الحنفى اى الوجوه انتجعت قلت له لاى وجهة الى الحكم متى يقل صاحبا
سرادقه هذا ابن بيض بالباب يبتسم والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض
ولفلان اوجه من فلان اى اعظم قدرا وجاها ويقال اوجهه السلطان اذا جعل له جاها قال
امرؤ القيس ونادمت قيصر فى ملكه فاوجهنى وركبت البريدا والوجه الرئيس المنظور اليه يقال
فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشئ نفسه ايضا وذاته قال احمر بن جندل السعدى يحض
حمزة الخوفران بطعنة فانلت وجهه عنك بهد اراد فلته ويحاه ومنه قوله انما افعل ذلك لوجهك
ويدل ايضا على ان الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه
يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية لان جميع
ما اضيف الى الوجوه فى ظاهر الاى من النظر والظن والرضى لا يصح اضافته على الحقيقة اليها
وانما يضاف الى الجملة بمعنى قوله كل شئ هالك الا وجهه اى كل شئ هالك الا اياه وكذلك قوله تعالى
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ومما يدل على ان المراد بوجهه نفسه قوله
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام لما كان المراد بالوجه نفسه ولم يقل ذى الجلال كما قال تبارك
اسم ربك ذى الجلال والاكرام لما كان اسمه غيره ويمكن فى قوله كل شئ هالك الا وجهه وجه آخر
قد روى عن بعض المتقدمين وهو ان يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله تعالى ويوجه نحو القربة
اليه جلت عظمته فيقول لا تشرك بالله ولا تدع مع الله الها غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد
به سواه فهو هالك باطل كيف يجوز للمشبهة ان تحمل هذه الاية والتى قبلها على الظاهر او ليس ذلك يوجب
انه تعالى يفنى ويبقى وجهه هذا اكفر وجهل من قائله فاما قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقوله الا ابتغاء

وجه

وجه ربه الاعلى وقوله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فمعلوم ان هذه الافعال مفعولة له
ومقصود بها ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده فاما قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله فيحتمل ان يراد
فثم الله لا على معنى الحلول لكن على معنى التدبير والعلم ويحتمل ان يراد به فثم رضى الله وثوابه والقربة
اليه ويحتمل ان يراد بالوجه الجهة وتكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عز
وجل قال ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله اى ان الجهات كلها لله وتحت ملكه و
هذا واضح بين بحمد الله اخبرنى ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولى قال انجلى غيث
مع المكتفى بالله فى آخر سفرة سافرها للصيد من الموضع المعروف بحجبة الى تكريت فى حراقة فكانت
تجنح كثيرا فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت اشدهم فزعا وكان فى الحراقة سوى من الجلساء
يحيى بن على المنجم ومتوج بن محمود بن مروان والقسم المعروف بابن حبابة فكان يضحك لفزعنا ويقول
لقد قسم الله لكم حظا من الشجاعة جزيلا فقلت له ان البحترى يقول شعرا يصف فيه مثل حالنا ويمدح
به احمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم فى مراكب قلت له الم تر تغليس الربيع المبكر وما حاك
من وشى الرياض المنشر فقال انشدنى الموضع الذى ذكر هذا فيه منها وكان حسن العلم بالاشعار حافظا
للاخبار فانشدته غدوت على الميمون صبحا وانما غدا المركب الميمون تحت المظفر اذا زمجر النوتى فوق علاته
رايت خطيبا فى ذوابة منبر يغضون دون الاشتيام عيونهم وفوق السماط للعظيم المؤمر اذا ما
علت فيه الجنوب اعتلاله جناحا عقاب فى السماء مهجر اذا ما انكفى فى هبوة الماء خلته تلفع فى
اثناء برد محبر وحولك ركابون للهول عاقروا كؤس الردى من دارعين وحسر تميل المنايا حيث
مالت اكفهم اذا اصلتوا حد الحديد المذكر اذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم ليقلع الا عن شواء
مقتر يسوقون اسطولا كان سفينه سحائب صيف من جهام وممطر صدمت بهم صهب العثانين دونهم
ضراب كايقاد اللظى المتسعر كان ضجيج البحر بين رماحهم اذا اختلفت ترجيع عود مجرجر تقارب
من زحفيهم فكانما تؤلف من اعناق وحش منفر فما رمت حتى اجلت الحرب عن طلى مقصصة فيهم
وهام مطير على حين لا نقع تطوحه الصبا ولا ارض تلفى للصريع المقطر وكنت ابن كسرى
قبل ذلك وبعده مليئا بان توهى صفاة ابن قيصر حدجت له الموت الذعاف فعافه وطار
على الواح شطب مستمر مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها عليه ومن يول الصنيعة يشكر قال فاستجاد
المكتفى قوله على حين لا نقع تطوحه الصبا فقال له يحيى بن على انشد ابن الرومى شعرا له فى هذا المعنى
منه ولم اتعلم قط من ذى سباحة سوى الغوص والمضعوف غير مغالب ولم لا ولو القيت فيها وصخرة
لوافيت منها القعر اول راسب واكبر اشفاقى من الماء انني امر به فى الكوز مر المجانب واخشى
الردى منه على كل شارب فكيف بامنيه على نفس راكب فقلت له انما اخذ ابن الرومى بيته الثالث

من قول ابي نواس فقال المكتفي وما قال فقلت حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني ابو وايل اللخمي قال حدثني ابرهيم بن الخصيب قال وقف ابو نواس بمصر على النيل فراى رجلا قد اخذه التمساح في النيل فقال : اضمرت للنيل هجرانا ومقلية ؛ مذ قيل لي انما التمساح في النيل فمن راى النيل راى العين من كثب فما ارى النيل الا في البواقيل قال الصولي البواقيل سفن صغار ثم اجرى المكتفي ذكر الشيب فقال العرب تقول اظلم من شيب وقد شبت وظلمني الشيب وشبت يا صولي فقلت جواب عبد الله في هذا جواب معن بن زايدة في الشيب للمنصور وقد قال له كبرت يا معن فقال في طاعتك يا امير المؤمنين قال وانك لتتجلد قال على اعدائك قال وفيك بقية قال هي لك فنزع المكتفي عمامته فاذا شيبتان في مقدم راسه فقال لقد عمني طلوع هاتين الشيبتين فقلت انما يعيش الناس في الشيب فاما السواد فلا يصحب الناس خالصا اكثر من اربعين سنة الى الخمسين وقد عاش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة فانشده يحيى بن علي بن يحيى المنجم في معنى طول العمر مع الشيب قول امرئ القيس الا ان بعد العدم للمرء قنوة ؛ وبعد المشيب طول عمر وملبسا وانشد ايضا ابياتا انشدها اسحق بن ابرهيم الموصلي لبعض العيسيين لم ينتقص مني المشيب قلامة الآن حين بدا الب واكيس ؛ والشيب ان يظهر فان خلاله ؛ عمرا يكون خلاله متنفس قال قدس الله روحه اما قول البحتري مضى وهو مولى الريح فقد كرر معنا في قوله من قصيدة يمدح بها ابا سعيد الثغري : اتسلى على متونيل اطراف القنا ؛ فنجا عتيق عتيقه جرداء ؛ ولو انه ابطالهن هنيهة لصدرن عنه وهن غير ظماء ؛ فلئن تبقاه القضاء لوقته ؛ فلقد عممت جنوده بفناء اظنه اخذ هذا المعنى من ابي تمام في قوله من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الخرمية لولا الظلام وقلة علقوا بها ؛ باتت رقابهم بغير قلال ؛ فليشكروا جنح الظلام ودروذا ؛ فهم لدروذ والظلام موالي وقد اخطا الصولي في تفسير بيت ابي نواس بان البواقيل سفن صغار لان البواقيل جمع بوقال وهو آنية على هيئة الكوز معروف تعمل في الزجاج وغيره وهذا مثل قول ابن الرومي ما آمر به في الكوز من المجانب وانما اراد انني لا امر بماء النيل الا اذا اردت شربه في كوز او بوقال وما اظن الصولي استمر عليه الوهم من جهة قوله فما ارى النيل وصرف ذلك الى انه اراد النيل بعينه على الحقيقة وانما اراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصغار تسمى بواقيل لا من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحا من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت ابي نواس بما ذكرناه اشبه واليق وادخل في معنى الشعر كيف تدخل شبهة في ذلك مع قوله فمن راى النيل راى العين من كثب ومن راى النيل في السفن فقد راه من كثب فاما مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس واكثروا فمما تقدم في ذلك قول روبة بن العجاج ويقال ان روبة لم يقل من القصيد الا هذين

في صفة الشيب

البيتين

البيتين ؛ ايها الشامت المعير بالشيب ؛ اقلن بالشباب افتخارا ؛ قد لبست الشباب غضا جديدا ؛ فوجدت الشباب ثوبا معارا ؛ ولعلي بن جبلة حفا طرب الفتيان وهو طروب ؛ واعقبه قرب الشباب مشيب ؛ تجافت عيون البيض عنه وربما ؛ مددن اليه الوصل وهو حبيب ؛ لعمري لنعم الصاحب الشيب والغطا وان كان عند العيون نكوب ؛ خليط نهى منتاب حلم وانه ؛ على ذاك مكروه الخلاط مريب ؛ ولآخر وتنكرت شيبي فقلت لها ؛ ليس المشيب بنافص عمري ؛ شيبا شيبي في الشباب اذا ما كنت من عمري على قدر ؛ ولآخر ان اكن قد دريت اسود كالفحم واعقبت مثل لون الثغام فلقد اسعف الكريم واحبوا اهله بالندى لدى الظلام ؛ غير ان الشباب كان رداء ؛ خاننا فيه كفى غمامه ؛ ولآخر ان المشيب رداء الحلم والادب ؛ كما الشباب رداء الجهل واللعب ؛ تعجبت ان رات شيبي فقلت لها ؛ لا تعجبي من يطل عمر به يشب ؛ ولابن الجهم حسرت عني القناع ظلوم وتولت ودمعها مسجوم ؛ انكرت ما رات براسي فقالت ؛ امشيب ام لؤلؤ منظوم ؛ قلت شيب وليس عيبا فانت ؛ انه ليستثيرها المهموم ؛ شد ما انكرت تصرم عهدي لم يدم لي ايا شي يدوم ؛ ولابي هفان ؛ تعجبت درّ من شيبي فقلت لها ؛ لا تعجبي فطلوع الشمس في السدف ؛ وزادها عجبا لما رات سملي ؛ وما درت درّ ان الدر في الصدف ؛ وقد احسن ابو تمام غاية الاحسان في قوله ابدت اسى ان رات اشتي تخلس النجي ؛ وال لها كان من عجب الى عجب ؛ ست وعشرون تدعوني واتبعها ؛ الى المشيب ولم تظلم ولم تحب ؛ فلا يورقك ايماض القتير به ؛ فان ذاك ابتسام الراي والادب ؛ وللبحتري عيرتني بالشيب وهي بدمته ؛ في عذاري بالصد والاجتناب ؛ لا تريه عارا فما هو بالشيب ؛ ولكنه جلاء الشباب ؛ وبياض البازي اصدق حسنا ؛ ان تاملت من سواد الغراب ؛ وله ها هو الشيب لايما فافيقي ؛ واتركيه ان كان غير مفيق ؛ فلقد كف من عناء المعنى ؛ وتلاني من اشتياق المشوق ؛ عذلتنا في عشقها ام عمرو ؛ هل سمعتم بالعاذل المعشوق ؛ ورات لمة الم بها الشيب فريعت من ظلمة في شروق ؛ ولعمري لولا الاقاحي لابصرت ؛ انيق الرياض غير انيق ؛ وسواد العيون لو لم تكمل ؛ ببياض ما كان بالموموق ؛ ومزاج الصهباء بالماء املى ؛ بصبوح مستحسن وغبوق ؛ اي ليل يبهى بغير نجوم ؛ او سماء تندى بغير بروق ؛ ويشبه ان يكون اخذ قوله اي ليل يبهى من قول الشاعر ؛ اشيب لم اقض الشباب حقوقه ؛ ولم يمض من عهد الشباب قليل ؛ ذات وضحا في مفرق الراس راعها ؛ وشتان مبيض به وبهيم ؛ تفاريق شيب في الشباب لوامع ؛ وما حسن ليل ليس فيه نجوم ؛ واورد الوراق مثل هذا المعنى قوله ما الدر منظوما باحسن من شيب يحلل هامة الكهل ؛ وكانه فيها النجوم اذا ؛ حد المنير بها على مهل ؛ لا تنكرن على الشباب اذا ؛ يبكي المجهول عليه للجهل ؛ واشكر لشيبك حسن صحبته فلقد كساك جلالة الفضل ؛ ولآخر في

مدح المشيب لا بد على المشيب بانه عند الله فالشيب حليته ووقار انما تحسن الرياض اذا ما
ضحكت في خلالها الانوار قال السيد المرتضى قدس الله روحه ولي في هذا المعنى من قصيدة
جزعت لوخطات المشيب وانما بلغ الشباب مدى الكمال فنورا والشيب ان فكرت فيه مورد لا
بد يورده الفتى ان عمرا يبيض بعد سواده الشعر الذي ان لم يزره الشيب واراه الردى وتمم على
بين الشيب والشباب في مدح كل واحد منهما طريح بن اسماعيل الثقفي فقال والشيب للحكماء من سفر
الصبى بدل يكون لها الفضيلة مقنع والشيب غاية من تاخر حينه لا يستطيع دفاعه من يجزع
ان الشباب له لذاذة جدة والشيب منه في المغبة انفع لا يبعد الله الشباب فمرحباء بالشيب
حين اوى اليه المرجع وكان الشباب الغض لي فيه لذة فوفر لي عند المشيب واذ بان فسقيا
ورعيا للشباب الذي مضى واهلا وسهلا بالمشيب مرحبا مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل
عن قوله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي و
ليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فقال كيف ضمن الاجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب
الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون المراد بقوله اجيب دعوة الداع اي اسمع دعوته ولهذا
يقال دعوت من لا يجيب اي دعوت من لا يسمع يقال سمع الله لمن حمده بمعنى اجاب الله لمن حمده وانشد
ابن الاعرابي دعوت الله حتى خفت ان لا يكون الله يسمع ما اقول اي اذا يجيب ما اقول وثانيها انه
تعالى اخبر بقوله قريب قربا بالمسافة بل اراد انني قريب باجابتي ومعونتي ونعمتي او لعلمي
بما ياتي العبد ويذره وما يسره ويجهره تشبيها بقرب المسافة لان من قرب من غيره عرف احواله و
لم يخف عليه ويكون قوله اجيب على هذا تاكيدا للقرب فكانه اراد انني قريب قربا شديدا او
انني بحيث لا تخفى على احوال العباد كما يقول القائل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله انا
بحيث اسمع كلامك واجيب نداك وما جرى هذا المجرى ولقد روي ان قوما سالوا الرسول صلى الله عليه
واله فقالوا ربنا قريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى هذه الاية وثالثها ان يكون معنى الاية
انني اجيب دعوة الداعي اذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب ان يقارن الدعاء وهو ان يدعو
باشتراط المصلحة ولا يطلب في فوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال
لانه ان كان صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو ايضا مجاب الى دعائه ورابعها ان يكون معنى دعاني
اي عبدني وتكون الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكانه تعالى قال انني اثيب العباد على دعائهم لي
وهذا مما لا اختصاص فيه وخامسها ما قاله قوم من ان معنى الاية ان العبد اذا سال الله تعالى شيئا
في اعطائه صلاح فعله به واجاب اليه وان لم يكن في اعطائه اياه في الدنيا صلاح وخيرة لم يعطه ذلك
في الدنيا واعطاه اياه في الاخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال وسادسها انه تعالى اذا دعا العبد

لم يخل

وخط الشيب الا الم وما بعده ومنه

لذة

من قريب

وقد

لم يخل من احد الامرين اما ان يجاب دعاؤه واما ان يجاب لبعض عنه عما سال ودعا في اختيار الله تع
لم يقوم مقام الاجابة فكانه مجاب على كل حال وهذا الجواب ضعيف لان العبد ربما سال ما فيه
صلاح ومنفعة له في الدنيا وان كان منه فساد في الدين لغيره فلا يعطي ذلك لا لامر يرجع اليه لكن لما فيه
من فساد غيره فكيف يكون مجابا مع المنع الذي لا يرجع اليه منه شيء من الصلاح اللهم الا ان يقال انه دعاء
مشروط بان يكون صلاحا ولا يكون فسادا وهذا مما تقدم ومعنى فليستجيبوا لي اي فليجيبوا ولي قال
الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب اي لم يجبه قال
السيد قدس الله روحه واذا كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفا من الشعر في تفضيل
الشيب وتقديمه والتعزي عنه والتسلي عن نزوله فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمه والتالم به والجزع
منه فمن ذلك قول ابي حية النميري ترحل بالشباب الشيب عنا فليت الشيب كان به الرحيل وقد
كان الشباب لنا خليلا فقد قضي مآربه الخليل لعمر ابي الشباب لقد تولى حميدا ما يراد به بديل اذ الايام
مقبلة علينا وظل اراكة الدنيا ظليل وقال الفرزدق ارى الدهر ايام المشيب مرة علينا وايام الشباب
اطايبه وفي المشيب لذات وقرة اعين ومن قبله عيش تعلل جادبه اذا نازل الشيب الشباب فاصلتا
بسيفهما فالشيب لا بد غالبه فيا خير مفقود ويا شر هازم اذا الشيب كانت للشباب كتائبه وليس شباب
بعد شيب براجع يد الدهر حتى يرجع الدر حالبه وما المرء مفقوعا بتجريب واعظ اذا لم تعظه نفسه
تجاربه وانشد اسحاق الموصلي لعمري لئن حليت عن منهل الصبى لقد كنت وراد المشارب العذب
ليالي امشي بين بردي لاهيا اميس كغصن البانة الناعم الرطب سلام على سير القلاص مع الركب
ووصل الغواني والمدامة والشرب سلام امرئ لم تبق منه بقية سوى نظر العينين او شهوة القلب
وللمنصور النمري ما تنقضي حسرة مني ولا جزع اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع بان الشباب وفاتتني
بشرته صروف دهر وايام لها خدع ما كنت اوفي شبابي كنه غرته حتى مضى فاذا الدنيا له تبع
ولمحمد بن ابي حازم عهد الشباب لقد ابقيت لي حزنا ما جد ذكرك الا جد لي ثكل سقيا ورعيا لايام
الشباب وان لم يبق منك له رسم ولا طلل جر الزمان ذيولا في مغارقه وللزمان على احسانه علل
وربما اذيال الصبى مرحا وبين بردي غصن ناعم خضل لا تكذبن فما الدنيا باجمعها من الشباب
بيوم واحد بدل كفاك بالشيب عيبا عند غانية وبالشباب شفيعا ايها الرجل ولابي نواس الحسن
بن هاني كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل كان الجميل اذا ارتديت به ومشيت
اخطر صيت النعل كان البليغ اذا نطقت به واصاخت الاذان للمتحلي كان المشفع في مآربه
عند الحسان وسيد ولد التبل والباعثي والناس قد رقدوا حتى اتيت خليفة البعل والامري حتى
اذا عرفت نفسي اعان مدى بالفعل فالان صرت الى مقاربة وحططت عن ظهر الصبى قال السيد قدس الله

تعلل جادبه يعني من نيل المشيب علينا المرء وهو الشباب الذي لا يجد المرء فيه عيبا قال الذارع عيشا لو باشتياق الاثر لها في العيب ومنه قول ذي الرمة فيا لك من خد اسيل ومنطق رخيم ومن خلق تعلل جادبه

اي من وراد

اي للزمان علل على شكر الاحسان

اي والذي بين بردي من النوم حتى ازور عشيقتي وكون هوى مكان نعلها

قوله فالان صرت الى مقاربة يعني الى مسامحة النظر في الامور والحمل منهم

دوحه وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من اعرابية ليستا لغيره ولبشار بن برد الشيب كره وكره
ان يفارقني اعجب بشيء على البغضاء مودود يمضي الشباب فياتي بعده خلف والشيب يذهب مفقودا
بمفقود وهذا البيت الاخير يروى لمسلم بن الوليد الانصاري ومما احسن فيه مسلم قوله في هذا المعنى
طرفت عيون الغانيات وربما املن الى الطرف كل مميل وما الشيب الا شعرة غير انه قليل قذاة العين
غير قليل وله اهلا بواقدة للشيب واحدة وان تؤاتت بشخص غير مودود لا اجمع الحلم والصهباء قد
سكنت نفسي الى الماء عن ماء العناقيد لم ينهني كبر عنها ولا فند لكن صحوت وعصني غير مخضود
اوفى بي الحلم واقتاد النهى طلقا شاوي وعفت الصبى من غير تفنيد ولقد احسن دعبل في قوله يصف
الشباب والشيب كان لم يكن كحلا المنا فيهما فصار لعينيها بالشيب اثمد ولغيره رات طالعا للشيب غفلت امره و
لم تتعهده اكف الخواضب فقالت اشيب ما ارى قلت شامة فقالت لقد شانتك عند الحبايب ولمحمود
الوراق ويروى لحكم بن خازم اليس عجيبا بان الفتى يصاب ببعض الذي في يديه فمن بين باك له موجع
وبين معزي مغذ اليه ويسلبه الشيخ شرخ الشباب فليس يعزيه خلق عليه ولابي دلف في كل
يوم ارى بيضاء طالعة كانما طلعت في اسود البصر لئن قصصتك بالمقراض عن بصري لما قصصتك
عن همي ولا فكري وليحيى بن خالد البرمكي ويروى لغيره الليل والنهار كلاهما دائبي
بكثرة ما نذود رحاهما يتناهبان نفوسنا ودماءنا ولحومنا عمدا ونحن نراهما والشيب
احدى الميتتين تقدمت اولاهما وتاخرت اخراهما وقد اكثر الفحلان المبرزان ابو تمام وابو عبادة
البحتري في هذا المعنى بكل غريب عجيب فمن ذلك قول ابي تمام غدا الهم مختطا بفودي خطة طريق
الردى منها الى الموت مهيع هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين ابيض ناصع ولكنه في القلب اسود اسفع ونحن نزجيه على الكره والرضى و
انف الفتى من وجهه وهو اجدع شعلة في المفارق استودعتني في صميم الفؤاد ثكلا صميما
تستثير الهموم ما اكتن منها صعدا وهي تستثير الهموما غرة مرة الا انما كنت اغر ايام
كنت بهيما دقة في الحياة تدعى جلالا مثلما سمي اللديغ سليما حلمتني زعمتم واراني قبل
هذا التحليم كنت حليما وله لعب الشيب بالمفارق بل جد فابكى تماضرا ولعوبا خضبت خدها
الى لؤلؤ العقد دما ان رات شواتي خضيبا كل داء يرجى الدواء له الا الفظيعين ميتة
ومشيبا يا نسيب الثغام ذنبك ابقى حسناتي عند الحسان ذنوبا ولئن عبن ما راين لقد انكر
ن مستنكرا وعبن معيبا او تصدعن عن قلى لكفى بالشيب بيني وبينهن حسيبا لو رأى
الله ان للشيب فضلا جاورته الابرار في الخلد شيبا قال السيد قدس الله روحه وحكى
الامدي يذكر ان قوما ادعوا المناقضة على ابي تمام في هذه الابيات بقوله فابكى تماضرا ولعوبا وقوله

كان قيد العقل

الثغام كسحاب نبت فارسيه ... الراس صار كالثغام بياضا

خضبت

خضبت خدها الى لؤلؤ العقد دما ان رات شواتي خضيبا وقوله يا نسيب الثغام ذنبك ابقى وقوله
ولئن عبن ما راين لقد انكرن مستنكرا وعبن معيبا قالوا كيف يبكين دما على مشيبه ثم يعبنه قال
الامدي وليس هذا تناقضا لان الشيب مما ابكى تماضرا ولعوبا اسفا على شبابه والحسان اللواتي
عبنه غير هاتين المراتين فيكون من اشفق عليه من الشيب منهن واسف على شبابه بكى كما قال الاخطل
لما رات بدل الشباب بكت له ان المشيب لرذل الابدال ولم تكن هذه حال من عابه قال هذا
مستقيم واضح قال السيد وليس يحتاج في الاعتذار لابي تمام الى ما تكلفه الامدي بل المناقضة
زائلة عنه على كل حال وان كان من قد بكى شبابه وتلهف عليه من النساء هن اللواتي انكرن مشيبه
وعبنه به وما المنكر من ذلك وكيف يتناقض ان يبكي على شبابه بنزول شيبه منهن من
راين الشيب به عيبا منكرا وفي هذا غاية المطابقة لانه لا يبكي الشيب ويجزع من حلوله
وفراق الشباب الا من رآه منكرا ومعيبا قال ابو تمام راحت غواني الحي عنك غوانيا يلبسن نايا تارة
وصدودا من كل سابغة الشباب اذا بدت تركت عميد القريتين عميدا اربين بالمرد الغطارف
بدنا غيدا الفينهم لدانا غيدا احلى الرجال من النساء مواقعا من كان اشبههم بهن خدودا
قوله اربين بالمرد من ارب بالشيء اذا لزمه واقام عليه يقال ارب البت بالمكان اذا لزمه وقام فيه
يريد انهن لزمن هوى المرد واقمن عليه ورواه قوم اربين بالمرد من الربا الذي معناه الزيادة يقال
اربى الرجل اذا زاد فيقول اربين بالمرد اي زدن علينا بهم وجعلن للمرد زيادة اخترنها علينا وفي
انه اخذ قوله احلى الرجال من النساء مواقعا البيت من قول الاعشى وارى الغواني لا يواصلن امرا
فقد الشباب وقد يصلن الامردا ولمنصور النمري مثله كرهن من الشيب الذي لو رايته بهن رايت
الطرف عنهن ازورا ونحوه قول الاخر ارى شيب الرجال من الغواني كموقع شيبهن من الرجال
وقال ابو تمام شاب راسي وما رايت مشيب الراس الا من فضل شيب الفؤاد وكذاك القلوب في
كل بوس ونعيم طلائع الاجساد طال انكاري البياض وان عمرت شيئا انكرت لون السواد زارني شخصه
بطلعة ضيم عمرت مجلسي من العواد نال راسي من ثغرة الهم ما لم ينله من ثغرة الميلاد ومعنى هذا البيت
الاخير ان الثغرة هي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ولذلك سمي كل بلد جاور عدوا ثغرا كان معناه انه
مكشوف للعدو ويجوز ان يكون اصله من ثغر الانسان لانه اول ما يقابلك من اسنانه واول ما
يظهر عند الكلام واول ما يسقط فيرى مثلوما فشبه الثغر الذي هو البلد به ويقال ثغر الصبي واثغر
وهي تلك الفرجة في موضع السن ثغرة وفي كل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر واراد بقوله نال راسي
من ثغرة الهم اي وجد الشيب الهم فرجة دخل منها على راسي الا ان الهم يشيب لا محالة وقوله ما لم ينله
من ثغرة الميلاد اراد بثغرة الميلاد الوقت الذي هجم عليه فيه الشيب من عمره لانه يجد السبيل في ذلك

الوقت الى الحلول بواسيه فجعله ثمرة من هذا الوجه فاراد ان الشيب حل براسه من جهة همومه واحزانه وما
لم يبلغ السن التي توجب حلوله به من حيث كبره قال السيد قدس الله روحه ورايت الامدي يطعن على
قوله عمرت مجلسي من العواد ويقول لا حقيقة لذلك ولا معنى لانا ما رايناولا سمعنا احدا جاءه
عواد يعودونه من الشيب ولا ان احدا امرضه الشيب ولا عزاه المعزون عن الشباب وهذا من
الامدي قلة نظر في نقد الشعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء ولم
يرد ابو تمام بقوله عمرت مجلسي من العواد العيادة الحقيقية التي يغشى فيها العواد مجالس المرضى وذوي
الاوجاع وانما هذا استعارة وتشبيه واشارة الى الغرض خفية وكانه اراد ان شخص الشيب لما زارني
كثر المتوجعون لي والمتاسفون على شبابي والمتفجعون من مفارقته فكانهم في مجلسي عواد لي لان من شان
العائد للمريض ان يتوجع ويتفجع وكنى بقوله عمرت مجلسي من العواد عن كثرة من تفجع وتوجع من مشيبه
وهذا من ابي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن فما المعيب الا من عابه وطعن عليه ونحن نذكر في
المجلس الذي يلي بمشية الله وعونه ما للبحتري في هذا المعنى ان شاء الله تعالى مجلس اخر تاويل اية ان سال
سايل عن قوله تعالى هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون فقال اذا
كان الشجر ليس ببعض الماء كما كان الشراب بعضا له فكيف جاز ان يقول ومنه شجر بعد قوله شراب
وما معنى قوله تسيمون وهل الفايدة في هذه اللفظة هي الفايدة في قوله تعالى والخيل المسومة والانعام
وقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك الجواب قلنا في قوله تعالى ومنه
شجر وجهان احدهما ان يكون المراد ومنه سقي شجر وشرب شجر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
وذلك كثير في لغة العرب ومنه قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل والوجه الاخر
ان يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وانباته شجر فحذف الاول وخلفه الثاني كما قال عوف
بن الخرع امن آل ليلى عرفت الديارا بجنب الشقيق خلاء قفارا اراد من ناحية ليلى وقال زهير
امن ام اوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم اراد من ناحية ام اوفى وقال ابو ذؤيب امنك
البرق ارقبه فهاجا فبت اخاله دهما خلاجا وقال ايضا امنك برق ابيت الليل ارقبه كانه
في عراض الشام مصباح وقال الجعدي لمن الديار رعفون بالتهطال بقيت على حجج خلون طوال
اراد بقيت على مر حجج وتكرار حجج فاما قوله تعالى فيه تسيمون فمعناه ترعون وترسلون انعامكم
يقال اسام الابل يسيمها اسامة اذا رعاها واطلقها فرعت متصرفة حيث شاءت وسومها
ايضا يسومها من ذلك فسامت اذا رعت فهي تسوم وهي ابل سايمة ويقال سمتها اذا قصرتها
على مرعى بعينه وسمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل لمن اذل واهتضم سيم فلان
الخسف وسيم خطة الضيم قال الكميت بن زيد في الاسامة التي هي الاطلاق في الرعي راعيا كان مسجحا

ففقدناه

ففقدناه وفقد المسيم هلك السوام وقال اخر وسكنت بطن واد واظعن ما المعنت فلا اسيم
ذهب قوم ان السوم في البيع من هذا لان كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن
او نقصان الى ما يهواه كما تذهب سوايم المواشي حيث شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع
الشمس فحمله قوم على ان الابل وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وتفوت الراعي وتخفى
عليه مقاصدها وحمله اخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه لان السلعة
المبيعة تستر عيوبها او بعضها فيدخل ذلك في بيوع المنهي عنها فاما الخيل المسومة فقد قيل انها
المعلمة بعلامات ماخوذة من السيما وهي العلامة وروي عن الحسن البصري في قوله تعالى والخيل المسومة
قال سوم نواصيها واذنابها بالصوف وقيل ان المسومة هي الحسان وروي عن مجاهد في قوله تعالى والخيل
المسومة هي المطهمة الحسان وقال اخرون بل هي الراعية روي ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى اصل واحد
وهو معنى العلامة لان تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتتميز لمكانها وقيل
السوم من الرعي يرجع الى هذا المعنى ايضا لان الراعي يجعل في المواضع التي يرعاها علامات او كالعلامات
بما يزيله من نباتها ويمحوه من اثارها فكان لا اصل في الكل غير مختلف وقال لبيد في التسويم الذي
هو الاعلام وغداة قاع القريتين اتينهم رهوا يلوح خلالها التسويم اراد التعليم فاما قوله
تعالى في الملئكة مسومين فالمراد به معلمين وكذلك قوله تعالى حجارة من سجيل منضود مسومة
اي معلمة وقيل انه كان عليها كامثال الخواتيم قال السيد قدس الله روحه ونعود الى ما كنا وعدنا
به من ذكر ما للبحتري في ذم الشيب والتالم من فقد الشباب فمن ذلك قوله وكنت ارجي في الشباب شفاعة
فكيف لباغي حاجة بشفيعه مشيب كثت السرعي بجملة محد فيرا وصاصد مذبعه تلاحق حتى
كاد يأتي بطيئه لحث الليالي قبل اتي سريعه وما احسن هذا من كلام وابلغه واطبعه وقال البحتري
ردي على الصبا ان كنت فاعلة ان الصبى ليس من شاني ولا اربي جاوزت حد الشباب النضر ملتفتا
الى بنات الصبا يركضن في طلبي والشيب مهرب من جاء منيته ولا نجاء له من ذلك الهرب والمر
لو كانت الشعرى له وطنا صبت عليه صروف الدهر من صبب وقال ايضا لابن من شيبة
ام ناصع واذا ما امتعضت من ولع الشيب بواسي لم يغن ذاك امتعاض ليس يرضى عن الزمان مرو
فيه الا عن غفلة او تغاض والبواقي من الليالي وان خالفن شيئا مشبهات المواضي ناكرت لمتي
وناكرتها سوء هذي الابدال والاعواض شعرات اقصهن ويرجعن رجوع السهام في
الاغراض وابت تركي الغديات والاصال حتى خضبت بالمقراض غير نفع الا التعلل من
شخص عدو لم تعده الغاضي ودواء المشيب كالبخص في عيني فقل فيه في العيون المراض طبت
نفسا عن الشباب وما سود من صبغ برده الفضفاض فهل الحادثات يا ابن عويف ناكراتي

فقل فيه في العيون المراض

ولبس هذا البياض وقال ايضا نعت الغانيات على شيبى ومن لى ان امتع بالمعيب ووجدى بالشبا
وان تولى حميدا دون وجدى بالمشيب وقال ايضا ارابته من بعد جثل فاحم جون المفارق
بالنهار خضيبا معجبت من حالين خالف منهما صرف الزمان وما رايت عجيبا ان الرمان اذا
تتابع خطوه سبق الطلوب وادرك المطلوبا وقال ايضا رات فلتات الشيب فابتسمت لها
وقالت نجوم لو اطلعن باسعد ايمانك ماكان الشباب بمرتجع اليك فالحى الشيب اذ كان مبعدا
وقال ايضا عرت كبدى جفوة منك ما ان تزال تجدد فيها ندوبا وحملت عندك ذنب المشيب
حتى كانى ابتدعت المشيبا ومن يطلع شرف الاربعين يحيى من الشيب شخصا غريبا وقال
قدس الله روحه لى فى هذا المعنى قلن لما راين وخطا من الشيب براسى اعيا على مجهودى
كسنا بارق تعرض وهنا فى حواشى بعض الليالى السود ابياض مجدد من سواد كان قدما
مرحبا بالجديد يا حاكمى من رماكن بالحسن لتقهرنا بعين جنود لبس بعض منى فاجزى عليهن
صدود اولبس منكن سودى فلما ضركن من شعرات كن يوما على الوقار شهودى وقال
البحترى ايضا خليا وجدة اللهو ما دام ورداء الشباب غضا جديدا ان اياما من البيض بيض ما
راين المفارق السود سودا وقال ايضا ترك السواد للابسيه وبيضا ونضا من الستين عنه
ما نضا وشاه اعين فى معترف لحظ مرضها القلوب وامرضنا وكانه وجد الصبى وجد به دينا
دنا ميقاته ان تقتضى اسيان اثرى من جوى صبابته واسانه من وصل الحسان وانفضا وقال
ايضا هل انت صارف شيبة ان غسلت فى الوقت او عجلت من الميعاد جاءت مقدمة امام
طوالع هدى تراوحنى وتلك تغادى واخر العيبة تاجرة لمة تبرى جدلها بياضها بنو الاتكن
فما الصبى مختلف طوا وكان من الصبى بمعاد وارى الشباب على غضاة حسنه وجماله عدد الاعدا
وقال ايضا ابكى الشباب ام ما تولى منه فى الدهر وليته ما تعود لا ارى العيش والمفارق
بيض اسوة العيش والمفارق سود راعد الشقى جدا ولو اعطى غنا حتى يقال سعيد ثم
عد به العيون وانصرفت عنه النقاب الى سواد الخدود وقال ايضا فذلك منى فما جرى الدمع
الا فى ضلوعى وعلى جرى الحب نحنا لو رات حادث الخضاب لانت واذنت من احمرار البرنا
كلف البيض بالمعز تدرا حين يكلفن والمصعزستا يتشاعفن بالعزيز المسيطر من تصابى
دون الجليل المكنى وقال ايضا اخى ان الصبى استمر به سبى الليالى فانهجت بردة تقصد عنى
الحسان مبعدة اذا انا الاونبر ولا صدده شيب على المفرقين بارضه يكثر فى ان ابنيه عدد
تطلب عندى للشباب ظالمة بعيد حنين حين لا تجده لا عجب ان ملت خلتنا فانتقد الوصل
منك مفتقدة من يتطاول على مطالة العيش تقعقع من ملة عمدة قال قدس الله روحه ورايت الامدى

جعل النهار خضابا لانه شى قد شاع وعرف عليه
لكان الامر ملتبسا
اى فجاءة والفلات المفاجاة
غيبت تمدد شيبى
غيبته اى تعتد به
ومعناه شعله ومعدا
البدر سلبه الله
اسيرى يعينى
فى نسخة وحملت عندك وهو تصحيف عن انه حسن جدا
العيبة من العيب كالشيمة من الشم
اى عجز مجهودى وهو الطاقة
نهر المختار فى لونه يكون فى اليد والرجل والراس ومعا اللحية
اى لا لذة العيش فى حال بياض مفارقى كعيشه حال اسود المفارق الاسوان الحزين
اسان الحزن قيل ثمانية
اسانه اى مرضه وهزل
والبارض اول ما تخرج الارض من نبت بنيان يتبين اجناسه

فلا خطا

فلا خطاء فى معنى هذا البيت الاخير لانه قال معنى تقعقع من ملة عمده اى ان عظامه يجى لهما صوت
اذا قام او قعد من كبره وضعفه قال وقوله من ملة اى من تملى العيش يريد طوله ودوامه ومنه
تمليت حبيبك والانه خلاف ما توهمه ومعنى يقعقع فى مله عمده اى من تطاول عمره تعجل نو حلة و
انتقاله عن الدنيا فكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل معروف للعرب يقولون من يتجمع يتقعقع
عمده يريدون ان للتجمع داعى التفرق وان الاجتماع يعقبه تورث ما يدعو الى الانتقال الذى
يتقعقع معه العمد قال قدس الله روحه الامدى مع كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقير عن علوم العرب ان كان لم يعرف
هذا المثل ومعناه فهو ظريف وان كان قد سمعه وجهل ان معنى بيت البحترى يطابقه فهو اطرف
فاما قوله فى مله فانما اراد به من يمل وملة فعلة من الملل وكيف يكون من تملى العيش ولم يسمع
فى تمليت ملة وهذا خطاء على خطاء وقال البحترى ماكان شوقى ببدع يوم ذاك ولا دمعى
باول دمع فى الهوى سفحا وكنت مشغوفا بجدتها فما عفا الشيب عنها ولا صفحا وقال
ايضا وما النزاع الى عهد الشباب وعلوة اذ غير الكبر كواكب شيب علقن الصبى
فقللن من حسنه ما كثر وانى وجدت فلا تكذبن سواد الهوى فى بياض الشعر ولا بد من ترك
احدى اثنتين اما الشباب واما العمر قال الامدى وعليه فى قوله ولا بد من ترك احدى الاثنتين
معارضة وهو ان يقال له ان من مات شابا فقد فارق الشباب وفاته العمر ايضا فهو تارك لهما
معا ومن شاب فارق الشباب هو مفارق للعمر لا محالة فهو ايضا تارك لهما جميعا وقوله اما
واما لا يوجب الا احدهما قال والعذر للبحترى ان يقال ان من مات شابا فقد فارق الشباب وحده
لانه لم يعمر فيكون مفارقا للعمر الا ترى انهم يقولون عمر فلان اذا اسن وفلان لم يعمر اذا
مات شابا ومن شاب عمر ثم مات لم يكن مفارقا للشباب فى حال موته لانه قد قطع ايام الشباب
وتقدمت مفارقته له وانما يكون فى حال موته مفارقا للعمر وحده فالى هذا ذهب البحترى
وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التى يعمرها الانسان وانما اراد بالعمر ههنا الكبر كما قال
زهير رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم قال قدس الله روحه
ما رايت اشد تهافتا فى الخطاء منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى
البيت غير ما توهمه وهو اظهر من ان يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التعليل والتعسف انما اراد البحترى
ان الانسان بين حالين اما ان يفارق الشباب بالشيب او يفارق العمر بالموت فمن مات شابا او
ان كان قد خرج عن العمر وخرج بخروجه عن سائر احوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم
يفارق الشباب وحده وانما فارق العمر الذى فارق بمفارقته الشباب وغيره وقسمة الرجل تناولت
احد الامرين اما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولن يكون ذلك الا بالشيب او مفارقة العمر بالموت

حالتين

وتلخيص كلامه انه لا بد للحي من شيب وموت فكان الشيب والموت متعاقبان والبحتري انما جعل قوله العمر بمقام قوله الحياة والبقاء وانما قال العمر لاجل القافية مع انه مبني من مراده ولو قال ولا بد من ترك الشباب او ترك الحياة لقام مقام قوله العمر اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا احمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي سبقها قوله يذم من جعل مصيبته عبرة ملتسبا لمصيبة وعاب من تعلل بالتاسي بما نال غيره وهو في شيبتها

واحسن يا شباب وابن مني شبابا اذ نعى ايامه بانقضاب لهف نفسي على نعيمي ولهوي تحت افنان اللدان الرطاب ومعز عن الشباب مؤس بمشيب اللذات والاصحاب قلت لما انتحى يعد من اساء من مصاب شبابهم فضاب لبس ناسو كلوم غيري كلومي ما به ما به ما بي ما بي ولابن الرومي لهو على الدنيا وملء المقر تتضعضع منها ان تلهفتها بحالها قبحا على انها ابنع شيء كشقتها وقد يعزيني شباب مضى ومدة للعيش اسلفتها فكرت في خمسين عاما مضت كانت امامي ثم خلفتها اجملتها اذ هي موفرة ثم مضت عني فعرفتها ففرحة الموهوب اغدمتها وترحة المسلوب اخفتها لو ان عمري مائة هدني تذكري اني تنصفتها وله في هذا المعنى وقد مضت هذه الابيات في الامالي السالفة وقد احسن في معناها كل الاحسان كهي بسراج الشيب في الراس هاديا لمن قد اضلته المنايا لياليا امن بعد ابداء المشيب مقاتلي لرامي المنايا تحسبيني ناجيا غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه لشخصي اخلق ان يصبن سواديا وكانت كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا

مجلس آخر

تاويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون فقال كيف جاءت او بعد ما لا يجوز ان يعطف عليه وما الناصب لقوله او يتوب عليهم وليس في الكلام ما يقتضي نصبه

الجواب

قلنا قد ذكرت في ذلك وجوه اولها ان يكون قوله او يتوب عليهم معطوفا على قوله تعالى ليقطع طرفا والمعنى انه تعالى جعل لكم هذا النصر ومكنكم به ليقطع طرفا من الذين كفروا اي قطعة منهم وطائفة من جميعهم او يكبتهم او يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيب سعيهم وتكذب فيكم ظنونهم او يعظهم ما يردون من تظاهر آيات الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه صلى الله عليه وآله فيتوبوا او يؤمنوا فيقبل الله ذلك منهم ويتوب عليهم او يكفروا بعد قيام الحجج وتأكد البينات والدلائل فيموتوا او يقتلوا كافرين فيعذبهم الله باستحقاقهم في النار ويكون على هذا الجواب قوله تعالى ليس لك من الامر شيء معطوفا على قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم اي ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء وانما هو من الله تعالى والجواب الثاني ان يكون او بمعنى حتى او الا ان والتقدير ليس لك من الامر شيء حتى يتوب عليهم والا ان يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس بكى صاحبي لما راى الدرب دونه وايقن انا لاحقان

الزمان م

اللدان جمع لدن والرطاب جمع رطب ش

حين م

قضبه بقضبه قطعه كاقتضبه وتقضب فانقضب

تبيح العنز مثله الحمس د قلة ود

بعيصراً فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا اراد الا ان نموت وهذا الجواب ضعيف من طريق المعنى لان لقائل ان يقول ان امر الخلق ليس الى احد سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح ان يقول ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب عليهم او يعذبهم حتى كانه اذا كان احدهما صار اليه من الامر شيء ويمكن ان ينصر ذلك بان يقال قد يصح الكلام اذا حمل على المعنى وذلك ان قوله ليس لك من الامر شيء معناه ليس يقع ما تريده وتؤثره من ايمانهم وتوبتهم او ما تريده من الاستيطاء واستيصالهم وعذابهم على اختلاف الروايات في معنى الآية وسبب نزولها الا بان يلطف الله بهم في التوبة فيتوب عليهم او يعذبهم وتقدير الكلام ليس يكون ما تريده من توبتهم او عذابهم بك وانما يكون ذلك بالله تعالى والجواب الثالث ان يكون المعنى ليس لك من الامر شيء او من ان يتوب عليهم فاضمر من اكتفاء بالاولى واضمر ان بعد من لدلالة الكلام عليها واقتضائه لها وهي مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك من الامر شيء ومن توبتهم ومن عذابهم قال قدس الله روحه ووجدنا ابا بكر محمد بن القسم الانباري يطعن على هذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذي لا تصرف له على اضمار ان مع الفعل لانه ليس من كلام العرب عجبت من اخيك ويقوم على معنى عجبت من اخيك ومن ان يقوم لان اخاك اسم جامد محض لا يعطف عليه الا ما شاكله قال وهذا انما يستقيم ويصلح في رد الفعل على المصدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك على معنى كرهت غضبك وان يغضب ابوك فيطرد هذا في المصادر لانها تناول بان فيقول النحويون يعجبني قيامك وتاويله يعجبني ان تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن هذا فيه قال السيد المرتضى قدس الله روحه وليس الذي ذكره ابن الانباري مستبعدا وانما يضعف هذا الجواب لا من حيث ذكر فليس بضعيف في ذلك ان فيما امتنع منه مثل الذي اجازه لانه قد اجاز ذلك في المصادر ولم يجزه في غيرها وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء فيه دلالة على الفعل لان الامر مصدر امرت امرا فكانه تعالى قال ليس لك من ان تامرهم وان تامرهم بشيء ولا من ان يتوبوا ويجري ذلك مجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك في رد الفعل على المصدر والوجه الاول اقوى الوجوه والله اعلم

تاويل خبر ان سأل سائل عن معنى الحديث الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه

الجواب قيل له اما التنجش فهو المدح والاطراء قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر ويرجح بالمدح شربها وتنفذ كرمها عند التنجش اي عند مدحها ومنه النجش في البيع هو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير ارادة لشرائها لكن ليقتدي بالزايد في الزيادة غيره واصل النجش استخراج الشيء والتنقير عنه قال بعض الفقعسيين اكرم لها يا ابن ابي كباش فما لها الليلة من انفاش الا السري وسائق نجاش اسمر مثل الحية الخشخاش

قوله يرسر الابسا ينقطع

فالناجش هو المستثير لسلعته والمستخرج لما عندها منه ومعنى اجرس لها اي احدلها التسميع الحداء
ليستمر وهو ماخوذ من الجرس وهو الصوت ومعنى الانعاش ارادتها الانتراك ترعى ليلا والنفش ان ترعى
الابل ليلا وقد نفشتها اذا ارسلتها بالليل ترعى والنخناش الخفيف الحركة السريع التقلب والنجش في البيع
يرجع معناه الى هذا ايضا لان الناجش يستثير بزيادته في الثمن ومدحه للسلعة الزيادة في ثمنها
فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا اي لا يمدح احدكم السلعة ويزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها
ليسمعه غيره فيزيد وقد يجوز ان يريد بذلك لا يمدح احدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي
منفعته ويستثير فائدته وهذا المعنى اشبه بان يكون مراده لان قوله ولا تدابروا اشد مطابقة له
ومعنى لا تدابروا اي لا تهاجروا ويولي كل واحد منكم صاحبه دبره قال الشاعر واوصى ابو قيس بان
تتواصلوا واوصى ابوكم ويحكم ان لا تدابروا فكانه قال لا تتمادحوا وتتواصلوا بالمدح الذي لا تستحقونه ولا
تتهاجروا وتتقاطعوا فاما قوله صلى الله عليه واله كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه فقد ذهب قوم
الى ان عرض الرجل هو سلفه من ابائه وامهاته ومن جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى ان عرض الرجل
نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه واله حين ذكر اهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون
وانما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك اي من ابدانهم قال ومنه قول ابي الدرداء اقرض من
عرضك ليوم فقرك اراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره ودع ذلك قرضا لك
ليوم الجزاء والقصاص واحتج ايضا بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال ايعجز
ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على عبادك احدكم
فقال معناه قد تصدقت بنفسي واحللت من اغتابني فلو كان العرض الاسلاف ما جاز ان يحل
من سب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه قال ويدل على ذلك حديث سفين بن عيينة لو ان
رجلا اصاب من عرض رجل شيئا ثم تورع من بعد فجاء الى ورثته بعد موته فاحلوه لم يكن ذلك
كفارة له ولو اصاب منه شيئا ثم دفعه الى ورثته لكنا نرى ان ذلك كفارة له قال ويدل على
ان عرض الرجل نفسه قول حسان هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء فان ابي
ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء اراد فان ابي وجدي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله
عليه واله وقال الاخرون وهو الصحيح العرض موضع المدح والذم من الانسان فاذا قيل ذكر عرض فلان
فمعناه ذكر ما يرتفع او يسقط بذكره ويمدح او يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر
ابائه واسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا ان اهل اللغة لا يفرقون في
قولهم شتم فلان عرض فلان بين ان يكون ذكره في نفسه بقبيح الافعال او شتم سلفه واباءه ويدل
عليه قول مسكين الدارمي رب مهزول سمين عرضه وسمين الجسم مهزول الحسب فلو كان العرض نفس

الانسان

الانسان لكان الكلام متناقضا لان السمن والهزال يرجعان الى شيء واحد وانما اراد رب مهزول
كريم افعاله او كريم ابائه واسلافه وقال ابن عبدل الاسدي واني لاستغني فما ابطر الغنى و
اعرض ميسوري لمن يبتغي قرضي واعسر احيانا فتشتد عسرتي وادرك ميسور الغنى ومعي عرضي ولا
يليق ذلك الا بما ذكرناه قال السيد المرتضى قدس الله روحه ووجدت ابا بكر بن الانباري قد
رد على ابن قتيبة قوله وهذا الطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروي عنه عم في وصف اهل الجنة ان
المراد بالاعراض مغابن الجسد وحكي عن الاموي انه قال الاعراض المغابن التي تعرق من الجسد نحو الابطين
وغيرها وقال في حديث ابي الدرداء معناه من عابك وذكر اسلافك فلا تجازه ليكون الله تع هو المثيب
ذلك وقال في قول ابي ضمضم معناه انا احل من اوصل اليه اذى بذكره وذكر ابائه فلم يحل الا من اسره اليه
وقال في قول حسان المراد بعرضه ههنا ايضا اسلافه كانه قال وان ابي ووالده وجميع سلفي الذين
امدح واذم من جهتهم وقاء له عليه السلام فاتى بالعموم بعد الخصوص كما قال تع ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والقران العظيم فاتى بالعموم بعد الخصوص ولم اجده ذكر في خبر سفين بن عيينة شيئا
وتاويله يقرب من تاويل خبر ابي ضمضم لان من اذى رجلا بسبه في نفسه او بسب سلفه وادخل عليه
بذلك وضعا ونقصا لم يكن الى ورثته بعد موته الاحلال من ذلك لان الاذى لم يدخل عليهم و
لو كان داخلا عليهم ايضا مع دخوله على المسبوب لكان احلالهم مما يرجع الى غيرهم لا يصح على ان
في الاحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه او لا كلاما ليس
هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد في كل المواضع
التي ذكرها النفس دون السلف وسلم له ذلك في بيت حسان خاصة فانه اقرب الى ان يكون المراد به
ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لانا لم نقل ان العرض مقصور على سلف الانسان بل ذكرنا انه موضع
المدح والذم من الانسان ولا فرق بين نفسه وسلفه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه
النفس طعنا علينا وانما ينفع ابن قتيبة ان ياتي بما يدل على ان العرض لا يستعمل الا في النفس دون
السلف وكل شيء اورده مما المراد بالعرض فيه النفس او المراد به السلف فهو تاكيد لقولنا في ان هذه
اللفظة مستعملة في موضع المدح والذم من الانسان وانما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه
مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لان قصر معناه على النفس والذات
دون السلف وهذا واضح بحمد الله ومنه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد
قال اخبرنا ابو حاتم قال كان ابو عبيدة معمر بن المثنى صفريا وكان يكتم ذلك فانشدني لعمران بن حطان
نكرت بعدك من قد كنت اعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس اما تكن ذقت كاسا دار اولها
على القرون فذاقوا بعدها الكاس قد كنت ابكيك حينا ثم قد نبتت نفسي فما ارد عني عبرتي ياسي

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال حدثنا الاشناندانى قال التوزي كنت اذا اردت ان انشط ابا عبيدة سالته عن اخبار الخوارج فاتيته يوما وهو مطرق ينكت في الارض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس فسلمت فلم يرد على السلام فتمثلت وما للمرء خير في حياة اذا ما عد من سقط المتاع والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر الي وقال ويحك اتدري من يقوله قلت قطري بن الفجاءة فقال اسكت فض الله فاك فالا قلت امير المؤمنين ابو نعامة ثم انتبه فقال اكتبها على ابو نعامة

فقلت هي ابنة الارض فانشدني اقول لها اذا جاشت حياء من الابطال ويحك لن تراعي فانك او طلبت حياة يوم على الاجل الذي لك لن تطاعي فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع وما طول الحياة بثوب مجد فيطوى عن اخي الخنع اليراع سبيل الموت منهج كل حي وداعيه لاهل الارض داعي ومن لا يغتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون الى انقطاع وما للمرء خير في حياة اذا ما عد من سقط المتاع فكتبتها وقمت لانصرف فقال اقعد ثم انشدني الى كم تغادرني السيوف ولا ارى مغادرتها تدعو الى حمامنا اقارع عن دار الخلود ولا ارى بقاء على حال لمن ليس باقيا ولو قرب الموت القراع لقد اتى لي الموت ان يدنو لطول قراعيا اغادي جلاد المعلمين كانني على العسل الماذي اصبح غاديا وادعو الكماة للنزال اذا القنا تحطم فيما بيننا من طعانيا ولست ارى نفسا تموت وان دنت من الموت حتى يبعث الله داعيا قال ابن دريد وهذا الشعر لقطري بن الفجاءة

اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال جئت ابا عبيدة يوما ومعي شعر عروة بن الورد فقال لي فارغ حمل شعر فقير ليقرأه على فقير فقلت ما معي غيره فانشدني ما شئت فانشدني يا رب ظل عقاب قد وقيت به مهري من الشمس والابطال تجتلد ورب يوم حمى ارعيت عقوته خيلي اقتسارا واطراف القنا قصد ويوم لهو لاهل الخفض ظل به لهوي اصطلاء الوغى اذناره تقد مشهرا موقفي والحرب كاشفة عنها القناع وبحر الموت يطرد ورب هاجرة تغلي مراجلها مخرتها بمطايا غارة تخد تجتاب اودية الافزاع امنة كانها اسد تقتادها اسد فان امت حتف انفي لا امت كمدا على الطعان وقصر العاجز الكمد ولم اقل لم اساق القتل شاربه في كاسه المنايا شرع ورد ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون به انفسكم من اشعار المخانيث والشعر لقطري بن الفجاءة واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كان ابو عبيدة يأتي لي في اول ما اختلفت اليه ويسألني عن خوارج سجستان لانه كان يظن انني على رايهم وكنت اوهمه اني على رايهم فنال الشيء منه لذلك عناية خاصة وكان كثيرا ما ينشدني اشعارهم ثم يتمثل اولئك قوم ان بنوا احسنوا البناء وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا قال فانشدني يوما لرجل من طيء من الخوارج الا كابن ملحان من شار لخي ثقة او كابن علقمة المستشهد الشاري مر

سرى سفر من القوم تقدم بين ايديهم فقاتل منهم

صادق

آن كيس طول الحيوة ثوب مجد حتى يطوى عن الجبان ولا يفخاه يريد قد يطول طول الحيوة صاحب الخنع اليراع لكن ثوب المجد لا يطوى عنه

المعارات بالعين المهملة العزاي تغادرنى السيوف غارية وبالغين المعجمة من غرى به اذا اولع

والمغاراة ايضا المتابرة بين الشيئين يغاري بين الشيئين اذا والى بينهما

قطري بن الفجاءة من الخوارج

العظ بالفتح من الاسد خيار الفتيان وبالتحريك الاخير

ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد للحسن بن دريد

ذكر الفرس يخلي عليه عرفا لمزاة في الحرب ومقصده بها بيان الحرب

صادق كنت اصفيه مخالصتي فباع ودادي بالعلى صفة الدار اخوان صدق ارتجيهم واملهم

اشكو الى الله اخواني واحذرني مضرت صاحب بيالست املكها وصاصا حبات رانها

تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فقال ما اليد التي اضافتها اليهود الى الله تعالى وادعوا انها مغلولة وما نرى عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان لربه يدا مغلولة واليهود تتبرأ من ان يكون فيها قايل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلت ايديهم وهو تعالى ممن لا يصلح ان يدعو على غيره لانه قادر على ان يفعل ما يشاء وانما يدعو الداعي بما لا يتمكن من فعله طلبا له الجواب قلنا يحتمل ان يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضي تناهي مقدوره فجرى ذلك مجرى ان يقولوا ان يده مغلولة لان عادة الناس جارية بان يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة عن كذا ويده مغلولة لا تنبسط الى كذا اذا اراد وصفه بالفقر والقصور ويشهد لذلك قوله تعالى في موضع اخر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ثم قال تعالى مكذبا لهم بل يداه مبسوطتان اي انه ممن لا يعجزه شيء وثنى اليدين تاكيدا للامر وتفخيما له ولانه ابلغ في المعنى المقصود من ان يقول بل يده مبسوطة وقد قيل ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطؤا رزقه وقيل انهم قالوا على سبيل الاستهزاء ان اله محمد الذي ارسله يداه الى عنقه اذ ليس يوسع عليه وعلى اصحابه فرد الله تعالى عليهم قولهم وكذبهم بقوله بل يداه مبسوطتان واليد ههنا النعمة والفضل وذلك معروف في اللغة متظاهر في كلام العرب واشعارهم ويشهد له من الكتاب قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا معنى لذلك الا الامر بترك امساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك الاسراف الى القصد والتوسط ويمكن ان يكون الوجه في تثنية النعمة من حيث اريد بها نعم الدنيا ونعم الاخرة لان الكل وان كانت نعم الله تعالى فمن حيث اختص كل واحد من الامرين بصفة تخالف صفة الاخر صارا كانهما جنسان او قبيلان ويمكن ايضا ان تكون تثنية النعمة انه يريد بها النعم الظاهرة والباطنة فاما قوله عز وجل غلت ايديهم ففيه وجوه اولها ان تكون ذلك على سبيل الدعاء بل على سبيل الاخبار منه جل وعز عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير قد قبل قوله غلت وموضع غلت نصب على الحال كانه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ما غل الله ايديهم ولعنهم وحكم بذلك فيهم ويسوغ اضمار قد ههنا كما ساغ في قوله تعالى ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والمعنى فقد صدقت وقد كذبت وثانيها ان يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت ايديهم او وغلت ايديهم واضمر الفاء والواو لان كلامهم تم واستونف بعده كلام اخر ومن عادة العرب ان تحذف

فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا
أتتخذنا هزوا فأضمر القول لتمام كلام موسى عليه السلام ومنه قول الشاعر لما رأيت نبطا أنصارا
شمرت عن ركبتي الإزارا كنت لها من النصارى جارا أراد وكنت فأضمر الواو وقالتها أن يكون
القول خرج مخرج الدعاء إلا أن معناه التعليم من الله تعالى والتأديب فكأنه جلت عظمته
وقفنا على الدعاء عليهم وعلمنا ما ينبغي أن نقوله فيهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع
بقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وكل ذلك جلي واضح بحمد الله تأويل خبر
إن سأل سائل عن الخبر الذي يروى عنه صلى الله عليه وآله أنه قال لعن الله السارق يسرق البيضة
فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده ما الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج
تتعلق به وتدعي أن القطع يجب في الكثير والقليل وتستشهد به على ذلك وبظاهر قوله تعالى السارق
والسارقة فاقطعوا أيديهما وتتعلق بهذا الخبر أيضا الملحدة والشكاك ويدعون أنه مناقض
للرواية المتضمنة أنه لا قطع إلا في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه فأول ما نقوله إن الخبر مطعون عند
أصحاب الحديث على سنده وقد حكى ابن قتيبة في تأويله وجها عن يحيى بن أكثم طعن عليه وضعفه
وذكر عن نفسه وجها آخر ونحن نذكرهما وما فيهما ونتبعهما بما نختاره قال ابن قتيبة كنت حضرت يوما
مجلس يحيى بن أكثم بمكة فرأيته يذهب إلى أن البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب
وأن الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ ثمنه دنانير كثيرة قال ورأيته يعجب بهذا التأويل
ويبدئ فيه ويعيد ويرى أنه قطع به حجة الخصم قال ابن قتيبة وهذا إنما يجوز على من لا معرفة له
باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما يأخذه السارق فيصرفه إلى بيضة تساوي دنانير
وحبل لا يقدر على حمله السارق ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا قبح الله فلانا عرض نفسه للضرب في
عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وإنما العادة في مثل هذا أن يقال لعنه
الله تعرض للقطع في حبل رث وإداوة خلقة أو كبة شعر وكلما كان من ذلك أحقر كان أبلغ قال
والوجه في الحديث أن الله عز وجل لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله السارق والسارقة
فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعن الله السارق يسرق البيضة
فتقطع يده على ظاهر ما نزل عليه في ذلك الوقت ثم أعلمه الله تعالى بعد أن القطع لا يكون إلا في
ربع دينار فما فوقه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم من حكم الله تعالى إلا ما علمه الله وما
كان الله عز وجل يعرفه ذلك جملة بل ينزل شيئا بعد شيء قال السيد الشريف المرتضى
علم الهدى قدس الله روحه ووجدت أبا بكر الأنباري يقول ليس الذي طعن به ابن قتيبة على تأويل
الخبر بشيء لأن البيضة من السلاح ليست علما في كثرة الثمن ونهاية في علو القيمة فتجري مجرى

العقد

العقد من الجوهر والجراب من المسك اللذين ربما ساويا الألوف من الدنانير والبيضة من الحديد
ربما اشتريت بأقل مما يجب فيه القطع وإنما أراد عليه السلام أنه يكتسب قطع يده بما لا غنى له به لأن
البيضة من السلاح لا يستغني بها أحد والجوهر والمسك في اليسير منهما غنى قال السيد قدس الله
روحه والذي نقوله إن ما طعن به ابن الأنباري على كلام ابن قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل
تكثير كما ظن ابن قتيبة فليشبه العقد والجراب من المسك غير أنه بقي في ذلك أن يقال أي وجه
لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليسا هما النهاية في التقليل فإن كان كما ذكره ابن الأنباري من أن
المعنى أنه يسرق ولا يستغني به فليس ذكر ذلك بأولى من غيره ولا بد من ذكر وجه في ذلك وأما تأويل ابن
قتيبة فباطل لأن النبي صلى الله عليه وآله لا يجوز أن يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى
والسارق والسارقة لأن الآية مجملة مفتقرة إلى بيان ولا يجوز أن يصرفها إلى بعض محتملاتها
دون بعض بلا دلالة على أن أكثر من قال إن الآية غير مجملة وأن الظاهر من القول يقتضي العموم يذهب
إلى أن ما اقتضى تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر عن حال الخطاب بها فكيف يصح ما قاله
ابن الأنباري من أن الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص السراق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخا
للأول على تأويله هذا يقتضي أن يكون كل الخبر منسوخا وإذا أمكن تأويل أخباره عليه السلام على ما
لا يقتضي رفع أحكامها ونسخها كان أولى والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبر أن السارق يسرق الكثير
الجليل فتقطع يده ويسرق القليل الحقير فتقطع يده فكأنه تعجيز له وتضعيف لاختياره من
حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره وقد حكى أهل اللغة أن بيضة القوم وسطهم وبيضة
الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف معظمه وبيضة البلد الذي لا نظير له وإن كان
قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الأضداد وإذا استعمل في الذم فمعناه أن الموصوف
بذلك حقير مهين كالبيضة التي تفسدها النعامة فتتركها ملقاة ولا يلتفت إليها فمما جاء
من ذلك في المدح قول أخت عمرو بن عبد ود وتذكر قتل أمير المؤمنين عليه السلام له وقيل إن الأبيات
لامرأة من العرب غيرها لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكي عليه آخر الأبد لكن قاتل عمرو لا يعاب
به من كان يدعى قديما بيضة البلد وقال آخر في المدح كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح
خالصه لعبد مناف وقال آخر في الذم تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا وابنا نزار فأنتم
بيضة البلد أراد أن تعرف فأسكن وقال آخر في ذلك لكنه حوض من أودى بإخوته ريب الزمان
فأمسى بيضة البلد فمعنى البيضة كله يعود إلى التفخيم والتعظيم وأما الحبل فذكر على
سبيل المثل والمراد به المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما أعطاني فلان عقالا وما ذهب
من فلان عقال ولا يساوي كذا نقيرا كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة في التحقير والتقليل وليس الغرض

بذكر الجبل الواحد من الجبال على الحقيقة وإذا كان هذا تأويل الخبر زالت المناقضة التي ظنتها
شبهة الخوارج في أن القطع يجب في القليل والكثير أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبد الله
الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني أبو زينب علي بن ثابت قال قال الأصمعي تصرّفت في
الأسباب على باب الرشيد مؤمّلاً للظفر به والوصول إليه حتى إني صرت لبعض حرسه خديناً فإني
في ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال أبالحضرة رجل
يحسن الشعر فقلت الله أكبر ربّ قيد مضيقة قد حلّه التيسير فقال الخادم ادخل فلعلها أن تكون ليلة
تعرّس في صباحها بالغنى إن فزت بالحظوة عند أمير المؤمنين فدخلت فواجهت الرشيد في بهو و
الفضل بن يحيى إلى جانبه فوقف الخادم بي حيث يسمع التسليم فسلّمت فردّ السلام ثم قال يا غلام أرحه
قليلاً ليفرخ روعه إن كان قد وجد للروعة حسّاً فدنوت قليلاً ثم قلت يا أمير المؤمنين إضاءة مجدك
وبهاء كرمك مجيران لمن نظر إليك من اعتراض أذيّة فقال ادن فدنوت فقال أشاعر أم راوية فقلت
راوية لكل ذي جدّ وهزل بعد أن يكون محسناً فقال تالله ما رأيت ادّعاء أعمّ من هذا فقلت أنا على
الميدان فأطلق من عناني يا أمير المؤمنين فقال قد أنصف القارة من راماها ثم قال ما المعنى في هذه الكلمة
بديّاً فقلت فيها قولان القارة هي الحرّة من الأرض وزعمت الرواة أن القارة كانت رماة للتبابعة
والملك إذ ذاك أبو حسان فواقف عسكره عسكر السغد فخرج فارس من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه
فقال أين رماة العرب فقالت العرب قد أنصف القارة من راماها فقال لي الرشيد أصبت ثم قال
أتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئاً فقلت هما شاهدان لك بالقوافي وإن غيّبا عن بصرك بالأشخاص
فأخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال أنشدني أرّقني طارق همّ أرّقا فمضيت فيها مضيّ الجواد في سنن
ميدانه تهدر بها شدقاي فلما صرت إلى مديحه لبني أمية ثنيت لساني إلى امتداحه للمنصور
في قوله قلت لزير لم تصله مريمه فلما رآني قد عدلت من أرجوزة إلى غيرها قال لي أعن حيرة أم عن
عمد قلت عن عمد تركت كذبه وعدلت إلى صدقه فيما وصف به المنصور من مجده فقال الفضل
أحسنت بارك الله عليك مثلك يؤهّل لمثل هذا المجلس فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد أتروي
كلمة عدي بن الرقاع عرف الديار توهّماً فاعتادها قلت نعم قال هاتها فمضيت فيها حتى إذا
صرت إلى صفة الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا به السهر في ليلتنا
هذه بصفة جمل أجرب فقال له الرشيد اسكت فالإبل هي التي أخرجتك عن دارك واستلبت تاج ملكك
ثم ماتت وعملت جلودها سياطاً ضربت بها أنت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب
والحمد لله فقال الرشيد أخطأت الحمد لله على النعم ولو قلت وأستغفر الله لكنت مصيباً ثم
قال لي امض في أمرك فأنشدته حتى بلغنا إلى قوله تزجي أغنّ كأن إبرة روقه استوى جالساً وقال

أتحفظ في هذا ذكراً قلت نعم ذكرت الرواة أن الفرزدق قال كنت يوماً في المجلس وجرير إلى جانبي فلما أنشد
عديّ في قصيدته قلت لجرير مسرّاً إليه هلمّ نسخر من هذا الشامي فلما ذقنا كلامه يئسنا منه فلما
قال تزجي أغنّ كأن إبرة روقه وعديّ كالمستريح قال جرير أما تراه يستلب بها مثلاً فقال الفرزدق
يا لكع إنه يقول ضحى قلم أصاب من الدواة مدادها فقال جرير أما كان سمعك مخبوءاً في صدر فقال
لي اسكت شغلني سبّك عن جيّد الكلام فلما بلغ إلى قوله ولقد أراد الله إذ ولّاكها من أمّة إصلاحها
ورشادها قال الأصمعي فقال لي ما تراه قال إذا أنشد الشاعر هذا البيت قال قلت كذا أراد
الله فقال الرشيد ما كان في جلالته ليقول هذا أحسبه قال ما شاء الله وكذا جاءت الرواية
فلما أتيت إلى آخرها قال لي أتروي لذي الرمة شيئاً قلت الأكثر قال فما أراد بقوله ممرّ أمرّت
فتلها أسكنية ذراعية حلالة بالمصانع قلت وصف حمار وحش أسمنه بقل روضة تواشجت
أصوله وتشابكت فروعه من مطر سحابة كانت بنوء الأسد في الذراع من ذلك فقال الرشيد أرح
فقد وجدناك ممتعاً وعرفناك محسناً ثم قال أجد ملالة ونهض فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في
رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتني يا غلام فقال الفضل قاتل الله الأعاجم أما إنها لو كانت
سندية لما احتجت إلى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعلي ونعل آبائي كم تعارض فلا تترك
من جواب ممضّ ثم قال يا غلام يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل في ليلته
ولا يحجب في المستأنف فقال الفضل لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمثل
ما أمر لك به وقد أمرت لك به إلا ألف درهم فتلقّ الخادم صباحاً قال الأصمعي فما صلّيت من غد
الأولى وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم **مجلس آخر** تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى
الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور فقال ليس ظاهر هذه الآية يقتضي أنه هو
الفاعل للإيمان فيهم لأن النور هاهنا كناية عن الإيمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي
ولا معنى لذلك غير ما ذكرناه وإذا كان مضيفاً للإخراج إليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين
وهذا خلاف مذهبكم **الجواب** قلنا أما النور والظلمة المذكوران في الآية فيجوز أن يكون
المراد بهما الإيمان والكفر وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب فقد تصحّ الكناية
عن الثواب والنعيم في الجنة بأنه نور وعن العقاب في النار بأنه ظلمة وإذا كان المراد بهما الجنة والنار
ساغ إضافة إخراجهم من الظلمات إلى النور إليه تعالى لأنه لا شبهة في أنه عزّ وجلّ هو المدخل للمؤمن
الجنة والعادل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه أشبه لأنه يقتضي أن المؤمن الذي ثبت كونه مؤمناً
يخرج من الظلمة إلى النور فلو حمل على الإيمان والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام أنه يخرج المؤمن
الذي قد تقدم كونه مؤمناً من الكفر إلى الإيمان وذلك لا يصحّ فإذا كان الكلام يقتضي الاستقبال

في اخراج من قد ثبت كونه مؤمنًا كان حمله على دخول الجنة والعدول بهم عن طريق النار اشبه
بالظاهر على انا لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم يكن مقتضيًا لما توهموه ويكون وجه
اضافة الاخراج اليه وان لم يكن الايمان من فعله من حيث دل وبين وارشد ولطف وسهل
وقد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرج المكلف من الكفر الى الايمان فتصح اضافة الاخراج اليه
ليكون ما عددناه من جهته وعلى هذا يصح من احدنا اذا اشار على غيره بدخول بلد من البلدان
ورغبه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح او بمجانبة فعل من الافعال ان يقول انا ادخلت فلانًا
البلد الفلاني وانا اخرجته من كذا وكذا وانتشلته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من
الترغيب وتقوية الدواعي الا ترى ان الله تعالى قد اضاف اخراجهم من النور الى الظلمات الى الطواغيت
وان لم يدل على ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الاضافة ما تقدم لان
الشياطين يغوون ويدعون الى الكفر ويزينون فعله فتصح اضافته اليهم من هذا الوجه و
الطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو لله تعالى صد عن طاعته واغرى بمعصيته يصح اجراء
هذه التسمية عليه فكيف اقتضت الاضافة الاولى ان الايمان من فعل الله في المؤمن ولم تقتض
الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم وبعد
فلو كان الامر على ما ظنوه لما كان الله تعالى وليًا للمؤمنين وناصرًا لهم على ما اقتضته الاية لان الايمان
من فعله لا من فعلهم ولما كان خاذلًا للكفار ومضيفًا لولايتهم الى الطاغوت لان الكفر من فعله
فيهم ولما فصل بين المؤمن والكافر في باب الولاية وهو المتولي لفعل الامرين فيهما ومثل هذا
لا يذهب على احد ولا يعزب عنه الا معاند مغالط لنفسه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
قال ابو بكر محمد بن القسم الانباري حدثنا احمد بن حيان قال حدثنا ابو عبد الله بن النطاح قال
اخبرنا ابو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه ليس شيء من
هذه الدنيا الا وقد اصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا الا مناقلة الاخوان الاحاديث وقبلك
عامر الشعبي فابعث به الي يحدثني فدعا الحجاج الشعبي فجهزه وبعث به اليه وقرظه واطراه في
كتابه فخرج الشعبي حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استاذن لي قال من انت قال عامر
الشعبي قال حياك الله ثم نهض فاجلسه على كرسيه فلم يلبث ان خرج اليه الحاجب فقال ادخل
فدخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل ابيض الرأس واللحية جالس
على كرسي فسلمت فرد السلام ثم اومى الي بقضيبه فقعدت عن يساره ثم اقبل على الذي بين يديه
فقال ويحك من اشعر الناس قال انا يا امير المؤمنين قال الشعبي فاظلم علي ما بيني وبين عبد الملك
ولم اصبر ان قلت ومن هذا يا امير المؤمنين الذي يزعم انه اشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي

والنفع

مورد التسمية

بيت ولي المؤمن

حكاية جرت بين عبد الملك والشعبي والاخطل

قبل ان يسائلني عن حالي ثم قال هذا الاخطل قلت يا اخطل اشعر منك الذي يقول هذا غلام حسن وجهه
مستقبل الخير سريع التمام للحارث الاكبر والحارث الاصغر والحارث خير الانام خمسة اباءهم ما هم
فقال عبد الملك ردها علي فرددتها حتى حفظها فقال الاخطل من هذا يا امير المؤمنين قال هذا
الشعبي قال صدق والله النابغة اشعر مني قال الشعبي ثم اقبل علي عبد الملك فقال كيف انت يا شعبي
فقلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لاضع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد
الاشعث فقال مه فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم اقبل
علي عبد الملك فقال ما تقول في النابغة قلت يا امير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن
على جميع الشعراء وذلك انه خرج يومًا وببابه وفد غطفان فقال يا معشر غطفان اي شعرائكم الذي
يقول حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب لئن كنت قد بلغت عني خيانة
لمبلغك الواشي اغش واكذب ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب قالوا النابغة
قال فايكم الذي يقول فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع خطاطيف
حجن في حبال متينة تمد بها ايد اليك نوازع قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول الى ابن محرق
اعملت نفسي وراحلتي وقد هدت العيون اتيتك عاريا خلقا ثيابي على خوف تظن بي الظنون
فالفيت الامانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون قالوا النابغة قال هذا اشعر شعرائكم ثم اقبل
عبد الملك على الاخطل فقال اتحب ان لك قياضًا بشعرك شعر احد من العرب ام تحب انك قلته
فقال لا والله الا اني وددت اني كنت قلت بيتين قالهما رجل منا كان والله مغدف القناع قليل
السماع قصير الذراع قال وما قال فانشده انا محيوك فاسلم ايها الطلل وان بليت وان طالت بك
الطيل ليس الجديد به تبقى بشاشته الا قليلا ولا ذو خلة يصل والعيش لا عيش الا ما تقر به
عين ولا حال الا سوف تنتقل ان ترجعي من ابي عثمان منجحة فقد يهون على المستنجح العمل والناس
من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطئ الهبل قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع
المستعجل الزلل قال الشعبي فقلت قد قال القطامي افضل من هذا قال وما قال قلت قال
طرقت جنوب رحال الناس من طرف ما كنت احسبه قريب المعتنق حتى اتيت على آخر القصيدة فقال عبد
الملك ثكلت القطامي امه هذا والله الشعر قال فالتفت الي الاخطل فقال يا شعبي ان لك فنونا في
الاحاديث وانما لنا فن واحد فان رأيت ان لا تحملني على اكتاف قومك فادعهم حرضًا قلت لا اعرض
لك في شيء من الشعر ابدا فاقلني هذه المرة قال من يكفل بك قلت امير المؤمنين فقال عبد الملك
هو علي ان لا يعرض لك ابدا ثم قال يا شعبي اي شعراء الجاهلية كان اشعر من النساء قلت خنساء قال
ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسي على صخر

الا انكلت ام الذين غدوا به، الى القبر ماذا يحملون الى القبر، فقال عبد الملك اشعر منهما والله ليلى
الاخيلية حيث تقول، مهفهف الكشح والسربال منخرق، عنه القميص لسير الليل محتقر، لا يأمن
الناس ممساه ومصبحه، في كل فج وان لم يغز ينتظر، ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته قلت
اي والله يا امير المؤمنين اشد مشقة اني محدثك منذ شهرين لم افدك الا ابيات النابغة في الغلام
ثم قال يا شعبي انما اعلمناك هذا لانه بلغني ان اهل العراق يتطاولون على اهل الشام ويقولون
ان كانوا غلبونا على الدولة فليس يغلبونا على العلم والرواية واهل الشام اعلم بعلم اهل العراق من اهل العراق
ثم ردد على ابيات ليلى حتى حفظتها واذن لي فانصرفت فكنت اول داخل واخر خارج قال السيد
قدس الله روحه الصحيح في الرواية ان البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما الى ليلى الاخيلية
لاعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبراعة
والبلاغة وهي اني اتتني لسان لا اسر بها، من علو لا عجب منها ولا سخر، فظلت مكتئبا حران
انديه، وكنت احذره لو ينفع الحذر، فجاشت النفس لما جاء جمعهم، وراكب جاء من تثليث معتمر
ياتي على الناس لا يلوي على احد، حتى التقينا وكانت دوننا مضر، ان الذي جئت من تثليث تندبه
منه السماح ومنه النهي والغير، تنعى امرءا لا تغب الحي جفنته، اذا الكواكب اخطا نوءها المطر
وراحت الشول مغبرا مناكبها، شعثا تغير منها النيّ والوبر، والجا الكلب موقوع الصقيع به
والجا الحي من تنفاحها الحجر، عليه اول زاد القوم قد علموا، ثم المطي اذا ما ارملوا جزر، قد
تكظم البزل منه حين تبصره، حتى تقطع في اعناقها الجرر، اخو رغائب يعطيها ويسألها، يأبى
الظلامة منه النوفل الزفر، لم تر ارضا ولم تسمع بساكنها، الا بها من نوادي وقعه اثر، وليس
فيه اذا استنظرته عجل، وليس فيه اذا ياسرته العسر، فان يصبك عدو في مناواة، يوما
فقد كنت تستعلي وتنتصر، من ليس في خيره من يكدره، على الصديق ولا في صفوه كدر،
اخو شروب ومكساب اذا عدموا، وفي المخافة منه الجد والحذر، مردي حروب ونور يستضاء به،
كما اضاء سواد الظلمة القمر، مهفهف اهضم الكشحين منخرق، عنه القميص لسير الليل محتقر، طاوي
المصير على العزاء منجرد، بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر، لا يصعب الامر الا ريث يركبه، وكل امر
سوى الفحشاء يأتمر، معنى لا يصعب الامر اي لا يجده صعبا، لا يتأرى لما في القدر يرقبه، ولا
يعض على شرسوفه الصفر، لا يغمز الساق من اين ولا وصب، ولا يزال امام القوم يقتفر، لا
يأمن الناس ممساه ومصبحه، في كل فج وان لم يغز ينتظر، تكفيه حزة فلذ ان الم بها، من الشواء
ويروي شربه الغمر، لا تأمن البازل الكوماء عدوته، ولا الامون اذا ما اخروّط السفر، كأنه
بعد صدق القوم انفسهم، باليأس تلمع من قدامه البشر، قال المبرد لا نعلم [illegible]

تأويل قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا

[illegible] ابرع من هذا البيت لا يعجل القوم ان تغلي مراجلهم، ويدلج الليل حتى يفسح البصر،
عشنا به حقبة حيا ففارقنا، كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر، اصبت في حرم منا اخا ثقة
هند بن اسماء لا يهني لك الظفر، لو لم تخنه نفيل وهي خائنة، لصبح القوم وردا ماله صدر
واقبل الخيل من تثليث مصغية، وضم اعينها رغوان وحضر، اما سلكت سبيلا كنت سالكها
فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر، وقد رويت هذه القصيدة للدعجاء اخت المنتشر وقيل لليلى
الاخيلية ولعل الشبهة الواقعة في نسبتها الى ليلى الاخيلية من ههنا والصحيح ما ذكرناه اخبرنا ابو
الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيدة قال وفد الاخطل
على معوية فقال اني قد مدحتك بابيات فاسمعها فقال ان كنت شبهتني بالحية او الاسد او الصقر
فلا حاجة لي فيها وان كنت قلت في كما قالت الخنساء، وما بلغت كف امرئ متناول، بها المجد الا حيث
ما نلت اطول، وما بلغ المهدون في القول مدحة، وان صدقوا الا الذي فيك افضل، فهات انشد
فقال الاخطل والله لقد احسنت وقلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته وانشد، اذا مت مات العرف
وانقطع الغنى، فلم يبق الا من قليل مصرد، وردت اكف الراغبين وامسكوا، من الدين والدنيا
بخلف مجدد، فاحسن صلته واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابرهيم بن محمد النحوي قال اخبرنا
احمد بن يحيى ان ابن الاعرابي انشدهم، مررنا عليه وهو يكعم كلبه، دع الكلب ينبح انما الكلب نابح
قوله يكعم كلبه اي يشد فاه خوفا ان ينبح فيدل عليه وقال اخر، وتكعم كلب الحي من خشية القرى،
ونارك كالعذراء من دونها ستر، قال وقد قال الاخطل، قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم، قالوا
لامهم بولي على النار، قال ابو عبيد الله وسمعت محمد بن يزيد الازدي يقول هذا امر هجي ما هجي به
جرير لانه جعل نارهم يطفئها البول وجعلهم يامرون امهم بالبول استخفافا بها **مجلس اخر** تاويل
اية ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب وليس تاويل هذه الاية يقتضي انه تعالى يجوز ان يزيغ القلوب عن الايمان حتى
تصح مسالته الا يزيغها ويكون هذا الدعاء مفيدا **الجواب** قلنا في هذه الاية وجوه اولها ان
يكون المراد بالاية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيه فيفضي بنا ذلك الى
ان تزيغ قلوبنا بعد الهداية وليس يمتنع ان يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة
عليهم اليه كما قال تعالى في السورة انها زادتهم رجسا الى رجسهم وكما قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلم
فلم يزدهم دعائي الا فرارا فان قيل كيف يشدد عليهم في المحنة قلنا بان يقوي شهواتهم لما
قبح في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقا والثواب المستحق عليه
عظيما متضاعفا وانما يحسن ان يجعله شاقا تعريضا للمنزلة وثانيها ان يكون ذلك دعاء بالتثبيت لهم

على الهداية وامدادهم بالالطاف التي معها يثبتون على الايمان فان قيل وكيف يكون مزيغا القلوب بهم
بان لا يفعل اللطف قلنا من حيث كان المعلوم انه متى قطع امدادهم بالطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا
عن الايمان ويجري هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين
من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثله قول الشاعر اناني وحلي بالمدينة وقعة ، لآل تميم اقعدت
كل قائم اراد قعد لها كل قائم فكانهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا الطافك فنزيغ
ونضل وثالثها ما اجاب به ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي لانه قال المراد بالاية ربنا لا تزغ
قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال انهم سالوا الله تعالى ان يلطف لهم في فعل الايمان حتى
يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان ان تزيغ قلوبهم عن الثواب وان
يفعل بهم بدلا منه من العقاب فان قال قائل فما هذا الثواب الذي في قلوب المؤمنين حتى زعمتم انهم سالوا
الله تعالى ان لا يزيغ قلوبهم عنه واجاب بان من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى
من الشرح والسعة بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقوله لرسوله
الم نشرح لك صدرك وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة
قال ومن ذلك ايضا التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ومن ذلك ايضا كتابته الايمان في قلوب المؤمنين كما
قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وضد هذه الكتابة هي سمات
الكفر التي في قلوب الكافرين فكانهم سالوا الله تعالى ان لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الى ضده من
العقاب ورابعها ان تكون الاية محمولة على الدعاء بان لا يزيغ القلوب عن اليقين والايمان ولا
يقتضي ذلك انه تعالى سئل ما كان لا يجب ان يفعله وما لولا المسالة لجاز فعله لانه غير ممتنع ان ندعوه
على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى ما عنده بان يفعل ما نعلم انه لا بد من ان يفعله وبان لا يفعل
ما نعلم انه واجب ان لا يفعله اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكيا عن ابرهيم ولا تخزني
يوم يبعثون وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعوه به قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن وكقوله تعالى
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وكل ما ذكرناه واضح بين بحمد الله قال سيدنا قدس الله روحه واني
لاستحسن قول الراعي في وصف الاثافي والرماد فقد طبق في صفته المفصل مع جزالة الكلام وفوقه
واستواءه واطراده ، واورق منذ عهد ابن عفان حوله ، حواضن الاف على غير مشرب ، وذاد الاعاصي
اقبلت بجودها ، على اسفع ذي شامة متقوب ، كان بقايا لونه في ضونها ، بقايا هناء في قلاص
مجرب الاورق الرماد وجعل الاثافي له كالحواضن لاحتضانها واستدارتها حوله واراد بوداد
الاغالي لانها مواضع القدر فلا تكاد تسود والراسخ هو الواضح وانما شبه الرماد بينهن بفصيل بين

على احد الوجوه

وفي نسخة بعض

ان الوانها تضرب الى الحمرة وخص الاعالي م

الظاهر والمتقوب الذي قد انحسر اعلاه وشبه ما سودت النار منهن باثر قطران على قلائص جرب والمجرب
الذي قد جرب اي طلي وقد نظر هذا المعنى بعينه اعني تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة عفا
الزرق من اطلال مية فالدحل ، فاجماد حوضى حيث زاحمها الحبل ، سوى ان ترى سوداء من غير خلقة
تخطاءها وادت جاراتها النقل ، من الرضمات البيض غير لونها ، بنات فراض المرخ واليابس الجزل
كجرباء دست بالهناء فاقصيت ، بارض خلاء ان تقاد بها الابل ، قوله سوداء من غير خلقة يعني
الاثفية لان السواد ليس بخلقة بها وانما سودتها النار وقوله تخطاءها النقل اي تجاوزها فلم تحمل
من مكان الى مكان بل بقيت منفردة وادت جاراتها يعني بجاراتها الاثافي اللواتي كن معها
والمرتث هو المنقول من مكان الى مكان واصل ذلك في الجريح والعليل يقال ارتث الرجل ارتثاثا
اذا حمل من المعركة وبه رمق قال النضر بن شميل معنى ارتث صرع وقال ابو زيد هو ماخوذ من قولهم
ارتثثت رثة القوم اذا جمعوا ردي متاعهم ليعدان يحملوا من موضعهم وكلا المعنيين يليق ببيت
ذي الرمة لانه قد يجوز ان يريد بقوله وادت جاراتها اي نقلن عنها ويجوز ان يريد صرعن وبقيت
ثابتة قائمة والرضمات حجارة بيض بعضها على بعض والفراض جمع فرض وهو الحز يكون في الزند
بجنات فراض المرخ شرار النار الخارجة من ذلك الفرض والمرخ شجر يتخذ منه الزند ومن امثالهم في
كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم يفضل على القوم ويزيد عليهم
فكان المعنى كل القوم كرام واكرمهم فلان ومعنى كجرباء دست بالهناء انه شبه الاثفية المنفردة
بناقة جرباء قد افردت وابعدت عن الابل حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دست بالهناء طليت به
وفي معنى قول الراعي وداد الاغالي يشبه من قول الشماخ بن ضرار اقامت على ربعيهما جارتا صفا
كميتا الاعالي جونتا مصطلاهما يعني بربعيهما منزلي الامراتين اللتين ذكرهما ويعني بجارتا صفا
الاثفيتين لانهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر ويمكن في قوله جارتا صفا وجه اخر
هو احسن من هذا وهو ان الاثفيتين توضعان قريبا من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما و
ممسكة للقدر معهما ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الاثافي اي بالصخرة والجبل وشبه اعلاهما
بلون الكميت وهو لون الحمرة بعينه لان النار لم تصل اليه فتسوده ومصطلاهما جونان اي اسود
لان النار قد سفعته وسودته وقال الراعي في وصف الاثافي ايضا اذاع باعلاه وابقى شريده
ذرا مجنحات بينهن فروج ، كان بجزع الدار لما تحملوا ، سلاليب ورق بينهن خديج ، اذاع باعلاه
يعني الرماد لان السافي غير ظاهره وما علا منه وابقى شريده ابقى ما شرد على السافي فلم يطره
وذرا مجنحات يعني الاثافي وذرا كل شيء جانبه وما استذريته منه والمجنحات المشبلات
والسلاليب جمع سلوب هي الناقة التي قد سلبت ولدها بموت او نحر فقد عطفت على حوار والخديج

بجزع الوادي منعطفه

وهو الريح التي تطير التراب

سفت الريح التراب تسفيه ذرته او حملته كما تسفه نحو ساف وسفى

الذي

الذي قد سقط لغير تمام والورق اللواتي الواتهن كلون الرماد وفي معنى قول الراعي وابقى شريدها
ذا محجات قول المخبل السعدي وارى لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا
هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم الا ههنا بمعنى الواو فكانه قال وارى رمادا هامدا
ولولا ان الا ههنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخره اوله لانه قال في اول البيت ان الخوالد
السحم دفعت عنه الرياح فكيف يخبر بانه قد درس وانما اراد انه باق ثابت لان الاثافي دفعت عنه
فلم يستثنه اذا من جملة ما لم يدرس بل هو داخل في جملته والراعي ايضا وصف الاثافي انحن وهن
اغفال عليها فقد ترك الصلاء بهن ثاراء شبه الاثافي بنوق انحن اعمالا ليست عليهن
سمة ثم اخبر ان الوقود اثر فيهن اثرا كالسمة والنار السمة تقول العرب ما نار بعيرك اي ما سمته وفي
امثالهم نجارها نارها اي سمتها تدل على كرمها يضرب ذلك للرجل ترى له ظاهرا حسنا يدل
على باطن خير وقال عدي بن الرقاع العاملي الا رواكد كلهن قد اصطلى حمراء اشعل اهلها ايقادها
كانت رواحل للقدور فعريت منهن واستلب الزمان رمادها وقال الاشعر الجعفي الا
رواكد بينهن خصاصة سفع المناكب كلهن قد اصطلى وقال حميد بن ثور فتغيرت الا ملابيها
ومعرسا من جونة ظهر عرش الثقاب لها بدا ومقامة للحي بين نظاير وقال الجونة القدر ويقال
ظهر وقدر ظهور اذا كانت قديمة وعرش اي جعل مثل العرش يعني الوقود والثقاب ما اثبت من
الوقود والنظاير هي الاثافي والوتر الفرد واراد انها ثلاث وقال الكميت بن زيد ولم يجنبك الا
معطفة بالقاع لا تملك فيها ولا ميل ليست بعوذ ولم تعطف على ربع ولا يهيب بها ذو الثلة الابل
يعني الاثافي فشبه تعطفها على الرماد بنوق ابن قد عطفن على فصيل والتموك انتصاب السنام والميل
من صفة السنام والعايذ من النوق التي يتبعها ولدها والربع الذي نتج في اول الربيع والاهابة الدعاء
اهاب بابله اذا دعاها وذو الثلة الذي قد يوى الرحيل والابل صاحب ابل وقال ذو الرمة فلم يبق الا
ان ترى في محلة رمادا نحت عنه السيول جنادله كان الحمام الورق في الدار وقعت على خرق بين
الظؤور جوازله شبه الاثافي بحمام ورق وجعلها ظؤورا لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ
خرق قد سقط ريشه والجوازل الفرخ واحدها جوزل وقال البعيث الا حييا الربع القواء وسلما
كجثمان الحمامة ادهما قيل ان الحمامة ههنا القطاة وانه شبه الرسوم من الرماد وموقد نار ودمنة
بجثمان وما اشبه هذه الاشياء بالوان ريش قطاة ومثله لجرير كان رسوم الدار ريش حمامة
محاها البلى واستعجمت ان تكلما ولقد احسن كل الاحسان كثير في قوله امن آل قيلة بالدخول رسوم
وبحومل طلل يلوح قديم لعب الرياح برسمه فاجده جون عواكف في الرماد جثوم سفع الخدود
كانهن وقد مضت حجج عوايد بينهن سقيم فينك في قوله فاجده جون عواكف يعني الاثافي لان الريح

لما كشفت عنها وظهر صارت هي كانها احدثت الرسم وتحتمل وجها آخر وهو ان يكون معنى جدد انها
حمت الرماد الذي احاطت به عن لعب الرياح فبقي بحاله فيستدل به المترسم فكان الرياح درست الرسم
ومحته الا ما احدثته هذه الاثافي من الرماد وصنعت الريح منه ويجري ذلك مجرى قول المخبل الا
رمادا هامدا البيت وقال المرار الفقعسي في الاثافي اثر الوقود على جوانبها يخدودهن كانه لطم
ويقال ان ابا تمام الطائي اخذ ذلك في قوله فقفوا نعط المنازل من عيون لها في الشوق احشاء غزار
عفت آياتهن واي ربع يكون له على الزمن الخيار اثاف كالخدود لطمن حزنا ونؤي مثل ما انفصم
السوار وقد عاب عليه قوله لطمن حزنا بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزنا ولذلك فائدة وذلك
ان لطم الحزن يكون اوجع وابلغ فتاثيره ابين واظهر وقد يكون اللطم لغير الحزن فاما قوله ونؤي مثل
ما انفصم السوار فماخوذ من قول الشاعر نؤي كما نقص الهلال محاقه او مثل ما قصم السوار المعصم و
قد شبه الناس النؤي بالسوار والخلخال كثيرا وبغير ذلك قال كثير عرفت لسعدى بعد عشرين حجة بها درس
نؤي في المحلة منحن قديم كوقف العاج ثبت حوله مغاد راوتاد برضم موضن الوقف السوار من الذبل
ومن العاج والرضم صخور عظام والموضن الذي بعضه فوق بعض وقال بشار ونؤي كخلخال الفتاة وشيم
اشج على ريب الزمان ركوب معا الصايم الاشج يعني الوتد وانما وصفه بانه صايم لقيامه وثباته و
دقه بالانفراد والمراة الركوب والشيخ الركوب الذي لا يعيش له ولد ومن مستحسن ما وصف به النؤي
قول ابي تمام والنؤي اهمد شطره فكانه تحت الحوادث حاجب مقرون وقال المتنبي في ذلك تقف على
الدمنتين بالدو من ريا كخال في وجنة جنب خال بطلول كانهن نجوم في عراص كانهن ليال ونؤي
كانهن عليهن خدام خرس بسوق خدال الخدام جمع خدمة وهي الخلخال فجعلها خرسا لانها غير قلقة
وشبه ما احدق بها النؤي من الارض وامتلاء ما بها بامتلاء الخلخال من الساق الخدلة وهي الممتلئة
مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا
ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها
قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون فقال ما تاويل هذه الآيات وهل البقرة التي تعتبر
بجميع النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الاول والتكليف واحد ام لا وان كان المراد مختلفا والتكليف
متغايرا الجواب قلنا اهل العلم في تاويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف اصولهم فمن جوز تاخير
البيان عن وقت الخطاب يذهب الى ان التكليف واحد وان الاوصاف الا لمتجددة هي البقرة المتقدمة وانما

ولو وقف رسم الدار للطلل

الغفل بالضم الذي لا سمة عليه

الثقاب ما اثقب به النار

خفت الابل

الحمام الورق اللواتي لونهن كلون الرماد

بالحمام الورق

فى صفة النؤي

والنؤي حاجز حول الخباء

تأخر البيان ولما سأل القوم عن الصفات ورد البيان شيئاً بعد شيء ومن لم يجوز تأخير البيان يقول
ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاؤوا من غير
تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كلفوا
ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من اي لون كان لاجزأهم فلما لم يفعلوا
كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الاخيرة ثم اختلف هؤلاء
من وجه آخر فمنهم من قال في التكليف الاخير انه يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى
تكون البقرة مع انها غير ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها صفراء فاقع لونها
ولا فارض ولا بكر ومنهم من قال انما يجب ان تكون بالصفة الاخيرة فقط دون ما تقدم وظاهر الكتاب
بالقول الاول المبني على جواز تأخير البيان اشبه وذلك انه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فلا يخلو قولهم ما هي من ان يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها او عن
غيرها التي امروا بها فانها على قول من يدعي ذلك وليس يجوز ان يكونوا سالوا عن الصفة غير التي تقدم
ذكرها لان الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي ان يكون السؤال عن صفة البقرة
المامور بذبحها ولانه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى فيستفهموا عنها واذا صح ان السؤال انما كان
عن صفة البقرة المنكرة التي امروا في الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله انها بقرة لا فارض ولا بكر
من ان يكون كناية عن البقرة الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لان
ظاهر قوله انه انها بقرة من صفتها كذا تعقيب قولهم ما هي يقتضي ان يكون كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم
ولان الامر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جوابا لهم بل كان يجب ان يكونوا سالوه عن شيء فاجابهم
عن غيره وهذا لا يليق بالنبي عليه السلم على انه لما اراد ان يكلفهم تكليفا ثانيا عند تفريطهم في
الاول على ما يدعيه من ذهب الى هذا المذهب فكان يجب ان يجيب عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام
في غير موضعه وتفريطهم فيما امروا به مما لا حاجة بهم الى الاستفهام عنه فيقول في جواب قولهم
ما هي انما كلفتم اي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم في ترك الامتثال واخطأتم في الاستفهام
مع وضوح الكلام الا انكم قد كلفتم ثانيا كذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الايهام
واللبس فلما لم يفعل ذلك واجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال علم ان الامر على ما ذكرنا
وهب انهم لم يفعل ذلك في اول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الاسئلة والاستفهامات التي لم تقع على
هذا المذهب موقعها ومع تكرار المعصية والتفريط كيف يستحسن ان يكون جميع اجوبته غير متعلقة
باسولتهم لانهم يسألونه عن صفة شيء فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل على اقوى الوجوه الموجبة
لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا ان الصفة الفلانية صريح في

الهاء

الهاء كناية عما وقع السؤال عنه وهذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا لانهم لم يقولوا ذلك الا وقد
اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل لهم اي تشابه عليكم وانما امرتم في الابتداء باي بقرة
كانت وفي الثاني بما اختص بالصفة المخصوصة وفي اي بقر كان وفي الثالث بما اختص باللون المخصوص من
اي البقر كان فان قيل كيف يجوز ان يامرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى آخر الكلام ولا
يبين لهم ذلك هل هذا الا تكليف ما لا يطاق قلنا لم يرد منهم ان يذبحوا البقرة في الثاني من حال الخطاب
لو كانت حال الفعل حاضرة لما جاز ان يتأخر البيان لان تأخره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا
شبهة في قبحه وانما اراد ان يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم
عند الحاجة اليه فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما امروا بذبحه فوجوده كعدمه وهذا
يخرجه من باب الفائدة ويوجب كونه عبثا قلنا ليس يجب ما ظننتم لان القول وان لم يفد صفة البقرة
بعينها فقد افاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة وان لم يكن ذلك معلوما قبل هذا الخطاب فصار
مفيدا من حيث ذكرنا وخرج من ان يكون وجوده كعدمه وفي ابتداء الكلام لا يجب ان يخلو من الافترا
وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها فان قيل
ظاهر قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير في امتثال
الامر قلنا ليس ذلك بصريح ذم لان كادوا للمقاربة وقد يجوز ان يكون التكليف صعب عليهم لعلو
ثمن البقرة التي تتكامل لها تلك الصفات فقد يحكى انهم ابتاعوها بملء جلدها ذهبا على ان الذي
يقتضي ظاهره ان يصرف الى تقصيرهم في تاخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام لان قوله تعالى وما
كادوا يفعلون انما ورد بعد تقدم البيان التام المكرر ولا يقتضي ذمهم على ترك المبادرة في الاول
الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على ما يخالف ما ذكرناه فان قيل لو ثبت تقديرا ان التكليف في البقرة الاخيرة م
متغاير اي القولين اللذين حكيتموهما عن اهل هذا المذهب اصح واشبه قلنا قول من ذهب الى ان
البقرة انما يجب ان تكون بالصفة الاخيرة فقط لان الظاهر به اشبه من حيث انه اذا ثبت تغاير التكليف
وليس في قوله انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث الى آخر الاوصاف ذكر لما تقدم من الصفات
وهذا التكليف غير الاول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه فاما الفارض فهي
المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة يقال غرب فارض اي ضخم والغرب الدلو ويقال ايضا لحية فارضة
اذا كانت عظيمة والاشبه بالكلام ان يكون المراد المسنة فاما البكر فهي الصغيرة التي لم تلد
فكانه تعالى قال تكون غير مسنة ولا صغيرة والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف
التي ولدت بطنا او بطنين ويقال حرب عوان اذا لم تكن اول حرب وكانت ثانية وانما جاز ان يقول
بين ذلك وبين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيدا قائما

ويقول القائل قد نصعت ذلك ومعنى فاقع لونها أي خالص الصفرة وقيل إن كل ناصع اللون بياضا
كان أو غيره فهو فاقع وقيل إنه أراد بصفراء ههنا سوداء ومعنى قوله لا ذلول تثير الأرض أي تكون صعبة
ليست بذلول للعمل في إثارة الأرض وسقي الزرع ومعنى مسلمة مفعلة من السلامة من العيوب وقال قوم مسلمة
من الشية أي لا شية فيها تخالف لونها وقيل لا شية فيها أي لا عيب فيها وقيل لا وضح فيها وقيل
لا لون يخالف لون جلدها والله أعلم بما أراده وأتاه بمنه وحسن التوفيق قال السيد المرتضى علم الهدى
قدس الله روحه كنت أظن أن المتنبي قد سبق إلى معنى قوله في مرثيته لأخت سيف الدولة طوى الجزيرة
حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب حتى إذا لم يدع لي صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد
يشرق بي حتى رأيت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الأنصاري وللبحتري أما الذي لمسلم فقوله في قصيدة يرثي
بها سهل بن صباح وقف العفاة عليك من متحير وله الرجاء ومغتني بسترجع ومخادع التمني
النعي ودونه خطب ألم يصاق ولا يخدع وقال البحتري يرثي وصيفا التركي إذا كذب ناعيه توهمت أنني
بكرت من أخباره قول مازح وكنت أظن المتنبي قد سبق إلى قوله يحل القنا يوم الطعان بعقوتي
فأحرمه عرضي وأطعمه جلدي حتى رأيت هذا المعنى واللفظ بعينه لجهم بن شبل الكلابي من أهل اليمامة
في قوله تحن قومه عن جد دجان وقد حنا إلى الموت طامي الصعنين كليم أخو الحرب أما جلده فجريح
كليم وأما عرضه فسليم وكنت أظن البحتري قد سبق إلى معنى قوله في الفتح بن خاقان حملت عليه السيف
لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا حتى وجدت لشاعر متقدم طعنت ابن دهمان بنجران
طعنة شققت بها عنه مضاعفة السرد فلا الكف واهت ولا الرمح خانني ولا الأدهم المغرور
جاد عن القصد قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس صفرة اللون في العلل وكل حكى ذلك بلا
فضيلة إلا البحتري قال أعرابي من أبيات جعلت وقاعا نبت عطر أكأنما جرى بين جلدي والعظام خلوق
وقال أبو تمام لم تشن وجهه المليح ولكن جعلت ورد وجنتيه بهارا وقال غيره ولم تشن شيئا
ولكنها بدلت لتفاح بالياسمين وقال بكر بن عبيني علة زعفرت مورد خد كاد من رقة ورد
يغيض ولأحمد بن يزيد المهلبي وقالوا عرتها حمى شديدة فوجهتها منها اشد لها بصفارها
فقلت لهم هيهات هاتيك روضة مضى وردها عنها وجاء بهارها ولأبي العتاهية وكأني مما تطا
بي منك السقام طليت بالورس وقال ابن المعتز وصفرت علته وجهه وصار كالدينار من حبه
وقال البحتري بدت صفرة في لونه إن حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد وحرت على الأيدي
يحيه كفه كذلك موج البحر ملتهب الوقد وما الكلب محموما وإن طال عمره ولكنما الحمى على الأسد
الورد قال السيد قدس الله روحه أما تشبيهه صفرة اللون بصفرة الذهب فهو تشبيه مليح موافق لغرضه
إلا أنه أخطأ في قوله إن حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد لأن ذلك ليس بمحبوب بل مذموم ولو شبه

وترك التعليل لكان أجود وروى أبو العباس أحمد بن فارس المنبجي قال حدثني أبو أحمد عبيد الله بن يحيى بن
البحتري قال حدثني أبي قال حدثني جدي البحتري قال كنت عند أبي العباس المبرد فتذاكرنا شعر عمارة بن
عقيل في قوله لخالد بن يزيد لما وجه إليه بهذين البيتين لم أستطع سير المدخر خالد فجعلت مدحته
إليه رسولا فليرحلن إلى نائل خالد وليكفين رواحلي الترحيلا قال البحتري فقلت له لمروان بن
أبي حفصة في عبد الله بن طاهر وقد أتاه من الجزيرة بالعلم ما هو أحسن من هذا وأنشدته لعمري لنعم
الغيث غيث أصابنا ببغداد من أرض الجزيرة وابله فكنا كحي صبح الغيث أهله ولم تنتجع الظعائن
ورواحله فقال نعم هذا أحسن فقلت له إن لي في بني السمط وقد أتاني برهم من حمص ما لا يتضع عن الجميع
وأنشدته جرى لي السحر والجزائر بكفه بني السمط أخدان السماحة والمجد هم وصلوني والمهامه بيننا
كما ارفض غيث من تهامة في نجد فقال هذا والله أدق مما قالا وأحسن وروى أحمد بن فارس المنبجي
عن عبيد الله بن يحيى البحتري قال حدثني أبي عن جماعة من أهل العلم والأدب منهم يموت بن المزرع
قال قلت لأبي عثمان الجاحظ من أنسب العرب قال الذي يقول عجلت إلى فضل الخمار فأثرت عذباته بمواضع
التقبيل وقال هذا للبحتري في القصيدة التي أولها صب يخاطب مفحمات طلول قال السيد قدس
الله روحه وفي نسيب هذه القصيدة بيت آخر ليس بعيض في ملاحة الكلام ورشاقته وأخذه بمجامع
القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو أخبب عندك والصبى لي شافع وأرد دونك والشباب
رسولي وفي مديح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو لا تطلبن له الشبيه فإنه قمر التمام
من بني التأميل وبهذا الإسناد عن يحيى بن البحتري قال انصرفت يوما من مجلس أبي العباس محمد بن
يزيد المبرد فقال لي أبي البحتري أي بني ما الذي أفدت يومك هذا من أبي العباس فقلت أملى علي أخبارا
حسنة وأنشدني أبياتا للحسين بن الضحاك فقال لي أنشدني الأبيات فأنشدته كأني إذا فارقت شخصك
ساعة لفقدك بين العالمين غريب وقد رمت أسباب السلو فخانني ضمير عليه من هواك رقيب
أغرك صفحي عن ذنوب كثيرة وغضي على الأشياء منك ذنوب كأن لم يكن في الناس مثلي متيم ولم
يك في الدنيا سواك حبيب إلى الله أشكو أن شكوت فلم يكن بشكواي من عطف الحبيب نصيب فقال
ما أحسن هذا الكلام ثم أنشدني لنفسه حبيبي حبيب يكتم الناس أنه لنا حين تلقانا العيون حبيب
يباعدني في الملتقى وفؤاده وإن هو أبدى لي البعاد قريب ويعرض عني والهوى منه مقبل إذا خاف عينا
أو أشار رقيب فتنطق منا أعين حين نلتقي وتخرس منا ألسن وقلوب ثم قال أروهما يا بني فهذه
فإنهما من أحسن الشعر وطريفه وروى أحمد بن فارس المنبجي عن أبي نصر محمد بن إسحاق النحوي قال سمعت
بعض أهل الأدب يقول للزجاج قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره وأنه لم يكن يقول لأحد ولا يتطأطأ
لرجل حتى إذا أشرف عليه الرجل تهلل الهضاب لا يتحلحل ولقد رأيته يوما وقد دخل عليه رجل

تأويل قوله تعالى في قصة هابيل وقابيل لئن بسطت إلي يدك الآية

متدرع فقام إليه أبو العباس فاعتنقه ونحى عن موضعه لجلسه فجعل الرجل يستعفيه من ذلك فلما كثر عليه انشده أبو العباس أتكبرات قوم وقد بدا لي لأكرمه أعظمه هشام فلا أشكر مبادرتي إليه فإن لمثله خلق القيام فلما انصرف الرجل سألناه عنه فقيل هذا البحتري مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكيا عن هابيل لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فقال كيف يجوز أن يخبر عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بأنه مريد أن يبوء أخوه بالإثم وذلك إرادة القبيح وإرادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال وفي جملة كونها إثما بغيره وكيف يصح أن يبوء القاتل بإثمه وإثم غيره وهل هذا إلا ما تأبونه من أخذ البريء بجرم السقيم الجواب قلنا جواب أهل الحق عن هذه الآية معروف وهو أن هابيل لم يرد من أخيه قبيحا ولا أراد أن يقتله وإنما أراد ما أخبر الله تعالى عنه من قوله إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أي إني أريد أن تبوء بجزاء ما أقدمت عليه من القبيح وعقابه ولئن يقبح أن يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه ونظير قوله بإثمي مع أن المراد به عقوبة إثمي الذي هو قتلي قول القائل لمن يعاقب على ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبت يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لقاك الله عملك وستلقى عملك يوم القيامة معناه ما ذكرناه فإن قيل كيف يجوز أن يحسن إرادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه لأن القتل على هذا القول لم يكن واقعا قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الأمر الذي يستحق به العقاب فهابيل لما رأى من أخيه التصميم على قتله والعزم على امضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما هم به وعزم عليه فأما قوله بإثمي وإثمك فالمعنى فيه واضح لأنه أراد بإثمي عقاب قتلك لي وإثمك أي عقاب المعصية التي أقدمت عليها من قبل فلم يتقبل قربانك بسببها لأن الله تعالى أخبر عنهما بأنهما قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وأن العلة في أن قربان أحدهما لم يتقبل أنه غير متق فليس يمتنع أن يريد بإثمي ما ذكرناه لأن الإثم مصدر والمصادر قد تضاف إلى الفاعل والمفعول جميعا وذلك مستعمل مطرد في القرآن والشعر والكلام فمثال ما أضيف إلى الفاعل قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ومن إضافته إلى المفعول قوله تعالى لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ولقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ومما جاء في الشعر من إضافته إلى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر أمن رسم دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشؤون وكيف وفي الكلام يقول القائل أعجبني ضرب عمرو وخالدا إذا كان عمرو فاعلا وضرب عمرو خالد إذا كان عمرو مفعولا وقد ذكر قوم في الآية وجها آخر وهو أن يكون المراد إني أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك لأنه لو لم يرد

عناه البيت كيف من ماء الشؤون لاجل ان رسم مربع ومصيف دار

له إلا الرشد الخير فحذف الزوال وأقام أن وما اتصل بها مقامه كما قال تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم أراد حب العجل فحذف الحب وأقام العجل مقامه وكما قال تعالى واسأل القرية وهذا قول بعيد لأنه لا دلالة في الكلام على محذوف وإنما يحسن الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام للمحذوف ودلالته عليه وقد ذكر أيضا وجه آخر وهو أن يكون المعنى إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك أي أريد أن لا تقتلني ولا أقتلك فحذف لا واكتفى بما في الكلام كما قال تعالى يبين الله لكم أن تضلوا معناه أن لا تضلوا وكقوله تعالى وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم معناه أن لا تميد بكم وكقول الخنساء فآليت آسى على هالك وأسأل نائحة ما لها أرادت لا آسى وقال امرؤ القيس فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي أراد لا أبرح وقال عمرو بن كلثوم نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى أن تشتمونا أراد أن لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جدا وهذا الجواب يضعفه كثير من أهل العربية لأنهم لا يستحسنون إضمار لا في مثل هذا الموضع فأما قوله تعالى حاكيا عنه لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك فقال قوم من المفسرين إن القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحا في ذلك الوقت وإن الله تعالى أمره بالصبر عليه وامتحنه بذلك ليكون هو المتولي للانتصار وقال آخرون بل المعنى إنك إن بسطت إلي يدك مبتدئا ظالما لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك على وجه الظلم والابتداء فكأنه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين أشبه لأنه تعالى أخبر عنه أنه وإن بسط أخوه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله أي وهو مريد لقتله ومجبر إليه لأن هذه اللام بمعنى كي وهي منبئة عن الإرادة والغرض ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه لأن المدافع إنما يحسن منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير أن يقصد إلى قتله والإضرار به ومتى قصد ذلك كان في حكم المبتدئ بالقتل لأنه فاعل القبيح والعقل شاهد بوجوب التخلص من المضرة بأي وجه يمكن فعلمنا أن يكون غير قبيح فإن قيل وكأنكم تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة وتوجبونها على كل حال قلنا لا نمنع من ذلك وإنما بينا أن الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصار على ما ذهب إليه قوم لأن قوله لا أقتلك يقتضي أن يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة لا تقتضي ذلك ولا يحسن من المدافع أن يجري بها إلى الضرب فلا دلالة في الآية على تحريم المدافعة وقد يجب أن يكون ما ذكرناه أولى تشبيها بالظاهر **تأويل خبر** إن سأل سائل عن معنى الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم **الجواب** قيل له أما أبو عبيد القسم بن سلام فإنه قال يعني بتحلة القسم قوله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا فكأنه قال لا يرد النار إلا بقدر ما يبر الله قسمه وأما ابن قتيبة فإنه قال هو مذهب آخر أشبه بكلام العرب ومعانيهم وهو أن العرب إذا أرادوا تقليل مكث الشيء وتقصير مدته شبهوه

استحسن العرب

ولا اسأل

تأويل خبر

بتحليل القسم وذلك ان يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عندنا الا تحلة القسم
وما نيام العليل الا كتحليل الالية وهو كثير مشهور وقال العراجم ابن احمر وذكر الريح اذا عصبت رسما
فلبس بها الا نبروند الا تحلة مقسم يقول لا يثبت لوتد الا قليلا كتحلة القسم من هبوب الريح
بقلعه وقال اخر يذكر ثورا يخفي التراب باظلاف ثمانية في اربع مسهن الارض تحليل يقول هو
خفيف سريع فقوائمه لا تثبت في الارض الا كتحليل اليمين وقال ذو الرمة طوى طية فوق الكرى جفن
عينه على رهبات من جنان المحاذر قليلا كتحليل الالى ثم قلصت به شيمة روعاء تقليص
طائر الالى جمع الوة وهي اليمين ومعنى الحديث على هذا التاويل ان النار لا تمسه الا قليلا كتحليل
اليمين ثم ينجيه الله منها وقال ابو بكر محمد ابن القسم الانباري الصواب قول ابي عبيد لحجج ثلاث منها
ان جماعة من كبار اهل العلم نسقوا على تفسير ابي عبيد ومنها انه ادعى ان النار تمس للذي وصفت منزلته
جليلة عند الله لكن مسا قليلا والقليل لا يقع به الالم العظيم وليس صفة الابرار في الاخرة صفة
من تمسه النار لا قليلا ولا كثيرا ومنها ان ابا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس النار
وانما حكم البر بالورود والورود لا يوجب ان لا يكون من الابرار لان الا معناه الاستثناء المنقطع
كانه قال فتمسه النار ولكن تحلة اليمين اي لكن ورود النار لا بد منه فجرى مجرى قول العرب سار
الناس الا الاثقال وارتحل العسكر الا اهل الخيام وانشد الفراء وسمحة المشي شملال قطعت بها
ارضا يحار بها الهادون ديموما مهامها وحزونا لا انيس بها الا الضوابح والاصداء والبوم
وانشد الفراء ايضا ليس عليك عطش ولا جوع الا الرقاد والرقاد ممنوع معنى الحديث لا يموت
للمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار البتة لكن تحلة يمين لا بد منها وتحلة اليمين الورود والورود لا
لا ينفع فيه مس قال ابو بكر وقد سمعت فيه قول اخر وهو ان تكون الا زائدة دخلت للتاكيد وتحلة
اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم والا زائدة قال الفرزدق
هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم معناه هم القوم حيث سلوا سيوفهم
والا مؤكدة وقال الاخطل يقطعن الا من فروع بردنها بمطخ محمود نثاه ونائله معناه يقطعن
الابل من فروع بردنها والفروع الواسعة من الارض قال السيد قدس الله روحه والوجه المذكور
في تاويل الخبر المتقدم الا ان الوجه الذي اختص به ابن الانباري فيه ادنى تعسف وبعد من حيث
جعل الا زائدة وذلك كالمتعسف المستضعف عند جماعة من اهل العربية وقد بقي في الخبر مسئلة
والتشاغل بالجواب عنها اولى مما تكلفه القوم وهي متوجهة على كل الوجوه التي ذكروها في تاويله وهو
ان يقال كيف يجوز ان يخبر عليه السلم بان من مات له ثلاثة من الولد لا تمسه النار الا تحلة او بمقدار
تحلة القسم وهو النهاية في القلة اوليس ذلك يوجب ان يكون اغراء بالذنوب لمن هذه حاله واذا

الالية والالوة والالوة والالوة اليمين والالى جمع الالوة

يقال ناقة شملال وشمليل اي خفيف

الضباح صوت الثعلب والضوابح الثعالب

نثاه ما يذكر عنه

كان

تأويل قوله تعالى ثم قست قلوبكم الآية

كان من يموت له هذا العدد من الاولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح ان يؤمن من العقاب والجواب
عن ذلك انا قد علمنا ان مخرج هذا الخبر مخرج المدح لمن هذه صفته والتخصيص له والتمييز وما
مدح في مجرد موت الاولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله فلا بد من ان يكون تقدير الكلام ان النار لا تمس
المسلم الذي يموت له ثلاثة اولاد اذا حسن صبره واحتسابه وعزاؤه ورضاه بما جرى به القضاء عليه
لانه بذلك يستحق الثواب والمدح واذا كان اضمار الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن في القول اغراء
لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذي اذا وقع عليه تفضل الله سبحانه بغفران ما العلم ان يستحقه
من العقاب في المستقبل اذا لم يكن معلوما متميزا فلا وجه للاغراء واكثر ما في هذا ان يكون القول
مرغبا في حسن الصبر وحاثا عليه رغبة في الثواب ورجاء لغفران ما لعله ان يستحق في المستقبل
من العقاب وهذا واضح لمن تامله مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة فقال ما معنى او ههنا وظاهرها يفيد الشك الذي
لا يجوز عليه تعالى الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان تكون او ههنا للاباحة كقولهم جالس
الحسن او ابن سيرين والق الفقهاء او المحدثين ولم يرد الشك بل كانهم قالوا هذان الرجلان
اهل للمجالسة وهذان القبيلان اهل للقاء فان جالست الحسن فانت مصيب وان جالست ابن سيرين
فانت مصيب وان جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الاية على هذا ان قلوب هؤلاء قاسية متجافية
عن الخير والرشد فان شبهتم قسوتها بالحجارة اصبتم وان شبهتموها بما هو اشد اصبتم وان
شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا يتاول قوله تعالى او كصيب من السماء لان او لم يرد بها
الشك بل على النحو الذي ذكرناه من انكم ان شبهتموهم بالذي استوقد نارا فجائز وان شبهتموهم
باصحاب الصيب فجائز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك وثانيها ان تكون او دخلت للتفصيل و
التمييز ويكون معنى الاية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة في القسوة ومنها ما هو اشد
قسوة منها ويجري ذلك مجرى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ومعناه وقال
بعضهم كونوا هودا وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى فدخلت او للتفصيل و
كذلك قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون معناه فجاء بعض
اهلها باسنا بياتا وجاء بعض اهلها باسنا في وقت القيلولة وقد يحمل قوله تعالى او كصيب من
السماء هذا الوجه ايضا ويكون المعنى ان بعضهم يشبه الذي استوقد نارا وبعضهم يشبه اصحاب
الصيب وثالثها ان تكون او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى
عالما بذلك غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في اخبارهم عن ذلك الا التفصيل بل علم ان خطابهم
بالاجمال ابلغ في مصلحتهم فاخبر ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم كالحجارة او اشد قسوة والمعنى

غير معلوم

من العلماء والمحدثين

انهما كاحد هذين لا تخرج عنهما او يجري ذلك مجرى قولهم ما اطعمتك الا حلوا او حامضا فيبهم
على المخاطب ما يعلمون انه لا فائدة في تفصيله والمعنى ما اطعمتك الا احد هذين الضربين وكذلك
يقول احدهم اكلت خبزا او تمرا وهو قد علم ما اكل على التفصيل لانه ابهم على المخاطب وقال
تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر اراد هل انا الا من احد هذين الجنسين
فسبيلي ان افنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان قصده الذي اجرى اليه وغرضه الذي نحاه وهو ان يخبر
بكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجمال ما اجمل من كلامه فاضرب عن التفصيل لانه لا فائدة فيه
ولانه سواء كان من ربيعة او مضر فموته واجب وكذلك الاية لان الغرض فيها ان يخبر تعالى عن شدة
قسوة قلوبهم وانها مما لا يخشى لوعظ ولا تصغي الى حق فسواء كانت في القسوة كالحجارة او اشد
منها فقد تم ما اجرى اليه من الغرض في وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة او بما
هو اشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة او مضر في انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام
ورابعها ان تكون او بمعنى بل كما قال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون معناه بل يزيدون
وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
قال كانوا مائة الف وبضعا وثلاثين الفا وانشد الفراء بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها
او انت في العين املح وقد يكون ام في الاستفهام بمعنى بل كقول القائل اضربت عبد الله ام انت
رجل متعنت معناه بل انت وقال الشاعر فوالله ما ادري اسلمى تغولت ام النوم ام كل الي
حبيب معناه بل كل وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز ان يخاطبنا تعالى بلفظة
بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وليس ذلك بشيء اما
الاستدراك فان اريد به الاستفادة او التذكر لما لم يكن معلوما فليس بصحيح لان احدنا قد يقول
اعطيته الفا بل الفين وقصدته دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء كلامه بما اخبر به في
الثاني ولم يتجدد له به علم وان اريد به الاخذ في كلام غير الماضي واستيناف زيادة عليه فهو
صحيح ومثله جائز عليه واما النقض للكلام الماضي فليس بواجب في كل موضع تستعمل فيه لفظة
بل لان القائل اذا قال اعطيته الفا بل الفين لم ينقض الاول وكيف ينقضه والاول يدخل في
الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضا للماضي اذا قال لقيت رجلا بل حمارا او اعطيته درهما
بل ثوبا لان الاول لم يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة غير ناقض للاول لانه اخبر انها
لا تزيد في القسوة على الحجارة الا بان تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة وخامسها ان تكون
او بمعنى الواو كقوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم معناه وبيوت آبائكم وقال جرير
نال الخلافة اذ كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر وقال جرير ايضا ثعلبة الفوارس او

او رياحا

اذا رفعت صورتها فعلى الابتداء او الخبر وصورة الشمس في العين املح بل انت ومن جره عطفه على مثل قرن الشمس وذكر ان معناه الدعاء عليها ...

او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا اراد ورياحا وقال توبة بن الحمير وقد زعمت ليلى باني فاجر
لنفسي تقاها او عليها فجورها وقال الاخر ولو ان البكاء يرد شيئا بكيت على بجير او عفاق على المرأين
اذ هلكا جميعا لشانهما بشجو واشتياق (بحزن واحتراق) اراد على بجير وعفاق وقد حكى المفضل بن سلمة هذا
الوجه عن قطرب وطعن عليه بان قال ليس شيء يعلم اشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشبه به
عليها وانما يصح ذلك في قولهم اطعمتك تمرا او احلى منه لان احلى منه معلوم واختار المفضل
الوجه الذي يتضمن ان او بمعنى بل وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء لانهم وان لم يشاهدوا او
يعرفوا ما هو اشد قسوة من الحجارة فقسوة الحجارة معلومة لهم فيصح ان يتصوروا ما هو اشد منه
قسوة وحال الزيادة عليها لان قدرا ما اذا عرف صح ان يعرف ما هو ازيد منه او انقص لان الزيادة
والنقصان انما يضافان الى معلوم معروف على ان الاية خرجت مخرج المثل واراد تعالى بوصف قلوبهم
بالزيادة في القسوة على الحجارة انها قد انتهت الى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه وان كانت
الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كانها اشد قسوة منها تمثيلا وتشبيها فقول
المفضل ليس يعرفون ما هو اقسى من الحجارة لا معنى له اذا كان القول على طريق المثل وبعد فان الذي
طعن به على هذا الجواب يعترض به على الوجه الذي اختاره لانه اذا اختار ان او في الاية بمعنى بل فكيف جاز
بان يخبرهم بان قلوبهم اشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو اقسى من الحجارة واذا جاز بان يقول
لهم بل قلوبهم اقسى مما تعرفون من الحجارة جاز ان يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة
التي يعرفون في القسوة وهي مع ذلك تزيد عليها فان قال قائل كيف تكون او في الاية بمعنى الواو
والواو للجمع وليس يجوز ان تكون قلوبهم كالحجارة واشد من الحجارة في حال واحدة لان الشيء اذا
كان على صفة لم يجز ان يكون على خلافها قلنا قد اجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بان قال ليس يمتنع ان تكون
قلوبهم كالحجارة في حال واشد من الحجارة في حال اخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب ويكون فائدة
هذا الجواب ان قلوب هؤلاء في بعض الاحوال مع القسوة والعدول عن قبول الحق والفكر فيه ربما
لانت بعض اللين وهمت بالانعطاف وكادت تصغي الى الحق فتكون في هذه الحال كالحجارة التي
ربما لانت وفي حالة اخرى تكون في نهاية البعد عن الخير والنفور عنه فتكون في هذه الحال اشد
قسوة من الحجارة على انه يمكن في هذا الجواب عن هذا الاعتراض وجه اخر قد تقدم معناه في بعض كلامنا
وهو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة الا بعد ان تكون فيها قسوة الحجارة لان القائل اذا قال
فلان اعلم من فلان فقد اخبر بانه زائد عليه في العلم الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة
فليس ههنا تناف على طريق المعترض ولا اثبات لصفة ونفيها وكل هذا واضح بحمد الله ومنه قال
قدس الله روحه واني لا استحسن من الشعر قول الاحوص بن محمد الانصاري ومولى سخيف الراي

بنو رزام بن مالك بن حنظلة يقال لهم الخشاب

ای اعدلت بهم ای قابلتهم طهية والخشاب بثعلبة الفوارس ورياحا وبنو رزام بن مالك بن حنظلة يقال لهم الخشاب ١٢

عفاق اسم رجل اكلته باهلة في قحط اصابها ١٢

تخونوني بيده • اتاني وعفري جهله عند ذمّة • دملت ولولا غيره لاصبته • لتشغله باقي عارها
نغر العظماء • لطوي حسد اضغنا على كاتما • اداوي بهر في كل مجتمعة كلما • ويجهل احيانا فلا يستخفني
ولا اجهل العتبي اذا واجع الحلماء • يصد بناي في الرخاء بوده • ويدعوا ويدعوني اذا اخشى الهضما
منفرج عنه دبر الخصم مشهدي • وادفع عنه عند عثرته الظلماء • الادبر الدهماء والادبر العقد وكلا
المعنيين يحتمل لفظ البيت • وكنت امرأ عوّ الفعال يهزّني • مآثر مجد تالد لم تكن نعماء وترث
بلا دون سيد اسناد ما لكا • فتنسبه لا ابالي اوعماء • وكنت وشتمي في اروم مالك • كسبي له
كالكلب انبح النجماء • ستعلم ان عادتني فقع قرقر • اماً لا اقتديت لا ابا لك اوعزماً لقد ابعث
الايام مني وحرسها • لاعدائنا نكالاً وحشادناً دعما • وكانت عروق السوء ازرف وضرت
بران ينال الحمد فالتمس الذما • ومن مختار قوله • اني ذاخفي الليالي وانجلي كالشمس لا تخفى بكل مكان
مامن مصيبة نكبة امنى بها • الا تشرفني وتعظم شاني • وتزول حين تزول عن متخمط تخشى
بوادره لدى الاقران • ومن جيد قوله • خليلي باحا بالهوى فتناخت • اقاربها في وصلها واقاري
الا ان هوى الناس مرّ او دونه • وديجا اذا ما الليل غارت كواكبه • صحيح دنا مني حذلك هزبه
فبات يميني وشاغانه • واخبره في السر عني وبينه • بان ليس شيء عند نفسي يقاربه • وقد
غبر في وجيز كلام من وصف المضاجعة امرؤ القيس بقوله • تقول وقد جردتها من ثيابها • كما رعت
مكحولا من العين اتلعا • وجدك لو شيء اتانا رسوله • سواك ولكن لم نجد لك مدفعا • فبتنا
نذود الوحش عنا كاننا • قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا • اذا اخذتها هزة الروع امسكت • بمنكب
مقدام على الهول اروعا • وقال علي بن الجهم في شدة الالتزام • سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة • وادنى
فؤادا من فؤاد معذب • فبتنا جميعا لو تراق زجاجة • من الراح فيما بيننا لم تسرب • ولعبد الصمد بن
المعذل في هذا المعنى • كانني عانقت ريحانة • تنفست في ليلها البارد • فلو ترانا في قميص الدجى •
حسبتنا في جسد واحد • ولبشار بن برد • انني اشتهي لقاءك والله • فماذا عليك ان تلقاني • قد
تلتف الرياح غصنا من • البان الحمثلة فيلتقيان • ومثل هذا للبحتري • ولو انني لم تثنّنا في العناق
لف الصبا بقضيب قضيبا • كما امتدت الريح في مرها فطورا خفوتا وطورا هبوبا • والآخر في مثل
هذا اللفظ بعينه ولسنا ندري هل سبق البحتري او تأخر عنه • وضم لا بينهم واعتناق كما التف
القضيب على القضيب • ولعلي بن الجهم • وبتنا على رغم الحسود كاننا • خليطان من ماء الغمامة
والخمر • وهذا وان جعله في الغناء فهو مأخوذ من قول بشار • واذ نلتقي خلف الغيور كاننا • سلاف
عقار بالتفاح مشوب • والذي في هذا المعنى قول الاخطل • والناس من يعذ على اثره • من الحاذ
الجود مطلب برها • كبيض الانوق المستكنة في الوكر • واني وايّاها اذا ما لقيتها • لكالماء من صوب

الغمامة

قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها

الغمامة والخمر وقد اخذ ايضا من قول ابن ابي عيينة • فقال ذاك اذ دوحها ورحها • مزاجان كاصفى
خمر ماء عذب بماء • واخذه العباس بن الاحنف فقال • ما انس لا انس عيناها معطفة • على فوادي
يسرها على راسي • وقولها ليته ثوبا على جسدك • او ليتني كنت سر الا العباس • او ليته كان خمرا وكنت له
من ماء مزن فكنا الدهر في كاس • ومثله للبحتري وجدت نفسك من نفسي بمنزلة • هي المصافات بين الماء
والراح • ولقد احسن بشار في قوله • لقد كان ما بلغني زمانا دنيلها • كما بين ريح المسك والعنبر الورد
اخبرنا ابو عبيد الله بن المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي قال حدثنا ابو العيناء قال حدثنا
العتبي عن ابيه قال سير الوليد بن عبد الملك الاحوص الى دهلك فكتب الاحوص الى عمر بن عبد
العزيز حين استخلف • وكيف ترى للنوم طعما ولذة • وخالك امسى موثقا في الحبائل • فمن يك امسى
سائلا عن شماتة • ليشمت بي او شامتا غير سائل • فقد عجمت مني الحوادث ماجدا • صبورا على غماء
تلك البلابل • اذا سر لم يفرح وليس لنكبة • الم به بالخاشع المتضائل • فبعث عمر بن عبد العزيز الى
عراك بن مالك الذي كان يشهد عليه وقال ما ترى في هذا البائس فقال عراك مكانه خير له فتركه في
موضعه فلما ولي يزيد بن عبد الملك جلد الاحوص وسيره اكا قال السيد المرتضى علم الهدى قدس الله
روحه وانما كان الاحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة ان ام عمر هي ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب
وامها انصارية فاما قوله اذا سر لم يفرح البيت فماخوذ من قول لقيط بن زرارة لا مرء ان رخاء
العيش ساعده • وليس ان عض مكروه بخشعا • وللاحوص • وبطن مكة لا ابوح به • قرشية غلبت
على قلبي • ولو انها اذ تزمرت ركبها • يوم الكديد اطاعني صحبي • فلنا لها حييت من شجن • ولركبها
حييت من ركب • والشوق اقتله برويتها • قتل الظما بالبارد العذب • والناس ان حلوا جمعهم • فتعبا
سلاما وكنت في شعب • لحللت شعبك دون شعبهم • ولكان قربك منهم حسبي • فقوله والشوق اقتله
برويتها نظير لقول جرير • فلما التقى الحيان القيت العصا • ومات الهوى لما اصيبت مقاتله
مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم
على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فقال كيف يامرهم ان يخبروا
بما لا يعلمون او ليس ذلك قبيح من تكليف ما لا يطاق الذي تابونه والذي جوز ان يكلف العاجز
ارتفاع القدرة لا يجوز الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان احدهما ان ظاهر الآية وان
كانت امرا يقتضي التعلق بشرط وهو كونهم صادقين عالمين بانهم اذا اخبروا عن ذلك صدقوا
فكانه قال لهم خبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا
بمنزلة ان يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه وان كنت تعلم انك صادق فيما تخبره عنه
فان قيل ليس قد قال المفسرون في قوله تعالى ان كنتم صادقين ان المراد به ان كنتم تعلمون بالعلة التي من اجلها

جعلت خليفة في الارض او ان كنتم صادقين في اعتقادكم انكم تقومون بما انصب الخليفة له وتطلعون
به وتصلحون له قلنا قد قيل كل ذلك وقيل ايضا ما ذكرناه وان كان القول محتملا للامرين جاز ان يحمل
الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لا يتم الا لمن يذهب الى ان الله تعالى يصح ان يامر العبد بشرط
قد علم انه لا يحصل ولا يحسن ان يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب الى جواز ذلك صح ان
يعتمد على هذا الجواب فان قيل فاي فائدة في ان يامرهم بان يخبروا عن ذلك بشرط ان يكونوا صادقين
وهو عالم بانهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به قلنا المذهب الى الاصل الذي ذكرناه ان يقول
لا يمتنع ان يكون الغرض في ذلك هو ان يكشف باقرارهم وامتناعهم من الاخبار بالاسماء ما اراد
الله تعالى بيانه من استيثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح في الدين فان
قيل فهذا يرجع الى الجواب الذي تذكرونه من بعد قلنا هو وان رجع الى هذا المعنى فبينهما بون من حيث
كان هذا الجواب على تسليم ان الاية تضمنت الامر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني لا تسليم
ان القول امر على الحقيقة فمن ههنا افترقا والجواب الثاني ان يكون الامر وان كان ظاهره ظاهر امر فليس
امرا على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الامر ما ليس بامر في القران
والشعر وكلام العرب مملو بذلك وتلخيص هذا الجواب ان الله تعالى لما قال للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك فقال لهم اني اعلم ما لا تعلمون اي انني مطلع من مصالحكم وما هو انفع لكم في دينكم على ما لا تطلعون
عليه ثم اراد التنبيه على انه لا يمتنع ان يكون غير الملائكة مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصي
اولى بالاستخلاف في الارض وان كان في ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فعلم ادم عليه السلام اسماء
جميع الاجناس او اكثرها ثم قال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين مقررا لهم ومنبها على ما
ذكرناه ودالا على اختصاص ادم بما لم يخصوا به فلما اجابوه بالاعتراف والتسليم اليه علم الغيب الذي
لا يعلمونه فقال الله تعالى لهم الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
منبها على انه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على كل مكلف ان يسلم لامره ويعلم
انه لا يختار لعباده الا ما هو الاصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك ام جهلوه وعلى هذا الجواب
يكون قوله تعالى ان كنتم صادقين محمولا على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة
او في ظنهم انهم يقومون بما يقوم به هذا الخليفة ويكملون له فلولا ان الامر على ما ذكرناه وان
القول لا يقتضي التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم الم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون معنى لان التكليف الاول لا يتغير حاله من ان
يخبرهم ادم عليه السلام بالاسماء ولا يكون قوله اني اعلم غيب السموات والارض الى اخر الاية الا مطابقا

لما ذكرناه

لما ذكرناه معنى دون معنى التكليف فكانه قال تعالى اذا كنتم لا تعلمون هذه الاسماء فانتم عن علم الغيب
اعجز وبان تسلموا الامر لمن يعلمه ويدبر امركم بحسب ما هو اولى فان قيل كيف علمت الملائكة ان في ذرية
ادم عليه السلام من يفسد في الارض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وان كانت غير
عالمة فكيف يحسن ان تخبر عنهم بغير علم قلنا قد قيل انها لم تخبر وانما استفهمت فكانها قالت
متعرفة اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل ان الله تعالى اخبرها بانه سيكون من ذريته قوم يختلف
من بعض ويفسد في الارض فقالت على وجه التعرف لما في هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه
الحكمة فيه اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الاخير يقتضي ان يكون في اول الكلام حذف
ويكون التقدير واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة واني عالم بانه سيكون من ذريته
من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتفي عن ايراد هذا المحذوف بقوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء لان في ذلك دلالة على الاول وانما حذف اختصارا وفي جملة جميع الكلام
اختصار شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك فانه في ضمن هذا الكلام فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الامر اولى بذلك
لانا نطيع وغيرنا يعصي وقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون يتضمن ايضا انني اعلم من مصالح المكلفين
ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الامور وفي القران من الحذوف العجيبة
والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شيء من الكلام فمن ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه
السلام والناجي من صاحبيه في السجن عند رؤيا الملك للبقر السمان والعجاف انا انبئكم بتاويله
فارسلون ففعلوا فاتى يوسف فقال له يوسف ايها الصديق افتنا ولو بسط الكلام فاورد محذوفه
لقال انا انبئكم بتاويله فارسلون ففعلوا فاتى يوسف فقال له يوسف ايها الصديق افتنا ومثله
قوله تعالى في الانعام قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين اي وقيل لي لا
تكونن من المشركين وكذلك قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام ولسليمان الريح غدوها
شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم
عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الى قوله اعملوا ال داود
شكرا اي وقيل لهم اعملوا ال داود شكرا وقال جرير الم ترني سامحت خارق مجاشع ÷ بخير
وما ان تلتقي من حجرها ÷ بنجد ادم من دخيلا بغيرها ÷ غداة الصفا لم يبح الا عشورها ÷
وردتم على قيس بخور مجاشع ÷ فبؤتم على ساق بطيء جبورها ÷ اراد فبؤتم على ساق مكسورة
بطيء جبورها لانه لما كان في قوله بطيء جبورها دليل على الكسر اقتصر عليه وقال عنترة هل تبلغني
دارها شدنية ÷ لعنت بمحروم الشراب مصرم ÷ يعني ناقته ومعنى لعنت دعاء عليها بانقطاع

لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك هذا كله والناقة اذا كانت لا تنتج كان اقوى لها على السير
قال تابط شرا ويروى للشنفرى فلا تدفنوني ان دفني محرم عليكم ولكن خامري ام عامر لانه
اراد لا تدفنوني بل دعوني تاكلني التي يقال لها الخامري ام عامر وهي الضبع وقال اوس بن حجر
حتى اذا الكلاب قال لها فاليوم مطلوبا ولا طلبا اراد لم ار كاليوم فحذف وقال ابو داود الايادي
ان من شيمتي لبذل تلادي دون عرضي فان رضيت فكوني اراد فكوني معي على ما انت عليه وان
سخطت فبيني فحذف هذا كله وقال آخر اذا قيل سيروا ان ليلى لعلها جرى دون ليلى مائل القرن اغضب
اراد لعلها قريب وهذا باب يتسع واكثر من ان يحيط به والحذف غير الاختصار وقوم يظنون انهما
واحد وليسا كذلك لان الحذف يتعلق بالالفاظ وهو ان ياتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا
يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فتقتصر عليه طلبا للاختصار والاختصار
يرجع الى المعاني وهو ان تاتي بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج الى اكثر من ذلك
اللفظ فلا حذف الا وهو اختصار وليس كل اختصار حذفا فمثال الحذف قوله ولكن خامري ام عامر
ونظايره مما انشدناه لان القول غير مستغن بنفسه بل يقتضي كلاما آخر غير انه لما كان فيه دلالة على
ما حذف حسن استعماله ومثال الاختصار الذي ليس بحذف قول الشاعر اولاد جفنة حول قبر
ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل اراد انهم اعزاء مقيمون بدار مملكتهم لا ينتجعون كالاعراب
فاختصر هذا المبسوط في قوله حول قبر ابيهم ومثله قول عدي بن زيد عالم بالذي يريد نقي الصدر
عف على جباه يجود وفي معنى الاختصار قول اوس بن حجر وفتيان صدق لا تخم لحامهم اذا شبه النجم
الصوار النوافرا فقوله لا تخم لحامهم لفظ مختصر ولو بسطه لقال انهم لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه
فيخم بل يطعمونه الاضياف والطراق ومعنى قوله اذا شبه النجم الصوار النوافرا يعني في شدة البرد
وكلب الشتاء لان الثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كانها صوار متفرقة وهذا ايضا اكثر من ان
يحصى وانما فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حظه من افادة المعاني الكثيرة بالالفاظ
المختصرة فاما قوله تعالى ثم عرضهم على الملائكة بعد ذكر الاسماء التي لا تليق بها هذه الكناية فالمراد به
عرض المسميات لان الكناية لا تليق بالاسماء ولا بد من ان تكون تلك المسميات او فيها من يجوز ان يكنى
عنه بهذه الكناية لانها لا تستعمل الا في العقلاء ومن جرى مجراهم وقيل في قراءة ابي ثم عرضها وفي
قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح ان تكون عبارة عن الاسماء قال السيد
قدس الله روحه وقد يبقى في هذه الاية سؤال لم نجد احدا ممن تكلم في تفسير القران ولا في متشابهه
ومشكله تعرض له وهو من مهم ما يسال عنه وذلك ان يقال من اين علمت الملائكة لما اخبرها آدم عليه
السلم بتلك الاسماء صحة قوله ومطابقة الاسماء للمسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت

في الفرق بين الحذف والاختصار

الملائكة عالمة لاخبرت بالاسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضي انهم لما انباهم آدم بالاسماء
علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض معنى
ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون
غيره والجواب انه غير ممتنع ان تكون الملائكة في الاول غير عارفين بتلك الاسماء فلما انباهم آدم عليه السلم
بها فعل الله لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتداء بلا طريق
فعلموا بذلك تميزه واختصاصه وليس لاحد ان يقول ان ذلك يؤدي الى انهم علموا نبوته اضطرارا
وفي هذا منافاة لطريقة التكليف وذلك انه ليس في علمهم بصحة ما اخبر به ضرورة ما يقتضي العلم
بالنبوة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى ان يخبر احد
نبي بما فعل على سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة وهو وان كان عالما بصدق خبره ضرورة
لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق
يوصل اليها على ترتيب وجه آخر وهو انه لا يمتنع ان تكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل
منهم يعرف اسماء الاجناس في لغته دون لغة غيره الا ان تكون احاطة عالم واحد باسماء الاجناس
في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم عليه السلم علمه جميع تلك الاسماء
فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما اخبر به من الاسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه الى الرجوع
الى غيره وعلم مطابقة ذلك الباقي اللغات بخبر كل قبيل ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا
بشيء يجري هذا المجرى علم بخبرهم فاذا اخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة غيره ما علمه في لغته وهذا الجواب يقتضي ان يكون قوله انبؤني باسماء هؤلاء اي ليخبرني كل قبيل منكم بجميع هذه الاسماء
وهذان الجوابان جميعا مبنيان على ان آدم عليه السلم لم يتقدم لهم العلم بنبوته وان اخباره
بالاسماء كان افتتاح معجزاته لانه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا تقدم ظهور معجزات على
يده لم يحتج الى هذين الجوابين معا لانهم يعلمون اذا كانت الحال هذه مطابقة الاسماء للمسميات
بعد ان لم يعلموا ذلك بقوله الذي قد امنوا فيه غير الصدق وهذا بين لمن تامله قال السيد قدس
الله روحه رايت قوما ممن تكلم على معاني الشعر يذكرون في بيت حسان بن ثابت لم تفتها شمس النهار
بشيء غير ان الشباب ليس بدوم ان المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكانه قال لم تفتها
شمس النهار بشيء غير انها كبيرة طاعنة في السن وعذرها في ذلك ان الشباب ليس مما يدوم لاحد
وهذا الذي ذكروه ليس بشيء والاشبه الاولى ان يكون مراد حسان ان شمس النهار لم تفتها بشيء غير ان
شبابها مما لا يدوم ولا بد من ان يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم يرد انها في الحال كذلك وكيف
يريد ما توهموه مع قوله يا لقومي هل يقتل المرء مثلي واهن البطش والعظام سؤوم شانها

قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك الآية

العطر والفراش وتعلوها الجبين ولؤلؤ منظوم لو يدب الحولي من ولد الذر عليها لاندبتها الكلوم وهذه الاوصاف لا تليق بمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمثلها الا الصبايا والاحداث ومن العجائب ان الاستخراج على ركاكته مسند الى الاصمعي وما اولى من ان تكون نتيجة تغلغله وثمرة توصله ما هذه الثمرة بالاضراب عن استخراج المعاني والبحث عنها وما افتره اصحاب المعاني على وجه هو بغيره اشبه واقل الاحوال ان يكون محتملا للامرين فلا يقصر احد بما قول الخنساء يا صخر وراد ماء قد تناذره اهل الموارد ما في ورده عار لانهم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك وروده عار ويظنون انه متى لم يحمل على ذلك لم تكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم وليس الامر كما ظنوه لانه يحتمل ان يريد انه لا عار في وروده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لان البيت وان تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الامور الصعاب التي من خلالها ايراد الماء ... فكانها قالت انك تورد ماء قد تناذره الناس وتركب امرا صعبا قد نكل عنه الخلق وكان بذلك حظ في الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لانه ربما فعل الانسان فعلا يحوز به اكثر الحظ من الشجاعة وان لحقه بعض العار من قطيعة رحم او نكث عهد او ما جرى هذا المجرى فكانها نفت عن فعله وجوه العار وليس يجري ذلك مجرى قول المرقش ليس على طول الحياة ندم لان البيت متى لم يحمل على ان المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئا وقد بينا فائدة بيت الخنساء اذا كان المراد ما ذكرناه مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه اولها ان يكون المعنى واسئل اتباع من ارسلنا من قبلك من رسلنا ويجري ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير يريدون السخاء سخاء حاتم فاقاموا حاتما مقام السخاء المضاف اليه ومثله قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله ومثله قول الشاعر لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسية احرارها وعبيدها والمراد بالسؤال في ظاهر الكلام النبي صلى الله عليه وآله وهو في المعنى لامته لانه عليه السلام لا يحتاج الى السؤال لكنه خوطب بخطاب امته كما قال تعالى المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه فافرده بالمخاطبة ثم رجع الى خطاب امته فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وفي موضع آخر يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين فخاطبه عليه السلام والمعنى لامته لانه بين ذلك بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا وقال تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فوحد وجمع في موضع واحد للمعنى الذي ذكرناه وقال الكميت الى السراج المنير احمد لا تعدلني رغبة ولا رهب عنه الى غيره ولو رفع الناس الي العيون وارتقبوا وقيل افرطت بل قصدت ولو عنفني القائلون او ثلبوا لج بتفضيلك اللسان ولو اكثر فيك الضجاج واللجب انت المصطفى المحض

والمهذب في النسب ان نص قوم ملك النسب فظاهر الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمقصود به اهل بيته عليهم السلام لان احدا من المسلمين لم يمتنع من تفضيله عليه السلام والاطناب في وصف فضائله ومناقبه ولا يعنف في ذلك احد وانما اراد الكميت وان اكثر في مدح اهل بيته ونوه الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف موجه القول اليه والمراد به غيره ولذلك وجه صحيح وهو ان المراد به لانهم لما ينتسبون اليهم والانقطاع الى جهتهم لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو المقصود بذلك اجمع جاز ان يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع وقيل ان المراد باتباع الانبياء الذين امر بسؤالهم هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظائره وليس يمتنع ان يكون هو عليه وآله السلام المأمور بالمسألة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وان لم يكن شاكا في ذلك ولا مرتابا به ويكون الوجه فيه تقرير اهل الكتاب به واقامة الحجة عليهم باعترافهم او لان بعض مشركي العرب انكر ان تكون كتب الله تعالى المتقدمة وانبياؤه عليهم السلام الاولون دعت الى التوحيد فامر عليه السلام بتقرير اهل الكتب لتزول الشبهة عمن اعترضته والجواب الثاني ان يكون السؤال متوجها اليه عليه السلام دون امته والمعنى ان لقيت النبيين في السماء بذلك فاسألهم عن ذلك لان الرواية قد وردت بانه صلى الله عليه وآله لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وامهم ولا يكون امره بالسؤال لانه كان شاكا لان مثل ذلك لا يجوز عليه والشك فيه لكن لبعض المصالح الراجعة الى الدين مما لا يخفى عليه عليه السلام او يتعلق ببعض الملائكة الذين يسمعون ما يجري بينه وبين النبيين من سؤال وجواب والجواب الثالث ما اجاب به ابن قتيبة وهو ان يكون المعنى واسئل من ارسلنا اليه قبلك رسلا من رسلنا يعني اهل الكتاب وهذا الجواب وان كان يوافق في المعنى الجواب الاول فبينهما اختلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلهذا صارا مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه اخطأ في الاعراب لان لفظة اليه لا يصح اضمارها في هذا الموضع لانهم لا يجيزون الذي جلست عبد الله على معنى الذي جلست اليه عبد الله لان اليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما كان القائل اذا قال الذي اكرمت اياه عبد الله لم يجز ان يضمر اياه لانفصاله عن الفعل كانت لفظة اليه بمنزلته وكذلك لا يجوز الذي رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه لان الاضمار انما يحسن في الهاء المتصلة بالفعل كقولك الذي اكلت طعامك والذي لقيت صديقك معناهما اكلته ولقيته وقال الفراء انما حذفت الهاء لان الذي عليها وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا ليس مما تقدم في شيء فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد على ما تقدم تأويل خبر ان سأل سائل عن معنى ما رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه الجواب قلنا اما ابو عبيد القسم بن سلام فانه قال في تأويل هذا الخبر سألت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال كان هذا

في اول الاسلام قبل ان تنزل الفرائض وتؤمر المسلمون بالجهاد قال ابو عبيد كانه ذهب الى انه لو كان
يولد على الفطرة ثم مات قبل ان ينصره ابواه او يهوداه ما ورثاه وكذلك لو ماتا قبله ما ورثهما
لانه مسلم وهما كافران وما كان ايضا يجوز ان يسبى فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك
علم انه يولد على دين ابويه قال ابو عبيد واما عبد الله بن المبارك فانه قال هو بمنزلة الحديث
الاخر الذي يتضمن انه عليه السلم سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين يذهب الى
انهم يولدون على ما يصيرون اليه من اسلام او كفر فمن كان في علمه تعالى انه يصير مسلما فانه يولد على
الفطرة ومن كان في علمه انه يموت كافرا ولد على ذلك قال ابو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه
الاخر انه قال يقول الله عز وجل اني خلقت عبيدي جميعا حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم
وجعلت ما احللته لهم حراما قال ابو عبيد يريد بذلك البحائر والسيب وغير ذلك مما احله الله تعالى
فجعلوه حراما واما ابن قتيبة فقال وقد حكى ما ذكرناه عن ابي عبيد لست ادري ما حكاه ابو عبيد
عن عبد الله بن المبارك ومحمد بن الحسين مقنعا لمن اراد ان يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا
على ان ردا على ما قال به اهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على ان الحديث عنده منسوخ و
النسخ لا يكون في الاخبار وانما يكون في الامر والنهي قال ولا يجوز ان يراد به على تاويل ابن المبارك
بعض المولود دون بعض لان مخرجه مخرج العموم قال ولا ادري معنى الحديث الا ما ذهب اليه حماد
بن سلمة فانه قال فيه هذا عندنا حيث اخذ العهد عليهم في اصلاب ابائهم حين مسح الله تعالى
ظهر آدم فاخرج منه ذريته الى يوم القيامة امثال الذر واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى فاراد عليه السلم ان كل مولود يولد في العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الاقرار الاول وهو
الفطرة قال السيد قدس الله روحه هذا كله تخليط وبعد عن الجواب الصحيح والصحيح في تاويله ان قوله
يولد على الفطرة يحتمل امرين احدهما ان يكون الفطرة ههنا الدين وتكون على بمعنى اللام فكانه
قال كل مولود يولد للدين ومن اجل الدين لان الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين الا
ليعبده فينتفع بعبادته يشهد بذلك قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والدليل
على ان على يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن ابي زيد عن العرب انهم يقولون صف
علي كذا وكذا حتى اعرفه بمعنى صفه لي ويقولون ما اغبطك علي يريدون ما اغبطك لي والعرب
تقيم بعض الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه وقال الطرماح
كان مخواها على ثفناتها معرس خمس وقعت للجناجن اراد على الجناجن وقال عنترة شربت
بماء الدحرضين فاصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم معناه شربت الناقة من الماء الدحرضين
وهما ماءان يقال لاحدهما وسيع وللاخر دحرض فغلب الاشهر وهو الدحرض وانما ساغ ان يريد

اغبطك
بعض وفي الصفات

الجناجن عظام الصدور

بالفطرة

بالفطرة التي هي الخلقة وفي اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد يجري على هذا الشيء اسم ما له
هذا الضرب من التعلق والاختصاص وعلى هذا يتاول قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة
الله التي فطر الناس عليها اراد دين الله الذي خلق الخلق له وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله المراد
به ان ما خلق العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق قوما للطاعة و
اخرين للمعصية ويجوز ان يريد بذلك الامر وان كان ظاهره ظاهر الخبر فكانه تعالى قال لا تبدلوا
ما خلقكم الله من الدين والطاعة بان تعصوا او تخالفوا والوجه الاخر في تاويل قوله عليه السلم
الفطرة ان يكون المراد به الخلقة وتكون لفظة على على ظاهرها لم يرد بها غيرها ويكون المعنى كل مولود
يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والايمان به لانه جل وعز قد صور الخلق
وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والايمان به وان يتطهروا ويعرفوا فكانه عليه السلام قال
كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وان عدل بعضهم فصار يهوديا
او نصرانيا وهذا الوجه ايضا يحتمله قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها واذا ثبت ما ذكرناه
في معنى الفطرة فقوله عليه السلم حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين احدهما ان
من كان يهوديا او نصرانيا ممن خلقته لعبادتي وديني فانما جعله ابواه كذلك او من جرى مجراهما
ممن اوقع له الشبهة وقلده الضلال عن الدين وانما خص الابوين لان الاولاد في الاكثر ينشؤن
على مذاهب ابائهم ويالفون اديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد
وكفرهم وانه انما خلقهم للايمان فصدهم عنه اباؤهم او من جرى مجراهم والوجه الاخر ان
يكون معنى يهودانه وينصرانه اي يلحقانه باحكامهما لان اطفال اهل الذمة قد الحق الشرع
احكامهم باحكامهم فكانه عليه السلم قال لا تتوهموا من لحقت احكام اليهود والنصارى لهم من الاطفال
انهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا الا للايمان والدين الصحيح لكن اباءهم هم الذين ادخلوهم في
احكامهم وعبر عن ادخالهم في احكامهم بقوله يهودانه وينصرانه وهذا واضح فاما جواب ابي
عبيد الذي حكاه عن محمد بن الحسن فانا اذا تمكنا من حمل الخبر على وجه يسلم معه من النسخ لم نحتج
الى غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على الفطرة يمنع من الحاقهم بحكم ابائهم وذلك
غير ممتنع واما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففاسد لان الله تعالى لا يجوز ان يخلق
احدا للكفر وكيف يخلقه للكفر وهو يامره بالايمان ويريده منه ويعاقبه ويذمه على خلافه
فاما ما روي عنه عليه السلم وقد سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فانه
يحتمل ان يكون عليه السلم انما سئل عمن يبلغ من اطفال المشركين كيف تكون صورته والى اي شيء
تنتهي عاقبته فقال والله اعلم بما كانوا عاملين فاراد ان ذلك مستور عني ولو كانت المسئلة عمن اخترم

ما خلقكم الله تعالى له من الدين

بها

على معرفته وعبادة الله تعالى

دا فلا الهم الجران يكون الجواب لك وأما ابن قتيبة فانه رد على ابي عبيد من غير وجه يقتضي الرد واعترض
جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص وترك ان يفسده من الوجه الذي يفسد به وهو
الذي ذكرناه وكيف تنبه على فساده من هذه الجهة وقد اختار في تاويل الخبر ما يجري في الفساد
والاختلاف مجرى تاويل ابن المبارك فاما النسخ في الاخبار فجائز اذا تضمنت معنى الامر والنهي
ويكون ما دل على جواز النسخ في الاوامر دالا على جوازه في ذلك فيهما وهذا مثل ان يقول عليه السلم الصلوة
واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست بواجبة فيستدل بالثاني على نسخ الحكم الاول كما لو قال
صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهي الثاني ناسخا للاول واما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد بينا
فساده فيما تقدم من الامالي عند تاويلنا لقوله تعالى واذا اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم و
اشهدهم على انفسهم وافسدنا قول من اعتقد انه مسح ظهر ادم واستخرج منه الذرية واشهدها
على نفوسها واخذ اقرارها بمعرفته بوجوه من الكلام فلا طائل في اعادته **مجلس اخر** تاويل اية ان

قوله تعالى فاما الذين شقوا ففي النار لهم

سال سائل عن قوله تعالى فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فقال ما معنى الاستثناء ههنا و
المراد التابيد والدوام ثم ما معنى التمثيل بمدة السموات والارض التي تفنى وتنقطع الجواب
قلنا قد ذكر في هذه الاية وجوه اولها ان تكون الا وان كان ظاهرها الاستثناء فالمراد بها
الزيادة فكانه تعالى قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من الزيادة لهم على
هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك الف دينار الا الفين اللذين اقرضتكهما وقت كذا
وكذا والفان زيادة على الالف بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل وهذا الجواب يختاره
الفراء وغيره من المفسرين والمعنى الثاني ان يكون المعنى الا ما شاء ربك من كونهم قبل دخول
الجنة والنار في الدنيا وفي البرزخ الذي هو ما بين الحياة والموت واحوال المحاسبة والعرض وغير
ذلك لانه تعالى لو قال خالدين فيها ابدا ولم يستثن لتوهم متوهم انهم يكونون في الجنة والنار من
لدن نزول الاية او من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة معقوله والوجه
الثالث ان تكون الا بمعنى الواو والتاويل خالدين فيها ما دامت السموات والارض وما شاء ربك من
الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر وكل اخ مفارقه اخوه ، لعمر ابيك الا الفرقدان ، معناه
والفرقدان ، وبقول الاخر وارى لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا هامدا
دفعت عنه الرياح خوالد سحم ، والمراد بالا ههنا الواو والا كان الكلام متناقضا والوجه
الرابع ان يكون الاستثناء الاول متصلا بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقدير الكلام لهم في النار

زفير

زفير وشهيق الا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء
بالخلود فان قيل فهبوا ان هذا امكن في الاستثناء الاول كيف يمكن في الثاني قلنا نحمل الثاني على
استثناء المكث في المحاسبة والموقف او غير ذلك مما تقدم ذكره والوجه الخامس ان يكون الا
الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود وانما الغرض فيه انه لو شاء ان يخرجهم وان لا يخلدهم
لفعل وان التخليد انما يكون بمشيته وارادته كما يقول القائل لغيره والله لاضربنك الا ان ارى
غير ذلك وهو لا ينوي الا ضربه ومعنى استثنائه اني لو شئت ان لا اضربك لفعلت وتمكنت
غير اني مجمع على ضربك والوجه السادس ان يكون تعليق ذلك بالمشية على سبيل التاكيد للخلود
والتبعيد للخروج لان الله تعالى لا يشاء الا تخليدهم على ما حكم به ودل عليه ويجري ذلك مجرى
قول العرب والله لا هجرتك الا ان يشيب الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك اني لا اهجرك ابدا من حيث
علقت بشرط معلوم انه لا يحصل وكذلك معنى الايتين والمراد بهما انهم خالدون ابدا الا ان الله
تعالى لا يشاء ان يقطع خلودهم والوجه السابع ان يكون المراد بالذين شقوا من ادخل النار من اهل
الايمان الذين ضموا الى ايمانهم وطاعاتهم المعاصي فقال تعالى انهم معاقبون في النار الا ما شاء
ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعاتهم اليهم ويجوز ايضا ان يريد باهل الشقاء ههنا
جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى بقوله الا ما شاء ربك اهل الطاعات منهم ومن يستحق ثوابا
لا بد ان يوصل اليه فقال الا ما شاء ربك من اخراج بعضهم وهم اهل الثواب واما الذين سعدوا
فانما استثنى من خلودهم ايضا لما ذكرناه لان من نقل من النار الى الجنة وخلد فيها لا بد في الاخبار
عنه بتابيد خلوده من استثناء ما تقدم فكانه تعالى قال انهم خالدون في الجنة ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك من الوقت الذي ادخلهم فيه النار قبل ان ينقلهم الى الجنة والذين شقوا
على هذا الجواب هم الذين سعدوا وانما اجرى عليهم كل لفظ في الحال التي تليق بهم فهم اذا دخلوا
النار وعوقبوا فيها من اهل الشقاء واذا نقلوا الى الجنة من اهل السعادة وقد ذهب الى هذا
الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمارة عن ابي روق عن
الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم من اهل التوحيد يدخلون النار
بذنوبهم ثم يتفضل الله سبحانه عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون اشقياء في حال سعداء
في حال اخرى فاما تعليق الخلود بدوام السموات والارض فقد قيل فيه ان ذلك لم يجعل شرطا
في الدوام وانما علق به على طريق التبعيد وتاكيد الدوام لان للعرب في مثل هذا عادة معروفة
خاطبهم الله تعالى عليها لانهم يقولون لا افعل كذا ما لاح كوكب وما اضاء الفجر وما اختلف
الليل والنهار وما بل بحر صوفة وما تغنت حمامة ونحو ذلك ومرادهم التابيد والدوام ويجري كل

ما ذكرناه مجرى قولهم لا افعل كذا ابدا لانهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه انه لا يزول ولا يفنى
وعاداتهم انما يجرونها بحسب اعتقاداتهم لا بحسب ما يجري عليه الشيء في نفسه الا ترى ان بعضهم لما
اعتقد في الاصنام ان العبادة تحق لها سماها الهة بحسب اعتقاده وان لم تكن في الحقيقة كذلك ومما
يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول ابي الجويرية العبدي ذهب الجود والجنيد جميعا فعلى الجود والجنيد
السلام اصبحا ثاويين في قعر برط ما تغنى على الغصون الحمام وقال الاعشى الست منتهيا عن
تلبثنا ولست ضائرها ما اطت الابل وقال الاخر لا افتأ الدهر ابكيكم بادمعه ما اجترت النيب
او حنت الى بلد وقال زهير مخبرا عن اعتقاده دوام الجبال فانها لا تفنى ولا تتغير الا ارى على
الحوادث باقيا ولا خالدا الا الجبال الرواسيا فهذا وجه وقيل ايضا في ذلك انه اراد به الشرط
وعنى بالاية دوام السموات والارض المبدلتين لانه تعالى قال يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
فاعلمنا انهما تبدلان وقد يجوز ان يديمهما بعد التغيير ابدا بلا انقطاع وانما المنقطع هو دوام السموات
والارض قبل التبديل والفناء ويمكن ان يكون المراد انهم خالدون بمقدار مدة السموات والارض التي يعلم
الله تعالى انقطاعهما ثم يزيدهم الله على ذلك ويخلدهم ويؤبد مقامهم وهذا الوجه يليق بالاجوبة التي
تتضمن ان الاستثناء اريد به الزيادة على المقدار المتقدم لا النقصان قال السيد قدس الله روحه
وجدت الامدي قد ظلم البحتري في تفسير بيت مضاف اليه الى ظلمه له في اشياء كثيرة تاولها على خلاف مراد
البحتري حكى قوله كالبدر الا انها لا تختلى والشمس الا انها لا تغرب ثم قال وهذا فيه سؤال
لانه لما قال كالبدر الا انها لا تختلي فالمعنى ان عيون الناس كلهم ترى البدر وتجليه وهي لا تراها العيون
ولا تجتلى ثم قال والشمس الا انها لا تغرب انما قال لا تجتلى لانها محجوبة واذا كانت في حجاب فهي في
غروب لان الشمس اذا غربت فانما تدخل تحت حجاب في ظاهر المعنى كالبدر الا ان العيون لا تراها فاراد
الشمس الا ان العيون لا تفقدها قال وهذا القول متناقض كانه اراد انها وان كانت في حجاب
فانه لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت بعدت واغتربت وغربت في
توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل اغرب عنا اي ابعد عنا ولو استعار لها اسم الغروب عن الارض
التي تكون فيها اذا طلعت ظعنت عنها الى ارض اخرى كان ذلك حسنا جدا لا سيما وقد جعلها شمسا كما قال ابو
بن العباس الصولي وذا لت دوال الشمس عن مستقرها فمن مخبري في اي ارض غروبها قال ويجوز
ان يقول قائل انه اراد لا تغرب تحت الارض كما تغرب الشمس وهذه معاذير ضعيفة لابي عبادة فان لم
يكن اخطا فقد اساء قال قدس الله روحه وانما المخطي غير الامدي وتبين البحتري بقوله اوضح من ان يذهب
على متامل لانه اراد بقوله والشمس الا انها لا تغرب انها لا تصير بحيث تتعذر رؤيتها وتمتنع كما
تتعذر رؤية الشمس على من غربت عن افق بلده والمرء وان احتجبت باختيارها فان ذلك ليس بغروب

كغروب

كغروب الشمس لانها اذا شاءت ظهرت وبرزت للعيون والشمس اذا غربت فرؤيتها غير ممكنة ولهذا لا
يصح ان يقال لمن استظل بجدار او حجاب عن الشمس انها قد غربت عنه وان كان غير راء لها لان رؤيتها
ممكنة بزوال ذلك المانع فكذلك القول في احتجاب المراة فلا تناقض في بيت البحتري على ما ظنه الامدي
ولبعضهم في مثل هذا المعنى قد قلت للبدر واستعبرت حين بدا ما فيك يا بدر من وجه الحبيب خلف
تبدى لنا كلما شئنا محاسنها وانت تنقص احيانا وتنكسف معنى قوله وانت تنقص وتنكسف جار
مجرى غروب الشمس لانه فضلها على البدر من حيث كان بروزها للمبصر موقوفا على اختيارها والبدر
ينقص وينكسف ويغيب على وجه لا يمكن رؤيته كما فضلها البحتري بانها لا تغرب حتى تصير رؤيتها
مستحيلة والشمس كذلك وقد ظلم الامدي البحتري في قوله لا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم
يصده قال الامدي وهذا عندي من الهجاء الذي يشبه مدح بخليقة واقبحه ومن ذا يعنف الخليقة على
الكرم او يصده ان هذا بالهجو اولى منه بالمدح وللبحتري عذر في هذا من وجهين احدهما ان
يكون الكلام خرج مخرج التقدير فكانه قال لو عنف وعذل لما صده ذلك عن الكرم وان كان من
حق العذل والتعنيف ان يصد او يحجز عن الشيء وهذا له نظائر في القران وفي كلام العرب وقد
مضى فيما امليناه شيء من ذلك والوجه الاخر ان العذل والتعنيف وان لم يتوجها اليه في نفسه فهما
موجهان في الجملة على الاسراف في البذل والجود بنفائس الاموال ولم يقل البحتري ان عذله يردعه او
تعنيفه يصده وانما قال لا العذل يردعه ولا التعنيف يصده فكانه اخبر بانه ما يسمعه من عذل
العذال على الكرم وتعنيفهم على الجود وان كان متوجها الى غيره فهو غير صاد له لقوة عزيمته وشدة
بصيرته ومما اخطا الامدي فيه البحتري وان كان له فيه عذر صحيح لم يهتد اليه قوله ذنب كما سحب الرداء
يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل قال الامدي وهذا خطا من الوصف لان ذنب الفرس اذا
مس الارض كان عيبا فكيف اذا سحبه وانما الممدوح من الاذناب ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال
امرؤ القيس بضاف فويق الارض ليس باعزل وقد عيب امرؤ القيس بقوله لها ذنب مثل ذيل
العروس تسد به فرجها من دبر وما ارى العيب يلحق امرا القيس لان العروس وان كانت تسحب اذيالها
وكان ذنب الفرس اذا مس الارض عيبا فليس بمنكر ان تشبه به الذنب وان لم يبلغ الى ان يمس الارض
لان الشيء انما يشبه بالشيء اذا قاربه او دنا من معناه فاذا اشبهه في اكثر احواله فقد صح التشبيه ولا
به وامرؤ القيس لم يقصد ان تشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وانما اراد السبوغ و
الكثرة والكثافة الا ترى انه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا ليكاد يمس الارض
ولا يكون كثيفا فلا يسد فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا انه اراد الكثافة والسبوغ مع الطول
فاذا اشبه الذنب الذيل من هذه الجهة كان في الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب

قال الشريف

الا عزل من الخيل الذي يقع ذنبه في جانب وهو عادة له لا خلقة وهو عيب

اي بذنب تام سابغ

او له كميت اذا استدبرته سد فرجه بضاف

وانما العيب في قول البحتري ذنب كما سحب الرداء افصح بان الفرس يسحب ذنبه ومثل قول امرئ القيس قول خداش بن زهير لها ذنب مثل ذيل الهدي الى جؤجؤ ايد الزافر والهدي العروس التي تهدى الى زوجها والايد الغليظ والزافر الصدر لانها تزفر منه قال فشبه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدي وان لم يبلغ في الطول الى ان يمس الارض قال السيد قدس الله روحه وللبحتري وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس في قوله مثل ذيل العروس غير ان الآمدي لم يفطن له واول ما نقوله ان الشاعر لا يجب ان يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد فان ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه وكلام القوم مبني على التوسع والتجوز والاشارات الخفية والايماء الى المعاني تارة من بعيد واخرى من قريب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة واصحاب المنطق وانما خاطبوا من يعرف اوضاعهم ويفهم اغراضهم وانما اراد البحتري بقوله ذنب كما سحب الرداء المبالغة في وصفه بالطول والسبوغ والتقارب ان يجب كاد يمس الارض ومن شان العرب ان يجري على الشيء الوصف الذي قد كان يستحقه وقد قرب منه الشك فيقولون قد قتل فلانا هوى فلانة وذهب عقله اذا اغتمّ واخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما ارادوا المبالغة وافادة المقاربة والمشارفة ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى ومن شانهم ايضا اذا ارادوا المبالغة التامة ان يستعملوا مثل هذا فيشبهون الكفل بالكثيب من الدعص وبالتل ويشبهون الخصر بوسط الزنبور وبمقدار حلقة الخاتم ويعدون هذا غاية المدح واحسن الوصف ونحن نعلم انا لو راينا من خصره بمقدار وسط الزنبور وكفله كالكثيب العظيم لاستبدعناه واستهجنا صورته لتفاوتها وقبحها وانما اتوا بالفاظ المبالغة صنعة وتأنقا لا لتحمل على ظاهرها تحديدا وتحقيقا بل لتفهم منها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة وتترك ما وراء ذلك فكانا نفهم من قولهم ان خصرها كخصر الزنبور انه في نهاية الدقة المستحسنة في البشر ومن قولهم كفلها كالكثيب انه في نهاية الوثارة والطول المحمودة لانه كالتل على الحقيقة فهكذا لا ينكر ان يريد البحتري بقوله كما سحب الرداء انه في غاية الطول المحمود لانه يجر على الارض في الحقيقة وكلنا في الحيص معنا وتقصيله الى العادة الجارية لنظرائه من الشعراء في استعمال مثل هذا اللفظ الذي استعمله وقد قال بعضهم في ثقل العجيزة يمشي فتثقلها اردافها فكانها تمشي الى خلف وقال المؤمل من رأى مثل حبتي تشبه البدر اذ بدا تدخل اليوم ثم تدخل اردافها غدا وقال ذو الرمة ورمل كاوراك العذارى قطعته وقد جللته المظلمات الحنادس وكل هذا كلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به في نهاية القبح لان من يمشي الى خلف ومن يدخل كفله بعده لا يكون مستحسنا وقال بكر بن النطاح فرعاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو جثل اسحم فكانها فيه نهار مشرق وكانه ليل عليها مظلم فوصف شعرها بانه يسحب مع قيامها ونحن نعلم ان طول الشعر وان كان مستحسنا فليس الى هذا الحد وانما اراد بقوله تسحب شعرها

تأويل قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا الآية

ما اراده البحتري بقوله كما سحب الرداء من المبالغة في الوصف بالطول المحمود دون المذموم

مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فقال ما تأويل هذه الآية وان كان المراد بها التعجب من قوة اسماعهم ونفاذ ابصارهم فكيف يطابق ما خبر به عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب بانهم لا يبصرون ولا يسمعون وان على ابصارهم غشاوة وما معنى قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين واي يوم هو اليوم المشار اليه وما المراد بالضلال المذكور الجواب قلنا اما قوله تعالى اسمع بهم وابصر فهو على مذهب العرب في التعجب يجري مجرى قولهم ما اسمعه وما ابصره والمراد بذلك الاخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وانهم عارفون به على وجه لا اعتراض للشبهة عليه وهذا يدل على ان اهل الآخرة عارفون بالله ضرورة فلا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات التي اخبر عنهم فيها بانهم قوم لا يسمعون ولا يبصرون وبان على ابصارهم غشاوة لان تلك الآيات تناولت احوال التكليف وهي الاحوال التي كان الكفار فيها ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالى وصفاته وهذه الآية تناولت يوم القيامة وهو المعني بقوله تعالى يوم يأتوننا واحوال القيامة لا بد فيها من المعرفة الضرورية وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فاما قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فيحتمل ان يريد بقوله اليوم الدنيا واحوال التكليف ويكون الضلال المذكور انما هو الذهاب عن الدين والعدول عن الحق واراد تعالى انهم في الدنيا جاهلون وفي الآخرة عارفون بحيث لا تنفعهم المعرفة ويحتمل ان يريد باليوم يوم القيامة ويعني بالضلال العدول عن طريق الجنة ودار الثواب الى دار العقاب فكانه تعالى قال اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا غير انهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون في هذا اليوم الى العقاب ويعدل بهم عن طريق الثواب وقد روي معنى هذا التأويل عن جماعة من المفسرين وروي عن الحسن في قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا قال يقول هم يوم القيامة سمعاء بصراء لكن الظالمون اليوم في الدنيا ليسوا سمعاء ولا بصراء ولكنهم في ضلال عن الدين مبين وقال قتادة وابن زيد ذلك والله يوم القيامة سمعوا حين لم ينفعهم السمع وابصروا حين لم ينفعهم البصر وقال ابو مسلم بن بحر في تأويل هذه كلاما جيدا قال معنى اسمع بهم وابصر ما اسمعهم وما ابصرهم وهذا على طريق المبالغة في الوصف يقول فهم يوم يأتوننا اي يوم القيامة سمعاء بصراء اي عالمون وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين اي جهل واضح قال وهذه الآية تدل على ان قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ليس معناه الآفة في الاذن والعين والجوارح بل هو انهم لا يسمعون عن قلة ولا يتدبرون ما يسمعون ولا يعتبرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد ترى انه جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين مقابلا لقوله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا اي ما اسمعهم وابصرهم

فأقام السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله بإزاء الضلال المبين وأما أبو علي بن عبد الوهاب فإنه
اختار في تأويل هذه الآية غير هذا الوجه ونحن نحكي كلامه على وجهه قال وعنى بقوله أسمع بهم و
أبصر أي أسمعهم وأبصرهم وبين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في
ضلال مبين عن الجنة وعن الثواب الذي يناله المؤمنون والظالمون الذين ذكرهم الله هم هؤلاء
الذين توعدهم الله بالعذاب في ذلك اليوم ويجوز أيضا أن يكون عنى بقوله أسمع بهم وأبصر أي أسمع
الناس بهؤلاء الأنبياء وأبصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم ويقتدوا بأفعالهم
وأراد بقوله لكن الظالمون اليوم لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو يعني يوم القيمة في ضلال
عن الجنة وعن الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع التي استدركت على أبي علي ونسب
فيها إلى الزلل لأن الكلام وإن كان محتملا لما ذكره لبعض الاحتمال من بعد فإن الأولى والأظهر في معناه
ما تقدم ذكره من المبالغة في وصفهم وقوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين بعد ما تقدم
لا يليق إلا بالمعنى الذي ذكرناه لا سيما إذا حمل اليوم على أن المراد به المشار به إلى يوم القيمة على أن أبا علي
جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين من صلة قوله أسمعهم وبصرهم وتأوله على أن المعنى
أعلمهم وبصرهم بأنهم يوم القيامة في ضلال عن الجنة والكلام يشهد بأن ذلك لا يكون من صلة
الأول وأن قوله لكن استئناف الكلام ثان ومما يحتاج أبو علي إلى هذا بل لو قال على ما اختاره من التأويل
إنه أراد أسمعهم وأبصرهم يوم يأتوننا أي ذكرهم بأهواله وأعلمهم بما فيه ثم قال مستأنفا لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين لم يحتج إلى ما ذكره وكان هذا أشبه بالصواب فأما الوجه الثاني الذي ذكره
فباطل لأن قوله أسمع بهم وأبصر إذا تعلق بالأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى بقي قوله يوم يأتوننا بلا عامل
ومحال أن يكون ظرف لا عامل له فالأقرب أن يكون على الوجه الأول مفعولا ووجدت بعض من
اعترض على أبي علي يقول رادا عليه لو كان الأمر على ما ذهب إليه أبو علي لوجب أن يقول أسمعهم
وأبصرهم بغير باء وهذا الرد غير صحيح لأن الباء في مثل هذا الموضع غير منكر زيادتها وذلك موجود
كثير في القرآن والشعر قال الله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق وعينا يشرب بها عباد الله
وهزي إليك بجذع النخلة وتلقون إليهم بالمودة وقال الأعشى ضمنت برزق عيالنا أرماحنا وقال امرؤ
القيس هصرت بغصن ذي شماريخ ميال وأظن أبا علي إنما أتى بهذا الجواب وحمله على ذلك
لفظ أمر وهو قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة فحمل الأول على الثاني والكلام لا تشتبه معانيه
من حيث المجاورة بل الواجب أن يوضع كل منه حيث يقتضيه معناه قال المرتضى قدس الله روحه وجدت
جماعة من أهل الأدب يستبعدون أن يرتج على الإنسان في خطبة أو كلام قصد له فينبعث منه في تلك
الحال كلام هو أحسن مما قصد إليه وأبلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون إن العي لا يكون إلا عن

حيرة و

اسمع بهم وأبصر

في الحصر وانقطاع الكلام

عن حيرة وضلالة فكيف يجتمع معهما البراعة الثاقبة والبلاغة المأثورة مع حاجتهما إلى اجتماع الفكر
وحضور الذكر ويحيلون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستغرب عمن حصر في خطبة أو منطق أنه
موضوع مصنوع وليس الذي استبعدوه ببعيد ولا منكر لأن العي إنما قد يختص شيئا دون شيء ويتعلق
بجهة دون جهة وهذا أمر متعالم متعارف فلا ينكر أن يعيى الإنسان شيئا قصده وعزم على الكلام
فيه وقد يكون مع ذلك ذاكرا لغيره متكلما بأبلغ الكلام وأحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب عن
المقصد يحميان القريحة ويوقدان الفكرة فيبعثان على أحسن الكلام وأبرعه ليكون ذلك جبرا من
العي واستغناء من اللكنة ومن أحسن ما روي وأبرعه من الكلام في حال الحصر والانقطاع عن المقصود
ما أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال المرزباني وأخبرني ابن دريد
مرة أخرى قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال صعد خالد بن عبد الله
القسري يوما المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال أيها الناس إن الكلام وقال أبو حاتم إن هذا القول يجيء
أحيانا ويذهب أحيانا فيتسبب عند مجيئه سببه ويتعزز عند عزوبه طلبه وربما كوبر فأبى وعولج
فأبطأ وقال ابن الكلبي ربما طلب فأبى وعولج فقسا فالتأني لمجيئه أصوب من التعاطي لأبيه ثم نزل فما
روي حصر أبلغ منه وقال أبو حاتم والترك لأبيه أفضل من التعاطي لمجيئه وتجاوزه عند تعززه
أولى من طلبه عند تنكره وقد يختلج من الجريء جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل وأخبرنا بهذا
الخبر أبو عبيد الله على وجه آخر قال أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي قال كان خالد بن عبد الله حين
ولاه هشام بن عبد الملك يكثر الخطب فلما بلغ فتقدم واستطا فصعد المنبر فحاول الخطبة فارتج عليه
فقال أيها الناس إن هذا الكلام يجيء أحيانا ويعزب أحيانا فيعز عند عزوبه طلبه ويتسبب
عند مجيئه سببه وربما كوبر فأبى وعوسر فقسا والتأني لمجيئه أسهل من التعاطي لأبيه وتركه
عند تعذره أحمد من طلبه عند تنكره فقد يرتج على البسيط لسانه فلا ينظر القول إذا اتسع
ولا ينشؤ إذا امتنع ومن لم تمكن له الخطوة فيخلق أن تعزله النبوة وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا أبو
عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا أبو العباس المنصوري قال صعد أبو العباس السفاح المنبر
فارتج عليه فقال أيها الناس إن اللسان بضعة من الإنسان يكل إذا كل وينفسح بانفساحه إذا
انفسح ونحن أمراء الكلام منا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه ألا وإنا لا نتكلم هذرا ولا
نسكت إلا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك أبا جعفر فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر به لكان من أخطب
الناس وهذا الكلام يروى لداود بن علي بهذا الإسناد عن محمد بن الصباح عن قثم بن جعفر بن سليمان
عن أبيه قال أراد أبو العباس السفاح أن يتكلم في أمر من الأمور بعدما أفضت الخلافة إليه وكان فيه
حياء مفرط فارتج عليه فقال داود بن علي بعد أن حمد الله وأثنى عليه إن أمير المؤمنين الذي قلده الله سياسة

أيها الناس

معنى
وحصول
استبعده
القريحة الخاطر وأصل القريحة الماء الذي
لغذده

رعيته عُقِل من لسانه عند ما تعهّد من بيانه ولكل مرتقى بهر حتى تنفسه العادات فابشروا وابتغوا
من الله في صلاح دينكم ورغد معيشتكم واخبرنا ابو عبيد الله قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة
قال حدثنا عبد الله بن اسحق بن سلام قال صعد عبد الله بن عفان المنبر فارتج عليه فقال ايها
الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي نطقا وانكم الى امام فعّال احوج منكم الى امام قوّال وروى
محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بعينه عن يزيد بن ابي سفيان وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن
العاص لما بلغه كلامه قال هن مخرجاتي من الشام استحسانا لكلامه وروى محمد بن يزيد النحوي قال بلغني
ان رجلا صعد المنبر ايام يزيد كان واليا على قوم فقال لهم ايها الناس اني ان لا اكن فارسا طبا
بهذا القران فان معي من اشعار العرب ما ارجو ان يكون خلفا منه وما اساء اخو البراجم حيث يقول
وما عاجلات الطير يدنين للفتى ٭ رشادا ولا من ريثهن يخيّب ٭ ورب امور لا يضيرك ضيرها ٭ وللقلب
من مخشاتهن وجيب ٭ ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ٭ على حادثات الدهر حين تنوب ٭ وفي الشك
تفريط وفي الحزم قوة ٭ ويخطي الفتى في حدسه ويصيب ٭ فقال له رجل من كلب ان هذا المنبر لم ينصب
للشعر بل ليحمد الله عليه ويصلى على النبي صلى الله عليه وآله وللقران فقال اما لو انشدتكم
شعر رجل من كلب لسرّكم فكتب الى يزيد بذلك فعزله وقال كنت ادري انك جاهل ولم احسب ان الحمق
بلغ بك هذا كله فقال الاحمق مني من ولّاني وكان يزيد بن المهلب ولّى ثابت قطنة بعض قرى خراسان
فصعد المنبر فحصر فنزل وهو يقول فان لا اكن فيكم خطيبا فانني ٭ بسيفي اذا جدّ الوغا لخطيب ٭
فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت اخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال ٭ ابا العلاء
لقد لاقيت معضلة ٭ يوم العروبة من كرب وتخنيق ٭ اما القران فما تهدى لمحكمه ٭ ولم تسدّد من الدنيا
بتوفيق ٭ لما رمتك عيون الناس هبتهم ٭ وكدت تشرق لما قمت بالريق ٭ تلوي اللسان اذا رمت الكلام
به ٭ كما زلق من حالبي نيق ٭ وروى ان بعض خلفاء بني العباس واظنه الرشيد صعد المنبر ليخطب
فسقطت ذبابة على وجهه فطردها فعادت فحصر وارتج عليه فقال اعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين من دون الله لن يخلقوا ذبابا و
لو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ثم نزل
فاستحسن ذلك منه ومما يشاكل هذه الحكاية ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاضٍ
يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكما قط ولا ركينا ولا وقورا ضبط من نفسه وملك من
حركته مثل الذي ضبط وملك كان يصلي الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه
فيحتبي فلا يتكئ ولا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحوّل رجلا عن رجل
ولا يعتمد على احد شقيه حتى كأنه بناء مبني او صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة

الظهر

قوله تعالى وإذ نجيناكم من آل فرعون الآية

الظهر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة العصر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك
حتى يقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه بل كثيرا ما يكون كذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط
والوثائق ثم يصلي العشاء وينصرف لم يقم في طول تلك الولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا
شرب ماء ولا غيره من الشراب وكذلك كان شأنه في طول الايام وفي قصارها وفي صيفها و
شتائها وكان مع ذلك لا يحرك يدا ولا يشير براسه ليس الا ان يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير
المعاني الكثيرة فبينا هو كذلك ذات يوم واصحابه حوله وفي السماطين بين يديه اذ سقط على
انفه ذباب فاطال السكوت والمكث ثم تحول الى موق عينه فرام الصبر في سقوطه على الموق وعلى عضته
ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه على انفه من غير ان يحرك ارنبته او يغضّن وجهه
او يذب باصبعه فلما طال عليه ذلك من الذباب واوجعه واحرقه وقصد الى مكان لا يحتمل
التغافل عنه اطبق جفنه الاعلى على جفنه الاسفل فلم ينهض فدعاه ذلك الى ان والى بين الاطباق
والفتح فتنحى ريثما سكن جفنه ثم عاد الى موقه اشد من مرته الاولى فغمس خرطومه في مكان قد كان
اوهاه قبل ذلك فكان احتماله له اضعف وعجزه عن الصبر في الثانية اقوى فحرك اجفانه وزاد في
شدة الحركة وفي تتابع الفتح والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد الى موضعه فما زال
يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فالجأه الى ان يذب عن عينيه بيده ففعل ذلك وعيون
القوم اليه يرمقونه كأنهم لا يرونه فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه
فالجأه الى ان ذب عن وجهه بطرف كمه ثم الجأه الى ان تابع بين ذلك وعلم ان ذلك كله بعين من حضر
من امنائه وجلسائه فلما نظروا اليه قال اشهد ان الذباب الح من الخنفساء وازهى من الغراب واستغفر
الله فما اكثر من اعجبته نفسه فاراد الله ان يعرّفه من ضعفه ما كان عنه مستورا وقد علمت اني عند
الناس من ازمت الناس وقد غلبني وفضحني اضعف خلق الله ثم تلا قول الله تعالى ضعف الطالب والمطلوب

مجلس آخر تاويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فقال ما تنكرون ان تكون في هذه
الآية دلالة على اضافة الاعمال التي تظهر في العباد اليه تعالى من وجهين احدهما انه قال بعد ذكر
ما تقدم من افعالهم ومعاصيهم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فاضافها الى نفسه والثاني انه
اضاف نجاتهم من آل فرعون اليه فقال واذ نجيناكم ومعلوم انهم هم الذين ساروا واختفوا فيجب ان
يكون ذلك السير فعله على الحقيقة حتى تصح الاضافة **الجواب** قلنا اما قوله تعالى وفي ذلكم فهو اشارة
الى ما تقدم ذكره من انجائه لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم انه معطوف على ما تقدم من قوله
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين والبلاء ههنا الاحسان

والنعمة

والنعمة ولا شك في ان تخليصه لهم من ضروب المكروه التي عددها نعمة عليهم واصل البلاء عند العرب قد يكون حسنا وقد يكون سيئا قال الله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ويقول الناس في الرجل اذا احسن القتال والثبات في الحرب قد ابلى فلان ولفلان بلاء والبلوى ايضا قد تستعمل في الخير والشر الا ان اكثر ما يستعملون البلاء الممدود في الجميل والخير والبلوى المقصور في السوء والشر وقال قوم اصل البلاء في اللغة الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر لانا قد نختبر ونمتحن بالخير والشر كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات يعني اختبرناهم وكما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير ان الاكثر في الشر ان يقال بلوته ابلوه بلاء وفي الخير ابليته ابليه ابلاء وبلاء وقال زهير في البلاء الذي هو الخير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم فابلاهما خير البلاء الذي يبلو فجمع بين اللغتين لانه اراد فانعم الله عليهما خير النعمة التي يختبر بها عباده وكيف يجوز ان يضيف ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الابناء وغيره الى نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو تعالى قد عد تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا ان يكون انما انجاهم من فعله بفعله وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل على انه يمكن ان يرد قوله ذلكم الى ما حكاه عن آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى في تخليته بين هؤلاء وبينكم وتركه منعهم عن ايقاع هذه الافعال بكم بلاء من ربكم عظيم اي محنة واختبار لكم والوجه الاول اقوى واولى وعليه جماعة المفسرين وروى ابو بكر الهذلي عن الحسن في قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة عظيمة اذ انجاكم من ذلك وقد روي مثل ذلك عن ابن عباس والسدي ومجاهد وغيرهم فاما اضافة النجاة اليه وان كانت واقعة بسيرهم وفعلهم فلا دل على ما ظنوه لوجب اذا قلنا ان الرسول انقذنا من الشرك واخرجنا من الضلالة الى الهدى ونجانا من الكفر ان يكون فاعلا لافعالنا وكذلك قد يقول احدنا لغيره انا نجيتك من كذا وكذا وانقذتك وخلصتك ولا يريد انه فعل فعله بنفسه والمعنى في ذلك ظاهر لانها وقعت بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونته والطافه فقد صح اضافتها اليه تعالى لهذا وصحت اضافة النجاة اليه تعالى ويمكن ان يكون مضيفا لها ايضا من حيث ثبط عنهم الاعداء وشغلهم عن طلبهم وكل هذا يرجع الى المعونة فتارة يكون بامر يرجع اليهم وتارة بامر يرجع الى اعدائهم فان قيل كيف يصح ان يقول واذ نجيناكم فخاطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا نجا من شره قلنا ذلك معروف مشهور في كلام العرب وله نظائر كثيرة لان العرب قد تقول مفتخرا على غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وانما يريدان قومي فعلوا ذلك بقومكم قال الاخطل يهجو جرير بن عطية ولقد سما لكم الهذيل فنالكم باراب حيث تقسم الانفال في فيلق يدعو الاراقم لم تكن فرسانه عزلا ولا اكفالا ولم يلحق جرير الهذيل ولا ادرك ذلك

الهذيل بن هبيرة التغلبي وكان غزا بني يربوع يوم اراب واراب اسم ماء

اليوم الذي ذكره غير انهم لما كان يوم من ايام قوم الاخطل على قوم جرير اضاف الخطاب اليه والى قومه وكذلك خطاب الله تعالى بالآية انما توجه الى ابناء من نجي من آل فرعون واخلافهم والمعنى واذ نجينا آباءكم واسلافكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف قال السيد قدس الله روحه ومن حسن الشعر في تعود الضيافة والانس بها والاستمرار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي اذا ما بخيل الناس هرت كلابه وشق على الضيف الغريب عقورها فاني جبان الكلب بيتي موطأ جواد اذا ما النفس شح ضميرها وان كلابي قد اقرت وعودت قليل على من يعتريها هريرها اراد بقوله قليل على من يعتريها هريرها انها لا تهر جملة ولذلك نظائر كثيرة ومثله قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون ومثله قوله فاني جبان الكلب معنى ولفظا قول الشاعر وما يك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصيل وانما اراد انه يؤثر الضيوف بالالبان فتضر بالفصيل ومثل اللفظ والمعنى قول الوجرة السعدي وآل الزبير بنو حرة مروا بالسيوف الصدود الحنافا يموتون والقتل من دابهم ويغشون يوم السيوف السيافا واجبن من صافر كلبهم وان قذفته حصاة اضافا يقول اذا دكوا جبئوا فيهم تأذانهم فكانهم شغفوا وغرقلوبهم واذا لوا ما كان فيها من الاخفاء ومعنى مروا اي استخرجوا كما تمري الناقة اذا اردت ان تحلبها لتدر والجانف المائل ثم قال وان مات بعضهم على فراشه فان اكثرهم يموت مقتولا لشجاعتهم واقدامهم فلذلك قال والقتل من دابهم وجعل كلبهم جبانا لكثرة من يغشاهم ويطرقهم من النزال والاضياف فقد الفتهم كلابهم وانست بهم فهي لا تنبحهم وقيل ايضا انها لا تهر عليهم لانها تصيب مما ينحرهم وتشاركهم فيه ومعنى وان تقذفته حصاة اضافا اي اشفق وهذا تاكيد لجبنه يقال اضاف الرجل من الامر اذا اشفق منه معنى اجبن من صافر قد تقدم ذكره في الامالي ومثله في المعنى لحسان بن ثابت يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسالون عن السواد المقبل وقال المكرار بن منقذ العدوي اعرف الحق ولا انكره وكلابي انس غير عقر لا ترى كلبي الا آنسا ان اتى خابط ليل لم يهر كثر الناس فما ينكرهم من اسيف يبتغي الخير وحر الاسيف العبد ههنا وقال آخر الى ماجد لا ينبح الكلب ضيفه ولا يتاذى باحتمال المغارم معنى يتاذاه يثقله واذا دان يقول يتاوده فيثقله وقال ابن هرمة واذا ما اتانا طارق متنور نبحت فدلته على كلابي وفرحن اذ ابصرنه فلقينه يضربنه بشرائشر الاذناب وانما تفرح لا قد تعودت اذ انزلت الضيوف ان ينحر لهم فتصيب من قراهم ومثله له ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصم عوى في سواد الليل بعدما اعتسافا لينبح كلب او ليفزع نوم فجاوبه مستمع الصوت للقرى له مع اتيان المهبين مطعم يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو اعجم اراد بقوله فجاوبه مستمع الصوت انه جاوبه كلب في المهبي الموقظون له ومثله

وهم الاضياف وانما كان لهم معهم مطمع لانه ينحر لهم ما يصيب منه واذا دعوله بكلبه من حيث وهو
اعجم بصبصته وتحريكه ذنبه فاما قوله ليفزع نوّم فانما اراد ليغيث نوّم يقال فزعت لفلان
اذا اغثته ومعنى عوى في سواد الليل ان العرب تزعم ان سارى الليل اذا اظلم عليه وادلهم قال سيار
تحيّر ولم يدر اين المحلة وضع وجهه على الارض وعوى عواء الكلب ليسمع ذلك الكلاب ان كان
الحي قريبا منه فتجيبه فيقصد الابيات فهذا معنى قوله ايضا مستنبح اي ينبح نباح الكلاب
قال الفرزدق في مثله وداع بلحن الكلب يدعو ودونه من الليل سجفا ظلمة وغيومها دعا وهو
يرجو ان ينبه اذ دعا فتى كابن ليلى حين غارت نجومها ابن ليلى يعني اباه غالبا يبعث له
دهماء ليست باللقحة تدرأ اذا ما هب نحسا عقيمها معنى يبعث له اي رفعتها على اثافيها ويعني
بالدهماء قدرا واللقحة الناقة واراد ان قدره تدرّ اذا هبت الريح عقيما لا امطر فيها كان المحال
الغر في حجراتها عذارى بدت لما اصيب حميمها اراد ان قطع اللحم لا ينشر منها بشيء كالانشر
العذارى اللواتي اصيب حميمهن فيظهرن حواسر عضو ما كثير ورم النغانغ احمشت ما اجواد
خشب زال عنها هشيمها الاجواد الاوساط واوساط الخشب صلبه وابقى ثانيا مخضرة لا
يجعل الستر ومنها اذا المرضع العوجاء جال بريمها البريم الحقاب وانما يجول من الهزال والجهد و
الطوي والعوجاء التي قد اعوجت من الطوي وقال الاخطل في الضيف دعاني بصوت واحد
فاجابه منادٍ بلا صوت واخر صيت وذكر ضيفا عوى بالليل والصك من الجبل يجيبه قد
معنى قوله بصوت واحد وقوله فاجابه منادٍ بلا صوت يعني نارا رفعها له فرأى سناها فقصدها
والاخر الصيت الكلب لانه اجاب عواه ومثله وسار ظلام مقفعل وهبوة دعوت بصوت ساطع
فاهتدى لنا يعني نارا رفعها ليقصد طراق الليل والمقفعل المتقبض من شدة البرد وانشد
محمد بن يزيد ومستنبح هوى مساقط راسه الى كل شخص فهو للصوت اصور حبيب الى كلب الكريم
مناخه بغيض الى الكوماء والكلب ابصر دعته بغير اسم هلم الى القرى فاسرى يبوع الارض
والشفر ابتر معنى اصور مائل اراد انه يميل راسه الى كل شخص يتخيل له يظنه انسانا ومعنى حبيب
الى الكلب المعنى الذي تقدم ومعنى بغيض الى الناقة انها تنحر له وقوله دعته شقراء بغير اسم
يعني نارا ادى ضوؤها فقصدها فكانها دعته وقال ابن هرمة وقد نزل به ضيف فقلت لقينتي
ارفعاها وحرّقاها لعل سنا نار يا خر يعتف وفي معنى قوله بغيض الى الكوماء قول بعض
الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وانبيك خيرا ان ابل محمد عزل تناوح ان تهب
شمال واذا رأين لدى الفناء غريبة ذرفت لهن من الدموع سجال وترى لها دم الشتاء
على الثرى رخما وما تجني لهن فصال اراد وانبيك الخبر فلما طرح الالف واللام نصب والعزل

الذي

قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا

الذي لا سلاح معها وسلاح الابل سمنها واولادها وانما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان
صاحبها اذا رأى سمنها وحسن اجسامها واولادها تتبعها نفس بها على الاضياف فامتنع من نحرها فلما
كان ذلك صادّا عن الذبح ومانعا منه جرى مجرى السلاح لها فكانه يقول هذه الابل وان كانت
ذوات سلاح من حيث كانت سخمة سمينة فهي كالعزل اذ كان سلاحها لا يغني عنها شيئا ولا يمنع
من عقرها ومعنى تناوح يقابل بعضها بعضا اي هن مدفئات باسمنتها واوبارها لا تبالي هبوب
الشمال ولا يدخل بعضها في بعض من البرد وقوله واذا رأين لدى الفناء غريبة اي اذا نزل الضيف
فعقل ناقته التي جاء عليها وهي الغريبة علمن انه سينحر بعضهن لا محالة فلذلك تذرف دموعهن
وقوله وترى لها دم الشتاء رخما فقد قيل انها اراد بان تهب فصالهن فتبقى البانهن على الارض
كهيئة الرخم وحكي عن ابي العباس ثعلب انه قال الرخم قطع العلق من الدم وعندي ان المعنى غير هذا
جميعا وانه انما اراد انها تنحر وتعقر فتسقط الرخم على موضع عقرها وبقايا دمها واسلائها فهذا المعنى
قوله لا ما تقدم وقال الاخر في معنى سلاح الابل يمدح بني عوذ بن غالب بن عبس جزى الله عنى غالبا
خير ما جزى اذا حدثان الدهر نابت نوائبه اذا اخذت بزل المخاض سلاحها تجرد فيها متلف
المال كاسبه اراد ان شحمها وحسنها وتمامها لا يمنع من عقرها للاضياف ومثله اذا البقل
في اصلاب شول ابن مسهر نمى لم يرده البقل الا تكرّما اذا اخذت شول البخيل رماحها دحا بالرماح
الشول حتى تحطما وقوله اخذت رماحها من المعنى المتقدم وقال مسكين الدارمي فقمت ولم تأخذ
الى رماحها تعتاني ولم ارجب غرائبها عقرا لم ارجب اي لم اكبر ذلك ولم يعظم علي وسمي رجب رجبا
من ذلك لانه شهر يعظم وقالت ليلى الاخيلية ولا تأخذ الكوم الجلاد سلاحها لتوبة في قر
الشتاء الصنابر ومثله لا اخون الصديق ما حفظ العهد ولا تأخذ السلاح لقاحي وقال
المزني هو لبيد ازمان لم تأخذ الي سلاحها ابلي بجلتها ولا ابكارها ابترها البانها ولحومها
فاهين ذاك لضيفها ولجارها وقال مصعب بن ربعي الاسدي وما نلعن الاضياف ان نزلوا بنا
ولا يمنع الكوماء منا نصيرها ولا نلعنهم اي لا نبعدهم واللعين البعيد ونصيرها هاهنا لا
يمنع من عقرها من حسن تمام وولد وما جرى مجرى ذلك والنصير والسلاح في المعنى واحد

مجلس اخر

تأويل اية ان سأل سائل عن قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فقال
ما تنكرون ان يكون ظاهر هذه يقتضي ان يكون جميع ما نفعله نشاؤه ونريده لانه لم يخص شيئا
من شيء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم ان تقولوا انه خطاب للرسول صلى الله عليه وآله خاصة
وهو لا يفعل الا ما يشاؤه الله تعالى لانه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل الصغاير عند اكثركم
فلا بد من ان يكون في افعاله ما لا يشاؤه عندكم ولانه ايضا تأديب لنا كما انه تعليم له عليه السلام

ولذلك يحسن منا ان نقول ذلك فيما نفعله **الجواب** قلنا تأويل هذه الاية مبني على وجهين احدهما
ان يجعل حرف الشرط الذي هو ان متعلقا بما يليه وبما هو متعلق به في الظاهر من غير تقدير محذوف
ويكون التقدير ولا تقولن انك تفعل الا ما يريد الله وهذا الجواب ذكره الفراء وما رايته لا
له ومن العجب تغلغله الى مثل هذا مع انه لم يكن متظاهرا بالقول بالعدل وعلى هذا الوجه لا
شبهة في الاية ولا سؤال للقوم علينا وفي هذا الوجه ترجيح ليس لغيره من حيث تبعنا فيه الظاهر
ولم نقدر محذوفا وكل جواب طابق الظاهر ولم يبن على محذوف كان اولى والجواب الاخر ان يجعل
ان متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان تقول ان شاء
الله لان من عادتهم اضمار القول في مثل هذا الموضع واختصار الكلام اذا طال وكان في الموجود
منه دلالة على المفقود وعلى هذا الوجه يحتاج الى الجواب عما سألنا عنه فنقول هذا تأديب من الله تعالى
لعباده وتعليم لهم ان يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج من حد القطع ولا شبهة في
ان ذلك مختص بالطاعات وان الافعال القبيحة خارجة منه لان احدا من المسلمين لا يستجيز ان يقول
اني ازني غدا ان شاء الله وكلهم يمنع من ذلك اشد المنع فعلم سقوط شبهة من ظن ان الاية عامة في
جميع الافعال واما ابو علي محمد بن عبد الوهاب فانه ذكر في تأويل هذه الاية ما نحن ذاكروه بعينه قال
انما عنى بذلك ان من كان لا يعلم انه يبقى الى غد حيا فلا يجوز ان يقول اني سافعل غدا كذا وكذا
فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدري لعله سيموت فلا يفعل ما اخبر به لان هذا الخبر اذا لم يوجد مخبره على
ما اخبر به فهو كذب اذا كان المخبر لا يأمن ان لا يوجد مخبره لحدوث امر من فعل الله تعالى نحو الموت
او العجز او بعض الامراض او لا يحدث ذلك بان يبدو له هو في ذلك فلا يأمن ان يكون خبره كذبا في معلوم
الله عز وجل فاذا لم يأمن ذلك لم يجز ان يخبر به ولا يسلم خبره هذا من الكذب الا بالاستثناء الذي
ذكره الله تعالى فاذا قال اني صائر غدا الى المسجد ان شاء الله فاستثنى في مصيره مشية الله تعالى
امن ان يكون خبره في هذا كذبا لان الله ان شاء ان يلجئه الى المصير الى المسجد غدا الجاه الى ذلك وكان
المصير منه لا محالة فاذا كان ذلك على ما وصفنا لم يكن هذا خبره هذا كذبا وان لم يوجد منه المصير
الى المسجد لانه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشية الله تعالى وقال ينبغي ان لا يستثني مشية
الله دون مشية لانه ان استثنى في ذلك مشية الله تعالى المصير الى المسجد على وجه التعبد فهو ايضا
لا يأمن ان يكون خبره كذبا لان الانسان قد يترك كثيرا مما يشاؤه الله تعالى منه ويتعبده ولو كان
استثنى مشية الله لان يبقيه ولان يقدره ويرفع عنه الموانع كان ايضا لا يأمن ان يكون
خبره كذبا لانه قد يجوز ان لا يصير الى المسجد مع تبقية الله له قادرا مخلى فلا يأمن الكذب في هذا الخبر
دون ان يستثني المشية العامة التي ذكرناها فاذا دخلت هذه المشية في الاستثناء فقد امن ان

يكون

عنه

الخبر به المخبر

ان يكون خبره كذبا لانها اذا كانت هذه المشية منه حصل وجب ان يحصل المجي لا محالة قال وبمثل
هذا الاستثناء يزول الحنث عمن حلف فقال والله لاصيرن غدا الى المسجد ان شاء الله لانه اذا استثنى
على سبيل ما بيناه لم يحنث في يمينه ولو خص استثناءه بمشية الله تعالى بعينها ثم كانت ولم يدخل
معها المسجد لحنث في يمينه وقال غير ابي علي ان المشية المستثناة ههنا هي مشية المنع والحيلولة
فكانه قال ان شاء الله يخليني ولم يمنعني وفي الناس من قال المقصد بذلك ان يوقف الكلام عن
جهة القطع وان لا يلزم به ما كان يلزم لولا الاستثناء ولا ينوي في ذلك الجاء ولا غيره وهذا
الوجه يحكى عن الحسن البصري واعلم ان الاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل
على الايمان في الطلاق والعتاق وساير العقود وما يجري مجراها من الاخبار فان دخل في ذلك اقتضى
التوقف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به وازالته عن الوجه الذي وضع له ولذلك
يصير ما تكلم به كانه لا حكم له وكذلك يصح على هذا الوجه ان يستثنى في الماضي فيقول قد
دخلت الدار ان شاء الله ليخرج بهذا الاستثناء من ان يكون كلامه خبرا قاطعا او يلزم به حكم وانما
لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لان فيه اظهار الانقطاع الى الله والمعاصي لا يصح ذلك فيها
وهذا الوجه احد ما يحتمله تأويل الاية وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف و
التسهيل وهذا الوجه يختص الطاعات ولهذا يجري قول القائل لاقضين غدا ما علي من الدين و
لاصلين غدا ان شاء الله مجرى ان يقول اني افعل ذلك ان لطف الله تعالى لي فيه وسهله فعلم ان
المقصد واحد ومتى قصد الحالف فيه هذا الوجه لم يجب اذا لم يقع منه الفعل ان يكون حانثا او
كاذبا لانه ان لم يقع علمنا انه لم يلطف له لانه لا لطف له وليس لاحد ان يعترض هذا بان يقول
الطاعات لا بد فيها من لطف وذلك لان فيها ما لا لطف فيه جملة فانتفاع ما هذه سبيله يكشف
عن انه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح ان يقال في الاية لانه يختص الطاعات والاية تتناول كل
ما لم يكن قبيحا بدلالة الاجماع على حسن استثناء ما تضمنته في فعل كل ما لم يكن قبيحا وقد يدخل
الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الاحوال
وهذا هو المراد به اذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الاية الا انه يعترضه ما ذكره ابو علي فيما
حكيناه من كلامه وقد يذكر استثناء المشية ايضا في الكلام وان لم يرد به شيء مما تقدم بل يكون
الغرض اظهار الانقطاع الى الله تعالى من غير ان يقصد به شيء من الوجوه المتقدمة ويكون هذا الاستثناء
غير معتد به في كونه كاذبا او صادقا لانه في الحكم كانه قال لافعلن كذا اذا وصلت الى مرادي مع
انقطاعي الى الله عز وجل واظهار الحاجة اليه وهذا الوجه ايضا مما يمكن في تأويل الاية ومتى تؤمل جملة
ما ذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل عنها المخالفون فيقولون لو كان الله

المشية

أجود

بان لم يقع

اجماع

اجماع المسلمين

تعالى انما يريد العبادات من الافعال دون المعاصي والوجه انه قال من لغيره عليه دين طالبه به والله
لاعطينك حقك غدا ان شاء الله ان يكون كاذبا او حانثا اذا لم يفعل لان الله تعالى قد شاء منه
ذلك عندكم وان كان لم يقع وكان يجب ان تلزمه الكفارة وان لا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه
ولا يخرجه من كونه حانثا كما انه لو قال والله لاعطينك حقك غدا ان قدم زيد فقدم ولم يعطه
يكون حانثا وفي الزام هذا الحنث خروج عن اجماع المسلمين فصار ما اوردناه جامعا للبيان تاويل
الاية والجواب عن هذه المسئلة ونظايرها من المسايل والحمد لله قال السيد المرتضى قدس الله روحه
تاملت ما اشتملت عليه تشبيهات الشعراء فوجدت اكثر ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد و
الشيئين بالشيئين وقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلاثة بثلاثة واربعة باربعة وهو قليل ولم اجد
من تجاوز هذا القدر الا قطعة تروى لابن المعتز فانها تضمنت تشبيه ستة اشياء بستة اشياء
فاما تشبيه الواحد بالواحد فمثل قول عنترة في وصف الذباب هزجا يحك ذراعه بذراعه فعل
المكب على الزناد الاجذم ومثله قول ابن الرقاع تزجي اغن كان ابرة روقه قلم اصاب من الدواة
مدادها ومثل قول امرء القيس كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب وقوله
اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل وقول ذي الرمة وردت اعتسافا
والثريا كانها على قمة الراس ابن ماء محلق وهذا الباب اكثر من ان يحصى واما تشبيه شيئين بشيئين
فمثل قول امرء القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي وقوله
وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كانبوب السقي المذلل وكقول بشار كان مثار النقع فوق
رؤسهم واسيافنا ليل تهاوى كواكبه وقول الاخر كان سمو النقع والبيض حولنا سماوة
ليل اسفرت عن كواكب وقول ابي نواس كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض
من الذهب وللاخر ان الشمول هي التي جمعت لاهل الوشم اشملا شبهتها وحبابها شفقا يجلل
طلا وللاخر ابصرته والكاس بين فم منه وبين انامل خمس فكانها وكان شاربها قمر يقبل
عارض الشمس وللاخر حتى اذا جليت في الكاس خلت بها عقيقة حليت في قشر بلور تعلى اذا مزجت
في كاسها حببا كانه عرق في خد مجدور وقال البحتري شقايق يحملن الندى فكانه دموع التصابي في
خدود الخرايد وقال الاخر فكان الربيع يجلو عروسا وكان من قطره في نثار ولابي العباس الناشي
كان الدموع على خدها بقية طل على جلنار وقال ابن الرومي فاحسن لو كنت يوم الفراق حاضرنا
وهن يطفين غلة الوجد لم تر الا الدموع سافحة تنضح من مقلة على خد كان تلك الدموع قطر
ندى تقطر من نرجس على ورد وقال جران العود النميري بايت كان العين افنان سدرة
عليها سقيط من ندى الطل ينطف ولابن المعتز سقتني في ليل شبيه بشعرها شبيهة خدها

بغير

بغير رقيب فامسيت في ليلين بالشعر والدجى وشمسين من خمر ووجه حبيب وقال المتنبي
نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فارت ليالي اربعا فارتني القمرين في وقت معا فاما تشبيه
ثلاثة بثلاثة فمثل قول ماني الموسوس نشرت غدائر شعرها لتظلني خوف العيون من الوشاة الرمق
فكانه وكانها وكانني صبحان باتا تحت ليل مطبق ولبعضهم روض ورد دخلاله نرجس غض
بجفان اقحوان نضير ذا يباهي لنا خدودا وذا يحكي عيونا وذا يضاهي ثغورا وللاخر في النرجس
مداهن تبر بين اوراق فضة لها عمد مخروطة من زبرجد وللبحتري يصف ضمر المطايا ونحولها
كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار ولبعض الطالبيين وانا ابن معتلج البطاح اذا غدا
غيري وراح على متون ظواهر يفتر عني ركنها وحطيمها كالجفن يفتح عن سواد الناظر كجبالها
شرفي ومثل سهولها خلقي ومثل ظبابها من مجاوري فاما تشبيه اربعة باربعة فمثل قول امرء القيس
له ايطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل وللاخر كف تناول راحها بزجاجة
خضراء تقذف بالحباب وتزبد فالكف عاج والحباب لآلئ والراح تبر والاناء زبرجد ولبعضهم
وقد اهدى اليه نرجس واقحوان وشقايق وآس فكتب الى المهدي لله ما اظرف اخلاقك يابن الكرم
اهديت ما ناسبته حسنا وظرفا وشيم ومارايتنا مهديا مثلك في كل الامم اهدى العيون والخدود
والثغور واللمم افدى حبيبا له بدايع اوصاف تعالت عن كل ما اصف كالشمس تعلو والبدر
تشرق والغزال يعطو والغصن ينعطف وللمتنبي بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا
ورنت غزالا ومثله سفرن بدورا وانتقبن اهلة ومسن غصونا والتفتن جاذرا فاما تشبيه
خمسة بخمسة فقول الواوا الدمشقي واسبلت لؤلؤا من نرجس فسقت وردا وعضت على العناب
بالبرد فاما تشبيه ستة بستة فلم اجده الا لابن المعتز في قوله بدر وليل وغصن وجه وشعر وقد
خمر ودر وورد ريق وثغر وخد **مجلس اخر** تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ربنا
لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا فقال كيف يجوز ان يامرنا على سبيل العبادة لنا بالدعاء بذلك
وعندكم ان النسيان من فعله تعالى ولا تكليف على الناسي في حال نسيانه وهذا يقتضي احد امرين
اما ان يكون النسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس او تكون متعبدين بمسئلته تعالى
ما نعلم انه واقع حاصل لان مواخذة الناسي مامونة منه تعالى والقول في الخطاء اذا اريد به ما
وقع سهوا او عن غير عمد يجري هذا المجرى **الجواب** قلنا قد قيل في تاويل هذه الاية ان المراد بنسينا
تركنا قال ابو علي قطرب بن المستنير معنى النسيان ههنا الترك كما قال تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل
فنسي اي ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعته
فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك اي لا تتركني منها وانشد ابن

غرضه ولم الق عند الجو للجو قالياً ولا كنت يوم الروع للطعن ناسياً اى تاركاً ومما يمكن ان
يكون شاهداً على ذلك قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون اى تتركون انفسكم ويمكن
في الآية وجه آخر على ان يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم ويكون وجه الدعاء بذلك ما قد
بيّناه فيما تقدم من الامالي على سبيل الانقطاع الى الله واظهار الفقر الى مسئلته والاستعانة
به وان كان مأموناً منه المؤاخذة بمثله ويجري مجرى قوله تعالى في تعليمنا وتأديبنا ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به ويجري مجرى قوله تعالى رب احكم بالحق وقوله ولا تخزني يوم يبعثون
وقوله تعالى حاكياً عن الملئكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا
الوجه ايضاً يمكن في قوله او اخطأنا اذا كان الخطاء ما وقع سهواً او عن غير عمد فاما على ما يطابق
الوجه الاول فقد يجوز ان يريد بالخطاء ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيء عن جهل بانها معاصٍ
لان من قصد شيئاً على اعتقاد انه بصفة فوقع ما هو بخلاف معتقده يقال قد اخطأ فكانه
امرهم بان يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل وفيما اقدموا عليه مخطئين
متأولين ويمكن ايضاً ان يريد بالخطاء هاهنا الذنب والفعل القبيح وان كانوا له متعمدين و
عالمين لان جميع معاصينا لله تعالى قد توصف كلها بانها اخطاء من حيث فارقت الصواب وان
كان فاعلها متعمداً فكانه امرهم بان يستغفروا مما تركوه من الواجبات وفيما فعلوه من المقبحات
ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب والله اعلم بمراده اخبرنا ابو عبيد الله قال حدثني محمد بن العباس
قال قال رجل يوماً لابي العباس محمد بن يزيد النحوي ما اعرف صادية احسن من صادية ابي الشيص فقال له
وكم صادية حسنة لا تعرفها ثم انشده لبشار غمض الحديد بصاحبيك فغمضا وبقيت تطلب
في الحبالة منهضا وكان قلبي عند كل مصيبة عظم تكرر صدعه فتهيضا واخ سلوت له
فاذكره اخ فمضى وتذكرك الحوادث ما مضى فاشرب على تلف الاحبة اننا جزر المنية ظاعنين
وخفضا ولقد جريت مع الصبى طلق الصبى ثم ارعويت فلم اجد لي مركضا وعلمت ما علم امرؤ
في دهره فاطعت عذالي واعطيت الرضا وصحوت من سكر وكنت موكلاً ارعى الحمامة والغراب
الابيضا الحمامة المرأة والغراب الابيض الشعر الشايب فيقول كنت كثيراً اتعهد نفسي بالنظر في
المرأة وترجيل الشعر وقوله الغراب الابيض لان الشعر كان غربيباً اسود من حيث كان شاباً ثم
ابيض بالشيب وما كل بارقة تجود بمائها وكذاك الوصد والربيع لو ومضا هكذا انشده
المبرد ويحيى بن علي وانشده ابن الاعرابي ما كل بارقة تجود بمائها ولرب عارض الربيع فرقضا
فلذقت لقنه وذقت فراقه فوجدت ذا عسلاً وذا جمر الغضا يا ليت شعري فيما كان صدوده
آلسانا ام دعد النحاف اومضا وغير مرفد كرتا بر [illegible] الخلاء فاحمضا ودل عليه وبلى [illegible] زاد

القذ بالكسر الماء القليل لا مادة له لا ينقطع كماء العين والبئر
الخيف البئر التي تحفر في حجارة فلا ينقطع ماؤها
نفضا الفرس الخيل سبقها وتقدمها ونفضا خفضا به ذهب لونه
الثمد الماء القليل

كان الذي قد كان حكماً فانقضى سبحان من كتب الشقاء لذي الهوى ما كان الا كالخضاب نفضا
وقال المبرد وهي طويلة وذكر يوسف بن يحيى بن علي عن ابيه ان ابا نواس اخذ قوله جريت مع الصبى
طلق الصبى قال السيد قدس الله روحه ولابي تمام والبحتري على هذا الوزن والقافية وحركة القافية
قصيدتان لم تزيدا على صادية بشار التي استحسنها المبرد لم تقصرا عنها فاول قصيدة ابي تمام
اهلوك اضحوا شاخصاً ومقوضاً ومزمّماً يصف النوى ومعرضاً ان يتبع عيشك انهم امّوا اللوى
فيما اضاء وعلى ذات الاصاء بدلت من برق الثغور وبردها برقاً اذا ظعن الاحبة اومضا ما انصف
الشرخ الذي بعث الهوى فقضى عليك بلوعة ثم انقضى عندك من الايام ما لو انه امسى يشاد
مرقلٍ ما غمضا لا تطلبن الرزق بعد شماسه فترومه سبعاً اذا ما غيضا ما عوض الصبر امرؤ الا رأى
ما فاته دون الذي قد عوضا يا احمد بن ابي دؤاد دعوة ذلت بذكرك لي وكانت ريضا لما انتضيتك
للخطوب كفيتها والسيف لا يرضيك حتى ينتضى قد كان صوّح نبت كل قرارة حتى تروّح في نداك
فروّضا اودّدتني العدّ الحسيّ فقد ارى اثر الثماد البكي برّضا فاما قصيدة البحتري فهي
قوله السو اد للا لابيه وبيضا وقضا من الستين عنه ما نضا وسنا اغر تصرف لحظه مرض على
بر القلوب فامرضا وكانه وجد الصبى وحبيبه ديناً دنا ميقاته ان يقتضى اسبابن التي من جوى
وصبابة واسا في من وصل الحسان وانقضا كلف يكفكف عبرة مهراقة اسفاً على عهد الشباب وما
انقضى عدد تكامل للشباب محبه واذا مضى الشيء حان فقد مضى يقول فيها فقعت للنجاد
اذعر جاشهم ونذيره من قاصل ان يخفضى وكفاك من حنش الصريم هندد ان مد فضل لسانه
او نضنضا لا تشكرن من جار بجنبك ان طوى اطناب جانب بيته او قوضا فالارض واسعة
لنقلة راغب عمن تنقل ودّه وتنقضا لا هتبل اغضا اما كنت قد اغضيت مشتملاً على جمر
الغضا لست الذي اذ غارضته ملمة يبغي الحكم الزمان وقوضا لا يستفز بالطفيف ولا
ارى شعا البادي خلب ان ومضا انا من احب تحرياً وكانني فيما اعاين منك من انقضا
سيبك في نجم واتمه غمد الحسام المشرفي لينتضي وسكتّ الا ان اعرض قائلاً نزراً وصرح جهد
من عرضا واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى عن ابيه قال من مختار شعر بشار
قوله في وصف الزمان عتبت على الزمان واي حي من الاحياء اعتبه الزمان وامنه من الحدثان
نوبه على وليس من حدث امان وليس تزايل يومي فيرمى معان مترة او مستعان متى تاب الكرام من
كريم فمالك عندنا الا الهوان يا خليلي اصحبا او ذرا ليس كل البرق تهمك المطر الا تكون كامرئ ضاع
تركها العين ويبقى الاثر ذهب المعروف لا ذكره ربما ابكى الفتى ما ذكرا وبقينا في زمان منضل
يشرب الصفو ويبقى الكدر قال له فلا ادرك الحاجة ممنوعة وتولع النفس بما لا تنال داء وبعض الداء

لا يستقالك فاحتمل الهم على عاتق ان لم يساعفك العاتك الجلال قال يحيى قوله عاتق يعني الخمر وهذا
مثل قوله رحلت عنسا من شراب بابلي فبت من ثقله على مراحل قال السيد قدس الله روحه وهذا
الذي ذكره يحتمله البيت على استكراه ويحتمل ايضا ان يريد بالعاتق العضو ويكون المعنى ان لم تجد من
يحمل عنك همومك ويقوم باثقالك ويخفف عنك فتحمل انت ذلك بنفسك واصبر عليه كانه يامر
نفسه بالتجلد والصبر عند الياس وهذا البيت له نظائر في الشعر كثيرة واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن
هرون قال حدثني ابي قال من بديع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية قال علي وما في الدنيا القديم
ولا محدث من منثور ولا منظوم في صفة الغناء واستحسانه مثل هذه الابيات وراتحة للعين فيها
مخيلة اذا برقت لم تسق بطن صعيد من المستهلات الهموم على الفتى خفا بر فيها في عصفر وعقود حسد
عليها لكل شيء يميلها وما كنت لولا حبها بحسود واصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود
كان امير الحب في نغماتها نوفل دوايا عيود فقود من البيض لم تسرح على اهل ثلة سواما ولم ترفع
حداج قعود تميت به البابنا وقلوبنا مرارا وتحييهن بعد همود اذا نطقت صحنا وصاح لنا الصدى
صياح جنود وجهت بجنود ظللنا بذاك الديك اليوم كله كانا من الفردوس تحت خلود ولا باس الا انا
عند اهلها شهود وما البابنا بشهود قال وانشدني ابي له في صفة مغنية العمر الى نزادها
الصيد انهم لحسن منظر منها وحسن سماع تصلي له اذاننا وعيوننا اذا ما التقينا والقلوب دواع
وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش ببؤس ولم تركب مطية راع جرى اللؤلؤ المكنون فوق لسانها لزوارها
من مزهر وبراع اذا قلدت اطرافها العود زلزلت قلوبا دعاها للوساوس داع كانهم في جنة قد
تلاحقت محاسنها من روضة وبقاع يروحون من تغريدها وحديثها نشاوى وما فيهم بصواع
لعوب بالباب الرجال وان دنت اطيع التقى والغي غير مطاع قال علي بن هرون الصواع المكيال
يقول اذا غنت شربوا جزافا بلا كيل ولا مقدار من حسن ما يسمعون قال السيد قدس الله روحه
وهذا خطاء منه وانما المراد ان غناءها وحديثها الغرض حسنه وشدة اطرابه يغنيان عن شرب الخمر
وان لم يكن هناك شرب بصواع وهذا يجري مجرى قول الشاعر ويوم ظللنا عند ام محلم نشاوى
ولم نشرب حلالا ولا حراما وما كان عندي ان احدا سبقهم في هذا البيت الى معنى حتى ظننته هذا الرجل فاما قوله
في القطعة الاولى واصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود فيحتمل وجوها
ثلاثة اولها ان يكون اراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها وتضمخها وان ترائبها تصفر لذلك
كما قال الاعشى بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعرار والعرار بهار البر وانما اراد انها تتضمخ
بالعشي بالطيب فيصفرها ومثله قول ذي الرمة بيضاء في دعج كحلاء في برج كانها فضة قد مسها
ذهب وقيل في بيت قيس بن الخطيم فرايت مثل الشمس عند طلوعها في الحسن او كدنوها لغروب

وجهان احدهما ان المراد انها تطيب بالعشي فتصفر لان الشمس تغيب صفراء والوجه الآخر انه اراد انها
الحسن عن الشمس احسن ما تكون في وقتيها هذين ومن ذلك ايضا قول ابن ... صفراء عجلها الشباب لبانها
ومثله للاعشى اذ جردت يوما حسبت خميصة عليها وجريال النضير الدلامصا خميصة ثوب ناعم
ليس شبه به نعمة جسمها والنضير الذهب والجريال كل صبغ احمر وانما يعني لون الطيب عليها والدلامص
البراق فهذا وجه والوجه الثاني ان يكون اراد بوصفها بالصفرة رقة لونها فعندهم ان المراة اذا كانت
صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالعشي الى الصفرة وقال مهلب بن علي بن مهلك الاصبهاني
قال لي ابي قال لي الجاحظ زعموا ان المراة اذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة الى البياض
وبالعشي الى الصفرة واحتج بقول الراجز قد علمت بيضاء صفراء الاصل وزعم ان بيت ذي الرمة
الذي انشدناه من هذا المعنى وكذلك بيت الاعشى الذي انشدناه والابيات تحتمله للامرين فاما الذي
لا يحتمل الا وجها واحدا فهو قول الشاعر قد خضتها غيرة فلما عهاه على خدها احمر وفي نحرها صفر
لانها لا تكون صفراء في نحرها الا لاجل الطيب فاما قوله على خدها احمر فانما اراد انها تصبغ بلون خجلها
والوجه الثالث ان تكون المراة كانت صفراء على الحقيقة فان بشارا كثيرا ما يشبب بامراة صفراء كقوله اصفراء
لا انسى هواك ولا ودي ولا ما مضى بيني وبينك من عهد لقد كان ما بيني زمانا وبينها كما كان بين
المسك والعنبر الوردي وقوله صفراء كان الود منك مباحا ليالي كان الهجر منك مزاحا وكنت جوادا الحي اكثر
فيهم فبا حافلما عتبت صرت ملاحا وقد يحسن الملاحا فلما عتبت صرت قباحا
ملاحا يشبه قول السيد بن محمد الحميري واذا حضرت مع الملاح بمجلس ابصرتهن وما هم قباحا فاما قوله
من البيض لم تسرح سواما فانه لا يكون مناقضا لقوله صفراء وان اراد بالصفرة لونها لان البياض ههنا
ليس بعبارة عن اللون وانما هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من الادناس والعرب لا تكاد تستعمل
بيضاء الا في هذا المعنى دون اللون لان البياض عندهم البرص ويقولون في الابيض الاحمر ومنه
قول الشاعر جاءت به بيضاء تحمله من عبد شمس صلتة الخد ومثله بيض الوجوه كريمة احسابهم
فاما قول بشار في القطعة الثانية وصفراء مثل الخيزرانة فانه يحتمل ما تقدم من الوجوه وان كان للون
الحقيقي اخص لقوله كالخيزرانة لان الخيزرانة تضرب الى الصفرة ويحتمل ايضا ان يريد بصفراء غير اللون
الثاني ويكون قوله كالخيزرانة انها مثلها في التثني والتعطف ولقد احسن جران العود في قوله في المعنى
الذي تقدم كان سبيكة صفراء صبت عليها ثم البسها الازار برود العارضين كان فاها بعيد
النوم مسك مستثار مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم
يعمهون فقال كيف اضاف الاستهزاء اليه وهو مما لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف خبر بانه يمدهم في الطغيان
والعمى وذلك بخلاف مذهبكم الجواب قلنا في قوله تعالى الله يستهزئ بهم وجوه اولها ان يكون معنى

الاستهزاء الذي أضافه تعالى إلى نفسه تجهيله لهم وتخطئته إياهم في إقامتهم على الكفر وإصرارهم على الضلال
وسمّى الله تعالى ذلك استهزاءً مجازاً وتشبيهاً كما يقول القائل إن فلاناً قد استُهزئ به منذ اليوم إذا فعل فعلاً
عابه الناس به وخطّؤوه فيه فأقيم عيب الناس على ذلك الفعل وإزراؤهم على فاعله مقام الاستهزاء به وإنما
أقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى لأن الاستهزاء الحقيقي هو ما يقصد به إلى عيب المستهزَأ به والإزراء
عليه وإذا تضمنت التخطئة والتجهيل والتبكيت هذا المعنى جاز أن يجري عليه اسم الاستهزاء ويشهد بذلك
قوله تعالى وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها ونحن نعلم أن الآيات لا يصح
عليها الاستهزاء على الحقيقة ولا السخرية وإنما المعنى إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويُزرى عليها والعرب قد
تقيم الشيء مقام ما قاربه في معناه فتجري عليه اسمه قال الشاعر: كم أناس في نعيم عمّروا في ذرى ملك
تعالى فبسق، سكت الدهر زماناً عنهم ثم أبكاهم دماً حين نطق، والسكوت والنطق على الحقيقة لا يجوز
على الدهر وإنما شبّه تركه الحال على ما هي عليه بالسكوت وشبّه تغييره لها بالنطق وأنشد الفراء إن
دهراً يلفّ شملي بجُمْل لزمانٌ يهمّ بالإحسان، ومثل ذلك في الاستعارة لتقارب المعنى قوله: سألتني
بأناس هلكوا، شرب الدهر عليهم وأكل، وإنما أراد بالأكل والشرب الإفناء لهم والتغيير لأحوالهم
ومنه: يقر بعيني أن أرى باب دارها، وإن كان باب الدار يحسبني جلداً، والجواب الثاني أن يكون معنى الاستهزاء
المضاف إليه عز وجل أن يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون ويروى عن ابن عباس أنه قال
في معنى استدراجه إياهم أنهم كلما أحدثوا خطيئة جدّد لهم نعمة وإنما سمّي هذا الفعل استهزاءً من حيث
غيّب تعالى عنهم من الاستدراج إلى الهلاك غير ما أظهره لهم من النعم كما أن المستهزئ منا المخادع لغيره
يظهر أمراً ويضمر غيره فإن قيل على هذا الجواب فأي علة قائمة وأي وجه لأن يستدرجهم بالنعم من
الهلاك قلنا ليس الهلاك هاهنا هو الكفر وما أشبهه من المعاصي التي يستحق بها العقاب وإنما يستدرجهم
إلى الضرر والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم ولله تعالى أن يعاقب المستحق بما شاء أي وقت
شاء فكأنه تعالى لما كفروا وبدّلوا نعمته وعاندوا رسله لم يغيّر عليهم نعمه في الدنيا بل بقّاها لتكون متى
نزعها عنهم وأبدلهم بها نقمة الحسرة منهم أعظم والضرر عليهم أكبر فإن قيل فهذا يؤدي إلى أن يجوز أن
يكون بعض ما ظاهره النعمة على الكفار مما لا يستحق الله به الشكر عليهم قلنا ليس يمتنع هذا فيمن
استحق العقاب وإنما المنكر أن تكون النعم المبتدأة بهذه الصفة على ما تلزمه مخالفونا ألا ترى أن الحياة
وما جرى مجراها من حفظ التركيب والصحة لا تعد على أهل النار نعمة وإن كان على أهل الجنة نعماً من
حيث كان الغرض فيه إيصال العذاب إليهم والجواب الثالث أن يكون معنى استهزائه بهم أنه جعل لهم
بما أظهروه من موافقة أهل الإيمان ظاهر أحكامهم من نصرة ومناكحة وموارثة ومدافنة وغير ذلك
من الأحكام وإن كان تعالى معدّاً لهم في الآخرة أليم العقاب لما أبطنوه من النفاق واستسرّوا به من الكفر

قول الآخر

فكأنه

فكأنه تعالى قال إن كنتم أيها المنافقون بما تظهرونه للمؤمنين من المتابعة والموافقة وتبطنونه من النفاق
وتطلعون عليه شياطينكم إذا خلوتم بهم تظنون أنكم مستهزئون فالله تعالى هو المستهزئ بكم من حيث جعل
لكم أحكام المؤمنين ظاهراً حتى ظننتم أن ما لكم ما لهم ثم ميّز بينكم في الآخرة وذاد الجزاء من حيث
أثاب المخلصين الذين توافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثاني
وإن كان بينهما اختلاف من بعض الوجوه والجواب الرابع أن يكون معنى ذلك أن الله هو الذي يردّ استهزاءكم
ومكركم عليكم وإن ضرر ما فعلتموه لم يتعدّكم ولم يحط بسواكم ونظير ذلك قول القائل إن فلاناً أراد أن
يخدعني فخدعته وقصد إلى أن يمكر بي فمكرت به والمعنى أن ضرر خداعه ومكره عاد إليه ولم يضرّني
به والجواب الخامس أن يكون المعنى أنه يجازيهم على استهزائهم فسمّى الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب
تسمّي الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال تعالى فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به والمبتدأ ليس
بعقوبة قال الشاعر: ألا لا يجهلن أحد علينا، فنجهل فوق جهل الجاهلينا، ومن شأن العرب أن تسمّي
الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه وتعلقه به إذا انكشف المعنى وأمن الإيهام وربما
غلّبوا أيضاً اسم أحد الشيئين على الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهما فمثال الأول قولهم
للبعير الذي يحمل المزادة راوية وللمزادة المحمولة على البعير راوية فسمّوا البعير باسم ما يحمل عليه قال الشاعر
مشي الروايا بالمزاد الأثقل أراد بالروايا الإبل ومن ذلك أنهم يقولون صرعته الكأس واستلبت عقله وقال
الشاعر: وما زالت الكأس تغتالنا، وتذهب بالأول الأول، والكأس هي ظرف الشراب والفعل الذي
أضافوه إليها إنما هو مضاف إلى الشراب الذي يحلّ الكأس على أن الفرّاء يقول الكأس الإناء بما فيه من
الشراب فإن كان الإناء فارغاً لا يسمّى كأساً وعلى هذا القول تكون إضافة اختلاس العقل والتصريع وما
يجري مجرى ذلك إلى الكأس على وجه الحقيقة لأن الكأس على هذا القول اسم للإناء وما حلّه من الشراب
ومثال الوجه الثاني ما ذكرناه عنهم من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر: أخذنا بآفاق السماء
عليكم، لنا قمراها والنجوم الطوالع، أراد لنا شمسها وقمرها فغلّب ومنه قول الآخر: فقولا لأهل المكّتين
تحاشدوا، وسيروا إلى آطام يثرب والنخل، أراد بالمكتين مكة والمدينة فغلّب وقال الآخر: فبصرة الأزد
منا والعراق لنا، والموصلان ومنا مصر والحرم، أراد بالموصلين الموصل والجزيرة وقال الآخر: نحن
سبينا أمكم مقرباً، يوم صبحنا الحيرتين المنون، أراد الحيرة والكوفة وقال الآخر: إذا اجتمع العمران
عمرو بن عامر، وبدر بن عمرو خلت ذبيان تبّعا، وألقوا مقاليد الأمور إليهم، جميعاً قماءً كارهين
وطوعاً، أراد بالعمرين رجلين يقال لأحدهما عمرو وللآخر بدر وقد فسره الشاعر في البيت ومثله:
جزاني الزهدمان جزاء سوء، وكنت المرء يجزى بالكرامة، أراد بالزهدمين رجلين يقال لأحدهما زهدم

تحاشدوا أي اجتمعوا

أي تبعاً لهم

ولآخر كرم فغلب في كل الذي ذكرناه يقوّي هذا الجواب من جواز تسمية الجزاء على الذنب باسمه او تغليبه عليه للمقاربة والاختصاص التام بين الذنب والجزاء عليه والجواب السادس وهو ما روي عن ابن عباس انه قال يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم اذا رأوا الابواب قد اغلقت دونهم فلذلك قال عز وجل فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون فان قيل فاي فائدة في هذا الفعل وما وجه الحكمة فيه قلنا وجه الحكمة فيه ظاهر لان ذلك اغلظ على نفوسهم واعظم في مكروههم وهو ضرب من العقاب الذي يستحقونه بافعالهم القبيحة لان من طمع في النجاة والخلاص من المكروه واشتد حرصه على ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج ورد الى المكروه يكون عذابه اصعب واغلظ من عذاب من لا طريق للطمع عليه فان قيل فعلى هذا الجواب ما الفعل الذي هو الاستهزاء قلنا في ترداده لهم من باب الى آخر على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء من حيث كان ظاهره لما الراحة والفرج وان لم يكن فيه من معنى الاستهزاء ما يقتضي قبحه من اللهو واللعب وما جرى مجرى ذلك والجواب السابع ان يكون ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه سماه بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان وللعرب في ذلك عادة معروفة في كلامها والشواهد عليه مذكورة مشهورة وهذه الوجوه التي ذكرناها في الآية يمكن ان تذكر في قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم فليتأمل ذلك فاما قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون فيحتمل وجهين احدهما اني املي لهم ليؤمنوا ويطيعوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم والوجه الآخر ان يريد بيمدهم انه يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم ويمنعها الكافرين عقابا كشرحه لصدورهم وتنويره لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله قال الشريف قدس الله روحه اني لاستحسن لبعض الاعراب قوله * خليلي هل يشفي من الشوق والجوى * بذي ذوي الاوطان لا بل يشوقها * ويزداد في قرب اليها صبابة * ويبعد من فرط اشتياق طريقها * وما ينفع الحران ذا اللوح ان يرى * حياض القرى مملوة لا يذوقها * ولآخر في تذكر الاوطان والحنين اليها * الا قل لدارين بين كثبة الحمى * وذات الغضا جادت عليك الهواضب * اجدك لا انساك ما انفلتت * ودمع اضاعت ما حفظت سواكب * ديار تنأى سمت الهواء بجوها * وطاوعني فيها الهوى والحبائب * نسليا لا الهجران عنكم بها على وصل من اهوى ولا الظن كاذب * وانشد ابو نصر صاحب الاصمعي لاعرابي * الا ليت شعري هل ابيتن ليلة * باسناد نجد وهي خضر متونها * وهل اشربن الدهر من ماء مزنة * بحزة ليلى حيث فاض معينها * بلاد بها كنا نحل فاصبحت * خلاء ترعاها مع الادم عينها * تغنيا فيها بالشباب وبالصبى * يميل بنا الهوى على غصونها * وانشد الاصمعي لصدقة بن نافع الغنوي * الا ليت شعري هل تحنن ناقتي * بجيضاء محلية خيشاكا مستبرها * فتلك بلاد حبب الله اهلها * الي وان لم

يعطي

تزدادهم من باب

ان يريد

يشفي النفوس من الجوى

قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو

يعطي نصيفا امرها * بلاد بها انضيت راحلة الصبا * ولانت لنا ايامها وشهورها * فقد نابها المكد شره * ودار علينا بالنعيم سرورها * وانشد ابو محلم السوادين المضرب * سقى الله اليمامة من بلاد * نوافحها كارواح الغوالي * وجو زاهر للريح فيه * نسيم لا يروع الترب وان * بها سقت الشباب الى مشيب * يقبح عندنا حسن الزمان * وانشد اسحق الموصلي * الا يا حبذا اجبال سلمى * وحاديا رياضها جون السحاب * خلعت بها العذار وقلت فيها * اماني بطاعتها وباغتصاب * اصوم بباطلي طلبا لما تهوى * وتعلل في ببر غض الشباب * فكل هؤلاء على ما ترى قد افصحوا بان سبب حنينهم الى الاوطان ما لبسوه فيها من ثوب الشباب واستظلوه من ظله واقتضوه من رواحله وانه كان يعذبهم ويحن شبابهم فعلى اي شيء يغلو الناس في قول ابن الرومي * وحبب اوطان الرجال اليهم * مارب قضاها الشباب هنالكا * اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم * عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا * ويزعمون انه سبق الى ما لم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مستورا ورسم عفلا وقوله وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على ما تقدم ولا ابدع بل اتبع ولكن الجيد اذا ورد ممن يعهد منه الردي كثر استحسانه وزاد استطرافه ولقد احسن البحتري في قوله في هذا المعنى فسقى الغضا والنازليه وان هم * شبوه بين جوانح وقلوب * وقضاء ايام بهن سرقتنا * حسناتها من كاشح ورقيب * اخضر يلقطها الصبى فكانها * ورق يساقط من اهتزاز قضيب * كانت فنون بطالة فتقطعت * عن هجر غانية ووصل مشيب * واحسن في قوله * سقى الله اخلافا من الدهر رطبة * سقتنا الجوى اذ ابرق الحزن ابرق * ليالي سرقناها من الدهر بعد ما * اضاء باصباحا من الشيب مفرق * تداويت من ليلى بليلى فما شفى * بماء الربا من بات بالريق يشرق * ولابي تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن احسانه وهو * سلام ترجف الاحشاء منه * على الحسن بن وهب والعراق * على البلد الحبيب الي غورا * ونجدا والاخ العذب المذاق * ليالي نحن في وسنات عيش * كان الدهر عنها في وثاق * وايام له ولنا لذاذ * غنينا في حواشيها الرقاق * كان العهد عن عفر لدينا * وان كان التلاقي عن تلاق * مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فقال كيف خاطب آدم وحوا عليهما السلم بخطاب الجمع وهما اثنان وكيف نسب اليهما العداوة واي عداوة كانت بينهما الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه اولها ان يكون الخطاب متوجها الى آدم وحوا وذريتهما لان الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما ويقوي ذلك قوله تعالى حاكيا عن ابرهيم واسمعيل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وثانيها ان يكون الخطاب لآدم وحوا عليهما السلم ولابليس اللعين وان الجميع مشتركين في الامر بالهبوط وليس لاحد ان يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لابليس ذكر في قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة لانه وان لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى فازلهما

والفتى الحلو المذاق

الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه فجاز ان يكون الخطاب الى الجميع وثالثها ان يكون الخطاب متوجها
الى آدم وحوا والحية التي كانت معهما على ما روي عن كثير من المفسرين وفي هذا الوجه بعد من قبل ان
خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن فلا بد من ان يكون قبيحا اللهم الا ان يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة
ولا خطاب وانما كنى عن اهباطه لهم بالقول كما يقول احدنا قلت فلقيت الامير وقلت فضربت زيدا وانما
يخبر عن الفعل دون القول وهذا خلاف للظاهر وان كان مستعملا وفي هذا الوجه بعد من وجه آخر
هو انه لم يتقدم للحية ذكر في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لا تحسن الا بحيث لا يقع لبس ولا يسبق
وهم الى تعلق الكناية بغير من هي عنه حتى يكون ذكره كتركه في البيان عن المعنى المقصود مثل قوله حتى
توارت بالحجاب وكل من عليها فان وقول الشاعر اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق
بها الصدر فاما بحيث لا يكون الحال على هذا فالكناية عن غير مذكور قبيحة ورابعها ان يكون الخطاب
يختص آدم وحوا عليهما السلام وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك لان التثنية اول الجمع قال الله تعالى
اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد لحكم داود وسليمان عليهما السلام وكان بعض اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله يتأول قوله تعالى فان كان له اخوة فان كان له اخوان وقال الراعي اخليد ان
اباك ضاف وساده همان باتا جنبة ودخيلا طرقا فتلك هماهمي اقريهما قلصا لواقح كالقسي وحولا
فعبر بالهماهم وهي جمع عن الهمين وهما اثنان فان قيل فما معنى الهبوط الذي امروا به قلنا اكثر المفسرين
على ان الهبوط هو النزول من السماء الى الارض وليس في ظاهر القرآن ما يوجب ذلك لان الهبوط كما يكون
النزول من علو الى سفل فقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم
ما سألتم ويقول القائل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا اي حللنا قال زهير ما زلت ارمقهم حتى اذا
هبطت ايدي المطي بهم من ذي الكثيب فلقا فقد يجوز على هذا ان يريد بالهبوط الخروج من المكان وحلول
غيره ويحتمل ايضا ان يريد بالهبوط معنى غير المسافة بل الانحطاط من منزلة الى دونها كما يقولون
قد هبط فلان عن منزلته ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة فانحط الى دونها فان قيل فما معنى
بعضكم لبعض عدو قلنا اما عداوة ابليس لآدم عليه السلام وذريته فمعروفة مشهورة واما عداوة آدم
عليه السلام والمؤمنين من ذريته لابليس عليه لعنة الله فهي واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار
المارقين عن طاعة الله تعالى المستحقين لمقته وعداوته وعداوة الحية على الوجه الذي تضمن ادخالها
في الخطاب لبني آدم معروفة وكذلك تحذرهم منها وتجنبهم فاما على الوجه الذي يتضمن الخطاب اختص آدم و
حوا دون غيرهما فيجب ان يحمل قوله بعضكم لبعض عدو على ان المراد به الذرية كانه قال اهبطوا وقد علمت
من حال ذريتكم ان بعضهم يعادي بعضا وعلق الخطاب بهما لاجل الاختصاص بين الذرية وبين اصلها
فان قيل اليس ظاهر قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو يقتضي الامر بالعداوة كما امر بالهبوط وهذا

قيل الفلق الصبح وقيل الفلق المطمئن بين ربوتين

يوجب

يوجب ان يكون تعالى امرا بالقبيح على وجه لان معاداة ابليس لآدم عليه السلام قبيحة ومعاداة الكفار من ذريته
للمؤمنين منهم كذلك قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظننتموه وانما يقتضي امره لهم بالهبوط في حال عداوة
بعضهم بعضا فالامر مختص بالهبوط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في كلام العرب
يجري مجرى هذه الآية في ان المراد بها الحال قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق
انفسهم وهم كافرون وليس معنى ذلك انه اراد كفرهم كما اراد تعذيبهم وازهاق نفوسهم بل اراد ان تزهق
انفسهم في حال كفرهم وكذلك القول في الامر بالهبوط وهذا بين قال السيد قدس الله روحه ومن
مستحسن مدح السادة الكرام قول الشاعر ويل ام قوم غدوا عنكم لطيتهم لا يكتنون غداة العل
والنهل صد السرابيل لا توكا مقانبهم عجر البطون ولا تطوى على الفضل قوله ويل ام قوم من
الزجر المحمود الذي لا يقصد به الشر مثل قولهم قاتل الله فلانا ما اشجعه وترح الله ما اسمحه وقد قيل
في قول جميل رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من انيابها بالقوادح انه اراد هذا المعنى
بعينه وقيل ايضا انه دعا بالهرم وعلو السن لان الكبير يكثر قذى عينيه وتتهتم اسنانه وقيل انه
اراد بعينيها رقيبيها وبغر انيابها سادات قومها ووجوههم والاول اشبه بطريقة القوم وان كان القول
محتملا للكل فاما قوله لا يكتنون غداة العل والنهل فانما اراد انهم ليسوا برعاء يسقون الابل بل لهم
من يجانبهم ويكفيهم ويرعى ابلهم وانما يكتني ويتنحى على الدلو السقاة والرعاء وفيه وجه آخر وقيل
انهم يسامحون شربهم ويؤثرون بالسقي قبل اموالهم ولا يصولون عليه ولا يكتنون وهذا من الكرم
والتفضيل لا من الضعف وقيل ايضا بل عنى انهم اعزاء ذوو منعة اذا وردت ابلهم ماء افرج الناس
لها عنه وقد عرفت فليس يحتاج اربابها الى الاكتناء والتعرف وقد قال قوم في قوله يكتنون انه من قولهم
كنتت يده تكنت اذا خشنت من العمل فيقول ليسوا باهل مهنة فتكنت ايديهم وتخشن من العمل لان
لهم عبيدا تكفيهم ذلك وقوله صد السرابيل فانما اراد به طول حملهم للسلاح ولبسهم له والمقانب هي
الاوعية التي يكون فيها الزاد فكانه يقول اذا سافروا لم يشدوا الاوعية على ما فيها واطعموا اهل الرفقة
وهذه كناية عن الاطعام وبذل الزاد مليحة وعجر البطون من صفة المقانب في انها لا توكا عجر البطون
ولا تطوى على فضل الزاد ولبعض شعراء بني اسد واحسن كل الاحسان وان صرمته لابني عبيد تمتعت
من الحول لم توزل بحق افالها فقالت لا تغذو افصالك هكذا فقلت ابت ضيفانها وعيالها فما حلبت
الا الثلاثة والثنى ولا قبلت الا قريبا مقالها حدابير من كل العيال كانها اناضي شفر حل عنها
جلالها شكا هذا الشاعر امرأته وحكى عنها انها رأت ابله لم تنحط منها في حالة ولم تغفر
في حول ولم تحلب لضيف ولا جار فهي سمان وقوله لم توزل افالها الافال الصغار وتوزل من الازل
وهو الضيق في العيش والشدة فيقول فصال هؤلاء سمان لم تلق بؤسا لان البانها امهاتها موفرة عليها

وحكى عن امرأته انها تقول له غلبت ضلالك هكذا فقال لها ابعد الله الحقوق فعيالها وهم الجيران
والضيفان ثم اخبر انه لم يلتفت الى لومها وان الابل ما حلبت تعب مقالتها الا مرتين او ثلاثا ولا فيئت
من القايلة الا تقرب البيوت حتى نحرها او وهبها والحدابير المهازيل وانما يعني فصاله وهزالها لاجل
انها لا تشرب الالبان وتعتبر انها نهلوا ناصي جمع نضو فشبه فصاله من هزالها بانضاء جبل شعر
وقوله حدابير من كل العيال فيه معنى حسن لانه اراد انها من بين جميع العيال مما يريد بل وهذا تاكيد لان
سبب هزالها هو الايثار بالبانها واختصت بالهزال من بين كل العيال والعيال هيهنا الجيران والضيفان
وانما جعلهم عيالا لكرمه وان جوده قد الزمه مؤنتهم فصاروا كاخص عياله ومثل ذلك قول الشاعر
تعيرني الخطلان ام محلم فقلت لها لا تعذليني بدا انيا فاني رايت الضامرين متاعهم يذم ويفنى فارضخي
من وعائيا فلم تجد بي في المعيشة عاجزا ولا حصرا ما خبا شكيتا او كانيا الخطلان الملون الممسكون
البخلاء والخطل الامساك وام محلم امرأته ومعنى قوله تعيرني الخطلان اي بالخطلان تقول مالك لا تكون
مثل هولاء الذين يحفظون اولادهم والضامرون ايضا البخلاء فقال لها رايت البخلاء يضنون بما عندهم
وهو يفنى ويبقى الذم فارضخي من وعائي وهذا مثل اي اعطي الناس مما عندك وهو من قولك رضخ له بشيء
من عطيته والحصر البخيل الممسك تقول العرب حصر م فهو حصر اي شديد وتروها وقوله فلم تجد بي في المعيشة عاجزا
اي انا صاحب غارات افيد واستفيد واتلف واخلف فلا تخافي الفقر وقال مسكين الدارمي اصحر
عاذلتي من عتبة قومها ام هي وحي للصخب اصبحت تعذل في شحم الذرى وتظن اللوم در ايتهب
لا تلمها انها من امة ملحها موضوعة فوق الركب يقول انما تنكر لوم فكانها قومه في اللوم كفرم لا
الى اللحم فهي حمى تشتهي الصخب والرحم شهوة الطعام عند الحمل وشحم الذرى الاسنمة واراد تحتفل فيها انها
تعوتها بلي الترتيبها بي عيني وتعظم قدمها فلا اهب منها ولا انحر ثم اخبر ان اصلها من الزنج والملح الشحم
وشحم الزنج يكون على اوراكهم واكفالهم وانشد ابو العباس محمد بن يزيد اما ابنة عبد الله وابنة مالك
ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست اكله وحدي قصيا
كريما او قريبا فانني اخاف مذمات الاحاديث من بعدي واني لعبد الضيف ما دام نازلا وما من صفاتي
غيرها شيمة العبد قال ابو العباس استثنى الكرم من القصي البعيد ولم يستثنه في القريب لان اهله
جميعا عنده كرام واراد بقوله لعبد الضيف انه يخدم الضيف هو بنفسه لا يرضى ان يخدمه عبده قال السيد
قدس الله روحه ويشبه ذلك قول المقنع الكندي واني لعبد الضيف ما دام نازلا وما شيمة لي غيرها
تشبه العبدا وانما اشترط كونه عبدا للضيف في البيت الاول والثاني ثواؤه ونزوله ليعلم ان الخدمة
له لم تكن لضعة وصغر قدر بل لما يوجبه الكرم من حق الاضياف وانه لا يخرج عن ان يكون مخدوما
من ان يكون ضيفا وقال واني لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل مجلس اخر تاويل آية ان سأل

اكيلا اي مواكلا
بعيدا

سائل

قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال الآية

سائل فقال بم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم ان المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه
اذا تعلق بقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فان الظاهر من هذه
الاية يوجب انهم غير مستطيعين للامر الذي هم غير فاعلين له وان القدرة مع الفعل واذا تعلق بقوله
تعالى في قصة موسى عليه السلم انك لن تستطيع معي صبرا وانه نفى ان يكون قادرا على الصبر في حال هو
فيها غير صابر وهذا يوجب ان القدرة مع الفعل وبقوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون **الجواب** يقال له اول ما نقوله ان المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصح له التعلق
بالسمع لان مذهبه لا يسلم معه صحة السمع ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة السمع بادلته وانما قلنا ذلك
لان من جوز تكليف الله تعالى الكافر الايمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبايح عن الله عز وجل
واذا لم يمكنه ذلك فلا بد من ان يلزمه تجويز القبايح على الله في افعاله واخباره ولا يامن من ان يرسل
كذابا وان يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك فالسمع ان كان كلامه قدح في حجته تجويز الكذب عليه وان
كان كلام رسوله قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذاب وانما طرق ذلك تجويز بعض القبايح
عليه وليس لهم ان يقولوا ان امره تعالى الكافر بالايمان وان لم يقدر عليه يحسن من حيث اتي الكافر
فيه من قبل نفسه لانه تشاغل بالكفر فترك الايمان وانما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو اضفنا ذلك اليه تعالى
على وجه يقبح وذلك لان ما قالوه اذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفا لما لا يطاق لم يؤثر في نفي الزامنا
عنهم لانه يلزم على ذلك ان يفعل الكذب وساير القبايح وتكون حسنة منه بان يفعلها من وجه لا يقبح
منه وليس قولهم وانا لم نضفه اليه من وجه يقبح بشيء يعتمد بل يجري مجرى قول من جوز عليه ان يكذب
ويكون الكذب منه حسنا ويدعي مع ذلك صحة معرفة السمع بان يقول انني لم اضف اليه قبيحا فيلزمني
افساد طريقة السمع فلما كان من ذكرناه لا عذر له في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر مثله
ونعود الى تاويل الاية اما قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا
فليس فيه ذكر للشيء الذي لا يقدرون عليه ولا بيان له وانما يصح ما قالوه لو بين لهم انهم لا يستطيعون
سبيلا الى امر معين فاما ولم يكن ذلك كذلك فلا متعلق لهم فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب
ان يكون المراد بقوله فلا يستطيعون سبيلا الى مفارقة الضلال قلنا انه تعالى كما ذكر الضلال فقد
ذكر ضرب المثل فيجوز ان يريد انهم لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق ما ضربوه من الامثال وذلك غير مقدور
على الحقيقة ولا مستطاع والظاهر بهذا الوجه اولى لانه تعالى حكى عنهم انهم ضربوا له الامثال وجعل
ضلالهم وانهم لا يستطيعون السبيل متعلقا بما تقدم ذكره وظاهر ذلك يوجب رجوع الامرين جميعا اليه
وانهم ضلوا بضرب المثل وانهم لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق ما ضربوه من المثل على انه تعالى قد اخبر عنهم
بانهم ضلوا وظاهر ذلك الاخبار عن ماضي فعلهم فان كان قوله فلا يستطيعون سبيلا يرجع اليه فيجب

ان يدل على انهم لا يقدرون على ترك المناصب وهذا مما لا يخالف فيه وليس فيه ما ناباه من انهم لا يقدرون في المستقبل او في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذر تركه وبعد فاذا لم يكن في الآية ظاهر فلم صاروا بان يحملوا نفي الاستطاعة على امر كلفوه باولى منا اذا حملنا ذلك على امر لم يكلفوه او على انه اراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقة عليهم وقد جرت عادة اهل اللغة بان يقولوا لمن يستثقل شيئا انه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه الا ترى انهم يقولون فلان لا يستطيع ان يكلم فلانا ولا ينظر اليه وما اشبه ذلك وانما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة والمشقة فان قيل فاذا كان لا ظاهر للآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم قلنا قد ذكر ابو علي ان المراد انهم لا يستطيعون الى بيان تكذيبه سبيلا لانهم ضربوا الامثال طمعا منهم بان ذلك يبين كذبه فاخبر تعالى ان ذلك غير مستطاع لان تكذيب صادق وابطال حق مما لا يستطاع فلذلك ولا تتناوله استطاعة وقد ذكر ابو هاشم ان المراد بالآية انهم لاجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلا الى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب وليس يمكن على هذا ان يقال كيف لا يستطيعون سبيلا الى الخير والهدى وهم عندكم قادرون على الايمان والتوبة ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب لان المراد انهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم الى خير وهدى وانما يكون لهم سبيل الى ذلك بان يفارقوا ما هم عليه وقد يمكن ايضا في معنى الآية ما تقدم ذكره من ان المراد بنفي الاستطاعة عنهم انهم مستثقلون للايمان فقد يخبر عمن يستثقل شيئا بانه لا يستطيعه على ما تقدم ذكره فاما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلم انك لن تستطيع معي صبرا فظاهره يقتضي انك لا تستطيع ذلك في المستقبل ولا يدل على انه غير مستطيع للصبر في الحال ان يفعله في الثاني وقد يجوز ان يخرج في المستقبل من ان يستطيع ما هو في الحال مستطيع له غير ان الآية تقتضي خلاف ذلك لانه قد صبر عن المسئلة اوقاتا وان لم يصبر عنها في جميع الاوقات فلم تنتف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الاحوال المستقبلة على ان المراد بذلك واضح والله تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسئلة عما لا يعرفه ولا يقف عليه لان مثل ذلك يصعب على النفس وهذا الخبر لحدثنا اذا جرى بين يديه ما ينكره ويستبدعه تنازعه نفسه الى المسئلة عنه والبحث عن حقيقته ويثقل عليه الكف عن الفحص عن امره فلما كان من صاحب موسى عليه السلم ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسئلة عن ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فبين ان العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره ولو كان الامر على ما ظنوا الوجب ان يقول وكيف تصبر وانت غير مطيق للصبر فاما قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فلا تعلق لهم بظاهره لان السمع ليس بمعنى فيكون مقدورا لان الادراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ولو ثبت انه معنى على ما يقوله ابو علي لكان ايضا غير مقدور للعبد من حيث يختص القديم تعالى بالقدرة

عليه

عليه وهذا ان اريد بالسمع الادراك وان اريد به نفس الحاسة فهي ايضا غير مقدورة للعبد لان الجواهر وما تختص به الحواس من البنية والمعاني ليصح به الادراك مما ينفرد القديم تعالى بالقدرة عليه فالظاهر لا حجة لهم فيه فان قالوا ولعل المراد بالسمع كونهم سامعين كانه نفى عنهم استطاعة ان يسمعوا قلنا هذا خلاف الظاهر ولو ثبت ان المراد ذلك لحملنا نفي الاستطاعة ههنا على ما تقدم ذكره من الاستثقال وشدة المشقة كما يقول القائل فلان لا يستطيع ان يراني ولا يقدر على ان يكلمني وما اشبه ذلك وهذا بين لمن تامله

تاويل خبر

ان سال سائل فقال ما تاويل ما رواه بشار عن معوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله كانت لي جارية كانت ترعى غنما لي قبل احد فذهب الذئب بشاة من غنمها وانا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني غضبت فصككتها صكة قال فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه واله قال فقلت يا رسول الله افلا اعتقها قال ائتني بها فاتيته بها فقال لها اين الله فقالت في السماء قال من انا قالت انت رسول الله فقال عليه السلم اعتقها فانها مؤمنة فالجواب اما قوله انا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون معناه اني اغضب كما يغضبون قال حبيب الاسف الغضب فانشد للراعي فما الحقني العيس حتى وجدتني اسيفا على حاديهم المتجرد والاسف ايضا الحزن قال ابن الاعرابي الاسف الحزن والاسف الغضب قال كعب بن زهير في كل يوم ارى فيه مبيئته تكاد تسقط مني منة اسفا وقوله لكني غضبت فصككتها اراد لطمتها يقال صك جبهته اذا لطمها بيده قال الله تعالى فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم وقال بشر بن ابي خازم يصف حمارا وحشيا واتانا فتصك محجره اذا ما سافها وجبينه بحوافر لم تنكب سافها اي شمها وقولها في السماء فالسماء هو الارتفاع والعلو ومعنى ذلك انه تعالى عال في قدرته عزيز في سلطانه لا يبلغ ولا يدرك يقال فلان سما يسمو سموا اذا ارتفع شانه وعلا امره قال الله تعالى أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فاخبر بقدرته وسلطانه وعلو شانه ونفاذ امره وقد قيل ان معنى أأمنتم من في السماء غير هذا وان المراد أأمنتم من في السماء امره واياته ورزقه وما جرى مجرى ذلك وقال امية بن الصلت شاهدا لما تقدم واشهد ان الله لا شيء فوقه عليا وامسى ذكره متعاليا وقال سليمان بن يزيد العدوي لك الحمد يا ذا الطول والعز والعلى تعاليت محمودا كريما وجازيا علوت على قرب بعز وقدرة وكنت قريبا في دنوك عاليا والسماء ايضا سقف البيت ومنه قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وقال ابن الاعرابي يقال لاعلى البيت سماوته وسراته وصهوته وضهوته والسماء ايضا المطر قال الله تعالى وارسلنا السماء عليهم مدرارا ومنه الحديث الذي رواه ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه واله مر على صبرة طعام فادخل عليه السلم يده فيها فنالت اصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب البر فقال اصابته السماء يا رسول الله قال عليه السلم افلا جعلته فوق الطعام يراه الناس

قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور

غشّ فليس منّا وقال المثقّب العبدي فلمّا اتانى والسماء تبلّه فقلت له اهلاً وسهلاً ومرحباً ويقال ايضاً لظهر الفرس سماء كما يقال لحوافره انها ارض قال بعضهم في فرس واحمر كالديناز اما سماؤه فخضب واما ارضه فمحول وانما اراد انه سمين الاعلى عريان القوائم ممشوقها وكل معانى السماء التى تتصرف فيها تتنوع ترجع الى معنى الارتفاع والعلو والسمو واذا اختلفت المواضع التى اجريت هذه اللفظة فيها فاولى المعانى بالخبر الذى سئلنا عنه ما قدمناه من معنى العزة وعلو الشان والسلطان وما عدا ذلك من المعانى لا يليق به تعالى لان العلو بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى الذى ليس بجوهر ولا جسم ولا حال فيهما ولان الخبر والابيات التى تضمنت ايضا ذكر السماء خرجت مخرج المدحة ولا تمدح فى العلو بالمسافة وانما التمدح بعلو الشان والسلطان ونفاذ الامر ولهذا لا نجد احداً من العرب مدح غيره فى شعر او نثر بمثل هذه اللفظة واراد بها علو المسافة بل لا يريدون الا ما ذكرناه من معنى العلو وانما يظن فى هذا المعنى الموضع خلاف هذا من لا فطنة عنده ولا بصيرة له والحمد لله رب العالمين **مجلس آخر** تاويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل **الجواب** قلنا اما التنور فقد ذكر فى معناه وجوه اولها انه اراد بالتنور وجه الارض وان الماء نبع وظهر على وجه الارض وفار وهذا قول عكرمة وقال ابن عباس مثله والعرب تسمى وجه الارض تنوراً وثانيها ان يكون المعنى ان الماء نبع من اعالى الارض وفار من الاماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة ويروى عنه فى قوله وفار التنور قال ذكر لنا انه ارفع الارض واشرفها وثالثها ان يكون المراد بفار التنور اى برز النور وظهر وتكاثفت امارات دخول النهار وتقضى الليل وهذا القول يروى عن امير المؤمنين عليه السلم ورابعها ان يكون المراد بالتنور الذى يختبز فيه على الحقيقة وانه تنور كان لآدم عليه السلم وقال قوم ان التنور كان فى دار نوح عليه السلم بعين وردة من ارض الشام وقال آخرون بل كان التنور فى ناحية الكوفة والذين روى عنهم ان التنور هو تنور الخبز الحقيقى ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم وخامسها ان يكون معنى ذلك واشتد غضب الله تعالى عليهم وحل وقوع نقمته بهم فذكر التنور مثلا لحضور العذاب كما تقول العرب قد حمى الوطيس اذا اشتدت الحرب وعظم الخطب والوطيس هو التنور وتقول العرب ايضا قد فارت قدر القوم اذا اشتد حربهم وقال الشاعر تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثاها عنا اذا حميها غلا اراد نسكن غليانها ومعنى نديمها نسكنها ومن ذلك الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه نهى عن البول فى الماء الدائم يعنى الساكن ويقال قد دوم الطائر فى الهواء اذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما ونفثاها معناه نسكنها يقال قد فثأت غضبه عنى وفثأت القدر بالبارد اذا كسرته به وسادسها ان يكون التنور الباب الذى يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة على الارض علماً على ما انذر به من اهلاك قومه

هذا

وهذا القول يروى عن الحسن واولى الاقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقى لانه الحقيقة وما سواه مجاز ولان الروايات الظاهرة تشهد له واضعفها وابعدها من شبهة الآية قول من حمل ذلك على شدة الغضب واشتداد الامر تمثيلا وتشبيها لان حمل الكلام على الحقيقة التى تعضدها الروايات اولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الروايات واى المعانى اريد بالتنور فان الله تعالى جعل فور الماء منه علما للنبى عليه السلم وآية تدل على نزول العذاب بقومه لينجو بنفسه وبالمؤمنين فاما قوله تعالى من كل زوجين اثنين فقد قيل المراد به احمل من كل ذكر وانثى اثنين وانه يقال لكل واحد من الذكر والانثى زوج وقال آخرون الزوجان ههنا الضربان وقال آخرون الزوج اللون وان كل ضرب يسمى زوجا واستشهد ببيت الاعشى وكل زوج من الديباج يلبسه ابو قدامة محبوّ بذاك معا ومعنى من سبق عليه القول منهم اى من اخبر تعالى بعذابه وحلول الهلاك به والله اعلم بمراده **تاويل خبر** ان سأل سائل عن تاويل الخبر الذى يرويه شريك بن عمار الدهنى عن ابى صالح الحنفى عن امير المؤمنين عليه السلم قال رايت النبى صلى الله عليه وآله فى المنام وانا اشكوا اليه ما لقيت من الاود واللدد الجواب يقال اما الاود فهو الميل تقول العرب لاقيمن ميلك وجنفك واودك ودرءك وضلعك وصدعك وظلعك بالظاء وصغوك وصغوك وصددك كل هذا بمعنى واحد وقال ثعلب الاود اذا كان من الانسان فى كلامه ورايه فهو عوج واذا كان فى الشى المنتصب مثل عصا وما اشبهها فهو عوج هذا قول الناس كلهم الا ابا عمرو الشيبانى فانه قال العوج بالكسر الاسم والعوج بالفتح المصدر قال ثعلب كانه مصدر عوج يعوج عوجا ويقال العصا معوجة وعود معوج وليس فى كلامهم معوّج واما اللدد فهو الخصومة وقال ثعلب يقال رجل الدّ وقوم لدّ اذا كانوا اشداء الخصومة ومنه قوله تعالى الدّ الخصام وقال الاموى اللدد الاعوجاج والالدّ ذو الخصومة الذى ليس بمستقيم اى هو اعوج الخصومة يميل فلا يقوى عليه ولا يتمكن منه ومن ذلك قولهم لدّ الصبى وانما يلدّ فى شق فيه وليس يلدّ مستقيما فهو يرجع الى معنى الميل والاعوجاج وقال قد فسر لنا الحكم بن ظهير فقال الدّ الخصام اى اعوج الخصام انشد ابو السمح لابن مقبل: لقد طال عن دهماء لدّى وعذرتى: وكتمانها اكنى بام فلان: جعلت لها الرجال مخاصمة: ولو شئت قد بينتها بلسانى: اللدّ الجدل والخصومة: وقال ابو عمرو الالدّ الذى لا يقبل الحق ويطلب الظلم وقوله مخاصمة يقول انهم يخوضون فى شعرى ويطلبون معانيه فلا يقفون عليها وانشد ابو السمح: لا تفتر الكذب القبيح فانه: للمرء معيبة وباب لئام: واصدق بقولك حين تنطقه انه: للصدق فضل فوق كل كلام: فاذا صدقت على الرجال خصمتهم: والصدق مقطعة على الظلام: واذا رماك غشوم قوم فارمه: بالدّ مشتغر المدى غشام: لا تعرضن على العدو وسيلة واحذر عدوك عند كل مقام: واعلم بانك ليس يوماً نافعاً: عند اللئيم وسائل الارحام: ما اتخفك

في وصف الثغر

يحف منك

وبلو عند اجانبا ؛ وتصبحه بكاس سمام ؛ واذا حللت فاكرم به ؛ حتى تفرج حلبة الاظلام ؛ واصبر
على كرب البلاء فانه ؛ ليس البلاء على الفتى بلزام ؛ واعلم بانك ميت ومحدث ؛ عما فعلت معاشر
الاقوام ؛ معنى مشتغر المدى اى بعيد المدى وقوله لا تعرضن على العدو وسيلة اى لا تقاربه ولا تصانعه
ولا يكن بينك وبينه الا صدق العداوة وانشد ايضا شاهدا لما تقدم ؛ يا وهب اشبه باطلي وجدي
اشبهت اخلاقي فاشبه مجدي ؛ وجل بي عند الخصوم اللد ؛ قال السيد قدس روحه ومن احسن ما
وصف به الثغر قول فضالة بن كبع اليشكري ؛ تبسم عن جم الثنات كانها ؛ حصا برد او اقحوان كثيب
اذا ارتفعت عن مرقد علت به ؛ من اليانع الغوري فرع قضيب ؛ قضيب نجاه الركب ايام عرفوا
لها من ذرى مال النبات خضيب ؛ يعني من يانع الاراك ومعنى نجاه اى قطعه ومثله استنجا ايضا
ومال النبات اى ناعمه وحسنه يقال عشب مال ومادٍ سواء اى مياد وناعم ومعنى ايام عرفوا اى
اجتنوه من عرفات وذكر انه خضيب بالطيب الذي يبيء بها الا انها استعملته وقال الاخطل يصف
ثغرا ؛ شتيتا يروي الظمآن منه ؛ اذا الجوزاء اجحرت الضبابا ؛ الشتيت المتفرق المفلج الذي
ليس بمتراكب ومعنى قوله اذا الجوزاء اجحرت الضبابا فيه وجهان احدهما انه اراد عند سقوط الجوزاء
وذلك في شدة البرد وطول الليل اذا انجحرت الضباب من البرد وتغيرت الافواه لطول الليل الشتاء
يقول فثغرها عذب غير متغير والوجه الآخر انه اراد عند طلوع الجوزاء في شدة الحر اذا انجحرت
الضباب من شدة الحر والقيظ فالظمآن اشد عطشا ولحر غلته فريقها يرويه ويبرد غلته وقال آخر
فويل بها لمن تكون ضجيعه ؛ اذا ما الثريا ذبذبت كل كوكب ؛ قوله فويل بها من الزجر المحمود مثل
قولهم ويل امه ما اشجعه فكانه يقول نعم الضجيع هي عند السهر اذا تحادرت النجوم للمغيب كما قال
ذو الرمة وابدى الثريا جنح في المغارب مثله قول الآخر نعم شعار الفتى اذا برد الليل ؛ سحيرا
وقفقف الصرد ؛ وانما يعني انها في ذلك الوقت الذي تتغير فيه الافواه طيبة الريق عذبته
وانشد ابو العباس المبرد لام الهيثم ؛ وعارض كجانب العراق ؛ انبت برّاقا من البراق ؛ براق
مثل العسل المراق ؛ قال ابو العباس في هذا قولان احدهما انه وصف ثغرا وعارضاه جانباه
والعراق ما يثنى ثم يخرز كعراق القربة فاخبرت انه ليس فيه اعوجاج ولا تراكب ولا نقص وقولها
انبت برّاقا من البراق تعني الثغر نفسه اي له بريق من صفائه ورقته وشبهت الريق بالعسل لعذوبته
والقول الآخر قال بعضهم العارض هاهنا الغيم وقولها كجانب العراق يعني هذا البلاد اي هو ضخم
متكاثف قد سد الافق وقولها انبت براقا من البراق ما تنبته الارض اذا مطرت من النور قال المبرد
والقول الاول عندنا اصح لذكرها العسل وانشد احمد بن يحيى لتأبط شرا ؛ وشعب كشك الثوب
شكس طريقه ؛ مجامع ضوجيه نطاف مخاصر ؛ تعسفته بالليل لم يهدني له ؛ دليل ولم يحسن له النعت

خابرُ

خابرُ ؛ قال يعني بالشعب فم جارية كشك الثوب يعني كفة الثوب اذا خاطه الخياط والشكس الضيق يصفها
بصغر الفم وحسنه ودقة الشفتين وضوجاه جانباه وضوج الوادي جانبه ويعني بالنطاف الريق
والمخاصر الباردة من الخصر وقوله لم يهدني له دليل اي لم يصل اليه غيري كما قال جرير ؛ الا رب يوم
قد شربت بمشرب ؛ شفى الغيم لم يشرب به احد قبلي ؛ الغيم والغيم العطش وانما يعني ريق جارية
قال المبرد وقال آخرون بل يعني شعبا من الشعاب مخوفا ضيقا سلكه وحده قال ابو العباس انما كنى بالشعب عن
فم جارية ثم اخذ في وصف الشعب ليكون الامر اشد التباسا قال السيد قدس الله روحه والاشبه ان يكون
اراد بالشعب شعبا حقيقيا لان تأبط شرا كان لصا وصافا للاهوال التي تمضي به تعانيه وتحاصصه وكان
كثيرا ما يصف ما له من الجبال وتخلصه من المضايق وقطعه المفاوز واشباه ذلك والقطعة التي فيها البيتان
كلها تشهد بان الوصف للشعب لا للفم جارية لانه يقول بعد قوله كشك الثوب لدن مطالع لشعري وقبل الابيه
كان الظبا في جانبيه معاجر ؛ به من نجاء الدلو بيض اقرها ؛ جبار لصم الصخر فيه قراقر ؛ وقرت حتى كن
للماء منتهى ؛ وعادر هن السيل فيما يغادر ؛ به نطف زرق قليل ترابها ؛ جلا الماء عن ارجائها فهو خابر
وهذه الاوصاف كلها لا تليق الا بالشعب دون غيره وتأول ذلك على الفم تعسف بعيد ولقد احسن كثير
في قوله يصف الثغر ؛ ويوم الحبل قد سخرت وكفت ؛ رداء العصب عن رتل براد ؛ وعن نجلاء تدمع في بياض
اذا دمعت وتنظر في سواد ؛ وعن متكاوس في العقص جثل ؛ اثيث النبت ذي غدر جعاد ؛ وقال ابو تمام
في هذا المعنى ؛ وعلى العيس خرد يتبسمن ؛ عن الاشنب الشتيت البراد ؛ كان شوك السيال حسنا فاضحى
دونه للفراق شوك القتاد ؛ وانتخذ براح له الورد ؛ وبشمه جنا التفاح ؛ وشتيتا يفض من لؤلؤ
النظم ؛ ويزري على شتيت الاقاحي ؛ فاضاءت تحت الدجنة للشرب ؛ وكادت تضيء للمصباح ؛ وقال
ايضا سفرت كما سفر الربيع الطلق عن ورد ؛ برق الضحى مصقول ؛ وتبسمت عن لؤلؤ في رصفه
برد يرد حشاشة المتبول ؛ وقد جمع كل ما يوصف به الثغر في قوله ؛ كانما يضحك عن لؤلؤ ؛ منظم او برد
او اقاح ؛ مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من
لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء
السبيل فقال ما انكرتم ان تكون هذه الآية دالة على انه تعالى جعل الكافر كافرا لانه اخبر بانه جعل منهم من
عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنازير وليس يجعله كافرا الا بان يخلق كفره الجواب يقال له قبل ان
نتكلم في تأويل الآية وما تحتمله من المعاني كيف يجوز ان يخبرنا الله تعالى بانه جعلهم كفارا وخلق كفرهم
والكلام خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الازراء عليهم اي مدخل لكونه خالقا الكفر
في باب ذمهم واي نسبة بينه وبين ذلك بل لا شيء ابلغ في عذرهم وبرائتهم من ان يكون خالقا لما ذمهم
من اجله وهذا يقتضي ان يكون الكلام متناقضا مستحيل المعنى ونحن نعلم ان احدنا اذا اراد ذم غيره وتوبيخه

مجلس آخر هل انبئكم بشر من ذلك الآية

بالصناعتين

قلنا

وبعد فمثل هذا الضرب من الكلام انما يقول الا اخبركم بشر الناس واحقهم بالذم واللوم من فعل كذا
وصنع كذا وكان على كذا وكذا فيعدد من الافعال والاحوال قبائحها ولا يجوز ان يدخل في جملتها ما
ليس بقبيح ولا ما هو من فعل الذام ومن جهته حتى يقول في جملة ذلك من يتشاغل بالصناعة الفلانية
التي هو سلمه اليها وحمله عليها وان عقلا يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف فان قيل اليس قد ذمهم في
الكلام بان جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم في ذلك فكيف يجوز ان يذمهم بجعلهم عابدين
للطاغوت وان كان من فعله قيل انما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على افعالهم وباستحقاقهم
فجرى ذلك مجرى افعالهم كما ذمهم بان لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه بافعالهم وعبادتهم
للطاغوت ان كان هو خلقها فلا وجه لذمهم بها لان ذلك مما لا يستحق بفعل متقدم كاللعن والمسخ
ثم نعود الى تاويل الاية فنقول الظاهر للاية يقتضي ما ظننتموه واكثر ما تضمنته الاخبار بانه خلق وجعل من
يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة في انه تعالى هو خالق الكافر وانه لا خالق له سواه
غير ان ذلك لا يوجب انه خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا كما قال نستفيد من قوله جعل منهم
القردة والخنازير وانه جعل ما به كانوا كذلك هكذا نستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه خلق
ما به كان عابدا للطاغوت وذلك انا انما استفدنا ما ذكروه من الاول لان الدليل قد دل على ان
ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون الا من فعله وليس ما به يكون الكافر كافرا مقصورا على فعله
تعالى بل قد دل الدليل على انه تعالى لا يفعل ذلك ولا خلقه ففرق الامران وفي الاية وجوه اخر وهو ان لا
يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفا على القردة والخنازير بل معطوفا على من لعنه الله وغضب
عليه تقدير الكلام من لعنه ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة والخنازير
وهذا هو الواجب لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفناه على القردة والخنازير لكنا قد
عطفنا على الاسم الاول عطفه على ما تقدم من الافعال وقال قوم يجوز ان يكون عبد الطاغوت معطوفا
على الهاء والميم في منهم فكانه جعل منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد حذف من في الكلام قال
الشاعر امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء اراد ومن يمدحه ومن ينصره فان قيل فهبوا
هذا التاويل ساغ في قراءة من قرا وعبد الطاغوت بالفتح اين انتم عن قراءة من قرا وعبد الطاغوت بفتح
العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت ومن قرا وعبد الطاغوت بضم العين والباء ومن قرا وعبد الطاغوت
بالفتح والتشديد ومن قرا وعباد الطاغوت قلنا المختار من هذه القراءات عند اهل العربية كلهم القراءة
بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الا حمزة فانه قرا وعبد بفتح العين وضم الباء وباقي القراءات شاذة غير ماخوذ
بها قال ابو اسحق الزجاج في كتابه في معاني القران عبد الطاغوت نسق على من لعنه الله قال وقد قرئت وعبد
الطاغوت وعبد الطاغوت والذي اختاره وعبد الطاغوت وروي عن ابن مسعود وعبد الطاغوت

فهذا

فهذا يقوي وعبد الطاغوت ومن قال وعبد الطاغوت بضم الباء وخفض الطاغوت فانه عند بعض
اهل العربية ليس بالوجه من جهتين احدهما ان عبد على فعل وليس هذا من امثلة الجمع لانهم فسروه بخدم
الطاغوت والثاني ان يكون محمولا على وجعل منهم عبد الطاغوت ثم خرج لمن قرا عبد وجها فقال
ان الاسم بني على فعل كما تقول رجل حذر اي مبالغ في الحذر فتاويل عبد انه بلغ الغاية في طاعة
الشيطان هذا كلام الزجاج وقال ابو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي محتجا لقراءة حمزة ليس عبد لفظ
جمع الا ترى انه ليس في ابنية الجموع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الاسماء
المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وكذلك قوله وعبد الطاغوت جاء على فعل لان هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يقظ
وندس فهذا كان تقديره انه قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا
لان عبدا في الاصل صفة وان كان قد استعمل استعمال الاسماء واستعمالهم اياه استعمال الاسماء لا يزيل
عنه كونه صفة الا ترى ان الابرق والابطح وان كانا قد استعملا استعمال الاسماء حتى كسرا هذا النحو
عندهم من التكسير في قولهم ابارق واباطح لم يزل عنه حكم الصفة يدلك على ذلك تركهم صرفه كتركهم
صرف احمر ولم يجعلوا ذلك كافكل وايدع فكذلك عبد فان كان قد استعمل استعمال الاسماء لم يخرج
ذلك عن ان يكون صفة واذا لم يخرج عن ان يكون صفة لم يمتنع ان يبنى بناء الصفات على فعل وهذا كلام
معتمد في الاحتجاج لحمزة فاذا صحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة وصح ايضا سائر ما روي
من القراءات التي حكاها السائل كان الوجه الاول الذي ذكرناه في الاية يزيل الشبهة عنها ويمكن في الاية
وجه اخر على جميع القراءات المختلفة في عبد الطاغوت وهو ان يكون المراد انه جعل منهم عبد الطاغوت
اي نسبهم اليه وشهد عليهم بكونهم من جملتهم وجعل مواضع قد تكون بمعنى الخلق والفعل كقوله تعالى وجعل
الظلمات والنور وكقوله وجعل لكم من الجبال اكنانا وهي ههنا تتعدى الى مفعول واحد وقد تكون ايضا
بمعنى التسمية والشهادة كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكقول القائل جعلت
البصرة بغداد وجعلتني كافرا وجعلت حسني قبيحا وما اشبه ذلك فهي ههنا تتعدى الى مفعولين
وللجعل مواضع اخر لا حاجة بنا الى ذكرها فكانه تعالى قال ونسب عبد الطاغوت اليهم وشهد انهم من
جملتهم فان قيل لو كانت جعل ههنا على ما ذكرتم لوجب ان تكون متعدية الى مفعولين لانها اذا لم
تتعد الا الى مفعول واحد فلا معنى لها الا الخلق قلنا هذا غلط من متوهمه لان جعل ههنا متعدية الى
مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم مقام المفعول الثاني عند جميع اهل العربية لان كل جملة تقع في خبر المبتدأ
فهي تحسن ان تقع في موضع المفعول الثاني لجعلت وظننت وما اشبههما وقد قال الشاعر ابالاراجيز
يا ابن اللوم توعدني وفي الاراجيز خلت اللوم والخور وقد فسر هذا على وجهين احدهما على الغا

والاول هو الخبر لان التقدير القوم ويجوز حسبتها ذي الاعلامية

خلت من حيث توسطت الكلام فتكون في الاراجيز على هذا في موضع رفع بانه خبر المبتدأ والوجه الثاني
على اعمال خلت فتكون في الاراجيز في موضع النصب من حيث وقع موقع المفعول الثاني وهذا بين لمن
تدبره قال السيد المرتضى علم الهدى قدس الله روحه وانشد ثعلب عن ابن الاعرابي: اما وابي للصبر في كل خلة
اقر لعيني من غنى وهي ذلة: واني لاختار الظما في مواطن: على بارد عذب في اغنى بغلة: واستر ذنب — الغلة العطش
الدهر حتى كانه: صديقي ولا اعتابه عنده زلة: ولست كمن كان ابن امي مقترا: فلما افاد المال عاد ابن
علة: فدابر حتى تقضى لو تبيننا: ولم اتملق من ناله ببلة: وكنت له عند الملمات عدة: اشد بمالي دونه
كل خلة: قال المرتضى رضي الله عنه الاولى في هذه القطعة اطلاقها الخلة الحاجة والخلة ايضا الخصلة
والخلة بالضم المودة والخلة ايضا بالضم ما كان حلوا من المرعى والخلة بالكسر ما يخرج من الاسنان بالخلال
والخليل الحبيب من المودة والمحبة والخليل ايضا الفقير وكلا الوجهين قد ذكرا في قوله تعالى واتخذ الله ابرهيم
خليلا ومنه حديث ابن مسعود تعلموا القران فانه لا يدري احدكم متى يختل اليه قال ابو العباس ثعلب يكون من
شيئين احدهما من الخلة التي هي الحاجة اي متى يحتاج اليه ويكون من الخلة وهي النبات الحلو ويكون معناه
تشتهي ما عنده تشبيها بالابل لانها ترعى الخلة فاذا ملتها عدلوا بها الى الحمض فاذا ملت الحمض اشتهت الخلة ومن — واذا
امثالهم جاوا مخلين فلاقوا حمضا اي جاوا مشتهين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا والخلة ايضا بنت المخاض والذكر
الخل ويقال جسم خل اذا كان مهزولا قال الشاعر: اسقنيها يا سواد بن عمرو: ان جسمي بعد خالي الخل
ويقال ايضا فصيل مخلول اذا شق لسانه حتى لا يرضع يقال خللته فهو خليل ومخلول ومثله اجررته قال
الشاعر: فلو ان قومي انطقتني رماحهم: نطقت ولكن الرماح اجرت: اي لم يعملوا في الحرب شيئا
فكنت افتخر بهم وقوله اقر لعيني من غنى وهي ذلة يقول الخصاصة مع الفقر احب الي من
الغنى مع الذل ومثله: اذا كان باب الذل من جانب الغنى: سموت الى العلياء من جانب الفقر: صبرت
وكان الصبر مني سجية: وحسبك ان الله اثنى على الصبر: وقوله واستر ذنب الدهر حتى كانه: صديقي اراد اني لا
اشكو ما يمسني به الدهر من خصاصة: بل استر ذلك واظهر التجمل حتى لا اسوء الصديق واسر العدو
وهذا المعنى اراد بقوله ولا اعتابه عنده زلة وقوله فلما افاد المال عاد ابن علة: والعرب تقول هم
بنو اعيان اذا كان ابوهم واحدا وامهم واحدة فاذا كان ابوهم واحدا وامهاتهم شتى قيل اولاد علات وفي
الحديث الماثور عن النبي صلى الله عليه واله انه قال الانبياء اولاد علات اي امهاتهم شتى وابوهم واحد وكنى
الشاعر بذلك عن التباعد والتقالي والتقاطع لان الاكثر في بني العلات ما ذكرناه وقوله فدابر ترى قطعته
وقوله لم اتملق من ناله ببلة والتملق يكون بالشفتين والتلمظ باللسان وكنى بذلك عن انه لم يصب من خيره شيئا — التلمظ
وصان نفسه عنه **مجلس آخر** تاويل اية ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تعالى الذي جعل لكم الارض
فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وما

قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء

الذي اثبت لهم العلم به فكيف يطابق وصفهم ههنا بالعلم لوصفهم بالجهل في قوله تعالى افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون الجواب قلنا هذه الاية معناها متعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمته
وعدد عليهم صنوف النعم التي ليست الا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وان العبادة انما تجب
لاجل النعم المخصوصة فقال جل من قائل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون
الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الى اخر الاية ونبه في اخرها على وجوب توحيده والاخلاص
له وان لا يشرك به شيء بقوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ومعنى قوله جعل لكم الارض فراشا اي يمكن
ان تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون
وقد استدل ابو علي بذلك بقوله تعالى جعل لكم الارض بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كروية الشكل
وهذا القدر لا يدل لانه يكفي في النعمة علينا ان تكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها
وليس يجب ان يكون جميعها كذلك معلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحا مبسوطا وان كان مواضع التصرف
منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون ان تكون في الارض بسائط وسطوح يتصرف عليها ويستقر فيها وانما
يذهبون الى ان جملتها شكل الكرة وليس له ان يقول قوله جعل لكم الارض فراشا يقتضي الاشارة الى جميع
الارض وجملتها لا الى مواضع منها لان ذلك تدفعه الضرورة من حيث انا نعلم بالمشاهدة ان فيها ما ليس
ببساط ولا فراش ولا شبهة في ان جعله السماء على ما هي عليه من الصفة مما له تعلق بمنافعنا ومصالحنا
وكذلك انزاله منها الماء الذي هو علة للذي تظهر به الثمرات فننتفع بنيلها والاغتذاء بها فاما قوله تعالى
فلا تجعلوا لله اندادا فان الند هو المثل والعدل قال حسان: اتهجوه ولست له بند: فشركما لخيركما
الفداء: فاما قوله تعالى وانتم تعلمون فيحتمل وجوها اولها ان يريد انكم تعلمون ان الانداد التي هي الاصنام
وما جرى مجراها التي تعبد من دون الله لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا بامثالها وانها
لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر ومعلوم ان المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام ما كانوا يدعون
ولا يعتقدون ان الاصنام خلقت السماء والارض من دون الله ولا معه تعالى فالوصف لهم ههنا بالعلم
انما هو لتاكيد الحجة عليهم وتقبيح لزومها لهم لانهم مع العلم بما ذكرناه يكون اضيق لعذرهم والوجه الثاني ان
يكون المراد بقوله وانتم تعلمون اي تعقلون وتميزون وتعلمون ما تقولون وتفعلون وتاتون
وتذرون لان من كان بهذه الصفة فقد استوفى شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن
النظر واصابة الحق ونظير ذلك قوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب وانما يخشى الله من عباده العلماء والوجه
الثالث ما قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره ان المراد بذلك اهل الكتاب من اهل التوراة والانجيل خاصة ومعنى
وانتم تعلمون اي انكم تعلمون انه اله واحد في التوراة والانجيل فعلى الوجهين الاولين لا تنافي بين هذه
الاية وبين قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون لان علمهم يتعلق بشيء وجهلهم بغيره وعلى

الوجه الآخر اذا جعل الآيات التي سئلنا عنها مختصة باهل الكتاب مكن أن يجعل الآية التي وصفوا فيها
بالجهل تتناول غير هؤلاء ممن لم يكن ذا كتاب يجد فيه بيان التوحيد وكل هذا واضح بحمد الله قال السيد
قدس الله روحه ومما يفسر من الشعر بتفاسير مختلفة والقول محتمل للكل قول امرئ القيس: وقد اغتدي
ومعي القانصان: وكل بمرباة مقتفر: فيدركنا فغم داجن: سميع بصير طلوب نكر: ألص
الضروس حني الضلوع: تبوع أريب نشيط أشر: فانشب اظفاره في النسا: فقلت هبلت
الا تنتصر: فكر اليه بمبراته: كما خل ظهر اللسان المجر: فظل يرنح في غيطل: كما يستدير الحمار النعر
قال ابن السكيت القانصان الصائدان والمرباة الموضع المرتفع يرباء فيه والمقتفر الذي يقتفر
آثار الوحش ويتبعها وقال غيره القانصان البازي والصقر والفغم الكلب الحريص على الصيد يقال ما أشد فغمه
أي ما أشد، فغمه أي ما أشد حرصه قال الأعشى: تؤم ديار بني عامر: وأنت بآل عقيل فغم: أي مولع
والداجن الذي يألف الصيد والسميع الذي اذا سمع حسا لم يفته والبصير الذي اذا رأى شيئا من
بعيد لم يكذبه بصره والتبوع الذي اذا اتبع الصيد ادركه ولم يعجز عن لحوقه والنكر المنكر الحاذق بالصيد
ويروى نكر بالفتح وقال ابن السكيت وغيره في قوله فانشب اظفاره في النسا اي فانشب الكلب اظفاره
في نسا الثور والنسا عرق في الفخذ معروف فقلت هبلت اي فقلت للثور هبلت الا تنتصر من
الكلب قالوا وهذا تهكم منه بالثور واستهزاء به والاصل في التهكم الوقوع على الشيء يقال تهكم البيت
اذا وقع بعضه على بعض ومعنى فكر عليه بمبراته اي بقرنه قال ابن السكيت وغيره يقال كر الثور بمبراته
اي بقرنه ومعنى كما خل ظهر اللسان المجر اي طعنه به كما يجر الرجل لسان الفصيل وهو أن يقطع طرف لسانه
أو يثقبه حتى لا يقدر على الشرب من خلف أمه وذلك اذا كبر واستغنى عن الشرب ومعنى فظل يرنح في
غيطل اي ظل الكلب يرنح اي يميد ويتمايل كالسكران والغيطل الشجر الملتف ويكون ايضا الجلبة
والصياح وقوله كما يستدير الحمار النعر فالنعر الذي يدخل في رأسه ذباب أزرق أو أخضر فيطيح
برأسه ويهزه فشبه الكلب في اضطرابه ونزوه بالحمار النعر قال ابن مقبل: ترى النعرات الزرق تحت
لبانه: أحاد ومثنى أصعقتها صواهله: وقال احمد بن عبيد القانصان الفرس وصاحبه والحجة في
أن الفرس يسمى قانصا قول عدي بن زيد: تقنص بك الخيل وتصطاد لك الطير ولا تنكع لهو القنيص
لا يمنع ويقال لا تنكع قال وقوله فانشب اظفاره في النسا معناه فانشب الكلب اظفاره في نسا الثور
فقلت لصاحب الفرس او لغلامي الممسك للفرس هبلت الا تدنو الى الثور فتطعنه فقد امسكه
عليك الكلب قال ومحال ان يكون امرؤ القيس اغرى الثور بقتل كلبه لان امرأ القيس يفتخر بالصيد ويصف
في اكثر شعره انه مرزوق منه مظفر فيه كقوله: اذا ما خرجنا قال ولدان اهلنا: تعالوا الى ان يأتي
الصيد نحطب وكقوله: مطعم للصيد ليس له: غيره كسب على كبره: فمحال على هذا ان يغري الثور بقتل

كلبه

كلبه قال وتأويل الا تنتصر الا تدنو من الثور والدليل على أن تنتصر بمعنى تدنو قول الراعي: وانى غنى
في وادي جلاميد بعدما: علا البيد ساق في الهيطة المتناصر: اي المتداني وقال مضرس بن ربعي
فانك لا تعطي امرأ حظ غيره: ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره: اي دان منه ومعنى ألص الضروس
اي بعض اسنانه ملتصق ببعض وحني الضلوع اي منحني الضلوع غالبها ويروى حنى الضلوع بالنون
اي منحنيها ويقال ان الضلوع اذا تقوست كان اوسع لجوفه واقوى له ويروى خفي الضلوع اي ضلوعه
خفية داخلة في جنبه ومعنى فظل يرنح اي ظل الثور يرنح في غيطل لما طعنه صاحب الفرس وقد يجوز ايضا
ان يكون يرنح الثور بظفر الكلب به ولانه انشب اظفاره فيه وكل ذلك محتمل ومما يحمل ايضا على وجوه مختلفة
قول امرئ القيس: فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها: لما نسجتها من جنوب وشمال: قال قوم معناه لم يدرس
رسمها لنسج هاتين الريحين فقط بل درست لتتابع الرياح والامطار والدليل على هذا قوله في البيت
الآخر: فهل عند رسم دارس من معول: وقال آخرون معنى لم يعف اي لم يدرس فالرسم على هذا القول
هو باق غير دارس اي فهل عند رسم دارس في المستقبل وان كان الساعة موجودا غير دارس وقال آخرون
معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني انه لم يدرس اثرها لما نسجتها بل هي بواق ثوابت فنحن نحزن لها ونجزع
عند رؤيتها ولو عفت ومحت لاسترحنا وهذا مثل قول ابن احمر: الا ليت المنازل قد بلينا: فلا يرمين عن
شزن حزينا: ومثل قول الآخر: الا ليت الديار التي تحزننا: كانت تبين اذا ما اهلها بانوا: وكيف يكون قوله فهل
عند رسم دارس من معول نقضا لهذا انما هو كقولك درس كتابك اي ذهب بعضه وبقي بعض وقال
ابو بكر العبدي معناه لم يعف رسمها من قلبي وهو دارس الموضع فلم يتناول قوله لم يعف ما تناوله قوله
فهل عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتناقض الكلام وقال آخرون اراد بقوله لم يعف لم يدرس ثم اكذب
نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول كما قال زهير: قف بالديار التي لم يعفها القدم: بلى وغيرها
الارواح والديم: وكما قال الآخر: فلا تبعدن يا خير عمرو بن مالك: بلى ان من زار القبور ليبعدا: اراد
ليبعدن فابدل الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت زهير ليس يجب فيه ما توهم من المناقضة
والتكذيب لانه يمكن ان يحمل على ما ذكرناه في احد الوجوه المتقدمة من انه اراد ان رسمها لم يعف ولم يبطل كله
وان كان قد غيرت الديم والارواح بعضه واثرت في بعض فاما البيت الثاني فلا حجة فيه لانه لم يتضمن
اثباتا ونفيا وانما دعا له ان لا يبعد ثم رجع الى قوله بلى انه ليبعد من زار القبور وما يدعى غير واجب ولا
ثابت فكيف يناقض البيت الثاني ويمكن في البيت وجه آخر وهو ان يكون معنى لم يعف رسمها اي لم يزد الترسم
ويكثر فيظهر حتى يعرفه المترسم ويتبينه المتأمل بل هو خاف غير لائح ولا ظاهر ثم قال من بعد فهل عند رسم
دارس فلم يناقض الاول لانه قد اثبت الدروس له في كلا الموضعين ولا شبهة في ان عفا من حروف الاضداد
التي تستعمل تارة في الدروس واخرى في الزيادة والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا ويقال قد عفا

الشعر إذا كثر قال الشاعر: ولكنا نعض السيف منها ... بأسوق عافيات اللحم كوم. أراد كثيرات اللحم ويقال
قد عفا وبر البعير إذا زاد ويقال أعفيت الشعر وعفوته إذا كثرته وزدت فيه وأمر رسول الله صلى الله
عليه وآله بأن تحفى الشوارب وأن تعفى اللحى أي توفر وهذا الوجه أشبه عندي مما تقدم مجلس آخر
تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت
إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فقال من هرون الذي نسبت إليه مريم إلى أنها أخته ومعلوم
أنها لم تكن أختا لهرون أخي موسى عليهما السلام وما معنى من كان في المهد صبيا ولفظة كان تدل على ماض
من الزمان وعيسى عليه السلام في حال قولهم ذلك كان في المهد الجواب قلنا أما هرون هذا الذي نسبت إليه
مريم قد قيل فيه أقوال منها أن هرون المذكور في الآية كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر وفساد
الطريقة فلما أنكروا ما جاءت به من الولد ظنوا بها ما هي بريئة منه من الشر نسبوها إلى هذا الرجل
تشبيها وتمثيلا وكان تقدير الكلام يا شبيهة هرون في فسقه وقبح فعله وهذا القول يروى عن سعيد
بن جبير ومنها أن هرون هذا كان أخاها لأبيها دون أمها وقيل إنه كان أخاها لأبيها وأمها وقيل إنه
كان رجلا معروفا بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتأله وقيل إنه لم يكن أخاها على الحقيقة بل كان رجلا
صالحا من قومها وأنه لما مات شيع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون من بني إسرائيل فلما أنكروا
ما ظهر من أمرها قالوا يا أخت هرون أي يا شبيهته في الصلاح ما كان هذا معروفا منك ولا كان والداك
ممن يفعل القبيح ولا يتطرق عليه الريب وعلى قول من قال إنه كان أخاها يكون معنى قولهم إنك من أهل بيت
الصلاح والسداد لأن أباك لم يكن امرأ سوء ولا كانت أمك بغيا وأنت مع ذلك أخت هرون المعروف
بالصلاح والعفة فكيف أتيت بما لا يشبه نسبك ولا يعرف من مثلك ويقوي هذا القول ما رواه المغيرة
بن شعبة قال لما أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أهل نجران قال لي أهلها أليس نبيكم يزعم أن هرون
أخو موسى وقد علم الله ما كان بين عيسى وموسى من السنين فلم أدر ما أرد عليهم حتى رجعت إلى النبي صلى الله
عليه وآله فذكرت له ذلك فقال لي فهلا قلت إنهم كانوا يدعون بأنبيائهم والصالحين قبلهم ومنها أن
يكون معنى قوله يا أخت هرون يا من هي من نسل هارون أخي موسى كما يقال للرجل يا أخا بني تميم ويا أخا
بني فلان وذكر مقاتل بن سليمان في قوله يا أخت هرون قال روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال هرون
هذا الذي ذكروه هو هارون أخو موسى عليهما السلام قال مقاتل وتأويل يا أخت هارون يا من هي من
نسل هرون كما قال تعالى وإلى عاد أخاهم هودا وإلى ثمود أخاهم صالحا يعني أخاهم أنه من نسلهم وجنسهم وكل قول
من هذه الأقوال قد اختاره قوم من المفسرين فأما قوله تعالى من كان في المهد صبيا فهو كلام مبني على الشرط
والجزاء مقصود به أن المعنى من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه ووضع في ظاهر اللفظ الماضي موضع المستقبل
لأن الشرط والجزاء لا يكونان إلا فيما يستقبل فيقول القائل إن زرتني زرتك يريد إن تزرني أزرك قال الله

تعالى

تعالى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك يعني إن يشأ يجعل لك وقال قطرب معنى كان ههنا معنى صار فكأن
المعنى كيف نكلم من صار في المهد صبيا ويشهد بذلك قول زهير: أجزت إليه حرة أرحبية ... وقد كان لون
الليل مثل الأرندج ... وتكون كان التامة بمعنى وجد وحدث وقال قوم لفظة كان قد يراد بها الماضي فقد
يراد بها الحال والاستقبال كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أي أنتم كذلك وقوله عز وجل
هل كنت إلا بشرا رسولا وقوله وكان الله عليما حكيما وإن كان قد قيل في هذه الآية الأخيرة غير ذلك
قيل إن القوم شاهدوا من آثار علمه تعالى وحكمته ما شاهدوا فأخبرهم أنه لم يزل عليما حكيما أي فلا
تظنوا أنه استفاد علما وحكمة لم يكن عليهما ومما يقوي مذهب من وضع الماضي في موضع الحال والاستقبال قوله
تعالى وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم وقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار وقولهم في الدعاء
غفر الله لك وأطال بقاك وما جرى مجرى ذلك معنى الكل يفعل الله ذلك بك إلا أنه لما أمن من
اللبس وضع لفظ الماضي في موضع المستقبل قال الشاعر: فأدركت من قد كان قبلي ولم أدع ... لمن بعدكم
في الفضائل مصعدا. أراد لمن يكون بعدي ومما جعلوا فيه المستقبل موضع الماضي قول الصلتان
العبدي يرثي المغيرة بن المهلب: قل للقوافل والغزاة إذا غزوا ... والباكرين وللمجد الرائح: إن الشجاعة
والسماحة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح: فإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الجلاد وكل طرف
سابح: وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دم وذبائح: معناه فلقد كان كذلك تأويل خبر
إن سأل سائل كيف يطابق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لا عدوى ولا هامة ولا طيرة
وأنه قيل له إن النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الإبل فقال عليه السلام فما أعدى الأول لما روي
عنه عليه السلام من قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله فر من المجذوم فرارك من الأسد وأن رجلا
مجذوما أتاه ليبايعه بيعة الإسلام فأرسل إليه بالبيعة وأمره بالانصراف ولم يأذن عليه السلام
له وروي عنه عليه السلام أنه قال الشوم في المرأة والدار والدابة وظواهر هذه الأخبار متنافية
متناقضة فبينوا وجه الجمع بينها الجواب قلنا إن ابن قتيبة سأل نفسه عن اختلاف هذه الأخبار وأجاب عن
ذلك بما نذكره على وجهه ونذكر ما عندنا فيه فإنه خلط وأتى بما ليس بمرضي قال إن لكل من هذه الأخبار
معنى وموضعا فإذا وضع موضعه زال الاختلاف قال والعدوى جنسان أحدهما عدوى الجذام فإن
المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته ومؤاكلته وكذلك المرأة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في شعار
واحد فيوصل إليها الأذى وربما جذمت وكذلك ولده ينزعون في الكبر إليه وكذلك من كان به سل
ودق والأطباء تأمر بأن لا يجالس المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وإنما
يريدون به تغير الرائحة وأنها تسقم من أطال اشتمامها والأطباء أبعد الناس من الإيمان بيمن
وشوم وكذلك النقبة تكون بالبعير وهي جرب رطب فإذا خالط الإبل وحاكها وصل إليها بالماء الذي

الأرندج جلود سود

لفظ الماضي [illegible]

يسيل منه نحو اما بيه فهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله لا يوردن ذو عاهة على مصح قال وقد ذهب قوم الى انه اراد بذلك ان لا يظن الذي نال ابله من ذوات العاهة فيها ثم قال وليس لهذا عندي وجه لانا نجد الذي خبرتك به عيانا قال واما الجنس الآخر من العدوى فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون وحكى عن الاصمعي عن بعض البصريين انه هرب من الطاعون فركب حمارا ومضى باهله نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول لن يسبق الله على حمار ولا على ذي منعة مطار او ياتي الحتف على مقداره قد يصبح الله امام الساري وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا كان بالبلد الذي انتم فيه الطاعون فلا تخرجوا منه وقال ايضا اذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله لا تخرجوا من البلد اذا كان فيه كانكم تظنون ان الفرار من قدر الله تعالى ينجيكم ويريد بقوله اذا كان ببلد فلا تدخلوه ان مقامكم بالبلد الذي لا طاعون فيه اسكن لانفسكم واطيب لعيشكم قال ومن ذلك المراة تعرف بالشوم والدار فينال الرجل مكروه او جائحة فيقول اعدتني بشومها قال فهذا هو العدوى الذي قال النبي عليه السلام لا عدوى فاما الحديث الذي رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الشوم في المراة والدار والدابة فان هذا يتوهم فيه الغلط على ابي هريرة وانه سمع فيه شيئا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعه وروى ابن قتيبة خبرا رفعه الى ابي حسان الاعرج ان رجلين دخلا على عائشة فقالا ان ابا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال انما الطيرة في المراة والدار والدابة فطارت شقعا ثم قالت كذب والذي نزل الفرقان على ابي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وانما قال رسول الله صلى الله عليه وآله كان اهل الجاهلية يقولون الطيرة في المراة والدار والدابة ثم قرات ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها وروى خبرا يرفعه عن انس بن مالك قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله انا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرت فيها اموالنا ثم تحولنا منها الى اخرى فقلت فيها اموالنا وقل عددنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذروها وهي ذميمة قال ابن قتيبة ليس هذا ينقض الحديث الاول وانما امرهم بالتحول منها لانهم كانوا مقيمين فيها على استثقال لظلها واستيحاش لما نالهم فيها فامرهم بالتحول عنها وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه وان كان لا سبب له في ذلك وحب من جرى على يده الخير لهم وان لم يردهم به وبغض من جرى على يده الشر لهم وان لم يردهم به قال [illegible] قدس الله روحه ما وجدنا ابن قتيبة عمل شيئا اكثر من انه لما اعجزه تاويل الاخبار التي سال نفسه عنها والمطابقة بينها وبين قوله عليه السلام لا عدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيهما وظاهرهما العموم وخص العدوى بشيء دون شيء وكلاهما سواء واوردنا وبلا بد فعنده نص قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للاعرابي لما سال عن النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل قال فما اعدى الاول تكذيبا للعدوى هذه

النقبة وتاثيرها فاطرح ابن قتيبة ذلك وزعم ان الجرب يعدي ويؤثر في المخالط والمواكل وحكى في ذلك على قول الاطباء وترك قول الرسول صلى الله عليه وآله ومن طريف امره قال ان الاطباء ينهون عن مجالسة المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تغير الرائحة وانها تسقم من ادمن اشتمامها وهذا غلط منه لان الاطباء انما نهت عن ذلك خوفا من العدوى وسبب العدوى عندهم هو اشتمام الرائحة وانفصال الاجزاء من السقيم الى الصحيح وليس اذا كان غير هذا عدوى عند قوم يوجب الا ان يكون هذا ايضا من العدوى ولما حكى عن غيره تاويلا صحيحا في قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح ادعى ان العيان يدفعه واي عيان معه ونحن نجد كثيرا ممن يخالط الجربى فلا يجرب ونجد ابلا صحاحا تخالط ذوات العاهات فلا يصيبها شيء من ادوائها وكانه انما يدعي ان العيان يدفع قول النبي صلى الله عليه وآله فما اعدى الاول والوجه عندنا في قوله عليه السلام لا يوردن ذو عاهة على مصح انه عليه السلام انما نهى عن ذلك وان لم يكن مؤثرا على الحقيقة لان فاعله كالمدخل الضرر على غيره لان من اعتقد ان ذلك يعدي ويؤثر فاورد على ابله فلا بد من ان يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم ولا بد من ان يتهم من عامله بذلك فكانه عليه السلام نهى عن اذى الناس والتعرض لذمهم وقد يجوز ايضا فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره مما لم يرتضه من انهم متى ظنوا ذلك اثموا فنهى عليه السلام عن التعرض لما يؤثم ولو نقل ابن قتيبة ما قاله عليه السلام في الطاعون اذا كان ببلد فلا تدخلوه وامره لمن شكا اليه ما لحقه في الدار بالتحول عنها لكان قد اصاب لانه حمل ذلك على ان تجنب البلد اسكن للنفس واطيب للعيش وكذلك الدار وهذا يمكن في قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح بعينه فاما قوله فر من المجذوم فرارك من الاسد فليس فيه ان ذلك لاجل العدوى وقد يمكن ان يكون لاجل نتن ريحه واستقذاره ونفور النفس عنه ولان ذلك ربما دعا الى تعييره والازراء عليه وامتناعه عليه السلام من ادخال المجذوم عليه ليبايعه يجوز ان يكون الغرض فيه غير العدوى بل بعض الاسباب المانعة التي ذكرنا بعضها واما حديث الطاعون فالقول فيه على ما قاله وقد كان سبيله لما عول في عدوى الجذام والجرب على قول الاطباء ان يرجع ايضا الى قولهم في الطاعون لانهم يقولون ان الطاعون الذي يعرض من تغير الاهوية وما جرى مجراها يعدي كعدوى الجرب والجذام والعيان الذي ادعاه ليس هو اكثر من وجوده من يجرب ويجذم بمخالطة من كان بهذه الصفة وهذا العيان موجود في الطاعون فانا نرى عمومه لمن يسكن البلد الذي يكون فيه ويطرا اليه فاما الخبر الذي يتضمن ان الشوم في المراة والدار والدابة فالذي نذكره من الوجوه في معناه يزيل الشبهة به على انه لو لم تكن ههنا رواية في تاويله جاز ان يحمل على ان الذي يتطير به المتطيرون ويدعون ان الشوم فيه هو المراة والدار والدابة ولا يكون ذلك اثباتا للطيرة والشوم

روي عن عمر [illegible] كان [illegible]

قوله تعالى وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا

في هذه الاشياء بل على طريق الاخبار بان الطيرة الثابتة انما هي فيما القوة امرها عند اصحاب الطيرة وما ذكره بعد ذلك في الدار والمرأة والفرس عليه السلام بانتقاله عنها تاويل قريب وكان يجب ان يهتدي اليه فيما تقدم وما التوفيق الا من عند الله تعالى مجلس آخر تاويل آية ان سأل سائل فقال ما تاويل قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم او ليس ظاهر هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه وانتم تمنعون من ذلك الجواب قلنا ليس في الآية اكثر من ذكر الحجاب وليس فيها انه حجاب له تعالى او لمحل كلامه او لمن يكلمه واذا لم يكن في الظاهر شيء من ذلك جاز صرف الحجاب الى غيره عز وجل مما يجوز ان يكون محجوبا وقد يجوز ان يريد بقوله او من وراء حجاب انه يفعل كلاما في جسم محتجب عن المكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله على سبيل التفصيل فيقع على هذا هو مكلم من وراء حجاب وروى عن مجاهد في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قال هو داود عليه السلم اوحي في صدره فزبر الزبور او من وراء حجاب هو موسى او يرسل رسولا وهو جبرئيل ارسل الى محمد صلى الله عليه وآله فاما الجبائي فانه ذكر ان المراد بالآية وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بمثل ما يكلم به عباده من الامر بطاعته والنهي عن معاصيه وتنبيههم على ذلك من جهة الخاطر او المنام وما اشبه ذلك على سبيل الوحي قال وانما سمى الله تعالى ذلك وحيا لانه خاطر وتنبيه وليس هو كلاما على سبيل الافصاح كما يفصح الرجل منا لصاحبه اذا خاطبه والوحي في اللغة انما هو ما جرى مجرى الايماء والتنبيه على شيء من غير ان يفصح به فهذا هو ما ذكره الله تعالى في الآية قال وعنى بقوله او من وراء حجاب انه يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد ان يكلمه به نحو كلامه تعالى لموسى عليه السلام لانه حجب ذلك عن جميع الخلق الا عن موسى عليه السلم وحده في كلامه اياه اولا واما كلامه له في المرة الثانية فانه انما اسمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه وحجب عن جميع الخلق سواهم فهذا معنى قوله تعالى او من وراء حجاب لان الكلام هو الذي كان محجوبا عن الناس وقد يقال انه حجب عنهم موضع الكلام الذي اقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من اين يسمعونه لان الكلام عرض لا يقوم الا في جسم ولا يجوز ان يكون اراد بقوله او من وراء حجاب ان الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباده لان الحجاب لا يجوز الا على الاجسام المحدودة قال وعنى بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ارسال ملائكته بكتبه وبكلامه الى انبيائه عليهم السلم ليبلغوا ذلك عنه عباده على سبيل انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وآله ولوا انزله على سائر الكتب على انبيائه فهذا ايضا ضرب من الكلام الذي يكلم الله تعالى به عباده ويامرهم فيه بطاعته وينهاهم عن معاصيه من غير ان يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذي ذكر في اول الآية لانه قد افصح لهم في هذا الكلام بما امرهم به ونهاهم عنه والوحي الذي ذكره في اول هذه الآية انما هو تنبيه وخاطر وليس فيه افصاح وهذا

الكلام

الكلام الذي ذكره ابو علي ابن الحسن قريب والكلام محتمل لما ذكره ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد بالحجاب البعد والخفاء ونفي الظهور وقد تستعمل العرب لفظة الحجاب فيما ذكرناه فيقول احدهم لغيره اذا استبعد فهمه واستبطاه فطنته بيني وبينك حجاب ويقول في الامر الذي يستبعده ويستصعب طريقه بيني وبين هذا الامر حجب وموانع وسواتر وما جرى مجرى ذلك فيكون معنى الآية انه تعالى لا يكلم البشر الا وحيا بان يخطر في قلوبهم او بان ينصب لهم ادلة تدلهم على ما يريده او يكرهه منهم فيكون من حيث نصبها للدلالة على ذلك والارشاد اليه مخاطبا او مكلما للعباد بما يدل عليه وجعل هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعا كما يسمع الخاطر وقول الرسول صلى الله عليه وآله ولا ظاهرا معلوما لكل من ادركه كما ان اقوال الرسل المؤدين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة فصار الحجاب ههنا كناية عن الخفاء وعبادة عما تدل عليه الدلالة وليس لاحد ان يقول ان الذي تدل عليه الاجسام من صفاته تعالى واحواله ومراده ولا يقال انه مكلم لنا به وذلك انه غير ممتنع على سبيل التجوز ان يقال فيما يدل عليه الدليل الذي نصبه ليستدل ويرشد اليه انه مكلم لنا ومخاطب به ولا يمتنع المسلمون ان يقولوا انه تعالى خاطبنا بما دلت عليه الادلة العقلية وامرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل ما اراده وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا يدل على امر من الامور وقد خاطبنا فلان بما فعل من كذا وكذا وقال لنا وامرنا وزجرنا وما اشبه ذلك من الالفاظ التي يجرونها على الحقيقي وهذا الاستعمال اكثر واظهر من ان نورد امثلته ونظائره قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن ما قيل في الذئب قول اسماء بن خارجة بن حصن الفزاري ولقد الم بنا لنقربه بادي الشقاء محارف الكسب يدعو الغنى ان نال علقته من مطعم غبا الى غب وطوى ثميلته والحقها بالصلب بعد لدونة الصلب يا ضل سعيك ما صنعت بما جمعت من شب الى دب لو كنت ذا لب تعيش به لفعلت فعل المرء ذي اللب وجمعت صالح ما احترفت به وما جمعت من نهب الى نهب والهم شغبا تذل به فلقد منيت بغاية الشغب اوكان غير مناصل نعصى بها مشحوذة ودكايب الركب فاعمد الى اهل الوقير فما يخشاك غير مقرمص الزرب احسبتنا ممن تطيف به فاخترتنا للامن والخصب وبغير معرفة ولا سبب اني وشغبك ليس من شعبي لما رأى ان ليس نافعه جد تهاون صادق الادب واللح الحاحا لحاجته شكوى الضرير ومزجر الكلب بادي التكلح يشتكي شغبا وانا ابو ثائل سدة التغب فرايت ان قد نلته باذى من عذم مثلبة ومن سب ورايت حقا ان اضيفه اذ ام سلمي واتقى حربي فوقفت معتاما ازاولها بمهند ذي رونق عضب فعرضته في ساق اسمنها فاجتاز بين الحاذ والكعب فتركتها لعياله جزرا عمدا وعلق رحلها صحبي ذكر ذيبا طرقه ليلا وقوله محارف الكسب مثل ضربه اي لا يبقى لكسب الاشيء يكتسبه وقوله يدعو الغنى ان نال علقته اي ان وجد ما يتعلق به من مطعم غبا اي بين يومين فذلك عنده الغنى والثميلة ما يبقى في البطن من طعام او علف ومعنى

طوى ثمانية ذهب بها واراد انه لم يبق في بطنه ما يمسكه واللدد وتر اللين واللدن اللين فاذا انا بالحي بفتية
طعام بطلبه بعد ان لان ما صلب منها ثم اقبل على الذئب كالعاذل له فقال ما صنعت بما جمعت
من شب الى دب وهذان اسمان للشباب والهرم لا يفردان ولا يلفظ بهما الا هكذا والمعنى فيهما هو
منذ كنت شابا حتى دببت على العصا ثم قال لو كنت ذا لب لجمعت ما تصيبه ومعنى احترقت الكتب
ومعنى من نهب لى نهب اى من عدونك على الغنم الى العدوة الاخرى ثم قال ان كان تعرضك لنا
شغبا علينا فقد منيت بغاية الشغب اى هو بنا فوقك ونقابلك وليس ههنا ما تغير عليه وانما معنى
مناصل اى سيوف مشحوذة وركابنا التي نمتطيها فاعمد الى اهل الوقير والوقير القطيع من الغنم
ولا يسمى وقيرا الا اذا كان فيه حمار يقول فعليك بمواضع الغنم فانما يحشاك الراعي والمقرمص الذي
يتخذ القرموصة واصله المكان الضيق وهو ههنا حفرة يحفرها الراعي في الرمل في شدة الحر للشاة الكريمة
الصفية حتى اذا بركت كان ضرعها في القرموصة ومعنى شعبك ليس من شعبي اي لست من جنسي ولا
شكلي والارب الخديعة عند الحاجة وشكوى الضر بالذي قلمته الضر ومزجر الكلب اي هو منا
قريب المكان بقدر مزجر الكلب اذا خسأته والسغب الجوع واراد بقوله وانا ابن قاتل شدة السغب
اي ابن من كان يقري ويطعم ثم رجع الى كرمه فقال رايه بعد ان سببته وغضضته بالاذى والعذل
انا ضيفه واقربه لانه ضيف وان كان ذئبا فوقفت انظر في ركابي واختار اسمنها والاعتيام الاختيار
وارادوا لها الانسها والحاذان حد الفخذين اللذان يليان الذنب وخبر انه رحل المطية التي عقرها
علقه بعض اصحابه على مطية اخرى وقال النجاشي يذكر ذئبا وماء كلون الغسل قد عاد آجنا قليل
به الاصوات في بلد محل وجدت عليه الذئب يعوي كانه خليع خلا من كل مال ومن اهل فقلت
له يا ذئب هل لك في فتى يواسي بلا من عليك ولا بخل فقال هداك الله للرشد انما دعوت لما لم
يأته سبع قبلي فلست بآتيه ولا استطيعه ولاك اسقني ان كان ماؤك ذا فضل فقلت عليك الحوض
اني تركته وفي صغوه فضل القلوص من السجل فطرب يستعوي ذئابا كثيرة وعديت كل من هواه على
شغل وروى ان الفرزدق نزل بالغريين فعواه باعلى ناديه ذئب معقبا يصيح ومع الفرزدق
مسلوخة ومسح السبيد فاكلها فرمى اليه ما بقي فاكله فلما شبع ولى عنه فقال وليلة بتنا بالغريين ضافنا
على الزاد موشي الذراعين اطلس تلمسنا حتى اتانا ولم يزل لدن فطمته امه يتلمس فلو انه اراد
جاءنا كان دانيا لالبسته لو انه كان يلبس ولكن تنحى جنبة بعد ما دنا فكان كعاب العوسق
هو انفس فقاسمته نصفين بيني وبينه بقية زادي والركائب نعس وكان ابن ليلى اذ قرى الذئب
زاده على طارق الظلماء لا يتعبس ولابن عنقاء الفزاري واسمه قيس بن بجرة وقيل بجرة بالضم الابيات
المشهورة في الذئب وهي واعوج من آل الصريح كانه بذي الشث سيد آب والليل جانح يغير كسبه

المراف

المراف الجبل كانه وابس به تطلع من الخمص طالع فلما اتاه الرزق من كل وجهة جنوب الملا وايئسته
المطامع طوى نفسه طي الحرير كانه حوى حية في ربوة فهو هاجع فلما اصابت متنه الشمس حكه
باعصل في انيابه السم ناقع وفكك لحييه فلما تعادنا صاى ثم اقعى والبلاد بلاقع وهم بامر ثم
ازمع غيره وان ضاق رزق مرة فهو واسع وعارض اطراف الصبا وكانه رجاع غدير هزه الريح
رائع فقلت تعلم انني غير نائم الى مستقل بالخيانة انيبا بعيد المطاف لا يهند على الغنى ولا يأتلي
ما استطاع ان يتكسبا معنى انيب اي غليظ الناب لا انام اليه اي لا اثق به من ذلك استنمت الى فلان
اي اطمانت اليه ومعنى لا يهند على الغنى اي لا يلتمس مطمعا وهو شبعان ولحميد بن ثور في الذئب فظل
يراعي الجيش حتى تغيبت حناش وحالت دونه الاجارع اذا ما غدا يوما رايت غيابة من الطير
ينظرن الذي هو صانع خفيف المعا الا مصيرا يبله دم الجوف او سؤر من الحوض ناقع هو
البعل الداني من الناس كالذي له صحبة وهو العدو المنازع ينام باحدى مقلتيه ويتقي باخرى
المنايا فهو يقظان هاجع وصف انه يتبع الجيش طمعا في ان يتخلف رجل فيثب عليه لانه من بين السباع
لا يرغب في القتلى ولا يكاد ياكل الافريسة وحناش اسم هضبة وقال بعضهم وليس بمعروف ان حناش
اسم من اسماء الشمس واخبر انه تتبعه لتصيب مما يقتل والمصير المعا والبعل الدهش **مجلس آخر** تاويل آية
ان سال سائل عن قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن
تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين فقال ما انكرتم ان تكون هذه
الآية دالة على جواز الرؤية عليه عز وجل لانها لو لم تجز لم يجز ان يسألها موسى عليه السلم كما لا يجوز ان
يسال اتخاذ الصاحبة والولد ولو كانت ايضا الرؤية مستحيلة لم تعلقها ايضا بامر يصح ان يقع وهو
استقرار الجبل فانا علمنا استقرار الجبل في موضعه فيجب ان تكون الرؤية ايضا صحيحة وفي حكم ما يتعلق
به وقوله فلما تجلى ربه للجبل يقتضي جواز الحجاب عليه لان التجلي والظهور لا يكون الا بعد احتجاب واستتار
الجواب قلنا اول ما نقوله انه ليس في مسئلة الشيء دلالة على صحته ووقوعه ولا جوازه لان السائل ربما سال عن الصحيح
والمحال مع العلم وفقد العلم لاغراض مختلفة فلا دلالة في ظاهر مسالة الرؤية على جوازها ولاصحابنا عن
هذه الاية اجوبة اولها وهو الاولى والاقوى ان يكون موسى عليه السلم لم يسال الرؤية لنفسه وانما سالها
لقومه فقد روي انهم طلبوا ذلك منه والتمسوه واجابهم بانه لا يجوز عليه تبارك وتعالى فلم يقنعوا بجوابه
وآثروا ان يرد الجواب من قبل ربه تعالى فوعدهم بذلك وغلب في ظنه ان الجواب اذا ورد من جهته عز
وجل كان احسم للشبهة وابلغ في دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بمحضر
منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسال واجيب بما يدل على ان الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوى هذا الجواب

اشيا منها قوله تعالى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما فقد سألوا موسى اكبر من ذلك
فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ومنها قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ومنها قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو
شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان اضافة ذلك الى السفهاء تدل على انه
كان بسببهم ومن اجلهم وانما سألوا ما لا يجوز عليه تعالى ومنها ذكر الجهرة في الرؤية وهي لا تليق الا
برؤية البصر دون العلم وهذا يقوى ان الطلب لم يكن للعلم الضروري على ما سنذكره في الجواب الثاني
ومنها قوله انظر اليك لانا اذا حملنا الاية على طلب الرؤية للقوم امكن ان نحمل قوله انظر اليك على حقيقته
واذا حملت الاية على طلب العلم الضروري احتيج الى حذف في الكلام وتصير تقديره ارني انظر الى
الايات التي عندها اعرفك ضرورة ويمكن في هذا الوجه الاخير خاصة ان يقال اذا كان المذهب
الصحيح عندكم هو ان النظر في الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله انظر اليك على حقيقته في جواب من حمل
الاية على الطلب للرؤية لقومه فان قلتم لا يمتنع ان يكونوا التمسوا الرؤية التي معها يكون النظر والتحديق الى
الجهة فسأل على حسب ما التمسوا قيل لكم هذا ينقض فرقكم في هذا الجواب بين سؤال الرؤية وبين سؤال
جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضي الجسمية بان يقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من صحة
معرفة السمع والشك في جميع ما ذكرتم يمنع من ذلك لان الشك الذي لا يمنع من معرفة السمع انما هو في الرؤية
التي لا يكون معها نظر ولا تقتضي التشبيه فان قلتم نحمل ذكر النظر على ان المراد به نفس الرؤية على سبيل
المجاز لان من عادة العرب ان يسموا الشي باسم الطريق اليه وما قاربه وداناه قلنا فكانكم عدلتم
من مجاز الى مجاز فلا قوة في هذا الوجه والوجوه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدم اولى
وليس لاحد ان يقول لو كان عليه السلام انما سأل الرؤية لقومه لم يضف السؤال الى نفسه فيقول ارني
انظر اليك ولا كان الجواب مختصا به وهو قوله تعالى لن تراني وذلك انه غير ممتنع وقوع الاضافة
على هذا الوجه مع ان المسألة كانت من اجل الغير اذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة
فلهذا يقول احدنا اذا شفع في حاجة غيره للمشفوع اليه اسالك ان تفضل لي كذا وتجيبني الى كذا
ويحسن ان يقول المشفوع اليه قد اجبتك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك وانما حسن هذا لان
للسائل في المسألة غرضا وان رجعت الى الغير فتحققه بحقيقتها وتكلفه كتكلفه لها اذا اختص ولم يتعده
فان قيل كيف يجوز منه عليه السلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى ان يسال فيها القوم ولئن جاز
ذلك ليجوزن ان يسال لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسما وما اشبهه متى شكوا فيه قلنا انما
صح ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيما سالت عنه لان مع الشك بجواز الرؤية التي لا تقتضي كونه جسما يمكن
معرفة السمع وانه حكيم صادق في اخباره فيصح ان يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا

في

في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما لا تصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقد قال
بعض من تكلم في هذه الاية قد كان جائزا ان يسال موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استحالته وان كانت
دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفين في الدين وان ورود
الجواب يكون لطفا لهم في النظر في الادلة واصابة الحق منها غير ان من اجاب بذلك شرط ان يبين النبي
عليه السلام في مسألته علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفا
والجواب الثاني في الاية ان يكون موسى عليه السلام انما سأل ربه ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار
بعض اعلام الاخرة التي تضطر الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغني عن الاستدلال
فتخف المحنة عليه بذلك كما سأل ابرهيم عليه السلام ربه ان يريه كيف يحيي الموتى طلبا لتخفيف المحنة وان
كان قد عرف ذلك قبل ان يراه والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما تفيد الادراك
بالبصر وذلك اظهر من ان يدل عليه او يستشهد عليه فقال له عز وجل لن تراني اي لن تعلمني على
هذا الوجه الذي التمسته ثم اكد ذلك بان اظهر في الجبل من اياته وعجائبه ما دل بها على ان اظهار ما
تقع به المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف ثابت لا يجوز وان الحكمة تمنع منه والوجه الاول اولى مما ذكرنا
من الوجوه لانه لا يخلو موسى عليه السلام من ان يكون شاكا في ان المعرفة الضرورية لا يصح حصولها في الدنيا او عالما
بذلك فان كان شاكا فهذا مما لا يجوز على الانبيا عليهم السلام لان الشك فيما يرجع الى الاصول الديانات وقواعد
التكليف لا يجوز عليهم ولاسيما ان يعلم الله ذلك على حقيقته بعض متهم فيزيد عليهم في المعرفة وهذا
ابلغ في التنفير عنهم من كل شي يمنع منه فيهم وان كان عالما فلا وجه لسؤاله الا ان يقال انه سأل لقومه فيعود
الى معنى الجواب الاول والجواب الثالث في الاية ما حكي عن بعض من تكلم في هذه الاية من اهل التوحيد وهو
انه قال يجوز ان يكون موسى عليه السلام في وقت مسألته ذلك كان شاكا في جواز الرؤية عليه تعالى
فسأل عن ذلك ليعلم هل يجوز عليه ام لا قال وليس شكه في ذلك بمانع من ان يعرف الله تعالى بصفاته ثم
بل يجري مجرى شكه في جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الاعراض في انه غير مخل بما يحتاج اليه في معرفته
تعالى فلا يمتنع ان يكون غلطه في ذلك ذنبا صغيرا وتكون التوبة الواقعة منه لاجل ذلك وهذا الجواب
يبعد من قبل ان الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي تشبيها وان كان لا يمنع من معرفته تعالى
بصفاته فان الشك في ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلام من حيث يجوز من بعض من بعثوا اليه
ان يعرف ذلك على حقيقته فيكون النبي شاكا وغيره عارفا به مع رجوعه الى المعرفة بالله تعالى وما يجوز
عليه وما لا يجوز عليه فلا يجوز عليهم هذا اقوى في التنفير وزائد على كل ما يوجب ان تجنبه الانبيا عليهم السلام فان
قيل فمن اي شي كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين قلنا اما من تذهب الى ان المسألة
كانت لقومه فانه يقول انما تاب لانه اقدم على ان سأل على لسان قومه ما لم يؤذن له فيه وليس للانبيا

عليهم السلام ذلك لانه لا يؤمن ان يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك اجابتهم اليه منفرا عنهم
ومن ذهب الى انه سال المعرفة الضرورية يقول انه تاب من حيث سال معرفة لا يقتضيها التكليف
وعلى جميع الاحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب والذم والاولى ان يقال في توبته
عليه السلام انه ليس في الاية ما يقتضي ان تكون التوبة وقعت من المسئلة او من امر يرجع اليها وقد يجوز
ان يكون سال عن ذلك اما لذنب صغير تقدم تلك الحال او تقدم النبوة فلا يرجع الى المسئلة وقد
يجوز ان ي[illegible] على سبيل الرجوع الى الله تعالى واظهار الانقطاع اليه والتقرب
منه وان لم يكن هناك ذنب معروف وقد يجوز ان يكون الغرض في ذلك مضافا الى ما قدمناه تعليمنا
وتوقيفنا على ما نستعمله وندعو به عند الشدائد ونزول الاهوال وتنبيه القوم المخطئين خاصة على
التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فان الانبياء عليهم السلام وان لم يقع منهم القبيح عندنا
فقد يقع من غيرهم ويحتاج من وقع ذلك منه الى التوبة والاستقالة فاما قوله تعالى فلما تجلى ربه
للجبل فالتجلي ههنا التعريف والاعلام والاظهار لما يقتضي المعرفة كقولهم هذا كلام جلي اي واضح وكقول
الشاعر: تجلى لنا بالمشرفية والقنا * وقد كان عن وقع الاسنة نائيا * اراد ان تدبيره دل عليه حتى علم
انه المدبر له وان كان نائيا عن وقع الاسنة فاقام ما ظهر من دلالة فعله عليه مقام مشاهدته وعبر
عنه بانه تجلى منه وفي قوله للجبل وجهان احدهما ان يكون المراد لاهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال
واسال القرية وقوله فما بكت عليهم السماء والارض وقد علمنا انه بما اظهره من الايات انما دل من كان
عند الجبل على ان رؤيته غير جائزة والوجه الاخر ان يكون معنى للجبل اي بالجبل فاقام اللام مقام الباء
كما قال امنتم له قبل ان اذن لكم اي به وكما يقولون اخذتك لجرمك اي بجرمك ولما كانت الاية الدالة على
منع ما سئل فيه انما حلت الجبل وظهرت فيه جاز ان يضاف التجلي اليه وقد استدل بهذه الاية كثير من علماء
الموحدين على انه تعالى لا يرى بالابصار من حيث نفى الرؤية نفيا عاما بقوله لن تراني ثم اكد ذلك بان
علق الرؤية باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة للعرب معروفة في تبعيد الشيء لانهم يعلقونه
بما يعلم انه لا يكون كقولهم لا كلمتك ما اضاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر: اذا شاب الغراب اتيت
اهلي * وصار القار كاللبن الحليب * وما يجري مجرى هذا قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم
الخياط وليس لاحد ان يقول اذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك في مقدوره فيجب ان تكون
الرؤية المعلقة به ايضا في مقدوره لانه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه بامر يستحيل كما علق دخولهم
الجنة بامر مستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط وذلك ان تشبيه الشيء بغيره لا يجب ان يكون من جميع الوجوه
ولما علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل وقد علم انه لا يستقر علم نفي الرؤية وما عدا ذلك من كون
الرؤية مستحيلة او غير مقدورة والجبل بخلافها يخرج عما هو الغرض في التشبيه على انه انما علق جواز الرؤية

بالاستقرار

باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجرى مجرى
جواز الرؤية في الاستحالة وليس يجب في كل ما علق بغيره ان يجري مجراه في سائر وجوهه حتى اذا كان
احدهما مع انتفائه مستحيلا كان الاخر بمثابته لان تعلق دخول الكفار الجنة انما علق بولوج الجمل في
سم الخياط وولوج الجمل في سم الخياط مستحيل ومعلوم ان الاول في المقدور وان كان لا يحسن والثاني ليس في
المقدور وهذه جملة كافية في تاويل هذه الاية وبيان ما فيها والحمد لله قال السيد قدس الله روحه ومن [illegible]
المستجيد قول ابي العيص جزام ابن عبد الله بن قتادة بن جابر بن ربيعة بن حادثة المازني: وكريم
صاحب قد بان عني * رزيت بفقده وهو الحبيب * فلم ابد الذي تحنو ضلوعي * عليه انني لانا الكئيب
مخافة ان يراني مستكينا * عدو او يساء به قريب * فيشمت كاشح ويظن اني * جزوع عند نائبة تنوب
فبعدك شدت الاعداء طرفا * الي ورابني دهر يريب * معنى شدت الاعداء طرفا اي نظروا الي
نظرا شزرا واظهروا الغضب في عيونهم * وانكرت الزمان وكل اهلي * وهرتني لغيبتك الكليب * يقال
كلب وكليب مثل عبد وعبيد * وكنت تقطع الابصار دوني * وان وغرت من الغيظ القلوب *
وتمنعني من الاعداء اني * وان رغموا لمحتشي مهيب * فلم ار مثل يومك كان يوما * بدت فيه النجوم فما
تغيب * وليل ما انام به طويل * كان النجوم به رقيب * وما يك جائيا لا بد منه * اليك فسوف
تجلبه الجلوب * مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله
مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون فقال
كيف ذكر هذا بعد ذكر البقرة والامر بذبحها وقد كان ينبغي ان يتقدم لانه انما امر بذبح البقرة لينكشف
امر القاتل فكيف اخر ذكر السبب عن المسبب وبنى الكلام بناء يقتضي انه كان بعده ولم قال واذ قتلتم
نفسا والرواية وردت بان القاتل كان واحدا فكيف يجوز ان يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل من
بينها واحد والى اي شيء وقعت الاشارة بقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى الجواب قيل له اما قوله
تعالى واذ قتلتم نفسا ففيه وجهان اولهما ان تكون هذه الاية وان تاخرت فهي مقدمة في المعنى على
الاية التي ذكرت فيها البقرة ويكون التاويل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فسالتم موسى فقال لكم
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فاخر المقدم وقدم المؤخر ومثل هذا في القران وكلام العرب كثير ومثله
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقال الشاعر: ان الفرزدق صخرة ملمومة *
طالت فليس تنالها الاوعالا * اراد طالت الاوعال فليس تنالها ومثله * طاف الخيال واين منك
لماما * فارجع لزورك بالسلام سلاما * اراد طاف الخيال لماما واين هو منك والوجه الثاني ان يكون
وجه تاخيره قوله تعالى واذ قتلتم نفسا انه علق بما هو متاخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى لان الامر بضرب المقتول ببعض البقرة انما هو بعد ذبحها فكا

قال فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها امرنا كم ان تضربوه ببعضها
لينكشف امره فاما اخراج الخطاب مخرج ما يتوجه الى الجميع مع ان القاتل واحد فعلى عادة العرب في
خطاب الابناء بخطاب الاباء والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدها فيقول احدهم فعلنا
بنو تميم كذا وقتل بنو فلان فلانا وان كان الفاعل او القاتل واحدا من بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ
يقاتلون في سبيل الله فيُقتلون ويَقتلون بتقديم المفعولين على الفاعلين وهو اختيار الكسائي
وابي العباس ثعلب والمعنى فيُقتل بعضهم ويقتلون وهو ابلغ في وصفهم وامدح لهم لانهم اذا قاتلوا
وقتلوا بعد ان قُتل بعضهم كان ذلك ادلّ على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم وقد قيل انه
كان القاتلان قتلا ابن عم لهما وان الخطاب جرى عليهم بلفظ الجمع كما قال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين
يريد داود وسليمان عليهما السلام والوجه الاول اولى واقوى لشهادة الاستعمال الظاهر له ولان
اكثر اهل العلم على ان القاتل كان واحدا ومعنى فادّارأتم فتدارأتم اي تدافعتم والقى بعضكم القتل على
بعض يقال دارأت فلانا اذا دافعته وداريته اذا لاينته ودريته اذا ختلته ويقال ادّرأ القوم اذا
تدافعوا والهاء في ادّارأتم فيها تعود على النفس وقيل انها تعود على القتلة اي اختلفتم في القتلة لان قتلتم
يدل على المصدر والقتلة من المصادر التي تدل على الافعال ورجوع الهاء الى النفس اولى واشبه بالظاهر
فاما قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى فالاشارة وقعت به الى قيام المقتول عند ضربه ببعض اعضاء
البقرة لانه روي انه قام حيا واوداجه تشخب دما فقال قتلني فلان ونبّه الله تعالى بهذا الكلام وبذكر
هذه القصة على جواز ما انكره مشركو قريش واستبعدوه من البعث وقيام الاموات لانهم قالوا أإذا كنا
عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا فاخبرهم الله تعالى بان الذي انكروه واستبعدوه هيّن عليه
غير متعذر في اتساع قدرته وكان مما ضرب لهم من الامثال ونبههم عليه من الادلة ذكر المقتول الذي
ضُرب ببعض البقرة فقام حيا واراد تعالى انني اذا كنت قد احييت هذا المقتول بعد خروجه عن الحياة
ويأس قومه من عوده وانطواء خبر كيفية قتله عنهم ورددته حيا مخاطبا باسم قاتله فكذلك فاعلموا
ان احياء جميع الاموات عند البعث لا يعجزني ولا يتعذر علي وهذا بيّن لمن تأمله قال السيد قدس الله
روحه ومن الشعر المشهور بالجودة في ذم الدنيا والتذكر بمصائبها ونوائبها قول نهشل بن حري يرثي
اخاه مالكا ∴ ذكرت اخي المحول بعد يأس ∴ فهاج علي ذكراه اشتياقي ∴ فلا انسى اخي ما دمت
حيا ∴ واخواني بأفنية العناق ∴ يجرّون الفضال الى الندامى ∴ بروض الحزن من كنفي اباق ∴ ويغلون
السباء اذا اتوه ∴ بضمّ الخيل والشول الحقاق ∴ اذا اتصلوا وقالوا يا لغوث ∴ وراحوا في المحبّرة
الرقاق ∴ اجابك كل اروع شمّري ∴ رخيّ البال منطلق اللسان ∴ اناس صالحون نشأت فيهم ∴
فاودوا وبعد الف ودائي ∴ مضوا لسبيلهم ولبثت عنهم ∴ ولكن لا محالة من لحاق ∴ كذا الالف

الذي

الذي لا يحن عنه ∴ فحنّ ولا يتوق الى متاق ∴ ارى الدنيا ونحن نعيث فيها ∴ مولية تهيأ للانطلاق
اعاذل قد بقيت بقاء قيس ∴ وما حيّ على الدنيا بباق ∴ هبطت السيلحين وذات عرق ∴ واوردت
المطيّ على حذاق ∴ كأن الشيب والاحداث تجري ∴ الى نفس الفتى فرسا سباق ∴ فاما الشيب يدركه
واما ∴ يلاقي حتفه فيما يلاقي ∴ فان تك لمتي بالشيب امست ∴ شميط اللون واضحة المشاق ∴
فقد اغدو بداجية اراني ∴ بها المتطلعات من الرواق ∴ الداجية اللمة السوداء واراني افاعل من
المراءاة ∴ الى كأنهن ظباء قفر ∴ يرهبن او بناعجة فتاق ∴ برامض الجبال لغير وصل ∴ وليس
حبال وصلي بالرماق ∴ وعهد الغانيات كعهد قين ∴ ونت عنه الجعائل مستذاق ∴ القين الحداد
والجعائل جمع جعالة وهي جرته واراد ان القين اذا عدم الجعالة رحل ولم يستقر في مكان كجلب
السوء يعجب من رآه ∴ ولا يشفي الحوائم من لماق ∴ الجلب الغيم الذي لا مطر معه والحوائم العطاش ولماق
شيء قليل ∴ فلا يبعد مضائي في مواضي ∴ واشرافي العلاية وانصلاتي ∴ وعيرائي القتام جلوت
عني ∴ بجلي الطرف سالمة المآق ∴ وقد طوّفت في الآفاق حتى ∴ سئمت النصّ بالقلص العتاق
وكم قاسيت من سنة جماد ∴ تعض اللحم ما دون العراق ∴ اذا افنيتها بدّلت اخرى ∴ اعدّ شهورها
عدّ الاواقي ∴ فافنتني الشهور وليس تفنى ∴ وتعداد الاهلة والمحاق ∴ وما سبق الحوادث ليث غاب
يجرّ لعرسه جزرا لرفاق ∴ ولا بطل تفادى الخيل منه ∴ فزار الطير من برد نعاق ∴ واحسن حارثة
ابن بدر الغداني في قوله ∴ يا كعب ما راح من قوم ولا ابتكروا ∴ الا وللموت في آثارهم حادي ∴ يا كعب
ما طلعت شمس ولا غربت ∴ الا تقرّب آجالا لميعاد ∴ ولابي العتاهية في هذا المعنى ∴ اذا انقطعت
عني من العيش مدتي ∴ فان بكاء الباكيات قليل ∴ سيُعرض عن ذكري وتُنسى مودّتي ∴ ويحدث
بعدي للخليل خليل ∴ اجلّك قوم حين صرت الى الغنى ∴ وكل غنيّ في العيون جليل ∴ وليس الغنى
الا غنى زيّن الفتى ∴ عشية يقري او غداة ينيل ∴ ولم يفتقر يوما وان كان معدما ∴ جواد ولم
يستغن قط بخيل ∴ اذا مالت الدنيا الى المرء رغّبت ∴ اليه ومال الناس حيث يميل ∴ ارى علل
الدنيا علي كثيرة ∴ فصاحبها حتى الممات عليل ∴ واني وان اصبحت بالموت موقنا ∴ فلي امل
دون اليقين طويل ∴ وقد احسن البحتري في قوله هذا المعنى ∴ اخيّ متى خاصمت نفسك فاحتشد ∴ لها
ومتى حدثت نفسك فاصدق ∴ ارى علل الاشياء شتى ولا ارى ∴ التجمع الا علة للتفرق ∴
ارى العيش ظلا يوشك الشمس نقله ∴ فكن في ابتغاء العيش كيسا ومتّق ∴ ارى الدهر غولا للنفوس
وانما ∴ يقي الله في بعض المواطن من يقي ∴ فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى ∴ وعرّج عن الباقي فسائله
لم بقي ∴ ولم ار كالدنيا حليلة صاحب ∴ محبّ متى يحسن بعينيه تطلق ∴ تراها عيانا وهي صنعة واحد ∴
فتحسبها صنعي لطيف واخرق ∴ وقد قيل ان السبب في خروج البحتري عن بغداد في آخر ايامه كان هذه الابيات

هو الذي خلقكم من نفس واحدة

لأن بعض أعدائه شنع عليه بأنه ثنوي من حيث قال فحسبها صنع لطيف وأخرق وكانت العامة غالبة على البلد فخاف على نفسه فقال لابنه أبي الغوث يا بني حتى نطفئ عنا هذه النائرة بحجة نلم فيها ببلدنا أو نعود فخرج لم يعد وأحسن أيضا غاية الإحسان في قوله: أعشى الخطوب فما حين ما ربتي فيها أسير أو أحكم تأذيني أن تلتمس ثم اختلاف الخطوب إن: تلبث مع الدهر تسمع بالأعاجيب متى تستزد فضلا من العمر تغترف: بجليك من شهد الخطوب وصابها: أشد بنا الدنيا باخفض سعيها: وغول الأفاعي بلة من لعابها: يسر بعمران الديار مضلل: وعمرانها مستأنف من خرابها: يسر بعمران الديار مضلل: وعمرانها مستأنف من خرابها: ولم أرتض الدنيا أوان مجيئها: فكيف ارتضائيها أوان ذهابها: أقول لمكذوب عن الدهر زاغ عن: تخير آراء الحجى وانتخابها: سيردبك أو يثويك أنك مخلس: إلى شقة يأتيك بعد مآبها: وهل أنت في مرهوبة طال أخذها: من الأرض إلا حفنة من ترابها: ووجدت الآمدي يروي في هذا البيت إنك محبس بالباء وتفسير ذلك أن المعنى أنك موقوف إلى أن تصير إلى هذا من قولك أحبست فرسا في سبيل الله وأحبست دارا أي أوقفتها والرواية المشهورة أنك مخلس باللام والمعنى أنك متهيء ومتخذ حلسا والحلس هو الكساء الذي يوضع تحت الرحل وهذا أشبه بالمعنى الذي قصده البحتري وأولى بأن يختاره مع دقة طبعه وسلاسة ألفاظه

مجلس آخر

تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضي جواز الشرك على الأنبياء لأنه لم يتقدم إلا ذكر آدم وحواء عليهما السلام فيجب أن يكون قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما يرجع إليهما الجواب قلنا كما أن ذكر آدم وحواء قد تقدم فقد تقدم ذكر غيرهما في قوله تعالى هو الذي خلقكم ومعلوم أن المراد بذلك جميع ولد آدم في قوله فلما آتيتهما صالحا والمعنى فلما آتيهما ولدا صالحا والمراد بهذا الجنس وإن كان اللفظ لفظ واحد والمعنى فلما آتيتهما جنسا من الأولاد صالحين وإذا كان الأمر على ما ذكرناه جاز أن يرجع قوله جعلا له شركاء إلى ولدهما وقد تقدم ذكرهما فإن قيل إنما وجب رده إلى آدم وحواء لأجل التثنية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين إلا ذكرهما قلنا إن جعل هذا ترجيحا في رجوعه إليهما جاز أيضا أن نجعل قوله في آخر الآية فتعالى الله عما يشركون وجها مقويا لرجوع الكلام إلى جملة الأولاد ويجوز أن يكون أشير في التثنية إلى الذكور والإناث من ولد آدم أو إلى جنسين منهم فحسنت التثنية لذلك على أنه إذا تقدم في الكلام أمران ثم تلاهما حكم من الأحكام علم بالدليل استحالة تعلقه بأحد الأمرين وجب رده إلى الآخر وإذا علمنا أن آدم

عليه

عليه السلام لا يجوز عليه الشرك لم يجز عود الكلام إليه فوجب عوده إلى المذكورين ممن تقدم ذكره أبو علي الجبائي ما نحن نورده على وجهه قال إنما عنى الله تعالى بهذا أنه خلق بني آدم من نفس واحدة لأن الإضمار في قوله تعالى خلقكم إنما عنى به بني آدم والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي آدم لأنه خلق حواء من آدم ويقال إنه خلقها من ضلع من أضلاعه فرجعوا جميعا إلى أنهم خلقوا من آدم وبين ذلك بقوله وخلق منها زوجها لأنه عنى به أنه خلق من هذه النفس زوجها وزوجها هو حواء وعنى بقوله فلما تغشاها حملت حملا خفيفا وحملها هو حبلها في ابتداء الحمل لأنه في ذلك الوقت خفيف عليها وعنى بقوله فمرت به مرورها بهذا الحمل وتصرفها به كان عليها سهلا لخفته فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فهو معنى قوله أثقلت ثقل عليها عند ذلك المشي والحركة وعنى بقوله دعوا الله ربهما أنهما دعوا عند كبر الولد في بطنها فقالا لئن آتيتنا يا رب نسلا صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا لأنهما أرادا أن يكون لهما أولاد يؤانسونهما في الموضع الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين فكان إذا غاب أحدهما عن الآخر بقي الآخر مستوحشا بلا مؤنس فلما آتاهما نسلا صالحا معافى وهم الأولاد الذين كانوا يولدون لهما لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وأنثى فيقال إنها ولدت خمسمائة بطن ألف ولد وعنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما أي أن هذا النسل الصالح الذين هم ذكر وأنثى جعلا له شركاء فيما آتاهما من نعمه وأضافا تلك النعم إلى الذين اتخذوهم آلهة مع الله عز وجل من الأصنام والأوثان ولم يعن بقوله جعلا آدم وحواء عليهما السلام لأن آدم لا يجوز عليه الشرك بالله لأنه نبي من أنبيائه ولو جاز الشرك والكفر على الأنبياء عليهم السلام لما جاز أن يثق أحد بما يؤديه الأنبياء إليه عن الله عز وجل لأن من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لا يوثق بأخباره فصح بهذا أن الإضمار في قوله جعلا إنما يعني النسل وإنما ذكر ذلك على سبيل التثنية لأنهم كانوا ذكرا وأنثى فلما كانوا نوعين جاز أن يجعل أخباره عنهما كالأخبار عن الاثنين إذا كانا صنفين وقد دل على صحة تأويلنا هذا قوله تعالى في آخر الآية فتعالى الله عما يشركون فبين أن الذين جعلوا له الشركاء هم جماعة فلهذا جعلوا إضمارهم إضمار الجماعة فقال يشركون معنى كلام أبي علي وقد قيل في قوله فلما آتاهما صالحا مضافا إلى الوجه المتقدم الذي هو أنه أراد بالصلاح الاستواء في الخلقة والاعتدال في الأعضاء وجه آخر وهو أنه لو أراد الصلاح في الدين لكان الكلام أيضا مستقيما لأن الصالح في الدين قد يجوز أن يكفر بعد صلاحه فيكون في حال صالحا وفي الآخر مشركا وهذا لا يتنافى وقد استشهد في جواز الانتقال من خطاب إلى غيره ومن كناية عن مذكور إلى غير مذكور بسواه ليصح ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم وحواء إلى ولدهما بقوله تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله فانصرف عن مخاطبة الرسول عليه السلام إلى مخاطبة المرسل إليهم ثم قال وتعزروه وتوقروه يعني الرسول عليه السلام ثم قال وتسبحوه يعني مرسل الرسول فالكلام واحد متصل بعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد إلى غيره

ويقول الهذلي : يا لهف نفسي كان جدة خالد : وبياض وجهك للتراب الاعفر : ولم يقل بياض
وجهه وقال الكثير : اسيئي بنا او احسني لا ملومة : لدينا ولا مقلية ان تقلت : فخاطب ثم ترك الخطاب
وقال الاخر : فدى لك ناقتي وجميع اهلي : ومالي انه منه اتاني : ولم يقل منك اتاني ووجدت ابا مسلم
محمد بن بحر يحمل هذه الاية على ان الخطاب في جميعها غير متعلق بادم وحواء ويجعل الهاء في تغشاها والكناية
في دعوا الله ربهما واتاهما صالحا راجعين الى من اشرك ولم يتعلق بادم وحواء من الخطاب الا قوله خلقكم
من نفس واحدة لان الاشارة في قوله خلقكم من نفس واحدة الى الخلق عامة وكذلك في قوله تعالى وجعل
منها زوجها ثم خص منها بعضهم كما قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير في البر والبحر ثم خص راكب البحر بقوله وجرين بهم بريح طيبة كذلك هذه
اخبرت عن جملة امر البشر وانهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها وهما ادم وحواء عليهما السلام ثم عاد
الذكر الى الذي سال الله تعالى ما سال فلما اعطاه اياه ادعى الشركاء في عطيته قال وجايز ان يكون عنى بقوله
هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذ كان كل بني ادم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها ويجوز ان
يكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وهذا يجيء كثيرا في القران وفي كلام
العرب قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة اي فاجلدوا
كل واحد منهم ثمانين جلدة وقال عز وجل ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلكل نفس
زوج هو منها اي من جنسها فلما تغشاها اي فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فمرت به
اي مارت به المور التردد والمراد تردد هذا الماء في رحم هذه الحامل فلما اثقلت اي ثقل حملها بمصير ذلك
الماء لحما ودما وعظما دعوا الله ربهما اي الرجل والمراة لما استبان حمل المراة فقالا لئن اتيتنا صالحا لنكونن من
الشاكرين فلما اتاهما صالحا اي اعطاهما ما سالا من الولد الصالح نسبا ذلك الى شركاء معه فتعالى الله
عما يشركون وقال قوم معنى جعلا له شركاء اي طلبا من الله امثالا للولد الصالح فشركا بين الطلبتين وتكون
الهاء في قوله راجعة الى الصالح لا الى الله تعالى ويجري مجرى قول القايل طلبت مني درهما فلما اعطيتك
اشركته باخر اي طلبت اخر مضافا اليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع ان يكون قوله جعلا والخطاب كله متوجها
الى ادم وحواء عليهما السلام

قوله تعالى أتعبدون ما تنحتون

مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى قال اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون فقال ليس ظاهر هذا القول يقتضي انه خالق لاعمال العباد لان ما هاهنا
بمعنى الذي فكانه قال خلقكم وخلق اعمالكم والجواب قلنا قد حمل اهل الحق هذه الاية على ان المراد بقوله وما
تعملون اي وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه اصناما ويعبدونها قالوا وغير
منكر ان يريد بقوله وما تعملون ذلك كما انه قد اراد بما ذكرناه بقوله اتعبدون ما تنحتون لانه لم يرد
انكم تعبدون نحتكم الذي هو فعل لكم بل اراد ما تفعلون فيه النحت كما قال تعالى في عصا موسى عليه السلام

تلقف ما يافكون وتلقف ما صنعوا وانما اراد ان العصا تلقفت الحبال التي اظهروا سحرهم فيها وهي التي حلتها
صنعتهم وافكهم فقال ما صنعوا وما يافكون واراد ما صنعوا فيه وما يافكون فيه ومثله قوله تعالى يعملون
له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان وانما اراد المعمول فيه دون العمل وهذا ايضا سايغ شايع لانهم يقولون
هذا الباب عمل النجار وفي الخلخال هذا من عمل الصايغ وان كانت الاجسام التي اشير اليها ليست اعمالا
لهم وانما عملوا فيها فحسن اجراء هذه العبارة فان قيل كل الذي ذكرتموه وان استعمل فعلى وجه المجاز والاتساع
لان العمل في الحقيقة لا يجري الا على فعل الفاعل دون ما يفعل فيه وان استعير في بعض المواضع قلنا ليس نسلم
لكم ان الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذي لا يستفاد سواه لان القايل اذا
قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما راينا احدا قط يقول في الثوب بدلا من قوله هذا
من عمل فلان هذا مما حله عمل فلان فالاولى بان يكون حقيقة وليس ينكر ان يكون الاصل في
الحقيقة ما ذكروه ثم انتقل بعرف الاستعمال الى ما ذكرناه وصار اخص به وهو الا يستفاد من الكلام سواه كما
انتقلت الفاظ كثيرة على هذا الحد ولا اعتبار بالمفهوم من الالفاظ الا ما استقر عليه استعمالها دون ما
كانت عليه في الاصل فوجب ان يكون المفهوم الظاهر من الاية ما ذكرناه على انا لو سلمنا ان ذلك مجاز وجب
المصير اليه من وجوه فيها ما يشهد به ظاهر الاية ويقتضيه ولا يسوغ سواه ومنها ما تقتضيه الادلة القاطعة
الخارجة عن الاية فمن ذلك انه تعالى اخرج الكلام مخرج التقريع لهم والتوبيخ لافعالهم والازراء على مذاهبهم
فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ومتى حمل قوله وما تعملون المراد به تعملون فيه ليصير تقدير
الكلام اتعبدون الاصنام التي تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التي تفعلون فيها التخطيط والنقوش
لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ ويصير على ما يذكره المخالف كانه قال اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وخلق عبادتكم فاي وجه للتقريع وهذا الى ان يكون عذرا اقرب من ان يكون لوما وتوبيخا
واذا خلق عبادتهم للاصنام فاي وجه للومهم عليها وتقريعهم بها على ان قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون
بعد قوله اتعبدون ما تنحتون انما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره تعالى فلا بد من ان يكون متعلقا
بما تقدم من قوله اتعبدون ما تنحتون ومؤثرا في المنع من عبادة غير الله فلو افاد قوله ما تعملون نفس العمل
الذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لا فايدة في الكلام لان القوم لم يكونوا يعبدون النحت وانما كانوا
يعبدون محل النحت ولانه كان لا حظ في الكلام للمنع من عبادة الاصنام وكذلك ان حمل قوله تعالى
ما تعملون على اعمال اخر ليست نحتهم ولا هي ما عملوا فيه لكان اظهر في باب اللغو والبعد عن التعلق بما تقدم
فلم يبق الا انه اراد انه خلقكم وما تعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقا مثلكم فان قيل لم زعمتم انه لو كان
الامر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب المنع من عبادة الاصنام وما تنكرون ان يكون لما ذكرناه
وجه في المنع من ذلك كما ان ما ذكرتموه ايضا لو اريد لكان وجها وهو ان من خلقنا وخلق افعالنا فينا

لا يكون الا القديم الذي تحق له العبادة وغير القديم تعالى كما يستحيل ان يخلقنا يستحيل ان يخلق فينا الافعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تاثير قلنا معلوم ان الثاني اذا كان كالتعليل للاول والمؤثر في المنع من العبادة فلان يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدون اولى من ان ينصرف الى ما ذكرتموه مما لا يقتضي اكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه فان لا شيء ادل على المنع من عبادة الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى في موضع اخر ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فاحتج عليهم تعالى في المنع من عبادة الالهة دونه بانها مخلوقة لا تخلق شيئا ولا تدفع عن انفسها ضرا ولا عنهم وهذا واضح على انه لو ساوى ما ذكروه ما ذكرناه في التعلق بالاول لم يجب حمله على ما ادعوه لان فيه عذرا لهم في الفعل الذي عنفوا به وقرعوا من اجله وقبيح ان يوبخهم بما يعبدونه ويذمهم بما يخرجهم على ما تقدم على انا لا نسلم ان من يفعل افعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لان من جملة افعالهم القبائح ومن فعل القبائح لا يكون الها ولا تحق له العبادة لم يخرج ما ذكروه من ان يكون مؤثرا في انفراده بالعبادة على اضافته العمل اليهم بقوله تعالى يبطل تاويلهم في الاية لانه لو كان خالقا له لم يكن عملا لهم لان العمل انما يكون عملا لمن يحدثه ويوجده فكيف يكون عملا لهم وهو خلقه وهذه مناقضة لهم فثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا ايضا على ان قوله وما تعملون يقتضي الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال ان يقول تعالى انه خالق للمعدوم فان قالوا اللفظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكانه قال والله خلقكم وما عملتم قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادعيتم انكم متمسكون به وليس انتم بان تعدلوا عنه باولى منا بل نحن احق لانا نعدل عنه لدلالة وانتم تعدلون بغير حجة فان قالوا فانتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تاويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي قلنا لا نحتاج نحن في تاويلنا الى ذلك لانا اذا حملنا قوله وما تعملون على الاصنام المعمول فيها ومعلوم ان الاصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز ان يقول تعالى اني خلقتها ولا يجوز ان يقول اني خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل على انه لو اراد بذلك اعمالهم لا ما عملوا فيه على ما ادعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لان الخلق هو التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة ان يكون الخالق خالقا لفعل غيره اذا قدره ودبره الا ترى انهم يقولون خلقت الاديم وان لم يكن الاديم فعلا لمن يقال ذلك فيه ويكون معنى خلقه لافعال العباد انه مقدر لها ومعرف لنا مقاديرها وما يستحق عليه من الجزاء وليس يمتنع ان يقال انه خالق للاعمال على هذا المعنى اذا ارتفع الابهام وفهم المراد وهذا كله يقتضيه الاية ولو لم يكن في الاية شيء مما ذكرناه مما يوجب العدول عن حمل قوله وما تعملون على خلق نفس الاعمال لوجب ان نعدل بها عن ذلك ونحملها على ما ذكرناه للادلة العقلية الدالة على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا للاعمال لنا وان تصرفنا محدث بنا ولا فاعل له سوانا وكل هذا واضح بحمد الله قال السيد قدس

روحه

روحه واني لاستحسن لبعض نساء بني اسد قولها الم تر انا غبنا ماؤنا زمانا فظلنا نكد البئار فلما عدا الماء اوطانه وجف الثماد فصار حرارا وضجت الى ربها في السماء رؤس العضاه تناجي السرارا وفتحت الارض افواهها عجيج الجمال وردن الجفارا لبسنا الدياجي ليلة على الليل حتى ابتنا النهارا وقلنا اعيروا الندى حقه وصبر الحفاظ وموتوا احرارا فان الندى لعشيرة يرد الى اهلها ما استعارا فبتنا نوطن احشاءنا اضاء لنا عارض فاستطارا واقبل يزحف زحف الكسير سياق الرعاء البطاء العشارا تغني وتضحك حافاته خلال الغمام وتبكي مرارا كانا تضيء لنا حرة تشد ازارا وتلقي ازارا فلما خشينا بان لا نجاء وان لا يكون قرار اقرارا اشار له امر فوقه هلم فام اليها اشارا وانشد ابو هفان لولادة المخزومية لولا اتقاء الله قمت بمفخر لا يبلغ الثقلان فيه مقامي بابوة في الجاهلية سادة بذوا العلى امراء في الاسلام جادوا وافادوا مانعين اذاهم لنداهم يبذل لدى الاقوام قد انجبوا في التوددين وانجبوا بنجابة الاخوال والاعمام قوم اذا سكتوا تكلم مجدهم عنهم فاخرس دون كل كلام وقالت امراة من بني سعد بن بكر يا اخوي الملزمي ملامة اعيذكما بالله من مثل ما بيا سالتكما بالله الا جعلتما مكان الاذى واللوم ان تاوليا ابا الهلال الى قائلي شطون النوى تختل غرضا يمانيا اشم كغصن البان جعد مرجل شغفت به لو كان امر امدانيا فان لم اوسد ساعدي بعد هجعة غلاما هلاليا فشل بنانيا ثكلت ابي ان كنت ذقت كريقه لشيء ولا ماء الغمامة غاديا ولصاحبة الهلالية الم كبر لمة ثم شمرت به حلة تطلبين برقا يمانيا الا ليتنا والنفس تكن للمنى بهانون ان تمسي الحبيب بما هنا فلقاء واني لاهوى القصد ثم يردني عن القصد ميلات الهوى فاميل وما وجد مسجون بصنعاء موثق بساقيه من حبس الامير كبول وما ليل مولى مسلم بجريرة له بعد ما نام العيون عويل باكثر مني لوعة يوم راعني فراق حبيب ما اليه سبيل ولعمرة بنت العجلان اخت عمرو ذي الكلب العجلان الكاهلي ترثي اخاها عمرا وكان في بعض غاراته نائما فوثب عليه نمران فوجدت فهم سلاحه عليه فادعت قتله سالت بعمرو اخي صحبه فافظعني حين ردوا السؤالا فقالوا اتيح له نائما اعز السباع عليه احالا اتيح له نمرا اجبل فنالا لعمرك منه منالا فاقسمت يا عمرو لو نبهاك اذن نبها منك امرا عضالا اذن نبها ليث عريسة مفيدا مفيتا نفوسا ومالا هزبرا فروسا لاعدائه هصورا اذا لقي القرن صالا هما مع تصرف ريب المنون من الارض ركنا ثبيتا اما لا هما يوم حم له يومه وقال اخو فهم بطلا وفالا معنى قال اخطا يقال رجل فابل الراي وقالا قتلنا ممن غارة باية ما ان ورثنا النبالا كانها تهزء بهم وتكذبهم اي لعلامة ان ورثتم النبال فهلا ومن قبل ريب المنون فقد كان رجلا وكنتم رجالا يقال رجل ورجل وقد علمت فهم يوم اللقاء بانهم لك كانوا نفالا كانهم لم يحسوا به فيخلوا النساء له والحجالا

ولم يزلوا بمجول السنين * به فيكونوا عليه عيالا * وقد علم الضيف والمجتدون * اذا اغبر افق وهبت
شمالا * وخلت عن اولادها المرضعات * ولم ترعين لزين بلالا * بانك كنت الربيع المغيث * لمن يعتريك
وكنت الثمالا * وخرق تجاوزت مجهوله * بوجناء حرف تشكى الكلالا * فكنت النهار به شمسه * وكنت
دجى الليل فيه الهلالا * وخيل سمت لك فرسانها * فولوا ولم يستقلوا قبالا * وكل قبيل وان لم تكن
اردتهم منك باتوا وجالا * مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان
اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون فقال ليس ظاهر هذه الاية يقتضي ان
نصح النبي عليه السلام لم ينفع الكفار الذين اراد الله بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم الجواب قلنا
ليس في هذه الاية ما يقتضي خلاف مذهبنا لانه تعالى لم يقل انه فعل الغواية او ارادها وانما اخبر ان نصح
النبي عليه السلام لا ينفع ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك وجواز وقوعها لا دلالة عليه
في الظاهر على ان الغواية ههنا الخيبة وحرمان الثواب يشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما * فكانه تعالى قال ان كان الله يريد ان يخيبكم
ويعاقبكم بسوء عملكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي ما دمتم مقيمين على ما انتم عليه الا ان
تقلعوا وتتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غيا فقال فسوف يلقون غيا وما قبل هذه الاية يشهد
لما ذكرناه وان القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي الاية
فاخبرهم ان نصحه لا ينفع من يريد الله ان ينزل به العذاب ولا يغني عنه شيئا وقال جعفر بن حرب ان
الاية تتعلق بانه كان في قوم نوح طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذهبهم
وقال لهم على طريق الانكار عليهم والتعجب من قولهم ان كان القول كما تقولون من ان الله يفعل فيكم الكفر
والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحا فانتم على قولكم لا تنتفعون به وهذا جيد وروى عن الحسن
في هذه الاية وجه صالح وهو انه قال المعنى فيها ان كان الله يريد ان يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول
العذاب بكم وان قبلتموه وامنتم به لان من حكم الله تعالى ان لا يقبل الايمان عند نزول العذاب وكل
هذا واضح في زوال الشبهة في الاية قال السيد قدس الله روحه ومن مستحسن ما قيل في صفة المصلوب قول
ابي تمام الطائي في قصيدة يمدح بها المعتصم يذكر قتل الافشين وصلبه مرقة * ما زال سر الكفر بين
ضلوعه * حتى اصطلى سر الزناد الواري * نارا يساور جسمه من حرها * لهب كما عصفرت شق ازار
طارت لها شعل يهدم لفحها * اركانه هدما بغير غبار * فصلن منه كل مجمع مفصل * وفعلن فاقرة
بكل فقار * مشبوبة رفعت لاعظم مشرك * ما كان يرفع ضوءها للساري * صلى لها حيا وكان
وقودها * ميتا ويدخلها مع الكفار * وكذاك اهل النار في الدنيا هم * يوم القيامة جل اهل النار

يا مشهدا

يا مشهدا صدرت بفرحته الى * امصارها القصوى بنو الامصار * رمقوا اعالي جذعه فكانما * رمقوا الهلال
عشية الافطار * واستنشقوا منه قتارا نشره * من عنبر ذفر ومسك داري * وتحدثوا عن هلكه كحديث من
بالبدو عن متتابع الامطار * قد كان بواه الخليفة جانبا * من قلبه حرما على الاقدار *
فسقاه ماء الخفض غير مصرد * وانامه في الامن غير غرار * ولقد شفا الاحشاء من برحائها *
ان صار بابك جار مازيار * ثانيه في كبد السماء ولم يكن * لاثنين ثان اذ هما في الغار * وكانما انتبذا
لكيما يطويا * عن ناطس خبرا من الاخبار * سود اللباس كانما نسجت لهم * ايدي السموم مدارعا من
قار * بكروا واسروا في متون ضوامر * قيدت لهم من مربط النجار * لا يبرحون ومن راهم خالهم *
ابدا على سفر من الاسفار * كادوا النبوة والهدى فتقطعت * اعناقهم في ذلك المضمار * وله
ايضا يذكر صلب بابك * لما قضى رمضان منه قضاءه * شالت به الايام في شوال * ما زال مغلول
العزيمة سادرا * حتى غدا في القيد والاغلال * مستبدلا للباس طوقا من دم * لما استبان فظاظة
الخلخال * اهدى لمتن الجذع متنيه كذى * من عاف متن الاسمر العسال * لا كعب اسفل موضعا
من كعبه * مع انه عن كل كعب عال * سام كان العز يجذب ضبعه * وسموه من ذلة وسفال *
قال السيد قدس الله روحه ومن عجيب الامور ان ابا العباس احمد بن عبيد الله بن عمار ينشد هذه الابيات المفرطة في الحسن في جملة مقابح
ابي تمام وما اخرجه من غلطه وسقطه ويقول في عقبها ولم يسمع بشعر وصف فيه مصلوب
باغث من هذا الوصف وابن كان عمه مثل قول ابرهيم بن المهدي يصف مربا بك في قصيدة يمدح بها
المعتصم * ما زال يعنف بالنعمى فيغمطها * عند الغموط وواقنها الا رصيد * حتى علا حيث لا ينحط
مجتمعا * كما علا ابدا ما اورق العود * يا بقعة ضربت فيها علاوته * وعينه وذوت اغصانه
الميد * بوركت ارضا واوطانا مباركة * ما عنك في الارض للتقديس تعريد * لو تقدر الارض
حيتك البلاد فلا * يبقى على الارض الا حج جلمود * لم يبك ابليس الا حين ابصره * في ذنبه وهو فوق الفيل
مصفود * كناقة الفحر هي تحت بنتها * وحد شفرتها للنحر محدود * ما كان احسن قول الناس يومئذ *
ابوم بابك هذا ام هو العيد * صيرت جثته جيدا لباسقة * جرداء والراس منه مالرجيد * فارض
تلعب هوج العاصفات به * على الطريق صليبا طرفه عود * كانه شلو كبش والهواء له * تنور شاويه
والجذع سفود * وهكذا ينبغي ان يطعن على ابيات ابي تمام من يستجيد هذه الابيات ويفرط في
تقريظها وليت من جهل شيئا عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك اولى به وابيات ابي تمام
في نهاية القوة وجودة المعاني والالفاظ وسلامة السبك واطراد النسج وابيات ابن المهدي المضطربة
الالفاظ مختلفة النسج متفاوتة الكلام وما فيها شيء يجوز ان يوضع عليها البد الا قوله حتى علا حيث

لا يحط مجتمعاً كما علا ابداً ما اورق العود وبعد فالبيت الاخير وان كان بارد الالفاظ وقد احسن مسلم ابن الوليد في قوله ما زال يعنف ويعطفها حتى استقل به عوده على عود * نصبته حيث ترتاد الرياح به * وتحسد الطير فيه اضبع البيد * وللبحتري في هذا المعنى من قصيدة يمدح فيها ابا سعيد اولها * لا دمنة بلوى خبت ولا طلل * يرد قولاً على ذي لوعة يسل * ان عز دمعك في اي الرسوم فلم * يصب عليها فعندي ادمع ذلل * هل انت يوماً معيري نظرة فترى * في رمل يبرين عيراً سيرها رمل * حثوا النوى بحراً ما لها وطن * غير النوى وجمال ما لها عقل * تحمله البرد من اقصى الثغور الى ادنى العراق سراعاً بينها عجل * لبشر من راء منكوساً تجاذبه * ايدي الشمال فضولاً كلها فضل * امسى يرد حريق الشمس جانبه * عن بابك وهي في الباقين تشتعل * تفاوتوا بين مرفوع ومنخفض * على مراتب قالوا وما فعلوا * رد الحجير لحاهم بعد شعلتها * سوداً فعادوا شباباً بعدما اكتهلوا * سما لها حابل الاساد في لمة * من المنايا فامسى وهو محتبل * خالي الذراعين والساقين لو صدقت * له المنى لتمنى انها عطل * من تحت مطبق باب الشام في نفر * اسرى يودون وداً انهم قتلوا * غابوا عن الارض نائي غيبة وهم * فيها فلا وصل الا الكتب والرسل * وله في المعنى ما زلت تقرع باب بابك بالقنا * وتزوره في غارة شعواء * حتى اخذت بنصل سيفك عنوة * منه الذي اعيا على الامراء * اخليت منه البذ وهو قراره * ونصبته علماً باعلى الراء * لم يبق فيه خوف باسك مطعماً * للطير في عود ولا ابداء * فطراه مطرداً على اعواده * مثل اطراد كواكب الجوزاء * مستشرفاً للشمس منتصباً لها * في اخريات الجذع كالحرباء *

مطمعاً

[illegible]

مجلس آخر تأويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه فقال كيف اخبر تعالى بانه انزل فيه القران وقد انزل في غيره من الشهور على ما جاءت به الروايات والظاهر يقتضي انه انزل الجميع فيه وما المعنى في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وهل اراد الاقامة والحضور اللذين هما ضد الغيبة او اراد المشاهدة والادراك الجواب قلنا اما قوله تعالى انزل فيه القران فقد قال قوم ان المراد به انه تعالى انزل القران جملة واحدة الى سماء الدنيا في شهر رمضان ثم فرق انزاله بعد ذلك على نبيه صلى الله عليه وآله بحسب ما تدعو الحاجة اليه وقال اخرون المراد بقوله انزل فيه القران انه انزل في فرضه وايجاب صومه على الخلق القران فيكون فيه بمعنى في فرضه كما يقال انزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد في فرضها وانزل الله في الخمر كذا وكذا يريد في تحريمها وهذا الجواب انما هرب متكلفه من شيء وظن انه قد اعتصم بجوابه عنه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لان قوله تعالى القران اذا كان يقتضي ظاهره انزال جميع القران فيجب على هذا الجواب ان يكون قد انزل في فرض الصيام جميع القران ونحن نعلم ان قليلاً من القران يتضمن ايجاب صوم شهر رمضان وان اكثره خال من ذلك

يقول القائل

فان

فان قيل المراد بذلك انه انزل في فرضه شيئاً من القران وبعضاً منه قيل فهلا اقتصر على هذا وحمل الكلام على انه تعالى انزل شيئاً من القران في شهر رمضان ولم يحتج الى ان يجعل لفظة فيه بمعنى في فرضه وايجاب صومه والجواب الصحيح ان قوله تعالى القران في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وانما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق فكانه تعالى قال شهر رمضان الذي انزل فيه هذا الجنس من الكلام فاي شيء نزل منه في الشهر فقد طابق الظاهر وليس لاحد ان يقول ان الالف واللام ههنا لا يكونان الا للعموم والاستغراق لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة العموم والصورة المقتضية لاستغراق الجنس لم يجب ان يكون ههنا بهذه الصفة لان هذه اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة من الكلام ولا يراد بها اكثر من الاشارة الى الجنس والطبقة من غير استغراق وعموم حتى يكون حمل كلام المتكلم بها على خصوص او عموم كالمناقض لغرضه والمنافي لمراده الا ترى ان القائل اذا قال فلان ياكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الامير اللصوص وخاطب الجند لم يفهم من كلامه الا محض الجنس والطبقة من غير معنى خصوص ولا عموم حتى لو قيل له فلان ياكل جميع اللحم او يشرب جميع الخمر او بعضها لكان جوابه اني لم ارد عموماً ولا خصوصاً وانما اردت انه ياكل هذا الجنس من الطعام ويشرب هذا الجنس من الشراب فمن فهم من كلامي العموم او الخصوص فهو بعيد من فهم مرادي وارى كثيراً من الناس يغلطون في هذا الموضع فيظنون ان الاشارة الى الجنس من غير ارادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتى حملوا قول من قال اردت الجنس في كل موضع على العموم وهذا بعيد من الصحة لانه كما ان العموم والخصوص مفهومان في بعض المواضع بهذه الالفاظ فكذلك الاشارة الى الجنس والطبقة من غير ارادة عموم ولا خصوص مفهومة متميزة وقد ذكرنا امثلة ذلك فاما قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فاكثر المفسرين حملوه على ان المراد بمن شهد من كان مقيماً في بلد غير مسافر وابو علي حمله على ان المراد به فمن ادرك الشهر وشاهده وبلغ اليه وهو متكامل الشروط فليصمه وذهب في معنى شهد الى معنى الادراك والمشاهدة وقد طعن قوم على تاويل ابي علي وقالوا ليس يحتمل الكلام الا الوجه الاول وليس الامر على ما ظنوه لان الكلام يحتمل الوجهين معاً وان كان للقول الاول ترجيح ومزية على الثاني من حيث يحتاج في الثاني من الاضمار الى اكثر مما يحتاج اليه في الاول لان على القول الاول لا يحتاج الى اضمار الاقامة وارتفاع السفر لان قوله فمن شهد يقتضي الاقامة وانما يحتاج الى اضمار باقي الشروط من الامكان والبلوغ وغير ذلك وفي القول الثاني يحتاج مع كل ما اضمرناه في القول الاول الى اضمار الاقامة ويكون التقدير فمن شاهد الشهر وهو مطيق مقيم بالغ الى سائر الشروط فمن هذا الوجه كان الاول اقوى وليس لاحد ان يقول ان شهد بنفسه من غير محذوف لا يدل على اقامة وذلك ان الظاهر من قولهم في اللغة فلان شاهد اذا اطلق ولم يضف افاد الاقامة في البلد وهو عندهم ضد الغائب والمسافر وان كانوا ربما اضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا او شهد فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى

فغى الحلاق شهد دلالة على الاقامة من غير تقدير محذوف وهذه جملة كافية بحمد الله قال السيد قدس الله
روحه ووجدت ابا العباس بن عمار يعيب على ابى تمام قوله: لما استحرا الوداع المحض وانصرمت اواخر
الصبر الا كاظما وجما: رايت احسن مرئى واقبحه: مستجمعين لى التوديع والعنما: قال ابو العباس
وهذا قد ذم مثله من شاعر متقدم وهو انه جمع بين كلمتين احداهما لا تناسب الاخرى وهو قول
الكميت: وقد رايتهم بها حورا منعمة: رود تكامل فيها الدل والشنب: فقيل له اخطأت وباعدت
بقولك الدل والشنب الا قلت كقول ذى الرمة: بيضاء فى شفتيها حوة لعس: وفى اللثات وفى
انيابها شنب: قال فقال الطائى مستجمعين لى التوديع والعنما فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع
لا يستقبح وانما تستقبح عاقبته وهى الفراق وجعل المنظر الحسن اصابع غداة تشبيهه بالعنم ولم يذكر الانامل
المخضبة وانما سمع قول المجنون: ويبدى الحصا منها اذا قذفت به: من البرد اطراف البنان
المخضب: قال وهذا هو الاصل استعاره الناس من بعد فقال الشاعر: النشر مسك والوجوه
دنانير: واطراف الاكف عنم: واغرب ابو نواس فى قوله: يبكى فتذرى الدر من طرفها (نرجس): وتلطم
الورد بعناب: قال فلم يحسن هذا العلج ان يستعير شيئا من محاسن القائلين قال السيد قدس الله
روحه وهذا غلط من ابن عمار وسفه على ابى تمام لان الكميت جمع بين شيئين متباعدين وهما الدل
وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشنب هو برد الاسنان وتطرق عليه بذلك بعض العيب
وابو تمام جمع بين شيئين غير متفرقين لان التوديع انما اشار به الى ما اشارت اليه باصبعها من
وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك اصابعها بالعنم والعنم نبت اغصانه غضة دقاق تشبه
الاصابع وقيل ان العنم واحدته عنمة وهى العظاية الصغيرة البيضاء وهى اشبه شىء بالاصبع
البيضاء الغضة وهذا حكاه صاحب كتاب العين وقيل ان العنم نبت له نور احمر تشبه به
الاصابع المخضوبة فوجه حسن قوله التوديع والعنم ان التوديع كان بالاصبع التى تشبه العنم فجمع
بينهما لذلك فلا حاجة به الى ذكر الانامل المخضبة على ما ظن ابو العباس بل ذكر المشبه به احسن
واصح من ان يقول التوديع والانامل التى تشبه العنم فاما قوله ان التوديع لا يستقبح وانما تستقبح
عاقبته فخطاء ومطالبة للشاعر بما لا يطالب بمثله الشعراء لان التوديع اذا كان منذرا بالفراق
وبعد الدار وغيبة المحبوب فلا محالة انه مكروه مستقبح وقوله تستقبح عاقبته صحيح الا ان ما يعقبه
ويقوم لما كان عند حضوره متيقنا مذكورا عاد الاستكراه والاستقباح اليه ونحن نعلم ان الناس
يتكرهون ويستقبحون تناول الاشياء الملذة من الاغذية وغيرها اذا علموا ان فى عواقبها من المكروه
فان من قدم اليه طعام مسموم واعلم بذلك يتكرهه ويستقبح تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته وان
كان ملذا فى الحال ولم تزل الشعراء تذكر كراهيتها للوداع وهربها منه لما يتصور فيه من الم الفرقة

وغصص

قوله تعالى وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان الآية

وغصص الوحشة وهذا مشهور معروف وقال ابو تمام: آلفة النحيب كم افتراق: اظل فكان
داعية اجتماع: وليست فرحة الاوبات الا: لموقوف على ترح الوداع: فجعل للوداع ترحا يقابل
مرح الاياب وهذا صحيح فاما قول جرير: اتنسى اذ تودعنا سليمى: بفرع بشامة سقى البشام: فانه
دعا للبشام وهو شجر يستاك به لانها ودعته عنده فسر بتوديعها وقول الشاعر: من يكن يكره الفراق
فانى: اشتهيه لموضع التسليم: ان فيه اعتناقة لوداع: وانتظار اعتناقة لقدوم: فمن شأن
الشعراء ان يتصرفوا فى المعانى بحسب اغراضهم وقصودهم فاذا راى احدهم مدح شىء قصد الى احسن
اوصافه فذكرها واشاد بها حتى كانه لا وصف له غير ذلك الوصف واذا اراد ذمه قصد الى قبيح
احواله فذكره حتى كانه لا شىء فيه غير ذلك وكل مصيب بحسب قصده ولهذا ترى احدهم يقصد مدح
الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع وان العمر معه اطول وما اشبه ذلك ويقصد الى ذمه فيصف
ما فيه من الادناء الى الاجل وانه آخر الالوان وابغضها الى النساء وما اشبه ذلك وهذه سبيلهم
فى كل شىء وصفوه ولمادحيهم موضعه ولذامهم موضعه فمن ذم الوداع لما فيه من الانذار بالفراق وبعد
الديار قد ذهب مذهبا صحيحا كما ان من مدحه لما فيه من قرب المحبوب والسرور بالنظر اليه وان كان
يسيرا قد ذهب ايضا مذهبا صحيحا ومن غلط ابن عمار القبيح قوله بعد ان انشد شعر المجنون قال وهذا
هو الاصل ثم استعاره الناس من بعد فقال الشاعر: النشر مسك والوجوه دنانير: واطراف الاكف
عنم: وهذا البيت للمرقش الاكبر وهو والمرقش الاصغر جميعا كانا على عهد مهلهل بن ربيعة وشهدا
حرب بكر بن وائل فكيف يكون للمرقش الاكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة مجلس آخر تاويل آية ان سال
سائل عن قوله تعالى واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون فقال كيف يكون ذلك الفرقان
هو القرآن ولم يؤت موسى القرآن وانما اختص به محمد صلى الله عليه وآله الجواب قلنا قد ذكر فى ذلك
وجوه اولها ان يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو التوراة فلا يكون ههنا اسما
للفرقان المنزل على محمد صلى الله عليه وآله ويحسن نسقه على الكتاب لمخالفته للفظه كما قال تعالى
الكتاب والحكمة وان كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب وكتب الله تعالى كلها فرقان يفرق بين الحق
والباطل والحلال والحرام ويستشهد على هذا الوجه بقول طرفة: فما لى ارانى وابن عمى مالكا: متى
ادن منه ينأ عنى ويبعد: فنسق يبعد على ينأ وهو هو بعينه وحسن ذلك اختلاف اللفظين
وقال عدى بن زيد: وقددت الاديم لراهشيه: والفى قولها كذبا ومينا: وثانيها ان يكون الكتاب
عبارة عن التوراة والفرقان انفراق البحر الذى اوتيه موسى عليه السلم وثالثها ان يراد بالفرقان
الفرق بين الحلال والحرام او الفرق بين موسى واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين
لان الله تعالى قد فرق بينهم فى امور كثيرة منها انه نجى هؤلاء واغرق اولئك ورابعها ان يكون الفرقان

المراد به القرآن المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله ويكون المعنى في ذلك وآتينا موسى التوراة والتصديق والايمان بالفرقان الذي هو القرآن لان موسى عليه السلام كان مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وآله وبما جاء به مبشرا ببعثه وساغ حذف القبول والايمان والتصديق وما جرى مجراه واقامة الفرقان مقامه كما ساغ في قوله تعالى واسأل القرية وهو يريد اهل القرية وخامسها ان يكون المراد بالفرقان القرآن ويكون تقدير الكلام واذ آتينا موسى الكتاب الذي هو التوراة وآتينا محمدا الفرقان فحذف ما حذف مما يقتضيه الكلام كما حذف الشاعر في قوله تراه كأن الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه كان له وفر اراد ويفقأ عينيه لان الجدع لا يكون بالعين فاكتفى بيجدع من يفقأ وقال الآخر تسمع للاحشاء منه لغطا ولليدين جسأة وبددا اي ترى لليدين لان الجسأة والبدد لا يسمعان وانما يريان وقال الآخر علفتها تبنا وماء باردا حتى شتت همالة عيناها اراد وسقيتها ماء باردا فدل علفت على سقيت وقال الآخر يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا اراد وحاملا رمحا ووجدت ابا بكر بن الانباري يقول ان الاستشهاد بهذه الابيات على هذا الوجه لا يجوز لان الابيات اكتفي فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والآية اكتفي فيها باسم دون اسم والامر وان كان على ما قاله في الاسم والفعل فان موضع الاستشهاد صحيح لان الاكتفاء في الابيات بفعل عن فعل انما حسن من حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر واقتضاه فحذف تعويلا على ان المراد مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه وهذا المعنى قائم في الآية وان كان المحذوف اسما لان اللبس قد زال والشبهة قد امتنع المراد بها فحسن الحذف لان الفرقان اذا كان اسما للقرآن وكان من المعلوم ان القرآن انما انزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله دون موسى عليه السلام استغنى عن ان يقال وآتينا محمدا الفرقان كما استغنى الشاعر عن ان يقول ويفقأ عينيه وترى لليدين جسأة وبددا وما شاكل ذلك الا انه يمكن ان يقال فيما استشهد به في جميع الابيات ما لا يمكن ان يقال مثله في الآية وهو ان يقال لا محذوف فيها ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى ومعطوف عليه لانه لما قال تراه كان الله يجدع انفه فكان معنى الجدع هو الافساد للعضو والتشويه به عطف على المعنى فقال وعينيه فكانه قال تراه كأن الله يفسد انفه ويشوهه ثم قال وعينيه وكذلك لما كان السامع للغط من الاحشاء عالما به عطف على المعنى فقال لليدين جسأة وبددا اي انه يعلم هذا وذاك معا وكذلك لما كان في علفت معنى غذيت عطف عليه الماء لانه مما يغتذى به وكذلك لما كان المتقلد للسيف حاملا له جاز ان يعطف عليه الرمح المحمول وهذا اوضح في الطعن على الاستشهاد بهذه الابيات مما ذكره ابن الانباري اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال اخبرني محمد بن علي بن يحيى المنجم قال اخبرنا احمد بن محمد بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدي قال لما دخل خالد بن صفوان الاهتمي على

هشام بن

البدن تباعد ما بين الاليتين

قال المرتضى

هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزل خالد بن عبد الله القسري قال فلقيته جالسا على كرسي في بركة ماؤها الى الكعبين فدعا لي بكرسي فجلست عليه فقال يا خالد رب خالد قد جلس مجلسك كان اوطأ بقلبي واحب الي منك فقلت يا امير المؤمنين ان حلمك لا يضيق عنه فلو صفحت عن جرمه فقال يا خالد ان خالدا ادل فامل واوجف فاعجف ولم يدع لراجع مرجعا ولا للعودة موضعا ثم قال الا اخبرك عنه يا ابن صفوان قلت نعم قال اما انه ما بدأني بسؤال حاجة منذ قدم العراق حتى اكون انا ابدأه بها قال خالد فقلت له فذلك احرى ان ترجع له فقال هيهات اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه آخر الدهر تقبل ثم قال سل حاجتك يا ابن صفوان فقلت تزيدني في عطائي عشرة دنانير فاطرق ثم قال ولم وفيم العبادة احدثتها فنعينك عليها ام لبلاء حسن ابليته امير المؤمنين ام ماذا يا ابن صفوان اذن يكثر السؤال فلا يحمل ذلك بيت المال قال فقلت يا امير المؤمنين وفقك الله وسددك انت والله كما قال اخو خزاعة اذا المال لم توجب عليك عطاءه قرابة قربى او صديق توامقه منعت وبعض المنع حزم وقوة ولم تفتلتك المال الا حقا يقره فلما قدم خالد البصرة قيل له ما الذي حملك على تزيين الامساك له قال احببت ان يمنع غيري فيكثر من يلومه قال السيد قدس الله روحه وكان خالد مشهورا بالبلاغة وحسن العبارة وبالاسناد المتقدم عن المدائني قال قال حفص بن معوية بن عمرو الغلابي قلت لخالد يا ابا صفوان اني لاكره ان تموت وانت من ايسر اهل البصرة فلا يبكيك الا الاماء قال فابغني امرأة قلت صفها لي اطلبها لك قال بكرا كثيب او ثيبا كبكر لا ضرعا صغيرة ولا مسنة كبيرة لم تقرأ فتحير ولم تفت فتجعن قد نشات في نعمة وادركتها خصاصة فادبها الغنى واذلها الفقر حسبي من جمالها ان تكون فخمة من بعيد مليحة من قريب وحسبي من حسبها ان تكون واسطة في قومها ترضى مني بالسنة ان عشت اكرمتها وان مت ورثتها لا ترفع راسها الى السماء بطرا ولا تضعه الى الارض سقوطا فقلت يا ابا صفوان ان الناس في طلب هذه منذ زمان طويل فما يقدرون عليها وكان يقول ان المروة لو خف محملها وقلت مؤونتها ما ترك اللئام فيها للكرام بيتة ليلة ولكن ثقل محملها وعظمت مؤونتها فاجتناها الكرام وحاد عنها اللئام وكان خالد من اشح الناس وابخلهم كان اذا اخذ جائزة او غيرها قال للدرهم اما والله طالما اغربت في البلاد وانجدت والله لاطيلن ضجعتك ولاديمن صرعتك وساله رجل من بني تميم فاعطاه دانقا فقال يا سبحان الله تعطي مثلي دانقا فقال انه لو اعطى كل رجل من بني تميم مثل ما اعطيتك لوجعت ذا مال عظيم وساله رجل فاعطاه درهما فاستقله فقال يا احمق اما علمت ان الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية مسلم وكان يقول والله ما تطيب نفسي بانفاق درهم الا درهما قرعت به باب الجنة او درهما اشتريت به موزا وقال لان يكون لي ابن يحب الخمر احب الي من ان يكون لي ابن يحب اللحم لانه متى طلب لحما وجده والخمر تفوته احيانا وكان يقول

يعني خالد المتقدم ذكره المعزول

اي لم يقطع الله

قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون الآية

من كان ماله كفافا فليس بغني ولا بفقير لان النائبة اذا نزلت اجحفت بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني وكان يقول لان يكون لاحدكم جار تاجر ان ينقب عليه بيته خير له من ان يكون له جار من التجار لا يشاء ان يعطيه مالا ويكتب به صكا الا

فعل

مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فقال كيف يخبر عنهم بانهم لا يكذبون نبيه ومعلوم منهم اظهار التكذيب بالقول ولعن الاستجابة والتصديق وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول انهم بآيات الله يجحدون وهل الجحد بآياته الا التكذيب بنبيه عليه السلام الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه اولها ان يكون انما نفى تكذيبهم بقلوبهم تدينا واعتقادا وان كانوا مظهرين بافواههم التكذيب لانا نعلم انه قد كان في المخالفين له عليه السلام من يعلم صدقه ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك يعاند فيظهر خلاف ما يبطن وقد قال تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ومما يشهد لهذا الوجه من طريق الرواية ما رواه سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني ان رسول الله صلى الله عليه واله لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له اتصافح هذا الصبي فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله تعالى الآية وفي خبر آخر ان الاخنس بن شريق خلا بابي جهل فقال له يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا من قريش احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال له ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش والوجه الثاني ان يكون معنى الكلام فانهم لا يكذبونك اي لا يفعلون ذلك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان وانما يقتصرون على الدعوى الباطلة وهذا في الاستعمال معروف لان القائل يقول فلان لا يستطيع ان يكذبني ولا يدفع قولي وانما يريد انه لا يتمكن من اقامة دليل على كذبه ومن حجة في دفع قوله وان كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقلبه فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به وروي عن امير المؤمنين عليه السلام انه يقرأ هذه الآية بالتخفيف فانهم لا يكذبونك ويقول ان المراد بها انهم لا يأتون بحق هو احق من حقك وقال محمد بن كعب القرظي معناها لا يبطلون ما في يديك وكل ذلك يقوي هذا الوجه سنبين ان معنى هذه اللفظة مشددة يرجع الى معناها مخففة والوجه الثالث ان يكون معنى الآية انهم لا يصادفونك كاذبا ولا يلقونك متقولا كما يقولون قاتلته فما اجبنته اي ما وجدته جبانا وحدثته فما اكذبته اي لم الفه كاذبا وقال الاعشى

أثوى وقصر ليلة ليزودا ... فمضى واخلف من قتيلة موعدا

اراد انه صادف منها خلفا للوعد ومثله اصممت القوم اذا صادفتهم صما واخليت المواضع اذا صادفتها خاليا قال الشاعر

اتيت مع الحداث ليلى فلم ابن ... فاخليت فاستعجمت عند خلائي

اي اصبته مكانا خاليا ومثله لهميان بن ابي قحافة يسري

انباها

انباها له لواحجا ... اوسع من اشداقه المضارجا

يعني اوسع اصحن منابت واسعة فينبتن فيها وقال عمرو بن براقة

تحالف اقوام علي ليسمنوا ... وجروا علي الحرب اذ انا سالم

يقال السمن بنو فلان اذا رعت ابلهم فصادفوا فيها سمنا قال ابو النجم

مستاسدا ذبابه في غيطل ... يقلن للرائد اعشبت انزل

اي اصبت مكانا معشبا وقال ذو الرمة

وتولت بأباض ليتها وجهها ... كقرن الشمس افتق ثم زالا

اي وجد فتقا من السحاب وليس لاحد ان يجعل هذا الوجه مختصا بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لان في الوجهين معا يمكن هذا الجواب لان افعلت وفعلت يجوز ان في هذا الموضع وافعلت بالتخفيف هو الاصل في الفعل ثم شدد تاكيدا وافادة لمعنى التكرار وهذا مثل اكرمت وكرمت واعظمت وعظمت واوصيت ووصيت وابلغت وبلغت وهو كثير قال الله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه لان استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى اكثر والوجه الرابع ما حكى الكسائي من قوله ان المراد انهم لا ينسبونك الى الكذب فيما اتيت به لانه كان عندهم امينا صادقا لم يجربوا عليه كذبا وانما كانوا يدفعون ما اتى به ويدعون انه في نفسه كذب وفي القرآن ما يقوي هذا الوجه وان القوم كانوا يكذبون ما اتى به وان كانوا يصدقونه في نفسه بقوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وبقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وهو الحق وكان الكسائي يقرأ فانهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع من بين سائر السبعة والباقون على التشديد ويزعم ان بين اكذبت وكذبت فرقا وان معنى اكذبت الرجل انه جاء بكذب ومعنى كذبته انه كذاب في كل حديثه وهذا غلط وليس بين فعلت وافعلت في هذه الكلمة فرق من طريق المعنى اكثر مما ذكرناه من ان التشديد يقتضي التكرار والتاكيد ومع هذا لا يجوز ان يصدقوه في نفسه ويكذبوا بما اتى به لان من المعلوم انه صلى الله عليه وآله كان يشهد بصحة ما اتى به وصدقه وانه الدين القيم والحق الذي لا يجوز العدول عنه فكيف يجوز ان يكون صادقا في خبره وكان الذي اتى به فاسدا بل انكان صادقا فالذي اتى به حق صحيح وان كان الذي اتى به فاسدا فلا بد ان يكون في شهادته كاذبا وهذا تاويل من لا يحقق المعاني والوجه الخامس ان يكون المعنى في قوله فانهم لا يكذبونك ان تكذيبك راجع الي وعائد علي ولست المختص به لانه رسول الله فمن كذبه فهو في الحقيقة مكذب لله تعالى وراد عليه وهو كما يقول احدنا لرسوله امض في كذا فان كذبك فقد كذبني ومن دفعك فقد دفعني وذلك من الله تعالى على سبيل التسلية لنبيه عليه السلام والتعظيم والتغليظ لتكذيبهم والوجه السادس ان يريد فانهم لا يكذبونك في الامر الذي توافق فيه كتبهم وان كذبوك في غيره ويمكن في الآية وجه سابع وهو ان يريد ان جميعهم لا يكذبونك وان كذبك بعضهم وهم الظالمون الذين ذكر في آخر الآية انهم يجحدون بآيات الله لانه تعالى انما سلى نبيه عليه السلام وعزاه فلا ينكر ان يكون عليه السلام لما استوحش

ابن القزل

من تكذيبهم له وتلقيهم اياه بالرد وظن انه لا متبع له منهم ولا ناصر لدينه فيهم اخبره الله تعالى بان
البعض وان كذبك فان فيهم من يصدقك ويتبعك بارشادك ويهتدي بك وهذا واضح والله
قال السيد قدس الله روحه ومن جيد الشعر قول مطرود بن كعب الخزاعي: يا ايها الرجل المحول رحله
الا نزلت بآل عبد مناف: هبلتك امك لو نزلت عليهم: ضمنوك من جوع ومن اقراف: الآخذون
العهد من آفاقها: والراحلون لرحلة الايلاف: والمطعمون اذا الرياح تناوحت: ورجال مكة مسنتون
عجاف: والمفضلون اذا المحول ترادفت: والقائلون هلم للاضياف: والخالطون غنيهم بفقيرهم
حتى يكون فقيرهم كالكافي: كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصة لعبد مناف: اما قوله
والراحلون لرحلة الايلاف فكان هاشم صاحب ايلاف قريش للرحلتين واول من سنهما فالغوا الرحلتين
في الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف الى الشام وفي ذلك يقول ابن الزبعرى: عمرو العلى
هشم الثريد لقومه: ورجال مكة مسنتون عجاف: وهو الذي سن الرحيل لقومه: رحل الشتاء
ورحلة الاصياف: فاما المسنتون فالذين اصابتهم السنة المجدبة الشديدة وقوله والخالطون
غنيهم بفقيرهم من احسن الكلام واخصره وانما اراد انهم يفضلون على الفقير حتى يعود غنيا
ذا ثروة ولاحمد بن يوسف ابيات على هذا الوزن والروي يمزح بها مع ولد سعيد بن سلم
وكان لهم صديقا: ابني سعيد انكم من معشر: لا يعرفون كرامة الاضياف: قوم لباهلة بن يعصر ان
هم: نسبوا احسبتهم لعبد مناف: قربوا الى العشاء وقربوا: زادا لعمر ابيك ليس بكاف: وكانني لما
حططت اليهم: رحلي نزلت بابرق العزاف: بينا كذلك اذ اتى كبراؤهم: يلحون في التبذير والاسراف
اراد بقوله قربوا الغداء الى العشاء من بخلهم واقتصادهم واختصارهم في المطعم والمشرب يقال
ان هذا الشعر حفظ وصار اكثر ما يثبون به ويسب قومهم ولرب مزح جر جدا وعثرة الشعر لا تستقال
والشعر يصحب جودة ولقد احسن دعبل في قوله يعوي ولما يعني غير شامت: وعن عدو
قد اصيبت مقاتله: يقولون ان ذاق الردى مات شعره: وهيهات عمر الشعر طالت طوائله:
ساقضي ببيت يحمد الناس امره: ويكثر من اهل الرواية حامله: يموت ردي الشعر من قبل ربه
وجيده يبقى وان مات قائله: ولآخر في هذا المعنى: لا تعرضن بمزح لامرئ فطن: ما راضه قلبه
اجراه في الثبت: فرب قافية بالمزح جارية: مشئومة لم يرد انماؤها نمت: مجلس آخر ان سال
سائل عن قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم
وضل عنهم ما كانوا يفترون وعن قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا
نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه وانهم لكاذبون فقال كيف يقع من اهل الآخرة نفي الشرك عن انفسهم والقسم بالله تعالى عليه

وهم

وهم كاذبون ومع ذلك انهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة
ولانهم ملجؤون هناك الى ترك جميع القبائح وكيف قال من بعد ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم
لكاذبون فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التمني لانهم تمنوا ولم يخبروا
والجواب قلنا اول ما نقوله انه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي ان قولهم ما كنا مشركين انما وقع في الآخرة
دون الدنيا واذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز ان يكون الاخبار يتناول حال الدنيا وسقطت المسئلة
وليس لاحد ان يتعلق في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين
اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وانه عقب ذلك بقوله ثم لم تكن فتنتهم فيجب ان يكون الجميع
مختصا بحال الآخرة لانه لا يمتنع ان تكون الآية تتناول ما يجري في الآخرة ثم تتلوها آية تتناول ما جرى
في الدنيا لان مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا غير واجب وفي قوله ثم لم تكن فتنتهم لا يدل ايضا على ان
ذلك يكون واقعا بعد ما خبر عنه في الآية الاولى فكانه تعالى قال على هذا الوجه انا نحشرهم في الآخرة
ونقول اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وما كان فتنتهم وسبب ضلالتهم في الدنيا الا قولهم والله
ربنا ما كنا مشركين وقد قيل في الآية على تسليم ان هذا القول يقع منهم في الآخرة ان المراد به انا ما كنا
عند نفوسنا مشركين بل كنا نعتقد انا على الحق والهدى وقوله تعالى من ابتدا انظر كيف كذبوا على انفسهم لم يرد
هذا الخبر الذي وقع منهم في الآخرة بل اراد انهم كذبوا على انفسهم في دار الدنيا باخبارهم انهم مصيبون
محقون غير مشركين وليس في الظاهر الا انهم كذبوا على انفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يحمل على الآخرة دون
الدنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضي وقوع ذلك في الآخرة لحملناه على الدنيا بدلالة ان اهل الآخرة لا يجوز ان
يكذبوا لانهم ملجؤون الى ترك القبائح فاما قوله تعالى حاكيا عنهم يا ليتنا نرد وقوله انهم لكاذبون فمن الناس
من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف قوله وانهم لكاذبون الى غير الامر الذي تمنوه لان التمني لا يصح فيه الصدق
والكذب وانما يدخلان في الاخبار المحضة لان قول القائل ليت الله رزقني ولدا وليت فلانا اعطاني
مالا افعل به كذا وكذا لا يكون كاذبا ولا صادقا وقع ما تمناه او لم يقع فيجوز على هذا ان يكون قوله تعالى
وانهم لكاذبون مصروفا الى حال الدنيا كانه قال وهم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من
الاصابة والاعتقاد للحق او يريد انهم كاذبون ان خبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وان
كان ما حكي عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز ايضا ان يحمل قوله تعالى وانهم لكاذبون على غير الكذب الحقيقي
بل يكون المراد والمعنى انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في الكلام لانهم يقولون
لمن تمنى ما لا يدرك كذب املك واكدى رجاؤك وما جرى مجرى ذلك قال الشاعر: كذبتم وبيت الله
لا تأخذونها: مراغمة ما دام للسيف قائم: وقال الآخر: كذبتم وبيت الله لا تنكحونها: بني شاب قرناها
تصر وتحلب: ولم يرد الكذب في الاقوال بل في التمني والامل وليس لاحد ان يقول كيف يجوز من اهل

الاخرة مع اشعارهم فهم مخبرون بها وانهم عالمون بان الرجوع الى الدنيا الا سبيل اليه ان يتمنوه وذلك
انه غير ممتنع ان يتمنى المتمنى ما يعلم انه لا يحصل ولا يقع ولهذا يتعلق التمني بان لا يكون ما قد كان لقوة
اختصاص التمني بما يعلم انه لا يكون غلط قوم فجعلوا الارادة ما علم المريد انه لا يكون تمنيا فهذا الذي
ذكرناه وجه في تاويل الاية وفي الناس من يجعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم
بالخبر دون التمني فكان تقدير الاية يا ليتنا نرد وهذا هو التمني ثم قال من بعد فانا لا نكذب بايات
ربنا ونكون من المؤمنين فاخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل
ذلك فلهذا كذبهم وكل هذا واضح بحمد الله اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا احمد
عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكريان قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا ابو بكر محمد بن
عبد الله العبدي قال حدثنا ابو مسعر رجل منا من بني غنم بن عبد القيس قال ورد منصور بن سلمة النمري
على البرامكة وهو شيخ كبير وكان مروان بن ابي حفصة حسد مقالي على اني كنت ابغضه وامقته في الله
فشكا الي قال دخل اليوم علينا رجل اظنه شاميا وقد تقدمته البرامكة في الذكر عند الرشيد
فاذن له فدخل فسلم فاجاد فاذن له الرشيد فجلس قال فاوجست منه خوفا فقلت يا نفس انا حجازي
نجدي شافهت العرب وشافهتني وهذا شامي افتراه اشعر مني قال فجعلت ارفو نفسي الى ان
استنشده هارون فاذا هو والله من افصح الناس فدخلني له حسد قال فانشده قصيدة تمنيت انها لي
وان علي غرمها قال فقلت له ما هي فقال احفظ منها ابياتا وهي امير المؤمنين اليك خضنا غمار
الموت من بلد شطير بخوص كالاهلة جانفات تميل على السرى وعلى الهجير حملن اليك احمالا
عظاما ومثل الصخر والدر النثير فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار الى المصير الى ملا
تشير الى سواه اذا ذكر الندى كف المشير قال مروان فرددت انه اخذ جائزتي وسكت وعجبت
من تخلصه الى تلك القوافي ثم ذكر ولد امير المؤمنين عليه السلام فاحسن التخلص ورايت هارون
يعجب بذلك فقال بذلك في رقاب بني علي ومن ليس بالمن اليسير فان شكروا فقد انعمت
فيهم والا فالندامة للكفور منت على ابن عبد الله يحيى وكان من الحتوف على شفير وقد سخطت
لسخطك المنايا عليه فهي حائمة النسور ولو كافات ما اجترحت يداه دلفت له بقاصمة
الظهور ولكن جل حلمك فاجتباه على الهفوات عفو من قدير فعادكانما لم يجن ذنبا وكان
قد اجتنى حسك الصدور وانك حين تبلغهم اذاة وان ظلموا لمحترق الضمير وان الرشيد قال
لما سمع هذا البيت منه هذا والله معنى كان في نفسي وادخله بيت المال فحكمه فيه عدنا الى الخبر
قال مروان وكان هارون يبتسم ويكاد يضحك للطف ما سمع ثم اوما الي ان انشده فانشدته
قصيدتي التي اقول فيها خلوا الطريق لمعشر عاداتهم حطم المناكب كل يوم زحام حتى اتيت على

اخرها

اخرها فوالله ما عاج ذلك الرجل بشعري ولا حفل به قال وانشده منصور يومئذ ان لهارون
امام الهدى كنزين من اجر ومن بر يرتش ما يبري الليالي ولا يبري ويبري ما يريش كانما
البدر على رحله يرميك منه مقلتا صقر قال وانشده ايضا ولمن اضاع لقد وجدت حافظا
لوصية العباس بالاخوال قال مروان واخلق به ان يغلبني وان يعلو علي عنده فاني ما رايت
احسن من تخلصه اذ ذكر الطالبيين اخبرنا المرزباني قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني ابو عثمان
الجاحظ قال كان منصور النمري ينافق الرشيد ويذكر هارون في شعره ويريه انه من وجوه
شيعته وباطنه ومراده بذلك امير المؤمنين علي عليه السلام لقول النبي صلى الله عليه واله انت مني بمنزلة
هارون من موسى الى ان وشى به عنده بعض اعدائه وهو العتابي فقال يا امير المؤمنين هو والله
الذي يقول متى يشفيك دمعك من همول ويبرد ما بقلبك من غليل وانشده ايضا شاء من
الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطل ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالعجائب فوجه
الرشيد برجل من بني فزارة وامره ان يضرب عنق منصور حيث يقع عينه عليه فقدم الرجل راس
عين بعد موت منصور بايام قلائل قال المرزباني ويصدق قول الجاحظ ان النمري كان يكني
هارون في شعره ويعني به امير المؤمنين عليه السلام ما انشده محمد بن الحسن بن دريد النمري ال الرسول
خيار الناس كلهم وخير ال رسول الله هارون رضيت حكمك لا ابغي به بدلا لان حكمك
بالتوفيق مقرون وروي ان ابا عصمة الشيعي لما اوقع باهل ديار ربيعة اوفدت ربيعة وفدا
الى الرشيد فيهم منصور النمري فلما صاروا بباب الرشيد امرهم باختيار من يدخل عليه فاختاروا واعدوا
بعد عدد الى ان اختاروا رجلين النمري احدهما ليدخلا ويسالا حوائجهما وكان النمري مجودا لم
يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما امتثل هو وصاحبه بين يدي الرشيد قال لهما قولا
ما تريدان فاندفع النمري فانشده ما تنقضي حسرة مني ولا جزع فقال له الرشيد قل حاجتك
ودع عن هذا فقال اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع وانشده القصيدة حتى انتهى الى قوله ركب من النمر
عاذوا بابن عمهم من هاشم اذ الح الازلم الجذع متوا اليك بقربى منك تعرفها لهم بها في سنام
المجد مطلع ان المكارم والمعروف اودية احلك الله منها حيث تجتمع اذا رفعت امرا فالله رافعه
ومن وضعت من الاقوام متضع نفسي فداؤك والابطال معلمة يوم الوغا والمنايا بينهم قرع
حتى اتى على اخرها فقال الرشيد قل حاجتك فقال يا امير المؤمنين اخربت الديار واخذت الاموال
وهتكت الحرم فقال اكتبوا له بكل ما يريد وامر له بثلاثين الف درهم واحتبسه عنده وشخص اصحابه
بالكتب ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى استاذنه في الانصراف فاذن له فانصرف ثم اتصل بالرشيد
قوله شاء من الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطل تقتل ذرية النبي ويرجون خلود

قوله تعالى وإذا الموؤدة سئلت

الجنان للمقاتل إنما الشك عندي في كفر قاتله * لكنني قد أشك في الخاذل * فانتفض الرشيد وانفذ
من يقتله فوجد في بعض الروايات ميتاً وفي الأخرى عليلاً لما به فسئل الرسول أن لا يأتم فيهرون ان
ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفي وعاد بخبر موته إلى هارون وللنمري * لو كنت أخشى معادي
حق خشيته * لم تسم عيني إلى الدنيا ولم تنم * يحاولون دخولي في سوادهم * لقد أحالوا بصبح غير
ملتئم * لكنني عن طلاب الدين محتبل * والعلم مثل الغنى والجهل كالعدم * ما يغلبون النصارى
واليهود على * حب القلوب ولا العباد للصنم * **مجلس آخر** تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى
وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت فقال كيف يصح أن يسأل من لا ذنب له ولا عقل
وأي فائدة في سؤالها عن ذلك وما وجه الحكمة فيه وما الموؤدة ومن أي شيء اشتقاق هذه اللفظة
الجواب قلنا أما سئلت ففيه وجهان أحدهما أن يكون المراد أن قاتلها طولب بالحجة في قتلها وسئل
عن قتله لها وبأي ذنب كان على سبيل التعنيف والتوبيخ وإقامة الحجة فالقتلة ههنا هم المسؤولون على
الحقيقة لا المقتولة وإنما المقتولة مسؤول عنها ويجري هذا مجرى قولهم سألت حقي أي طالبت به
ومثله قوله تعالى وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً أي مطالباً به ومسؤولاً عنه والوجه الآخر أن
يكون السؤال توجه إليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقاتلها والتقريع له والتنبيه على أنه لا حجة له في
قتلها ويجري هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله
على طريق التوبيخ لقومه وإقامة الحجة عليهم فإن قيل على هذا الوجه كيف يخاطب ويسأل من لا عقل له ولا
فهم فالجواب أن في الناس من زعم أن الغرض بهذا القول إذا كان تبكيت الفاعل وتهجينه وإدخال الغم عليه
في ذلك الموقف على طريق العقاب لم يمتنع أن يقع وإن لم يكن من الموؤدة فهم له لأن الخطاب وإن علق
عليها وتوجه إليها فالغرض في الحقيقة غيرها وهذا يجري مجرى من ضرب ظالم طفلاً من ولده فقيل
على وجه له يقول لم ضربت وما ذنبك وبأي شيء استحل هذا منك وغرضه تبكيت الظالم لا خطاب
الطفل فالأولى أن يقال في هذا أن الأطفال وإن كان من جهة العقول لا يجب في وصولهم إلى الأعواض
المستحقة أن يكونوا كاملي العقول كما يجب مثل ذلك في الوصول إلى الثواب فإن الخبر متظاهر والأمة
متفقة على أنهم في الآخرة وعند دخولهم الجنان يكونون على أكمل الهيئات وأفضل الأحوال وأن عقولهم
تكون كاملة فعلى هذا يحسن توجه الخطاب إلى الموؤدة لأنها تكون في تلك الحال ممن يفهم الخطاب ويعقله
وإن كان الغرض فيه التبكيت للقاتل وإقامة الحجة عليه وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن
عباس ويحيى بن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح وأبي الضحى ومروان وأبي صالح وجابر بن زيد أنهم قرأوا
سألت بفتح السين والهمزة وإسكان التاء بأي ذنب قتلت بإسكان اللام وضم التاء الثانية على أن
الموؤدة موصوفة بالسؤال وبالقول بأي ذنب قتلت وروى القطعي عن سليمان الأعمش عن حفص

في الحديث عليكم بالسواد الأعظم وهو جملة الناس التي اجتمعت على طاعة الإمام أو السلطان الغفير

عن عاصم

عن عاصم قتلت بضم التاء الثانية وفي سئلت مثل قراءة الجمهور بضم السين وروي عن أبي جعفر المدني
قتلت بالتشديد وإسكان التاء الثانية وروي عن بعضهم وإذا المودة بفتح الميم والواو فأما من
قرأ بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما من أن الله تعالى أكملها في تلك الحال وأقدرها على
النطق والوجه الآخر يكون معنى سألت أي سئل لها وطولب بحقها وانتصف لها من ظالمها فكأنها هي
السائلة تجوزاً واتساعاً ومن قرأ بفتح السين من سألت وبضم التاء الثانية من قتلت فعلى أنها هي
المخاطبة بذلك ويجوز على هذا الوجه أيضاً قتلت بإسكان التاء الأخيرة كقراءة الجماعة لأنه إخبار عنها
كما يقال سأل زيد بأي ذنب ضرب وبأي ذنب ضربت ويقوي هذه القراءة في سألت ما
روي عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله يجيء المقتول ظلماً يوم القيامة وأوداجه تشخب دماً اللون
لون الدم والريح ريح المسك متعلقاً بقاتله يقول رب سل هذا فيم قتلني فأما القراءة المأثورة
عن حفص عن عاصم في ضم التاء الأخيرة من قتلت مع ضم السين من سئلت فمعناها وإذا الموؤدة
سئلت ما تبغي فقالت بأي ذنب قتلت فأضمر قولها والعرب تضمر مثل هذا لدلالة الخطاب
عليه وارتفاع الإشكال عنه مثل قوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل
منا إنك أنت السميع العليم أي يقولان ذلك ونظائره في القرآن كثيرة جداً فأما قراءة من قرأ قتلت
بالتشديد فالمراد به تكرار القتل والموؤدة وإن كان لفظها لفظ واحدة فالمراد بها الجنس وإرادة
التكرار جائزة فأما من قرأ المودة بفتح الميم والواو فعلى أن يكون المراد الرحم والقرابة وأنه يسأل
قاطعها عن سبب قطعها وتضييعها قال الله تعالى فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض
وتقطعوا أرحامكم فأما الموؤدة فهي المقتولة صغيرة وكانت العرب في الجاهلية تئد البنات بأن
يدفنوهن أحياء وهو قوله تعالى أيمسكه على هون أم يدسه في التراب وقوله تعالى قد خسر
الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم ويقال إنهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين أحدهما أنهم كانوا
يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات بالله فهو أحق بالبنات والأمر الآخر أنهم كانوا
يقتلونهن خشية الإملاق قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم
قال السيد المرتضى علم الهدى قدس الله روحه وجدت أبا علي الجبائي وغيره يقولون إنما
قيل لها موؤدة لأنها ثقلت بالتراب الذي طرح عليها حتى ماتت وفي هذا بعض النظر لأنهم
يقولون من الموؤدة وأد يئد وأداً والفاعل وائد والفاعلة وائدة ومن الثقل يقولون
آدني الشيء يؤودني إذا أثقلني أوداً وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن العزل
فقال ذاك الوأد الخفي وقد روي عن جماعة من الصحابة كراهية ذلك وقال قوم في الخبر
الذي ذكرناه إنه منسوخ بما روي عنه عليه السلام أنه قيل له إن اليهود يقولون في العزل هي

اختلاف القراءات في هذه الآية

أي أي شيء تبغي

الموؤدة الصغرى فقال كذبت يهود لو اراد الله تعالى ان يخلقه لم يستطع احد ان يصرفه وقد يجوز
ان يكون قولهم ذلك الوأد الخفي على طريق تاكيد الترغيب في طلب النسل وكراهية العزل لا على
انه محظور محرم وصعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق بن غالب كان ممن فدى الموؤدات
في الجاهلية ونهى عن قتلهن ويقال انه احيا الف موؤدة وقيل دون ذلك وقد افتخر الفرزدق
بهذا في قوله ومنا الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم توأد وفي قوله ومنا الذي
احيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاجب والاقارع وفي ذلك يقول ايضا انا ابن عقال
وابن ليلى وغالب وفكاك اغلال الاسير المكفر ليلى ام غالب وعقال هو محمد بن سفيان
ابن مجاشع وفكاك الاغلال ناجية بن عقال والمكفر الذي قد كفر وكبل بالحديد وكان لنا
شيخان ذوا القبر منهما وشيخ اجار الناس من كل مقبر ذوا القبر غالب وكان يستجار بقبره
وهو الذي اجار الناس من المقبر واحيا الوئيد صعصعة على حين لا تحيى البنات واذهم عكوف
على الاصنام حول المدور انا ابن الذي رد المنية فضله وما حسب دافعت عنه بمعود
ابي احد الغيثين صعصعة الذي متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر اجار بنات الوائدين ومن
يجر على القبر يعلم انه غير مخفر وفارق ليل من نساء اتت به تعالج ريحا ليلها غير مقمر فارق
يعني امراة ماخضا شبهها بالفارق من الابل وهي الناقة يضربها المخاض فتفارق الابل وتمشي على
وجهها حتى تضع فقالت اجر لي ما ولدت فانني اتيتك من هزلى الحمولة مقتر راى الارض
منها راحة فرمى به الى جدد منها وفي شر محفر فقال لها نامي فاني بذمتي لبنتك جار من
ابيها القنوت واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي
عن العباس بن بكار الضبي عن ابي بكر الهذلي قال الصولي وحدثنا القسم بن اسمعيل عن ابي عثمان
المازني عن ابي عبيدة بطرف منه قال وقد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله
صلى الله عليه واله في وفد من بني تميم وكان صعصعة منع الوئيد في الجاهلية فلم يدع تميما تئد وهو
يقدر على ذلك فجاء الاسلام وقد فدى في بعض الروايات اربعمائة جارية وفي الرواية الاخرى ثلثمائة
فقال للنبي صلى الله عليه واله بابي انت وامي اوصني قال اوصيك بامك وابيك واختك واخيك
وادانيك ادانيك فقال زدني يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه واله احفظ ما بين لحييك
ورجليك ثم قال صلى الله عليه واله ما شيء بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله رايت الناس يموجون
على غير وجه ولم ادر اين الصواب غير اني علمت انهم ليسوا عليه فرايتهم يئدون بناتهم فعرفت ان
ربهم عز وجل لم يامرهم بذلك فلم اتركهم يئدون وفديت ما قدرت وفي رواية اخرى ان صعصعة
لما وفد على رسول الله صلى الله عليه واله فسمع فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة

شر

شرا يره قال حسبي ما ابالي ان لا اسمع من القران غير هذا ويقال انه اجتمع جرير والفرزدق يوما
عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا فقال الفرزدق انا ابن محيي الموتى فقال له سليمان انت ابن محيي
الموتى فقال ان جدي احيا الموؤدة وقد قال الله عز وجل ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
وقد احيا اثنتين وتسعين موؤدة فتبسم سليمان وقال انك مع شعرك لفقيه تاويل خبر ان سال
سائل عن معنى الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه واله انه نهى ان يصلي الرجل وهو زناء الجواب قلنا
الزناء هو الحاقن الذي قد ضاق ذرعا ببوله يقال ازنا الرجل ببوله فهو يزنيه ازناء وزناء
ببوله زناء وزناء قال الاخطل فاذا دفعت الى زناء قعرها غبراء مظلمة من الاحفار يعني ضيق
القبر ويقال لا تات فلانا فان منزله زناء فيجوز ان يكون ضيقا ويجوز ان يكون عسر المرتقى وكلاهما
يؤول الى المعنى الواحد ويقال موضع زناء اذا كان ضيقا صعبا ومن ذلك قول ابي زبيد يصف
اسدا ابن عريسة عنابها اشب ودون غايتها مستورد شرع شاس الهبوط زناء الحاميين متى
يشعر بوارده تحدث لها فزع يعني بزناء الحاميين انه ضيق جانبي الوادي وقوله متى يشعر بوارده
اي يضيق بجماعة من يرده وانما تحدث لها فزع من الاسد والشاس الغليظ يقال مكان شاس اذا
كان غليظا ومن ذلك قولهم زناء فلان في الجبل اذا كان يد الصعود وهو يزنا في الجبل زنا وروى
ابو زيد ان قيس بن عاصم المنقري اخذ صبيا له يرقصه وام ذلك الصبي منفوسة وهي بنت زيد
الفوارس بن ضرار الضبي فجعل قيس يقول له اشبه ابا امك او اشبه عمل ولا تكونن كهلوف وكل
يرى في عمل والوكل الجبان والهلوف الحرم المسن وهو ايضا الكبير اللحية وانما اراد به ههنا الجبان وارق
الى الخيرات زناء في الجبل فاخذته امه فجعلت ترقصه وتقول اشبه اخي او اشبهن اباكا اما ابي
فلن تنال ذاكا تقصر عن منالة يداكا مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى وهديناه
النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا
مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب
الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة عليهم نار موصدة فقال ما تاويل هذه الايات وما
معنى ما تضمنته الجواب اما ابتداء الاية فتذكير بنعم الله تعالى عليهم وما ازاح به عللهم في تكليفهم
وما تفضل عليهم من الالات التي يتوصلون بها الى منافعهم ويدفعون المضار عنهم لان الحاجة
ماسة في اكثر المنافع الدينية والدنياوية الى العين للرؤية واللسان للنطق والى الشفتين لحبس الطعام
والشراب ومسكهما في الفم وللنطق ايضا واما النجد في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الارض
والغور الهابط منها وانما سمي الموضع من الارض نجدا لارتفاعه واختلف اهل التاويل في المراد
بالنجدين فذهب قوم الى ان المراد بهما طريقا الخير والشر وهذا الوجه يروى عن امير المؤمنين عليه السلام

يروى ن

جمع حفر وهو المحفور

وابن عباس وابن مسعود وعن الحسن وجماعة من المفسرين وروي انه قيل لامير المؤمنين عليه السلام
ان ناسا يقولون في قوله تعالى وهديناه النجدين انهما الثديان فقال عم لا بل هما الخير والشر وروي
عن الحسن انه قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ايها الناس انهما نجدان نجد الخير ونجد
الشر فما استفهام جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير وروي عن قوم اخرين ان المراد بالنجدين ثديا
الام فان قيل كيف يكون طريق الشر مرتفعا كطريق الخير ومعلوم انه لا شرف ولا رفعة في الشر قلنا
يجوز ان يكون انما سماه نجدا لظهوره وبروزه لمن كلف اجتنابه ومعلوم ان الطريقين جميعا
باديان ظاهران للمكلفين ويجوز ايضا ان يكون سمى طريق الشر نجدا من حيث يحصل في اجتناب
سلوكه والعدول عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثل ذلك في سلوك طريق الخير لان الثواب الحاصل
في اجتناب طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير وقال قوم انما اراد بالنجدين انا بصرناه وعرفناه
ماله وعليه وهديناه الى طريق استحقاق الثواب وثنى النجدين على عادة العرب في تثنية الامرين اذا
اتفقا في بعض الوجوه واجري لفظ احدهما على الاخر كما قيل في الشمس والقمر القمران قال
الفرزدق لنا قمراها والنجوم الطوالع ولذلك نظائر كثيرة فاما قوله تعالى فلا اقتحم العقبة ففيه
وجهان احدهما ان يكون فلا بمعنى الجحد وبمنزلة لم اي فلم يقتحم العقبة واكثر ما يستعمل هذا
الوجه بتكرير لفظ لا كما قال تعالى فلا صدق ولا صلى اي لم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة وان كانت
النعماء فيهم جزوا بها وان انعموا لا كدروها ولا كدوا وقلما يستعملون هذا المعنى من غير تكرير
لفظ لا لانهم لا يقولون لا جئتني ولا زرتني يريدون ما جئتني فان قالوا لا جئتني ولا زرتني
صلح الا ان في الاية ما ينوب مناب التكرار ويغني عنه وهو قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا
فكانه تعالى قال فلا اقتحم العقبة ولا امن فمعنى التكرار حاصل والوجه الاخر ان تكون لا جارية مجرى
الدعاء كقولك لا نجا ولا سلم ونحو ذلك وقال قوم فلا اقتحم العقبة اي هلا اقتحم العقبة او افلا
اقتحم العقبة قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر ولو كان
اراد النفي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جدا لان قوله فلا خال من لفظ الاستفهام وقبيح
حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع وقد عيب على عمر بن ابي ربيعة قوله ثم قالوا تحبها قلت
بهرا عدد القطر والحصى والتراب فاما الترجيح بان الكلام لو اريد به النفي لم يتصل فقد بينا انه
متصل مع ان المراد به النفي لان قوله ثم كان من الذين امنوا معطوف على فلا اقتحم العقبة اي فلا اقتحم
العقبة ثم كان من الذين امنوا والمعنى انه ما اقتحم ولا امن على ما بيناه فاما المراد بالعقبة فاختلف
فيه فقال قوم هي عقبة ملساء في جهنم واقتحامها فك رقبة وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه
قال امامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون وانا اريد ان اتخفف لتلك العقبة وروي عن ابن

عباس

اي جبنا فانباه

[illegible]

عباس انه قال هي عقبة كؤود في جهنم وروي ايضا انه قال العقبة هي النار نفسها فعلى هذا الوجه
يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدي الى اقتحام هذه العقبة ويكون سببا
لجوازها والنجاة منها لان فك رقبة وما اتى بعد ذلك ليس هو النار نفسها ولا موضعا منها وقال
اخرون بل العقبة ما ورد مفسرا لها من فك الرقبة والاطعام في يوم المسغبة وانما سمي ذلك
عقبة لصعوبته على النفوس ومشقته عليها وليس يليق هذا الوجه بالجواب الذي ذكرناه في
معنى قوله فلا اقتحم العقبة وانه على وجه الدعاء لان الدعاء لا يحسن الا بالمستحق ولا يجوز ان يدعى
على احد بان لا يقع منه ما كلف وقوعه وفك الرقبة والاطعام المذكور من الطاعات
فكيف يدعى على احد بان لا يقع منه فهذا الوجه يطابق ان تكون العقبة هي النار نفسها
او تكون عقبة فيها وقد اختلف الناس في قراءة فك رقبة فقرا امير المؤمنين عليه السلام ومجاهد
واهل مكة والحسن وابو رجاء العطاردي وابو عمرو والكسائي فك رقبة بفتح الكاف ونصب
الرقبة وقرؤا او اطعم على الفعل دون الاسم وقرا اهل المدينة واهل الشام وعاصم وحمزة
ويحيى بن وثاب ويعقوب الحضرمي فك بضم الكاف وخفض رقبة او اطعام على المصدر وتنوين
الميم وضمها فمن قرا على الاسم ذهب الى ان جواب الاسم بالاسم اكثر في كلام العرب واحسن من
جوابه بالفعل الا ترى ان المعنى ما ادريك ما اقتحام العقبة هو فك رقبة او اطعام وذلك اهون
من ان يقال هو فك رقبة او اطعم ومال القراء الى القراءة بلفظ الفعل ووجهها بقوله تعالى
ثم كان من الذين امنوا لانه فعل فالاولى ان يتبع فعلا وليس يمتنع ان يفسر اقتحام العقبة وانكان
اسما بفعل يدل على الاسم وهذا مثل قول القائل ما ادراك ما زيد يقول مفسرا انه يصنع الخير
ويفعل المعروف وما اشبه ذلك فياتي بالافعال والسغب الجوع وانما اراد انه يطعم في يوم
مجاعة لان الاطعام فيه افضل واكرم فاما مقربة فمعناه يتيما ذا قرب من قرابة النسب والرحم وهذا
حض على تقديم ذوي القرابة المحتاجين على الاجانب في الافضال والمسكين الفقير الشديد الفقر
والمتربة مفعلة من التراب اي هو لاصق بالارض من ضره وحاجته ويجري هذا الاشتقاق مجرى
قولهم في الفقير مدقع وهو ماخوذ من الدقعاء وهي الارض التي لا شيء فيها وقال قوم ذا متربة اي ذا
عيال والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل انه ماخوذ من الرحم وقد يمكن في مقربة ان يكون غير ماخوذة
من القرابة والقربى بل هو من القرب الذي هو الخاصرة فكان المعنى انه يطعم من انطوت خاصرته
من شدة الجوع والضر وهذا اعم من المعنى الاول واشبه بقوله ذا متربة لان كل ذلك مبالغة في
وصفه بالضر وليس من المبالغة في الوصف بالضر ان يكون قريب النسب والله اعلم بمراده قال السيد
المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ومن طريف المدح ومليحه قول الشاعر وكانه من وفد عند القرى

اختلاف القراء في قرائة الرقبة

الثاني والثمانون المجلس

لولا مقام المادح المتكلم وكانت احدى الندى تقى بنانه لولا مقالته اطب للمؤدم ويقارب
ذلك في المعنى قول محمد بن خارجة سهل الفناء اذا حللت ببابه طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رايت صديقه وشقيقه لم تدر ايهما اخو الارحام ومثله لابي الهندي نزلت على
آل المهلب شاتيا غريبا عن الاوطان في زمن المحل فما زال بي اكرامهم واقتفاؤهم ولطفهم
حتى حسبتهم اهلي ولابن الدقعاء يمدح عقبة ابن سنان الحارثي الم ترني شكوت ابا
سعيد بنعماه وقد كفر الموالي ولم اكفر سحائبه اللواتي مطرن علي واهيبة العزالي
فمن يك كافرا نعماه يوما فاني شاكر اخرى الليالي فتى لم تطلع الشمس من افق ولم تعرض
ليمنى او شمال على نده لكرائن عد مجد ومكرمة وائتلاف لما لي واصبر في الحوادث ان
المت واسعى للمحامد والمعالي فتى عم البرية بالعطايا فقد صاروا له ادنى العيال
قال ولآخر لم اقض من صحبة زيد اربي فتى اذا اغضبته لم يغضب موكل النفس بحفظ
الغيب اقصى الرفيقين له كالاقرب فانه لم يرد ان الضعيف السبب في المودة كالقوي
السبب وانما اراد انه يرعى من غيب الرفيق البعيد الغايب وحقه ما يرعاه من حقوق الشاهد
الحاضر وانه يستوي عنده لكرمه وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت على خلاف ما عليه
اكثر الناس من مراعاة الحاضر القريب واهمال حق البعيد هذا آخر مجلس املاه السيد المرتضى
ذو المجدين قدس الله روحه ثم تشاغل بامور الحج والحمد لله رب العالمين والصلوة على نبيه محمد وآله الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر

قال الشريف الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القسم علي بن الحسين الموسوي رضي الله عنه
انه لا يزال المتكلمون يخالفون النحويين في ان للفعل ثلاثة احوال ماض وحاضر ومستقبل
ويقول المتكلمون للفعل حالان بغير ثالث لان كل معلوم من الافعال لا يخلو من ان يكون موجودا
او معدوما فالموجود قد صار ماضيا والمعدوم هو المنتظر ولا حال ثالثة فالمتكلمون يحسنون
العبارة عما لحظوه وارادوه حتى يزول الخلاف في المعاني التي هي المهم ولا اعتبار بالعبارات
ولا النحويون لافهامهم ما قصدوه بلفظ غير مشتبه ولا محتمل فكم من معنى كاد يضيع لسوء العبارة
عنه وقصور الاشارة اليه واعلم ان المواضعات مختلفة والعرف يختلف باختلاف اهله بحسب
عاداتهم وقولنا فعل في عرف المتكلمين ليس هو الذي يعرفه النحويون لان الفعل في عرف اهل الكلام
هو الذات الحادثة بعد ان كانت معدومة بقادر وهذا الحد يقتضي ان يكون كل موجود من
الذوات غير الله تعالى وحده فعلا فزيد فعل والسماء كذلك والحرف الذي فرق النحويون بينه
وبين الاسم فعل ايضا والفعل ايضا على هذا الحد فعل لان الحرف صوت يقطع على وجه مخصوص

والاصوا

والاصوات كلها افعال لغيرنا المحقق من عرف القوم ان النحويين ما فصلوا بين الاسم والفعل
والحرف من حيث نفي الاشتراك في الحدوث والفعلية بل فصلوا بينها مع اشتراكها في معنى الفعلية
التي يذهب اليها المتكلمون لما بينها من الفصل في احكام اخر يختص بها بعضها دون بعض فقالوا
الاسم ما دل على معنى لا يقترن بزمان والفعل ما اقتضى معنى مقترنا بزمان غير مخصوص والحرف
ما خلا من هاتين العلامتين فكانهم قصدوا الى ما هو فعل حادث على عرف المتكلمين فصنفوه ونوعوه
وسموا بعضه اسما وبعضه فعلا وبعضه حرفا لاختلاف الاحكام التي عقلوها فلا لوم في ذلك عليهم
ولا مناظرة فيه معهم وبالمناظرة الصحيحة تزول الشبهات وتنحسم التبعات والذي يجب تحصيله
والتعويل عليه ان الفعل الحادث في اول احوال وجوده يسمى فعل الحال فان تقضى وعدم صار ماضيا
والفعل المستقبل هو المنتظر المتوقع الذي هو الآن معدوم فان فرضنا ان الفعل الحادث
الذي فرضنا انه متى تقضى وعدم صار ماضيا بقي ولم يتقض اما على مذهب من يقطع على بقاء
الاعراض او على مذهب من يتوقف عن القطع فيها على بقاء او فناء فالواجب ان يكون استمراره لا
يخرجه من استحقاق الوصف بانه فعل الحال لان ما هو عليه لم يتغير الحال التي وجبت له عنها ولا خرج
الا ترى انا لو فرضنا انه تقضى وعدم وخلفه مثل له لكان ذلك الخالف له يستحق الوصف بانه للحال
وكذلك ما قام مقامه واوجب مثل ما يوجبه لانه لا فرق في التسمية للجالس بانه فعل حال بين ان يكون
المفتتح بالحدوث من اجزاء الجلوس بقي واستمر وبين ان يكون تجدد امثال له والاول باق او معدوم
بعد ان تكون الحالة المخصوصة ما تغيرت ولا تبدلت ولا فرق ايضا بين ان يكون ذلك الفعل
يوجب حالا مخصوصة كالالوان او حكما مخصوصا كالاعتمادات وما اشبههما في ان الذي انتفى منه
ولم تخرج عن المنعوت بانه فعل الحال وما خرجت عنه فهو الماضي فان قيل كيف قولكم فيما مضى وتقضى
من الافعال وصفتموه بانه ماض لتقضيه وعدمه ايجوز ان يكون مستقبلا على وجه من الوجوه او لا
يكون من الافعال مستقبلا الا ما لم يدخل في الوجود قط قلنا اما ما عدم وتقضى من الاعراض
على انها غير باقية في نفوسها كالادراكات والاصوات وما اشبه ذلك فلا شبهة في ان الماضي منه
لا يصح ان يكون مستقبلا من فعل قديم او محدث واما ما يبقى من اجناس الاعراض عند من قطع على بقائها
او شك في حالها بين جواز البقاء عليها او نفيه فنحن لا نقدر على اعادته والقديم تعالى قادر على اعادته
الى الوجود فهذا الضرب من فعله تعالى لا يمتنع تسميته بانه مستقبل لانه متوقع منتظر فاما الجواهر
المعدومة فلا شبهة في انها ماضية من حيث عدمت ومستقبلة من حيث كان وجودها مستانفا متوقعا
لان الله تعالى لا بد من ان يعيد المكلفين للثواب والعقاب والمكلف انما هو مؤلف من الجواهر فان
قيل هذا يقتضي ان يجتمع في الشيء الواحد ان يكون ماضيا مستقبلا وهذا كالمتناقض قلنا لا تناقض

الندى بنانه
القياد
قوله المؤدم متصل الادام للاضياف
الدقعاء
اي الامراء
بافق
ولم تعرض ليمين او شمال
في احوال الفعل
لافهامهم
قوله استمراره اي الحادث

ذلك لان الجوهر الماضي يستحق الوصف بانه ماض اذا عدم وكذلك العرض الماضي من افعال الله تعالى
اذا عدم وان جاز من حيث صح وجود ذلك مستانفا ان يوصف بانه مستقبل لان معنى المستقبل
هو المعدوم الذي يصح وجوده فلا تنافي بين الامرين ولو ثبت بينهما عرف في انهما لا يجتمعان وذلك
ليس بثابت لجاز ان يجعل حد المستقبل هو المعدوم الذي يصح وجوده مستقبلا من غير ان يكون
الوجود يستحصل له في حال من الاحوال فلا يلزم على ذلك ان يجتمع الوصفان في فعل واحد وقد كنا
املينا مسئلة في تحقيق الفرق بين الفعل الحال والماضي والمستقبل وهذا التلخيص الذي
ذكرناه ههنا اشرح واشبع منها وتكلمنا هناك على ما كان ابو علي الفارسي اعتمده وعول عليه في قوله
تعالى ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وقول الشاعر واعلم ما في اليوم والامس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عمي ومن طريقة اخرى في اعتبار تاثير الحروف في الاحوال المختلفة واستيفا واستوفينا الكلام
الكلام على هذه الشبهة فلا طائل في اعادة ذلك ههنا والجمع بين المسئلتين يغني عنه وما التوفيق
الا بالله تعالى مسئلة قال رضي الله عنه لا معنى لقوله تعالى وما تتلو منه من قران على ان الهاء
انه للتاكيد لما بيناه ان التاكيد اذا لم يفد غير ما يفيده المؤكد لم يحسن وقد علمنا بقوله منه من قران
انه من جملة القران فاي معنى لقوله منه وتكراره قال رضي الله عنه والصحيح ان معنى منه اي من اجل الشان
والقصة من قران فيحمل على الشان والقصة ليفيد معنى اخر وقال ايضا في قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا لا يجوز ان يحمل قوله فبذلك فليفرحوا على ما تقدم من فضل الله ورحمته ولا
معنى له على ما يقوله النحويون انه للتاكيد كما لا معنى لقول قايل زيد وعمرو هما يريد زيدا وعمرا فالصحيح
ان نقول في هذا ان معناه قل بفضل الله ومعونة الله وبرحمته لان معونة الله وفضل الله ورحمته
نوثر في القول فيقول بفضل الله ومعونته نفرح فرد قوله بفضل الله الى القول اي قل بفضله
ومعونته هذا القول فان بهذا القول ومعونته ورحمته يفرحون فيكون قوله فبذلك راجعا
الى الفرح بالفضل والرحمة حتى يكون قد افاد كل واحد من اللفظين فائدة مسئلة من الخزانة
العالية الوزيرية ادام الله سلطانها واعلا ابدا شانها ومكانها ان اذكر ما عندي في ادخال لفظة
كان في كونه تعالى عالما في مواضع كثيرة من القران وقال حرس الله عزها لفظة كان اذا كانت للماضي
وكيف دخلت على ما هو ثابت في الحال ومستمر دائم وما الوجه في حسن ذلك والجواب المزيل للشبهة
ان الكلام قد تدخله الحقيقة والمجاز ويحذف بعضه وان كان مرادا ويختصر حتى يفهم ولو بسط لكان
طويلا وفي هذه الوجوه التي ذكرناه تظهر فصاحته وتقوى بلاغته وكل كلام خلا من مجاز وحذف و
اختصار واقتصار بعد عن الفصاحة وخرج عن قانون البلاغة والادلة لا يجوز فيها المجاز ولا الا الحقيقة
وهي الحاكمة على الكلام والتي يجب بناؤه عليها والفروع ابدا تبنى على الاصول فاذا ورد عن الله تعالى

كلام

كلام ظاهره يخالف ما دلت عليه ادلة العقول وجب صرفه عن ظاهره ان كان له ظاهر وحمله على ما
يوافق الادلة العقلية ويطابقها ولهذا رجعنا في ظواهر كثيرة من كتاب الله تعالى اقتضى ظاهرها
الاجبار او التشبيه او ما لا يجوز عليه تعالى ولو سلمنا تبرعا وتطوعا ان دخول كان على العلم
والقدرة يقتضي ظاهرها الماضي دون المستقبل لحملناه لدلالة على ان المراد به الاحوال كلها لان
الادلة العقلية تقضي على ما يطلق من الكلام ولا يقضي الكلام على الادلة غير انا نبين ان دخول
كان على العلم والقدرة لا يقتضي ظاهرها الاختصاص بالماضي دون المستقبل فان لاهل العربية
في ذلك مذهبا معروفا فاشيا لان احدهم يقول كنت العالم وما كنت الا عالما وعليما خبيرا وما
كنت الا الشجاع والا الجواد ويريدون بذلك كله الاخبار عن الاحوال كلها ماضيها وحاضرها ومستقبلها
ولا يفهم من كلامهم سوى ذلك واذا كانت هذه عبارة عما ذكرناه فصيحة بليغة والقران نزل بافصح اللغات
وابلغها وابدعها وجب حمل لفظة كان اذا دخلت في كونه تعالى عالما وقادرا على ما ذكرناه ومما يستشهد
به على ذلك قول زياد الاعجم يرثي المغيرة بن المهلب بن ابي صفرة مات المهلب بعد طول تعرض للقتل
بين اسنة وصفائح الا ليالي فوقه براثه يغشى الاسنة فوق نهد قارح فاذا مررت بقبره فاعقر
به كوم المطي وكل طرف سابح وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخادم وذبائح
فقال في ميت قد مضى سبيله فلقد يكون وانما اراد فلقد كان فعبر بيكون عن كان كذلك
جاز ان يراد بلفظة كان الاحوال المستقبلة ووجه اخر وهو انه تعالى لما اراد ان يخبر عن كونه
عالما في الاحوال كلها ولم يجز ان يقول هو عالم في الحال او في المستقبل لان ذلك لا ينبئ عن كونه
عالما فيما مضى فعدل عن ذلك الى ادخال لفظة كان الدالة على الازمان الماضية كلها ومن كان
عالما فيما لم يزل من الاحوال فلا بد من كونه عالما لنفسه وذاته لان الصفات الواجبة فيما لم يزل
تكون الا نفسية والصفات النفسية يجب ثبوتها في الاحوال كلها الماضية والحاضرة والمستقبلة
فصار دخول كان في العلم والقدرة مطابقا للغرض وموجبا لثبوت هذه الصفة في جميع هذه
الاحوال وليس كذلك لو علق العلم بالحال او المستقبل وهذا وجه جليل الموقع ووجه اخر
وهو انا اذا سلمنا ان لفظة كان تختص بالماضي ولا تتعداه لم يكن في ادخالها في العلم الا انه تعالى
عالم فيما مضى من الاحوال وهو كذلك لا محالة اللهم الا ان يدعى ان تعليقها بالماضي يقتضي نفي
كونه تعالى عالما في المستقبل وليس الامر على ذلك لان هذا قول بدليل الخطاب وهو غير صحيح على ما
بيناه في مواضع من كتبنا لان تعليق الحكم بصفة او اسم لا يدل على انتفاء تلك الصفة او الاسم و مع انتفاء
بينا ان قوله عليه السلام في سائمة الابل الزكوة لا يدل على ان العاملة والمعلوفة لا زكاة فيهما وقد
يقول القائل كان زيد عندي بالامس ان كان عنده في الحال ضرب من غلمان فلان وان كان قد

ضرب سواه فكانه تعالى اذا سلمنا هذا الاصل الذي قد بينا انه غير صحيح اراد ان يثبت بهذا القول كونه
تعالى عالما فيما لم يزل ووكلنا في انه عز وجل عالم في جميع الاحوال الى الادلة العقلية الدالة على ذلك
والى اخباره تعالى عن كونه عالما في سائر الاوقات بقوله تعالى وهو بكل شيء عليم وما شاكل ذلك
من الالفاظ الدالة على الحال والاستقبال **تاويل اية** قال رحمه الله سئلت عن املاء تفسير قوله
تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السما
من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله
الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فاجبت الى ذلك اما قوله تعالى الم تر فالمراد الم
تعلم وان كان هذا اللفظ مشتركا بين الادراك والعلم وانما اختص هنا بالعلم دون الادراك لان
اضافة ازجاء السحاب وتاليفه وجميع ما ذكر في الاية الى الله تعالى مما لا يستفاد بالادراك وانما يعلم
بالادلة فاما قوله تعالى يزجي سحابا فمعناه يسوق ولا بد ان يلحظ في هذا الموضع السوق الضعيف
الرفيق يقال منه ازجى يزجي ازجاء وزجى يزجي تزجية اذا ساق ومنه ازجاء الكسير من الابل اذا
سقته سوقا رفيقا حتى يسير ومنه قوله تعالى ببضاعة مزجاة اي مسوقة شيئا بعد شيء على ضعف
وقلة قال عدي بن الرقاع : تزجي اغن كان ابرة روقه : قلم اصاب من الدواة مدادها : وقال
الاعشى : الواهب المائة الهجان وعبدها : عوذا تزجي خلفها اطفالها : اراد بالعوذ الحديثة النتاج
ومعنى تزجي اي تسوق اطفالها وراها سوقا رفيقا لانها تحن فتتبع اطفالها وقال مالك بن الريب
المازني : الا ليت شعري هل ابيتن ليلة : بوادي الغضا ازجي القلاص النواجيا : والسحاب
جمع سحابة ولهذا قال يؤلف بينه اي بين كل سحابة واخرى ولو كان هنا ايضا اسما للجنس لجاز
لان الجنس يوصل بعضه ببعض ويؤلف بعضه ببعض وانما لا يصح ذلك في العين الواحدة فاما الركام
فهو الذي جعل بعضه فوق بعض ومنه قوله تعالى سحاب مركوم وقوله تعالى فيركمه جميعا فاما الودق
فهو المطر يقال ودق يدق ودقا وكل ما قطر منه ماء او شيء فهو وادق ويقال استودقت الفرس
والاتان اذا حنت الى الفحل واستدعت ماءه ويقال ايضا اودقت واتان وديق وودوق
اذا ارادت انزال الفحل الماء فيها وخلال الشيء خروقه وفروجه وقد قرئ من خلله بغير الف فاما
قوله تعالى ينزل من السماء من جبال فيها من برد فانني وجدت جميع المفسرين على اختلاف عباراتهم
يذهبون على انه اراد ان في السماء جبالا من برد ومنهم من قال ما قدره قدر جبال قال يراد به
مقدار جبال من كثرته وابو مسلم بن بحر الاصبهاني خاصة انفرد في هذا الموضع بتاويل طريف وهو ان قال
الجبال ما جبل الله من برد وكل جسم شديد مستحجر فهو من الجبال الم تر الى قوله تعالى في خلق الامم واتقوا
الذي خلقكم والجبلة الاولين والناس يقولون فلان مجبول على كذا ووجدت ابا بكر محمد بن الحسن بن مقسم

النحوي

النحوي يقول في كتابه المعروف بالانوار واما من الاولى والثانية فبمعنى حد التنزيل ونسبته الى الموضع
الذي نزل منه كما يقال جئتك بكذا ومن بلد كذا واما الثالثة فبمعنى التفسير والتمييز لان الجبال تكون
انواعا في ملك الله تعالى فجاءت من لتمييز البرد من غيره وتفسير معنى الجبال التي نزل منها وقد يصلح في
مثل هذا الموضع من الكلام ان يقال من جبال فيها برد بغير من فيترجم برد من جبال لانها مخلوقة من
برد كما يقال الحيوان من لحم ودم والحيوان لحم ودم بمن وبغير من ووجدت علي بن عيسى الرماني يقول
في تفسير ان معنى من الاولى لابتداء الغاية لان السماء ابتداء الانزال والثانية للتبعيض لان البرد
بعض الجبال التي في السماء والثالثة لتبيين الجنس لان جنس الجبال جنس البرد وهذه التفاسير على
اختلافها غير شافية ولا كافية وانا ابين ما فيها من خلل ثم اذكر ما عندي انه الصحيح اما من جعل السماء
جبال برد وما مقداره مقدار الجبال على اختلاف عباراتهم فيدخل عليه ان يبقى قوله تعالى
وينزل بغير مفعول ومما يتعلق به لان تقدير الكلام على هذه التفاسير وينزل من جبال برد في
السماء فما الشيء الذي انزل فما تراه في الاية مذكورا والكلام كله خال منه على هذا التاويل فاما
ابو مسلم فيلزمه هذا الكلام بعينه ويلزمه زائدا عليه انه جعل الجبال اسما للبرد نفسه من حيث كان
مجبولا مستحجرا وهذا غلط لان الجبال وان كانت في الاصل مشتقة من الجبل والجمع فقد صارت اسما
لذي هيئة مخصوصة ولهذا لا يسمى احد من اهل اللغة كل جسم ضم بعضه الى بعض مع استحجار او
غير استحجار بانه جبل ولا يخصون بهذا اللفظ الا اجساما مخصوصة وليس يمتنع في اللغة هذا لان اسم
الدابة وان كان مشتقا في الاصل من الدبيب فقد صار اسما لبعض ما دب ولا يعم كل ما وقع منه
الدبيب وليس يعترض على هذه التاويلات التي ذكرناها ما يظنه بعض الناس من انه لا يجوز ان يكون
في السماء جبال برد وما قدره قدر الجبال من البرد لان ذلك غير ممتنع ولا مستحيل فان قالوا كيف
لا تهوي تلك الجبال من البرد قلنا يمسكها الله تعالى ويسكنها كما يمسك الارض والفلك وانما ينكر هذا
اصحاب الطبايع الذين لا يقرون بالخالق جلت عظمته ويذكرون في سبب وقوف الارض المركز وهو
لا يعقل ولو اثبتوا الصانع جلت عظمته لنسبوا سكون الارض اليه واستغنوا عن تكلف ما لا يعقل ولا
يفهم والاولى في تفسير هذا الموضع ان تكون من الاولى والثانية لابتداء الغاية والثالثة زائدة لا حكم
لها ويكون تقدير الكلام وينزل من جبال في السماء بردا فزاد من كما يزاد في قولهم ما في الدار من احد
وكم اعطيتك من درهم وما لك عندي من حق وما اشبه ذلك وعلامة زيادتها في هذه المواضع انك
اذا اخرجتها والغيتها كان الكلام مستقلا لا يتغير معناه وجرى قوله تعالى وينزل من السماء من جبال
فيها من برد مجرى قول القائل كم حملت لك من الكوفة من سوقها من ثوب والمعنى كم حملت لك من سوق

الكوفة ثوبا والاولى ان يريد بلفظة السماء هنا ما علا من الغيم وارتفع فصار سماء لنا لان سماء البيت
وسماوته ما ارتفع منه ولان السحاب لا يكون في السماء التي هي الفلك للكواكب انما هو تحته واراد بالجبال
التشبيه لان السحاب المتراكب المتراكم تشبهه العرب بالجبال والجمال وهذا شايع في كلامها كانه تعالى
قال وينزل من السحاب الذي يشبه الجبال في تراكمه بردا فقد ظهر على هذا التاويل مفعول صحيح لينزل لا
مفعول لهذا الفعل على التاويلات المتقدمة فان قيل اذا جاز ان تجعلوا من الاخيرة زايدة حتى
يكون المنزل هو البرد فالا جعلتم من الثانية هي الزايدة ويكون تقدير الكلام وينزل من السماء
جبالا من برد قلنا ليس يشبه البرد في نزوله الجبال على وجه ولا سبب والسحاب المتراكم يشبه الجبال
وقد جرت عادة العرب بتشبيهه بها فيجب ان تكون الثانية غير زايدة لما ذكرناه وتكون الاخيرة
زايدة والا بقيت بلا مفعول ولانه تعالى قال فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء وهذه كناية
عن البرد لا الجبال لانه لو كنى عنها لقال فيصيب بها ولان الجبال على التاويلات التي حكيناها
كلها منزل منها لا منزلة فان قيل الا كان المفعول محذوفا مقدرا وكانه قال وينزل من جبال برد
في السماء بردا والكلام يقتضيه قلنا انما نقدر مفعولا محذوفا في الموضع الذي لا نجد فيه مفعولا
ظاهرا وقد بينا ان في الاية مفعولا ظاهرا فيجب صرف الكلام اليه على انه لا بد من مفعول اما ظاهرا
او هو الذي اشرنا اليه او محذوف على ما تضمنه السؤال الا انهما في الكلام كناية عنه في قوله فيصيب
به من يشاء ويصرفه عمن يشاء وما راينا احدا من المفسرين لهذه الاية على اختلافهم وذكر اكثرهم كل
ما تقتضيه من وجوه الاعراب في ايات القران تعرض لذكر المفعول ولا قال انه ظاهر ولا مقدر محذوف
يدل الكلام عليه وهذا على كل حال تقصير ظاهر فاما قوله تعالى فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء
فالمراد به فيصيب بضرره من يشاء ويصرف ضرره عمن يشاء فان العادة جارية بان البرد يصيب ايضا
ويتعدى ما يجاورها ويلاصقها فاما قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار فسنا البرق ضوؤه وهو
مقصور وسناء المجد والشرف ممدود والهاء في برقه راجعة الى البرد او السحاب فقد جرى ذكر كل
واحد منهما ويجوز اضافة البرق اليهما فاما قوله يذهب بالابصار وقد قرئ يذهب بضم الياء فالمراد به
ان البرق من شدة ضوئه يكاد يذهب بالعيون لان النظر الى ما له شعاع شديد يضر بالعين كعين الشمس
وما اشبهها والقراءة بفتح الياء اجود مع دخول الباء تقول العرب ذهبت بالشيء فاذا ادخلوا الالف
اسقطوا الباء فقالوا اذهبت الشيء بغير باء فاما قوله يقلب الله الليل والنهار فانما اراد انه ياتي
بكل واحد منهما بدلا من صاحبه معاقبا له لما في ذلك من المصلحة والمنفعة فاما قوله تعالى ان في ذلك
لعبرة لاولي الابصار فانما اراد بالعبرة العظة والاعتبار وروي عن الحسن انه قال انما اراد ذوي
ابصار القلوب لا العيون لان العين لا تفضي الا انها العبرة والعظة وقال الكلبي لاولي الابصار الذين

ورد

ورد قوم على الكلبي بان قالوا لو اراد ذلك لقال لاولي البصاير لان الذين يقال فيه بصيرة
لا بصر والاولى ان يكون المراد بالابصار هنا العيون لان بالعيون ترى هذه العجايب التي عد
عددها الله تعالى ثم يكون الاعتبار والعظة في القلب بها ويكون من لا موعظة له ولا اعتبار
كانه لا بصر له من حيث لم ينتفع ببصره فجعل اولي الابصار اولي الاعتبار من حيث انتفعوا ولولا الاعتبار
بابصارهم لم ينتفع بها من لا اعتبار عنده وهذا كثير في القران فانه تعالى جعل الكفار في مواضع كثيرة
صما وبكما وعميا من حيث اشبهوا باعراضهم عن الفكر والتامل والاعتبار من لا جوارح له وهذا بين
لمن تامله **مسألة** اعلم ان من عادة العرب الايجاز والاختصار والحذف طلبا لتقصير الكلام واطراح
فضوله والاستغناء بقليله عن كثيره ويعدون ذلك فصاحة وبلاغة وفي القران من هذه الحذوف
والاستغنا بالقليل من الكلام عن الكثير مواضع كثيرة نزلت من الحسن اعلى منازله ولو افردنا لما في
القران من الحذوف الغريبة والاختصارات العجيبة كتابا لكان واجبا فمن ظاهر ذلك قوله تعالى ولو
ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى ولم يات للو جواب في صريح الكتاب
وانما اراد لو ان قرانا سيرت به الجبال لكان هذا ومثل هذا الحذف ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله
من قوله لو كتب هذا القران في اهاب ثم طرح في النار ما احرقته النار والمراد وكانت النار مما
لا يحرق جسما لجلالة قدره ما احرقته فحذف ذلك اختصارا لدلالة الكلام عليه ومثل هذا قوله تعالى انا
عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا وتقديره ان السموات والارض والجبال لو كن مما ياتي ويشفق وعرضنا عليهن الامانة
لابين واشفقن وجعل المعلوم بمنزلة الواقع فقال عرضنا من حيث علم ان ذلك المشروط لو وقع
شرطه لحصل هو وهذا التاويل الذي استخرجناه اولى مما ذكره المفسرون من انه تعالى اراد عرضنا الامانة
على اهل السموات والارض هم الناس والملائكة فاي معنى لقوله وحملها الانسان وهو من الجنس ممن ذكر
قول الشاعر امتلا الحوض وقال قطني والمعنى امتلا حتى لو كان ممن يقول لقال ذلك وهذا الذي
في نفسي من ساقه نسيم هذا البيت بانه ظهرت منه امارات القول والنطق وهذا الذي اشرنا اليه هو معنى
كل ما جرى مجرى هذا البيت من قول الشاعر واجهشت للتوباد حين رايته وكبر للرحمن حين راني
فقلت له اين الذين عهدتهم بجنبك في خفض وطيب زمان فقال مضوا واستودعوني بلادهم
ومن ذا الذي يبقى على الحدثان ومن الحذوف ايضا قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال
لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فلم يات لاذا جواب في طول الكلام وانما حذف
الجواب الذي هو فدخلوها لورود ما يقوم مقامه ويدل عليه من قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده وذلك لا يكون الا بعد الدخول ومثل ذلك قول امرئ القيس فلو انها نفس تموت سوية

لان اهل السموات والارض

التوباد اسم الله

ولكنها نفس تساقط انفسا فحذف جواب لو والجواب هو لكان ذلك اروح لها واخف عليها ومثله
قول الهذلي: حتى اذا اسلكوهم في قتائدة: شلا كما تطرد الجمالة الشردا: ومثل هذا في الحذف
كلما انما اتمنى كذا لو اعطيته وظاهر هذا الكلام كانه مشروط وكانه قال انني اتمناه اذا اعطيته ولكن
بالضد من ذلك والمعنى لو اعطيته لبلغت مناي ولنفعني وما اشبه ذلك المعنى والشعر القديم
والمحدث مملو من ذلك قال البحتري: ولو شئت يوم الجزع بل غليله: محب بوصل منك لو ينفع
الوصل: وانما اراد لو ينفع الوصل لنفعني وبلغني منيتي وما اشبه ذلك ومثله قوله: وتعجبت من
لو عتى فتبسمت: عن واضحات لو لثمن عذاب: وانت اذا تاملت ضروب المجازات التي يتصرف
بها اهل اللسان في منظومهم ومنثورهم وجدتها كلها مبنية على الحذف والاختصار ولان قوله تعالى
وجاء ربك واسئل القرية مما الحذف فيه ظاهر وانما كان الكلام ابلغ وافصح لان كلامه قليل يحذف
بعضه سمعا بمجالها وكذلك قولهم في المدح فلان البدر والبحر والليث وفي الذم هو الحمار والحائط
انما هو مبني على الحذف لان المراد هو مشبه وماثل لما ذكر فاسقط من الكلام ما يقتضي التشبيه لدلالة
القول عليه فان قيل فاذا كانت الفصاحة في الاختصار فكيف قال تعالى ليس كمثله شيء فزاد الكاف ولا
معنى لها الا الفصاحة فقد صارت الفصاحة بالزيادة كما كانت بالنقصان قلنا دخول الكاف ههنا
ليست على سبيل الزيادة التي لو طرحت لما تغير المعنى بل تفيد بدخولها ما لا يستفاد مع خروجها لانه
اذا قال ليس مثله شيء جاز ان يراد من بعض الوجوه وعلى بعض الاحوال فاذا دخلت الكاف فهم نفي
المثل على كل وجه الا ترى انه لا يحسن ان يقال ليس كمثله احد في كذا بل على الاطلاق والعموم وبمثل هذا
الجواب يجيب من يسال عن قولهم ما ان في الدار زيد لانه لو قال ما في الدار زيد لجاز ان يكون بنفيه
لكونه فيها على وجه دون وجه فاذا قال ما ان فهم نفي كونه على كل حال وهذا يدل على انها مفيدة غير
زائدة ومن قال انها دخلت للتوكيد يجب ان يكون مراده ما قصدناه وشرحناه لان التوكيد متى لم يكن
تحته فائدة كان دخوله عبثا وهذا الكلام الذي بسطناه في تاملة فوائد كثيرة وكان السبب فيه ان بعض من
قرئ عليه كلام حكاية في وصف كتابة ووجدت فيهما من التغلغل والتوصل الى مكامن
الارتجاف ومعادن الاسعاف لا تطرق فجاجها ولا يفتح رتاجها ولا يمر بشعابها ولا يلم بابوابها
واطال الكلام ولم يات بما يرجع الى قوله من التغلغل بتبلد وهذا من الحذف الذي حسنه طول الكلام
ودلالة ما فيه على المحذوف لان التقدير وجدت فيه من التغلغل الكثير فاستغني عن ذكره بالمفهوم
من الكلام كما استغني بالمحذوف التي ذكرناها في القرآن والشعر بها في صنعة الكلام وعد ذلك حسنا فصاحة
وبلاغة وكم بين ان يفهم المعنى بلحظ من غير لفظ صريح وبين ان ياتي فيه لفظ مصرح في البلاغة
والفصاحة وقد كنت امليت قديما مسالة اوضحت فيها ان التاكيد لا بد فيه من فائدة وخطات من ذهب

الى

الى خلاف ذلك وبينت ان كل موضع ادعي فيه انه للتاكيد من غير فائدة مجددة فيه فائدة مفهومة وان
قوله تعالى فانه يتوب الى الله متابا انما ورد هذا المصدر للتاكيد على ما يقوله قوم بل لفائدة مجددة
لانه تعالى اراد متابا جميلا مقبولا واقعا في موقعه فحذف ذلك اختصارا كما يقول العربي الفصيح في
الشعر المستحسن هذا هو الشعر والفرس الممدوح هذا هو الفرس وانما حذف الصفة اختصارا والمراد
هذا هو الشعر المستحسن والفرس الكريم ومثله قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما انه اراد الفضل والمدح
وقال قوم بل سمع كلامه من غير واسطة ولا محمل له فاما قول القائل ضربته ضربا وما اشبه ذلك
من ذكر المصادر مع الافعال ومن ذكر الافعال من غير ذكر المصادر لدلالتها عليها فله وجهان احدهما
ان يكون نفى صفة الضرب اختصارا واراد ضربا شديدا مبرحا فحذف او يكون اراد انه باشر الضرب
وتولاه لا انه امر به فقد يقال ضربه اذا امر بضربه ولا يكادون يقولون ضربته ضربا اذا امر بضربه
ولم يباشره فاما قول العرب لامر ما جدع قصير انفه وقولهم لامر ما يسود من يسود وادعاء من
ادعى ان ما ههنا زائدة لا معنى تحتها وانما دخلت للتاكيد فالاولى غير ما ذكره ومعنى قولهم لامر ما
كان كذا انه لامر له به عارف لانهم لا يكادون يقولون لامر ما كان كذا وكذا وانا به عارف وان
جاز ان يقولوا الامر كان كذا وانا به عارف وانما قالت الزباء لامر ما جدع قصير انفه لانها كانت جاهلة
بسبب قطع انفه وغير عالمة به وهذا يبطل قول من جعلها زائدة بغير فائدة فاما قوله تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم وتقدير قوم ان ما ههنا زائدة فليس الامر على ما ظنوه لان من شانهم ان لا يدخلوا ههنا ما
الا اذا ارادوا الاختصاص وزيادة فائدة على قولهم فبرحمة من الله لنت لهم لانه مع اسقاط ما يجوز ان
تكون الرحمة سببا اللين وغيرها من الاسباب لا يكادون يدخلونها مع ما الا والمراد انها سببه دون غيرها فقد
افادت اختصاصا لم يستفد قبل دخولها فاما قولهم ما ان في الدار زيد فليس ان يكون دخولها
لفائدة تزيد على قولهم ما في الدار زيد لانهم اذا قالوا ما في الدار زيد جاز ان يريدوا انه لا تصرف
له في الدار ولا تاثير لكونه فيها فكانه ليس حالا فيها لانهم ابدا يقولون ما في هذه البلدة امير ولا لهذا
النظير مدبر يريدون على السياسة والتدبير فاذا قالوا ما ان في الدار زيد وما ان للبلد امير فلا
يحتمل ان يريدوا الا نفيه منها على الحقيقة من ذكروه وهذا هو معنى قول اهل العربية ان ذلك للتاكيد ومعنى
التاكيد هو الذي اشرنا اليه لان التاكيد لا يجوز ان يكون لغير فائدة وان يكون دخوله كخروجه فليقس على
ما ذكرناه امثلته وليتطلب لكل شيء ادعي انه لمحض التاكيد فائدة قلت او كثرت فانها توجد وليس
جهل الطالب لها بما يقتضي فقدها فان الادلة الواضحة قد دلت على ان العرب مع حكمتهم لا يتكلمون حكمتهم بيان
بما لا يفيد وان الكلام الذي ما وضع في الاصل الا لفائدة فليلتمس في وجوب الفائدة كلمة وربما ظهرت
هذه الفائدة لكل متدبر وربما خفيت واصول اهل العربية مملوة من هذا فانهم يتكلمون ويتطلبون

العوامل التي لا تظهر في تمام الكلام ويقدّرون فيها التقديرات البعيدة حراسة للاصول المقرّرة
لما دلّ عليه الدليل ومن تصفّح تمحّلهم للعامل في الحال اذا عري الكلام كله من تصريح به وتعلقهم
الى الضعيف مرة وبعيد وقريب علم ان الذي سلكناه في تخريج زوائد الحروف الزائدة الداخلة على
الكلام وظنّ قوم انها للتاكيد من غير فائدة زائدة طريق صحيح لا اعتراض عليه. مسئلة: جرى بالحضرة
السامية الوزيرية العالية البهية المنصورة ادام الله سلطانها واعلا ابدا شانها ومكانها في بعض
الكلام ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله نية المؤمن خير من عمله فقلت على هذا الخبر
سؤال قوي وهو ان يقال اذا كان الفعل انما يوصف بانه خير من غيره اذا كان ثوابه اكثر من
ثوابه فكيف يجوز ان تكون النية خيرا من العمل ومعلوم ان النية اخفض ثوابا من العمل وانه لا يجوز ان
يلحق ثواب النية بثواب العمل ولهذا قال ابو هاشم ان العزم لا بدّ ان يكون دون المعزوم عليه في ثواب
وعقاب ورد على ابي علي قوله ان العزم على الكفر لا بدّ ان يكون كفرا والعزم على الكبير يجب ان يكون
كبيرا بان قال له لا يجب ان يساوي العزم والمعزوم عليه في ثواب ولا عقاب فان كان ههنا دليل
سمعي يدلّ على ان العزم على الكفر كفر والعزم على الكبير كبير صرنا اليه الا انه لا بدّ مع ذلك من ان يكون
عقاب العزم دون عقاب المعزوم عليه بان اجتمعا في الكفر والكبير فوقع بالحضرة السامية العالية المنصورة
ادام الله سلطانها من التقرير لذلك والخوض فيه كل دقيق غريب مستفاد وهذه عادتها حرس الله نعمتها
في كل فن من فنون العلم والادب لانها تنتهي من التحقيق والتدقيق الى غاية من لا يحسن الا ذلك الفن ولا
يعرف الا بذلك النوع وقال بعض من حضر قد قيل في تاويل هذا الخبر وجهان حسنان فقلت له اذكرهما فان
كان الذي عندي فيه مما استخرجته احدهما فقال يجوز ان يكون المعنى ان نية المؤمن خير من عمله العاري
من نية فقلت لفظة افعل لا يدخل الا بين شيئين قد اشتركا في الصفة وزاد احدهما فيها على الآخر ولهذا
لا يقول احد ان العسل احلى من الخل ولا ان النبي عليه السلام افضل من ابليس والعمل اذا عري من نية لا خير
فيه ولا ثواب عليه فكيف تفضل النية الجميلة عليه وفيها خير وثواب على كل حال والوجه الآخر ان يكون
نية المؤمن في الجميل خير من عمله الذي هو معصية فقلت وهذا يبطل ايضا بما بطل به الوجه الاول لان
المعصية لا خير فيها فيفضل غيرها عليها فيه فقالت الحضرة السامية العادلة المنصورة ادام الله دولتها
تحقيقا لذلك وتصديقا هذا هجو لنية المؤمن والكلام موضوع على مدحها واطرائها واي فضل في ان
تكون خيرا من المعاصي انما الفضل ان تكون خيرا مما فيه خير فسئلت ذكر الوجه الذي عندي فقلت لا يحمل
لفظة خير في الخبر على معنى افعل الذي هو للتفضيل والترجيح وقد سقطت الشبهة ويكون معنى الكلام ان نية
المؤمن من جملة الخير من اعماله حتى لا يقدّر مقدّر ان النية لا يدخلها الخير والشر كما يدخل ذلك في الاعمال

فاستحسن

فاستحسن هذا الوجه الذي لا يحوج الى التعسف والتكلف اللذين يحتاج اليهما اذا جعلنا لفظة خير
معناها معنى افعل وانقطع الكلام لدخول الوقت لتسيير المختار لدخول البلد ونهوض الحضرة منه
ادام الله سلطانها للركوب فكان في نفسي ان اذكر شواهد لهذا الوجه ولو احوج عند تقضي الكلام وخطر
بعد ذلك ببالي وجهان سليمان من الطعن اذا حملنا لفظة خير في الخبر على الترجيح والتفضيل وانا
اذكر ذلك اما شاهد ما استخرجته من التاويل من حمل لفظة خير على غير معنى التفضيل والترجيح
فكثير وقد ذكرت في كتابي المعروف بالغرر عند كلامي في قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة
اعمى واضل سبيلا ان من الكلام على هذا الوجه ما استوفيته وذكرت قول المتنبي: ابعد بعدت بياضا
لا بياض له : لانت اسود في عيني من الظلم : وان الالوان لا يتعجب منها بلفظ افعل الموضوع للمبالغة وكذلك
الخلق كلها وانما يقال اشد سواده وان معنى البيت ما ذكره ابو الفتح عثمان بن جني من انه اراد انك
اسود من جملة الظلم كما يقال حر من الاحرار ولئيم من اللئام فيكون الكلام قد تم عند قوله لانت اسود ولو
اراد المبالغة لما كان تاما الا عند صلة الكلام بقوله من الظلم واستشهد ابن جني ايضا على صحة
هذا التاويل بقول الشاعر : وابيض من ماء الحديد كانه : شهاب بدا والليل داج عساكره : كانه قال
وابيض كائن من ماء الحديد وقلت انا قول الشاعر : يا ليتني مثلك في البياض : ابيض من اخت
بني اباض : يمكن حمله على ما حملنا عليه بيت المتنبي كانه قال ابيض من جملة اخت بني اباض ومن
عشيرتها وقومها ولم يرد المبالغة والتفضيل وهو احسن من قول الذي تعاطاه المبرد لما انشد هذا
البيت وضاق ذرعا بتاويله على ما يطابق الاصول الصحيحة ان ذلك محمول على الشذوذ والندرة
فان قيل كيف تكون نية المؤمن من جملة اعماله على هذا التاويل والنية لا تسمى عملا في العرف وانما تسمى
بالاعمال افعال الجوارح ولهذا لا يقولون عملت بقلبي كما يقولون عملت بيدي ولا يصفون افعال الله
تعالى بانها اعمال قلنا ليس يمتنع ان تسمى افعال القلوب بانها اعمال وان قلّ استعمال ذلك فيها
الا ترى انهم لا يكادون يقولون فعلت بقلبي كما يقولون فعلت بجوارحي وان كانت افعال القلوب
تستحق التسمية بالفعل حقيقة بلا خلاف وانما لا تسمى افعال الله تعالى بانها اعمال لان هذه اللفظة
تختص بالفعل الواقع عن قدرة والقديم تعالى قادر لنفسه كما لا نصفه تعالى بانه مكتسب لاختصاص
هذه اللفظة بمن فعل لجر نفع او دفع ضرر ولو سلمنا ان اسم العمل يختص بافعال الجوارح جاز ان نطلق
ذلك على النية مجازا واستعارة فباب التجوز اوسع من ذلك واما الوجهان اللذان خطرا لي اذا قدرنا
ان لفظة خير في الخبر محمولة على المفاضلة فاحدهما ان يكون المراد نية المؤمن مع عمله خير من عمله العاري
من نية وهذا مما لا شبهة انه كذلك والوجه الثاني ان يريد نية المؤمن لبعض اعماله قد تكون خيرا من عمل
آخر لا يتناوله هذه النية وهذا صحيح لان النية لا يجوز ان تكون خيرا من عملها نفسها وغير ممتنع

ان تكون فيه لبعض الاعمال الشاقة العظيمة الثواب فضل من عمل اخر ثوابه دون ثوابها حتى لا يظن ظان ان ثواب النية لا يجوز ان يساوي او يزيد على ثواب بعض الاعمال وهذان الوجهان فيهما على كل حال ترك لظاهر الخبر لا دخال زيادة ليست في الظاهر والتاويل الاول اذا حملنا لفظة خير على خلاف البنا الغير والتفضيل مطابق للظاهر وغير مخالف له وفي هذا كفاية بمشية الله مسئلة

سال بعض الاخوان وقد خطر ببالي عند قراءة شيء من اخبار الائمة وادعية السادة عليهم السلام من ذكر اسم الله تعالى الاعظم وما خص به من الفضيلة دون ساير اسماء الله تعالى وما ابهم من دعائه من سرعة الاجابة مثل اصف بن برخيا وصي سليمان عليه السلام ومجيئه بعرش بلقيس من سبا اليمن الى بيت المقدس في اقل من طرف العين وما نقله الانبيا والائمة والصالحون من المعجزات وعن قول الائمة عليهم السلام في ادعيتهم اللهم اني اسالك باسمك الاعظم فمنهم من قال الاعظم الاعظم ومنهم من زاد على ذلك ومنهم من قال الاكبر الاكبر قال فهل ترى ان الاعظم غير الاكبر او الاعظم الاعظم غير الاعظم مرة واحدة قال واذا قلنا الاعظم فيجب ان يكون ثم الطف واذا قلنا اكبر فيجب ان يكون ثم اصغر والله تعالى من ان يكون له اسم الطف من اسم او اصغر اذ كانت اسماؤه تعالى لا تذكر الا على معنى واحد ولا يشاد بها الا اليه وقد نطق القران بتساويها في المنزلة وهي قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقد خير الله نبيه عليه السلام في ان يدعوه بايها شاء وذكر انها كلها حسنى فلم خص الائمة عليهم السلم احدها صوابه الحسنى
بالتعظيم دون سايرها والمقصود بها والمراد منها واحد تبارك وتعالى فان قيل لان فيها ما يشاركه فيه المخلوقون مثل كريم ورحيم وعالم وحاكم وغير ذلك فلهذا كانت رتبة بعضها في التعظيم اقل من بعض قال والجواب عن ذلك انه قد بقي منها عدة اسماء لا يشاركه فيها احد من المخلوقين ولا يستحقها سواه مثل الله والاله وسبوح وقدوس وما اشبه ذلك مما لا يوصف بها غيره ولا يليق الا به عز وجل فلم اختص الاسم الاعظم باحد هذه دون الاخر هل الاسم الاعظم او الاكبر شيء غير هذه الاسماء المتعارفة بين العوام مسئلة وسال غير الاول من الاخوان عن قوله تعالى في سورة يس لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون قال اذا كان اباؤهم لم ينذروا فباي شيء يحتج عليهم كيف يعاقبهم على عبادة الاصنام وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فكيف يصح ان تخلو امة من الامم من نذير مع قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وقد علم انهم كانوا امما لا يحصيها كثرة غيره تعالى وقرى كثيرة فكيف هذا واي شيء المراد به ومعلوم ان كلامه تعالى لا يتناقض قال فان قال ان ما التي في الاية المتقدمة ليست للنفي بل هي للاثبات والمعنى فيها مثل ما انذر اباؤهم او بمعنى الذي انذر اباؤهم او زايدة لان الكلام

يقتضيه من قبل بهم من دونها لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قال والجواب عن ذلك ان هذا تاويل ان المعلوم الذي لا شك فيه ولا اشكال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد عيسى عليه السلام الا المبعوث على فترة من الرسل صلى الله عليه ولاجل ذلك وصفهم بالغفلة لما لم ينذر اباؤهم فثبت بهذا ان ما التي في الاية المتقدمة للنفي دون الاثبات وان الاخذ بالمعلوم اولى من المظنون قال فان قيل ان عيسى عليه السلام قد كان بعث اليهم وشاعت شريعته فيهم وانتشرت كلمته وسار الحواريون بدعوته شرقا وغربا سهلا وجبلا قال فالجواب عن ذلك انا اذا سلمنا ان عيسى عليه السلام بعث اليهم فان الفترة انما كانت بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وان الحواريين لم يمكثوا بعده الا قليلا وان الاباء المذكورين بانهم لم ينذروا هم الادنون دون الابعدين ولقايل ان يقول ان عيسى لم يبعث الا الى بني اسرائيل خاصة دون العرب وبذلك نطق القران فله ان يقول ان الاباء الابعدين والادنين في الاية سواء والذي يؤيد ذلك قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين على فترة من الرسل الاية الى اخرها وقد صح بالجملة والتفصيل ان الاباء لم ينذروا وان ما للنفي في موضعها من الاية دون الاثبات فكيف القول في الحجة عليهم ولا يحتج محتج بان العقل هو الحجة عليهم دون الانذار والرسل لان العقل حجة على من انذر وعلى من لم ينذر وعليه معول العقلاء مع فقر الاستغناء عن الرسل والانبياء عليهم السلام الجواب عن المسئلة الاولى والاشبه ان يكون اسم الله تعالى الاعظم خارجا عن هذه الاسما والصفات التي في ايدي الناس يناجون الله تعالى بها ويدعونه ويسالونه لان ذلك الاسم لو كان من جملتها وقد اجمعوا على ان الله تعالى لم يسال به شيئا الا اعطاه لكان يجب في كل داع بهذه الاسماء والصفات اذ كان الاسم من جملتها ان تجاب دعوته وتنجح مسالته وقد علمنا خلاف ذلك وان اكثر الداعين بهذه الاسماء المسطورة غير مجابين فعلمنا ان الاعظم ليس من جملتها فاذا قيل لنا فلم خص الله تعالى بهذا الاسم قوما دون قوم ولم يجره مجرى ساير اسمائه فالجواب ان تابع للمصلحة واذا كان المعلوم ان كل سايل بذلك الاسم مجاب لا محالة فمن علم ان في اجابته مفسدة لا يجوز ان يمكن من ذلك الاسم فاذا قيل فينبغي لمن يساله تعالى وقال اللهم اني اسالك باسمك الاعظم اعطني كذا ان يجاب لا محالة وقد علمنا خلاف ذلك فالجواب انه غير ممتنع ان تكون الاجابة انما تكون واجبة عند التصريح والتلفظ بهذا الاسم دون الكناية عنه فاما التسمية بانه اعظم وان ذلك يقتضي ان يكون من اسمائه ما ليس باعظم فالجواب عنه من وجهين احدهما ان تكون لفظة افعل هنا راجعة الى باقي اسمائه والوجه الاخر ان ترجع الى اسمائه وصفات غيره وبيان الوجه الاول ان معنى اعظم هو اختصاصه بفضيلة ان الدعاء به مجاب وهذه المزية ليست في باقي الاسماء فكانه اعظم منها لاختصاصه بمزية عالية ليست لباقيها واما الوجه الثاني فيكون المعنى انه اعظم بالاضافة الى اسمائكم وصفاتكم لانه ليس لشيء من صفاتنا هذه المزية

ولم يجعل هذه المزية لاجل فقد المشاركة في المعنى فيلزم عليه انه قديم وحي على ما مضى في السؤال
بل لان الله تعالى خص هذا الاسم بهذه المزية لما علم من المصلحة فاما الزامنا ان يكون في اسمائه تعالى
ما هو اصغر فلا يلزم على الجواب الثاني فاذا الزمناه ذلك على الجواب الاول قلنا اذا كان قولنا اعظم
بالاضافة الى اسمائه تعالى معناه ان لهذه المزية والرتبة فلا محالة انه يجب فيما ليس له هذه المزية
من اسمائه ان لا يكون الاعظم ولا يجوز ان نقول اصغر واحقر وما يجري مجرى ذلك لانه يوهم المهانة
وما لا يجوز في شيء من اسمائه واما قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها فانما سماها كلها حسنى
وليس يمتنع ان يكون فيما هو حسن تفاضل وتزايد وكذلك قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
ايا ما تدعوا فمعناه التخيير لنا بين ان ندعوه باي الاسمين شئنا وما يمضي في الفاظ الدعاء من اني
اسالك باسمك الاكبر تارة واخرى بالاعظم الاشبه ان يراد باللفظتين معنى واحد واما تكرير لفظ
الاعظم فهو على سبيل التاكيد والتفخيم لان الاعظم مرة واحدة غير الاعظم مرتين وبالله التوفيق الجواب
عن المسئلة الثانية انه غير ممتنع عندنا ان يخلو الزمان الطويل والقصير من رسول مبعوث بشريعة
وان كان لا يخلو من امام ولهذا يقول اصحابنا ان الامامة واجبة في كل زمان وليست كذلك النبوة
والوجه فيه ان ارسال الرسول تابع لما يعلمه الله من المصالح للمكلفين في الشرايع والعبادات وغير بعيد في
العقل ان يعلم تعالى انه لا شيء من الشرايع فيه مصلحة للمكلفين فلا يجب ارسال الرسل فاما قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله وما اهلكنا من قرية الا
لها منذرون فيجوز ان يكون مخصوصا غير عام ويعني به من الشرايع والعبادات من الطافه فان
دل دليل قاطع على عموم هذه الظواهر قطعنا لاجله على ان الشرايع من الطاف المكلفين وان كان جايزا
في العقل ان لا يكون الامر على ذلك وقد اختلف اهل التاويل في تاويل هذه الاية فقال جماعة ان لفظة
ما ههنا للنفي والمراد ان اباءهم ما انذروا لان المصلحة لم تقتض بعثة رسول اليهم وليس من المعلوم لنا
ان عيسى عليه السلام كان الحجة على كل مكلف كان بين زمانه وبين زمان نبينا عليه السلام ويقوي هذا
الجواب اثبات الفترة وانه عليه السلام بعث على فترة من الرسل وذهب قوم من اهل التاويل الى ان ما في
الاية ليست للنفي بل للاثبات والمراد لتنذر قوما الذي انذر اباؤهم وهذا ايضا جايز ويقوي هذا الجواب
ويضعف الاول ان قوله تعالى فهم غافلون يقتضي الذم لهم بالغفلة وذلك يقتضي انهم انذروا
فغفلوا واعرضوا ولا يذم بالغفلة من لا سبيل له الى العلم والتبيين وفي الناس من حمل قوله تعالى ما انذر
اباؤهم على النفي والمراد انه لم ينذرهم من هو منهم وعلى تبيينهم من انفسهم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول
من انفسكم فيكون تلخيص الكلام لتنذر قوما انت منهم ما انذر اباءهم من هو منهم اي من قومهم ومن
انفسهم ويمكن في لفظة ما وجه اخر وهو ان يراد بها التنكير كانه قال لتنذر قوما وتقف ثم

تبتدي

تبتدي فتقول انذر اباؤهم فهم غافلون كما يقول القايل اكلت طعاما ما ولقيت جماعة ما ويكون
الغرض التنكير والاجمال وليست لفظة ما ههنا زايدة لان حد الزايد ان يكون دخوله في علم الفايدة
كخروجه وهي ههنا مفيدة على ما بيناه مسئلة اخرى في الاعتراض على من استدل بدليل السحارة على ان
العالم ملاء وما ابطل به ذلك اعلم اني فكرت فيما اجاب ابو هاشم من يقول ان العالم ملاء اذا
استدل بالالة التي تسمى السحارة على ذلك وادعى ان علة وقوف الماء عن النزول من الثقب الصغار
التي في اسفلها اذا سد راسها هو منع الهواء بسد الراس من ان يحدث في مكان الماء وقول ابي
هاشم ان العلة في وقوف الماء عن السيلان اذا سد راس السحارة بالاصبع ان الهواء منع الماء
من النزول لضعف ما يخرج من الماء من الثقب الصغار فاذا فتحنا الراس دفع الهواء الماء من اعلى السحارة
فقوي الماء على النزول فوجدته غير واضح لان الماء فيه اعتمادات سفلا وثقل ونفس الهواء على
مذهبنا وهو الصحيح لا اعتماد فيه البتة فكيف يمنع ما لا اعتماد فيه الجسم الذي فيه اعتماد سفلا عن الهبوط
والنزول واذا كان الهواء هو المانع من نزول الماء من الثقب الصغار ومن مذهب ابي هاشم جواز خلو
الاماكن من الهواء فكان يجب ان يجوز ان يسيل الماء من اسفل السحارة مع سد اعلاها بالاصبع بان
يصادف ذلك مكانا خاليا من الهواء الذي يدعي انه مانع من نزول الماء فاما تقويته لذلك
بذكر الريشة وانها تقف في الهواء فلا تنزل لان الهواء يمنعها من الهبوط فاول ما فيه ان الريشة خفيفة
ربما ابطاء نزولها فظن انه واقف وربما كان في الهواء اعتمادات مختلفة صعدا فتمنع هذه الاعتمادات
التي هي في خلاف جهة اعتمادات الريشة من النزول فاما اذا كانت الريشة في هواء ساكن لا اعتماد فيه
فان الهواء لا يجوز ان يمنعها من الهبوط ومن اطرف الامور قوله ان الهواء اذا فتحنا راس السحارة يدافع
الماء ويكون سببا لنزوله من الثقوب لان الهواء على مذهبنا لا اعتمادات فيه فكيف يدافع الماء
ومن قال من الفلاسفة ان فيه اعتمادات صعدا لا يليق دفع الماء بقوله لان تلك الاعتمادات في غير
جهة اعتماد الماء واي عاقل يخفى عليه ان الهواء الساكن المعتدل لا يجوز ان يدفع الماء من راس السحارة
وبعد فمع القول بجواز خلو الاماكن من الهواء والقطع على ذلك في بعض الاحوال قد كان يجب ان
يجوز ان يفتح راس السحارة ولا يسيل الماء من الثقب من اسفلها لان الهواء الذي ادعى انه يدافع الماء من
راسها مفقود والذي يلي عليه ابو هاشم من ان السحارة لو ملئت زيبقا وسد راسها لنزل من الثقوب
الصغار وقوله انما كان كذلك لثقل الزيبق وان الهواء الذي يلاقي من تحتها الثقوب الصغار
لا يقوي على منعه من النزول كما لا يتم ذلك في الماء موقوف على التجربة فاما ما جربناه فنتكلم على العلة
المفرقة بين الزيبق والماء الذي يجب ان يعتمد في نقض الاستدلال من القايلين بذلك في الماء
والسحارة ان يقال لهم فما انكرتم ان يكون الله تعالى اجرى العادة بان يجعل في الماء المسكون الوقوف

الهواء من ان يخلف في مكان الماء

اي الزيبق

مع سد راسها فلا ينزل من اسفلها واذا فتحنا راسها لم يفعل ذلك السكون فيجري الماء منها من الثقوب
وليس ينبغي ان ينكر اصحابنا خاصة ان يكون هذا بالعادة ونحن كلنا نقول ان انجذاب الحديد الى
حجر المغناطيس انما هو بالعادة والا فالمغناطيس مساو للاحجار سواء وان العادة وقع الشبع عند
تناول الخبز واللحم ولا يقع عند غيرهما والجنس واحد وما نقول جماعتنا انه بالعادة اكثر من ان يحصى
واذا انكر الفلاسفة الملحدون تعليقنا ذلك بالعادة لجحدهم الصانع دللناهم على الاصل الذي له جهلوا
ضعف ما نقوله في نفوسهم فبثبوته يسهل ذلك كله فاذا قيل لنا فما طريقه العادة يجوز فيه الاختلاف
فجوزوا ان تكون السحاب في بعض البلاد التي لا تتصل بنا اخبارها يسيل الماء من سفلها مع سد راسها
ولا يسيل مع فتحها قلنا نحن نجوز ذلك ولا نمنع ان تختلف العادة فيه كما لا نمنع ان يستمر في كل بلد عند
كل احد ولا يخرج هذا الحكم مع استمراره من ان يكون مستندا الى العادة الا ترى ان القاطعين على
وقوع العلم الضروري بخبر الاخبار اذا كان العدد زائدا على اربعة واستيفاء باقي الشروط لا يجوزون ان
تختلف العادات في ذلك بل يقطعون على ان العادة مستمرة بذلك في كل موضع فاذا قيل لم كيف يتميز
فان ذلك وهو معتاد مع الاستمرار من الوجوب فان المستند الى العادة لا بد ان يختلف على بعض الوجوه ليفارق
بذلك الاختلاف الواجب ويتميز عنه والخبر الذي يجب عنده حصول العلم الضروري قد يقع مثله ومن
جنسه مع اختلاف بعض هذه الشروط فلا يجب العلم فلو كان هناك ايجاب لوجب العلم على كل حال وهذا
بعينه قائم في السحاب لان الثقوب لو وسعت لسال الماء على كل حال ولو كانت هناك طبيعة موجبة
لوقوف الماء لم تختلف الحال على بعض الوجوه وبعد فان علة ابي هاشم في وقوف الماء من السحاب
عن السيلان وان كنا قد بينا بطلانها لا يجدها في القدح المعروف بقدح العدل وهو قدح في وسطه
برنج مجوف يبلغ ارتفاعا الى قريب من اعلاه وهذا البرنج نافذ من جهة اسفله على راس هذا البرنج
في وسط القدح كالغشاء يحيط به من جوانبه على تجاف عنه وهو من اعلاه مسدود ومن اسفله
مفروج فاذا طرحنا في هذا القدح ماء فهو ثابت حتى يبلغ الى محاذاة راس البرنج فاذا زدنا عليها ولو
بالشيء خرج جميع الماء من القدح بان يصعد من اسفل القدح الى راس البرنج حتى ينزل جميعه واصحاب
الملاء يدعون ان العلة في صعود الماء الى فوق راس ذلك هو اضطرار الخلاء وحتى لا يخلو مكان من متمكن
فيه فما العلة في صعود الماء ثم هبوطه على مذهب ابي هاشم وما يعلل في السحاب لا يتاتى ههنا وليس بعد
ذلك الا اسناده الى العادة وجريها والله ولي التوفيق مسألة سئل رضي الله عنه عن الفرق
بين الالثغ والالبغ فقال الالثغ الذي تكون في لسانه ردة في حرف بعينه كالطاء والسين وما
اشبههما من الحروف والالبغ الذي تكون في لسانه في سائر الحروف ردة مسألة سئل رضي الله عنه عن
قول النبي صلى الله عليه وآله اعلمكم بنفسه اعلمكم بربه فما معنى هذا الخبر لان احدنا اذا كان عالما

ينبغ واسعه ... وهو حرف الكنف توصل من السطح الى الارض

باحوال نفسه وصفاته فلا بد ان يكون عالما باحوال من جعله على هذه الصفات وصيره بهذه الاحوال
والاحكام لان من علم الفرع لا بد ان يكون عالما باصله الذي يستند اليه ويتفرع عليه واذا دخل التزايد
في العلم وكان بالفرع اعلم فهو بالاصل اعلم وشرح هذه الجملة ان من علم نفسه انه محدث مصنوع مخلوق
مربوب قادر عالم حي فلا بد من ان يكون عالما بمن جعله على هذه الصفات وصيره بهذه الاحوال
والاحكام ولولاه جل اسمه لم يكن على شيء منها فالتزايد والتفاضل في احد الامرين يقتضي التزايد والتفاضل
في الاخر ولا يلزم على هذه الجملة ان احدنا قد يعلم نفسه موجودا وان لم يكن بالله تعالى عارفا وهو جل وعز
الذي اوجده ولولاه لم يكن موجودا الا ترى ان الدهرية يعلمون العالم وما فيه موجودا وان لم يعلموا ان له
موجدا وكذلك قد يعلم احدنا كونه قادرا او عالما وحيا وان لم يعلم من جعله على هذه الاحوال وذلك
انا اذا ادخلنا لفظة افعل فقلنا من كان اعلم بنفسه كان اعلم بربه ومن علم نفسه موجودا ولم يعلم موجده
فما القول فيه باعلم بنفسه وان قيل هو عالم ولفظة المبالغة تقتضي انه لا يمتنع فيمن علم قطعة من النحو ان
نقول انه عالم بالنحو الا اذا كان مستوليا على جميع علومه لا يذهب عليه شيء منها وليس يمتنع ان نعكس لفظ
هذا الخبر فنقول اعلمكم بربه اعلمكم بنفسه لانه من كان بالله اعلم فلا بد من ان يكون عالما بانه خالقنا
ورازقنا ومحيينا ومميتنا والجاعل لنا على هذه الاحوال والصفات فمن حيث تعلق كل واحد من الامرين
بصاحبه جاز ان يجعل كل واحد من الامرين تارة فرعا وتارة اصلا مسألة وسئل رضي الله عنه عن
قوله تعالى ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم وهل يوجب قوله واختلاف
السنتكم ان يكون كلامنا على ظاهر الاية خلقا له تعالى فقال في هذه الشبهة ثلاثة اجوبة منها ان معنى اختلاف
السنتكم اي اختلاف لغاتكم في البيان والاشكال ومنها اختلاف مخارج الكلام من السنتكم كالالثغ والالبغ
والارت والتمتام ونحوهم ومنها اختلاف في خلقتها واشكالها وصبغها كالطويل منها والقصير والعريض
والدقيق والله تعالى الموفق للصواب مسألة قال رضي الله عنه قد طعن من لا تامل له على استدلالنا
على ان الافعال الظاهرة فينا من قيام وقعود واكل وشرب وما جرى مجرى ذلك متعلقة بنا وحادثة
من جهتنا بوجوب وقوعها بحسب قصودنا واحوالنا ودواعينا بان قال كيف يجوز ان تدعوا العلم
الضروري بوجوب وقوع افعالكم بحسب احوالكم وانما تشيرون بالوقوع الى الحدوث واذا كان حدوث
هذه الافعال لا يعلم ضرورة وانما يعلم بدقيق الاستدلال والنظر فكيف يجوز ان تعلموا حكم الذات
ضرورة وانتم تعلمون تلك الذات بدليل والعلم بالذات اصل للعلم بالاحكام ولا يجوز ان يكون
العلم بالاصل مستدلا عليه والعلم بالفرع ضروريا والجواب عن ذلك ان الوجوب والجواز حكم
للاحوال الموجبة عن الافعال التي هي ذوات حادثة ونحن نعلم كون الجسم متنقلا او كائنا في جهة من
الجهات ضرورة وان كنا لا نعلم الكون الذي فيه الابد لا لتزوا الوجوب حكم لكونه كائنا والشيء بحكم

اذا لم يعلم انه موجود ... اعلم بنفسه والذي يعرف غيرنا انه

ولا نقول انه اعلم بالنحو

اي استمرار

الحدوث

للكون الذي هو للذات فهما علمنا على هذا التقرير الاصل والفرع الا ضرورة وهذان العلمان منفصلان عن العلم بالذات الذي يحتاج فيه الى الدلالة الا ترى ان الشيوخ نصوا في كتبهم على ان المدرك منا للجوهر يعلم ضرورة عند الادراك كونه متحيزا وكونه في جهة مخصوصة وكونه موجودا ونصوا على ان هذه العلوم ضرورية وواقعة عند الادراك وان كان الادراك لا يتناول الا كونه متحيزا دون ما عدا هذه الصفة فكيف يشكل هذا الذي ذكرناه ومعلوم ان نفاة الاعراض من الموحدين والملحدين يعلمون كون الجسم متحركا او ساكنا وقريبا او بعيدا ضرورة ويعلمون كون احدنا قايما او قاعدا او اكلا او شاربا كذلك ويعلمون ما هو واجب من هذه الاحوال او واجب في الموضع الذي يجب فيه او يجوز ضرورة وان كانوا لا يثبتون المعاني التي هي الاعراض ولا يعرفونها فكيف يشكل على متامل ان الاحكام التي اشرنا اليها وادعينا وجوبها على بعض الوجوه ليست احكاما للمعاني التي لا تعلم الا بالدلالة وانما هي احكام للاحوال ومن حمل على نفسه ان يخالف في وجوب ما ذكرناه دافع للضرورة لان العلم بما ذكرناه من اوضح الضرورات والفرق بين وجوب كون احدنا اكلا وقد اشتد جوعه وارتفعت الموانع عنه وهو صحيح سليم وبين وجوب الكل اذا جاع غيره معلوم ضرورة واخرها يبتدئه العقل واذا كان الفرق الذي ذكرناه معلوما ثبت ما هو مستند اليه من الوجوب عند قوة الدواعي وخلوصها والمعارضة على هذه الطريقة بوجوب الشبع عند الاكل والسكر عند شرب الخمر وما جرى مجرى ذلك غير صحيح لانه لا وجوب في سائر ما ذكرناه الا ترى ان في الناس من يشبع باللقمة وفيهم من لا يشبع باكل العجينة وكذلك في السكر والري ولما استند ذلك الى العادة جاز ان يختلف بالاشخاص والاحوال ولما استند ما ذكرناه من الوجوب الى غير العادة كان مستمرا في كل شخص وعلى كل حال وعلى كل وجه وسبب فاين احد الامرين من الاخر مسئلة في تفضيل الانبياء على الملئكة عليهم السلام الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد واله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما اعلم انه لا طريق من جهة العقل الى القطع بفضل مكلف على اخر لان الفضل المرعي في هذا الباب هو زيادة استحقاق الثواب ولا سبيل الى معرفة مقادير الثواب من ظواهر فعل الطاعات لان الطاعتين قد تتساويان في ظاهر الامر حالهما وان زاد ثواب واحدة على الاخرى زيادة عظيمة واذا لم يكن للعقل في ذلك مجال فالمرجع فيه الى السمع فان دل سمع مقطوع به من ذلك على شيء عول عليه والا كان الواجب التوقف عنه والشك فيه وليس في القران ولا في سمع مقطوع على صحته ما يدل على فضل نبي على ملك ولا ملك على نبي وسنبين ان ابنية واحدة مما يتعلق به في تفضيل الانبياء على الملائكة عليهم السلام يمكن ان يستدل بها على ضرب من الترتيب بذكره والمعتمد في القطع على ان الانبياء افضل من الملئكة عليهم السلام على اجماع الشيعة الامامية على ذلك لانهم لا يختلفون في ذلك بل يزيدون عليه ويذهبون الى ان الائمة افضل من الملائكة عليهم اجمعين السلام

السلام واجماعهم حجة لان المعصوم في جملتهم وقد بينا في مواضع من كتبنا كيفية الاستدلال بهذا الطريق ورتبناه واجبنا عن كل سوال يسال عنه فيها وبينا كيف الطريق مع غيبة الامام الى العلم بمذاهبه واقواله وشرحنا ذلك فلا معنى للتشاغل به ههنا ويمكن ان يستدل على ذلك بامره تعالى للملائكة بالسجود لادم عليه السلام وانه يقتضي تعظيمه عليهم وتقديمه واكرامه واذا كان المفضول لا يجوز تعظيمه وتقديمه على الفاضل علمنا ان ادم عليه السلام افضل من الملائكة وكل من ذهب الى ان ادم افضل من الملائكة ذهب الى ان جميع الانبياء عليهم السلام افضل من جميع الملائكة ولا احد من الامة فصل بين الامرين فان قيل ومن اين ان امرهم بالسجود على جهة التقديم قلنا لا يخلو تعبدهم بالسجود له من ان يكون على سبيل القبلة والجهة من غير ان يقترن به تعظيم وتقديم او يكون على ما ذكرناه فان كان الاول لم يجز انفة ابليس من السجود وتكبره عنه وقوله ارايتك هذا الذي كرمت علي وقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والقران كله ناطق بان امتناع ابليس من السجود انما هو لاعتقاده التفضيل به والتكرمة فلو لم يكن الامر على هذا لوجب ان يرده الله تعالى عنه ويعلمه انه ما امره بالسجود على وجه تعظيمه له ولا تفضيله بل على الوجه الاخر الذي لا حظ للتفضيل فيه وما جاز اغفال ذلك وهو سبب معصية ابليس وضلالته فلما لم يقع ذلك دل على ان الامر بالسجود لم يكن الا على جهة التفضيل والتعظيم وكيف يقع شك في ان الامر على ما ذكرناه وكل نبي اراد تعظيم ادم عليه السلم وصفه بما اقتضى الفخر والشرف نعته باسجاد الملائكة له وجعل ذلك من اعظم فضايله وهذا مما لا شبهة فيه واما اعتماد بعض اصحابنا في تفضيل الانبياء عليهم السلم انهم اكثر واوفر من حيث كانت لهم شهوات في القبايح ونفار عن الواجبات فليس بمعتمد لانا نقطع على ان مشاق الانبياء اعظم من مشاق الملائكة في التكليف والشك في مثل ذلك واجب وليس كل شيء لم يظهر لنا ثبوته وجب القطع على انتفائه ونحن نعلم على الجملة ان الملائكة اذا كانوا مكلفين فلا بد من ان تكون عليهم مشاق في تكليفهم لولا ذلك ما استحقوا ثوابا على طاعاتهم والتكليف انما يحسن في كل مكلف تعريضا للثواب ولا يكون التكليف شاقا عليهم الا وتكون لهم شهوات فيما خطر عليهم ونفار عما اوجب واذا كان الامر على هذا فمن اين يعلم ان مشاق الانبياء عليهم السلام اكثر من مشاق الملائكة واذا كانت المشقة عامة لتكليف الامة ولا طريق الى القطع على زيادتها في تكليف بعض ونقصانها في تكليف اخرين فالواجب التوقف والشك ونحن الان نذكر شبه من فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام ونتكلم عليها بعون الله فما تعلقوا به في ذلك قوله تعالى حكاية عن ابليس مخاطبا لادم وحواء عليهما السلام ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين فرغبهما في التناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتى تناولا وعصيا وليس يجوز ان يرغب عاقل في ان يكون على منزلة هي دون منزلته حتى يحمله ذلك على خلاف الله تعالى ومعصيته وهذا يقتضي فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلم وتعلقوا ايضا بقوله

تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وتاخير ذكر الملائكة في مثل هذا
الخطاب يقتضي تفضيلهم لان العادة انما جرت بان يقال لن يستنكف الوزير ان يفعل هذا
ولا الخليفة فيقدم الادون ويؤخر الاعظم ولم تجر بان يقال لن يستنكف الامير ان يفعل كذا
ولا الحارس وهذا يقتضي تفضيل الملائكة عليهم السلام وتعلقوا بقوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم
وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا قالوا وليس
بعد بني ادم مخلوق يستعمل في الخبر عنه لفظة من التي لا تستعمل الا في العقلاء الا الجن والملائكة
ولما لم يقل وفضلناهم على من بل قال على كثير ممن خلقنا علم انه انما اخرج الملائكة عن فضل بني ادم
عليه لانه لا خلاف في ان بني ادم افضل من الجن واذا كان وضع التفضيل يقتضي مخلوقا لم يفضل بنو ادم
عليه فلا شبهة في انهم الملائكة وتعلقوا بقوله تعالى ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم
الغيب ولا اقول اني ملك فلولا ان حال الملائكة افضل من حال النبي لما قال ذلك فيقال لهم
فيما تعلقوا به اولا لم زعمتم ان قوله تعالى الا ان تكونا ملكين معناه ان تصيرا او تنقلبا الى صفة
الملائكة فان هذه اللفظة ليست صريحا لما ذكرتم بل احسن الاحوال ان تكون محتملة له وما انكرتم
ان يكون المعنى ان المنهي عن تناول الشجرة غيركما وان النهي يختص الملائكة والخالدين دونكما ويجري
ذلك مجرى قول احدنا لغيره ما نهيت عن كذا الا ان تكون فلانا وانما يعني ان المنهي هو فلان
دونك ولم يرد الا ان تنقلب فتصير فلانا ولما كان غرض ابليس ايقاع الشبهة لهما فمن اوكد
الشبه ايهامهما انهما لم ينهيا وانما المنهي غيرهما ومن وكيد ما تفسد به هذه الشبهة ان يقال ما انكرتم
ان يكونا رغبا في ان ينقلبا الى صفة الملائكة وخلقتهم كما رغبهما ابليس في ذلك ولا تدل هذه الرغبة
على ان الملائكة افضل منهما لانه ربما انتقلت الى خلقة غيره لا ينقلب ولا يتغير بانقلاب الصورة والخلق فانه
انما يستحق على الاعمال دون الهيئات وغير ممتنع ان يكونا رغبا في ان يصيرا على هيئة الملائكة وصورها
وليس ذلك برغبة في الثواب ولا الفضل فان الثواب لا يتبع الهيئات والصور الا ترى انهما رغبا في
ان يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي مزية في ثواب ولا فضلا فيه وانما هو نفع عاجل فكذلك
لا يمتنع ان يكون الرغبة منهما في ان يصيرا ملكين انما كانت على هذا الوجه ويمكن ان يقال للمعتزلة خاصة
وكل من اجاز على الانبياء الصغائر ما انكرتم ان يكونا اعتقدا ان الملك افضل من النبي وغلطا في
ذلك وكان منهما ذنبا صغيرا لان الصغائر عندكم يجوز على الانبياء فمن اين لكم اذا اعتقدا ان الملائكة
افضل من الانبياء ورغبا في ذلك ان الامر على ما اعتقداه مع تجويزكم عليهم الذنوب وليس لهم ان
يقولوا ان الصغائر انما تدخل في الجوارح دون القلوب لان ذلك تحكم بغير برهان وليس يمتنع على
اصولهم ان تدخل الصغائر في افعال القلوب والجوارح معا الا ان حد الصغير عندهم ما نقص عقابه ثوابه

عن ثواب

عن ثواب طاعات فاعله وليس يمتنع معنى هذا الحد في افعال القلوب كما لا يمتنع في افعال الجوارح ويقال
لهم فيما تعلقوا به ثانيا ما انكرتم ان يكون هذا القول انما توجه الى قوم اعتقدوا ان الملائكة افضل
من الانبياء فاخرج الكلام على حسب اعتقادهم واخر ذكر الملائكة لذلك ويجري هذا القول مجرى قول
من قال منا لغيره لن يستنكف ابي ان يفعل كذا ولا ابوك وان كان القائل يعتقد ان اباه افضل وانما
اخرج الكلام على حسب اعتقاد المخاطب لا المخاطب انما يجوز ان يقال ايضا انه لا تفاوت في الفضل بين الانبياء
والملائكة وان ذهبنا الى ان الانبياء افضل منهم ومع التقارب والتداني يحسن ان يؤخر ذكر الافضل
الذي لا تفاوت بينه وبين غيره في الفضل وانما مع التفاوت والتداني لا يحسن ذلك الا ترى انه
يحسن ان يقول القائل ما يستنكف الامير فلان من كذا ولا الامير فلان من كذا وان كانا متساويين
متناظرين او متقاربين ولا يحسن ان يقول ما يستنكف الامير من كذا ولا الحارس لاجل التفاوت
واقوى من هذا ان يقال انما اخر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لان جميع الملائكة اكثر ثوابا لا محالة
من المسيح منفردا وهذا لا يقتضي ان كل واحد منهم افضل من المسيح عليه السلام وانما الخلاف في ذلك
ويقال لهم فيما تعلقوا به ثالثا ما انكرتم ان يكون المراد بقوله تعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا انا
فضلناهم على من خلقنا وهم كثير ولم يرد التبعيض ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا معناه
لا تشتروا بها ثمنا قليلا وكل ثمن تاخذونه عنها قليل ولم يرد التخصيص والمنع من الثمن القليل خاصة ومثله
قول الشاعر من اناس ليس في اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع وانما اراد نفي الفحش كله
عن اخلاقهم وان وصفه بانه عاجل ونفي الجزع عنها وان وصفه بالسوء وهذا من غريب البلاغة ودقيقها
ونظايره في الشعر والكلام الفصيح لا تحصى وقد كنا املينا في تاويل هذه الاية كلاما مفردا استقصيناه
وشرحنا هذا الوجه واكثرنا من ذكر امثلته ووجه اخر في تاويل هذه الاية وهو انه غير ممتنع ان
يكون جميع الملائكة افضل من جميع بني ادم وان كان في جملة بني ادم من الانبياء عليهم السلام من يفضل كل
واحد منهم على كل واحد من الملائكة لان الخلاف انما هو في فضل كل نبي ادم على كل ملك وغير ممتنع
ان يكون جميع الملائكة فضلا لا يستحق كل واحد منهم الخبر بل الاكثر من الثواب فيزيد ثواب جميعهم على
١ ثواب جميع بني ادم لان الافاضل من بني ادم اقل عددا وان كان في بني ادم احاد كل واحد منهم افضل
من كل واحد من الملائكة ووجه اخر ومما يمكن ان يقال في هذه الاية ايضا ان مفهوم الاية اذا تؤملت يقتضي
انه تعالى لم يرد الفضل الذي هو زيادة الثواب وانما اراد النعم والمنافع الدنياوية الا ترى الى قوله ولقد
كرمنا بني ادم والكرامة انما هي الترفيه وما يجري مجراه ثم قال وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
ولا شبهة في ان الحمل لهم في البر والبحر ورزق الطيبات خارج عما يستحق به الثواب ويقتضي التفضيل الذي
وقع الملاقة فيه ويجب ان يكون ما عطف عليه من التفضيل داخلا في هذا الباب وفي هذا القبيل فانه يشبه

من ان يكون المراد بغيرها شيئا الا انه وارد بر ومبنى عليه واقل الاحوال ان تكون لفظة فضلناهم محتملة
للامرين فلا يجوز الاستدلال بها على خلاف ما نذهب اليه ويقال لهم فيما تعلقوا به رابعا الاستدلال في
هذه الاية على ان حال الملائكة افضل من حال الانبياء لان الغرض في الكلام انما هو نفي ما لم يكن عليه
لا التفضيل لذلك على ما هو عليه الا ترى ان احدنا لو ظن انه على صفة الملائكة وهو ليس عليها جاز
ان ينفيها عن نفسه بمثل هذا اللفظ وان كان على احوال هي افضل من تلك الحال وارفع وليس يجب اذا
انتفى مما تبرأ منه من علم الغيب وكون خزائن الله تعالى عنده ان يكون فيه فضل ان يكون ذلك معتمدا
في كل ما يقع النفي له فالتبرؤ منه واذا لم يكن ملكا ولم يكن عنده خزائن الله تعالى جاز ان ينتفي من
الامرين من غير ملاحظة لان حاله دون هاتين الحالتين ومما يوضح هذا ويزيل الاشكال فيه انه تعالى
حكى عنه قوله في اية اخرى ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ونحن نعلم ان منزلته
غير جليلة وهو على كل حال ارفع منها واعلى فما المنكر ان يكون نفي الملكية عنه في انه لا يقتضي انها
دون حال الملك بمنزلة نفي هذه المنزلة والتعلق بهذه الاية ضعيف جدا وفيما اوردناه كفاية بالتوفيق
تفسير البيت الذي ذكره السيد بن محمد الحميري في قصيدته المذهبة وهو ردت عليه الشمس لما
فاته وقت الصلوة وقد دنت للمغرب : قال رضي الله عنه هذا خبر عن رد الشمس له عليه السلام
في حياة النبي صلى الله عليه وآله لانه روي ان النبي صلى الله عليه وآله كان نائما ورأسه في حجر امير المؤمنين
عليه السلام فلما حان وقت صلوة العصر كره ان ينهض لادائها فيزعج النبي صلى الله عليه وآله من نومه
فلما مضى وقتها وانتبه النبي عليه السلام دعا الله تعالى بردها له فردها فصلى عليه السلام الصلوة في وقتها
فان قيل هذا يقتضي ان يكون عليه السلام عاصيا بترك الصلوة بغير عذر وان ازعاج النبي عليه السلام
وترويعه لا ينكر ان يكون عذرا في ترك الصلوة فان قيل الاعذار في ترك جميع افعال الصلاة لا
تكون الا بفقد العقل والتمييز كالنوم والاغماء وما شاكلهما ولم يكن عليه السلام في تلك الحال بهذه الصفة
فاما الاعذار التي يكون معها العقل والتمييز ثابتين كالزمانة والرباط والقيد والمرض الشديد
واشتداد القتال فانما يكون عذرا في استيفاء افعال الصلاة وليس بعذر في تركها اصلا فان
كل معذور ممن ذكرناه يصليها على حسب طاقته ولو بالايماء قلنا غير منكر ان يكون عليه السلام صلى
مؤميا وهو جالس لما تعذر عليه القيام اشفاقا من ازعاجه صلى الله عليه وآله وعلى هذا تكون
فائدة رد الشمس ليصلي مستوفيا لافعال الصلوة وليكون ايضا فضيلة له ودلالة على عظم شأنه والجواب
الاخر ان الصلاة لم تفته بمضي جميع وقتها وانما فاته ما فيه الفضل والمزية من اول وقتها ويقوي هذا
الوجه شيئان احدهما الرواية الاخرى لان قوله حين تفوته تصريح في ان الفوت لم يقع وانما قارب
وكاد والامر الاخر قوله وقد دنت للمغرب يعني الشمس وهذا ايضا يقتضي انها لم تغرب وانما دنت

قلنا عن هذا جوابان احدهما انه لا يكون عاصيا اذا اخرنا الصلوة م

للغروب

الغروب فان قيل اذا كانت لم تفته فاي معنى للدعاء بردها حتى يصلي في الوقت وهو قد صلى فيه
قلنا الفائدة في ردها ليدرك فضيلة الصلوة في اول وقتها ثم ليكون ذلك دلالة على سمو محله
وجلالة قدره في خرق العادة من اجله فان قيل اذا كان النبي صلى الله عليه وآله هو الداعي بردها له
فان العادة انخرقت للنبي عليه السلام لا لغيره قلنا اذا كان النبي عليه السلام انما دعا بردها لاجل امير المؤمنين
عليه السلام وليدرك ما فاته من فضل الصلوة فشرف انخراق العادة والفضيلة به تنقسم بينهما عليهما
السلام فان قيل كيف يصح رد الشمس واصحاب الهيئة والفلك يقولون ان ذلك محال لا تناله قدرة
وهبه كان جائزا على مذاهب اهل الاسلام اليس لو ردت الشمس من وقت الغروب الى وقت الزوال لكان
يجب ان يعلم اهل الشرق والغرب بذلك لانها تبطئ في الطلوع على بعض البلاد فيطول ليلهم على وجه
خلاف العادة ويمتد من نهار قوم اخرين ما لم يكن ممتدا ولا يجوز ان يخفى على اهل البلاد غروبها ثم
عودها طالعة بعد الغروب وكانت الاخبار تنتشر بذلك ويؤرخ هذا الحادث العظيم في التواريخ
ويكون ابهر واعظم من الطوفان قلنا قد دلت الدلالة الصحيحة الواضحة على ان الفلك وما فيه من
شمس وقمر ونجوم غير متحرك لنفسه ولا بالطبيعة على ما يهذي به القوم وان الله تعالى هو المحرك له والمتصرف باختياره
فيه وقد استقصينا الحجج على ذلك في كثير من كتبنا وليس هذا موضع ذكرها فاما علم اهل الشرق والغرب
والسهل والجبل بذلك كما مضى في السؤال فغير واجب لانا لا نحتاج الى القول بانها ردت من وقت
الغروب الى وقت الزوال وما يقاربه على ما مضى في السؤال بل نقول ان وقت الفضل في صلاة
العصر هو ما يلي بلا فصل زمان اداء المصلي فرض الظهر اربع ركعات عقيب الزوال وكل زمان وان
قصر وقل يجاوز هذا الوقت فذلك الفضل فائت فيه واذا ردت الشمس له بهذا المقدار اليسير الذي
نفرض انه بمقدار ما يؤدي فيه ركعة واحدة خفي على اهل الشرق والغرب ولم يشعروا به بل هو مما يجوز
ان يخفى على من حضر الحال وشاهدها ان لم ينعم النظر والتفقد فيها فبطل السؤال على جوابنا الثاني
المبني على فوت الفضيلة فاما الجواب الاخر المبني على انها كانت فاتت بغروبها للعذر الذي
ذكرناه فالسؤال ايضا باطل عنه لانه ليس بين مغيب جميع قرص الشمس في الزمان وبين مغيب بعضها وظهور
بعضها الا زمان يسير قصير يخفى فيه رجوع الشمس بعد مغيب جميع قرصها الى ظهور بعضها على كل قريب وبعيد
ولا يفطن اذا لم يعرف سبب ذلك على وجه خارق للعادة ومن فطن بان ضوء الشمس غاب ثم عاد
بعض ضوء جاز ان يكون ذلك لغيم او حائل تفسير قول السيد في هذه القصيدة ايضا : وعليه قد حبست
ببابل مرة : اخرى وما حبست لخلق معرب : هذا البيت يتضمن الاخبار عن رد الشمس ببابل على
امير المؤمنين عليه السلام والرواية بذلك مشهورة وانه عليه السلام لما فاته وقت العصر ردت له
الشمس حتى صلاها في وقتها وخرق العادة ههنا لا يمكن نسبته الى غيره عليه السلام كما امكن ذلك في

استوفينا

عليهم

ايام النبي عليه السلام والصحيح في فوت الصلوة فيهنا احد الوجهين اللذين تقدم ذكرهما في ذلك فهو
على عهد النبي صلى الله عليه وآله وهو ان فضيلة اول الوقت فاتته لضرب من الشغل فردت عليه
الشمس ليدرك فضيلة الصلاة في اول الوقت وقد بينا هذا الوجه في تفسير البيت الذي اوله ردت
عليه الشمس وابطلنا قول من يدعي ان ذلك كان يجب ان يعم الخلق في الآفاق معرفته حتى يدونوه
ويؤرخوه فاما من ادعى ان الصلاة فاتته بان تقضى جميع وقتها اما لتشاغله بتعبية عسكره او
لان بابل ارض خسف لا تجوز الصلوة عليها فقد ابطل لان الشغل بتعبية العسكر لا يكون عذرا
في فوت صلاة فريضة وان امير المؤمنين عليه السلام اجل قدرا واثخن دينا من ان يكون ذلك
عذرا له في فوت فريضة واما ارض الخسف فانما تكره الصلاة فيها مع الاختيار فاذا لم يتمكن
المصلي من الصلاة في غيرها وخاف فوت الوقت وجب ان يصلي فيها وتزول الكراهية فاما قول
الشاعر وعليه قد حبست ببابل فالمراد بحبست ردت وانما كره ان يعيد لفظة الرد لانها قد
تقدمت فان قيل حبست بمعنى وقفت ومعناه يخالف معنى ردت قلنا المعنيان ههنا واحد
لان الشمس اذا ردت الى الموضع الذي تجاوزته فقد حبست عن السير المعهود وقطع الاماكن المالوف
فاما المعرب فهو الناطق الفصيح مجيبة يقال اعرب فلان عن كذا اذا ابان عنه مسئلة سئل رضي الله
عنه فقيل ما يقال لمن يدعي عند اقامة الدليل على حدث الجسم والجوهر والعرض شيئا ليس بجسم ولا جوهر
ولا عرض احدث الله تعالى الاشياء منه وما الذي يفسد دعواه غير المطالبة له بالدلالة على صحتها
الجواب ولما نقول في هذا الباب ان احداث شيء من شيء غيره كلام محال ظاهر الفساد لان
المحدث على الحقيقة هو الموجود بعد ان كان معدوما واذا فرضنا انه احدث من غيره فقد جعلناه
موجودا في ذلك الغير فلا يكون محدثا في الحقيقة ولا موجودا بعد عدم حقيقي فكانا قلنا انه محدث
وليس بمحدث وهذا متناقض على ان الجواهر والاجسام انما حكمنا بحدثها لانها لم تخل من الاعراض ولم
تتقدم في الوجود عليها وما لم يتقدم المحدث فهو محدث مثله واذا كانت الاعراض التي توصلنا
بحدوثها الى حدوث الاجسام والجواهر محدثة لا من شيء ولا عن هيولى على ما تموه هؤلاء المفلسون
به فيجب ان تكون الجواهر والاجسام ايضا محدثة على هذا الوجه لانه اذا وجب ان يساوي ما لم يتقدم
المحدث في حدوثه وجب ايضا ان يساويه في كيفية حدوثه على انا قد بينا ان ما احدث من غيره
ليس بمحدث في الحقيقة والعرض محدث على الحقيقة فيجب فيما لم يتقدمه في الوجود ان يكون محدثا
على الحقيقة يبين ما ذكرناه ان من احدث من طين او شمع صورة فهو غير محدث لها على الحقيقة وكيف
تكون كذلك وهي موجودة الاجزاء في الطين والشمع وانما احدث الشيء تصويرها وتركيبها والمعاني
المخصوصة فيها وهذا يقتضي ان الجواهر والاجسام على مذهب اصحاب الهيولى غير محدثة على الحقيقة وانما احدث

التصوير

التصوير والتركيب واذا كان الدليل على حدوث جميع الاجسام والجواهر قد دل بطل هذا المذهب
فاما الذي يدل على بطلان قول من اثبت شيئا موجودا ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض من غير جهة الحدث
لم يصحح دعواه ويعبر معنى ذلك فهو انه لا حكم لذات موجودة ليست بجسم ولا جوهر ولا عرض يعقل
ويمكن الاشارة اليه وما لا حكم له من الذوات والصفات لا يجوز اثباته وما لا فرق بين اثباته ونفيه
ويجوز ذلك يؤدي الى الجهالات والى اثبات ما لا يتناهى من الذوات والصفات وقد بينا هذه
الطريقة في مواضع من كتبنا لا سيما في الكتاب الملخص في الاصول على انا نقول لمن اثبت الهيولى وادعى
انه اصل العالم والاجسام والجواهر منها احدثت لا تخلو هذه الذات التي تسمونها بالهيولى من
ان تكون موجودة او معدومة فان اريد بالوجود ما تعنون انتم بهذه اللفظة لان الموجود عندكم
يكون بالفعل ويكون بالقوة ويكون المعدوم عندكم موجودا بالقوة او في العلم وانما نريد بالوجود
هذا الذي نعقله ونعلمه ضرورة عند ادراك الذوات المدركة لان احدنا اذا ادرك الجسم
متحيزا علم ضرورة وجوده وثبوته وكذلك القول في الالوان وما عداها من المدركات فان
قال هي موجودة على تحديدكم قلنا فيجب ان تكون متحيزة لانها لو لم تكن بهذه الصفة ما حصل منها
التحيز الا ترى ان الاعراض لما لم تكن متحيزة لم يمكن ان يحدث منها التحيز واذا اقروا فيها التحيز فهي
من جنس الجواهر بطل القول بانها ليست بجوهر ووجب لها الحدوث لان دليل حدث الاجسام
يتناولها ويشتمل عليها فبطل ايضا القول بقدمها ونفي حدوثها وان قالوا هي معدومة قلنا
اذا كانت معدومة على الحقيقة فانتم لم تثبتوا قدما لها ولا حدوثا لان هاتين الصفتين
انما تتعاقبان على الموجود فكانكم تقولون ان الله تعالى جعل من هذه الهيولى المعدومة جواهر
واجساما موجودة وهذه موافقة في المعنى لاهل الحق القائلين بان الجواهر في العدم على صفة تقتضي
وجوب التحيز لها متى وجدت وان الله تعالى اذا اوجد هذه الجواهر وجب لها في الوجود التحيز لما هي
عليه في نفوسها من الصفة في العدم الموجبة لذلك بشرط الوجود وانما الفاعل انما يؤثر في صفة الوجود
ولا تاثير له في الصفة التي كانت عليها الجواهر في العدم على ان هذه الطريقة اذا صاروا اليها تقتضي
ان الاجناس الاعراض كلها هيولى لان الدليل قد دل على ان للسواد ولكل جنس من الاعراض صفة ثابتة
في حال العدم تقتضي كونه على الصفة التي يدرك عليها ان كان مما يدرك في حال الوجود وان
الفاعل انما يؤثر في احداثه وايجاده دون الصفة التي كان عليها في حال العدم والقول في الاعراض
كالقول في الجواهر في هذه القضية ويجب ان يكون الجميع هيولى لان الطريقة واحدة وكلام هؤلاء ابدا غير
محصل ولا مفهوم وهم يدعون التحقيق والتحديد وما ابعدهم من ذلك مسئلة اخرى في العصمة ما
حقيقة العصمة التي يعتقد وجوبها للانبياء والائمة عليهم السلم وهل هي معنى يضطر الى الطاعة ويمنع

من المعصية ومعنى يضامّه الاختيار فان كان معنى يضطره الى الطاعة ويمنعه من المعصية فكيف يجوز
الحمد والذم لفاعلها وان كان معنى يضامّه الاختيار فاذكروه ودلّوا على صحة مطابقته له ووجوب
اختصاص المذكورين به دون من سواهم فقد قال بعض المعتزلة ان الله عصم انبياءه بالشهادة لهم
بالاستعصام كما ضلّل قوما بفعل الشهادة عليهم بالضلال فان يكن ذلك هو المعتمد انعم بذكره ودلّ
على صحته وبطلان ما عساه يعلمه من الطعن عليه وان يكن باطلا دل على بطلانه وصحة الوجه المعتمد فيه
دون ما سواه الجواب اعلم ان العصمة هي اللطف الذي يفعله الله تعالى فيختار العبد عنده الامتناع
من فعل القبيح فيقال على هذا ان الله عصمه بان فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح ويقال
ان العبد معصوم لانه اختار عند هذا الداعي الذي فعل له الامتناع من القبيح واصل العصمة في موضوع
اللغة المنع يقال عصمت فلانا من السوء اذا منعت من حلوله به غير ان المتكلمين اجروا هذه اللفظة على
من امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله الله تعالى به لانه اذا فعل به ما يعلم انه يمتنع عنده من فعل
القبيح فقد منعه من القبيح فاجروا عليه لفظة المانع قهرا وقسرا واهل اللغة يتعارفون ذلك ايضا ويستعملو
نه لانهم يقولون فيمن اشار على غيره براي فقبله منه مختارا واحتمى بذلك من ضرر يلحقه وسوء يناله انه
حماه من ذلك الضرر ومنعه وعصمه منه وان كان ذلك على سبيل الاختيار فان قيل افتقولون
فيمن لطف له بما اختار عنده الامتناع من فعل واحد قبيح انه معصوم قلنا نقول ذلك مضافا ولا نطلقه
فنقول انه معصوم من كذا ولا نطلق فنوهم انه معصوم من جميع القبائح ونطلق في الانبياء والائمة عليهم السلام
العصمة بلا تقييد لانهم عندنا لا يفعلون شيئا من القبائح بخلاف ما يقوله المعتزلة من نفي الكبائر
عنهم دون الصغائر فان قيل فاذا كان تفسير العصمة ما ذكرتم فالا عصم الله تعالى جميع المكلفين وفعل
بهم ما يختارون عنده الامتناع من القبائح قلنا كل من علم الله تعالى ان له لطفا يختار عنده الامتناع
من القبائح فانه لا بد ان يفعل به وان لم يكن نبيا ولا اماما لان التكليف يقتضي فعل اللطف على ما دل
عليه في مواضع كثيرة غير انه لا يمتنع ان يكون في المكلفين من ليس في المعلوم ان شيئا متى فعل اختار
عنده الامتناع من القبيح فيكون هذا المكلف لا عصمة له في المعلوم ولا لطف وتكليف من لا لطف له
يحسن ولا يقبح وانما القبيح منع اللطف فيمن له لطف مع ثبوت التكليف فاما قول بعضهم ان العصمة هي
الشهادة من الله تعالى بالاستعصام فباطل لان الشهادة لا تجعل الشيء على ما هو به وانما تتعلق به
على ما هو عليه لان الشهادة هي الخبر والخبر عن كون الشيء لا يؤثر في كونه عليها فيحتاج اولا الى ان يتقدم
لنا العلم بان زيدا معصوم او معتصم ويوضح عن معنى ذلك ثم تكون الشهادة من بعد مطابقة لهذا
العلم وهذا بمنزلة من سئل عن حد المتحرك فقال هو الشهادة بانه متحرك والمعلوم انه على هذه الصفة
وفي هذا البيان كفاية لمن تامله مسئلة ما القول في الاخبار الواردة في عدة كتب من الاصول والفروع

بمدح

بمدح اجناس من الطير والبهائم والماكولات والارضين وذم اجناس منها كمدح الحمام والبلبل والقنبر
والحجل والدراج وما شاكل ذلك من فصحاء الطير وذم الفواخت والرخم وما يحكى من ان كل
جنس من هذه الاجناس المحمودة ينطق بثناء على الله تعالى وعلى اوليائه ودعاء لهم ودعاء على اعدائهم
وان كل جنس من هذه الاجناس المذمومة ينطق بضد ذلك من ذم الاولياء عليهم السلام وكذم
الجري وما شاكله من السمك مما نطق به الجري من انه مسخ بجحده الولاية وورود الاثار بتحريم لذلك
وكذم الدب والقرد والفيل وسائر المسوخ المحرمة وكذم البطيخة التي كسرها امير المؤمنين عليه السلام
فصادفها مرة فقال من النار الى النار ودحا بها من يده ففار من الموضع الذي سقطت فيه دخان
وكذم الارضين السبخة والقول بانها جحدت الولاية ايضا وقد جاء في هذا المعنى ما يطول شرحه
وظاهره مناف لما تدل العقول عليه من كون هذه الاجناس مفارقة للقبيل الذي يجوز تكليفه وتسوغ
امره ونهيه وفي هذه الاخبار التي اشرنا اليها ان بعض هذه الاجناس يعتقد الحق ويدين به وبعضها
يخالفه وهذا كله مناف لظاهر ما العقلاء عليه ومنها ما يشهد ان لهذه الاجناس منطقا مفهوما
والفاظا تفيد اغراضا وانها بمنزلة الاعجمي والعربي اللذين لا يفهم احدهما صاحبه وان شاهد ذلك
من قول الله سبحانه فيما حكاه عن سليمان عليه السلام يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل
شيء ان هذا لهو الفضل المبين وكلام النملة ايضا فيما حكاه سبحانه وكلام الهدهد واحتجاجه وجوابه
وفهمه فانعم بذكر ما عندك في ذلك مثابا ان شاء الله الجواب وبالله التوفيق اعلم ان المعول فيما يعتقد
على ما تدل الادلة عليه من نفي واثبات فاذا دلت الادلة على امر من الامور وجب ان نبني كل وارد
من الاخبار اذا كان ظاهره بخلافه عليه ونسوقه اليه ونطابق بينه وبينه ونجلي ظاهرا ان كان له ونشرط
ان كان مطلقا ونخصه ان كان عاما ونفصله ان كان مجملا ونوفق بينه وبين الادلة من كل طريق
اي يجمع اقتضى الموافقة وآل الى المطابقة واذا كنا نفعل ذلك ولا نحتشم في ظواهر القرآن المقطوع على صحته
المعلوم وروده فكيف نتوقف عن ذلك في اخبار احاد لا توجب علما ولا تثمر يقينا فمتى وردت
عليك اخبار فاعرضها على هذه الجملة وابنها عليها وافعل فيها ما حكمت به الادلة واوجبته الحجج العقلية
وان تعذر فيها بناء وتاويل وتخريج وتنزيل فليس غير الاطراح لها وترك التعريج عليها ولو اقتصرنا
على هذه الجملة لاكتفينا فيمن يتدبر ويتفكر وقد يجوز ان يكون المراد بذم هذه الاجناس من الطير انها
ناطقة بضد الثناء على الله وبذم اوليائه ونقص اصفيائه معناه ذم متخذيها ومرتبطيها وان هؤلاء
المغرين بتجنب هذه الاجناس واتخاذها هم الذين ينطقون بضد الثناء على الله تعالى ويذمون اولياءه
واحباءه فاضاف النطق الى هذه الاجناس وهو لمتخذيها ومرتبطيها للتجاور والتقارب وعلى سبيل التجوز
والاستعارة كما اضاف الله في القرآن السؤال الى القرية وانما هو لاهل القرية وكما قال تعالى وكأين

من قرية

من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال
امرها وكان عاقبة امرها خسرا وفي هذا كله حذوف وقد اضيف في الظاهر الفعل الى من هو في
الحقيقة متعلق بغيره والقول في مدح اجناس من الطير بالوصف لها بانها تنطق بالثناء على الله تعالى
والمدح لاوليائه يجري على هذا المنهاج الذي نهجناه فان قيل كيف يستحق مرتبط هذه الاجناس مدحا
بارتباطها ومرتبط بعض اخر ذما بارتباطه حتى علقتم المدح والذم بذلك قلنا ما جعلنا للارتباط
هذه الاجناس حظا في استحقاق مرتبطها مدحا ولا ذما وانما قلنا انه غير ممتنع ان يجري عادة المؤمنين
الموالين لاولياء الله تعالى والمعادين لاعدائه بان يألفوا ارتباط الاجناس من الطير وكذلك يجري
عادة بعض اعداء الله تعالى باتخاذ بعض اجناس الطير فيكون متخذ بعضها ممدوحا لامر اجل اتخاذه لكن
لما هو عليه من الاتخاذ الصحيح فيضاف المدح الى هذه الاجناس وهو لمرتبطها والنطق بالتسبيح والدعاء
الصحيح اليها وهو لمتخذها تجوزا واتساعا وكذلك القول في الذم المقابل للمدح فان قيل فلم نهي عن اتخاذ
بعض هذه الاجناس اذا كان الذم لا يتعلق باتخاذها وانما يتعلق ببعض متخذيها لكفرهم وضلالهم
قلنا يجوز ان يكون في اتخاذ هذه البهايم المنهي عن اتخاذها وارتباطها مفسدة وليس يقبح خلقها في
الاصل لهذا الوجه لانها خلقت لينتفع بها من ساير وجوه الانتفاع سوى الارتباط والاتخاذ الذي
يمتنع تعلق المفسدة به ويجوز ايضا ان تكون في اتخاذ هذه الاجناس المنهي عنها شوم وطيرة فللعرب في
ذلك مذهب معروف ويصح هذا النهي ايضا على مذهب من نفى الطيرة على التحقيق لان الطيرة والتشأم
وان كان لا تاثير لهما على التحقيق فان النفوس تستشعر ذلك ويسبق اليها ما يجب على كل حال تجنبه والتوقي
عنه وعلى هذا يحمل معنى قوله عليه السلام لا يورد ذو عاهة على مصح فاما تحريم السمك الجري وما اشبهه — منه
فغير ممتنع لشيء يتعلق بالمفسدة في تناوله كما تقول في ساير المحرمات فاما القول بان الجري نطق بانه مسخ
لجحده الولاية فهو مما يضحك منه ويتعجب من قائله والملتفت الى مثله فاما تحريم الدب والقرد والفيل — ويتعجب منه
فكتحريم كل محرم في الشريعة والوجه في التحريم لا يختلف والقول بانها ممسوخة اذا تكلفنا حملناه على انها كا(نت)
على خلق حسنة غير منفور عنها ثم جعلت على هذه الصور الشنيعة على سبيل التنفير عنها والزيادة في الصد — جبلة
عن الانتفاع بها لان بعض الحيوان لا يجوز ان يكون غيره على الحقيقة والفرق بين كل حيين معلوم ضرورة
فكيف يجوز ان يصير حي حيا اخر غيره واذا اريد بالمسخ هذا فهو باطل وان اريد غيره نظرنا فيه
فقد يجوز امير المؤمنين عليه السلام لما ذاقها ونفر عن طعمها وزادت كراهيته له قال من النار والى النار — ان يكون منه
هذا من طعام اهل النار وما يليق بعذاب اهل النار كما يقول احدنا ذلك فيما يستوبيه ويكرهه ويجوز
ان يكون موزا لم يدخان عند الالقاء لها كان على سبيل التصديق لقوله عليه السلام من النار الى
النار واظهار معجز له واما ذم الارضة التسبيحة والقول بانها جهلت لو لا انه [illegible] لم يكن محمولا معنى على

ما قدمناه

ما قدمناه من جهل اهل هذه الارض وسكانها الولاية لم يكن معقولا ويجري ذلك مجرى قوله تعالى
وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله واما اضافة اعتقاد الحق الى بعض البهايم واعتقاد الباطل
والكفر الى بعض اخر فمما تحيله العقول والضرورات لان هذه البهايم غير عاقلة ولا كاملة ولا مكلفة
فكيف تعتقد حقا او باطلا واذا وردت في ظاهر شيء من هذه الحالات اما الطرح او تاول على المعنى
الصحيح وقد نهجنا طريق التاويل وبينا كيف التوصل اليه فاما حكايته تعالى عن سليمان عليه السلام يا ايها
الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين فالمراد به انه علم ما يفهم به ما
ينطق به الطير وتتداعى في اصواتها واغراضها ومقاصدها بما يقع منها من صياح على سبيل المعجز
لسليمان عليه السلام فاما الحكاية عن النملة فانها قالت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وقد يجوز ان يكون المراد به انه ظهر منها دلالة القول على هذا المعنى لما شعرت باتي النمل وخوفتهم من
الضرر بالمقام وان النجاة في الهرب الى مساكنها فتكون اضافة القول اليها مجازا واستعارة كما قال
الشاعر وشكا الي بعبرة وتحمحم وكما قال الاخر وقالت له العينان سمعا وطاعة ويجوز ايضا
ان يكون وقع من النملة كلام ذو حروف منظومة كما يتكلم احدنا ما يتضمن المعاني المذكورة ويكون
ذلك معجزة لسليمان عليه السلام لان الله تعالى سخر له الطير وافهمه معاني اصواتها على سبيل المعجز
وليس هذا بمنكر فان النطق بمثل هذا الكلام المسموع منها لا يمتنع وقوعه ممن ليس بمكلف ولا كامل العقل
الا ترى ان المجنون ومن لم يبلغ الكمال من الصبيان قد يتكلمون بالكلام المتضمن للاغراض وان كان
التكليف والكمال عنهم زايلين والقول فيما يحكى عن الهدهد يجري على الوجهين اللذين ذكرناهما في
النملة فلا حاجة بنا الى اعادتهما واما حكايته انه قال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني بسلطان
مبين وكيف يجوز ان يكون ذلك في الهدهد وهو غير مكلف ولا يستحق مثله العذاب والجواب عن ذلك
ان العذاب اسم للضرر الواقع وان لم يكن مستحقا فليس يجري مجرى العقاب الذي لا يكون الا جزاء على امر
تقدم فليس يمتنع ان يكون معنى لاعذبنه لاولمنه ويكون الله تعالى قد اباح له الايلام له كما اباحه — وليس يمتنع لاولمنه
الذبح لضرب من المصلحة كما سخر له الطير يصرفها في مناهيه واغراضه وكل هذا لا ينكر في نبي مرسل تخرق له
العادات وتظهر على يديه المعجزات وانما يشتبه على قوم يظنون ان هذه الحكايات تقتضي كون النملة
والهدهد مكلفين وقد بينا ان الامر بخلاف ذلك تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى قل
تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا فكيف يجوز ان يكون من جملة ما حرم علينا ان لا نشرك — وكيف
به شيئا والامر بالعكس من ذلك الجواب قيل له هذا السؤال من لا تامل عنده بموضوع الاية وترتيب خطابها — سوال
لان التحريم المذكور فيها لا يجوز البتة على مذهب اهل العربية ان يكون متعلقا بقوله الا تشركوا به شيئا وانما
هو من صلة الجملة الاولى ولو تعلق التحريم المذكور بقوله الا تشركوا لكان يكون تعلقه به تعلق الفاعل او المنزل

وكانه قال حرم الا تشركوا او المبتدا والخبر فكانه قال الذي حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا والتعلق الاول
يمتنع منه ان لفظة حرم من صلة لفظ ما التي هي بمعنى الذي ولا تعمل فيما بعدها الا ترى انك اذا قلت
احرمت كذا فالتحريم عامل فيما بعده محل الفعل في المفعول فاذا قلت الذي حرمت كذا بطل هذا المعنى
ولم يجز ان يكون التحريم متعلقا بما بعده على معنى الفعلية بل على سبيل المبتدا والخبر ولا يجوز ان يكون في
الاية التعلق على هذا الوجه لان صدر الكلام يمتنع من ذلك الا ترى انه تعالى قال اتل ما حرم فما حرم نصب
على انه مفعول اتل واذا كان كذلك لم يجز ان يكون ما حرم مبتدا حتى يكون الا تشركوا خبرا له واذا
بطل التعلق بين الكلام من كلا الوجهين نظرنا الى قوله تعالى الا تشركوا ما الذي يتعلق به واحتجنا الى اضمار
متعلق به ولم يجز ان تضمر حرم الا تشركوا به لان ذلك واجب غير محرم فيجب ان يضمر اما اوصيكم الا
تشركوا به شيئا او اتل عليكم الا تشركوا والاضمار الاول فيشهد له اخر الاية في قوله تعالى ذلكم وصيكم به
لعلكم تعقلون والاضمار الثاني يشهد له اول الاية من قوله تعالى اتل وما اوضحناه به فقد امر بان يتلو
اليه فان قيل فما موضع ان من الاعراب قلنا في ذلك وجوه ثلاثة احدها الرفع ويكون التقدير ذلك
الا تشركوا به شيئا فكانه مبتدا وخبر والثاني النصب اما على اوصى الا تشركوا او على اتل ان لا تشركوا
والثالث الا يكون لها موضع ويكون المعنى لا تشركوا به شيئا فاما موضع تشركوا فيمكن فيه وجهان النصب
بان والثاني الجزم بلا على جهة النهي فان قيل كيف يعطف النهي في قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم على
الخبر وهو اوصى الا تشركوا قلنا ذلك جائز مثل قوله تعالى قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن
من المشركين ومثله قول الشاعر حج واوصى بسليمى الاعبدا ان لا ترى ولا تكلم احدا ولا يزل شرابها
مبردا فعطف لا تكلم وهو نهي على الخبر ويمكن في الاية وجه غير مذكور فيها وان الكلام بجملته وهو ان يكون
الكلام انقطع عند قوله تعالى اتل ما حرم ربكم والوقف ههنا ثم ابتدا عليكم الا تشركوا به شيئا واذا كان
على هذا الوجه احتمل عليكم الا تشركوا وجهين احدهما ان يراد به يلزمكم ووجب عليكم ذلك كما يقال عليك
درهم وعليك ان تفعل كذا ثم قال وبالوالدين احسانا اى اوصى بالوالدين احسانا والوجه الاخر ان يريد
الاغراء كما تقول عليك زيدا وعليك كذا اذا امرت باخذه والبدار اليه لم يبق بعد هذا الا سؤال واحد
وهو ان يقال كيف يجوز ان يقول تعالى اتل ما حرم ربكم عليكم ثم ياتي بذكر اشياء غير محرمات حتى تعدوا
لها الوصية او الامر وصدر الكلام يقتضي ان الذي ياتي به من بعد لا يكون الا محرما الا ترى ان القايل اذا
قال تعالى اتل عليك ما وهبت كذا وكذا لا بد ان يكون ما بعده ويذكره من الموهوبات والا خرج الكلام
من الصحة والجواب عن ذلك ان التحريم لما كان ايجابا والزاما الى ما بعده من المذكورات على المعنى دون اللفظ
بذكر الامور الواجبات والمامورات للاشتراك في المعنى يضافان في الايجاب والالزام تحريما الا ترى ان
الواجب محرم الترك وكل شيء ذكر بعد لفظ التحريم فيه على بعض الوجوه تحريم فان قيل الا احملتم الاية على

اى اوصى الا عليه في بابه بيانه

حملها قوم عليه من ان لفظة لا زائدة في قوله ان لا تشركوا فكانه عز وجل حرم ان تشركوا واستشهد
على زيادة لا بقوله تعالى ما منعك الا تسجد اذ امرتك وبقول الشاعر فما الوم البيض الا تسخر لما
راين الاشمط القفندرا وبقول الشاعر الا يا القوم قد اشطت عواذلي ويزعمن ان اودى
بحقي باطلي ويلحينني في اللهو الا احبه وللهو داع دائب غير غافل قلنا قد انكر كثير من اهل
العربية زيادة لا في مثل هذا الموضع وضعفوه وحملوا قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك على انه خارج
على المعنى والمراد به ما دعاك الى ان لا تسجد ومن امرك بان لا تسجد لان من منع من شيء فقد دعي الى
ان لا يفعل ومتى حملنا قوله تعالى الا تشركوا به شيئا على ان لفظة لا زائدة على تضعيف قوم لذلك فلا
بد فيما اتصل به هذا الكلام من تقدير فعل اخر وهو قوله تعالى وبالوالدين احسانا لان ذلك لا يجوز
ان يكون معطوفا على المحرم ولا بد من اضمار وصينا بالوالدين احسانا واذا احتجنا الى هذا الاضمار
ولم يغننا ما ارتكبناه من زيادة لفظة لا فالاولى ان نكتفي بهذا الاضمار في صدر الكلام على حاله من غير
الغاء شيء منه ونقدر ما تقدم بيانه فكانه تعالى وصى الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ونهيه
لذلك ويقويه اخر الاية تاويل اية ان سال سايل عن قوله تعالى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى
اليك وحيه وقل رب زدني علما فقال ما معنى هذه الاية فان ظاهرها لا يدل على تاويلها الجواب قلنا
قد ذكر المفسرون في هذه الاية وجهين نحن نذكرهما ونوضح عنهما ثم نتلوهما بما خطر لنا فيها زائدا على المحكي
واحدهما ما قيل في هذه الاية ان النبي صلى الله عليه واله كان اذا نزل عليه القران وسمعه من جبريل قراه عليه السلام
معه ما يوحى به اليه من القران اولا اولا قبل استتمامه والانتهاء الى المنزل منه في الحال وقطع الكلام عليها
وانما يفعل النبي عليه السلام ذلك حرصا على حفظه وضبطه وخوفا من نسيان بعضه فانزل الله تعالى
هذه الاية ليثبت النبي صلى الله عليه واله في تلاوة ما يسمعه من القران حتى ينتهي الى غاية يتعلق بعض الكلام
ببعض قالوا ونظير هذه الاية قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع
قرانه ثم ان علينا بيانه فضمن الله تعالى انه يجمع له عليه السلم حفظ القران ثم تنبيه في صدور النبوة
الى امته واسقط عنه كلفة الاستعجال بترداده تلاوته والمسابقة الى تلاوته كل ما يسمعه منه تخفيفا
عنه وترفيها له واكدوا ذلك بقوله تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه اى اذا انتهينا الى غاية ما نريد انزاله
في تلك الحال فحينئذ اتبع قراءة ذلك وتلاوته فلم يبق منتظرا لما ينتظر في الحال نزوله ثم ذكروا الوجه الاخر انهم قالوا انما
نهى النبي عليه السلم عن تلاوة القران على امته واداء ما يسمعه منه اليهم قبل ان يوحى اليه عليه السلم ببيانه
والايضاح عن معناه وتاويله لان تلاوته على من لا يفهم معناه ولا يعرف مغزاه لا يحسن قالوا ومعنى قوله
من قبل ان يقضى اليك وحيه المراد به من قبل ان يقضى اليك وحي بيانه وتفسير معناه لان لفظة القضاء وان كانت
على وجوه معروفة في اللغة فهي ههنا بمعنى الفراغ والانتهاء الى الغاية كما قال تعالى فقضاهن سبع سموات في

اي الشيخ

كما هي ليثبت النبي عليه السلم

ويثبته

الغرض والقصد

بومين وكما قال الشاعر: ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالاركان من هو ماسح ... اى فرغنا من حاجاتنا
وانتهينا الى غاية الوطر منها فاما الجواب الثالث للسائل على ما ذكره فهو انه عز وجل منع ان يريد لا تعجل بان
تستدعى من القرآن ما لم يوح اليك به فان الله تعالى اذا علم مصلحة في انزال القرآن عليك انزله ولم
يدخره عنك لانه لا يدخر عن عباده الاطلاع لهم على مصالحهم فان قيل على هذا الوجه انه يخالف الظاهر
لانه تعالى قال ولا تعجل بالقرآن ولم يقل بطلبه واستدعائه والظاهر يقتضى ان الاستعجال بنفس القرآن
لا بغيره قلنا الامر على ما ظنه السائل وعلى الوجوه الثلاثة في تاويل الآية لا بد من تقدير ما ليس في الظاهر
لان على الوجهين الاولين المذكورين لا بد من ان يقدر لا تعجل بتلاوة القرآن اما على سبيل الدرس
والتحفظ على ما ذكر في الوجه الاول وان يتلوه على امته قبل انزال البيان واى فرق في مخالفة الظاهر
بين ان يقدر ولا تعجل بتلاوة القرآن او يقدر لا تعجل بطلب القرآن واستدعاء نزوله فان قيل هذا
يدل على وقوع معصية من النبى عليه السلام في استدعائه ما لم يكن له ان يستدعيه من القرآن لان النهى لا
يكون الا عن قبيح قلنا النهى لا يكون الا عن قبيح لا محالة لكن النهى لا يدل على وقوع الفعل المنهى عنه لانه قد
ينهى عن الفعل من لم يواقعه قط ولا يواقعه الا ترى ان النبى عليه السلام نهى عن الشرك وسائر القبائح كما
نهينا ولم يدل ذلك على وقوع شئ مما نهى عنه منه وهذا ايضا يمكن ان يكون جوابا لمن اعتمد على
الوجهين الاولين اذا قيل له لو وقع منه عليه السلام تلاوة القرآن على امته قبل نزول بيانه او عجل
بتكريره على سبيل الدرس كما نهى عنه ويمكن من اعتمد على الوجه الاول في تاويل الآية ان يقول في
قوله تعالى لا تعجل بالقرآن وان كان ظاهره النهى ليس بنهى على الحقيقة وقد يرد على ما هو بلفظ النهى
ما هو غير نهى على التحقيق كما يرد ما هو بصيغة الامر وليس بامر وانما ذلك تخفيف عنه عليه السلام وترفيه
ورفع كلفة المشقة فقيل له عليه السلام لا تتكلف المسابقة الى تكرير ما ينزل عليك خوفا من ان تنسا
فان الله تعالى يكفيك هذه المؤنة ويغنيك عن حفظه وضبطه كما قال تعالى في الآية الاخرى
ان علينا جمعه وقرآنه اى جمعه في حفظك وتاديه وبعد فان الاولى التوقف عن معرفة غاية الكلام
التى ينتهى اليها وينقطع عليها والتلاوة لما يرد منه الاول فالاول تلاوة قبل ما لا يعرف معنا التعلق
الكلام بعضه ببعض فندب عليه السلام الى الاولى من التوقف على غايته واما الوجه الثانى الذى
اعتمد فيه على ان النهى انما هو عن تلاوته على الامة قبل نزول بيانه فان كان المعتمد على ذلك يقول
ليس يمتنع ان تكون المصلحة في التوقف عن الاداء قبل البيان فنهى عليه السلام عن ذلك لان المصلحة في
خلافه فهذا جايز لا مطعن فيه وان كان القصد الى ان الخطاب لا يحسن الا مع البيان على مذهب من
يرى ان البيان لا يتاخر عن الخطاب فذلك فاسد لانا نصحح ان البيان يجوز ان يتاخر عن وقت الخطاب
وانما لا يجوز تاخيره عن وقت الحاجة وقد بينا الكلام في هذه المسألة والادلة على صحة ما ذهبنا

اليه منها في مواضع من كتبنا وتكلمنا على فساد قول من اوجب قران البيان بالخطاب على ان من اعتمد
على هذه الطريقة في هذا الموضع فقد غلط لان الآية تدل على ان الله تعالى قد خاطب نبيه عليه السلام
بما يحتاج الى بيان من غير ان يضم اليه البيان واذا جاز ذلك في خطابه تعالى لنبيه عليه السلام جاز مثله في خطاب
النبى عليه السلام لامته لان من ابطل تاخير البيان عن الخطاب يوجب ذلك في كل خطاب وليس يمكن ان
يدعى انه تعالى قد بين له لان تاويلهم يمنع من ذلك لانه قيل له على هذا الوجه لا تعجل بتلاوة القرآن
على امتك قبل ان يقضى اليك وحيه يعنى قبل ان ينزل اليك بيانه فالبيان متاخر عنه على ذلك لو
وذلك قبيح على مذهب من منع من تاخير البيان عن وقت الخطاب والتاويل الذى ذكرناه زائدا على الوجهين
المذكورين يمكن ان يفسر به الآية الاخرى التى هى قوله تعالى لا تحرك به لسانك بطلب ما لم ينزل عليك
من القرآن فان علينا انزال ما تقتضى المصلحة انزاله عليك وجمعه لك وقوله تعالى فاذا قراناه فاتبع
قرانه ثم ان علينا بيانه يدل ظاهره على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب لانه تعالى امره اذا قرا عليه الملك
واوحى اليه القرآن بقراءته ثم صرح بان البيان ياتى بعده فان ثم لا يكون الا للتراخى وما هو مقترن بالشئ لا يعبر
فيه بلفظة ثم الا ترى انه لا يقال اتانى زيد ثم عمرو وانما حضرا في وقت واحد مسألة ان سأل
سائل عن قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات فقال اى معنى لقوله تعالى اورثنا وما الكتاب المشار اليه واذا كان الاصطفاء هو الاختيار والاجتباء
وذلك لا يليق الا بمن هو معصوم مامون منه القبيح كالانبياء والائمة عليهم السلام فكيف قال بعد ذلك فمنهم
ظالم لنفسه وهذا وصف لا يليق بمن ذكرناه الجواب الذى يجب اعتماده في تاويل هذه الآية ان قوله تعالى
فمنهم ترجع الكناية فيه الى العباد لا الى الذين اصطفوا وهو اقرب اليه في الذكر فكانه تعالى قال ومن عبادنا
ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فان قيل فاى فائدة في وصف العباد بهذه القسمة وكيف عدل عن
وصف الذين اصطفاهم وورثهم الكتاب قلنا الوجه في ذلك ظاهر لانه تعالى لما علق توريث الكتاب بمن
اصطفاهم من عباده اراد ان يبين وجه الاختصاص وانما علق وراثة الكتاب ببعض العباد دون بعض لان
في العباد من هو ظالم لنفسه وهذا مقتصد ومن هو سابق بالخيرات فوجه المطابقة بين الكلام واضح ونحن
الآن متبعون ما قيل في تاويل هذه الآية وموضحون عما فيه من صحة واختلال ذكر ابو على الجبائى ومن
تابعه ان المراد بالذين اصطفوا الانبياء عليهم السلام والظالم لنفسه من ارتكب الصغيرة منهم وانما وصف بذلك
من حيث فوت نفسه الثواب الذى زال عنه بفعل الصغيرة ويؤدى سائر الواجبات والسابق الى الخيرات
هو الذى يستكثر من فعل النوافل وهذا التاويل بعيد من جهة ان الدليل قد دل على ان الانبياء عليهم السلام
لا يقع منهم شئ من المعاصى والقبائح وقد اشبعنا الكلام في ذلك في كتابنا المعروف بتنزيه الانبياء
والائمة عليهم السلام ولو عدلنا عن ذلك لم يجز ان قال لان قولنا فلان ظالم لنفسه من اوصاف الذم والذم

لا يستحقه فاعل الصغيرة فكيف تجري عليه اوصاف الذم ولا شبهة في ان قولنا فلان ظالم لنفسه من اوصاف الذم لانهم يقولون في كل من فعل قبيحا انه قد ظلم من حيث فعل ما يستحق به العقاب فكانه ادخل على نفسه ضررا ما كان يستحقه فاشبه بذلك الظالم لغيره ولا يجوز ان يوصف فاعل الصغيرة بانه ظالم لنفسه من حيث فوت نفسه الثواب لانه ان عنى بذلك الثواب الذي يبطل بعقاب الصغيرة فعند ابي علي ان الصغيرة يحبط عقابها بالثواب الكثير من غير ان ينقص من الثواب شيء لانه لا يذهب الى الموازنة التي يذهب اليها ابو هاشم فما فوتت الصغيرة عنده ثوابا كان مستحقا وان عنى به تفويت الثواب انه لو لم يفعل هذه المعصية لكان يستحق على الامتناع منها ثوابا فاته بفعلها فهذا يوجب ان يكون الانبياء عليهم السلام في كل حال مفوتين لانفسهم الثواب بفعل المباحات لانهم لو فعلوا الطاعات بدلا منها لاستحقوا الثواب ولوجب ان يوصفوا على الفائتة بانهم ظالمون لانفسهم على ان وضع الكلام وترتيبه يقتضيان ان الظالم لنفسه في الاية في موضع ذم لانه تعالى جعله بازاء المقتصد وليس بازاء المقتصد الا المسرف المذموم فان قيل فقد قلتم في تاويل حكايته تعالى عن ادم وحواء عليهما السلام قولهما ربنا ظلمنا انفسنا انما ارادا نقصناها الثواب الذي كنا نستحقه لو فعلنا ما ندبنا اليه من الامتناع من تناول الشجرة قلنا انما قلنا ذلك هناك وعدلنا عن ظاهر هذه اللفظة لقيام الدليل ان النبي ع لا يواقع المحظور كبيرا ولا صغيرا من الذنوب وليس في الاية التي نحن في الكلام عليها ضرورة توجب العدول عن الظاهر وقد بينا ان ترتيب الكلام ومقابلته يقتضيان ان لفظة ظالم لنفسه في الاية تقتضي الذم لانها بازاء المقتصد على انه غير ممتنع ان تكون لفظة ظلم بخلاف لفظة ظالم في عرف الاستعمال كما ان عند مخالفينا ان لفظة آمن بخلاف لفظة مؤمن لانهم يصفون صاحب الكبيرة بانه آمن ولا يسمونه بانه مؤمن ويزعمون ان الانتقال عن الاشتقاق الى افادة استحقاق الثواب انما هو في مؤمن دون آمن فلا ينبغي ان ينكر مثل ذلك في ظلم وظالم وتاول قوم هذه الاية على ان المراد من اختاره الله تعالى للتكليف وتوريث الكتاب من العقلاء البالغين ثم قسمهم الاقسام التي تليق بهم من غير ان يكون المراد بالاية الانبياء عليهم السلام وهذا الجواب يفسد لان الله تعالى يقول ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ومن اصطفاه الله واختاره واجتباه بالاطلاق لا يكون الا محمودا ممدوحا معظما فكيف يكون فيهم من يستحق الذم والعقاب ومن يختار الله تكليفه شيئا مخصوصا لا يقال بالاطلاق ان الله تعالى اصطفاه والمعتزلة ابدا تنكر على المرجئة تاويلهم قوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى على ان المراد من ارتضى الشفاعة فيه ويقولون من ارتضى شيئا يتعلق به لا يوصف بانه مرتضى على الاطلاق فكيف يثبتونه ههنا ووجدت ابا القاسم البلخي يقول في كتابه تفسير القران انه تعالى اراد العقلاء البالغين ويجوز ان يكونوا عند الاصطفاء اخيارا اتقياء ثم ظلم بعضهم نفسه فيكون كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه وهو في وقت الارتداد

التنبيه اي المتشابهة الكاسبة

غير

غير مؤمن كذلك يكون في حال ظلمه نفسه ليس من المصطفين قال ويجوز ايضا ان يكون فيهم من ظلم نفسه ثم تاب واصلح ويكون قوله منهم ظالم لنفسه اي منهم من كان قد ظلم نفسه ليس انه في هذا الوقت ظالم لها هذه الفاظه بعينها حكيناها عنه وهذا فاسد لان من كان منهم ظالما فاعلا للقبيح لا يوصفون على الاطلاق بان الله تعالى اصطفاهم فهذا الوصف يقتضي ان تكون الجماعة اخيارا وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه بخلاف هذا لان وصفهم بانهم امنوا في الماضي لا يمنع من الردة في المستقبل وقوله تعالى الذين اصطفينا يمنع ان يكون فيهم من ليست هذه صفته واما حمل ذلك على من ظلم ثم تاب فهو غير صحيح لان من تاب لا يوصف بعد التوبة بانه ظالم لنفسه لان التوبة تمنع من اجراء الفاظ الذم ووجدت بعضهم يتاول هذه الاية على ان المراد بظالم لنفسه من جهد نفسه في العبادة وحمل عليها وقال هذا يليق باوصاف الانبياء عليهم السلام ولا تمنع النبوة منه وهذا ايضا غير صحيح لانا قد بينا ان لفظة ظالم لنفسه يذم بها في التعارف فكيف تجري على المدح ومن هذا الذي يسمي من جهد نفسه في العبادة بانه ظالم نفسه بالاطلاق على ان السابق الى الخيرات هو المجتهد في العبادة الحامل على نفسه فيها فاي معنى للتكرار وهذا تاويل يفسد القسمة وهذه الجملة توضح ان التاويل الصحيح ما قدمناه فاما قوله تعالى الكتاب فالظاهر انه كناية عن القران المنزل على رسول الله صلى الله عليه واله فقد صارت هذه اللفظة بالاطلاق عبارة عنه ولهذا اذا اطلق القائل فقال هذا ينطق به الكتاب ويحرم في الكتاب وورد في الكتاب لم يفهم منه الا ما ذكرناه ومعنى اورثناه يعني علمه وفوائده واحكامه وليس يليق ذلك بالانبياء المتقدمين فانه لاحظ لهم في علم هذا الكتاب وانما يختص بهذه الفائدة نبينا عليه السلام والائمة من ولده عليهم السلام لانهم المتعبدون بحفظه وبيانه والعمل باحكامه وذلك كله واضح بحمد الله ومنه

تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون الجواب قلنا اما الذين يدعون من دونه المراد به ما كان يعتقده المشركون ويدعونه الها من دون الله والهاء في دونه راجعة الى اسم الله تعالى وتحقيق الكلام ولا يملك الذين يدعونه الها وربا من دون الله تعالى الشفاعة ولما كثر استعمال هذه اللفظة فيمن يعبد من دون الله ويدعى الها استغنوا الحذف لظهور الامر في المراد ولهذا حمل محققوا المفسرين قوله تعالى قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم الا الهة من دونه وحذف ما يتعلق بهذا الدعاء في هذه الاية اشكل من حذفه في قوله تعالى الذين يدعون من دونه لان قوله جل وعز من دونه قد نبه وايقظ على ان المراد من كان يدعي الها من دونه والاية الاخرى لا دليل فيها من لفظها على ما يتعلق به قوله دعاؤكم ومعنى انهم لا يملكون الشفاعة اي ليس لهم ان يفعلوها ويتصرفوا فيها لان معنى المالك ليس هو الا من كان قادرا على التصرف فيه وليس لاحد ان يمنعه من ذلك والشفاعة قد بينا في غير

ت ورد في الكتاب

موضع من كتبنا انها لا تستعمل على طريقة الحقيقة الا في طلب اسقاط المضار وانما استعملت في
ايصال المنافع تجوزا فيه واستعارة وقيل في معنى الاية وجهان احدهما ان المعبودين من عيسى بن مريم
والملائكة وعزير عليهم السلام لا يملك الشفاعة عند الله تعالى في احد الا فيمن شهد بالحق واقر بالتوحيد
وبجميع ما يجب عليه الاقرار به والوجه الاخر ان الذين يدعون من دون الله من البشر والاحجار وجميع المعبودات
لا يملك الشفاعة عند الله الا من شهد بالحق منهم يعني عيسى وعزير والملائكة عليهم السلام لا يملكون
الشفاعة عند الله تعالى الا اذا كانوا على الحق شاهدين به معترفين بجميعه فانهم يملكون الشفاعة عند الله
وان كان لا يملكها ما عداهم من المعبودات والفرق بين الوجهين ان الوجه الاول يرجع الاستثناء فيه الى من
تناوله الشفاعة وفي الوجه الثاني يرجع الاستثناء الى الشافع دون المشفوع فيه فان قيل اي
الوجهين ارجح قلنا الثاني وانما رجحناه لان المقصد بالكلام ان الذين يدعونهم من دون الله تعالى
لا يملكون لهم نفعا كما قال تعالى في مواضع انهم لا ينفعونكم ولا يضرونكم ولا يرزقونكم ووضع الكلام على
نفي منفعة تتصل اليهم من جهتهم ولا غرض في عموم من يشفعون فيه او خصوصه ولما كان فيمن عبد من نبي
او ملك من يجوز ان يشفع فيمن تحسن الشفاعة له وجب استثناؤه حتى لا يتوهم ان حكم جميع من عددوا
في انه لا تصح منه الشفاعة وان من كان تصح منه الشفاعة انما يشفع فيمن تحسن الشفاعة له ممن لم يكن كافرا
ولا جاحدا ويترجح هذا الوجه من جهة اخرى وهي انا لو جعلنا الاستثناء يرجع الى من يشفع فيه لكان
الكلام يقتضي ان جميع من يدعون من دون الله يشفع لكل من شهد بالحق والامر بخلاف ذلك لانه ليس كل
من عبد من دون الله تعالى تصح منه الشفاعة لانهم عبدوا الاصنام وبعض عبد الكواكب والشفاعة
لا تصح منها فلا بد من ان تخصص الكلام ونقدره هكذا ولا يملك بعض الذين يدعون من دونه الشفاعة
الا فيمن شهد بالحق فعود الاستثناء الى الشافعين اولى حتى يخصص وايضا فلو عاد الاستثناء الى المشفوع
فيه لوجب ان يكون على غير هذه الصيغة فيقول الا فيمن شهد بالحق واذا قال الا من شهد بالحق كان ذلك
بان يرجع الى الشافع اولى لانه اليق باللفظ لانا اذا اردنا ان نستثني من جماعة لا يشفعون قلنا هؤلاء
لا يشفعون الا من كان بصفة كذا واذا كان الاستثناء ممن يشفع فيه قلنا لا يشفعون الا فيمن صفته كذا وايضا
فعلى الوجه الاول قد تقدم عموم ظاهر في اللفظة يجوز ان يستثنى منه وهو قوله تعالى الذين يدعون من دونه
وما جرى ذكر المشفوع فيه عموما يستثنى بعضه فان قيل الشفاعة لفظ جنس يقتضي العموم قلنا قد بينا في غير
موضع ان الفاظ الجنس لا تقتضي الاستغراق وضربنا المثل بمن يقول هذه ايام اكل اللحم وزمان لبس الجباب
فانه يقتضي الجنس من غير استغراق وان توهم خصوص او عموم فخطأ وهما لا يعقل فان قيل اي فائدة في قوله
تعالى وهم يعلمون وباي شيء يتعلق علمهم قلنا ليس كل من شهد بالحق يكون عالما لان المقلد والمبخت ربما
شهد بالحق على وجه لا ينفع وانما ينفع ذلك مع العلم فكانه تعالى قال وهم يعلمون صحة ما شهدوا به فان قيل اذا

كان المستثنى هم الانبياء والملائكة فهؤلاء لا يشهدون بالحق الا مع العلم قلنا ذلك صحيح الا ان الاستثناء
لما تناول في اللفظة من كان بصفة وكان مجرد هذه اللفظة لا ينفع في المعنى المقصود الا مشروطا بالعلم
وجب اشتراط العلم ليعلم افتقار تلك الصفة فيمن كانت له بهذا واضح فان قيل هذان الوجهان اللذان
ذكرتموهما او رجحتم احدهما يقتضيان مشاركة نبينا عليه السلام في الشفاعة للمذنبين ومن مذهب المسلمين
انه ينفرد بالشفاعة قلنا ليس فيما ذكر تضعيف لهذين الجوابين من وجوه احدها ان نفراده عليه السلام
بالشفاعة للمذنبين حتى لا يشاركه احد فيها ليس ولا مقطوع عليه وانما يرجع فيه الى اقوال قوم غير
محصلين الا ترى ان عند المسلمين كلهم الا عند المعتزلة ان للمؤمنين شفاعة بعضهم
في بعض فكيف يدعى الاختصاص في هذه الرتبة وثانيها ان المرتبة المدعاة لنبينا عليه السلام
في الشفاعة انما هي على الانبياء المتقدمين دون الملائكة لانه لا خلاف في ان للملائكة شفاعة
وقد نطق القران بذلك فقال لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون واذا كان الامر
على ما ذكرناه فالاستثناء يعود الى الملائكة عليهم السلام لانهم من جملة المعبودين فلا يمنع نفي الشفاعة
عن الكل ان يستثنوا لان لهم شفاعة وثالثها ان الشفاعة قد تكون الى الله تعالى والى غيره فان
ثبت ما ادعي من تفرد نبينا عليه السلام بالشفاعة عند الله تعالى من بني امته جاز ان تثبت الشفاعة
لغيره عند غير الله تعالى فكانه قال انتم تعبدون من لا يشفع فيكم في الدنيا ولا يضركم واستثنى من يجوز
عليه ان يشفع في الدنيا ورابعها ان يكون المراد بالشفاعة ههنا النصرة والمعرفة والمنفعة لان
الشفاعة فيمن تعنا له نفع يوصل اليه وارادة الشفاعة في الاية معنى الشفاعة وهو المنفعة والنصرة
وتقدير الكلام انكم تعبدون من لا ينفعكم ولا يضركم ولا يعينكم ولما كان في جملة هؤلاء المعبودين من يصح
ان ينصر وينفع استثني ليبين ان حكمهم مغاير لحكم غيرهم وهذا بين لمن تامله مسئلة فان اعترض
معترض على ما نقوله من ان الاستثناء انما يخرج من الجمل من صالح دخوله فيها وليس بواجب ان يخرج منها ما
وجب دخوله بان يقول هذا يقتضي حسن ان يقول القائل جاءني رجل الا زيدا لان لفظة رجل يصلح
ان تقع على زيد وعمرو ويقال له من حق الاستثناء في اللغة العربية ان يدخل على الجمل من الكلام فيخرج
منها ما يصلح دخوله على مذهب مخالفينا ولا يصح دخول الاستثناء على الفاظ الوحدة ورجل لفظ واحد
وان وقع في المعنى على الطويل والقصير وزيد وعمرو والاستثناء انما يخرج من الجمل ما يتناوله لفظها
دون معناها فلهذا لم يستحسنوا جاءني رجل الا زيدا وقد يستحسنوا في هذا الموضع ما يجري مجرى الاستثناء
بغير لفظة الا فيقولون جاءني رجل ليس زيدا وليس زيد فيخرجون من الكلام ما صح تناوله له وان لم
يسموه استثناء ولا استحسنوا لفظة الا الا خاصة للاستثناء ولولا صحة الاصل الذي ذكرناه لما
استحسنوا ان يقولوا جاءني رجال الا زيدا لانهم اخرجوا بالاستثناء ما تصلح لفظة رجال له دون

ما تناوله وجوبًا فان قيل الا كان قوله جاءني رجال للجنس دون ما يدعى من تناوله للثلاثة فصاعدا
فلهذا حسن الاستثناء منه بالاثنين ولفظة رجل في قولهم جاءني رجل للجنس قلنا لو كان لفظة رجال يراد به
جنس الرجال على عموم حسن استثناء النكرة منه من غير وصف لها ولا تقريب من المعرفة حتى يقول
جاءني رجال الا رجلا لانه اذا اريد الجنس حسن ذلك لا محالة كما يحسن لو قال جاءني الرجال بالالف
واللام الا رجلا واجمعوا على ان ذلك لا يجوز لانه غير مفيد ولو اريد بلفظة رجال ههنا الجنس لكان
استثناء الرجل الواحد منها من غير وصف له مفيدا فاما لفظة رجل في الاثبات كقولهم جاءني رجل
رجل فانه لا يجوز ان يكون عبارة عن الجنس في شيء من كلامهم ولو ارادوا به الجنس لحسن الاستثناء
كما يحسن من الفاظ الجنس وانما يراد في بعض المواضع بلفظة رجل الجنس اذا كانت في النفي مثل قولهم
ما جاءني رجل وما ضربت رجلا وههنا يجوز ان تستثني فتقول الا زيدا مسئلة ان سئل
سائل عن قوله تعالى يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير
لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم فقال كيف يجوز ان يتعبدهم بقتل انفسهم والعبادة
بذلك لا تحسن الا ان تكون مصلحة لهذا المكلف في دينه اما بان يفعل طاعة او يمتنع من قبيح وهو
بعد الموت قد خرج من كل تكليف فلا يصح منه شيء من الافعال الجواب ان المفسرين قد اختلفت اقوالهم
في هذه الآية فمنهم من ذهب الى انه تعالى كلفهم ان يقتلوا انفسهم القتل الحقيقي المعهود ومنهم من ذهب
الى انه تعالى كلفهم ان يقتل بعضهم بعضا ومنهم من حمل الآية على ان المراد بها تكليفهم الاستسلام
للقتل ويقول انهم استحقوا بعبادة العجل القتل فلما تابوا امرهم الله تعالى بان يستسلموا لمن يقتلهم
كما كلف الله القاتل لغيره ان يستسلم للقود منه فاما الوجه الاول فيبطل بما ذكر في السؤال ولا يجوز
ان يكون وجه حسن هذا التكليف المصلحة لغير المقتول لان مصلحة زيد لا تكون وجها في وجوب الفعل
على عمرو ولا يمكن ان يقال ان مصلحة المأمور بقتل نفسه في نفس الامر والتكليف قبل ان يقتل نفسه وان
ذلك ربما كان لطفا له في بعض العبادات وذلك لان الامر انما له وجه وجوب او ندب ولا يحسن بل
يكون الامر قبيحا واذا كان الامر قبيحا لم يحسن ان يكون فيه لطف لبعض المكلفين بل يمتنع منه كما يمتنع من
ان يلطف لبعض المكلفين بما هو قبيح في نفسه فلم يبق بعد ابطال هذا الوجه الا الوجهان الاخيران
من الاستسلام لمن يقتلهم القتل الذي استحقوه او قتل بعضهم بعضا فقد روي انهم برزوا بأسيافهم
فهم واصطفوا صفين يضرب بعضهم بعضا فمن قتل منهم كان شهيدا ومن نجا كان تائبا ويمكن في الآية
وجه آخر ما رأينا احدا من المفسرين سبق اليه وهو انه لم يزد في القوة على ما ذكروه لم ينقص عنه وهو ان يكون
المراد بقوله تعالى فاقتلوا انفسكم اي اجتهدوا في التوبة مما اقدمتم عليه والندم على ما فات وادخال
المشاق الشديدة عليكم في ذلك حتى تكادوا ان تكونوا قتلتم انفسكم وقد يسمى من فعل ما يقارب

الشيء باسم فاعليه مذهب اهل اللغة في ذلك معروف مشهور يقولون ضرب فلان عبده حتى قتله
العشق واخرج نفسه وابطل دمه وما جرى مجرى ذلك انما يريدون المقاربة والمشارفة
والمبالغة في وصف التناهي والشدة فلما اراد تعالى ان يأمرهم بالتناهي والمبالغة في الندم على ما فات
وبلوغ الغاية القصوى منه جاز ان يقول فاقتلوا انفسكم فاذا قيل لطفا على هذا الجواب انما يسمى مقاربة
القتل قتلا مجازا او توسعا وحمل الكلام على حقيقته اولى الجواب ان الوجهين اللذين ذكرهما المفسرون
في هذه الآية من قتل بعضهم بعضا والاستسلام للقتل مبنيان ايضا على المجاز وظاهر التنزيل بخلافهما
لان الاستسلام للقتل ليس بقتل على الحقيقة وانما سمي باسمه من حيث يؤدي اليه وكذلك قتل بعضهم
بعضا مجاز لان القاتل هو المقتول واما استشهادهم في تقوية هذا الوجه بقوله ولا تقتلوا انفسكم
يعني اخوانكم لا يغني شيئا لان ذلك مجاز لا محالة وانما حمل على الاخوان بدليل والظاهر ان يكون تكليفا
لقتل الواحد نفسه وسلامته على نفسه فان قيل كيف يجوز ان يستحق القتل بعد التوبة من الوجوه التي بها
استحق القتل قلنا غير ممتنع ان يكلفنا الله تعالى بعد التوبة من الكفر القتل امتحانا لا على سبيل العقوبة
فان قيل كيف يصح ان تكون التوبة نفسها قتل انفسهم والتوبة هي الندم والعزم وهما غير القتل قلنا الجواب الصحيح
عن السؤال ان الفاء في الآية غير مقتضية للقتل على التوبة وليست بمنبئة ان القتل هو التوبة على ما ظنه بعض
من لم يتأمل وهو جار مجرى قوله ضربت زيدا فعمرا فالفاء ههنا غير مقتضية وقائمة مقام الواو الا ان لها زيادة
على حكم الواو فان الفاء يقتضي الجمع بتفصيل الواو ويقتضي الترتيب والتعقيب اللذين لا يفهمان من الواو
فكانه تعالى قال فتوبوا الى بارئكم واقتلوا انفسكم فلما امرهم بالقتل عقيب التوبة ادخل الفاء التي هي علامة
على ذلك وقد اجاب بعض الناس بان قال لما لا تتم التوبة الا به ومعه يصح ان يسمى باسمها كما يقال للعاصي
اذا عزم على التوبة ان توبتك ردك ما غصبت وانما يريد ان توبتك لا تتم الا به وقد بينا ما يغني عن ذلك
في الجواب الذي اخترناه وهو اولى واوضح مسئلة فان سأل سائل عن قوله تعالى ليس على الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا
واحسنوا والله يحب المحسنين هذه الآية تشاغل المفسرون بايضاح الوجوه في التكرار الذي تضمنته وظنوا
انه المشكل منها وتركوا ما هو اشد اشكالا من التكرار وهو انه تعالى نفى الجناح عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والايمان وعمل الصالحات واذا اريد بالاتقاء تجنب القبائح والمحارم
كان ذلك شرطا صحيحا في نفي الجناح الا ان الايمان وعمل الصالحات ليس بشرط في نفي الجناح على وجه لا
لان من جانب القبيح المحظور عليه لم يكن عليه جناح فيما طعمه ان لم يكن مؤمنا ولا من عمل الصالحات الا ترى ان
المباح اذا وقع من الكافر لا اثم عليه ولا وزر ووقوعه منه مع كفره في نفي الاثم كوقوعه من المؤمنين والاشكال
انما هو في اشتراط الايمان وعمل الصالحات وليس لذلك تأثير معقول في الجناح ونحن نبين ما يحتمل هذه

الشبهة القوية ونتكلم على التكرار ولنا في ذلك طريقان احدهما ان نضم الى الشروط المصرح بذكره
غيره حتى يظهر تاثير ما ذكر من الشروط او نجعل ما ولي الاتقاء من الايمان وعمل الصالحات ليس بشرط
حقيقي وان كان معطوفا على الشرط وكل ذلك جايز اذا قاد الدليل اليه واحوج الى التعويل عليه اما
الوجه الاول فبيانه ان يكون تقدير الكلام ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
وغيره اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات لان الشرط في نفي الجناح لا بد ان يكون له تاثير حتى يكون متى صح
انتفى ثبت الجناح وقد علمنا انه باتقاء المحارم ينتفي الجناح فيما يطعم فهو الشرط الذي لا زيادة عليه
ولما ولي ذكر الاتقاء الايمان وعمل الصالحات ولا تاثير لهما في نفي الجناح وجب ان نقدر هنا لهما
نوثر هذه الافعال في نفي الجناح عنه فاشرنا الى اضمار ما تقدم ذكره حتى يصح الشرط ويطابق المشروط
لان من اتقى الحرام فيما يطعم لكنه قد يصح ان يثبت عليه الجناح فيما اخل به من واجب ضيعه من فرض فاذا شرطنا
وجناح عليه فيما نطعم
انه مع اتقاء القبيح من امن بالله وبما اوجب عليه الايمان به وعمل الصالحات ارتفع الجناح عنه من كل وجه
وليس بمنكر حذف ما قدرناه لدلالة الكلام عليه فمن عادتهم ان يحذفوا ما يجري هذا المجرى وتكون قوة
الدلالة عليه وسوقها اليه مغنيين عن النطق به وفي القران وفصيح كلام العرب واشعارها امثلة كثيرة
لذلك لا تحصى فمنه قوله تعالى واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان فقد ذكر في الاية وجوه من اوضحها انه تعالى
اراد اتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان لانه لما عطف الفرقان على الكتاب الذي اوتيه موسى عليه السلام
وعلمنا انه لا يليق به لان الفرقان ليس مما اوتيه موسى عليه السلام وجب ان نقدر ما يطابق ذلك ومثله
قول الشاعر: تراه كان الله يجدع انفه :: وعينيه ان مولاه بات له وفر :: لما كان الجدع لا يليق
بالعين وهو ان كانت معطوفة على الانف الذي يليق به الجدع اضمرنا ما يليق بالعين وهو البخص وما
يجري مجراه ومثله: يا ليت زوجك قد غدا :: متقلدا سيفا ورمحا ومثله علفتها تبنا وماء باردا والاختصار
مع قوة الدلالة احسن من الاظهار وادخل في البلاغة والفصاحة واما بيان الوجه الثاني فهو انا نعدل عن
ظاهر الشرط فيما ولي الاتقاء من ذكر الايمان وعمل الصالحات ونجعله ليس بشرط وان كان معطوفا على شرط
لانا نعدل عن الظاهر بالادلة القاهرة ولا ذم مستعمل في اكثر القران فكانه تعالى لما اراد ان يبين
وجوب الايمان وعمل الصالحات وتاكد لزومه عطفه على ما هو واجب لازم من اتقاء المحارم لاشتراكهما
في الوجوب وان لم يشتركا في كونهما شرطا في نفي الجناح فيما يطعم وهذا تفنن وتوسع في البلاغة يحار فيهما
الفعل استحسانا واستغرابا وتعويل على ان المخاطب بذلك على رشاده والعدل عن تفصيله يضع كل
شيء منه موضعه وكم في القران من هذه الغرايب في الفصاحة والعجايب في المحذوف والاختصارات التي
لا يتجاسر بليغ ولا فصيح على الاقدام عليها والمرور بشعبها خوفا من الزلل والخلل واما الجواب عن مشكل
ان نجعل الاحوال
التكرار فالوجه فيه على الجملة ان نجعل الاحوال التي يقع فيها الاتقاء والايمان وعمل الصالحات مختلفة

بمعنى

بان يجعل المامور
بمضي واستقبال فيزول التكرار او نجعل المامور به من الاتقاء والايمان وعمل الصالحات مشروطا
مخصوصا يتناول الاول غير ما يتناوله الثاني والثالث غير ما يتناوله الاول فيزول ايضا بذلك التكرار وقد
اول المفسرون على اختلافهم بكثير من الجملة التي اشرنا هاهنا اليها وذكروا ان الشرط الاول يتعلق بالزمان
بتعلق غ
الماضي والشرط الثاني متعلق بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله والثالث مختص باتقاء ظلم العباد
وذكر ابو علي الجبائي هذا بعينه واستدل على ان الاتقاء الثالث يختص بظلم العباد بقوله واحسنوا وان
الاحسان اذا كان متعديا وجب ان يكون ما امروا باتقائه من المعاصي ايضا متعديا وهذا مما عيب من
اي خلط
المفسرين من مزج اختلاف الاحوال باختلاف المامور به وما ينبغي ان يكون كذلك بل الواجب ان يبطل
التكرار اما من جهة اختلاف الاحوال من غير ان تمزجها باختلاف غيرها او تعدل عن اختلاف الاحوال فتبطل
التكرار من حيث اختلاف المامور به في عموم وخصوص ولعل ابا علي وغيره انما عدل في الشرط الثالث
عن ذكر الاحوال لما ظن انه لا يمكن فيه ما امكن في الاول والثاني ونحن نبين ان الامر بخلاف ما ظنه وهو انه
لا يمتنع ان نحمل الشرط الاول على الماضي من الزمان والثاني على الحال والثالث على المنتظر المستقبل
وليس لاحد ان يقول لا واسطة عند المتكلمين بين الماضي والمستقبل لان الفعل اما ان يكون معدوما
فيكون مستقبلا او موجودا فيكون ماضيا وانما يجعل الاحوال ثلاثة النحويون ولا يرتضي ذلك المتكلمون
والجواب عن هذا ان الصحيح انه لا واسطة بين العدم والوجود على ما ذكر غير ان الموجود في اقرب الزمان
لا يمتنع ان نسميه حالا ونفرق بينه وبين الماضي الغابر السالف فرقا كان كذلك بينه وبين المنتظر واما
بيان اختلاف المامور فان نحمل الاتقاء الاول على اتقاء المعاصي العقلية التي تختص المكلف ولا تتعداه
والايمان الاول الايمان بالله تعالى وبما اوجب الايمان به والايمان الثاني الايمان بقبح هذه المعاصي
ووجوب تجنبها والاتقاء الثالث الاتقاء لما يتعدى من المعاصي من الظلم والاساءة وليس ينبغي ان
يفزع في ان الاتقاء الثالث يختص بظالم العباد الى ما اعتمده ابو علي من قوله تعالى واحسنوا من حيث
كان الاحسان اذا كان متعديا فكذلك ما عطف عليه لان ذلك من ضعيف الاستدلال لان قول الله
تعالى واحسنوا ليس بصريح في ان المراد به الاحسان المتعدي لانه غير ممتنع ان يراد به فعل الحسن والمبالغة
فيه وان اختص الفاعل ولم يتعده الا ترى انهم يقولون لمن بالغ في فعل الحسن وتناهى فيه ان احسنته
احسنت واجملت ثم ان سلم ان المراد به الاحسان المتعدي لم يمتنع ان يعطفه وهو متعد على فعل
لا يتعدى الا ترى انه لو صرح بذلك لقال اتقوا المعاصي كلها والقبايح واحسنوا الى غيركم لكان حسنا
غير قبيح وانما ينبغي ان يفزع في التخصيص الى الفرار من التكرار وحمله على ما يفيد وذلك يغني عما
تكلفه ابو علي فان قيل اي فائدة في تخصيص الذين امنوا وعملوا الصالحات بنفي الجناح فيما طعموا
بالشرط المذكور ومن ليس بمؤمن يشاركهم في هذا الحكم مع ثبوت الشرط قلنا تعليق الحكم بالصفة

اولاسم لا يدل على نفيه عن عدا المسمى او الموصوف وقد دل العلما على ذلك في مواضع كثيرة وليس يمتنع
على المذهب الصحيح ان يعلق الحكم باسم او صفة ويكون من عدا الموصوف او المسمى مشاركا في ذلك
الحكم وقد قيل ان السبب في نزول هذه الاية انه لما نزل تحريم الخمر قال المسلمون كيف باخواننا الذين
تناولوا الخمر قبل نزول تحريمها وماتوا وهو في اجوافهم وكيف باخواننا الغايبين في اطراف البلاد
وهم لا يشعرون بهذا التحريم فانزل الله تعالى هذه الاية تطييبا لنفوسهم واعلاما لهم ان من يطعم
ما لم يبين له تحريمه لا جناح عليه وقيل ايضا ان الاية وردت في قوم حرموا على انفسهم اللحوم وسلكوا
طريق الترهب كعثمان بن مظعون وغيره فبين الله سبحانه ان الحلال لا جناح في تناوله وانما يجب التجنب
للمحرم وهذه الاسباب لا تبقي معها مسالة عن سبب تخصيص المؤمنين بنفي الجناح وكل هذا واضح مسئلة فان
سئل رضي الله عنه عن قوله عز وجل في قصة زكريا عليه السلام انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر
وامراتي عاقر فكانه سال امرا يستحيل كونه مع علمنا الاحوال ان زكريا يعلم ان الله تعالى لا يعجزه ما
يريد فما وجه الكلام فاجاب عن ذلك وقال انه غير ممتنع ان يكون زكريا عليه السلام في حال الدعو ومعه   لم يسئل الذين
بل قبل هذه الحال فلما رزقه الله تعالى ولدا على الكبر مع كون امراته عاقرا قال انى يكون لي غلام
وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر من غير انكار منه لقدرة الله تعالى على ذلك بل ليرد من الجواب ما يزداد
به بصيرة ويقينا ويجوز ايضا ان يكون سال الولد مع الكبر وعقم امراته ليفعل الله تعالى ذلك على
سبيل الاية له وخرق العادة من اجله فلما رزقه الله تعالى الولد عجب من ذلك وانكره بعض من يضعف
بصيرته من امته فقال عليه السلام انى يكون لي الولد ليرد من الجواب ما يزول به شك غيره فكانه سال
في الحقيقة لغيره لا لنفسه ويجري ذلك مجرى سوال موسى عليه السلام ان يريه تعالى الله نفسه لما
شك قومه في ذلك فسال الرؤية لا لنفسه مسئلة وسئل ايضا رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى واذ
نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم فقال اي شيء في استحياء
النساء من سوء العذاب وانما العذاب في ذبح الابناء فقال اما قتل الذكور واستبقاء الاناث فهو ضرب
غام   من العذاب والاضرار لان الرجال هم الذين يدعون النساء ممن يريد بهن الشر وهو واقع بهن في الاكثر
مع الردع فاذا انفردن وقع الشر ولا مانع وهذه مضرة عظيمة ووجه اخر وهو ان لا يرجع الى قوله يسومونكم
سوء العذاب هو قتل الابناء دون استبقاء النساء وانما ذكر استحياء النساء شرح كيفية الحال لا انه
من جملة العذاب وذلك كما يقول احدنا فلان عذبني بان دخلني داره وعليه ثياب فلانية وضربني
بالمقارع وفلان حاضر وليس كل ما ذكره من جملة العذاب وانما العذاب هو الضرب دون غيره
وذكر الباقي على سبيل الشرح للحال ووجه اخر وهو انه روي انهم كانوا يقتلون الابناء ويدخلون
ايديهم في فروج النساء لاستخراج الاجنة من بطون الحوامل فقيل يستحيون النساء اشتقاقا من لفظة الحيا

وهو

وهو الفرج وهذا عذاب ومثلة وضرر شديد لا محالة وسيل ايضا فقيل اليس قد وعد الله
تعالى المؤمنين في عدة مواضع من كتابه المجيد بالجنة والخلود في النعيم فما معنى قول النبي عليه السلام ما ادري
ما يفعل بي ولا بكم فقال انه لا يجوز ان يريد النبي عليه السلام بقوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم الثواب
او الثواب والعقاب ودخول الجنة او النار لانه عليه السلام عالم بان الجنة ماواه والثواب عاقبته
ولا يجوز ان يشك في انه ليس من اهل النار وان شك في ذلك من حال غيره والمراد بالخبر اني
لا ادري ما يفعل بي وبكم من المنافع والمضار الدنياوية كالصحة والمرض والغنى والفقر والخصب
والجدب وهذا المعنى صحيح واضح لا شبهة فيه ويجوز ايضا ان يريد اني لا ادري ما يحدثه الله تعالى
من العبادات ويامرني به واياكم من الشرعيات وما ينسخ من الشرايع وما يقر منها ويستدام لان ذلك
كله مغيب عنه عليه السلام وهذا يليق بقوله تعالى في اول الاية قل ما كنت بدعا من الرسل وفي
اخرها ان اتبع الا ما يوحى الي وسيل ايضا عن قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين
يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين كيف يكون النبي عليه السلام
في شك مما اوحي اليه وكيف يسال عن صحة ما انزل اليه الذين يقرؤن الكتاب من قبله وهم اليهود والنصارى
المكذبون له فقال ان قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك ظاهر الخطاب له عليه السلم والمعنى
لغيره كما قال تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فكانه قال فان كنت ايها السامع للقران في شك مما انزلنا
على نبينا فسئل الذين يقرؤن الكتاب وليس يمتنع عند من نعم النظر ان يكون الخطاب متوجها الى النبي
صلى الله عليه واله وليس اذا كان الشك لا يجوز عليه لم يحسن ان يقال له ان شككت فافعل كذا كما قال تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان الشرك لا يجوز عليه ولا خلاف بين العلما في انه عليه السلم داخل
في ظاهر ايات الوعيد والوعد وان كان لا يجوز ان يقع منه ما يستحق به من العقاب ان قيل له ان اذنبت
عوقبت فهكذا لا يمتنع ان يقال له ان شككت فافعل كذا وكذا وان كان ممن لا يشك ووجدت بعض
المفسرين يجعل ان ههنا بمعنى ما التي للجحد تكون تقديرا لكلام ما كنت في شك مما انزلنا اليك
واستشهد على ذلك بقوله تعالى قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم اي ما نحن وقوله تعالى ان انت
الا نذير اي ما انت الا نذير ولا شك ولا شبهة في ان لفظة ان قد تكون بمعنى ما في بعض المواضع الا انه
لا يليق بهذا الموضع ان تكون ان بمعنى ما لانه لا يجوز ان يقول تعالى ما انت في شك مما انزلنا اليك
فسئل الذين يقرؤن الكتاب لان العالم لا حاجة به الى المسئلة وانما يحتاج ان يسال الشاك غير انه يمكن
نصرة هذا الجواب بانه تعالى لو امره بسوال الكتاب من غير ان ينفي شكه لاوهم امره بالسوال انه شاك
في صدقه وصحة ما انزل عليه فقدم كلاما يقتضي نفي الشك عنه فيما انزل عليه ليعلم ان امره بالسوال
ليزول الشك عن غيره لا عنه فاما الذين امر بمسئلتهم فقد قيل انهم المؤمنون من اهل الكتاب الراجعون

الى الحق

الى الحق ككعب الاحبار ومن جرى مجراه ممن اسلم بعد اليهودية لان هؤلاء يصدقون عما شاهدوه فى كتبهم
من صفات النبى عليه السلم والبشارة به وان كان غيرهم ممن اقام على الكفر والباطل لا يصدق عن ذلك وقال
قوم اخرون ان المراد بالذين يقرؤن الكتاب جماعة اليهود ممن امن وممن لم يؤمن فانهم يصدقون عما وجدوه
فى كتبهم من البشارة بنبى موصوف يدعون انه غيرك وانك اذا قابلت بتلك الصفات صفاتك علمت
اى نفى — وكل من انصف ان المبشر بنبوته هو انت وقال اخرون ما امره ان يسالهم عن البشارة لانهم يصدقون عن ذلك
الاية — بل امره عليه السلم ان يسالهم عما تقدم ذكره على هذه بغير فصل من قوله تعالى ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوا
صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون ثم قال تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك اى فى
وما كانت — شك مما تضمنته هذه الاية من النعمة على بنى اسرائيل فما كانت اليهود تجحد ذلك بل تقر به وتفتخر بمكانه وهذا
الوجه يروى عن الحسن البصرى وكل ذلك واضح لمن تامله **مسئلة** سئل رضى الله عنه فقيل ما القول
فيما يخبر به المنجمون من وقوع حوادث ويضيفون ذلك الى تاثيرات النجوم وما المانع من ان تؤثر
فى الاشياء — الكواكب على حد تاثير الشمس الادمة فينا وان كان تاثير الكواكب مستحيلا فما المانع من ان تكون التاثيرات
منسوفة — فعلا من الله تعالى يجرى العادة عند طلوع هذه الكواكب وانتقالها فلينعم ببيان ذلك فان الانفس اليه متشوقة
اى ظانون — وكيف تقول ان المنجمين حادسون مع انه لا يفسد من اقوالهم الا القليل حتى انهم يخبرون بالكسوف
ووقته ومقداره فلا يكون الا على ما اخبروا به فاى فرق بين اخبارهم بحصول هذه التاثيرات فى هذا
هذا التاثير — الجسم وبين حصول تاثيرها فى اجسامنا **الجواب** اعلم ان المنجمين يذهبون الى ان الكواكب تفعل فى الارض
ومن عليها افعالا يسندونها الى طباعها وما فيهم احد يذهب الى ان الله تعالى اجرى العادة بان يفعل
عند قرب بعضها من بعض او بعده افعالا من غير ان يكون للكواكب نفسها تاثير فى ذلك ومن ادعى هذا
المذهب الان منهم فهو قايل بخلاف ما ذهبت القدماء فى ذلك ومتجمل بهذا المذهب عند اهل الاسلام
ومتقرب اليهم باظهاره وليس هذا بقول لاحد ممن تقدم وكان الذى كان يجوز ان يكون صحيحا وان دل
الدليل على فساده لا يذهبون اليه وانما يذهبون الى المحال الذى لا تمكن صحته وقد فرغ المتكلمون من الكلام
فى ان الكواكب لا يجوز ان تكون فينا فاعلة وتكلمنا نحن ايضا فى مواضع على ذلك وبينا بطلان الطبايع التى
يهذون بذكرها واضافة الافعال اليها وبينا ان الفاعل لا بد ان يكون حيا قادرا وقد علمنا ان الكواكب
ليست بهذه الصفة فكيف تفعل وما يصح الافعال مفقود فيها وقد سطر المتكلمون طرفا كثيرة فى انها
اى اصل — ليست بحية ولا قادرة اكثرها معترض واشفى ما قيل فى ذلك ان الحياة معلوم ان الحرارة الشديدة
كحرارة النار تنفيها ولا تثبت معها ومعلوم ان حرارة الشمس اشد واقوى من حرارة النار بكثير لان الذى
يصل الينا على بعد المسافة من حرارة الشمس شعاعها مما تل او يزيد على حرارة النار وما كان بهذه الصفة

من الحرارة يستحيل كونه حيا واقوى من ذلك كله فى نفى كون الفلك وما فيه من شمس وقمر وكوكب احياء السمع
والاجماع فان لا خلاف بين المسلمين فى ارتفاع الحيوة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب وانها مسخرة
مدبرة مصرفة وذلك معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه واله ضرورة واذا قطعنا على نفى
الحياة والقدرة عن الكواكب فكيف تكون فاعلة وعلى اننا قد سلمنا لهم استظهارا ان الجهة انها فى
قلنا ان الجسم وان كان قادرا فانه لا يجوز ان يفعل فى غيره الا على سبيل التوليد ولا بد من وصلة بين الفاعل
والمفعول فيه والكواكب غير مماسة لنا ولا وصلة بيننا وبينها فكيف تكون فاعلة فينا فان ادعى ان الوصلة
بيننا الهواء فالهواء اولا لا يجوز ان يكون الة فى الحركات الشديدة وحمل الاثقال ثم لو كان الهواء الة
تحركها بها الكواكب لوجب ان نحس بذلك ونعلم ان الهواء يحركها ويصرفنا كما نعلم فى غيرنا من الاجسام
حركاه بالة على ان فى الحوادث الحادثة فينا ما لا يجوز ان يفعل بالة ولا يتولد عن سبب كالارادات
والاعتقادات واشياء كثيرة فكيف فعلت الكواكب ذلك فينا وهى لا يصح ان تكون مخترعة للافعال لان
الجسم لا يجوز ان يكون قادرا الا بقدرة والقدرة لا يجوز لامر لا يرجع الى نوعها ان تخترع بها الافعال
فاما الادمة فليس يؤثرها الشمس على الحقيقة فى وجوهنا وابداننا وانما الله تعالى هو المؤثر لها وفاعلها
بتوسط حرارة الشمس كما انه تعالى هو المحرق على الحقيقة بحرارة النار والهاشم لما يهشمه الحجر بثقله وجرمه
الشمس مسودة للاجسام من جهة معقولة مفهومة كما ان النار تحرق الاجسام على وجه معقول فاى تاثير
للكواكب فينا يجرى هذا المجرى فى تمييزه والعلم بصحته فليشر اليه فان ذلك لا قدرة عليه ومما يكون
يعتمد فى ابطال ان تكون الكواكب فاعلة فينا ومصرفة لنا ان ذلك يقتضى سقوط الامر والنهى والمدح
والذم عنا وان لا نكون معذورين فى كل اساءة تقع منا ويجعلها بايدينا وغير مشكورين على شئ من الاحسان
والافضال وكل شئ نفسد به قول المجبرة فهو مفسد لهذا المذهب فاما الوجه الاخر وهو ان يكون الله
تعالى اجرى العادة بان يفعل افعالا مخصوصة عند طلوع كوكب وغروبه او اتصاله او مفارقته فقد
ينبغى ان يكون محل الاشارة لفظ اجرى ويفعل الناسخ سهامنه
بينا ان ذلك ليس بمذهب للمنجمين البتة وانما يتجملون الان بالتظاهر به وانه قد كان جايزا ان يجرى الله
تعالى العادة بذلك لكن لا طريق الى العلم بان ذلك قد وقع وثبت ومن اين لنا بان الله تعالى العادة بانه
يكون زحل او المريخ اذا كان فى درجة الطالع كان نحسا وان المشترى اذا كان كذلك كان سعدا واى
سمع مقطوع به جاء بذلك اى نبى خبر به واستفيد من جهته فان عولوا فى ذلك على التجربة بانا جربنا
على هذه الصفة — ذلك ومن كان قبلنا فوجدناه واذا لم يكن موجبا وجب ان يكون معتادا قلنا ومن سلم لكم صحة هذه التجربة
وانتظامها واطرادها وقد راينا خطاءكم فيها اكثر من صوابكم وصدقكم اقل من كذبكم فالا نسبتم الصواب
اذا اتفق منكم الى الاتفاق الذى يقع من المخمن والمرجم فقد راينا من يصيب من هؤلاء اكثر من يخطئ
وهو غير اصل معتمد ولا قاعدة صحيحة فاذا قلتم سبب خطاء المنجم زلل دخل عليه فى اخذ الطالع او تسيير الكواكب

قلنا ولم لا كانت اصابته سببها التخمين وانما كان يصح لكم هذا التاويل والتخريج لو كان على صحة
احكام النجوم دليل قاطع غير اصابة المنجم فاما اذا كان دليل صحة الاحكام الاصابة فالا كان دليل فسادها
الخطاء فما احدهما في المقابلة الا كصاحبه وما الجئ به الاحكام ولم يتحصل منهم عنه جواب ان سئل المنجم في القائلون بصحتها
شيء بعينه خذ والطالع واحكوا اهل يوخذ او يترك فان حكموا اما بالاخذ او الترك خولفوا وفعل
خلاف ما خبروا به وقد اعضلتهم هذه المسئلة واعتذروا عنها باعذار ملفقة لا يخفى على عاقل سخفها
بعدها من الصواب فقالوا في هذه المسئلة يجب ان يكتب هذا المبتلى بها ما يريد ان يفعل او يخبر
به غيره فانا نخرج ما قد عزم عليه من احد الامرين وهذا التعليل منهم باطل لانه اذا كان النظر في النجوم
يدل على جميع الكاينات التي من جملتها ما يختاره احدنا من اخذ هذا الشيء او تركه فاي فرق بين ان يطوي
ذلك فلا يخبر به ولا يكتبه حتى يقول المنجم ما عنده وبين ان يخبر به ويكتبه قبل ذلك وانما فزعوا
الى الكتابة وما يجري مجراها حتى لا يخالف المنجم فيما يذكره ويحكم به من اخذ او ترك ولو كانت الاحكام
صحيحة وبها دلالة على الكاينات لوجب ان يعرف المنجم ما اختاره من احد الامرين على كل حال ولو لنا
تحت حكمهم وكيفنا ما نريد ان نفعله لما وجدنا اصابتهم في ذلك الا اقل من خطائهم ولم يزيد والقيم على
ما يفعله المخمن المرجم من غير نظر في طالع ولا غارب ولا رجوع الى اصل والا فالبلوى بيننا وبينكم وبعض
الروساء بل الوزراء ممن كان فاضلا في الادب والكتابة ومشغوفا بالنجوم عاملا عليها قال لي يوما وقد
جرى حديث يتعلق باحكام النجوم وراى من مخايلي التعجب ممن يتشاغل بذلك ويفني زمانه بزيد
انا اسال الله عن شيء في نفسي فقلت سل عما بدا لك قال ان تعرفني هل بلغك التكذيب باحكام النجوم ادبلهم
الى ان لا اختار يوما للسفر ولبس ثوب جديد وتوجه في حاجة فقلت قد بلغت الى ذلك والحمد لله
وزيادة عليه ما في داري تقويم ولا انظر فيه وما رايت مع ذلك الا خيرا ثم اقبلت عليه فقلت
ندع ما يدل على بطلان احكام النجوم مما يحتاج الى ظن دقيق ورؤية طويلة وههنا شيء قريب لا يخفى على النجوم
احد ممن علت طبقته في الفهم وانخفضت خبرني لو فرضنا جادة مسلوكة وطريقا يمشي فيه الناس
ليلا ونهارا وفي محجته ابار متقاربة وبين بعضها وبعض طريق يحتاج سالكه الى تامل وتوقف حتى
يتخلص من السقوط في بعض تلك الابار هل يجوز ان تكون سلامة من يمشي في هذا الطريق من العميان
كسلامة من يمشي من البصراء وقد فرضنا انه لا يخلو طريقه حين من المشاة من بصراء وعميان وهل يجوز
ان يكون عطب البصراء يقارب عطب العميان او سلامة العميان مقاربة لسلامة البصراء فقال هذا
مما لا يجوز بل الواجب ان تكون سلامة البصراء اكثر من سلامة العميان ولا يجوز في مثل هذا التقارب
فقلت اذا كان هذا محالا فاحيلوا نظيره وما لا فرق بينه وبينه وانتم تجيزون شبيه ما ذكرناه وعدلنا
لان البصراء هم الذين يعرفون احكام النجوم ويميزون سعدها من نحسها ويتوقون بهذه المعرفة

مضار

مضار الزمان ويتحفظون منها ويعتمدون منافعه ويقصدونها ومثال العميان كل من لا يحسن تعلم
النجوم ولا يلتفت اليه من العلماء والفقهاء واهل الديانات والعبادات ثم ساير العوام والاعراب
والاكراد وهم اضعاف اضعاف من يراعي عدد النجوم ومثال الطريق الذي فيه الابار الزمان الذي يمضي
عليه الخلق اجمعون ومثال الابار مصايبه ونوايبه ومحنه وقد كان يجب لو صح العلم بالنجوم واحكامها
ان تكون سلامة المنجمين اكثر ومصايبهم اقل لانهم يتوقون المحن لعلمهم بها قبل كونها وتكون محن كل
من ذكرناه من الطبقات الكثيرة اوفر واظهر حتى تكون السلامة هي الطريقة الغريبة وقد علمنا خلاف
ذلك وان السلامة والمحن في الجميع متقاربة غير متفاوتة فقال ربما اتفق مثل ذلك فقلت له فيجب
ان نصدق من خبرنا في ذلك الطريق المسلوك الذي فرضناه بان سلامة العميان كسلامة البصراء ونقول
لعل ذلك اتفق وبعد فان الاتفاق لا يستمر بل ينقطع وهو الذي ذكرناه مستمر غير منقطع فلم يكن عنده
عذر صحيح ومما يفسد مذهب المنجمين ويدل على ما لعله يتفق لهم من الاصابة على غير اصل انا قد شاهدنا جماعة
من الزراقين الذين لا يعرفون شيئا من علم النجوم ولا نظروا قط في شيء منه يصيبون فيما يحكمون
به اصابات مستطرفة وقد كان المعروف بالشعراني الذي شاهدناه وهو لا يحسن ان ياخذ
الاصطرلاب للطالع ولا نظر قط في زيج بل ولا تقويم غير انه ذكي حاضر الجواب فطن بالزرق معروف
بكثرة الاصابة وبلوغ الغاية فيما يخرجه من الاسرار ولقد اجتمع يوما بين يدي جماعة كانوا عندي
وكلنا قد اعتمدنا جهة نقصدها لبعض الاغراض فسالنا احد منا عما نحن بصدده فابتدا من غير
اخذ طالع ولا نظر في تقويم فاخبرنا بالجهة التي اردنا قصدها ثم عدل الى كل واحد من الجماعة فاخبره
عن كثير من تفصيل امره واغراضه حتى قال لاحدهم وانت من بين الجماعة قد وعدك واعد بشيء ذو رحلة ب
يوصله اليك وقلبك به متعلق وفي كمك شيء مما يدل على هذا وقد انقضت حاجتك فانصرفت وضرب
الى الكم واستخرج ما فيه فاستحيا ذلك الرجل ووجم ومنع من الوقوف على ما في كمه وجهد فلم ينفعه
ذلك واعان الحاضرون على اخراج ما في كمه لما احسوا بالاصابة من الزراق فاخرج من كمه رقاع
كثيرة من جملتها صك على دار الضرب بصلة من خليفة الوزارة في ذلك الوقت فعجبنا مما اتفق
من اصابته مع بعده من صناعة النجوم وكان لنا صديق يقول ابدا من ادل دليل على بطلان احكام النجوم
اصابة الشعراني وجرى يوما مع من يتعاطى علم النجوم هذا الحديث فقال عند المنجمين ان السبب
في اصابة من لا يعلم شيئا من علم النجوم ان مولده وما يتولاه ويقتضيه كواكبه اقتضى له ذلك فقلت
لعل بطليموس وكل عالم من علماء المنجمين ومصيب في احكامه عليها انما سبب اصابته مولده وما
تقتضيه كواكبه من غير علم ولا فهم فلا يجب ان يستدل بالاصابة على العلم اذا كانت تقع من جاهل
ويكون سببها المولد واذا كانت الاصابة بالمواليد فالنظر في علم النجوم عبث ولعب لا يحتاج

الدلالة على ان المولد ان اقتضى الاصابة او الخطاء فالتعليم لا ينفع وتركه لا يضر وهذه علة تسري الى كل صنعة حتى يلزم ان يكون كل شاعر مفلق وصانع حاذق وناسج للديباج موثق لا علم له بتلك الصناعة وانما اتفقت له صنعته بغير علم لما تقتضيه كواكب مولده وما يلزم على هذا من الجهالات لا يحصى واعلم ان التعب بعلم مراكز الكواكب وابعادها واشكالها وتسييراتها متى لم تكن ثمرته العلم بالاحكام والاطلاع على الحوادث قبل كونها لا معنى له ولا غرض فيه لانه لا فائدة في ان يعلم ذلك كله ويختص بنفس العلم به وما يجري الاطلاع على ذلك اذا لم تتعد المعرفة الى العلم بالاحكام الا مجرى العلم بعدد الحصى وكيل التراب ومعرفة اطوال الجبال واوزانها وكما ان العناء في تعرف ذلك عبث لا يجدي نفعا فكذلك العلم بالفلك والنيرات وكواكبه وابعادها والمعرفة بزمان قطع كل كوكب للفلك وتفاصيلها فيزماشقي القوم بهذا الشان وافنوا اعمارهم الا لتقديرهم انه يفضي الى معرفة الاحكام فلا تغتر بقول من يقول منهم انا ننظر في ذلك لشرف نفوسنا بعلم الهيئة ولطيف ما فيها من الاعاجيب فان ذلك تجمل منهم وتقرب الى اهل الاسلام ولولا ان غرضهم معرفة الاحكام لما تعنوا بشيء من ذلك كله ولا كانت فيه فائدة ولا ثمرة عائدة ومن ادل الدليل على بطلان احكام النجوم انا قد علمنا ان من جملة معجزات الانبياء عليهم السلام الاخبار عن الغيوب وعد ذلك خارقا للعادات كاحياء الميت وابراء الاكمه والابرص ولو كان العلم بما يحدث طريقا نجوميا لم يكن ما ذكرناه معجزا ولا خارقا للعادة وكيف يشتبه على مسلم بطلان احكام النجوم وقد اجمع المسلمون قديما وحديثا على تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلان احكامهم ومعلوم من دين الرسول عليه السلام ضرورة التكذيب بما يدعيه المنجمون والازراء عليهم والتعجيز لهم وفي الروايات عنه عليه السلام من ذلك ما لا يحصى كثرة وكذلك عن علماء اهل بيته عليهم السلام وخيار اصحابه فما زالوا يبرؤون من مذاهب المنجمين ويعدونها ضلالا ومحالا وما اشتهر هذه الشهرة في دين الاسلام كيف يفتي بخلافه منتسب الى الملة ومصل الى القبلة فاما اصاباتهم في الاخبار عن الكسوفات وما مضى في اثناء المسألة من طلب الفرق بين ذلك وبين سائر ما يخبرون به من تاثيرات الكواكب في اجسامنا فالفرق بين الامرين ان الكسوفات واقترانات الكواكب وانفصالها طريقة الحساب وتسيير الكواكب وله اصول صحيحة وقواعد سديدة وليس كذلك ما يدعونه من تاثيرات الكواكب في الخير والشر والنفع والضر ولو لم يكن في الفرق بين الامرين الا الاصابة الدائمة المتصلة في الكسوفات وما يجري مجراها ولا يكاد يبين فيها خطاء البتة وان الخطاء المعهود الدائم هو في الاحكام الباقية حتى ان الصواب هو العزيز فيها وما يتفق لعله فيها من الاصابة قد يتفق من المخمن اكثر منه فحمل احد الامرين على الاخر بهت وقلة دين

مسألة في المنامات

ما القول في المنامات اصحيحة هي ام باطلة ومن فعل من هي ومن اي جنس هي وما وجه صحتها في الاكثر وما وجه الانزال عند رؤية المباشرة في المنام وان كان فيها صحيح وباطل فما السبيل الى تمييز احدهما من الاخر الجواب اعلم ان النائم غير كامل العقل لان النوم ضرب من السهو

ينفي العلوم ولهذا يعتقد النائم الاعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه وجميع المنامات انما هي اعتقادات يبتدئها النائم في نفسه ولا يجوز ان تكون من فعل غيره فيه لان من عداه من المحدثين كانوا بشرا او ملائكة او جنا اجسام والجسم لا يقدر ان يفعل في غيره اعتقادا ابتداء بل ولا شيئا من الاجناس على هذا الوجه وانما يفعل ذلك في نفسه على سبيل الابتداء وانما قلنا انه لا يفعل في غيره جنس الاعتقادات متولدا الا ان الذي يعدي الفعل من محل القدرة الى غيرها من الاسباب انما هو الاعتمادات ما يولد الاعتقادات ولهذا لو اعتمد احدنا على قلب غيره الدهر الطويل ما تولد فيه شيء من الاعتقادات وقد بين ذلك وشرح في مواضع كثيرة والقديم تعالى هو القادر على ان يفعل في قلوبنا ابتداء من غير سبب اجناس الاعتقادات ولا يجوز ان يفعل في قلب النائم اعتقادا لان اكثر الاعتقادات للنائم جهل وتتناول الشيء على خلاف ما هو به لانه يعتقد انه يرى ويمشي وانه راكب وعلى صفات كثيرة وكل ذلك على خلاف ما هو به وهو تعالى لا يفعل الجهل فلم يبق الا ان الاعتقادات كلها من جهة النائم وقد ذكر في المقالات ان المعروف بصالح قبة كان يذهب الى ان ما يراه النائم في منامه على الحقيقة وهذا جهل منه يضاهي جهل السوفسطائية لان النائم يرى ان راسه مقطوع وانه قد مات وانه قد صعد الى السماء ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كله واذا جاز عند صالح هذا ان يعتقد اليقظان في السراب انه ماء وفي المردي اذا كان في الماء انه مكسور وهو على الحقيقة صحيح لضرب من الشبهة واللبس فالا جاز ذلك في المنام وهو من الكمال ابعد والى النقص اقرب وينبغي ان يقسم ما يتخيل النائم انه يراه الى اقسام ثلاثة منها ما يكون من غير سبب يقتضيه ولا داع يدعو اليه اعتقادا مبتدأ ومنها ما يكون من وسواس الشيطان يفعل في داخل سمعه كلاما خفيا يتضمن اشياء مخصوصة فيعتقد النائم اذا سمع ذلك الكلام انه يراه فقد نجد كثيرا من النيام يسمعون حديث من يتحدث بالقرب منهم فيعتقدون انهم يرون ذلك الحديث في منامهم ومنها ما يكون سببه والداعي اليه خاطرا يفعله الله تعالى او يامر بعض الملائكة بفعله ومعنى هذا الخاطر ايضا ان يكون كلاما يفعل في داخل السمع فيعتقد النائم ايضا انه ما يتضمن ذلك الكلام والمنامات الداعية الى الخير والصلاح في الدين يجب ان تكون الى هذا الوجه مصروفة كما ان ما يقتضي الشر منها الاولى ان تكون الى وسواس الشيطان مصروفة وقد يجوز على هذا فيما يراه النائم في منامه ثم يصح ذلك حتى يراه في يقظته على حد ما يراه في منامه وفي كل منام يصح تاويله ان يكون سبب صحته ان الله تعالى يفعل كلاما في سمعه لضرب من المصلحة بان شيئا يكون او قد كان على بعض الصفات فيعتقد النائم ان الذي يسمعه هو ما يراه فاذا صح تاويله على ما يراه فما ذكرناه ان لم يكن مما يجوز ان تتفق فيه الصحة اتفاقا فان في المنامات ما يجوز ان يصح بالاتفاق وما يضيق فيه مجال نسبته الى الاتفاق فهذا الذي ذكرناه يمكن ان يكون وجها فيه فان قيل اليس قد قال ابو علي الجبائي في بعض كلامه في المنامات ان الطبائع

ولبس في اجناس الاعتمادات

لان اكثر اعتقادات النائم

لشبهه

لا يجوز ان تكون مؤثرة فيها لان الطبايع لا يجوز على المذاهب الصحيحة ان تؤثر في شيء وانه غير ممتنع مع ذلك ان يكون بعض الماكل يكثر عندها المنامات بالعادة كما ان فيها ما يكثر عنده بالعادة تخيل الانسان وهو مستيقظ ما لا اصل له قلنا قد قال ذلك ابو علي وهو خطاء لان تاثيرات الماكل بمجرى العادة على المذاهب الصحيحة اذا لم تكن مضافة الى الطبايع فهو من فعل الله تعالى فكيف نضيف التخيل الباطل والاعتقاد الفاسد الى فعل الله تعالى فاما المستيقظ الذي يستشهد به فالكلام فيه والكلام في النايم واحد ولا يجوز ان نضيف التخيل الباطل الى فعل الله تعالى في نايم ولا يقظان فاما يتخيل من الفاسد وهو غير نايم فلا بد ان يكون ناقص العقل في الحال وفاقدا للتمييز بسهو وما يجري مجراه فيبتدئ اعتقادا لا اصل له كما قلناه في النايم فان قيل فما قولكم في منامات الانبياء عليهم السلام وما السبب في صحتها حتى عد ما يرونه في منامهم مضاهيا لما يسمعونه من الوحي قلنا الاخبار الواردة بهذا الجنس غير مقطوع على صحتها ولا هي مما توجب العلم وقد يمكن ان يكون الله تعالى اعلم النبي بوحي يجب ان تعمل عليه فيقطع على صحته من هذا الوجه لا بمجرد رؤيته له في المنام وعلى هذا الوجه يحمل منام ابرهيم عليه السلام في ذبح ابنه ولولا ما اشرنا اليه كيف كان يقطع ابرهيم عليه السلام بانه متعبد بذبح ولده فان قيل فما تاويل ما يروى عنه عليه السلام من قوله من راني فقد راني فان الشيطان لا يتخيل بي وقد علمنا ان المحق والمبطل والمؤمن والكافر قد يرونه عليه السلام في النوم ويخبر كل واحد منهم عنه بضد ما يخبر به الاخر فكيف يكون رائيا له في الحقيقة مع هذا قلنا هذا خبر واحد ضعيف من اضعف اخبار الاحاد ولا معول على مثل ذلك على انه يمكن مع تسليم صحته ان يكون المراد به من راني في اليقظة فقد راني على الحقيقة لان الشيطان لا يتمثل بي لليقظان فقد قيل ان الشياطين ربما تمثلت بصورة البشر وهذا التاويل اشبه بظاهر الفاظ الخبر لانه قال من راني فقد راني فاثبت غيره رائيا ونفسه مرئية وفي النوم لا رائي في الحقيقة ولا مرئي وانما ذلك في اليقظة ولو حملنا على النوم لكان تقدير الكلام من اعتقد انه يراني في منامه وان كان غير راء لي على الحقيقة فهو في الحكم كانه قد راني وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته وهذا الذي تبيناه في المنامات وسببها تحقيقا من كل شيء قيل في اسباب المنامات وما سطر في ذلك معروف غير محصل ولا محقق فاما ما يهذي به الفلاسفة في هذا الباب فهو ما يضحك الثكلى لانهم ينسبون ما صح من المنامات لما اعيتهم الحيل في سببه الى ان النفس اطلعت على عالمها فاشرفت على ما يكون وهذا الذي يذهبون اليه في حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط وكيف اذا اضيف اليه الاطلاع على عالمها وما هذا الاطلاع والى اي شيء يشيرون بعالم النفس ولم يجب ان تعرف الكائنات عند الاطلاع وكل هذا زخرفة ومخرقة وتهاويل لا يتحصل منها شيء وقول صالح قبة مع انه تجاهل محض اقرب الى ان يكون مفهوما من قول الفلاسفة لان صالحا ادعى ان النايم يرى على الحقيقة ما ليس يراه ولم يشر الى امر غير معقول ولا مفهوم بل ادعى ما ليس بصحيح وان كان مفهوما وهؤلاء عولوا على ما لا يفهم مع

الاجتهاد ولا يعقل مع قوة التامل والتدبر والفرق بينهما واضح واما سبب الانزال فيجب ان يبنى على تحقيق سبب الانزال في اليقظة مع الجماع ليس هو ما يهذي به اصحاب الطبايع لانا قد بينا في غير موضع ان قول اصحاب الطبع لا اصل له وان الاحالة فيه على سراب لا يحصل واما سبب الماء فان الله تعالى اجرى العادة باخراج من ظهر الرجل عند هذه الحركة المخصوصة وليس يمتنع ان يجري الله العادة بان يخرج هذا الماء من الظهر عند اعتقاد النايم انه يجامع وان كان هذا الاعتقاد باطلا مسئلة سئل رضي الله عنه عن الخبر المنسوب الى الصادق عليه السلام من انه قال لقد اخا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بين سلمان وابي ذر ولو اطلع ابو ذر على ما في قلب سلمان لقتله كيف يجوز ان يواخي النبي عليه السلام بين رجلين يستحل احدهما اذا اطلع على ما في قلب الاخر دمه وما القول فيمن تاول هذا القول وهو قتله على ان الهاء راجعة على ما في قلبه واراد لقتله علما وهل تاويل جايز ام لا وما ذلك القول ايضا فيمن تاوله على غير هذا الوجه فقال ان معنى قوله لقتله اي لكد فكره وخاطره كدا مجهدا وانه عبر بالقتل ههنا على سبيل المبالغة في تعبيره عن شدة المبالغة والمشقة كما يقول القائل قتلني انتظار فلان ومت الى ان رايتك والى ان تخلصت من الشدة التي كنت فيها عدة دفعات وهو يريد الاخبار عن شدة الكلفة والمشقة والمبالغة في وصفها الجواب وبالله التوفيق ان هذا الخبر اذا كان من اخبار الاحاد التي لا توجب علما ولا تثلج صدرا وكان له ظاهر ينافي المعلوم المقطوع به تاولنا ظاهره على ما يطابق الحق ويوافقه ان كان ذلك سهلا والا فالواجب اطراحه وابطاله واذا كان من المعلوم الذي لا يختل سلامة سريرة كل واحد من سلمان وابي ذر ونقاء صدر كل واحد منهما لصاحبه وانهما ما كانا من المدغلين في الدين ولا المنافقين فلا يجوز مع هذا المعلوم ان يعتقد ان الرسول عليه السلام يشهد بان كل واحد منهما لو اطلع على ما في قلب صاحبه لقتله على سبيل الاستحلال لدمه ونعلم انه ان كان قال ذلك فلم يرد الا غير هذا الظاهر الذي لا يليق بهما ومن اجود ما قيل في تاويله ان الهاء في قوله لقتله راجعة الى المطلع لا الى المطلع عليه كانه اراد انه اذا اطلع على ما في قلبه وعلم موافقة باطنه وشدة اخلاصه له اشتد ضنه ومحبته له وتمسكه بمودته ونصرته فقتله ذلك الضن والود بمعنى انه كاد يقتله كما يقولون فلان يهوى غيره وتشتد محبته له حتى انه قد قتله حبه واتلف نفسه وما جرى مجرى هذا من الالفاظ وتكون فائدة هذا الخبر حسن الثناء من النبي عليه السلام على الرجلين وانهما متاخيان في باطنهما كظاهرهما وسرهما في النقاء والصفاء كعلانيتهما حتى انه لو ان احدهما اطلع على ما في قلب الاخر لاعجبه وكاد يقتله محبة له وضنا به وهذا اشبه بمنزلة الرجلين في نفوسهما وعند النبي عليه السلام واليق بان يكون مدحا وتقريظا وذلك الوجه الاخر يقتضي غاية الذم ونهاية الوصف بالنفاق وسوء الدخيلة لان من يظهر جميلا ولو اطلع على باطنه لاستحل دمه هو عين

المنافق المداهن فاما تاويل هذا اللفظة وحملها على العلم فغير مرضي لان المطلع على ما في قلب غيره لا
يكون الا عالما بما اطلع عليه فاي معنى للفظة قتله في هذا الموضع وهل ذلك الا تكرير وما لا فايدة
فيه فاما حمله على انه كد خاطره وقسم فكره فكاد فيما المسالة عنه قايمة ولم يكون مثل كل واحد من هذين
الرجلين متى اطلع على قلب صاحبه كد خاطره واتعب قلبه حتى كاد يقتله لولا انه يطلع على سوء ومكر وهذا
هو النفاق تنزه الرجلين عنه ولا يليق بهما ولا بالنبي عليه السلم ان يصفهما به مسئلة الاجباء في
اللغة العربية هو ان يباع الزرع قبل ان يبدو صلاحه يقال اجبى الرجل يجبي اجباء اذا فعل ذلك
فمعنى ما روي عنه عليه السلام من اجبى فقد اربى اي من باع الزرع قبل ان يبدو صلاحه وقد نهى عن
ذلك وحظر عليه يجري مجرى من اربى لانه فاعل المعصية محظورة عليه وان لم يكن بيع ما لم يبد صلاحه
ربا في الحقيقة ولا معناه معناه غير انه جار مجراه في الحظر والمعصية وجار مجرى قول القايل من ربي
فقد سرق اي هو عاص مخالف لله تعالى كما ان ذلك بهذه الحال مسئلة وما ورد في القران
من معاتبات الرسول عليه السلام مع عصمته وطهارته وكونه الحجة على الخلق اجمعين الجواب انه اذا ثبت
بالدليل عصمة الانبيا عليهم السلم فكل ما ورد في القران مما له ظاهر ينافي العصمة ويقتضي وقوع
الخطاء منهم فلا بد من صرف الكلام عن ظاهره على ما يليق بادلة العقول لان الكلام يدخله الحقيقة وحماد
والمجاز ويعدل المتكلم به عن ظاهره وادلة العقول لا يصح فيها ذلك الا ترى ان القران قد ورد بما لا
يجوز على الله تعالى من الحركة والانتقال كقوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله تعالى هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ولا بد مع وضوح الادلة على ان الله تعالى ليس بجسم واستحالة الانتقال
عليه الذي لا يجوز الا على الاجسام تاويل هذه الظواهر والعدول عما يقتضيه صريح الفاظها قرب التاويل
او بعد ولو جهلنا العلم بالتاويل جملة لم يضر ذلك مع التمسك بالادلة وكان غاية ما فيه ان لا نعلم مقصد المتكلم
بما الحقه من كلامه ونعلم اذا كان حكيما ان له غرضا صحيحا على ان ظواهر الايات التي خوطب بها النبي عليه السلم
مما ظاهره كالعتاب منها المقصود به امته وان الخطاب متوجها اليه ولهذا روي عن ابن عباس انه قال نزل القران
بايا كاعني واسمعي يا جاره ويشهد بذلك قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فخاطب النبي عليه السلم
والمراد بذلك جميع الامة ومنها ما يظن انه عتاب وليس كذلك بل هو تعليم وتاديب ولا محالة ان تاديب
النبي عليه السلم كان صادرا عن الله تعالى والمواعظ لم تزل ترادفت في كل وقت الشروع في ذكر جميع الايات والتنبيه
على المراد بها يطول غير ان جملة الكلام ما ذكرناه ونذكر بعض ذلك ليبين ان الكلام في الجميع على هذا المنهاج
فمن الايات قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشيه وكقوله تعالى ما كان لنبي
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وكقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك وقوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم الى شاهده الاي اما قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه فالقصة فيه مشهورة

وهي

وهي ان العرب كانت تحرم على نفوسها نكاح زوجة من استضافوه الى نفوسهم بالبنوة وادعوه كما يحرمون
ازواج الابناء في الحقيقة فلما اراد الله تعالى نسخ ذلك لما علم فيه من المصلحة اعلم نبيه قبل طلاق زيد بن
حارثة الذي كان النبي عليه السلام تبناه زينب بنت جحش زوجته وامره بتزويجها اذا فارقها
فلما خاصم زيد زوجته عازما على طلاقها وعظه النبي عليه السلام وكفه عن ذلك اشفاقا من شكوته
عنه مع ما عزم عليه من نكاحها ان يرجف لها المنافقون ويضيفوا اليه ما قد نزهه الله تعالى منه
عند اخفاء عزمه على تزويجها بعد فراق زيد لها لينتهي الى امر الله تعالى في ذلك ويشهد بصحة ما ذكرناه
قوله تعالى فلما زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا قضى
منهن وطرا فان قيل فالعتاب حاصل لانه كان ينبغي ان يظهر ما اضمره ويخشى الله ولا يخشى الناس
الجواب عن ذلك ان اخبار الله تعالى انه اخفى ما الله مبديه هو خبر محض لا يتعلق به ذم وقوله تعالى
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فالشبهة به ايضا ضعيفة لانه خبر انه خشي الناس والله احق
بالخشية ولم يخبر انه لم يفعل الاحق وعدل الى الادون ثم ان حصول العتاب مع الذي بيناه على ان
غايته الاقتراح في هذا انه عليه السلام فعل ما غيره اولى منه وليس يكون بترك الاولى عاصيا وانما يكون
تاركا للافضل والوجه في ترك العذر الذي بيناه واما قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن
في الارض فالعتاب في الحقيقة متوجه الى سواه لان الله تعالى قد صرح بذلك في تمام الاية بقوله تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم والقصة
في هذه الاية ايضا مشهورة وانما اضاف الاسرى الى نبيه عليه السلام بقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى
وان كان المراد بالخطاب من اسر لانهم اسروهم ليكونوا في يده عليه السلم فهم في الحقيقة اسراؤه ومضافون
اليه وان لم يامر باسرهم واما قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك اذا
تومل في الحقيقة لم يكن فيه عتاب وانما هو توجع له عليه السلام يدل على ان تحريم الرجل زوجته
او طلاقه اياها او اعتزاله بعض امائه ليس بقبيح بل هو مباح وهو بهذه الصفة لا يستحق الفاعل له
عتابا فلما فعل النبي عليه السلم ذلك لمرضات بعض ازواجه ادخل المشقة على نفسه بفعله قال الله تعالى
لم فعلت ذلك ولا امسكتها على ما كنت عليه ولم تبتغي مرضات ازواجك بادخال المشقة على نفسك
هذا هو الظاهر واذا نزل على اقتراح الخصم في هذه الاية كان النبي عليه السلم قد عدل عن الاولى وكان الامساك
وترك التحريم افضل وله ان يحرم ويجري قوله تعالى لم مجرى قول الواحد منا لغيره لم تركت صلاة
الليل ولم تترك صيام ثلاثة ايام في كل شهر وان كان بترك ذلك لم يفعل قبيحا بل اخل بمندوب اليه وما
غيره اولى فاما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فليس يقتضي معصية ولا ان المقصد في الغا
بمثل هذا الخطاب التعظيم للمخاطب واستيضاح ما عنده فيما فعله الا ترى ان الواحد منا يقول لغيره

لم كان كذا وكذا رحمك الله وغفر لك هو لا يقصد الا الملاطفة لدوحسن المحاورة ولا يقصد الاخبار عن ذلك وانما الغرض الاجلال في الخطاب وقد صار ذلك عرفا بين الناس والمقصد به التوقير والاجلال فاما قوله لم اذنت فلا يجب حمله على العتاب لان هذه اللفظة ليست موضوعة لذلك خاصة بل قد تطلق ويراد بها الاستفهام وتارة يراد بها التقرير وتارة العتاب وهي محتملة لجميع المذكور فلم تحملها في حق النبي عليه السلام على العتاب دون بقية الاقسام وغاية ما في حمله على رأي الاولى حسب ما تقدم في الآيات واستقصاء ذلك ذكر ما في الآيات يطول ويكفي في التنبيه على الآي الباقية ما ذكرنا

مسئلة رسمت الحضرة العالية الوزيرية العميدية حرس الله سلطانها ذكر ما عندي في تأويل قوله تعالى في سورة التغابن ذلك يوم التغابن ولفظة التغابن ههنا مشتقة من الغبن الذي يكون في البيع والتجارة وما اشبه ذلك هو النقصان والخسران لان المغبون هو الذي زاد غابنه عليه وربح ولما كان يوم القيامة يبين فيه مستحق الثواب بدخول الجنة والتعظيم فيها من مستحق العقاب بدخول النار صار مستحق دخول الجنة كانه غابن لمستحق العقاب بدخول النار لانهما جميعا عرضا بالتكليف لاستحقاق الثواب ففعل احدهما ما استحق به ذلك وقصر الآخر عن هذه الغاية وعدل الى فعل ما استحق به العقاب وجريا مجرى متبايعين فاز احدهما بما هو جرى عليه انفع واصلح واختص الآخر بما ضار هو له ووبال عليه فيسمى الغابن بالخير والصلاح غابنا والآخر مغبونا وتسمية يوم القيمة بانه يوم التغابن من افصح كلام واخصره وابلغه والله الموفق للصواب

هذا آخر ما وجدته من اختاره رضي الله عنه لاضافته الى كتاب المعروف بغرر الفوائد ودرر القلائد والحمد لله رب العالمين والصلوة على خير خلقه محمد وآله الطاهرين حرره العبد المذنب ابن عباس علي بن علي رضا الخونساري التمس الدعا من الناظرين في طبع هذه النسخة في سنة ثمان وسبعين ومائتين بعد الالف من الهجرة النبوية

[illegible]

من يستحق الثواب